

جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
لجنة إحياء التراث الإسلامي

إنباء الغمر بإنباء الغمر

لشيخ الإسلام
المحافظ ابن حجر العسقلاني
٧٧٣ - ٨٥٢ هـ

الجزء الثاني

تحقيق وتعليق

الدكتور حسن حبشي

القاهرة
١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م

بَيَان

رُوجع هذا الجزء على النسخ التي رُوجع
عليها الجزء الأول ، كما رُوجع على نسخة
أخرى مصورة بمعهد المخطوطات بجامعة الدول
العربية عن مكتبة أحمد الثالث باستانبول
برقمي ٢٩٤٢ / ١ و ٢٩٤٢ ، كتبت في القرن
التاسع وعليها خط السخاوي مع تعليقات له ،
وقد رمز إليها بالحرف ث ، عدا الرجوع إلى
أمهات كتب التاريخ والتراجم .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سنة ثمانمائة

كان أولها يوم الاثنين^(١) [سابع] عشرى توت من أشهر القبط وأخذ النيل في النقص وانتهت زيادته إلى إثني عشر إصبعا من عشرين .

وفي الثامن من المحرم خرج السلطان إلى سرياقوس ثم رجع .

وفي أولها وصل^(٢) ناصر النوبى صاحب بلاد النوبة إلى القاهرة واجتمع بالسلطان فأكرمه وخلع عليه وتوجه إلى بلاده .

وقبض على بكلمش أمير آخور وعلى كمشبغا الكبير وأرسلوا إلى الإسكندرية .

وفيه صرف تغرى بردى نائب حلب واستقر بها أرغون^(٣) شاه نائب طرابلس ، واستقر في نيابة طرابلس آقبا الجمالى نائب صفد ، والشهاب أحمد بن الشيخ على نائب غزة في نيابة صفد ، وقرر الشيخ الصفوى في نيابة غزة ثم صرف عنها ، واستقر بقجاه الشرقى ، ولما وصل تغرى بردى [من يشبغا] خرج السلطان إلى السرحة فتلقيه فدخل نصف ربيع الأول ، وكان في تقدمته مائة وثلاثون فرسا وسبعون جملا ومائة حمل قماش .

وفي صلح المحرم استقر أيتمش أتابك العساكر عوضاً عن كمشبغا وزادته من إقطاعه

(١) يتفق هذا وما ورد في جدول سنة ٨٠٠ في التوفيقات الإلهامية ، ص ٤٠٠ ، والسلوك ، ورقة ٢٥٩ ب .

(٢) كان سبب قدومه إلى القاهرة هو فراره من ابن عمه ، ثم إنه توجه إلى النوبة بعد أن أصدر السلطان أمره إلى

الصارم إبراهيم الشهابى بمعاونته ضد مناوئيه ، راجع السلوك ، ورقة ٢٥٩ ب ، وعقد الجان ، ج ٢٥ ، لوحة ٢١ .

(٣) هناك أكثر من واحد يسمى كل منهم بأرغون شاه وكلهم في هذه الفترة وهم أرغون شاه البيدمرى ، وأرغون شاه

الإبراهيمى المنجى ، وأرغون شاه السيقى تغرى بردى ، وأرغون شاه النوروزى الحافظى ، على أن المقصود منهم في المتن هو الثانى الذى ولى لبرقوق نيابة السلطنة بحلب كما ولى نيابة صفد ثم طرابلس ثم حلب سنة ٨٠٠ ، واختلف في سبب موته ،

فغراه بمضهم لشراب مسموم تناوله ، وردده البعض إلى خروجيه في إثر جماعة من العرب حتى أصابه عطش فأتته ، انظر

في ذلك الفسوف اللامع ٨٢٥/٢ ، Wiet : Les Biographies du Manhal Safi, No. 371 ، أما

آقبا الجمالى فيعرف بأقبا الجمالى كمشبغا الرومى ولم أجد له ولاية لنيابة صفد في ترجمته الواردة بالفسوف اللامع ١٠١٣/٢ ولم

تزد الإشارة إلى ذلك في الوظائف التى تقلدها في Wiet : op. cit. No. 483 ، لكنه مات مقتولا قرب مريوط

في سنة ٨٣٧ ، انظر أيضا السلوك ، ورقة ٢٥٩ ب .

بلدا^(١)، واستقرَّ سُودُون قَرِيبُ السُّلْطَانِ عَلَى إِقْطَاعِ كَمَشْبُغَا ، وَقُرَّرَ إِقْطَاعُ سُودُونِ لِعَبْدِ الْعَزِيزِ ابْنِ السُّلْطَانِ .

ووصل تغرى بردى الذى كان نائب حلب فأعطى إقطاع شيخ الصفوى ونفى^(٢) شيخ إلى القدس بطالا . واستقر بيبرس ابنُ اخت السلطان أميرَ مجلس عوضا عن الصفوى .

وفى المحرم^(٣) لما رجع الحاج إلى العقبة وجدوا ودائعهم قد نُهبَت فقبيل أخذَ لهم مايساوى عشرين ألف دينار ، وقبض أمير الحاج على صاحب الدرك فصولح بعض وترك بعض .

وفى آخر صفر أمرَ يلبغا السالى إمرة عشرة .

وفيه صُرف شعبان من حسبة مصر واستقر شمس الدين الشاذلى الذى كان بالإسكندرية مكانه ، ثم عُزل الشاذلى وأعيد شعبان ثم عُزل شعبان وأعيد الشاذلى ، ووقف جماعة من المصريين فى شعبان فشكوا منه إلى بيبرس الدويدار وذلك فى ذى القعدة فأهانوه إهانة شديدة حتى صفعه بعضهم بحضرة الدويدار ، وأمر أن ينادى عليه ، فآل الأمر إلى أن هرب شعبان إلى اليمن .

فى ربيع^(٤) الأول وقع الوباء بالوجه البحرى ووصل منه إلى مصر فمرض أكثر الناس .

وفى صفر وُسط شاهين - رأس نوبة كمشبا - بعد القبض على أستاذه ، وقد حَكَمَ شاهين

(١) البلد الذى زيد فى إقطاعه هو فرشوط كما جاء فى عقد الجمان ٢٣/٢٥ ، وفرشوط - كما ورد فى القاموس الجغرافى لمدن المصرية ق ٢ ج ٤ ص ١٩٧ - ١٩٨ من قرى الصعيد القديمة وقد ذكرها أميلينو فى جغرافيته باسم **Fargout** ، هذا وقد أشار نفس المرجع إلى اختلاف رسمها الكتابى عند الجغرافيين العرب واللغويين فى الصور المختلفة .

(٢) ذكر العيى فى عقد الجمان ٢٣/٢٥ سبب هذا النفى وهو استفراجه فى شرب الخمر وسماع الملاهى وجمع المسامر وعدم التفاته لأمر ماليكه وشئون إمارته رغم نصيح السلطان له مرارا .

(٣) كان ذلك يوم ١٨ منه حسب رواية السلوك ، ورقة ٢٩٠ أ .

(٤) انظر السلوك ، ١٢٥٠ .

هذا في القاهرة في ولاية أستاذه نيابة الغيبة وكان قتله على سبيل القصاص منه لأجل قتييل
 ثبت عليه أنه قتله ، وكان إمساك كمشيغا في آخر المحرم ، وأرسل هو وبكلمدش إلى الإسكندرية
 فمُجِنَا بها ، وأمسك بعدهما شيخ الخاصكى وأُرْسِل إلى القدس وكان من أخَص الناس بالظاهر ،
 وبه ضُرب المثل في حُسن الصورة ، ثم تغير منه وأمسكه ومات بالقدس في هذه السنة .
 واستقر نوروز الحافظي أمير آخور بدل تاني بك . وببيرس ابن أخت الظاهر دويداراً
 عوضاً عن قلمطاي ، وتغري بزدي نائب حلب بدل بكلمدش . وآقبا الكبير أمير مجلس
 بدل بيبرس المذكور . وعلى باي بدل نوروز رأس نوبة .

وفي هذه السنة^(١) انتهت الزينة بقصور سرياقوس فكان آخر من ركب إليها الظاهر
 في هذه السنة ، ولم يخرج إليها أحد منهم بعده .

• • •

وفيهما نازل تمرلنك الهند فغلب على دلي^(٢) كرسى المملكة وقتل وقتك على عاداته
 وخرَّب ، وكان قد توجه إليها من طريق غزنة على البر ، ووصل رجيغهُ إلى اليمن .
 وكان السبب المحرك له على ذلك أن فيروز شاه - ملك الهند - مات قبله ذلك فسَمَت
 نفسه إلى الاستيلاء على أمواله ، فتوجه في عساكره ، وكان فيروز شاه لما مات قام بالأمر
 بعده « يلو » الوزير ثم عصى عليه أخوه ، وكان فيروز شاه لما مات قام بالأمر بعده سازيك
 صاحب ملتان^(٣) ، ففي أثناء ذلك طرقتهم اللنكية فحاصروا ملتان فملكها وقصد يلو في دلي .
 وكان يلو بلغه أمر أخيه ، فجد واجتهد وجمع العساكر ، فاستقبل اللنك بجند وصدر أمامهم
 القبيلة عليها المقاتلة ، فلما استقبلتها الخيل نفرت منها ، فبادر اللنك وأمر باستعمال قِطْع
 من الحديد على صفة الشوك وألقاها في البركة التي كان بها ، فلما أصبحوا واصطفوا

(١) كان ذلك في المحرم ، راجع السلوك ، ورقة ٢٦٠ ، وفي ذلك يقول المقرئ : إنه لم يخرج إليها أحد منهم
 بعد ذلك ، وجهت عوائلها وخربت القصور وكانت من أجمل عوايد ملوك مصر .

(٢) هي دله أيضا عند بعض المؤرخين المعاصرين .

(٣) ملتان - وأكثر ما تكتب مولتان - بالواو - إحدى مدن الهند ، وهي قريبة من غزنة وأهلها مسلمون ، وكان

أوائل البلاد التي فتحها محمد بن القاسم الثقفي ، انظر معجم البلدان ٤/٦٢٩ ، ٦٨٩ ، ومرصد الاطلاع ٣/١٣٠٥ .

للقِتال أمر عساكره ينتهون إلى خلف فظنوا أنهم انهزموا فتبعوهم ، فاجتازت الفيلة على ذلك الشوك الكامن في الأرض فجفلت منه أعظم من جفل الخيل منها ورجعت القهقري من ألم الحديد ، فكانت أشدَّ عليهم من عدوهم ، فإنها من حرارة الشوك ولَّت على أدبارها وهاجت حتى طحنت المقاتلة الرجالة والفرسان فانهزموا بغير قتال ، ثم توجه اللنكية بعد الهزيمة إلى حصار البلد .

• • •

وفي العشرين من ربيع الأول استقر جمال الدين يوسف بن موسى بن محمد الملقب^(١) ثم الحلبي في قضاء الحنفية ، وكان المنصب - نحو أربعة أشهر من حين مات شمس الدين الطرابلسي - شاغرا ، وكان قدومه في ثامن عشر ربيع الأول وخُلع عليه في العشرين^(٢) منه ، لكن كان السلطان أذن لنواب الطرابلسي أن يحكموا بعد مضي شهر من وفاته .

وفي سابع عشر صفر الموافق لثالث^(٣) عشر هاتور أمطرت السماء مطراً غزيراً توخَّلت منه الأرض وزلقت البيوت .

وفي ثامن جمادى الأول أمر علي باي تقدمه ألفٍ وكذلك يَشْبِكُ الخزندار .

(١) كان الملقب هذا من كبار رجال الحنفية وأصله من خرتبرت وقد ولد بها سنة ٧٢٦ ، وتنقل في البلاد ودخل مصر وهو كبير ، وقد أتم في حياته بأمور لا تتفق والمنصب الذي يشغله أو مكانته الدينية كإفثائه بأكل الحشيشة حتى قال فيه المهب بن الشحنة :

عجبت لشيخ يأمر الناس بالتقى ومارقب الرحمن يوماً ولا اتقى

يرى جائراً أكل الحشيشة والربيا ومن يستمع للوحي حقاً تزندقا

وليس من شك في أن هناك مبالغة في بعض ما أتهم به ، انظر عنه الضوء اللاحق ١٠/١٢٧١ ، وذيل رفع الإصر ، ص ٤٠٩ .

(٢) انقضت الفترة من يوم مقدمه إلى توليه القضاء وهو في بيت بدر الدين محمود الكلستاني كاتب السر الذي كان شديد الميل إليه .

(٣) يتفق هذا والتواريخ الواردة في جدول سنة ٨٠٠ بالتوقيعات الإلهامية ، على أن ١٧ صفر هذا كان يوم الجمعة

وهو يعادل يوم ٥ نوفمبر ١٣٩٧ .

وفي العشرين منه استقر صدر الدين بن القاضي جمال الدين العجمي في توقيع الدست عوضاً عن ناصر الدين الفاقوسي^(١) لغضب كاتب السر عليه .

وفي تاسع عشر منه استقر نوروز الحافظي أمير آخور وعلى باي رأس نوبة .

وفي جمادى الأولى صرف علاء الدين بن أبي البقاء عن قضاء الشافعية بدمشق واستقر شمس الدين الإخنائي^(٢) .

وفي جمادى الآخرة صرف تاج الدين بن الدماميني^(٣) عن قضاء المالكية^(٤) واستقر^(٥) ابن الريني ، وصرف القفصي عن قضاء حلب ونقل إلى قضاء المالكية بدمشق عوضاً عن البرهان التادلي^(٦) .

وفي خامس عشر ربيع الآخر ادعى شخص على شهاب الدين العبادي في مجلس السلطان ، فحصلت منه إساءة في مجلسه فأمر بضربه فشنع فيه فحبس في خزانة شمانل إلى ثاني يوم من رجب فأطلق .

(١) هو ناصر الدين محمد بن الحسن ويعرف بابن الفاقوسي - وهو لقب لبعض أربانه - ، وقد ولد سنة ٧٦٣ بالقاهرة ، وأكثر من السماع بمصر والشام ، أما توقيع الدست فقد وليه وهو صغير ، وهذا وقد أشار السخاوي في الضوء اللامع ٥٥٣/٧ إلى أنه ذكر أيام بروق للكتابة وأصبح شيخ الموقعين مدة حتى عزله البدر محمود الكلستاني صاحب ديوان الإنشاء ، وكان السبب في هذا أن ابن الفاقوسي أراد تغيير المصطلح على طريقة أهل البلاغة فكره ذلك منه الكلستاني وراح يشنع عليه وأخرجه من التوقيع ؛ وهذا وقد كانت وفاته سنة ٨٤١ ، انظر أيضا النجوم الزاهرة ٨٥٢/٦ وإن سته - كما بالمتن - بالفاقوسي فقط .

(٢) انظر ابن طولون : قضاة دمشق ، ص ١٢٥ .

(٣) هو أبو بكر بن محمد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الدماميني .

(٤) في السلوك ، ٢٦٢ « الإسكندرية » ، هذا وقد كان عزله عن قضاء حلب لسوء سيرته .

(٥) كان استقرار ابن الريني مكان ابن الدماميني بسمي سعد الدين إبراهيم بن غراب .

(٦) وصفه ابن طولون في قضاة دمشق ، ص ٢٥٠ بالجرأة والمهابة ، وذكر أن وفاته كانت بعد أن حضر الوقعة مع النكية ، وهو نفس مقاله ابن حجر في كتابه الإنباء وعنه نقل السخاوي في الضوء اللامع ج ١ ص ١٥٥ ، ومن ثم خلا الضوء من تحديد سنة موته ، على أنه ورد في جدول القضاة المالكية في كتاب ابن طولون : قضاة دمشق ، ص ٢٥٠ آخر ، طر من قوله : مات سنة ٨٢ ، وهو خطأ يصححه ما جاء في المرجح ذاته من الإشارة إلى أنه عاش أكثر من سبعين سنة وأن براده كان سنة ٧٣٢ ، والواقع أن وفاته كانت سنة ٨٠٣ ، انظر أيضا شذرات الذهب ٢٢/٧ .

وفي ليلة الجمعة ثامن شعبان عزم سعدُ الدين بنُ غرابِ عليّ علاء الدين ابن الطبلاوى^(١) لحضور ختم في منزله بسبب مولودٍ وُلِدَ له ، فحضر هو وابن عمه ناصر^(٢) الدين [محمد بن محمد بن الطبلاوى] وجماعةٌ من الأعيان ، فأرسل ابنُ غرابِ بهاء الدين نقيبَ الجيش فأَمَسَكَ ناصر الدين [محمد بن محمد بن الطبلاوى] الوالى - وهو أخو علاء الدين - وابن عمه الخطيبَ وقريبهم ابن قَرْلَهَا وجماعة من - نواشيهم فقبض على الجميع ، وفي أثناء ذلك حضر يعقوب شاه الخزندار إلى بيت ابن غراب فوجدهم قد أكلوا السماط فقبض على علاء الدين الصفدى وهرب علاء الدين الحجازى ثم قبض عليه ، فلما كان يوم السبت اجتمع جمعٌ كبير من العوام فطلعوا بالختام والصناجق وسألوا السلطان في إطلاق ابن الطبلاوى ليلبغا المجنون فاستخلص منه أموالا جمعة ، منها في يوم واحد مائة وخمسون ألف دينار ، وأخرجت ذخائره على النحو الذى كان هو يُدَبِّرُه في أمر محمود سواء ، وقرَّر على كل واحد من مال المصادرة ما يناسبه .

ثم لما كان سادس عشر شعبان سأل الحضور بين يدي السلطان فأحضر فسأل أن يشافه السلطان بكلامٍ سِرِّ ، فقربه فسأل أن يكون الكلام في أذنه فتخيل وأمر بإخراجه فلما أخرج ضرب نفسه بسكين كانت معه ضربتين ليقتل نفسه فكانتا سالتين ، فأعلم السلطان بذلك فخشى أن يكون أراد أن يضربه فغضب وأمر الأستاذار أن يعاقبه بعد أن حلفه أنه لم يبق عنده شئ من المال ، فاعترف - لما عُصِر - بذخيرة عنده فأخذت . وعُزِل أخوه من الولاية واستقر [مكانه] بهاء الدين بن رسلان وصودر أخوه^(٣) على مائتي ألف درهم وبقيَّة الحواشي على ثلاثمائة ألف درهم .

وفي شعبان صُرف البَجَانسى عن الحسبة وأعيد بهاء الدين بن البرجى .

(١) في الأصل « الصفدى » وهو زلة قلم .

(٢) وكان يعرف بابن ستيت .

(٣) المقصود بذلك ناصر الدين محمد ، وليس أخا ابن رسلان .

وفيها حُطِبَ للسلطان الملك الظاهر بماردين ووصل بذلك منكل^(١) بغا الدوادار في أوائل السنة الآتية ومعه دراهم عليها اسم السلطان .

وأوفى^(٢) النيل عاشر مسرى .

وفيها حضر رسول الظاهر عيسى صاحب ماردين يعتذر^(٣) عما جرى منه ويشكو من أسر تملنك له ويسأل أن يستمر على طاعته ، فأرسل إليه تقليدا وثلاثين ألف دينار هدية . وفيها استولى المذكور على الموصل وسنجار .

وفيها في رمضان وصل قَطْلُوبَغَا الخليلي من بلاد المغرب وصحبته الخيول التي كان توجهَ لشترها للسلطان وهي مائة وعشرون فرساً ، وحضر صحبته رسول صاحب فاس ورسول صاحب تلمسان ورسول صاحب تونس والأمير يوسف بن علي أمير عرب تلك البلاد ، وقدموا هداياهم فقبلت وخلع عليهم وتوجهوا إلى الحج .

وفي رمضان طرقت اللنك بغداد فحاصرها فلم ينالوا منها غرضاً فرجعوا عنها إلى همدان ، وفرحوا بذلك .

(١) يرد في هذه الفترة بالذات إثنان يدعى كل منهما « منكل بغا » أحدهما العلاء الصالحى الظاهري برقوق ويعرف بالعجمي ، والثانيهما : منكل بغا قراجا الظاهري برقوق . أما الأول فقد أصبح من جملة دوادارية السلطان بفضل الناصر فرج بن برقوق ، كما أرسله رسولا إلى تيمورلنك سنة ٨٠٥ ومات سنة ٨٣٦ ، ولم نجد في ترجمته بالضوء اللامع ٧٣١/١٠ ولا في إنباء النعم ، ترجمة رقم ٢٠ من وفيات سنة ٨٣٦ ولا في المنهل الصافي ، ولا في Wiet : op. cit No. 2543 ما يشير إلى ما جاء في المتن أعلاه ، وإن انفرد المرجحان الأخيران بأنه كان في السفارة المصرية إلى تيمورلنك ، على أنه ورد في ترجمته بالنجوم الزاهرة ٦/ ٨٢٤ ما يفيد أنه كان أحد الدوادارية الصغار في أيام أستاذه الملك الظاهر برقوق . أما منكل بغا قراجا فلا يعرف عنه سوى أنه كان أحد الطيلخانات بالديار المصرية ، والأرجح أن أولها هو المقصود في المتن ، وربما كان برقوق أرسله لمعرفة العربية والتركية والفارسية .

(٢) كان ذلك يوم السبت ١٩ ذى القعدة ويوافق الثالث من أغسطس سنة ١٣٩٨ ؛ هذا وقد بلغت غاية فيضان النيل بمقياس الروضة ١٩ ذراعاً و ٧ قراريط ، انظر التوقيعات الإلهامية ص ٤٠٠ ، وتقويم النيل ١٩٩٠ .

(٣) كان الظاهر عيسى صاحب ماردين قد كتب إلى السلطان برقوق يعتذر عما بدر منه من طاعته لتيمورلنك ، ويرجع السبب في ذلك إلى أنه أقام عنده سنين في الأسر في قيد زنته خمسة وعشرون رطلا من الحديد مما حمله على أن يحلف له بالطلاق على الطاعة إن هو طلق سراحه .

وفي خامس عشر شوال طاهر السلطان أولاده^(١) وهم : فرج وعبد العزيز وجماعة من أولاد الأمراء وعمل لهم وليمة عظيمة .

وفيهما استقر محيي الدين بن نجم الدين بن الكشك في قضاء الحنفية عوضاً عن تقي الدين الكفري .

وفي شوال كان الحريق بدمشق بالحريريين والقواسين والسيوفيين والصراف وبعض النحاسين، ووصلت النار إلى حائط الجامع وإلى قرب النورية^(٢) ، واحترقت الجوزية^(٣) وحمام^(٤) نور الدين وزقاق العميان^(٥) ، واحترق بيت القاضي شمس الدين الإخنائي ، ووصل الحريق إلى نصف الخضراء ، وأقام من يوم السبت العشرين من شوال إلى يوم الثلاثاء ثالث عشرينه ولكن لم يعد للناس إلا القليل^(٦) .

(١) الصحيح هنا أن يقول « ولديه » وهما فرج وعبد العزيز ، وذلك كما جاء في نجوم الزاهرة (ط . مصر) ٨٠/١٢ . هذا وقد ورد في هذا المرجع أن الليفة كانت للنساء فقط ولم تعمل للرجال وذلك « مخافة على الأمراء من الكلف » . أما أولاد الأمراء فقد نص على أنهم « الأمراء المقتولون » كالأمر منطاش ، انظر أيضاً السلوك ، ٢٦٣ ب .

(٢) هي من دور الحديث الشريف بدمشق ، أسسها الشهيد نور الدين محمود بن زنكي ، انظر النعمي : الدارس في تاريخ المدارس ٩٩/١ وما بعدها ، وجاء في الروضتين ٢٣/١ أنه وقف عليها وعلى من بها من المشتغلين بعلم الحديث وقوفاً كثيرة .

(٣) هي من مدارس الحنابلة بدمشق ، وكانت بسوق القصب وتنسب إلى منشأ محيي الدين بن الشيخ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (٥٨٠ - ٦٥٦ هـ) ، وكان أستاذ دار المستصم بالله ، هذا وقد ذكر ناشر الدارس ٢٩/٢ حاشية رقم ١ أن هذه المدرسة تقع في سوق البزورية ، وقد حرقته ودرست وأصبح مكانها مخازن ومصل بسيط ، كما أنه نقل عن مخطوط المنجد رقم ٦٩ أنه كان على عتبة بابها كتابة تدل على أنه وقف عليها خراج قرية غزارا وبعض خراج دير ابن صرون ومزرتين بأرض المليحة .

(٤) أنظر الإشارة إليه في الدارس في تاريخ المدارس ١٢٣/١ س ٤ ، ٣٢٢/٢ ، هذا وقد ورد في حاشية رقم ٢ هذه الصفحة أنه يعرف اليوم بجامع البزورية ، وهو اليوم مصبنة بدمشق .

(٥) لم يرد في النعمي : الدارس « زقاق العميان » ولكن ورد « درب العميان » مضافاً إلى التعريف بمسجد يعرف بمسجد درب العميان ، على أنه ورد في عقد الجمان ٣٨/٢٥ س ٨ - ٩ أنه واقع خلف الجوزية .

(٦) إكتفى السلوك ، ورقة ٢٦٣ ب ، بالإشارة إلى ضخامة هذا الحريق وأنه « أثلت معظم أسواق المدينة وتشعث منه مدار الجامع القبلي » ، أما عقد الجمان ، ٣٨/٢٥ فذكر أن هذا الحريق كان في مكان يعرف بالجوزيرة (تصغير جارة) فاحترقت أسواق القواسين والنشاشيين والسيوفيين والعتبرانيين والصاعتين والحيوطيين وبعض النحاسين ، ووصلت النار إلى حائط الجامع القبلي ، ووصلت إلى قرى النورية ، واحترقت الجوزية وسوق النقلين ونصف الإبرارين وحمام نور الدين وزقاق العميان وبيت شمس الدين الإخنائي ووصل الحريق إلى نصف الخضراء .

وفي أوائل ذى القعدة استقر ابن غراب في نظر الجيش مضافاً لنظر الخاص، انتزعها من القاضي شرف الدين محمد بن محمد بن عبد الله بن أبي بكر بن الدماميني وكان باسرها بعد جمال الدين العجمي ، ولما أخذت دواته والمزررة بلغ ذلك شعبان محتسب مصر فأظهر الشماتة ونادى في مصر بولاية ابن غراب وعزل ابن الدماميني ، وعمل في ذلك شعراً مدح به ابن غراب وهجا ابن الدماميني وصيحه به ابن غراب ، فاتفق أنه في ذلك اليوم استقر الشاذلي في الحسبة وصرف شعبان .

وفي وسط هذا الشهر وقع الحريق بدار التفاح بالقاهرة فبادروا لإطفائه فلم يحصل منه من المفسدة ما حصل في المرة الأولى قدما .

وفي ثاني عشر ذى القعدة كان المهم المشهور في إصطبل السلطان لأنه كان لعب بالأكرة مع الأمير الأتابك أَيْتَمَشُ [البجاسي] فغلب أَيْتَمَشُ فأخرج مائتي ألف درهم [فضة] ليعمل بها السباط وأنعم بها السلطان عليه ، وأمر الوزير ابن الطوخي والأستادار يلبغا بعمل المهم فضربوا الخيم بالميدان ، وعملوا عشرين ألف رطل لحم ومائتي زوج أوز وألف طير ودجاج وعشرين فرساً - وقيل بل كانت ثلاثين ، وخمسين قنطاراً من السكر ، وسبعين إردبا من الدقيق وعمل بها «بوزة» ، وعملت في الدنان وقيل : كان فيها مائة إردب ، وأضيف إليها عشرة قناطير حشيش فطُجِحَتْ (١) وخلطت بها ، وعُمل من الزبيب ستون قنطاراً نبيذاً ، ونزل السلطان فمد السباط ونهب العوام ما عمل ، وصاح فقير تحت القلعة بإنكار هذه الوليمة ، فقبض الشريف شرف الدين علي ابن قاضي العسكر في نقابة الأشراف عوضاً عن الشريف جمال الدين الطباطبي .

* * *

وفي ذى القعدة كانت الفتنة من عليّ باي الخزندار فانكسر وقُتل ، وكان ابتداء ذلك أن المذكور كان من أحسن أبناء جنسه شكلا وقامة ، فقدّمه الملك الظاهر إلى أن جعله مقدّم ألف وقدمه في أكثر الأمور على غيره ، وكان لعليّ باي مملوك^(١) من أحبّ الناس إليه ، فاتفق أن بعض الأمراء - وهو أقباي [الطرنطائي] ، وجده عند بعض حظاياها فقبض عليه وضربه ضربا مبرحا وأطلقه ، فشكاه لسيده ، فشكاه سيده إلى السلطان فاعتذر آقباي عما صدر منه لما لحقه من الغيرة فلم يؤاخذه السلطان ، فأضمرها على باي في نفسه وعزم على إثارة الفتنة ، فتضاعف أمره ، ثم اتفق مع جمع غير كبير على أن السلطان إذا عادته فتك به فلم يتفق أن السلطان يعود حتى أوفى النيل فنزل للكسر على العادة ، وأشاع أنه إذا رجع عادته - وكان ساكنا عند الكيش^(٢) - فلما رجع السلطان بعد الكسر - وكان ذلك في تاسع عشر ذى القعدة - وركب تلقاه شخص من ممالكك يلبغا يسمى سؤدون الأعور - كان رفيقه في خدمة يلبغا - فأطلعه على باطن عليّ باي ، [وأرسل^(٣) السلطان إلى عليّ باي : أرسطاي] فأعلمهم أن السلطان على عزم المجيء إليهم فاطمأنوا بذلك ، فمنع السلطان الشاويشية^(٤) من النطق ، فلما قرب من الكيش نادته امرأة من فوق دار : « لاتدخل فإنهم بلبوس الحرب » ، فجازهم السلطان إلى جهة القلعة ، فلما تحققوا أنه توجه عنهم أعلموا كبيرهم عليّ باي فتغيّظ على الذي أقامه في الباب لإعلامه هروب السلطان

(١) واسمه « نكباي » وكان شاد الشر بخاناه لعل باي .

(٢) الكيش وتسمى بمناظر الكيش وهي مجاورة للجامع الطولوني ، أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل ، وكانت من أجل وأحسن أماكن التزهة بمصر كما كانت سكنا لبعض الخلفاء وكثير من كبار أصحاب النفوذ من الممالك ، ولكنها خربت زمن الأشرف شعبان بن حسين ، انظر في ذلك المخطوط ١٣٣/٢ - ١٣٤ ، وأشار المرحوم محمد رمزي في تعليقه على النجوم الزاهرة ٨٢/١٢ أنها اليوم في المنطقة التي تشرف من بحرهما على شارع مراسينا ، ومن غربها على خط البغالة بقسم السيدة زينب بالقاهرة .

(٣) أضيف ما بين الحاصرتين ليستقيم المعنى ويتفق مع مجريات الأحداث .

(٤) الشاوش ، كلمة تركية الأصل « جاوش » ، وذكر دوزي في قاموسه Vol. I, p. 169 أنها كانت تنطق في العصر المملوك « جاويش » وجمعها « جاويشية » ، وهي مشتقة من الكلمة التركية « جاوش » ويمتاز الجاويشية بشجاعتهم وقال إنهم يفتنون أمام السلطان وأشار إلى مراجعة كتاب Quatremère : Hist. des Sultans des Mamlouks, t. I, pt. 1, p. 136.

وضربه بطبر^(١) فقطع رأسه ، وتبع ممالك السلطان فقتل بَيْسَقُ الخاصكى - وكان يُعرف بالمصارع - فاجتمع عليه عدة من الممالك فقطعوه بالسيوف ، وركب على باى وساق خلف السلطان فأسرع ففاته ودخل من باب الإصطبل وطلع القلعة وألبس من معه آلة الحرب وأغلق الإصطبل ، فوصل على باى الرميعة فتلقاه بعض حاشية السلطان فقاتلوه حتى انكسر ، وبلغ من بصر من الناس هذه الفتنة فوقع لهم خوف على أنفسهم ، فاستخفى أكثرهم وأغلقت الدكاكين وتفرق ذلك الشمل كله .

ومن جملة من كان في المراكب يلبغا [الأحمدي المجنون] الأستاذار والوزير ، فبادر يلبغا بلبس آلة الحرب وتوجه إلى القلعة ، فلما رآه المالك كلموه وأرادوا ذبحه فصاح وصرح بأنه جاء نجدة للسلطان وأنه في الطاعة ، فصدّهم السلطان عنه وأمرهم باعتقاله^(٢) ، ثم قبضوا على المملوك الذى كان رأس الفتنة فأمرهم السلطان بقتله .

ولما هرب على باى هدم العوام داره ونهبوا ما فيها حتى رخامها وأخشابها ، ثم سمعوا باعتقال يلبغا الأستاذار فصنعوا بها مثل ذلك .

ثم أمر السلطان بالتفتيش على على باى وهدد من وجده عنده ، فأحضره من مستوقد حمام ، فأحضره السلطان وسأله عن من كان معه على رأيه فلم يقر على أحد ، فسأله عن يلبغا الأستاذار فبرأه وحلف على ذلك ، فأمر بإطلاقه ثم خلع عليه واستمر في وظيفته ونزل إلى داره ، وهى عند جامع الإسماعيلي فوجدها خرابا ووجد فيها ناسا فقتلهم ، وانتقل فسكن داخل القاهرة بجانب الكافورى .

(١) الطبر - على وزن بلد - كلمة فارسية معناها الفأس ، وكان يحمله أمام السلطان في خروجه أمير يعرف بأمير طبر ، ومعه جماعة من أولاد الجنيد يعرفون بالطبر دارية وعددهم في المواكب عشرة يسرون على يمين السلطان وشماله ، ومهمتهم حراسة السلطان كما جاء في

G. Demombynes: La Syrie à l'Époque des Mamlouks, Introd., p. XCVII

أما أمير طبر فيأت في المرتبة بعد السلاحدار ، ولم يجد الثلقشندى : صبح الأعشى ٣٦٢/٥ مكانته وإن قيل إنه أمير عشرة ، انظر أيضا ، Dozy: Supp. Dict. Ar., I, p. 20

(٢) كان اعتقالهم إياه في الزردخاناه السلطانية مقيدا .

ثم قرّر السلطان على باى بالضرب والتسعيط وعصره في رجليه إلى أن كسرهما، وضربه على ركبته إلى أن تفشختا، ثم ضربه بدبوس^(١) كان بيده في صدره فخسفه ولم يقرّ مع ذلك على أحد، فأمر بإنزاله بعد المغرب إلى الاصطبل ثم أمر رسطاي بقتله، وأمر السلطان بنزع آلة الحرب واطمأن، ثم شكى يلبغا الأستادار إلى السلطان ما صنع العوام بمنزله^(٢) فشاع بينهم أن السلطان أمره بالركوب عليهم فخافوا وأصبحوا في رابع عشرى ذى القعدة وقد أغلقوا الدكاكين، فبلغ السلطان فأمر النداء لهم بالأمان والطمأنينة فسكتوا.

فلما كان الحادى والعشرون من ذى القعدة حضر السلطان الموكب ودخل بعد الخدمة إلى الحريم، فهجم عليه بعض المماليك ودخلوا من باب السر بخيولهم وكسروه حتى وصلوا إليه فاستغاثوا، فحصلت له رجفة وشاع ذلك في الناس، فخرج السلطان لابساً السلاح ودخل القصر وكشف عن سبب ذلك، وأرسل إلى قبة النصر فلم يجدوا أحداً فصرف الناس، وباتوا وأكثر الناس في وجل. وجاءت الأمراء وغيرهم لابسين آلة الحرب، فلما كان في يوم الخميس رابع عشرى ذى القعدة أنفق على المماليك لكل واحد ستمائة، فسخطوها، فحضر إليهم بنفسه وترضاهم وبكى فأبكاهم، فرضوا وقبضوا النفقة وسكنت الفتنة؛ ويقال إن يلبغا المجنون تولى إنفاق ذلك من حاصله، وأحضر إلى السلطان بعد ذلك مائة ألف وثمانين ألف دينار، وقال: « هذا آخر ما كان عندى »، وذكر أن بيته لما نُهب رمى خزنداره الذهب المذكور في الخلاء فسلم.

* * *

وفيهما رجع العسكر الشامى من سيواس وكانوا جردوا في العام الماضى لما بلغهم أن ابن اللنك قصد البلاد فلما تحققوا رجوعه أمر برجعهم.

(١) الدبوس عصا ذات رأس حديدية مدببة، انظر. Dozy: op., cit. I, p. 423.

(٢) كان منزله يقع على بركة الناصرى، انظر ما سبق، ص ١٧ و ١٦.

وفيها استقر رسطاي في مقدمة عليّ باى وفي وظيفته وهي رأس نوبة الكبير .
 وفي سادس عشرى ذى القعدة قبض على يلبغا الأستادار ونُقِيَ إلى دمياط بطالاً .
 واستقر ناصر الدين بن سنقر في وظيفة الأستادارية الكبرى .
 وفي رابع ذى الحجة سُمر من أتباع عليّ باى أربعة^(١) أنفس وطيف بهم .
 وفيها قُتل سولى بن ذلغادر التركمانى وهو سكران ، وبرهان الدين أحمد القاضى
 صاحب سيواس في المعركة .

وفيها قبض على الشيخ الصفوى واعتقل بقلعة المرقب بسبب أنه كان بطالاً بالقدس
 فكان يتعرض لحريم الناس وأولادهم بالإكراه ، فشكوا منه فأمر بنفيه واعتقاله ، وكان شيخ
 هذا من أجمل أهل عصره وأقربهم من السلطان منزلة ، ثم تغير عليه فنفاه .
 وفيها نُقل بكلمش من حبس الإسكندرية إلى القدس بطالاً .

وفيها استولى قرا يوسف على الموصل لما رجع من الشام بعد رحيل عسكر تمرلنك
 عن سنجار . وأقام ولد تمر تبريز ثم طلب بغداد ، فبلغ ذلك أحمد بن أويس فجمع العساكر ،
 فلما قرب منه «مرزاه» أظهر الهزيمة وأكمن عسكره ففطن منهم مرزاه فتوجهوا ، ثم رأى
 الجفطاي الغلبة فأوقدوا النيران ليلاً وانهمزوا فهلك أكثرهم عطشاً وجوعاً ، فأدركهم أحمد
 وعسكره وهم بأخر رمق ، فوضعوا فيهم السيف فنجا مرزاه ومعه نحو من ثلاثمائة نفس
 خاصةً ناجيا بنفسه إلى تبريز ورجع أحمد منصوراً ، ورحل مرزاه إلى تبريز ففتك في أهلها
 وقتل من جملةهم الدوسكى صاحب بدليس .

* * *

(١) م : رأس نوبته وخازن داره ووزاداره وأبى آخوره ، انظر عقد الجمان ٤١/٢٥ .

وفيهما مات أبو عامر عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المربني صاحب فاس وبلاد المغرب في جمادى الآخرة ، ومثلك بعده أخوه أبو سعيد عثمان ودبر أمره الشيخ أحمد بن علي القاضي كما كان مدبراً أمر أخيه من قبله .

وفي أواخر ذى الحجة ضعف السلطان ضعفا شديدا حتى إنه ماضى العيد بالجامع ، واستمر به الإسهال إلى ثالث عشرى ذى الحجة ، وكثر الإرجاف بموته مراراً ، فأكثر من التصدق عنه وأكثر من ذلك جدا حتى قيل إن جملة ما تصدق به : مائتا ألف وخمسون ألف مثقال من الذهب ، ومن الفضة والفلوس والغلال والقماش نحو ذلك .

وفي سابع عشرى ذى الحجة عوفي قليلاً فنودي بالزينة .

وحضر ذلك اليوم المبشر من الحجاز بأخبار الحجاج .

وفي السابع والعشرين من ذى الحجة كانت العرب^(١) أفسدت بالشرقية فقَبَضَ الكاشف على جماعة منهم ، فأمر السلطان بتوسيطهم ففعل بهم ذلك ، وزفوا من القاهرة إلى بلبس ، وكانوا أكثر من مائتي نفس .

وفي الثالث من ذى الحجة أمر السلطان بعرض ممالكك على باى وكانوا سبعين ، فأطلق بعضهم ورد بعضهم على تجارهم الذين اشتراهم منهم على باى ، وأمر بضرب الخواص منهم بالعصى^(٢) تقريراً ليخبروه بجلية الأمر ، وسمر منهم أربعة ووسطوا ، وفرق الكتابية الصغار على الأمراء .

(١) نص السلوك ، ورقة ٢٦٦ ب على أنهم من عرب بنى وائل ، انظر الإشارة إليهم في الفلقشدى : نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، ص ٤٤٦ ، كما أن نفس المؤلف أشار في كتابه الآخر : تلائد الجان في التعريف بقبائل عرب الزمان ص ٦٣ ، إلى بنى سعد ، وذكر - نقلاً عن الحمداني - أن ديارهم من ضواحي القاهرة إلى أطراف الشرقية ثم قال : « ولم تزل بينهم وبين بنى وائل العداوة والشحناء والوقائع التي يقتل فيها الجم الفقير من الفريقين ، والأمر على ذلك إلى الآن » ، مما يدل دلالة صريحة على أن بنى وائل كانوا في الشرقية أيضا .

(٢) في ٥٥ بالقصر .

وفي أول يوم من ذى الحجة قُرر الأستادار كاشفاً على الوجه البحرى فجاء إلى الدويدار الكبير ليقبّل يده على العادة فأنكر ذلك وأمر بنزع خلعتة وضربيه ، فبلغ ذلك الأستادار فشكى للسلطان ، فغضب السلطان وأمر بإحضار دويدار الدويدار - وهو أزدُمّر - فضرب بحضرته وأمره بلزوم بيته .

فلما كان في الثامن من ذى الحجة العصر خلع عليه وأعيد .

* * *

وفي يوم الخميس - أول يوم من شهر ربيع الأول - عُمل المولد السلطاني وحضر المشايخ والقضاة على العادة ، وجلس شيخنا البلقيني رأس اليمين ، وإلى جانبه الشيخ برهان الدين ابن زقاعة وإلى جنبه القاضي جلال الدين ابن شيخنا ، وجلس رأس اليسرة أبو عبد الله الكركي ، ودونه القاضي الشافعي وبقية القضاة .

وفي جمادى الأولى انتزع السلطان الإسكندرية من ابن الطبلاوى وأعيدت لناظر الخاص ، واستقر أخوه فخر الدين ماجد بن غراب في نظر الإسكندرية مع مشاوره يشبك الخزندار بسؤال ناظر الخاص في ذلك .

وأرسل أمير فرج إلى الثغر للكشف على ابن الطبلاوى وبالكشف على تاج الدين قاضي الإسكندرية ثم رسم بإحضاره ، فلما قدم بين يدي السلطان وقف الشكاة فيه وبالغوا ، فأمر بضربيه فضرب يوم الجمعة سادس عشر رجب بالمصي بعد العصر ورسم عليه .

وفي ربيع الآخرة وقع الفناء بالباردة والحمى بالشرقية والغربية حتى كانوا لا يلحقون دفن الموتى فيجعل كل عشرين في حفرة ، ومنهم من يحمل الموتى إلى البحر فيلقينهم^(١) فيه ودام ذلك نحو ثلاثة أشهر ، ثم هبت ريح شديدة بالقاهرة حتى اتفق الشيوخ العتق أنهم

(١) راجع حسن حبشي : الاحتكار الملوك ، حواريات كلية الآداب - جامعة عين شمس ١٩٥٨ .

لم يسمعوا بمنزلها ، وقالوا إنها ريح برقة لأنها كست^(١) الأرض تراباً أصفر يشبه تراب برقة .
وفيها وقع بين نَعِير - أمير العرب من آل فضل - وبين ابن عمه سليمان بن عنقاء بن
مهنا بقرب الرحبة ، فكانت أولاً على نَعِير ، ثم انقلبت على ابن عمه فقتل من أتباعه من
لأبْحَصَى ، ونهب كل شيء وُجد لهم .

ذكر من مات في سنة ثمانى مائة من الاعيان

١ - إبراهيم بن أحمد بن عبد الهادى بن عبد الحميد بن عبد الهادى بن يوسف
ابن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسى^(٢) ، حضر في الرابعة على الحجارة ، وسمع من ابن
الرضي وغيره ، وأجاز له جماعة من المصريين كالوانى والختنى ، وأجاز لى غير مرة .

٢ - إبراهيم بن أحمد بن عبد الواحد بن عبد المؤمن بن سعيد بن علوان بن كامل
التنوخى البعلبى ثم الشامى نزيل القاهرة ، برهان الدين شيخ الإقراء ومسند القاهرة ، وُلد
سنة تسع أو عشر وسبعمائة ، وأجاز له إسماعيل بن مكتوم وأبو بكر بن أحمد بن عبد الدائم
وعيسى بن عبد الرحمن المطعم ، وأبو نصر الشيرازى والقاسم بن عساكر ومحمد بن
مشرف وست الفقهاء بنت الواسطى وزينب بنت شُكر وجمْع كبير يزيدون على الثلاثمائة ،
ثم طلب الحديث بنفسه فسمع الكثير من أبى العباس الحجارة وعبد الله بن الحسين بن
أبى التائب ، والحافظين : البرزالى والمزى والبندنيجى وخلق كثير يزيدون على المائتين .

وعنى بالقراءات فأخذ عن البرهان الجعبرى وابن نصحان والبرقى^(٣) ، ثم رحل فأخذ
عن ابن أبى حيان وابن السراج وأبى العباس المرداوى ، ومهر فى القراءات وكتب هؤلاء
له خطوطهم بها .

وتفقّه على البارزى بحمارة وابن النقيب بدمشق وابن القماح بالقاهرة وغيرهم ، وأذنوا
له وأفاد وحَدِّث قديماً .

(١) فى س « ألفت تراباً أصفر أشبه تراب برقة » .

(٢) فى ل « القرشى » .

(٣) فى ز « الرقى » .

سمع منه شيخه الحافظ^(١) الذهبي بعد الأربعين ، رأيت ذلك بخط القاضي برهان الدين ابن جماعة ، وكان شيخنا أخبرني بذلك فكنت أتعجب منه حتى رأيت الطبقة ثم وجدته حدث عنه في ترجمة أبي العباس المرداوي في « سير النبلاء » ، فقال : « أخبرني إبراهيم بن علوان » ، فنسبه^(٢) إلى جده الأعلى فذكر عنه قصة ، وذكر لي شيخنا قصة الذهبي مع ابن نصحان وأنه كان بينهما في ذلك ، ثم رأيت الجزري نقلها في معجمه عن شيخنا ، وتفرّد بكثير من مسموعاته .

قرأت عليه الكثير ولازمته طويلاً ، وصار سهل الانقياد للسمع بما لزمته له بعد أن كان عسيراً جداً ، فإنني خرّجت له عشاريات مائة ، ثم خرّجت له « المعجم الكبير » في أربعة وعشرين جزءاً ، فصار يذكر به مشايخه وعهده القديم فانبسط للسمع وحبب إليه ، فأخذ عنه أهل البلد والرحالة فأكثروا عنه ، وكان قد أضرّ بأخرة ، وحصل له خلطٌ ثقل منه لسانه فصار كلامه قد يخفى بعضه بعد أن كان لسانه - كما يقال - كالبرد .

مات فجأة من غير علة في جمادى الأولى .

٣ - إبراهيم بن محمد بن محمد بن علي بن همام محب الدين ، ابن تقي الدين المعروف بابن الإمام ، سمع علي أبيه^(٣) ، وكان يتعاني التجارة ويكثر الحج ، وكان إمام جامع الصالح ، مات في صفر وقد بلغ السبعين .

٤ - أحمد بن عبد الله الحرّضي الفقيه ، كان بواسط^(٤) باليمن بين المهجم وأبيات حسين وله كرامات وأتباع . مات في ذي الحجة .

٥ - أحمد بن عبد الوهاب بن عبد الرحيم شهاب الدين بن الحجاب^(٥) ، ولد في رجب

(١) في ل « شيخنا » .

(٢) العبارة من هنا حتى عبارة « في معجمه عن شيخنا » س ٥ ، غير واردة في ظ .

(٣) كان موته سنة ٥٧١٥ هـ ، راجع الدرر الكامنة / ٤٤١٣ .

(٤) واسط باليمن بسواحل زبير ، أما المهجم فبلد وولاية من أعمال زيد بينهما ثلاثة أيام ، راجع مراد الاطلاع

١٣٣٧/٣ ، ١٤٢١ .

(٥) في ز ، ل « الحجاب » ، وتتفق رواية المتن مع ما ذكره ابن حجر في ترجمته التي أوردها له في الدرر الكامنة

سنة سبع وثلاثين وسبعمائة [بدمشق] ، وتفقه قليلاً وتصدى للتدريس ، وكان يحج ويفزو ولأهل صيداء فيه اعتقاد كبير .

وكان قد صحب التاج السبكي فنوّه به ، وصحب القونوي فكان يرسله في المضلات والشفاعات ، وكان فيه إحسانٌ وفروسيّةٌ ومروءة ، وقد حجّ كثيراً وصار ينهى عن المنكر في الطريق ويعلم الناس أمور حجهم ودينهم . ومات في رابع ذى القعدة وهو متوجّه إلى الحج .

٦ - أحمد بن قايماز المصرى ، شهاب الدين الأستاذار . مات في ربيع الأول .

٧ - أحمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد الدمشقي ، تاج الدين بن القاضي فتح الدين ابن أبي بكر بن أبي الكرم بن الشهيد ، تفقه على مذهب الشافعي وشارك في الفنون وفي النظم والنثر ، وولى نظر الأسوار^(١) وغير ذلك ، وباشر قضاء العسكر ودرّس في أماكن ، وكان محبوباً إلى الناس . مات في ذى القعدة .

٨ - أحمد^(٢) بن محمد بن عثمان صني الدين الدميري^(٣) ، موقع الحكم ومباشر شهادة ديوان بكلمش ، وكانت له وجاهة . تقدم ذكر قتله في آخر السنة .

٩ - أحمد بن محمد بن موسى الدمشقي ، شهاب الدين الشوبكي نزيل مكة ، كان عارفاً بالفقه والعربية مع الدين والورع ، وأتقن القراءات وجاور بمكة نحو عشر سنين فقررعوا عليه ، ومات بها في ربيع الأول وهو^(٤) في عشر الستين ، وكانت جنازته حافلة جداً .

(١) هكذا في جميع النسخ ، وقد خلت الدرر الكامنة ١/٦١٩ من ذلك إلا قولها « ولي بعض الأنظار بدمشق » .

(٢) وردت هذه الترجمة في ظ على الصورة التالية « صني الدين الدميري الموقع ، اسمه أحمد بن محمد بن عثمان موقع بكلمش . مات تحبب المقربة الشديدة بعد أستاذه » .

(٣) نسبة إلى ديرة (بالفتح ثم الكسر) قرية كبيرة قرب دماط ، راجع مراصد الاطلاع ٢/٣٦٦ لكن راجع القاموس الجغرافي ، في ٢ ج ٢ ص ٨٩ .

(٤) راجع الدرر الكامنة (طبعة المهد) ١/٧٧١ حاشية رقم ٤ .

- ١٠ - أحمد بن محمد البكتمرى الميقاتى رئيس المؤذنين . مات فى جمادى الأولى .
- ١١ - تانى^(١) بك البىحاوى الظاهرى ، تقدم عند الملك الظاهر إلى أن استقر أمير آخور ، وكان توجهه هو وقلمطأى الدويدار إلى الصيد^(٢) فرجعا ضعيفين فمات هذا فى ربيع الأول ومشى السلطان فى جنازته من^(٣) الإصطبل إلى المصلى وركب إلى أن حضر دفنه وبكى عليه حتى قبيل إنه لم يبك على أحد مثل ذلك .
- ١٢ - الحسن بن على بن سرور^(٤) بن سليمان بن بدر الرشاوى ابن خطيب المدينة ، هنى بالعلم مع الفهم الجيد ومات فى رمضان عن أربع وستين سنة .
- قال ابن حجبى : « اشتغل وحصل ويذكر فى النبهاء من بعد الخمسين ، وقُرّر فى عدّة وظائف ثم تركها وأقبل على العبادة والمواظبة على الأوراد الشاقة ، ولم يغيّر زى الفقهاء » . وكان شكلا حسنا نير الوجه منبسطا ، ولا يكون فى الخلوة إلا مصليا أو تاليا أو ذاكرا أو مطالعا فى كتاب ، وكان يبدى مسائل ومشكلات ويحسن الجواب . قال ابن حجبى : « لم يكن فى عصره من الفقهاء أعبد منه » . وكان أخوه القاضى شرف الدين قد كفاه هم الدنيا . مات فى سلخ رمضان .
- ١٣ - زينب بنت عثمان بن محمد بن لؤلؤ الدمشقية سمعت الحجار ولى منها إجازة .
- ١٤ - عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن على بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المرينى صاحب فاس وبلاد المغرب ، يُكنى أبا عامر ، وتقدّم ذكره فى الحوادث .
- مات فى جمادى الأولى واستقر بعده أخوه أبو سعيد عثمان ، ودبر أمر الملكة أحمد بن على القبائلى على عادته فى أيام أخيه .

(١) ويجوز فيها تنبك ، بفتح التاء وحذف الألف بعدها .

(٢) فى ل « الصيد » ، لكن راجع الترجمة رقم ٢٥ ص ٢٨ .

(٣) عبارة « من الإصطبل إلى المصلى وركب إلى أن حضر دفنه » غير واردة فى ظ .

(٤) فى ز « سرور » ، لكن راجع الدرر الكامنة (طبعة القاهرة) ١٥٣٠/٢ وحاشية رقم ٤ .

١٥ - عبد الله بن خليل المصرى ، جمال الدين العباسى ، شيخ زاوية أبي العباس بباب الخرق ، كان صالحاً لطيف الذات ، سمعت من لفظه شعراً لغيره ؛ مات فى جمادى الآخرة .

١٦ - عبد الله بن عبد الكافى بن على بن عبد الله بن عبد الكافى بن قريش بن عبد الله ابن (١) عباد بن طاهر بن موسى بن محمد بن على بن قاسم بن موسى الجليس بن إبراهيم بن طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسين بن الحسن بن على الشريف الحسنى الطباطبى ، جمال الدين نقيب الأشراف ، وليها غير مرة ، منها فى ذى القعدة سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة ؛ ومات فى ذى القعدة ، وكان حسن الطريقة .

أقام بالمدينة زماناً وكان عفيفاً نزيهاً (٢) .

١٧ - عبد الرحمن بن أحمد بن المقداد بن أبي القاسم (٣) بن هبة الله بن المقداد القيسى ، العقيلي الأصل ثم الدمشقى ، سمع من الحجار وحفيد العماد والمزى وهلال بن أحمد البصراوى وأيوب بن نعمة الكحال وغيرهم ، وحدث ، وكان مقياً بقريه بلبانا (٤) ، وهو رجل جيد .

أجاز لى غير مرة ، وكان (٥) قد انفرد بسماع مسند الحميدى ومات سنة ثمانى مائة .

١٨ - عبد الرحمن بن مكى الأقفهسى ، مجد الدين المالكى ، تفقه وناب فى الحكم

ومات فى جمادى الأولى .

- (١) عبارة « بن عباد ... الجليس بن إبراهيم » ورد بدلها فى ظ « ابن على بن أبي قاسم بن موسى الجليس بن إبراهيم » .
 (٢) بعدها جاءت الترجمة التالية « عبد الله بن على بن عمر السنجارى قاضى صور ، تقدم فى السنة التى قبلها » ؛ راجع الجزء الأول من إنباء النمر ، ص ٥٣٤ ، ترجمة رقم ٢٤ .
 (٣) « ابن أبي الوسم » فى شذرات الذهب ٦/٣٦٥ .
 (٤) غير منقطعة فى نسخ الإنباء .
 (٥) عبارة « وكان قد انفرد بسماع مسند الحميدى ، و » غير واردة فى ظ .

١٩ - عبد اللطيف بن محمد بن علي بن سالم المكي الأصل ثم الزبيدي، مشدّ زبيد، وليها عشرين سنة ونَمَى الأموال وكان شديد الوطأة . مات في ذى القعدة وله سبعون سنة ، وكان مع ذلك عالي الهمة قوى الحرمة .

٢٠ - علي بن صلاح الدين محمد بن زين الدين محمد بن المنجا بن محمد بن عثمان الحنبلي التنوخي ، علاء الدين قاضي الشام ، تقدم في العلم إلى أن صار أمثل فقهاء الحنابلة في عصره فضلاً وصيانة وديانة ، وناب عن ابن قاضي الجبل واستقل بالقضاء سنة ثمانٍ وثمانين بعد موت ابن التقي، ثم صُرف مراراً وأعيد إلى أن مات معزولاً في رجب بالطاعون ، ولم يكن للحنابلة في عصره أمثل منه رياسة ونبلاً^(١) وفضلاً .

٢١ - علي بن محمد بن محمد بن أبي المجد بن علي الدمشقي ، سبط القاضي نجم الدين الدمشقي ويعرف بابن الصايغ وبابن خطيب عين ثرماء^(٢) ، وكان أبوه إمام مسجد الجوزة^(٣) بدمشق فيقال له « الجوزي » لذلك .

وُلد في ربيع الأول سنة سبع وسبعمائة ، وسمع من ابن تيمية والقاسم بن عساكر وإسحق الأمدى وعلي بن المظفر الوداعي^(٤) ووزيرة والحجار ومحمد بن مشرف في آخرين تفرد بالسماع منهم . وخرّجت له عنهم مشيخة ، وأجاز له في سنة ثلاث عشرة التقى سليمان والمطعم والدشتي وابن سعد وابن الشيزاري ، وظهر سماعه للصحيح بآخره من ست الوزراء فقرعوه عليه بدمشق ، ثم قدم إلى القاهرة فحدّث به مراراً .

قرأت وسمعت عليه سنن ابن ماجه ، ومسند الشافعي ، وتاريخ أصبهان ، وغير ذلك من الكتب الكبار والأجزاء الصغار فأكثرت عنه .

(١) راجع ابن طولون : قضاة دمشق ، ص ٢٨٦ ؛ والنعمي : الدراس في تاريخ المدارس ، ٤٦/٢ .

(٢) هي قرية في غوطة دمشق كما ذكر صاحب مراصد الاطلاع ٩٧٧/٢ وانظر أيضاً .

Le Strange: Palestine Under The Moslems, p. 387.

(٣) راجع عنه النعمي : الدراس في تاريخ المدارس ٤٢٨/٢ - ٤٢٩ .

(٤) انظر عنه شذرات الذهب ٤٩/٦ .

وكان صبوراً على التسميع ثابت الدهن ذاكراً ، ينسخ بخطه وقد جاوز التسعين صحيح السمع والبصر ، رجع إلى بلده فأقام بمنزله إلى أن مات في شهر ربيع الأول .
وقد قرأت عليه أكثر مسموعاته وسمعت عليه الصحيح ووصلتُ عليه بالإجازة شيئاً كثيراً .

٢٢ - عمر بن إلياس التركماني ، قُتل بمنفلوط بيد العرب .

٢٣ - عمر بن سالم بن سليمان البصري ، مات في ذى القعدة عن ثمانين سنة .

٢٤ - عيسى بن عبد الله القرظي^(١) - بالقاف والزاي - أحد الصالحين .

٢٥ - قَلَمَطَاي بن عبد الله العثماني الدويدار ، كان شجاعاً بطلاً توجه للصيد فرجع ضعيفاً فمات في جمادى الأولى ، فنزل^(٢) السلطان فصلً عليه وحضر دفنه بالقرب من صهرية منجك ، وكان مشكور السيرة قليل الشر ، وكان استقر في شعبان سنة خمس وتسعين .
وكان طويلاً جميلاً بلغ الثلاثين أو جاوزها بقليل .

٢٦ - قَجْمَاس بن عبد الله البشيرى الصوفى^(٣) ، كان من نقباء الدسوقية ويقال إنه كان داعيةً إلى عقائد ابن العربي وتباحث معه .

٢٧ - طوغان الذى كان نقيب الأحمديّة ، وقد تقدّم^(٥) ذكره .

٢٨ - قَرَأَكُوكُ الخاصكى ، ويقال له طوغان ، كان شديد البطش بحيث كان يلطم

الثور فيصرعه .

٢٩ - كَمَشْبُغَا الكبير ، مات بسجن الإسكندرية [وقد] تقدّم ذكره في الحوادث ؛

قال^(٤) العينتابى في تاريخه : « كان سبب غضب الظاهر عليه أنه أصابه رمد فحضر عنده كحال

(١) في ز ، ل « بالفاء والراء » فسمياه « القرظي » .

(٢) من هنا لآخر الترجمة غير وارد في ظ .

(٣) في ل « القشمرى المصرى » .

(٤) من هنا لآخر الترجمة غير وارد في ظ .

(٥) الواقع أن ابن حجر سيذكر اسمه مرة أخرى في وفيات هذه السنة برقم ٥٥ ص ٣٥ .

أرسله له السلطان فواظبه فلم ينجح ، فقال له : ما بعثك السلطان لي إلا حتى تعميني . فبلغه ذلك فتغيظ منه .

وكان بلغه ما صنع بكلمش مع موقعه حتى ضربه فصار يستشفع عنده بالله ورسوله فيقول : « ها أنا أضربك حتى يجي الليث يخلصك من الذئب » ، فاستمر إلى أن مات .

وكان كتب للسلطان قصة في بكلمش يقول فيها : « أتأكلني الذئب وأنت ليث ؟ » فبلغه ذلك أيضا فتغيظ وأمسكهما بعد الخدمة في القلعة .

٣٠ - محمد بن أحمد بن الثاقب النقيب .

٣١ - محمد بن أبي بكر بن عيسى المرستاني الصحراوي ، شمس الدين ، سمع من أبي الفتح الميدوي وغيره وحدث . سمعت منه ، مات في المحرم .

٣٢ - محمد بن بشير البعلبكي المعروف بابن الأفرع ، اشتغل كثيراً وتمهر ، وكان جيد الذهن قوى الحفظ يعمل المواعيد عن ظهر قلب ، وله عند العامة بدمشق قبول زائد ، وكان طلق اللسان حلو الإيراد . مات في شهر رمضان مطعوناً .

٣٣ - محمد بن حجى الحسباني ، بهاء الدين أبو البقاء ، أخو قاضي الشام الآن : نجم الدين عمرو الشيخ شهاب الدين ، عني بالعلم ومات شاباً فإن مولده كان في سنة ثلاث وستين ، وكان حسن الصوت بالقرآن جدا ، وكان قد شارك في عدة فنون . مات في شوال .

٣٤ - محمد بن سلامة التوزري^(١) المغربي ، أبو عبد الله الكركي نزيل القاهرة ، كان فاضلاً مستحضرأ لكثير من الأصول والفقهاء ، وصحب السلطان في الكرك فارتبط عليه واعتقده ، ثم قدم عليه فعظمه جدا ، وكان يسكن في مخزن في إصطبل الأمير قلمطاي الدويدار ، وإذا ركب إلى القلعة ركب على فرس بسرجه ذهب وكنبوش^(٢) ذهب من مراكيب السلطان .

(١) هكذا في الضوء اللامع ٧/٦٤٠ ، ولكنها « التوزري » في النجوم الزاهرة ١٢/١٦٥ .

(٢) Dozy : Suppl. Dict. Ar. II, 492.

وكان داعية إلى مقالة ابن العربي الصوفي ، يناضل عنها وينظر عليها ، ووقع له مع شيخنا الشيخ سراج الدين البلقيني مقامات .

مات في الرابع والعشرين من ربيع الأول . اجتمعت به وسمعت كلامه وكنت أبغضه في الله تعالى . وكان^(١) قد حجَّ في السنة الماضية ، ووقع بينه وبين ابن النقاش وغيره ممن حج من أهل الدين وقائع ، وكتبوا عليه محضراً بأمر صدرت منه ، فيها ما يقتضى الكفر ولم يتمكنوا من القيام عليه لميل السلطان إليه .

ولما مات أمر السلطان ليلبغا السالى بمائتي دينار ليجهزه بها فتولى غسله وتجهيزه ، وأقام على قبرة خمسة أيام بالمقرئين على العادة .

٣٥ - محمد بن عبد الله بن مشكور ، شمس الدين بن تاج الدين ، ناظر الجيش بدمشق ، كان خبيراً بهذه الوظيفة وكان رئيساً محتشماً ، قرأ في الفقه في صغره .

٣٦ - محمد بن عبد اللطيف بن محمد بن يوسف الزرندى ، كمال الدين المدنى ، عنى بالفقه والحديث وبرع في مذهب الحنفية . مات بين مكة والمدينة .

٣٧ - محمد بن علي بن عبد الله الطبرسي ، وُلد سنة أربع وعشرين وسبعمائة ، وأمَّ بجامع الطبرسي ، وفُتن بصناعة الكيمياء فأفنى عمره وماله^(٢) فيها ولم يحصل على طائل . مات في أول السنة .

٣٨ - محمد بن علي الطنبدي نجم الدين ، ابن أخت ابن عرب المحتسب ، ناب في الحكم ، وولى الحسبة مرات ووكالة بيت المال إلى أن مات في ربيع الأول .

(١) من هنا لآخر الترجمة غير وارد في ظ

(٢) في ز « زمانه » .

٣٩ - محمد بن محمد بن أحمد بن مسعود السراج القونوي ، ولد سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة وحفظ مجمع البحرين وتفقه ، وناب عن أبيه ، وولى قضاء العسكر ودرّس بالخاتونية وغيرها ، وكان كثير المروعة ، مات في ذي القعدة .

٤٠ - محمد بن محمد بن علي الأنصاري الدمشقي أمين الدين الحمصي الحنفي ، تقدم في الأدب وأخذ الفقه عن رمضان الحنفي ، والعربية عن تقي الدين بن الحمصية ، وولى كتابة السرّ بحمص ثم بدمشق ، وقدم القاهرة مع نائبها ثم فاجتمعتُ به وسمعت عليه قطعة من نظمه ، وأجاز لي .

وكان شكلا حسنا مع التواضع والأدب ، وكان له في النظم والنثر اليد البيضاء ، طارح فتح الدين بن الشهيد وعلاء الدين البيروني وفخر الدين بن مكناس وغيرهم .
قال البيروني : « كتب إلي » .

ومات في ربيع الأول ولم يكمل الخمسين .

أثنى عليه طاهر بن حبيب وقال : « كانت له مشاركة جيدة في الفنون ، وكتابة فائقة ، وعبارة رائقة » ، ومن نظمه - ولم أسمع منه - قال في الغزل :

كلما قلتُ قد نُصِرْتُ عليه لاح من عسكر اللعاط كميننا

خنت فيه مع التشوق^(١) صبري لبت شعري فكيف أذعى أميننا

٤١ - محمد بن محمد بن يحيى الشافعي ، تاج الدين السندبليسي^(٢) ، عني بالعلم والعربية .

(١) في ل : « الفسوق » ، وفي ز « المشوق » .

(٢) يمكن قراءتها « السندبليسي » ، أو السندبليسي هذا وقد قال يا قوت في المعجم وابن عبد الحق البغدادي في مرآة

الاطلاع ، ٧٤٦/٢ « سندبلس : ضيعة معروفة ، أحسبها بمصر » ، وقال محمد رمزي في القاموس الجغرافي ق ١ ، ص ٢٨٥ ، إنها تعرف اليوم باسم سماديس بمركز المحمودية بالبحيرة .

٤٢ - محمد بن محمد محب الدين ، إمام جامع الصالح وابن إمامه . مات فيها^(١)

٤٣ - محمد بن المبارك بن عثمان السافي ، شمس الدين الحلبي ، الرومي الأصل ، أصله من قرية يقال لها قري^(٢) ، قرأ ببلاده الهداية على التاج بن البرهان ، ثم قدم حلب فأخذ عن الشيخ شمس الدين بن الأقرب وقطنها ، وكان صالحاً خيراً متعبداً ، وهو آخر فقهاء حلب المتعبدين العاملين .

[كان] كثير التلاوة والخير والعبادة والإيثار ، وقدم القاهرة فأخذ عن شيخنا العراقي وعن ابن الملقن والجلال التباتي ، وحج وجاور ، وكان مشاركاً في النحو والأصول . مات في ثامن^(٣) عشر شهر رمضان .

٤٤ - محمد^(٤) بن يوسف بن أحمد بن الرضى عبد الرحمن الحنفي بدر الدين ، اشتغل وبرع وسمع من ابن الخباز ، وسمع من ابن مكرم ، وكان أعرف من بقي من الحنفية ، ينقل الفقه مع جودة النباهة . وقد درّس بأماكن وأفتى ، وناب في الحكم ، وكان هو المعتمد عليه في المكاتب بدمشق ، مات في ذي الحجة .

٤٥ - محمد بن يوسف بن أبي المجد ، شمس الدين الحكار ، سمع من الميدوي وابن عبد الهادي وغيرهما ، وأجاز له جماعة من المصريين والشاميين وحدث . سمعت منه . مات في شهر رجب^(٥) .

(١) أي في هذه السنة .

(٢) كلمة غير مقروءة في جميع النسخ ، وقد رسمتها شذرات الذهب ٣٦٧/٦ « مري » بلا تنقيط .

(٣) هكذا أيضاً في شذرات الذهب ٣٦٧/٦ ، لكنه « ١٣ رمضان » في الدرر الكامنة ٤/٢٦٨ .

(٤) هذه الترجمة سقطت من ز ، لكنها وردت في ط بصورة أخرى هي « محمد بن يوسف بن الرضى عبد الرحمن الحنفي ، بدر الدين ، شارك في الفنون . مات في ذي الحجة » .

(٥) جاء بعد هذا : « محمد بن البعلبكي المروف بابن الأترع ، هو محمد بن بشير . تقدم » . راجع ما سبق ترجمة

رقم ٢٢ من وفيات هذه السنة ص ٢٩ .

٤٦ - محمد بن (١) . . . الزرزارى المالكى ، كان ينوب فى الحكم ثم ترك ذلك ونزل عن وظائفه حتى عن بيته الذى بالصالحية ، وتحوّل إلى التربة وأقام بها ، وتزوّج فمات بعد قليل فى شعبان .

٤٧ - محمود بن أحمد بن يوسف العينتابى ، كان يقال له أخى محمود . قال العينتابى : « كان جواداً صالحاً ، وله زاوية يُضيف فيها من يرد عليه ، ويأكل من طعامه كل يوم فوق المائى نفس ، وينفق من كدّ يمينه ، وكانت زاويته من إنشائه ، ووقف عليها أوقافاً كثيرة ، وكان يعمل سماعاً فى كل ليلة جمعة ، وإذا مُدَّ السماط وأكل الناس يأخذ بيده من اللحم ويدور على الأعيان فيطعمهم بعد فراغهم ويقول : « هذه لقمة شيخ أورات » .

وكان حسن المخاطبة ، طيب المحاضرة ، لا تمل مجالسته ، ولما مات خلفه فى زاويته وعلى طريقته ولده أحمد وطالت مدته بعده نحو أربعين سنة .

٤٨ - أسماء بنت الشيخ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن الصايغ ، الحنفى أبوها ، وُلدت فى رجب سنة سبع وأربعين ، وتزوّجت برجل يقال له الرملى ، ثم تزوّجها علاء الدين المقرئ سنة خمس وستين ، وكانت عاقلة فاضلة دينية .

عمل لها ولدها الشيخ تقي الدين ترجمة جيدة وحَدّث عنها عن أبيها بشئ من شعره . ماتت فى ثمانى عشر شهر ربيع الأول .

* * *

ذكر من مات فى سنة ثمانى مائة من الأجناد

٤٩ - تلکمر الطشمرى ، كان دويداراً عند قلمطاي الدويدار الكبير ، وكان قبل ذلك دوادار طشمر ولم تطل مدّته بعده .

مات فى ثالث عشر ربيع الأول يوم مات تانى بك المذكور .

(١) فراغ فى جميع النسخ .

٥٠ - جاني بك، كان من خواص الملك الظاهر فغرق في رجب من هذه السنة في بحر النيل، قال العيني في تاريخه: «مرّ بي وأنا عند مدرسة أم السلطان فدخل إصطبله عند جامع المراداني وتوجّه إلى جزيرة مبارك وكان إقطاعه فيها، فضيّفه الفلاح، ثم همّ بأن يغتسل في البحر فحدّره صاحب له من البحر وقال: إحذر أن تغرق، فقال: أنا صغير؟ ودخل الماء فغطس فلم يطلع، فغطسوا عليه فلم يوجد إلاّ بعد أيام بشطنوف وقد انتفخ، فنقل ودفن».

ووجد له من الذهب نحو عشرة آلاف دينار، ومن الفضة ألف درهم.

٥١ - طيْبَعًا السُّودُونِي، كان أمير طبلخاناه.

٥٢ - بلاط، كان أمير عشرة.

٥٣ - عمر بن أخت قرط الكاشف، قُتل هو وابن سعيد الدولة - ناظر منفلوط -

بيد العرب العصاة.

٥٤ - سُولِي^(١) بن قُرَاجَا بن دُلْغَادِر التُّرْكَمَانِي، قتله رجل يقال له علي خان بسكين

في خاصرته وهو نائم قرب مرعش وهرب، وكان الملك الظاهر دسّه عليه، وكان عليّ هذا في خدمة صدقة بن سولي وكان سولي يثق به. وكان لسولي صييت عظيم، حتى كان يسمى «هيكل التُّرْكَمَان»، وكان يتحرّى العدل في أحكامه، ويبيده من البلاد مرعش^(٢) وأبْلُسْتَيْن

(١) وردت هذه الترجمة بالصورة التالية في هامش ظ، ١٢٦ ب «سولي بن قراجا بن دلغادر التُّرْكَمَانِي، ولي الإمرة بعد أخيه خليل، وكان ذا رأي ومكيدة ودهاء مع الوجاهة في الذكاء والمكارم، باشر النيابة بالأبليستين ومرعش مراراً وطالت مدته».

(٢) مرعش بفتح الميم والعين وسكون الراء إحدى المدن بالشقور بين الشام وبلاد الروم، وفي وسطها حصن يسمى «المرواني» نسبة إلى مروان الحمار آخر خلفاء بني أمية، وهي تعرف عند الروم باسم مراسيون Marasion، وقد اهتم بها المسلمون اهتماماً بالغاً منذ نهاية العصر الأموي، ثم جاء الرشيد فحصنها لتكون في مواجهة البيزنطيين، انظر عنها مراصد الاطلاع ١٢٥٩/٣، وبلدان الخلافة الشرقية ص ١٦١، أما الأبليستين فقد ورد ضبطها في مراصد الاطلاع ١٧/١ بفتح الهمزة والتاء وضم الباء واللام وسكون السين، واكتفى في تعريفها بأن قال «إنها مدينة مشهورة ببلاد الروم قرب أبسس مدينة أصحاب الكهف»، هذا وقد عرفت الأبليستين - في فترة من تاريخها - باسم البستان Arabissus، راجع أيضاً بلدان الخلافة الشرقية، ص ١٧٥، ١٧٨ - ١٧٩.

وغير ذلك ، وهو الذى اعتمد عليه منطاش أيام فراره من الملك الظاهر ، وهو الذى طرقت عينتاب فنهب أموال أهلها ، وجرى من التركمان الذين معه من الفسق والفجور وقتل الأنفس ما لم يسمع به قبل ذلك .

قال العينتابى فى تاريخه : « إجتمعُ به ووعظته ، فكان يظهر القبول ويضمخ خلافه ، وكان يدمن على شرب الخمر واللواط » . ولما قُتل حضر ولده هدية إلى الملك الظاهر فقررته فى إمرة أبيه ، وكان ناصر الدين محمد بن خليل بن ذلغادر قد استقر عوض عمه قبل أن يقتل ، فوقع بين ناصر الدين وبين ابن عمه مقتلة عظيمة ، قُتل فيها خلق كثير من تركمان الطائفيتين .

٥٥ - طوغان ، أحد الأمراء ، كان يصحب الفقراء الأحمديّة (١) .

* * *

الثانى (٢) من إنباء الغمر بأنباء العمر

للفقير ، إلى عفو ربه القدير ، أحمد بن على بن حجر العسقلانى

الأصل المصرى

فيه من أول سنة إحدى وثمانى مائة .

* * *

(١) راجع ترجمة رقم ٢٧ فى وفيات هذه السنة ، ص ٢٨ .

(٢) هذه الأسطر الأربعة بخط ابن حجر نفسه فى نسخة ظ ، ومنها يستفاد أنه أراد أن يجعل الإنباء جزئين ،

أحدهما من الأول حتى نهاية سنة ٨٥٥ هـ ، والثانى من ابتداء القرن التاسع الهجرى .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١)

الحمد لله كثيراً

أول القرن التاسع من الهجرة

دخلت سنة إحدى وثمان مائة وسلطان مصر والشام والحجاز الملك الظاهر أبو سعيد برقوق ، وسلطان الروم أبو يزيد بن عثمان
 وسلطان اليمن من نواحي تهامة الملك الأشرف إسماعيل بن الأفضل بن المجاهد .
 وسلطان اليمن من نواحي الجبال الإمام الزيدى الحسنى على بن صلاح .
 وسلطان المغرب الأدنى أبو فارس (٢) عبد العزيز بن أحمد بن محمد الحفصي .
 وسلطان المغرب الأوسط أبو سعيد عثمان المربني .
 وسلطان المغرب الأقصى [ابن الأحمر (٣)] .
 وصاحب البلاد الشرقية تيمور كركان المعروف بالنك .
 وصاحب بغداد أحمد بن أويس .
 وصاحب تبريز..... (٣) .
 وأمير مكة حسن بن عجلان بن رميثة الحسنى ، وبالمدينة ثابت بن نعيم .
 والخليفة العباسي أبو عبد الله محمد المتوكل على الله بن المعتضد بالله أبي بكر ، ويدعى
 أمير المؤمنين ، وينازعه في هذا الاسم (٤) الإمام الزيدى وبعض ملوك المغرب وصاحب اليمن ،
 ولكن خطيبها يدعو في خطبته للمستعصم العباسي أحد الخلفاء ببغداد .

(١) البسمة والحمد لله ساقطتان من ز .

(٢) جاء في هامش ه بخط البقاعي . « تقدم في سنة ست وتسعين أن أبو فارس عبد العزيز بن أحمد بن محمد بن أبي بكر ابن يحيى بن إبراهيم بن يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص الحفصي اشتهق بفتح الهاء وسكون النون بعدها مشاة وبعد الألف مشاة أخرى ، وأن كل من عمود نسيه ولي السلطنة إلا أبا أحمد وجد أبيه . . . » .

(٣) بياض بالأصل .

(٤) في ه بخط البقاعي « صوابه اللقب » ، ولكنه وارد كما بالمتن في شذرات الذهب ٧/٤ .

وكان نائب دمشق يومئذ تم الحسنى ، وبحلب أرغون شاه ، وبطرابلس آقبغا الجمالى ،
وبحماة يونس القلمطاوى ، وبصفا شهاب الدين بن الشيخ على ، وبغزة طيفور .

* * *

ذكر الحوادث فيها

كان^(١) أولها يوم الجمعة ، وكان أهل الهيئة ذكروا أنه يقع في أول يوم منها زلزلة
وشاع ذلك في الناس فلم يقع شيء من ذلك وكذبهم الله سبحانه وتعالى ، وكان^(٢) البلد
مزينا لعافية السلطان ولأنه كان حضر الموكب في يوم الاثنين الماضى وحلّف الأمراء والمماليك
وغيرهم على العادة ، ونودى بالزينة فزين البلد عشرة أيام .

وفي سادس عشر المحرم قبض على آقبغا الفيلى - وكان من أتباع على باى - فامر
بتسميره فسمر هو وخمسة معه ممن كانوا على رأيه وجماعة^(٣) من العرب المفسدين ، وقبض
على ثلاثة من الجند ومهمهم جماعة نسوة ينحرن عليهم فأنزلوا في مركب ليغرقوا .

وفي الرابع والعشرين من المحرم دخل المحمل السلطاني فتأخر عن العادة يومين .
وفي هذه السنة ارتفع سعر الذهب بالإسكندرية إلى أن صار مائتين وثلاثين ، وأما بالقاهرة
فكان من ثلاث إلى واحد وثلاثين .

وفي هذه السنة غزا اللنك بلاد الهند واستولى على دلى ، وسبى منها خلقا كثيرا ، ولما
رجع إلى سمرقند بيع السبى الهندى برخص عظيم لكثرتة .

وفيه ارتد ابراهيم بن برّنيه^(٤) - وكان نصرانيا ثم أسلم - فقُبض عليه وعُرض عليه
الإسلام فأصرّ فضربت عنقه بباب القلعة .

(١) هذا الخبر بأكله غير وارد في ظ .

(٢) في الأصل « كانت البلد مزينة » .

(٣) من هنا حتى « برخص عظيم لكثرتة » س ١٥ غير وارد في ظ .

(٤) في « برّنيه » .

وفي أوائل صفر وعك السلطان الظاهر فأفرط عليه الإسهال والقيء من ليلة الثالث من صفر إلى العاشر منه فقوى الإرجاف بموته ، فتجلد ولازم القصر إلى أن توجه للعافية بعد أن كان غضب على جمال الدين بن صغير وأمر بحبسه ، فأمر بأن يتصدق بمال ، فجمع الفقراء بالاصطبل ، فمات منهم في الزحمة نحو الخمسين نفساً ، وقيل أكثر من ذلك من الرجال والنساء .

وفي الثامن عشر من صفر مات بكلمش بالقدس بطلاً .

وفيها أعيد شمس الدين البجانسي إلى الحسبة بالقاهرة ، وصُرف بهاء الدين بن البرجي في التاسع من المحرم .

وفي التاسع^(١) من المحرم استقر ناصر الدين بن أبي الطيب في كتابة السر بدمشق وباشرها قبل وصول التوقيع له وذلك بعد موت أمين الدين الجمصي ، وكان بيد أمين الدين نظر النورية ببعلبك فأخذها بدر الدين الكلستاني - كاتب السر - لنفسه .

* * *

وفي صفر وقع بظاهر المدرسة الصلاحية^(٢) حريق عظيم فبادر الأمراء إلى طفية بعد أن أحرق أماكن كثيرة .

وفيه كائنة نوروز الحافظي ، وكان السلطان أمره وكبره وجعله أمير آخور ، فأراد الوثوب على السلطان ، فاتفق مع جماعة ، فتم عليهم قانباي الكركي لأنه كان مؤاخياً للجمدار الذي كان من ممالك تاني بك أمير آخور ، وكان السلطان قد اتخذ جمداراً بعد القبض على تاني بك ، فكانت له نوبة يبيت فيها عند السلطان ، فوافقه نوروز على أنه يفتك بالسلطان ، وإذا تمكن من ذلك أطفأ الشريا التي بالمقعد ، وتلك علامة بينهما لركوب نوروز ومن وافقه .

(١) في هامش ظ « وقيل في الثامن عشر من صفر » .

(٢) في هامش « بخط البقاعي : « في أي بلد ؟ » .

فذكر ذلك المملوك هذا لقانباى فذكره قانباى للسلطان ، فبادر السلطان وأرسل إلى نوروز بعد العصر فقبض عليه ، وذلك^(١) في يوم الجمعة ثالث عشر صفر بعد أن فرغ من الحكم وقام من المقعد يمشى في الاصطبل ، وبين يديه الأمراء . فثارت هجة بالقاهرة وأرسل نوروز إلى الاسكندرية فسُجن بها في الحال .

وكان شاع في البلد أن الترك ركبوا على السلطان فنُهبت المأكولات من الحوانيت ، ثم صنى الوقت لما رأوا نوروز في الحراسة مقبوضا عليه ، ونودى بالأمان وفتحت أبواب البلد بعد أن أغلقت .

واستقر تمتاز الناصرى على إقطاع نوروز ، و [استقر] سودون قريب السلطان في وظيفته أمير آخور .

وفيها استقر آقبغا اللكاش في نيابة الكرك ثم صُرف عنها لما وصل إلى غزة وسُجن بالصبية ، وقرّر في وظيفته وعلى إقطاعه سودون الماردانى .

وفي الثانى من شهر ربيع الأول استقر أمين الدين عبد الوهاب بن القاضى شمس الدين بن أبى بكر الطرابلسى في وظيفة قضاء العسكر الحنفى .

وفي حادى عشره استقر دمرداش المحمدى في نيابة حماة .

وفي الثامن والعشرين من صفر كُسفت الشمس في أول طلوعها ولم يشعر بها أكثر الناس ، لأن الكسوف كان في نحو نصفها وانجلى بسرعة ، فكانت مدة لبثه - على مازعم أهل الفلك - ساعة واحدة ، ولم تُصلّ من أجل ذلك صلاة الكسوف .

• • •

(١) العبارة من هنا حتى غير مجتمعة في الاسكندرية س ؛ وردت في ظ على الصورة التالية «فيره إلى الاسكندرية فسجن بها وأشيع ، ثم كذبت الشائمة ونودى في البلد أن الترك ركبوا على السلطان . . . » . وفي « وذلك في يوم الجمعة بعد أن فرغ من الحكم » .

وفيهما قُتل القاضي برهان الدين أحمد السيواسي أمير سيواس^(١) ، وكان قرابلك التركماني عثمان بن قطلبك أغار على سيواس فقتل وسبا وغنم ورجع ، فتقدمه برهان الدين فأحرز قرابلك الغنيمة ، ووقع بينهما مناوشات كثيرة إلى أن حُصر قرابلك في كهف قديم مدة أربعين يوماً ، وله في أثناء ذلك عيون^(٢) تعرّفه أحوال برهان الدين ، فاغتم غفلة برهان الدين يوماً - وقد اشتغل بالشرب - فخرج ومعه طائفة فكبسوا عليه فقتل^(٣) هو ومن كان بحضرته ، ثم أوقع بالعسكر فقاتلوه ، فلما تحققوا قتل صاحبهم انهزموا فسار في آثارهم حتى ملك سيواس .

ومضى ولد برهان الدين إلى ملك الروم فأمدّه بنسجدة فحاصر قرابلك بسيواس^(٤) ، فلما طال عليه الحصار هرب منها ، واستقر^(٥) ولد برهان الدين - واسمه أحمد الحنفي - في إمرتها ، وكان برهان الدين - واسمه أحمد الحنفي - اشتغل ببلاده ، ثم^(٦) قدم حلب فلأزم الاشتغال ، ودخل القاهرة فأخذ عن فضلها . ثم رجع إلى بلده فصاهر صاحبها ، ثم عمل عليه حتى قتله واستقل بالحكم ، وتزيّاً بزىّ الأمراء - ووقع له مع العسكر المصري وقعة عظيمة سنة تسع وثمانين ، ثم نازله عسكر الظاهر لما دخل حلب سنة سبع وتسعين ، ثم نزل بالأمان واستمر في بلاده ، ثم نازله جماعة من الططر النازلين^(٧) بأذربيجان في سنة ثمان مائة ، فاستنجد بالظاهر فأرسل إليه جريدة من عسكر حلب فانهزم الططر عنه .

(١) سيواس من مدن الروم أحدثها السلطان علاء الدين وتعرف في الغرب باسم Sebastia ، وقد أسهب ابن بطوطة في وصف حشها وسعة شوارعها وازدحام أسواقها ، وهي تقع في المنطقة الشمالية من ولاية سلاجقة الروم على حدود القرات ، انظر بلدان الخلافة الشرقية ، ص ١٧٤ .

(٢) في ز ، ه « محيون » .

(٣) بناء على ما ذكره زامباور في

Manual de Geneologie et de Chronologie pour l'histoire de l'Islam, (1921), p. 125

فإن برهان الدين قتل في مكان يدعى Diurigt انظر العيني : عقد الجبلان ، سنة ٨٠٠ هـ .

(٤) في ز ، ل « فحاصر قرابلك سيواس » .

(٥) في ز ، ظ ، ه « واستقر ولد برهان الدين في إمرتها » .

(٦) من هنا حتى نهاية الخبر غير وارد في ظ .

(٧) في ز « النازرين » .

وفي ثالث عشر شهر ربيع الآخر أمر السلطان بالتجهيز إلى مكة في رجب ، ونودي لمن أراد أن يتوجه من الناس ، فشرع جماعة في التجهيز . وكان لهم من سنة ثلاث وثمانين ما توجهوا في رجب ، وكان السبب في ذلك ما وقع في المسجد الحرام من الاستهدام ، فجهز السلطان أميرا من عنده اسمه^(١) بَيْسَق وهو حينئذ أمير آخور ومعه مال بسبب العمارة .

وفي هذا الشهر أمر بكتنير جلق أمير أربعين .

وفيه عاود السلطان الحكم بين الناس في يوم السبت والثلاثاء بعد أن كان ترك ذلك لما وعك .

وفي خامس عشرى هذا الشهر حضر عند السلطان - وهو في الإصطبل - شخص عجمي ، فقعده معه في المقعد ، فاغتم غفلة من الحاضرين فأمسك هو بلحية السلطان وسبه ، فبادر بعض المماليك فأقامه واستمر هو على شتم السلطان ، فتسلمه أحمد بن الزين الوالي فأنزله إلى بيته فضربه ضربا وجيعا^(٢) فمات بعد أيام ، ولم يطلع على حقيقة أمره .

وفيها^(٣) استقر تاج الدين بن عبد الرزاق بن أبي الفرج الأرمي في الوزارة ، وكان أبوه نصرانيا صيرفيا بمنية عقبة من جيزة مصر ، ثم أسلم واستقر صيرفيا بقطية ، فلما مات استقر ولده هذا في وظيفته ثم ترقى إلى أن صار عامل البلد ، ثم صار مستوفيا ، ثم ولى نظرها ثم أمر^(٤) بها ، وجمع له بين الولاية والنظر ، ولبس بزى الجند .

(١) عبارة « اسمه بيسق وهو حينئذ أمير آخور » غير واردة في ظ .

(٢) في ز « وخنقا » . وفي ه : « وعاقبه ضربا وخنقا » .

(٣) أمامها في هامش ه « ابن أبي الفرج » .

(٤) في ز ، ظ ، ه « إمرتها » .

فاتفق أن الوزير بدر الدين الطوخي غضب منه مرة فأرسل إليه أحمد بن الزين - والى القاهرة - فصادره وضرب ولده عبد الغنى بحضرته ، وأخذ منهما مالا كبيرا يقال إنه ألف ألف درهم ، فأرسل تاج الدين بعد ذلك من سعى له في الدخول إلى القاهرة فأذن له ، وساعده عبد الرحمن المهتار أيضا عند السلطان إلى أن جمع بينهما، فوعده بأشياء كثيرة إلى أن قرره في الوزارة وذلك في سلخ ربيع الآخر ، وعزل الطوخي واستقر عبد الغنى في ولاية قطيا عوض والده ، وسلم الطوخي لشاد الدواوين فصادره ، فيقال إنه أخذ منه عشرة آلاف دينار ووجدت مدفونة .

ثم تسلّمه سعد الدين بن غراب ناظر الخاص على سبعمائة ألف درهم فضة فشرع في حملها . ولما ولى تاج الدين الوزارة قبض على برهان الدين الدمياطي ناظر المواريث والأهراء وضربه وصادره .

وفي جمادى الأولى - بعد موت بدر الدين الكلستاني - استقر في كتابة السر فتح الدين ابن فتح الله بن متعصم بن نفيس التبريزي ثم البغدادي ، نقلاً من رئاسة الطب ، واستقر بعده في رئاسة الطب جمال الدين بن عبد الرحمن بن ناصر بن صغير بن عبد الحق : شريكين . وفيها جرّدت الأمراء إلى الصعيد بسبب الفتنة الواقعة بين الهوارة من عرب محمد ابن عمر وبين عرب علي بن غريب^(١) . ثم ورد أبو بكر الأحذب وأخبر باتفاق العرب وبطلت التجريدة .

(١) ينتمى كل من عرب محمد وعرب علي بن غريب إلى هواراة ، وقد أشار القلقشندي في كل من صبح الأعشى ١/٢٦٣ - ٣٦٤ ، ونهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، ص ٤٤١ - نقلا عن ممالك الأوبار العمري - إلى أن منازل هواراة بالديار المصرية والبحيرة ومن الإسكندرية غرباً إلى العقبة الكبيرة من برقة ، ثم أشار إلى أنهم لم يزالوا حتى آخر دولة الظاهر برقوق في عز ومنعة، حتى غلبهم على البحيرة عرب زنارة وبقية عرب البحيرة ومن ثم خرجوا إلى الصعيد ونزلوا بالأعمال الإخيمية في جرجا وماحولها ، ثم انتشروا ما بين قوص والبهنساوية ، ثم صارت الإمرة في إخم لأولاد عمرو وفي البهنسا وما حولها لأولاد غريب .

وفي حادى عشر شهر رجب استقر في الحسبة بالقاهرة الشيخ تقي الدين أحمد بن علاء الدين على المقرزى ، وُصِفَ البَجَانِسِي ، وسافر البَجَانِسِي مع الحاج في رجب .

وفي يوم الاثنين خامس عشر شهر رجب استقر في قضاء الشافعية القاضي صدر الدين محمد بن إبراهيم المناوى - وهي الولاية الثالثة - ، وُصِفَ القاضي تقي الدين عبد الرحمن ابن محمد الزُبَيْرِي ولم يعد الزُبَيْرِي إلى المنصب بعدها ، وكان محمود السيرة في ولايته . وكان السبب في ولايته أن أصيل الدين محمد بن عثمان الإِشْلِيمِي (١) كان ولي قضاء الشام وُصِفَ شمس الدين الإِخْنَائِي ، واستتاب أصيلُ الدين شهاب الدين بن حجي في الحكم والخطابة ومشيخة الشيوخ فباشر عنه (٢) .

ثم حضر أصيل الدين وياشر بنفسه ثم وُصِفَ ، فسعى في هذه الأيام في قضاء الشافعية بالقاهرة ، وقيل إن ذلك كان بمواطأة صدر الدين لينفتح له باب السعى في العود ، فلما كاد أمر أصيل الدين يتم قيل للملك الظاهر : « إن كان ولايد من عزل الزبيرى فأعد صدر الدين » ، فوقع ذلك ، واجتمع من لا يحصى فرحاً به بحيث امتلأت القلعة والقصبة من الفقهاء والجنود وغيرهم ، وأظهروا من الفرح به ما لا يُعَبَّرُ عنه . قرأت بخط القاضي تقي الدين الزبيرى : « لم يزل فتح الدين من حين ولى كتابة السر يعمل على عزلى ، وأعانه على ذلك ابن غراب بعناية المحلّ التاجر إلى أن أجابهم السلطان وكان يقول : أنا أعرف أن الزبيرى رجل جيد ولكنى أريد أخذ مال المناوى . ولما استقر شرع في التنقيب على في أيام مباشرتى وحصل منه الضرر لكثير من الناس لاسيما من يلوذ بي ، وفاوض السلطان بشئ من ذلك فلم يأذن له » .

(١) كان توليه قضاء الشام في شعبان ٨٠١ ، راجع ابن طولون : قضاة دمشق ص ١٢٧ ، والضبط من الضوء اللامع ج ١١ ص ١٨٥ حيث ذكر أنه منسوب إلى إшлиم وهي إحدى قرى الغربية ، وقد جاء عنها في القاموس الجغرافى ، ج ٢ ق ٢ ص ١٩٩ - ٢٠٠ أن جوتيه ذكرها في قاموسه باسم Hat Chilaoum ، وأنها مدينة مقدسة لعبادة الإله أوزوريس ، على أنه يلاحظ أنها ضطبت بفتح الهززة في القاموس الجغرافى ، وأشار إلى أنها في قوانين الدواوين لابن ممان من أعمال جزيرة قويسنا ، وفي التحفة السنية من أعمال الغربية ، وقد اكتفى السخاوى في الضوء اللامع ٣٤٠/٨ بذكر البلد دون الإشارة إلى موقعه .

(٢) بعد هذا في بعض النسخ « من نصف رمضان ، ثم توجه إلى أصيل . ويقال إنه بذل في ذلك مالا كبيرا جدا ، إرتدان أكثره » .

وفي الثاني^(١) والعشرين من شهر رجب قُور أمير فرج بن الخطيرى في نيابة الإسكندرية عوضاً عن قطلوبغا^(٢) الخليلي نقلاً من أستاذارية الأملاك السلطانية ، وقُور فيها عوضه ناصر الدين بن سُنقر نقلاً من الأُستاذارية الكبرى ، وقُور في الأُستاذارية الكبرى يَلْبغا المجنون على قاعدته .

وفي رجب استقر بدر الدين القدسي قاضي الحنفية بدمشق عوضاً عن محي^(٣) الدين ابن الكشك ، وتقى الدين إبراهيم بن الشيخ شمس الدين بن مفلح^(٤) قاضي الحنابلة بها عوضاً عن شمس^(٥) الدين النابلسي .

وفي شعبان - ليلة الاثنين رابع عشره - خسف القمر جميعه واستمر من بعد العشاء إلى نصف الليل ، وصلى الناس صلاة الخسوف^(٦) بدمشق .

وفيه أمر الملك الظاهر القضاة أن يعرضوا الشهود ، فعرض كل قاضٍ شهود الحوانيت التي تنسب إليه ، فمن كان معروفاً أقره ومن لم يكن له به معرفة سأل عنه إلى أن يقف على أمره على أحد وجهين : إما الإذن وإما المنع .

وفي العاشر منه أعيد القاضي وليّ الدين عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المالكي إلى قضاء المالكية بعد موت القاضي ناصر الدين بن التنجيني ، وكان القاضي شرف الدين بن الدماميني قد تعيّن لذلك ، فيقال إن القاضي نور الدين بن الجلال - نائب الحكم - سعى في تبطيل ذلك ، وأعاناه سعد الدين بن غراب فبطل واستقر ابن خلدون .

(١) في نزهة النفوس ، ورقة ٥٥ ب ، « التاسع والعشرين من رجب » ، أما اسمه في النجوم الزاهرة ٨٠٣/٦ فهو فرج الحلبي .

(٢) فراغ في الأصل إذ لم يذكر اسمه ، لكن راجع فيما بعد ص ٤٦ وحاشية رقم ٣ بها ، ويظهر أن فاسخ ه خشي أن يتم بعدم معرفته قراءة المخطوطة التي نقل منها فتدارك ذلك بقوله في الهامش ، « كل هذه المواضع كالأصل بياض كما ترى » .

(٣) راجع قضاة دمشق لابن طولون ، ص ٢٠٢ ، ٢٠٣ .

(٤) أنظر السخاري : الضوء اللامع ج ١ ص ١٦٧ - ١٦٨ .

(٥) فراغ في الأصل وقد أثبت ما يالمن بعد مراجعة التميمي : المدارس في تاريخ المدارس ، ج ٣ ص ٤٦ - ٤٨ .

(٦) في ل « الكسوف » .

وفي السابع والعشرين من رمضان أفرج عن الأمير علاء الدين بن الطبلاوى ونُقل من الحبس إلى بيت يلبغا المجنون الأستاذار ، ثم أمر بنفيه إلى الكرك فأُخرج إليها ، فتوجه^(١) إلى القدس ، فلما بلغه وفاة السلطان شفع فيه فأقام بالقدس .

وفيه نمَّ بعض الناس على الشريف محمد اللُّحجى^(٢) أنه يضرب الزغل ، فكُبس منزله بدمشق فوجدت فيه الآلات ، فطيف به .

وفيه سعى المهتار عبد الرحمن لصهره ابن السنجارى فى وكالة بيت المال بدمشق ، فأذن السلطان له فى ذلك فلبس الخلعة وحضر ليقبل يد السلطان فاحتقر السلطان شكله ، وكان صغير السن خفيف اللحية فأمر بنزع الخلعة عنه فنزعت ، وتغيَّظ [برقوق] على عبد الرحمن بسبب ذلك .

وكان اللُّحجى المقدم ذكره لما بلغه ذلك سعى فيها فاتفق ماجرى له من قصة الزغل فبطل سعيه .

* * *

وفي^(٣) هذه السنة صُرف تغرى بردى من ولاية حلب ونُقل إلى القدس بطالاً ، واستقر فى نيابتها^(٤) أرغون الإبراهيمى^(٥) وكان أكبر الأمراء ، وكان قد ناب فى طرابلس قبلها ، ولم تطل مدته بحلب بل مات فيها فى صفر من هذه السنة .

قال القاضى علاء الدين : « كان شابا حسن الصورة كثير الحشمة مع العقل والعدل والشجاعة والكرم بحيث أنه تحاكم^(٦) إليه شخصان فى جمل قبل صلاة الجمعة فأمر بتأخيرهما إلى ما بعد الصلاة ، فمات الجمل فأمر للذين ثبت لهم بقيمته من عنده وقال : نحن فرطنا فيه » .

* * *

(١) هذا الخبر غير وارد فى ظ .

(٢) الضبط من الضوء اللامع ج ١١ ص ٢٢٤ نسبة إلى لُجج من تحاليف العين ، انظر مرصد الاطلاع ١٢٠٠/٣ .

(٣) من هنا حتى عبارة « يوم الجمعة ووكل به » ص ٤٨ ، آخر سطر بها غير وارد فى ظ .

(٤) أى فى نيابة حلب .

(٥) هو أرغون شاه الإبراهيمى المنجكى الظاهرى برقوق نائب السلطنة - كما عرف - بحلب ، وهو منسوب لإبراهيم بن

منجك ، وكان موته بحلب حيث دفن بترية بنت له ، وسيورد ابن حجر فيما بعد ترجمته ، انظر أيضا الضوء اللامع ٨٢٥/٢ .

(٦) فى ز « تحاكم » .

ذكر من عزل من الامراء

وفي ثالث عشر صفر قبض على نوروز أمير آخور الكبير ومعه جرباش الرماح أمير آخور، وقبض على آقبا اللكاش وكان قد قرر في نيابة الكرك ، وقرر عوضه أمير مجلس أرغون شاه البيدمرى .

واستقر سودون قريباً السلطان عوض نوروز ، واستقر في مقدمة اللكاش تمرآز^(١) الناصرى ، واستقر في مقدمة نوروز : سودون الماردانى ، وكان حينئذ شاد الشربخانا .

ونقل آقبا الجمالى من نيابة طرابلس إلى نيابة حلب لما مات أرغون شاه الخزندار الإبراهيمى نائب حلب .

وقرر سودون بلطاً في نيابة طرابلس نقلاً من نيابة حماة ، واستقر في نيابة حماة دمرداش نقلاً من أتابكية حلب ، واستقر في نيابة الكرك سودون الظريف عوضاً عن اللكاش ، واعتقل اللكاش بقلعة الصبيبة^(٢) ، ونقل صرى تمر إلى الأتابكية بحلب ، واستقر فرج الحلبي^(٣) في نيابة الإسكندرية عوضاً عن صرغتمش بحكم وفاته . واستقر في مقدمة حسن الكجكلى بعد موت يلبغا المجنون .

واستقر فارس الحاجب الكبير في نيابة صفد بعد القبض على أحمد بن الشيخ على

• • •

(١) كان تمرآز أثيراً عند الظاهر برقوق ، وارتقت مكانته عند الناصر فرج حتى صار أمير مجلس ثم نائب السلطنة ، ولكنه خامر على السلطان ، وكان موته خفياً سنة ٨١٤ ، انظر السخاوى : الضوء اللامع ١٥٦/٣ .

(٢) قلعة الصبيبة وقد تسمى قلعة بانياس ، وقد جاء في صبح الأعشى ١٠٥/١٢ أنها من أجل قلاع الشام وأمتها ، وكانت لها نيابة تعرف بنيابة قلعة الصبيبة يليها نائب من أجناد الحلقة أو مقدميها عن نائب دمشق ، وقد أصبحت نيابة في عهد السلطان فرج ، انظر أيضا : Van Berchem et E. Fatto : Voyage en Syrie (J.A.S.), 1895, I.P. 147 .

(٣) في ظ ، ل « الحلبرى » ، والتصحيح من السخاوى : الضوء اللامع ٥٧٦/٦ ، وإن ذكر هناك أنه نقل نيابة الإسكندرية سنة ٨٠١ بعد قتلنا الخليل ، ولكن السخاوى يعود ٧٤٥/٦ فيخطئ في هذه المسألة حيث يشير إلى أنه ظل بنيابها حتى سنة ٨٢١ ، واستقر بعده ناصر الدين محمد بن المطار .

وفيهما مات تقي الدين بن وهبة وكان يباشر قبض لحم الدور ، فوجد له أكثر من عشرين ألف دينار، وخطف أربع بنات فقام الوزير تاج الدين حتى أثبت أنهم نصرانيات فمنعهم الميراث، وحمل المال كله إلى الملك الظاهر فوقع منه موقعا وخلع عليه خلعة هائلة .

وفي النصف من ربيع الأول تولى برهان الدين العذراوى قضاء صفد ولبس الخلعة عند السلطان .

وفي تاسع ربيع الآخر صرف شهاب الدين رسلان الصفدى عن ولاية القاهرة واستقر شهاب الدين أحمد بن الزين عمر الحلبي .

وفيهما أرسل صاحب إربل^(١) يخبر أن اللنك توجه إلى جهة هذه البلاد ، ثم توجه إلى بغداد .

وفيهما مات أحمد بن الشيخ على الذى كان نائب صفد ، وحمل موجوده إلى السلطان وقيمته نحو عشرة آلاف دينار أكثرها ممالك وخيل وجمال وسلاح .

وفي رمضان إستقر يلبغا السالمى فى نظر الشيخونية عوضا عن الأمير فارس ، وكان [بعض الصوفية] كروا الشكوى بسبب انقطاع جوامكهم، كما صنع فى خانقاه سعيد السعداء قبل ذلك مدة ، وقطع جمعا كثيرا منهم لاتصافهم بغير شرط الواقف ، وضيق على المباشرين وألزمهم بحمل الحساب وصرف المعاليم بنفسه ، وفرح به أهلها .

وفي أواخر رمضان قبض على أوصياء الكُستاني وذكروا أن الوصية التى أخرجوها زورواها، فحضرها عند السلطان فضرب بعضهم ثم ردهم إلى القاضى المالكى فحبسهم ، ثم أحضر

(١) إربل بكسر الهزة والياء وسكون الدال ، وذكر مرصد الاطلاع ١/١ هـ أنه لا يجوز فيها فتح الهزمة ، وأشار إلى أنها « مدينة كبيرة فى فضاء من الأرض واسع ولها قلعة حصينة ذات خندق عميق ... وهى على تل عظيم من تراب » ، وأشارت بلدان الخلافة الشرقية ، ص ١٢١ ، إلى ما يقرب من هذا ، وزادت عليه بأن ذكرت أنها واقعة بين الزابن الكبير والصغير ، ثم ذكرت ما وصفها به ياقوت وإطراء المستوفى لجودة غلبتها خصوصا القطن ؛ انظر أيضا نفس المرجع ص ١٢٢ حاشية رقم ١ .

الشهود ، فكشف رأس زين الدين عبد الرحمن بن علي التَّفَهَنِي ، وكان ملازماً للكلستاني ، فشهد في وصيته ، فوجد ابن خلدون فيها ما أنكره السلطان ملحقاً فتغيّظ على الشهود لأنه رأى الملقح بخطئه ولم يصدر^(١) عنه . ثم حكم ابن خلدون بإبطال الوصية وأطلق الشهود من الحبس بعد ذلك .

* * *

وفيهما كان الرخص المفرط بالبلاد الشامية ، فذكر العينتاني أن القمح بيع بدون العشرة كل مد^(٢) ، وهو إردب وسدس مصري ، والشعير بثلاثة دراهم .

وفي آخر جمادى الأولى استقر بيبرس - ابن أخت السلطان - دويداراً عوضاً عن قلمطاي ونوروز^(٣) أمير آخور عوضاً عن ثاني بك ، وعلى باي رأس نوبة عوضاً عن نوروز ، ويشبك خزنداراً عوضاً عن علي باي ، واللكاش أمير مجلس عوض بيبرس ، وتغري بردى أمير سلاح^(٤) .

* * *

وفي جمادى الآخرة انتزع السلطان الاسكندرية من ابن الطبلاوي وأعادها لناظر الخاص ، واستقر أخو فخر الدين بن غراب في نظرها واسمه ماجد ، وكان ذلك بعناية يشبك الخزندار ، واشترط على فخر الدين أن يشاوره في الأمور .

وأرسل أمير فرج الخطيري بالكشف على ابن الطبلاوي وعلى تاج الدين قاضي الإسكندرية ، ثم رُسم بإحضاره ، فلما قدم بين يدي السلطان قام الشكاة في حقه وبالغوا في الشكوى ، فأمر السلطان بضربه فُضرب بالعصى على رجليه بعد العصر يوم الجمعة ووُكِّلَ به .

(١) في ز : « يعتذر » .

(٢) في هامش « بخط البقاعي » « لعله مكوك » .

(٣) في هامش « بخط البقاعي » « قد تقدم أن نوروز يحين في هذه السنة متى أطلق ؟ » .

(٤) في هامش « بخط الناسخ » « كل ذلك تقدم فيحرر » .

واتفق أن أول شوال يوم الجمعة ، [فاتفق^(١)] الذين ينظرون في النجوم [أنه^(٢)] تحدث نكبة [عظيمة في غضون هذا الشهر فإن نجا نجا إلى آخر السنة ، وإن نجا منها طال عمره جدا ، وبلغه شئ من ذلك ، وكان كثير التنقيب عن ذلك فقلق وتوهم وصلى العيد وهو في غاية الوهم ، فلما فرغ سالماً تصدق بأشياء .

ثم في الخامس من شوال ابتداء بالسلطان الضعف ، وكان قد لعب بالرمح في ذلك اليوم - يوم الثلاثاء - ورجع ، فقدّم له غسل نحل كختاوى^(٣) ، فأمن في الأكل منه فأصابته حمى حادة فانغمر ، وواظبه الأطباء فأرجف بموته يوم السبت تاسعه ، وتصدّق في مدة ضعفه بصدقات كثيرة جدا .

ووقعت^(٤) بالقاهرة هجة^(٥) عظيمة ، وقُفّلت الحوانيت ، وأُشيع^(٦) أن الأمراء ركبوا ثم ظهر فساد ذلك ، ثم في يوم الأربعاء وقعت هجة عظيمة أعظم من تلك وأرجفوا بموته ، ثم ظهر أنه أصابه الفواق وظهر عليه الورشكين^(٧) وأحسّ بالموت ، فطلب الخليفة والقضاة والأمراء ، وعهد بالسلطنة لولده فرج يوم الخميس ، ثم من بعده لولده الآخر عبدالعزیز ، ثم من بعده لولده الثالث إبراهيم ، وكتب العهد وأوصى بعطايا كثيرة ، وقرر أيتمش أتابلك العساكر القائم بالأمر ويربّي السلطان الجديد^(٨) إلى أن يكبر .

وكان أصحاب الوظائف يومئذ من نذكر :

(٢٠١) فراغ في النسخ وقد أضيف ما بين الحاصرتين لإكمال المعنى .

(٣) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة (ط . بوبر) ٥٤٩/٥ ، ص ٧ ، والنسبة إلى كختا بفتح الكاف وسكون الخاء ، وهي بلدة واقعة في أقصى بلاد الشام ، انظر تقويم البلدان لأبي الفداء ، ص ٢٦٢ ، Dussaud : op. cit. Carte III, B, 2. Le Strange : Palestine Under the Moslems, p. 475 .

(٤) خبر هذه الهجة الأولى كله ساقط من ل .

(٥) Dozy: Supp. Dict. Ar. II, 747.

(٦) في ز « اشهر » .

(٧) إكثى دوزى بأن قال إنه الصرع .

(٨) كان عمره يوم وفاة أبيه عشر سنوات ، وفي هامش ه بخط البقاعي : « إلى نصف شوال من سنة إحدى وثمان مائة .

٧ - أنباء المغر بانبياء العبر ج ٢

فالدويدار الكبير بيبرس ابن أخت السلطان ، وأمير آخور سودون قريبه ، ويشبك خزندار ، وتغرى بردى أمير سلاح .

* * *

فلما دخلت ليلة الجمعة دخل في النزاع إلى أن مات وقت التسبيح ، فأصبح الأمراء والخليفة والقضاة مجتمعين في القصر ، فأحضر ولي العهد وأقعد على الكرسي ، وخلعت عليه خلع السلطنة ، وباعه الخليفة والقضاة والأمراء^(١) . ولُقِّب « الناصر » ، وكُنِيَ « أبا السعادات » .

ثم شرعوا في تجهيز الملك الظاهر ، [برقوق] ، وتقدّم في الصلاة عليه - خارج^(٢) باب القلعة قبل الزوال - قاضي القضاة الشافعي صدر الدين المناوي ، وأخرج بجنازته إلى الصحراء فدفن بتربته التي أنشأها ، وكان في جملة وصيته أنها تكمل ، وعيّن القدر الذي يُصرف عليها ، ففعل ذلك بعده .

وكان من جملة أوصيائه يَلْبِغُ السَّالِمِي والقاضي الشافعي وسعد الدين بن غراب ناظر الخاص .

وكانت^(٣) جنازة مشهودة لم يُر بعد جنازة الناصر محمد بن قلاوون جنازة سلطانٍ مثلها . وخطب للناصر [فرج] على المنابر بمصر والقاهرة في هذا اليوم .

* * *

وفي صبيحة هذا اليوم بشر أمين النيل ابن أبي الرداد بزيادة النيل .

واستمر أَيْتَمَش بالولاية في البلاد . فكان تَنَم بدمشق ، ودمرداش المحمدي بحماة ، وآقبغا الجبالي بحلب ، وآلَطَبُغَا العثماني بصفد ، ويونس الظاهري بطرابلس ، وسودون الظريف بالكرك .

(١) « الأمراء » غير واردة في نسختي ز ، ل .

(٢) عبارة « خارج باب القلعة قبل الزوال » غير واردة في ظ .

(٣) خبر الجنازة غير وارد في ظ .

وكان أول ما تغير^(١) من الأحوال أن الأستادار يبلغا المجنون قبض عليه ونهبت داره ، واستقر عوضه مبارك شاه ثم صرف ، واستقر عوضه في الأستادارية تاج الدين بن أبي الفرج مضافاً إلى الوزارة .

* * *

وأول^(٢) ما بدا من الفساد في النقود أن الدينار الهرجة كان بثلاثين ، والبندق بأربعة وعشرين ، فنودي أن تقع المعاملة في الأفلورى بثلاثين والهرجة بسعة وثلاثين ، وأنفق على المالك كل واحد: ألف درهم وهؤلاء الخواص^(٣) ، وأما من دونهم فكل واحد: خمسمائة .

ثم قبض على جماعة من الأمراء منهم رَسْطَاى وتَمْرَاز وتَمْرِيغَا وبَلَاط وطولو .

وحضر القضاة للبس الخلع بسبب السلطنة فخلع على بعض الأمراء ، فقامت هجة فنزل القضاة ومن معهم هاريين ، وظهر أنهم أمسكوا أربعة أمراء مقدمين ، وهم : رَسْطَاى وتَمْرَاز وتَمْرِيغَا المنجكى ويبلغا المجنون وجماعة دونهم .

وخلع على الأمير الكبير وأمير سلاح والدويدار .

ثم في الخامس والعشرين من شوال جددوا الأيمان للسلطان [الناصر فرج] والأمير الكبير ، وتولى يبلغا السالى تحليف الممالك مع بعض الموقفين حتى استوفاهم في عدة أيام ، وكان عدة من أنفق عليهم من الممالك المشتروات وممالك الخدمة المختصة بالسلطان أربعة آلاف لإلامائة وثلاثين ، وكان قدر ما أعطى كل واحد منهم بوصية الظاهر [برقوق] ألف درهم وذلك في حادى عشرى شوال .

وفي أواخر شوال أشار يبلغا السالى على الأمير آيتمش أن يقرر ما يرتجع من مال من يقبض عليه من الأمراء على شىء معين ، لأن الأمير كان إذا قبض عليه يقاسى من كان يباشر

(١) في ز ، ل « تغير عليه » .

(٢) خبر فساد العملة غير وارد في نسخي ز ، ل .

(٣) أى الخواص .

عنه - بسبب المرتجع من تركته - البلاء المبرم ، فاستقرّ الحال أن يكون على الأمير المقدم خمسون ألف درهم ، وعلى الأمير الطبلخاناه عشرون ألف درهم ، وعلى من معه إمرةً عشرين : عشرة آلاف درهم ، وعلى أمير عشرة : خمسة آلاف درهم ، وكتب بذلك مراسيم وتخلدت في الدواوين ، واستقر الحال على ذلك .

وفيه صرف الشهاب أحمد بن الزين الشامي من ولاية القاهرة واستقر عيسى الشامي ، وكان ابن الزين هرب ثم ظفر به فضرب بالمقارع وصودر .

• • •

وفيهما ثار تم - نائب الشام - فأظهر الخلاف وملك القلعة وطرد النائب بها واستمر على الخطبة للناصر فرج ، وكان المتكلم في الدولة الناصرية بالقاهرة أرسل نائباً لحفظ القلعة ، فاتفق وصوله بعد أن ملك تم القلعة فلم يتمكن من دخولها ، ثم أظهر أن رجلاً فداوياً أراد الفتك به فقبض عليه ومعه سكين ، وقرر بحضرة الناس فأقر أن كبير الأمراء المصريين أرسله لذلك فتنمر وأظهر ما كان يبطن ، وكاتب نواب البلاد فأطاعوه ، ووثب نائب حماة فملك القلعة ، وكذلك نائب صفد .

وأما نائب قلعة حلب فأخذ حذره ولم يمكن نائب حلب من قلعته .

ولما^(١) قبض المماليك النفقة تصرفوا فيها ، وكان أكثرها دنانير ، فرخص سعر الذهب لكثرة وجوده في أيدي الناس إلى أن صار الهرجة بخمسة وعشرين والإفرنجي بعشرين ، ثم نودي في ثامن ذي القعدة أن سعر الإفرنجي ثمانية وعشرون والهرجة بثلاثين .

• • •

وتوجه علاء الدين الطبلاوى من القدس إلى دمشق ، فاستقر به الأمير تم في خدمته . وكان استدعاه إليه .

وفي رابع عشر ذي القعدة سعى الشيخ أصلم في وظيفة مشيخة الخانقاه بمرياقوس

(١) هذا الخبر غير وارد في ظ ، ولكن أمانه في هاشم ه : « سعر الذهب سنة إحدى وثمان مائة » .

وكان الذى قُرّر عوضه فيها - وهو الشريف فخر الدين - قد مات ، فأُجيب^(١) إلى سؤاله واستقر .

وفى ذى القعدة صُرف يلبغا السالى عن النظر على المدرسة الشيخونية وما معها وقُرّر مكانه أرغون شاه البيدمرى ، وكان السالى قد شدّد على أهل الشيخونية ومدرّسيها خصوصاً مدرس الشافعية وهو قاضى القضاة صدر الدين المناوى ، وأشاع السالى عنه أنه فرح بموت الملك الظاهر وأنه لما سمع بموته سجد شكراً لله تعالى .

فلما بلغه ذلك تَأدّى به وخشى ما يترتب عليه ، فركب إلى شيخ الإسلام صراج الدين البلقينى فخضع له وشكى إليه حاله مع السالى ، وكان السالى قد تسلّط على الشيخ بأمر آخر ، فركب الشيخ معه وطافا على الأمراء إلى أن عُزل السالى واصططح الشيخ والقاضى ، وكان ما بينهما متباعداً قبل ذلك .

وفى^(٢) سابع عشر ذى القعدة عُقد مجلسٌ بشيخ الإسلام والقضاة عند الأمير الكبير وسئلوا عن المال الذى خلفه الملك الظاهر بالخزانة : هل يورث عنه أو هو لبيت المال ؟ فقال البلقينى : « ما كان مُتَحَصِّلاً له من إقطاعه ومن تجارته فهو لورثته ، وما عدا ذلك فهو فى بيت المال » ، فقبل له : « إنه مختلط » ، فقال : « يُجعل لورثته منه جزء » ، فاختلفوا من الثلث إلى السدس ، وقيل إن الشيخ قال : « يُجعل له الخمس » ولم يثبت ذلك .

وفى ثالث عشرى ذى القعدة ولى السالىّ الأستادارية الكبرى ، وصُرف تاج الدين ابن أبى الفرج ، فكان - منذ وفاة الظاهر - قد وليها أربعة أنفس فى مدّة شهر وثمانية أيام ، وكانت مباشرة أبى الفرج فيها دون الشهر .

(١) ضمير الغائب هنا عائد على الشيخ أصله .

(٢) هذا الخبر والتالى له غير واردين فى ظ .

وفيه قُبض على سودون قريب السلطان ، بسبب^(١) أنه امتنع من تسليم الإصطبل ليسكنه الأمير الكبير ، واستقر عوضه أمير آخور سودون الطيار .

وفيهما في الثالث عشر منه صُرف تاج الدين بن أبي الفرج من الوزارة ، واستقر عوضه شهاب الدين بن قُطَيْنة ، وتسلّم تاج الدين المذكور ، وكانت مدة ولايته الوزارة دون شهر (٢) .

وفي سلخ ذى القعدة صُرف شمس الدين الشاذلي عن حِسبة مصر وأعيد الشيخ نور الدين علي^(٣) بن عبد الوارث إليها .

وفي مستهل ذى القعدة صُرف الشيخ تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي عن وظيفة الحِسبة بالقاهرة ، واستقر عوضه الشيخ بدر الدين محمود بن أحمد العينتابي الحنفي ، وهي^(٤) أول ولاياته لها ، وكان قبل ذلك طالبا بالظاهرية فأُخرج منها فتوجّه إلى بلاده ، ثم عاد وهو في غاية القلة فتردّد إلى الأمراء فسعى له بعضهم - وهو جُكَم - في حِسبة القاهرة فولّوها في هذا التاريخ سابع ذى الحجة فلم تقم معه سوى بقية الشهر ، فلما استهل المحرم استقر جمال الدين محمد بن عمر الطنبدي ، وصُرف العينتابي ، وكان القائم في ذلك كزل دويدار أيتمش . قرأت ذلك في تاريخ العينتابي ، ثم أعيد العينتابي في رابع عشر ربيع الآخر سنة اثنتين ثم عُزل منها بعد شهر وأعيد المقريزي .

(١) عبارة « بسبب » . . . الأمير الكبير » من ٢ غير واردة في ظ .

(٢) بعد هذا في ظ « واستقريلبا السالمى في وظيفة الاستادارية » وهو غير وارد في ز ، لوروده أعلاه ص ٥٣ س ١٦ .

(٣) هو علي بن محمد بن عبد الوارث القرشي التيمي البكري الشافعي المولود سنة ٧٤٣ ، مهر في الفقه وكان شديد الإنكار على كل أمر منكور ، هذا وقد ولى الحِسبة في مصر أكثر من مرة ، ومات سنة ٨٦٣ ، راجع عنه السخاوى : الضوء اللامع ١٠٤٦/٥ .

(٤) من هنا حتى نهاية ولايات العيني للحِسبة من ١٥ غير وارد في ظ .

وفي الرابع من ذى الحجة صُرف ابن قُطَيْبَةَ عن الوزارة واستقر عوضه فخر الدين بن غراب ، وكان يباشر نظر الاسكندرية .

وفيهما^(١) وصل قاصد نائب^(٢) الشام ، فذكر أنه^(٣) طائع وسأل استمراره على نيابة الشام وتحليف الأمراء له ففعلوا ذلك ، وحلف الأمير الكبير ومن معه بحضرة القضاة وشيخ الإسلام ووضعوا خطوطهم بذلك ، ووجه قاصده إليه بذلك .

وفي ذى الحجة وصل أَسْتَبْغَا الدويدار إلى سلمية^(٤) فلبس نُعَيْرُ أمير العرب خلعة السلطان وأظهر الطاعة وجَهَّزَ التقدمة ، وكان قبل ذلك قد اتفق مع قرأ يوسف أمير التركمان وحاصرا الأمير دمشق^(٥) بن سالم الدوكاري التركماني مدة طويلة ثم اصطلحوا .

وفي هذه السنة حاصر أبويزيد بن عثمان مَلَطِيَّةَ^(٦) والأبلستين^(٧) فقتلها وحاصر درندة^(٨)

* * *

(١) هذا الخبر بأكمله غير وارد في ط .

(٢) كان نائب الشام في ذلك الوقت هو الأمير تم سيف الدين الحسى الظاهري برقوق ، وقد أخذ في الخروج على السلطنة بعد موت برقوق كما سيرد فيما بعد ، انظر ما سبق ص ٥٢ ، ص ٧ وما بعده ، و السخاوى : الضوء اللامع ١٨٣/٣ .
(٣) أى « تم » .

(٤) بلدة في ناحية البرية من أعمال حماة في قول ، وحصص في قول آخر ، وهى على مشارف الصحراء ، انظر مراصد الاطلاع ٧٣١/٢ Le Strange : Palestine Under the Moslems, p. 528 .

(٥) هو سيف الدين الكزى دمشق خجا بن سالم التركمانى وأمير التركمان ، ظل معظم حياته خارجا على السلطنة في مصر ، هذا وقد كان قتله على يد نعير بن حيار بن مهنا أمير العرب سنة ٨٠٦ ، راجع عنه السخاوى : الضوء اللامع ٨٢٣/٣ .

(٦) ملطية بفتح الميم واللام والياء وسكون الطاء ، وتلحن العامة تفتح الميم واللام وتكسر الطاء وتشدد الياء كما ذكر مراصد الاطلاع ١٣٠٨/٣ حيث أشار إلى أنها من بناء الإسكندر ، وتعتبر ملطية من أهم المدن الواقعة على حدود الفرات شرقاً ، ويسمى الروم **Miletene** وكانت من أكبر الثغور الإسلامية في مواجهة البيزنطيين ، وقد أمر المنصور سنة ١٣٩ هـ (= ٧٥٦ م) بتجديدها وبناء مسجد بها ، انظر تفصيل ذلك عنها في بلدان الخلافة الشرقية ، ص ١٥٢ - ١٥٣ ،
Le Strange : op. cit. pp. 499 - 500 . وما ذكره هناك من المراجع العربية والنصوص التى نقلها عنها .

(٧) سبق التعريف بها .

(٨) درندة ، وقد تعرف أيضا بطرندة (بضم الطاء وفتح الراء والذال بينهما نون ساكنة ، كما ضبطها مراصد الاطلاع =

وورد الخبر بذلك في هذا الشهر فجهزوا سودون الطيار لكشف^(١) هذه الأخبار .

وفي ذى الحجة أبطل السالمى مكس العرصة والأخصاص بمنية ابن خصيب^(٢) ، ثم أبطل وفر الشون السلطانية وكتب به مرسوم ، وأبطل ما كان على البرددار ومقدم المستخرج من المشاهدة التي تحصل من المصادرة ، وألزمهما^(٣) بترك ذلك ورفع الظلم عن الناس أجمعين ، وأحضر السماسرة فقرّر لهم عن كل إردب نصف درهم من غير زيادة على ذلك عن السمسرة والكيالة والأمانة ، وشدّد عليهم في ذلك ، فكثرت دعاء أهل الخير له بذلك .

* * *

ذكر من مات في هذه السنة من الاكابر

١ - أحمد^(٤) بن إبراهيم بن عبد العزيز بن علي الموصلي الأصل الدمشقي ، شهاب الدين ابن الخباز نزيل الصالحية ، سمع من أبي بكر بن الرضي وزينب بنت الكمال وغيرهما وحدث .

== ٨٨٦/٢ حيث عرفها بأنها موضع على ثلاث مراحل من ملطية ، وكانت طرندة هذه تعرف قديما باسم Taranta وتقع على نهر القبايق الذي يسميه البيزنطيون نهر ملاس Melas ومن قبلهم كان يعرف باسم بيرامس Pyramus الذي هو من أهم روافد أعالي الفرات ، وقد اهتم المسلمون بالمدينة والحصن منذ الربع الأخير من القرن الأول للهجرة ، انظر بلدان الخلافة الشرقية ، ص ١٥٢ - ١٥٤ .

(١) الواقع أنه يستدل من ترجمته الواردة في السخاوي : الضوء اللامع ١٠٦٧/٣ ، على أنه كان خبيرا بكشف مثل هذه الأمور ، إذ يشير إلى أنه في عهد الناصر فرج هذا عين للذهاب للبلاد الشامية « للكشف عما طرق من الأخبار الرومية » هذا والإجماع متعقد على مدحه : سيرة وفروسية ، وكان موته سنة ٨١٠ هـ .

(٢) سماها مراصد الاطلاع ١٣٢٧/٣ بمنية أبي الخصيب وذكر أنها على شاطئ النيل بالصعيد الأدنى ، ويضاف إلى ذلك أنها واقعة على الشاطئ الغربي للنيل وتعرف اليوم باسم « المنيا » ، وقد جاءت في القاموس الجغرافي ق ٢ ج ٣ ص ١٩٦ .

(٣) في ل « أكرمها » .

(٤) نقل السخاوي في الضوء اللامع ج ١ ص ١٩٥ هذه الترجمة عن الإنباء .

سمع منه صاحبنا الحافظ غرس الدين وأظنه استجاره لى ، ومات فى شهر ربيع الأول
عن بضع وثمانين سنة .

٢ - أحمد^(١) بن أحمد بن عبد الله الزهورى العجمى نزيل دمشق ثم القاهرة ، كان
بزى الفقراء وحصلت له جذبة فصار بهذى فى كلامه ويخلط وتقع له مكاشفات ، منها
أنه لما كان بدمشق - وكان الملك الظاهر حينئذ بها جنديا - رأى فى منامه أنه ابتلع القمر
بعد أن رآه قد صار فى صورة رغيف خبز ، فلما أصبح اجتاز بالشيخ أحمد فصاح به :
« يا برقوق أكلت الرغيف! » فاعتقده ، فلما ولى السلطنة أحضره وعظّمه وصار يشفع عنده
فلا يردّه ، ثم أفرط حتى كان يحضر مجلسه العام فيجلس معه على المقعد الذى هو عليه
ويسبّه بحضرة الأمراء ، وربما بصق فى وجهه ولا يتدبّر لذلك ، وكان يدخل على حرّبه
فلا يحتجبن منه ، وحفظت عنه كلمات كان يلقيها فيقع الأمر كما يقول : فكان للناس
فيه اعتقاد كبير .

٣ - أحمد^(٢) بن أحمد بن محمد بن [على^(٣)] الطولونى شهاب الدين كبير المهندسين
كان عارفاً بصناعته فيها قدما ، وكان شكلا حسنا طويل القامة وعظمت منزلته عند الملك

(١) اكتفى النجوم الزاهرة ١٤١/٦ بأن سماه « الشيخ المتبذ المجذوب المعروف بالزهورى » ، لكن انظر لزّمة
النفوس ج ٢ ص ٢٨ ترجمة رقم ٣٠٥ .

(٢) هذه هى أول ترجمة بدأ بها ابن حجر وفيات هذه السنة فى ظ ، لكنه عاد فكررها بصورة أخرى فى ورقة ١٣٩ منها
فقال « أحمد بن أحمد بن محمد الطولونى ، شهاب الدين كبير المهندسين ، لبس بزى الترك وتقدم عند الظاهر إلى أن صيره
من الخاصكية وأمره عشرة وتزوج أخته ثم طلقها وزوجها بتوروز وتزوج بنت أخيها . مات شهاب الدين فى رجب » ،
راجع حاشية حوقم ٣ هذه الصفحة ، هذا ويلاحظ أن اسمه ورد فى ٥ : « أحمد بن محمد بن أحمد الطولونى » . انظر السخاوى :
شرح ، ج ١ ص ٢٢٢ ، س او ما بعده حيث يشير إلى أن ابن حجر خلط ترجمة أحمد هذا بترجمة أبيه فى الإنباء .

(٣) فراغ فى جميع النسخ وقد أضيف ما بين الحاصرتين من الضوء اللامع ج ١ ص ٢٢١ .

الظاهر فمقرّره من الخاصكية وليس بزىّ الجند ، ثم أمره عشرة وتزوّج بابنته ، وكانت له ابنة أخرى تحت جمال الدين القيّصري ناظر الجيش ، ثم طلق الظاهر البنت المذكورة وتزوّجها نوروز بأمر السلطان وتزوّج السلطان بنت أخيها^(١) . ومات شهاب الدين المذكور في شهر رجب من هذه السنة .

٤ - أحمد بن إسماعيل بن عمر بن كثير البصرى ثم دمشق ، شهاب الدين بن الحافظ عماد الدين ، وُلد سنة خمس وستين ، وأحضر على ابن الشيرجى أحد الرواة عن الفخر ابن البخارى ، وتزيا بزى الجند وحصل له إقطاع .

قال القاضى شهاب الدين بن حجى في تاريخه : « كان أحسن إخوته سمناً ، وكان عارفاً بالأمر » . مات في شهر ربيع الأول .

٥ - أحمد^(٢) بن أبى بكر بن محمد العبادى ، شهاب الدين الحنفى ، تفقّه على السراج الهندى ، وحصل ودرّس وشغل ثم صاهر القليجى وناب في الحكم ووقع على القضاة ، ودرّس بمدرسة الناصر حسن ، وكان يجمع الطلبة ويحسن إليهم ، وحصلت له محنة مع السالمى ثم أخرى مع الملك الظاهر .

تتمّم ذكره في الحوادث . مات في تاسع^(٣) عشر ربيع الآخر .

(١) راجع الضوء اللامع ، ج ١ ، ص ٢٢١ - ٢٢٢ .

(٢) هذه الترجمة هي أول ترجمة في هامش ١٣٩ في نسخة ظ تحت عنوان « ذكر من مات في سنة إحدى وثمانى مائة من الأعيان » .

(٣) هكذا أيضاً في النجوم الزاهرة ١٣٨/٩ ، ولكن في ز ، ه « ثامن عشر أو تاسع عشر » .

٦ - أحمد^(١) بن سليمان بن محمد بن سليمان بن مروان الشيباني البعلبكي ثم الصالحي ، أحد رواة « الصحيح » عن الحجار وسمع أيضا^(٢) من غيره ، وله إجازة من أبي بكر بن عبد السلام ، وحدث . مات في ذي الحجة .

٧ - أحمد بن شعيب خطيب بيت لهيا^(٣) ، كان عابداً قانتا كثير التهجد والذكر . قال الشهاب ابن حجي : « قلّ من كان يلحقه في ذلك » ، مات في شهر المحرم .

٨ - أحمد بن عبد الله السيواسي . برهان الدين قاضي سيواس الحنفي ، قدم حلب واشتغل بها ودخل القاهرة ثم رجع إلى سيواس فصاهر صاحبها ثم عمل عليه حتى قتله وصار حاكماً بها ، وقد تقدّم ما اتفق له مع عسكر الظاهر سنة تسع وثمانين ، فلما كانت سنة تسع وثمانين نازله التتار الذين كانوا بأذربيجان فاستنجد بالظاهر فأرسل إليه جريدة من عسكر الشام . فلما أشرفوا على سيواس انهزم التتار منهم . فقصدته قرابلك^(٤) بن طورغلي التركماني في أواخر سنة ثمان مائة فتقاتلا . فانكسر عسكر سيواس وقتل برهان الدين في المعركة . وكان جواداً فاضلاً وله نظم .

٩ - أحمد بن علي بن محمد الحسيني ، شهاب الدين المصري ، ويعرف بابن شقائق ، كان شريفاً معروفاً يتعاني الشهادة . مات في جمادى الأولى^(٥) .

(١) كرر هذه الترجمة ابن حجر في ظ مرتين واحدة في ١٣٧ ، وأخرى في ١٣٩ اجاء فيها: « حدث عن الحجار بصحيح البخاري ، وجزء ابن الجهم وغير ذلك ، وأجاز له ابن تيمية وغيره . مات في ذي الحجة » ، كالوردت كلمة « البعل » بدلا من البعلبكي في كل من ل ، والضوء اللامع ج ١ ص ٣٠٩ .

(٢) في ل « بيت ايما » .

(٣) في هـ « أبي بكر بن محمد بن عترة السلمى » وكذلك في شذرات الذهب ٤/٧ ، لكن راجع الضوء اللامع ج ١ ص ٣١٢

(٤) الضبط من مراصد الاطلاع ، ٢٣٨/١ ، وفي هـ ، ز « ايما » . هذا وقد ذكر الهروي في كتاب الإشارات إلى معرفة الزيارات ، نشر J. Sourdel Thomine ، دمشق ١٩٥٣ ص ١٢ أن الصحيح فيها « بيت الآلة » وأنها سميت بذلك لأن آزر كان ينحت بها ويدفنها لإبراهيم عليه السلام ليبيها فيأتي بها إلى حجر بالبلد فيكسرها عليه .

(٥) في الضوء اللامع ج ١ ص ٣٧٠ « قرابلك » ، راجع النجوم الزاهرة ٥/٨٤ ، وفهرس الأعلام .

(٦) في الضوء اللامع ١١١/٢ ، وفي ز ، ل « الآخرة » .

١٠ - أحمد^(١) بن عيسى بن موسى بن سليم بن جميل المقيري^(٢) الكركي العامري الأزرق أبو عيسى القاضي عماد الدين الشافعي^(٣) ، وُلد في شعبان سنة إحدى وأربعين ويقال سنة اثنتين وأربعين ، وحفظ « المنهاج » ، واشتغل بالفقه وغيره ، وسمع الحديث من التبانى وغيره ، ومن سمع منهم بالقاهرة : أبو نعيم بن الحافظ نفي الدين بن عبيد الأسعدي ، ويوسف بن محمد الدلاصي وغيرهما ، وحدث ببليده قديما سنة ثمان وثمانين .

ولما قدم القاهرة قاضيا خرج له الحافظ أبو زرعة مشيخةً سمعتها عليه ، وكان أبوه قاضي الكرك فلما مات استقر مكانه . وقدم القاهرة سنة اثنتين وسبعين ثم قدمها سنة اثنتين وثمانين .

(١) الترجمة أعلاه هي الواردة في ظ ، ورقة ١٣٧ ب وكذلك في بقية نسخ المخطوطة ، غير أن ابن حجر عاد في ورقة ١٣٩ أ من نسخة ظ فأوردها بالصورة التالية : « أحمد بن عيسى بن موسى بن سليم بن جميل أبو عيسى الكركي القاضي عماد الدين العامري الأزرق الشافعي ، ولد في شعبان سنة إحدى وأربعين وقيل سنة اثنتين ، واشتغل في صباه ببليده وحفظ « المنهاج » ورحل في طلب العلم ، وسمع بمصر من أبي نعيم الأسعدي ويوسف الدلاصي وغيرهما ، وسمع بالقدس من التبانى وغيره . تجمعهم مشيخته التي خرجها له أبو زرعة بن العراق وقد سمعها عليه ، وقد حدث ببليده قديما سنة ثمان وثمانين ، وولى قضاء الكرك بعد أبيه وعظم قدره ببليده بحيث صاروا لا يصدرون إلا عن رأيه ؛ وقدم القاهرة أيضا سنة اثنتين وسبعين وستة اثنتين وثمانين وغير ذلك مراراً إلى أن سجن الظاهر بالكرك فقام هو وأخوه في خدمته إلى أن تمكن أمره فجازاها بعد ذلك بالولاية . وفوض قضاء الشافعية لعاد الدين المذكور فباشروا من رجب سنة اثنتين وتسعين إلى أواخر سنة أربع ، واستكثر في ولايته من النواب ، وكان يعاب بالإسكندرية والتشدد في الأحكام ولا يقبل رسائل أهل الدولة فمالتوا عليه فمزل واستقر عوضه صدر الدين المناوي في ربيع المحرم سنة خمس وتسعين ، وأبق السلطان مع العاد تدريس الشافعي ودرس الحديث بجامعة ابن طولون ونظر الصالح . فاستمر إلى أن شغرت خطابة القدس والتدريس سنة سبع وتسعين فولياها ، فتوجه إلى القدس واجتمع عن الناس وأقبل على العبادة والخير إلى أن مات في سابع عشر شهر ربيع الأول ، ونزل عن خطابة القدس في مرضه فلم يمض الزول واستقر ؛ واستقر خطيب نابلس في الوظيفة . وهو أول من كتب له عن السلطان « الجتاب العالي » وكان ذلك بعناية أخيه كاتب السر فاستمر ذلك للقضاة . وكانوا لا يكتبون إلا « بالمجلس العالي » وهي دون الأولى في المصطلح ، وقد بالغ صاحبنا الشيخ نفي الدين [المقرزي] فذكر في ترجمته أنه حلف له أنه لم [يتناول] في طول ولايته بالقدس ومصر رشوة قط ولا تمعد حكما بباطل .

(٢) سماه الشذرات ٧/٤ « المعيري » وقال بكسر الميم وسكون العين المهملة وفتح التحتية وآخره ياء نسبة إلى معير : « بطن من بني أسد » هذا وقد خلت نسختنا القلشندي : قلائد الجمان في التعريف بعرب الزمان ، ونهاية الأرب في معرفة أنساب العرب من ذكر « معير » .

(٣) أمامها في هامش بخط البقاعي : « هذا جد شيخنا الحافظ تاج الدين بن الغرابيل لأمه ، رحمهم الله » .

وكان كبير القدر في بلده محبباً إليهم بحيث أنهم كانوا لا يصعدون إلا عن رأيه ، فاتفق أن الظاهر لما سُجِن بالكرك قام هو وأخوه علاء الدين عليّ في خدمته فحفظ لهما ذلك ، فلما تمكّن أحضرهما إلى القاهرة ووكل عماد الدين قضاء الشافعية وعلاء الدين كتابة السر وذلك في شهر رجب سنة اثنتين وتسعين ، فباشر بحرمة ونزاهة ، واستكثر من النواب وشدّد في ردّ رسائل الكبار وتصلّب في الأحكام ، فمالتوا عليه فعزل في أواخر سنة أربع وتسعين ، واستقر صدر الدين المناوي في رابع المحرم سنة خمس .

وبقى السلطان مع القاضي عماد الدين من وظائف القضاء تدريس المدرسة الصلاحية المجاورة للشافعي ، ودرّس الحديث بالجامع الطولوني ، ونظر وقف الصالح بين القصرين ، فاستمر في ذلك إلى أن شغرت الخطابة بالمسجد الأقصى وتدرّس الصلاحية ، فقررها السلطان لعماد الدين وذلك في سنة تسع وتسعين ، فتوجّه إلى القدس وباشرهما وانجم عن الناس وأقبل على العبادة والتلاوة إلى أن مات في سابع عشر شهر ربيع الأول من هذه السنة .

ونزل^(١) عن خطابة القدس في مرضه لولده شرف الدين عيسى فلم يمض النزول ، واستقر خطيباً نابلس في الوظيفة بعناية نائب الشام ، وحضر ولد القاضي عماد الدين إلى القاهرة في طلب الخطابة فمُنِع ولا^(٢) زال نائب الكرك يكاتب فيه ويشكو منه ، فرُسم عليه ثم أفرج عنه وأعيد إلى الكرك قاضياً .

وهو أول من كتب له من القضاة عن السلطان « الجناب^(٣) العالی » وذلك بعناية أخيه لمسا ولي كتابة السر ، فاستأذن السلطان في ذلك فأذن له ، واستمر ذلك للقضاة وكانوا يُكاتبون « بالمجلس » وهي كانت في غاية الرفعة للمخاطب بها في الدولة الفاطمية ، ثم انعكس ذلك في الدولة التركية وصار « الجناب » أرفع مرتبة من المجلس .

(١) العبارة من هنا حتى كلمة « قاضياً » س ١٥ غير واردة في ظ .

(٢) في ز ، هـ « واتفق أن نائب الكرك » .

(٣) في هامش هـ « في بيان كتابة الجناب العالی » .

وذكر لي الشيخ تقي الدين المقرئ أنَّهُ حَلَفَ له أَنَّهُ في طول ولايته القضاء بالكرك وبالديار المصرية ما تناول رشوةً ولا تعمَّدَ حكماً بباطل . رحمه الله تعالى .

١١ - أحمد بن محمد بن إسماعيل المجلد^(١) الحنفي، لقبه « بيَّوض^(٢) » لشدة شقرة شعره . وكان يباشر أوقاف الحنفية ، وكان حسن المباشرة . مات في ربيع الأول .

١٢ - أحمد^(٣) بن محمد بن أبي بكر بن السلار الصالحى ، شهاب الدين بن أخى الشيخ ناصر الدين إبراهيم ، وُلد سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة وأحضر على أبي العباس ابن الشحنة ، وأجاز له أيوب بن زعمة الكحال^(٤) والشرف ابن الحافظ وعبد الله بن أبي التائب وآخرون ، وحدث ، سمع منه الحافظ غرس^(٥) الدين ، وأجاز لي . مات في أواخر ذى الحجة .

١٣ - أحمد بن محمد بن عبد الرحمن البليسي الخطيب ، تاج الدين أبو العباس ، وُلد سنة ثمان^(٦) عشرة وسبعمائة ، واشتغل وتفقه ولم يحصل له من سماع الحديث ما يناسب سنَّه ، لكنه لما جاور بمكة سمع من الكمال بن حبيب عدة كتب وحدث بها عنه « كمعجم ابن قانع » و « أسباب النزول » و « سنن ابن ماجه » .

وولى أمانة الحكم بالقاهرة، ودرّس بالجامع الخطيرى ببولاق وخطب به ، وناب في الحكم ، ومات في شهر ربيع الأول وله^(٧) ثلاث وثمانون .

(١) في الضوء اللامع ٣٠١/٢ « المجلد » .

(٢) في الضوء اللامع ، شرحه ، ٥ « ينوص » .

(٣) الترجمة أعلاه واردة في ورقة ١٣٨ من نسخة ظ ، ثم عاد ابن حجر في ورقة ١٣٩ ب فكررها على الصورة التالية : « أحمد بن محمد بن أبي بكر بن السلار الصالحى بن أخى الشيخ ناصر الدين إبراهيم ، ولد سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة وأحضر على الخجار ، وأجاز له أيوب الكحال والشرف بن الحافظ » .

(٤) هو أيوب بن زعمة الكحال الدمشقى المولود سنة ٦٤٠ والمتوفى سنة ٧٣٠ هـ ، وقد أخذ الصنعة عن طاهر الكحال وتكسب بها فترة من الزمن قاربت السبعين سنة ، وقد أثنى عليه الذهبي بالتواضع والود والدين ، راجع عنه الدرر الكامنة ١١٤٣/١ ، والشذرات ٩٣/٦ .

(٥) أمامها في هامش هـ « أى خليل الأقفهى » .

(٦) في ز ، ظ ، ل « سنة عشرين » ؛ وفي هـ « ثمان وعشرين » راجع الضوء اللامع ٣٦٤/٢ .

(٧) عبارة « وله ثلاث وثمانون » خلت منها نسخ ظ ، ز ، هـ .

١٤ - أحمد^(١) بن محمد بن محمد بن محمد بن عطاء الله بن عواض بن نجاب بن حمزة ابن نهار بن يونس بن حازم المالكي الإسكندراتي الزبيرى، القاضي ناصر الدين بن جمال الدين ابن شمس الدين بن رشيد الدين سبط ابن التتسى - بفتح المثناة والنون بعدها مهملة - ، كان ينتسب إلى الزبير بن العوام وفيه يقول ابن الدماميني في أبيات يخاطبه :

وَأَجَادَ فِكْرَكَ فِي بَحَارِ عُلُومِهِ
سَبْحًا لَأَنَّكَ مِنْ بَنِي الْعَوَامِ

وكانوا^(٢) يزعمون أن جابرا المذكور في نسبه ولد هشام بن عروة بن الزبير، وفي ذلك نظر لا يُحَقَّقُ فليس في ولد هشام المذكور عند أهل الأنساب من اسمه جابر ، وبئلى - بضم الموحدة وسكون مثلها ثم لام - اسم بربرى ، ولد سنة [أربعين^(٣) وسبعمئة] ، وتفقه ببلده واشتغل ومهر وفاق الأقران في العربية ، وشرع في شرح « التسهيل » ، وولى قضاء بلده في سنة إحدى وثمانين وسبعمئة ، ثم صُرف بابن الريغى ثم عاد وتناوبا ذلك مرارا .

ثم قدم القاهرة وظهرت فضائله إلى أن ولى قضاء المالكية في رابع عشرى ذى القعدة سنة أربع وتسعين ، ونقل أهله وأولاده ، وناب عنه القاضي بدر الدين بن الدماميني . وباشر للقاضي ناصر الدين بعفة ونزاهة .

(١) كرر ابن حجر هذه الترجمة مرة أخرى في ظ فقال « أحمد بن محمد بن محمد بن عطاء الله بن عواض بن نجاب بن حمزة بن نهار بن يونس بن حاتم المالكي ، ناصر الدين بن جمال الدين الإسكندراتي سبط ابن التتسى بفتح المثناة والنون بعدها مهملة ، كان يذكر أنه من ذرية الزبير بن العوام وفي ذلك يقول ابن الدماميني يخاطبه :

وَأَجَادَ فِكْرَكَ فِي بَحَارِ عُلُومِهِ سَبْحًا لَأَنَّكَ مِنْ بَنِي الْعَوَامِ

تفقه في بلده واشتغل بالعربية والمعاني وولى القضاء في سنة إحدى وثمانين ، ثم صار يتناوب فيه مع ابن الريغى وقدم إلى القاهرة مرارا ، وشارك في الفضائل إلى أن ولى القضاء بها في ذى القعدة سنة أربع وتسعين فاستمر به إلى أن مات ، وكان عاقلا متوددا موسما عليه في الدنيا ، وقد علق على مختصر ابن الحاجب وعل التسهيل . مات أول رمضان . قال الشيخ تقي الدين المقرئ في ترجمته : كان من الأغنياء . وانظر في إسمه النجوم الزاهرة ١٤١/٦ .

(٢) عبارة « وكانوا يزعمون . . . اسم بربرى » س ٩ غير واردة في ظ .

(٣) فراغ في نسخ المخطوطة وقد أضيف ما بين الحاصرتين بعد مراجعة الضوء اللامع ٢٥٠/٢ .

وكان عاقلاً متودداً موسعاً عليه في المال ، وله تعليقٌ على « مختصر ابن الحاجب » ، وكان بمن يتعاني التجارة وعاشر الناس بجميل فأحبوه ، وكان سليم الصدر طاهر الذليل قليل الكلام ، لم يُعرف أنه آذى أحداً بقولٍ ولا فعل .

مات في أول رمضان واستقر^(١) عوضه ابن خلدون ، وكان^(٢) حين مات ابن التنسي بالفيوم فأرسل إليه البريدى فأحضره فباشر في نصف رمضان .

وقُدِّرَ أن ولده^(٣) بدر الدين^(٤) ولي القضاء بعده في رمضان سنة إحدى وأربعين فكان بين موته^(٥) وولاية ولده أربعون سنة سواء ، كما سيأتي بيانه .

١٥ - أحمد بن محمد الدمشقي ، شهاب الدين بن العطار مستوفى الجامع الأموي ، كان أجَلَ مَنْ بَقِيَ مِنْ مباشري الجامع ، وقد طلب الحديث في وقتٍ ، ورافق شمس الدين ابن سند وابن إمام المشهد . مات في شوال .

١٦ - أحمد^(٦) بن موسى الحلبي ، شهاب الدين الحنفي ، قدم من بلده وتنزل في الصرغتمشية^(٧) وشارك في مذهبه وفي الفضائل ، وناب في الحكم . مات في ربيع الأول .

١٧ - أحمد^(٨) بن أبي العز بن أحمد بن أبي العز بن صالح بن وهب الأذرعى الحنفي ،

(١) عبارة « واستقر عوضه . . . في نصف رمضان » س ه غير واردة في ظ .

(٢) يعني ابن خلدون .

(٣) الضمير هنا عائذ على صاحب الترجمة .

(٤) راجع السخاوي : الضوء اللامع ١٨٣/٧ .

(٥) الضمير هنا أيضاً عائذ على صاحب الترجمة .

(٦) ترجمتا ١٦ ، ١٧ غير واردتين في ه .

(٧) المدرسة الصرغتمشية نسبة إلى الأمير سيف الدين صرغتمش الناصري رأس نوبة النوب ، وكانت تقع خارج القاهرة مجاورة لمسجد ابن طولون ، وهي في الأصل مساكن استولى عليها صرغتمش وهدمها وبنى مكانها مدرسته هذه سنة ٧٥٧هـ ، وقد جعلها صاحبها وقفاً على الفقهاء الحنفية الآفاقية كما جاء في الخطط ٢/٤٠٢ - ٤٠٣ ، وقد ذكر المرحوم محمد رمزي في تعليقاته على النجوم الزاهرة ١٠/٣٠٨ حاشية رقم ٢ أن هذه المدرسة لا تزال باقية حتى اليوم بشارع الخضيرى بقسم السيدة زينب بالقاهرة وتعرف بجامع صرغتمش .

(٨) وردت هذه الترجمة في بعض نسخ المخطوطة بصورة مشابهة تقريباً لما بالمتن تحت اسم « محمد بن أحمد بن أبي العز »

راجع فيما بعد ص ٨٢ ، حاشية رقم ١ ، الترجمة رقم ٧٢ من فيات هذه السنة .

يعرف بابن الثور ، سمع من الحجارة وإسحق الآمدى^(١) وعبد القادر الأيوبي^(٢) وغيرهم . مات في صفر وله ثمانون سنة .

١٨ - أرغون شاه الإبراهيمي المنجكي نائب السلطنة بحلب ، كان أصله لإبراهيم ابن منجك فتقدم إلى أن صار^(٣) جمداراً عند السلطان ، ثم ولى نيابة صفد ثم طرابلس ثم حلب ، وكان حسن السيرة ، مات بحلب في العشر الأخير منه ، وكان خزندار السلطان فأرسله أيام يلبغا الناصري إلى حلب حاجباً فلم يمكثه الناصري وكاتب في الإغناء فأجيب .

فلما قُتل الناصري ولأه الظاهر [برقوق] نيابة صفد ثم طرابلس ثم حلب في العام الماضي فسار أحسن سيرة ، ويقال إن بعض الأكابر سقاه ، ويقال إن بعض العرب أغار على جمال له فتوجه في طلبهم ففرّوا منه فليج في إثرهم فغرّ بنفسه فأصابه عطش ومات بعض من معه وشي من الخيول ، وضعف هو من ذلك واستمر إلى أن مات

وكان شاباً حسناً عاقلاً عادلاً شجاعاً كريماً ، وون عدله أن غلمانته^(٤) توجهوا لتحويل الملح الذي في إقطاع النيابة فاستكروا جمالاً فنهبهم العرب فغرم لأصحابها الثمن ، وأن شخصاً ادعى عنده في جمل عند صلاة الجمعة فاستمهله إلى بعد الصلاة فمات الجمل فغرم لصاحبه^(٥) .

١٩ - إسماعيل بن عمر بن إسماعيل بن جعفر الدمشقي [بن السيد^(٦)] العاملي الصفار ، روى عن الحجارة وغيره وحديث . مات في جمادى الأولى وقد جاوز الثمانين .

(١) هو إسحق بن إبراهيم الآمدى المولود سنة ٦٤٢ هـ ، وكان له ولع واهتمام بالحديث الشريف ، وولى مشيخة الظاهرية ، وكانت وفاته سنة ٧٢٥ هـ ، انظر الدرر الكامنة ١/٨٩٤ والشذرات الذهب ٦ ص ٦٦ .

(٢) هو عبد القادر بن عبد العزيز بن المعظم عيسى بن أبي بكر بن أيوب ، الكركي ولد سنة ٦٤٢ هـ ، ومات سنة ٧٣٧ هـ ، انظر الدرر الكامنة ٣/٢٤٦٥ والشذرات ، ج ٦ ص ١١٥ .

(٣) في الضوء اللامع ٢/٨٢٥ « صار جمداراً عند السلطان وخزنداراً » . ولعل كلمة « الناس » خطأ في الإجماع بدلا من لفظ « الناصر » .

(٤) في ظ « تصاده » .

(٥) أمامها في هامش « وقد مر ذلك » .

(٦) الضبط والإضافة من السخاوي : الضوء اللامع ٢/٩٤١ .

٢٠ - أمير حاج بن مغلطاي ، ناب في الاسكندرية مدة ثم ولى الأستادارية في سلطنة المنصور أمير حاجي بن الأشرف شعبان ، ثم نفاه برقوق إلى دمياط فمات بها بطالاً في ربيع الأول .

٢١ - أبو بكر بن أحمد بن عمر العجلوني نزيل مكة المشرفة ، كان فاضلاً . يأتي فيمن اسمه محمد^(١) .

٢٢ - برقوق بن أنس بن عبد الله الجركسي العثماني ، ذكر الخواجا عثمان الذي أحضره من بلاد الجركس أنه اشتراه منه يلبغا الكبير واسمه حينئذ « أَلْطَنْبَغَا » فسماه « برقوق » لتوّه في عينيه ، فكان في خدمة يلبغا من جملة المماليك الكتابية ، ثم كان فيمن نفي إلى الكرك بعد قتل يلبغا ، ثم اتصل بخدمة منجك نائب الشام ، ثم حضر معه إلى مصر ، ثم اتصل بخدمة الأشرف شعبان ، فلما قُتل الأشرف ترقى برقوق إلى أن أُعطي إمرة أربعين وكان هو وجماعة من إخوته في خدمة أينبك .

ثم لما قام طُلُوقْتَمِر على أينبك وقبض عليه ركب بركة وبرقوق ومن تابعهما على المذكور ، وأقام طُشْتَمِر العلاتي - مدبر المملكة - أتابكا واستمروا في خدمته إلى أن قام عليه مماليكه في أواخر سنة تسع وسبعين ، فآل الأمر إلى استقرار بركة وبرقوق في تدبير المملكة بعد القبض على طشتمر فلم تطل الأيام حتى اختلفا وتباينت أغراضهما .

وقد سكن برقوق في الإصطبل السلطاني ، وأول شيء صنعته أن قبض على ثلاثة من أكابر الأمراء وكانوا من أتباع بركة ، فبلغه^(٢) ذلك فركب على برقوق فدامت الحرب بينهما أياما إلى أن قبض على بركة وسُجن بالإسكندرية ، وانفرد برقوق بتدبير المملكة إلى أن دخل شهر رمضان سنة أربع وثمانين ، وهو في غضون ذلك يدبر أمر الاستقلال بالسلطنة إلى أن تم له ذلك ، فجلس على تخت الملك في ثامن عشر الشهر المذكور ، ولُقِبَ : « الملك الظاهر » ،

(١) راجع فيما بعد ترجمة رقم ٧٢ من وفيات هذه السنة ص ٨٢ .

(٢) الضمير هنا عائد على بركة .

وبايعة الخليفة - وهو المتوكل محمد بن المعتضد - والقضاة والأمراء ومن معهم وخلعوا الصالح حاجي بن الأشرف وأدخل به إلى دور أهله بالقلعة .

فلما كان بعد ذلك بمدة خرج عليه يلبغا الناصري واجتمع إليه نواب البلاد كلها، وانضم إليه منطاش وكاتب أمير ملطية ومعه جمع كبير من التركمان ، فجهز إليهم الظاهر عسكرياً بعد عسكر فأنكسروا ؛ فلما قرب الناصري من القاهرة تسلسل الأمراء المصرية إليه إلى أن لم يبق عند الظاهر إلا القليل، فتغيّب واختفى في دارٍ بقرب المدرسة الشبخونية ظاهر القاهرة، فاستولى الناصري ومن معه على المملكة واستقر الناصري أتاكاً بمصر ، وأعيد حاجي إلى السلطنة ولقب : « المنصور » .

وأراد منطاش قتل برقوق فسبقه الناصري إلى الكرك فسجنه ، ثم لم يلبث منطاش أن ثار على الناصري فحاربه إلى أن قبض عليه وسجنه بالإسكندرية واستقل بتدبير الملكة ، وكان [منطاش] أهوج فلم ينتظم له أمر ، وانتقضت عليه الأطراف فجمع العساكر وخرج إلى جهة الشام ، فاتفق خروج الظاهر من الكرك وانضم إليه جمع قليل ، فالتقوا بمنطاش فاتفق أنه انكسر وانهمز إلى جهة الشام ، واستولى الظاهر على جميع الأثقال وفيهم الخليفة والقضاة وأتباعهم، فساقهم إلى القاهرة .

واتفق خروج المسجونين من مماليكه بقلعة الجبل ، فغلبوا على نائب القلعة^(١)، فدخل الظاهر واستقرت قدمه بقلعة الجبل، وأعاد ابن الأشرف إلى مكانه من دور أهله وذلك في أوائل سنة اثنتين وتسعين . ثم جمع العساكر وتوجه إلى الشام فحصرها وذلك في شعبان من السنة المقبلة ، وهرع إليه الأمراء ، وتعصّب أهل الشام لمنطاش فما أفاد ، ودامت الحرب بينهما مدة إلى أن هزم منطاش - وقد تقدّم بيان ذلك في الحوادث مفصلاً - ووصل في تلك السنة إلى حلب ، وقرّر أمر البلاد ونوابها، ورجع إلى القاهرة في المحرم سنة أربع وتسعين،

(١) « النية » في .

واستقرت قدمه في المملكة إلى أن مات على فراشه في ليلة النصف من شوال سنة إحدى
وثماني مائة .

وعهد بالسلطنة إلى ولده فرج - وله يومئذ عشر سنين - لأنه وُلد عند خروجه من الكرك،
ولذلك سماه ذا الاسم ، ويقال إنه^(١) بلغ ستين سنة .

* * *

ومن آثاره المدرسة القائمة^(٢) بين القصرين لم يتقدم بناء مثلها في القاهرة ، وسلك
في ترتيب من قرره بها مسلك شيخون في مدرسته ، فرتب فيها أربعة من المذاهب وشيخ
تفسير وشيخ إقراء وشيخ حديث وشيخ ميعاد بعد صلاة الجمعة، إلى غير ذلك .

ومن آثاره عمل جسر الشريعة وانتفع به المسافرون كثيراً .

وأبطل ضمان المغاني بعدة بلاد ، وكان الأشرف أبطله من الديار المصرية ، وأبطل مكس
القمح بعدة بلاد .

وكانت مدة استقلاله بأمر المملكة - من غير مشارك - تسع عشرة سنة وأشهرًا ،
ومدة سلطنته ست عشرة سنة ونحو نصف سنة .

* * *

وكان شهما شجاعاً ذكياً خبيراً بالأمر إلا أنه كان طماعاً جداً بحيث لا يُقدّم على
جمع المال شيئاً ، ولقد أفسد أحوال المملكة بأخذ البَدَل على الولايات في وظيفة القضاء
والأمر الدينية .

وكان جمهورى الصوت، كبير اللحية، واسع العينين، عارفاً بالفروسية خصوصاً اللعب
بالرمح ، وكان يحب الفقراء ويتواضع لهم ، ويتصدق كثيراً لا سيما إذا مرض ، وأبطل
في ولايته كثيراً من المكوس، منها: ما كان يؤخذ من أهل البرلس^(٣) وما حولها - وهو في

(١) أى برقوق .

(٢) في ز « الفائقة » .

(٣) أشار محمد رمزي في القاموس الجغرافى ، ق ٢ ، ج ٢ ، ص ٣٣ - ٣٤ إلى أنها من الثنور المصرية
القديمة وقد أصبحت تسمى بالبرج ، وهى واقعة على شاطئ البحر الأبيض المتوسط بين دمياط ورشيد .

السنة ستون ألفاً - ، وعلى القمح بدمياط ، وعلى الفراريج بالغربية ، وعلى الملح بعينتاب ، وعلى الدقيق بالبيرة ، وعلى الدريس والحلفاء بباب النصر ، وضمان المغاني بمنية بني خصيب وبالكرك والشوبك .

ولما عهد لولده استحلف القاضي الشافعي جميع الأمراء ، فبدأ بالخليفة ثم بأيتمش ثم ببقيتهم ، فحلف من حضر ، ثم أرسلوا إلى من غاب فلم يتأخر أحد ، وخلع على الخليفة على العادة ونودي في البلد بالأمان .

٢٣ - بَكَلَّمَش العلاءي أحد الأمراء الكبار بالديار المصرية ، تقدم ذكره في الحوادث . مات بالقدس بطالا في صفر وكان من قدماء جماعة الظاهر وتقدم في الدول كثيراً .

قال العينتابي : « كان عتيق بعض الجند ثم نسب^(١) إلى طَيْبُغَا الطويل فقبل له العلاءي » ، قال : « وكان مقداماً جسوراً ، عنده نوع كبير وعسف مع أنه كان شجاعاً شهماً مهيباً ، وعقيدته صحيحة ، ويحب العلماء ويجلس إليهم ويلذاكر بمسائل ، ويتعصب للحنفية جداً » .

٢٤ - حسن بن عبد الولي الأسعردى^(٢) الصالحى من كبار التجار بدمشق ، مات في المحرم .

٢٥ - حسن بن علي بن أحمد الكجكلى^(٣) ، حسام الدين نائب السلطنة بالكرك ، ترقى في الخدم إلى أن أمر بطرابلس ، وقدم مع يلبغا الناصرى لما انتزع الملك من برقوق فأمره بالكرك ، وتقدم عند الملك الظاهر لكونه خذمه بالكرك ثم قرّبه وأمره بمصر وبعثه رسولاً إلى الروم ، ومات في رجب عن صتين سنة بدمشق ، قال^(٤) الشيخ تقي الدين المقرئى : « كان تام المعرفة بالخييل وجوارح الطير ، محباً لأهل السنة ، عاقلاً مزاحاً » .

(١) في ز « اثنى » .

(٢) في ل « المسعودى » .

(٣) في بعض النسخ « الكجكى » وهو صحيح أيضاً ، انظر السخاوى : الضوء اللامع ٤٢٣/٣ .

(٤) من هنا لآخر الترجمة غير وارد في ظ .

- ٢٦ - حسن^(١) بن محمد العيثاوى أحد الطلبة المهرة ، ذكر ابن حجي أنه كان أفضل أهل طبقتة ، جاوز الثلاثين ومات في أول السنة .
- ٢٧ - حسين بن علي الفارقي ثم الزبيدي ، شرف الدين وزير الأشرف ، وليها^(٢) سنة سبع وثمانين ثم عزل^(٣) بعد أربع سنين بالشهاب أحمد بن عمر بن معيب^(٤) ، وكان يدرى الطب . رأيتُه بزبيد في الرحلة الأولى ومات بعدها في ليلة النصف من شعبان .
- ٢٨ - حيدر بن يونس المعروف بابن العسكري أحد الشجعان الفرسان . مات في شوال بدمشق بطالاً وقد شاخ ، وولى إمرة سنجار للأشرف .
- ٢٩ - خديجة بنت أبي بكر بن يوسف بن عبد القادر بن يوسف ، الحلبي^(٥) الاصل ، الدمشقية . ماتت في أواخر سنة إحدى وثمان مائة .
- ٣٠ - خلف بن حسن بن عبد الله الطوخي أخذ المعتقدين بمصر . مات في تاسع عشر^(٦) ربيع الآخر وكان كثير التلاوة ملازماً لداره ، والخلق يهرعون إليه ، وشفاعاته مقبولة عند السلطان ومن دونه .
- ٣١ - خلف بن عبد المعطي المصري^(٧) ، صلاح الدين ناظر المواريث والحسبة . مات في ربيع الأول .
- ٣٢ - خليل^(٨) بن حسن بن حرز الله قاضي الفلاحين ، كانوا يرجعون إليه في أمور

(١) هذه الترجمة غير واردة في ل .

(٢) أي ولى الوزارة للأشرف في اليمن .

(٣) يستفاد من الضوء اللامع ٥٦٦/٣ ، أنه استوزره في جادى الآخرة ستة سبع وثمانين وسبعمائة فأقام بها إلى ٢١ رمضان حيث انفصل منها بالشهاب أحمد بن عمر بن معيب .

(٤) وكانت وفاته سنة ٨٢٤ هـ ، انظر الضوء اللامع ١٦٦/٢ ، والإنباء سنة ٨٢٤ هـ .

(٥) في الضوء اللامع ١٤٩/١٢ « الحلبي » .

(٦) ورد اسمه في النجوم الزاهرة ١٣٧/٦ « خلف بن حسن بن حسين الطوخي » ، وذكر أنه مات يوم ٢٢ ربيع الأول

من هذه السنة .

(٧) في ظ « المقرئ » ، وقد اتفقت بقية النسخ في نعته بالمصرى مع الضوء اللامع ٧١٤/٣ .

(٨) نقل هذه الترجمة بالنص السخاوى في الضوء اللامع ٧٤٢/٣ .

الفلاحة ، وكان شاهداً ببعض المراكز ، وقد حضر على الحجار وغيره ، مات في جمادى الآخرة .

٣٣ - خليل بن عثمان بن عبد الرحمن بن عبد الجليل المصرى المقرئ^(١) المعروف بالمشبب ، سمع من البدر بن جماعة على ما قيل ، وأقرأ الناس بالقرافة دهرأ طويلاً ، وكان منقطعا بسفح الجبل ، وللملك الظاهر [برقوق] وغيره فيه اعتقاد كبير .

مات في ربيع الأول ، واجتمعت به مرارا وسمعت قراءته وصليت خلفه ، وما سمعت أشجى من صوته في المحراب .

٣٤ - زكريا بن إبراهيم بن محمد بن أحمد بن الحسن ، أبو يحيى المستعصم بالله العباسى ، ولى الخلافة في أيام تنبك بعد قتل الأشرف عوضا عن المتوكل ثم خلع ، ثم أعاده الظاهر بعد القبض على المتوكل في سنة ثمان وثمانين وسبعمائة ، ثم صُرف عنها في جمادى الأولى سنة إحدى^(٢) وتسعين فلزم داره إلى أن مات في جمادى الأولى ، وكان عاميا صرفاً بحيث يبدل الكاف همزة .

٣٥ - زينب بنت عمر بن سعد الله بن النخخ^(٣) - بنونين [مفتوحين^(٤)] ومهملتين ساكنتين - الحرانية ، سمعت من^(٥) ، وماتت في ربيع الأول .

٣٦ - ست القضاة بنت عبد الوهاب بن عمر بن كثير ابنة أخى الحافظ عماد الدين ، حدثت بالإجازة عن القاسم بن عساكر وغيره من شيوخ الشام ، وعن على الوائى وغيره من شيوخ مصر ، وخرّج لها صلاح الدين الأبيشي^(٦) أربعين حديثا عن شيوخها .

(١) « المغربى » فى النجوم الزاهرة ١٣٨/٦ .

(٢) فراغ فى ل ، لكن راجع الضوء اللامع ٨٨٩/٣ .

(٣) الضبط من ظ .

(٤) الإضافة من الضوء اللامع ٢٦٣/٢ .

(٥) فراغ فى جميع النسخ ولم يشر السخاوى ، شرحه ، إلى أحد من سمعت عليهم كذلك لم ترجم لها شذرات الذهب فيمن

مات فى هذا القرن .

(٦) ساقطة من ز ، ل ، والشذرات ٧/٧ ؛ ولكن جاء فى الضوء اللامع ٣٤٠/١٢ « الأقفهسى » .

ماتت في جمادى الآخرة وقد جاوزت الثمانين .

٣٧ - شيخ الخانكي ، كان أجمل ممالك الظاهر وأقربهم إلى خدمته وأخصهم به ، وكان القاضي فتح الدين فتح الله زوج والدته . رأيتُ بخط المقرئ : « كان بارع الجمال فائق الحسن ، لديه معرفة وفيه حشمة ومحبة للعلماء وفهم جيد ، وكان نابها صلفا معجبا منهمكا في اللذات » ، توجه إلى الكرك فمات بها في أوائل السنة .

٣٨ - شيخ الصفوي أحد الأمراء الكبار ، تنقلت به الأحوال إلى أن نُفي إلى القدس في سنة ثمان مائة ، ثم حُبس بقلعة المرقب فمات بها في هذه السنة في شهر ربيع الآخر .

٣٩ - صرغتمش المحمدي ، ولي نيابة الإسكندرية سنة تسع وتسعين وسبعمائة ومات في جمادى الأولى .

٤٠ - صفية بنت القاضي عماد الدين إسماعيل بن محمد بن العز الصالحية ، ولي أبوها القضاء وحدثت هي بالإجازة عن الحجار وأيوب الكحال وغيرهما ، وسمعت من عبد القادر الأيوبي^(١) ، [و] ماتت في المحرم .

٤١ - صندل بن عبد الله المنجكي الطواشي الخزندار ، كان من أخص الناس عند الظاهر ، وكان الظاهر يعتقد فيه الجودة والأمانة ، وكانت أكثر الصدقة تجري على يده مع كثرتها . مات في رمضان .

٤٢ - عبد الله بن أحمد بن صالح بن أحمد بن خطاب الزهري ، جمال الدين بن القاضي شهاب الدين ، وُلد في جمادى الآخرة سنة تسع وستين ، وحفظ « التمييز » ، وأذن له أبوه في الإفتاء سنة إحدى وتسعين وسبعمائة ، ودرّس بالقليلية^(٢) وغيرها ، وناب في الحكم ، وكان عالي الهمة ومات في المحرم .

(١) في الضوء اللامع ٤٣٣/١٢ « الأرموي » ، لكن راجع ما سبق ، ص ٦٥ حاشية رقم ٢ .

(٢) من مدارس الحنفية بدمشق ، أوصى بوقفها الأمير سيف الدين علي بن قليج النوري المتوفى سنة ٦٤٣ ، انظر النعمي : الدارس في تاريخ المدارس ٥٦٩/١ وما بعدها ، ولم يشر النعمي : شرحه ٢٨٦/١ - ٢٨٧ في ترجمته لجمال الدين الزهري إلى توليه هذه المدرسة ، بل ذكر أن أباه نزل له قبل موته عن تدريس الشامية البرانية .

٤٣ - عبد الله بن سعد بن عبد الكافي المصري ثم المكي المعروف بالحرفوش^(١) وبعبيد، جاور بمكة أكثر من ثلاثين سنة ، وكان للناس فيه اعتقادٌ زائد ، واشتهر عنه أنه أخير بواقعة^(٢) الإسكندرية قبل وقوعها ومات في أوائل هذه السنة .

رأيتُه بمكة وثيابه كثياب الحرافيش وكلامه كذلك . جاوز الستين .

٤٤ - عبد الله بن أبي عبد الله السكوني^(٣) المالكي جمال الدين ، أحد المدرسين في

مذهبهم^(٤) ، مات في ربيع الآخر .

كان بارعاً في العلم مع الدين والخير ، أخبر أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم لما تجهز الأشرف للحج في المنام وعمر يقول له : « يا رسول الله ، شعبان بن حسين يريد أن يجرئ إلينا » ، فقال : « لا ما يأتينا أبداً » ، قال : « فلم يلبث الأشرف أن رجع من العقبة » .

ودرس جمال الدين بالأشرفية^(٥) بتدبير بهادر المنجكي إلى أن مات .

٤٥ - عبد الله بن محمد الساعاتي المؤذن بالجامع الأموي ، انتهت إليه الرئاسة في فنه

ومات في ذي الحجة وقد قارب الثمانين .

٤٦ - عبد الرحمن بن أحمد بن الموفق بن إسماعيل بن أحمد الصالحى الذهبي الحنبلي

(١) أورد له المخاوى في الضوء اللامع ٦٨/٥ بعض أناشيده ومنها :

نحن الحرافيش لانهوى على الدور
ولا بدروز نشهد ولا نشهد بشهادة زور
نقع بكسرة وخرقة في سيد مهجور
من ذا الفعّال فعّاله ، ذنبه مغفور .

(٢) يقصد بذلك هجوم القبارصة بقيادة بطرس اللوزياني على الإسكندرية في الثالث من أكتوبر ١٤٦٧ م ، وهو الهجوم الذي استمر أسبوعاً وعجزها القبارصة فيه ثم صارت نيابة بعد أن كانت ولاية ، وقد ترك لنا وصف هذه الواقعة المؤرخ النويري في كتابه الإلمام بما جرت به الأحكام المقضية في واقعة الإسكندرية في سنة سبع وستين وسبعائة » ، وتوجد منه نسخة في دار الكتب المصرية بالقاهرة تحت رقم ١٤٤٩ تاريخ ، راجع أيضاً حسن حبشى : هجوم القبارصة على الإسكندرية ، المجلة التاريخية المصرية ، ج ١٥ ، ١٩٦٩ ، ص ١ - ٣٥ .

(٣) في ز السلسوني ، وفي ٥ ، والمخاوى : الضوء اللامع ١٠٥/٥ « السكوني » . والضبط أعلاه من الشذرات ٨/٧ حيث قال إنه نسبة إلى سكون : بطن من كنده ، هذا وقد جاء في القلقشندي : نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، ص ٥٩ نقلاً عن الجوهرى إنهم بطن من كنده غلب عليهم اسم أبيهم . فقيل السكون .

(٤) أي في المذهب المالكي .

(٥) تنسب هذه المدرسة إلى الأشرف شعبان بن حسين ، وكانت تجاه طبائخانا قلعة الجبل بالقاهرة ، وظلت قائمة حتى دمها السلطان فرج بن برقوق ، وقد أقام المؤيد مكانها مارستانه الذي تحول سنة ٨٢٥ إلى جامع ، انظر المقرئى : الحطط ٤٠٧/٢ .

ناظر المدرسة الصاحبية^(١) بالصالحية ، حدث عن ابن أبي التائب ومحمد بن أيوب بن حازم وزينب بنت الكمال وغيرهم ، وأجاز له ابن الشحنة . مات في جمادى الأولى وقد جاوز السبعين .

قال ابن حجي : « بلغني أنه تغير بأخرة ولم يحدث في حال تغيره » .

٤٧ - عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد بن داود الكفيري^(٢) صدر الدين الشافعي ، عني بالفقه وناب في الحكم بدمشق ومات بها في المحرم عن أربعين سنة ، « وكانت له همة في طلب الرياسة » . قاله ابن حجي .

٤٨ - عبد الرحمن بن عبد الكافي بن علي بن عبد الله بن عبد الكافي بن قريش ابن طاهر بن موسى الشريف الطباطبي الحسني ، زين الدين مؤذن الركاب السلطاني ، وبقية نسبه في ترجمة الشريف الطباطبي ، كان يجالس الملك الظاهر فاتفق أن جمال الدين^(٣) - لما كان ناظر الجيش - أنف أن يجلس دونه ، فذكر أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم فعتبه على ذلك فأصبح فركب إلى بيت الشريف واستحلّه وأخبره بالمنام المذكور . قرأت بخط الشيخ تقي الدين المقرئزي أنه سمعه من صاحبنا شمس الدين العمري الموقع وذكر أنه حضر ذلك .

٤٩ - عبد الرحمن بن محمد بن أبي عبد الله بن سلامة الماكسيني الدمشقي المؤذن بجامع دمشق ، روى عن الزين عبد^(٤) الغالب بن محمد الماكسيني وابن أبي التائب وغيرهما ومات في جمادى الأولى ، وكان رئيس الجامع كآبيه .

(١) الصاحبية ويقال لها أيضا الصاحبة ، وهي من مدارس الخنايلة بدمشق ، وتنسب إلى ست ربيعة بنت أيوب ، أخت صلاح الدين وتقع بنفح قاسيون ، انظر في ذلك النجدي : الدارس في تاريخ المدارس ، ج ٢ ، ص ٧٩ وما بعدها ، هذا وقد أشار السيد جعفر الحسني في تعليقه عليها إلى ورودها في مخطوط الشيخ دهمان تحت رقم ١٥ ، كما أشار إليها أيضا سوفاجيه في كتابه Les Monuments Historiques de Damas تحت رقم ٩٩ .

(٢) في ز ، ل « الكفري » ، لكن راجع الضوء اللامع ٢٥٦/٤ .

(٣) يعني جمال الدين محمود العمري .

(٤) ترجع أهمية عبد الغالب الماكسيني إلى أنه سمع علي ابن أبي اليسر « شرف أصحاب الحديث » ، وعلى الجمال البغدادي : « جزء ابن السري » ، وعلى المقداد القيسي « صفة المنافق » . هذا وقد كان مولده سنة ٦٥٨ هـ ، ووفاته عام ٧٤٩ هـ : انظر عنه ابن حجر : الدرر الكامنة ٢/٢٤٥٣ .

٥٠ - عبد الرحمن بن موسى بن راشد بن طرخان الملكاوى بن أخى شيخنا شهاب الدين، اشتغل بالفقه، وحفظ «المنهاج» ونظر في الفرائض، واعتزته في آخر عمره غفلة، وكان مع ذلك ضابطاً^(١) لأمره. مات في المحرم ولم يكمل الخمسين.

٥١ - على بن أحمد بن الأمير بيبرس الحاجب المعروف بأمرير على بن الحاجب المقرئ، تلى بالسبع وكان حسن الأداء، مشهوراً بالمهارة في العلاج، ويقال عالج ثمانى مائة وعشرة أرتال. مات في ربيع الآخر وقد شاخ.

٥٢ - على بن أيبك^(٢) بن عبد الله الدمشقى الشاعر، اشتهر بالنظم قديماً، وطبقته متوسطة، وله مدائح نبوية وغيرها، وقد يقع له المقطوع النادر كقوله مضمناً :

مَلِيحٌ قامَ يجذبُ غُضْنَ بَانٍ فَمَالَ الغُضْنَ منعطفًا عليه
وميلُ الغصنِ نحوَ أخيه طَبَعٌ وشبه الشئِ منجذبٌ إِلَيْهِ.

وُلد سنة ثمان^(٣) وعشرين ومات في ثانى عشرى ربيع الأول.

كتب لى بالإجازة، وعلّق تاريخاً لحوادث زمانه.

٥٣ - على بن^(٤) أبى بكر بن يوسف بن الخصيب الداراني - خادم^(٥) الشيخ أبى سليمان الداراني - روى عن شاكر بن التقى بن أبى النشور^(٦) وغيره.

(١) فى ل «حافظاً».

(٢) فى ز «أيبك»، انظر الضوء اللامع ٥/٦٦٥، وقد أعاد ابن حجر ترجمة ابن أيبك فى سنة ٨٠٢ فقال: «على ابن أيبك بن عبد الله التقصباوى الدمشقى، علاء الدين الأديب، وُلد سنة ثمان وعشرين، وتعالى الأدب فقال الشعر الفائق ولكنه بالنسبة إلى طبقة قوته متوسط، وهو القائل:

فى حلب الشهباء ظبى سبا بحاجب أفك من طرفه
لقوسه فى جوشى أسهم والقصد عين التل من ردفه

أجاز لى ومات سنة إحدى وثمانى مائة»، انظر أيضا النجوم الزاهرة ٦/١٣٨ حيث أدرجه فى من مات سنة ٨٠١ هـ.
(٣) فى ظ «ثلاث وعشرين»، وهو نفس التاريخ الوارد فى النجوم الزاهرة، وإن جعلت وفاته يوم ١٣ ربيع الأول. انظر أيضاً الحاشية السابقة، على أن ابن العماد الحنبلى جعل وفاته سنة ٨٠١ هـ، وقال إنه عاش إثنين وسبعين سنة، مما يؤيد أن يكون عام ٧٢٨ هـ سنة مولده؛ انظر فى ذلك شذرات الذهب، ٩/٧.

(٤) ورد اسمه فى ز «على بن على بن أبى بكر... إلخ».

(٥) عبارة «خادم الشيخ أبى سليمان الداراني» ساقطة من ز، ل.

(٦) «اليسر» فى الضوء اللامع ٥/٦٩٢.

- مات في المحرم بدارياً^(١) وكان معصراً ، تغير قليلاً بآخره .
- ٥٤ - علي بن سالم الرمشاوي البهنسي ، مات بدمشق في ذي الحجة .
- ٥٥ - علي بن سنقر العينتاني ، نقيب الجيش . مات في ربيع الآخر .
- ٥٦ - علي بن عثمان بن محمد بن الشمس^(٢) لؤلؤ الحلبي ثم الدمشقي . حدث عن الحجار وغيره ومات في المحرم عن خمس وسبعين سنة ببيت لهيماً .
- ٥٧ - علي بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد المنعم بن عمر بن غددير القواس ، علاء الدين بن شرف الدين بن بدر الدين الطائي^(٣) ، وعمُّ جدّه عمر بن القواس ، وهو آخر من حدث عن الكندي^(٤) بالإجازة . مات في المحرم .
- ٥٨ - علي بن محمد بن محمد بن النعمان الأنصاري الهوي ، نور الدين بن كريم الدين ابن زين الدين ، وُلد في حدود الأربعين ، واشتغل بالفقه ثم تعانى التجارة ثم انقطع ، وكان كثير المحبة في أهل الصلاح يحفظ كثيراً من مناقبهم لا سيما أهل الصعيد ، وكان يكثر التردد للقاهرة .
- اجتمعت به بمصر وفي مدينته التي يقال لها « هو^(٥) » وهي بالقرب من قوص بالصعيد الأعلى ، وكان يذكر عن ابن السراج قاضى قوص ، وكان وجيهاً في زمانه ومكانه ، ويحكى عنه أنه كان في منزله فخرج عليه ثعبان مهول المنظر ففزع منه فضربه فقتله فاحتمل في الحال من مكانه ففقد من أهله ، فأقام مع الجنّ إلى أن حملوه إلى قاضيه ، فادعى عليه ولّى المقتول فأنكر فقال له القاضي : « على أى صورة كان المقتول؟ » ، فقال : « في صورة ثعبان » .
-
- (١) هي قرية كبيرة من قرى دمشق بالفوطة ، انظر عنها مراد الاطلاع ٥٠٩/٢ ، Dussaud : op. cit., p. 297 et notes
- (٢) Le Strange : Palestine under the Moslems, p. 436 ، حيث أشار إلى المصادر الجغرافية والرحلات الوارد فيها التعريف بدارياً .
- (٣) في ل « النهر » ، لكن راجع السخاوي : الضوء اللامع ٨٧١/٥ .
- (٤) أماتها في ه « كذا . يجرر العلائق » .
- (٥) في ل « الكلاب » ، وفي ز « الكلائي » . وفي ه « النيدى » والنصواب ما أثبتناه .
- (٦) عرفها ابن عبد الحق البغدادي في مرآة الاطلاع ١٤٦٧/٣ بأنها بالنم والسكون ، بليدة أزية على تل بالصعيد بالجانب الغربي دون قوص ، ويضاف إليها كورة ، وانظر أيضا محمد رمزي : القاموس الجغرافي ج ٤ ، ص ١٩٩ .

فالتفت^(١) القاضي إلى مَنْ بجانبه فقال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من نزيًا لكم فاقتلوه » ، فأمر القاضي بإطلاق المذكور فرجعوا به إلى منزله .

ذكر لي بعض أقاربه أنه مات في هذه السنة ببيلده ، وهو عم كريم الدين محتسب القاهرة في سلطنة الناصر فرج .

٥٩ - علي بن محمد الميقاتي ، نور الدين بن الشاهد المنجم ، انتهت إليه الرئاسة في حلّ الزيج وكتابة التقاويم ، وقد راج بأخوه علي الملك الظاهر وقرّبه وصار شيخ الطريقة ، وكانت له معرفة بالرمل وغيره . مات في المحرم .

٦٠ - علي بن محمد بن الناصح ، نور الدين المقرئ ، قرأ على المجد الكفسي ونظم قصيدة في القراءات ، وكان يقرئ بجامع المراداني . مات في ذي الحجة .

٦١ - علي بن إبراهيم بن القواس الدمشقي السكري العابر ، كان يجيد تعبير المنامات ويجلس على كرسي بالجامع ، وقد طلب الحديث كبيراً وقرأ وسمع . مات فجأة وهو في الخلاء ولم يشعروا به إلى ثاني يوم . وذلك في ذي القعدة .

٦٢ - علي بن أبي بكر بن سليمان بن أبي بكر بن عمر بن صالح الهيشمي ، الشيخ نور الدين أبو الحسن . ولد سنة اثنتين وثلاثين ، وصحب الشيخ زين الدين العراقي وهو صغير فسمع معه من ابتداء طلبه بنفسه على أبي الفتح الميدوي وابن الملوك وابن القطرواني وغيرهم من المصريين ، ومن ابن الخباز وابن الحموي وابن قيّم الصحابية وغيرهم من الشاميين ، ثم رحل معه^(٢) جميع رحلاته وحجّ معه جميع حجّاته ولم يكن يفارقه حضراً ولا سفيراً ، وتزوج ابنته ، وتخرّج به في الحديث ، وقرأ عليه أكثر تصانيفه ، وكتب عنه جميع مجالس إملائه ، وخرّج زوائد الكتب الستة : مسند أحمد والبخاري وابن يعلى ومعجم الطبراني الثلاثة مفردات ،

(١) أمام هذا الخبر في « بخط البقاعي : « أعجوبة . فلي هذا يكون شيخنا المحافظ من أتباع تبع التابعين إن كان النور الهوى سمع ذلك من ابن السراج » .

(٢) أي مع الشيخ زين الدين العراقي .

ثم جمعها في كتاب واحد محذوف الأسانيد ، وجمع « معاني ابن حبان » فرتبها على حروف المعجم ، وكذلك « معاني العجلي » ، ورتب « الحلية » على الأبواب ، وصار كثير الاستحضار للمتون جدا لكثرة الممارسة .

وكان هينا لينا دينا خيرا محبا في أهل الخير ، لا يسأم ولا يضر من خدمة الشيخ وكتابة الحديث . وكان سليم الفطرة كثير الخير كبير الاحتمال للأذى خصوصا من جماعة الشيخ .

قرأت عليه الكثير للشيخ^(١) ، وما قرأت عليه نحو النصف من « مجمع الزوائد » له ، وقرأت عليه بمفرده نحو الربع من « زوائد مسند أحمد » و « مسند جابر » عن « مسند أحمد » وغير ذلك ، وكان يودني كثيرا ويشهد لي بالتقدم في الفن ، وكنت قد كتبت أوامه في كتابه « مجمع الزوائد » ، فبلغني^(٢) أن ذلك شق عليه فتركته رعاية له . مات في شهر رمضان^(٣) .

٦٣ - عمر بن أيذعُمش الحلبي ، عتيق ابن النصيبى المسند المعروف بالكبير ، وُلد سنة تسع عشرة ، وسمع من العزّ إبراهيم^(٤) بن صالح العجمي فكان خاتمة أصحابه بالسماع ، كما أنه خاتمة أصحاب مشيخة يوسف بن خليل بالسماع . مات في تاسع عشر المحرم .
وكنت لما رحلت إلى دمشق سنة اثنتين وثمان مائة - عزمت على الرحلة إلى حلب لأجله وأنا أظن أنه حيّ فبلغتني وفاته فتأخّرت عنها فإنه كان مسندا ، ودهم الناس اللنك فرجعت إلى القاهرة ، ولم يحصل لي منه إجازة فيما أعلم .

(١) أي من كتب شيخهما زين الدين العراقي .

(٢) الوارد في السخاوى : الضوء اللامع ج ٥ ص ٢٠٢ س ١١ - نقلا عن ابن حجر - أنه قال : وبلغه أني كتبت أوامه في مجمع الزوائد فعاتبني فتركت ذلك إلى الآن . ثم عاد السخاوى مرة أخرى ، نفس الصفحة ، س ١٨ - ١٩ فنقل ما جاء في المتن أعلاه ، ولكنه عاب على أستاذه ذلك فقال مطلقا : « كأن مشقته لكونه لم يعلمه هو بل أعلم غيره ، وإلا فصلاحه ينبو عن مطلق المشقة ، أو لكونها غير ضرورية ، بحيث ساغ لشيخنا الإعراض عنها » .

(٣) أرخ السخاوى ، شرحه ٦٧٦/٥ ، وفاته سنة ٨٠٧ هـ .

(٤) هو إبراهيم بن صالح بن هاشم بن عبد الله بن العجمي الحلبي ، وُلد سنة ٦٤٠ وسمع من يوسف بن خليل وتفرد منه بالسماع ، وكان جنديا في بداية أمره ثم ترك ذلك وجلس مع الشهود ، وكانت وفاته سنة ٧٣١ ، انظر الدرر الكامنة

وقد أجاز ابن صالح المذكور لشيخنا برهان الدين التنوخي، وقرأت عليه بها من مسموعات ابن صالح، وسمعت « عشرة الحداد » على الحافظ برهان الدين الطرابلسي بمساعه من عمر المذكور وغيره .

وكان جنديا عارفاً بالصيد ثم ترك ذلك واستمر في صناعة الفراء المصيص حتى مات ، وقد سمع « الشائل » ، وأكثر عنه الحلبيون والرحالة .

٦٤ - عمر بن محمد البعلى المعروف بابن التركمانى أحد الشهود ببعلبك ، وله نظم نازل ، وكان لا يشاقق رفقته ولا يشط في الأجرة .

مات في ثامن عشر من المحرم وقد جاوز الثمانين .

٦٥ - عمر بن يوسف البالى المؤذن ، اشتغل بالحديث ومهر فيه وسمع الكثير وقرأ مع الخير والدين . مات بوادى الصفراء وهو متوجه إلى مكة في آخر ذى القعدة .

٦٦ - عمر^(١) بن سراج الدين عبد اللطيف الفوى ، وُلد سنة أربعين وسبعمائة^(٢) ، وأخذ بالقاهرة عن جمال الدين الإسنائى وشمس الدين الكلائى وغيرهما ، ثم دخل دمشق فأقام بها مدة ، وصحب القاضى ولى الدين بن أبى البقاء وفتح الدين بن الشهيد ، ثم ارتحل إلى حلب فأقام بها واستمر يشتغل بالجامع الكبير ، وولى قضاء العسكر وتدریس الظاهرية .

قال الشيخ شهاب الدين بن حجرى : « كان فاضلاً وله معرفة بالأدب وصار من علماء الحلبيين » ، وذكر لى جمال الدين بن العراقى أنه كان يعتنى في دروسه بشئ خفى ، وهو أن الدرر مثلًا إذا كان في بابٍ من أبواب الفقه يعتنى بما يتعلّق بنظير تلك المسألة من باب

(١) أشار السخاوى في الضوء اللامع، ج٦ ص٩٥ س٦ إلى أن عمر بن عبد اللطيف الفوى هو عبد اللطيف بن أحمد ، ومن ثم أورد له ترجمة في الضوء اللامع ٨٩٤/٤ ، ويلاحظ أن هذه الترجمة وردت في إضافة أمام ورقة ١٤٢ أ في نسخة ظ ، وقد أسقطت نسخة «ل» هذه الترجمة كلها . وجاء في هامش « بخط الناسخ قوله : « سيأتى في عبد اللطيف في التى بعدها فهو الصواب » انظر ص ١٢١ ، ترجمة رقم ٣٧ .

(٢) ترجم له ابن حجر في ظ مرتين الأولى في ورقة ١٤٢ أ فذكر أنه ولد سنة ٧٤٥ ، ثم عاد في مكان آخر ١٤١ ب فجعل مولده « سنة أربع وأربعين تقريباً » ، والوارد في السخاوى : الضوء اللامع ٨٩٤/٤ أنه ولد سنة ٧٤٠ تقريباً .

آخر فيصرف وجه مطالعته إليه حتى يتقنه إتقاناً بالغاً ، فإذا شرع في درس ذلك الباب وشورك فيه انتقل إلى النظر ، فأبته الحاضرين من قوة استحضاره ما يتعلق بذلك النظر . وكان ماهراً في الفرائض مشاركاً في غيرها ، سريع الإدراك ، كثير الاشتغال ، واتفق أنه خرج من حلب إلى دمشق في أواخر المحرم وخرج منها^(١) قاصداً القاهرة فاغتيال في خان غياغب^(٢) ولم يُعرف قاتله وذهب دمه هدراً ، ويقال إنه تُتبع من حلب . مات في ربيع الأول وقد جاوز الستين .

٦٧ - عمر القيرمي ثم الحلبي ، كان ماهراً في العلم عارفاً بالأدب والنظم ، قدم من بلاده فأقام بحلب ثم تحول إلى دمشق فأقام بها مدة ، ثم توجه منها إلى مصر ومات في الطريق .

٦٨ - فاطمة بنت محمد بن أحمد بن السيف محمد بن أحمد بن عمر بن أبي عمر المقدسية ثم الصالحية ، سمعت من جدّها « أربعين أبي الأسعد » ، وأجاز لها ابن الشحنة وأيوب الكحال وغيرهما ، وماتت في شهر رمضان .

٦٩ - قديد^(٣) القلمطاوي أحد الأمراء الكبار بالقاهرة . مات بالقدس بطالاً أوائل هذه السنة .

٧٠ - قنبر بن عبد الله العجمي السبزوآني^(٤) الأزهرى ، كان^(٥) شافعي المذهب . اشتغل في بلده وقدم الديار المصرية قبل التسعين فأقام بالجامع الأزهر ، وكان مُعْرِضاً عن الدنيا

(١) أى من دمشق .

(٢) غياغب قرية في أول عمل حوران من نواحي دمشق ، راجع ياقوت : المعجم ٣/٧٧١ ، ومرآة الاطلاع ٢/٩٨٢ ، Le Strange : Palestine Under the Moslems, p. 441.

(٣) جاء في هامش « بخط البقاعي » هو والد شيخنا العلامة الصالح ركن الدين عمر بن قديد رحمه الله . أما امر هذا الذي يشير إليه البقاعي فهو المولود بالقاهرة سنة ٧٨٥ ، وكان من كبار الأمراء ، واهمّ بالعلم في فروع المختلفة ، ومات سنة ٨٥٦ بمكة .

(٤) ساقطة من ظ ، ولكنها في ل « الشرواني » ، راجع الضوء اللامع ٦/٧٥٥ ، حيث ذكره باسم « السبزوآني » وأشار إلى أن العيني جملة بالراء بدل الزاي . وانظر أيضا النجوم الزاهرة ٦/١٣٦ وحاشية رقم b هناك .

(٥) من هنا حتى آخر الترجمة ورد في ظ بالصورة التالية « تهر في الفنون العقلية ودخل القاهرة فتصدر بالجامع الأزهر وشغل الطلبة ، وكان حسن التقرير جيد التعليم ، مذكوراً بالتشيع ، مات في شعبان . اجتمعت به مراراً وسمعت درسه » .

قانعاً باليسير ، وكان ملبوسه في الصيف والشتاء واحداً سواء : قميص ولباد ، وعلى رأسه كوفية لبد ، وكان لا يتردد إلى أحد ولا يسأل من أحد شيئاً ، وإذا فُتح عليه بشئ أنفقه على من حضر .

وكان يحب السماع والرقص ويتنزه في أماكن النزهة على هيئة ، ومهر في الفنون العقلية وتصدر بجامع الأزهر وشغل الطلبة ، وكان حسن التقرير مذكوراً بالتشيع ، وشوهد مراراً يمسخ على رجليه من غير خف^(١) . مات في شعبان .
اجتمعتُ به مراراً وسمعتُ درسه .

٧١ - كَمَشْبُغًا بن عبد الله الحموي ، اشتراه ابن صاحب حماة وهو صغير ورباه ثم قدّمه للناصر حسن ثم أخذه يلبغا بعد قتل حسن وصيّره رأس نوبة عنده ، وسُجن بعد مسك يلبغا ثم أفرج عنه في دولة الأشرف وخدم في بيت السلطان ، فلما قُتل الأشرف أمر بحلب نائباً ، ثم عمل بدمشق تقدمةً ثم نيابة حماة ثم عمل نيابة الشام سنة ثمانين ، ثم ناب في صفد ثم طرابلس ، وتنقلت به الأحوال^(٢) وعمل نيابة طرابلس مدة ثم قبض عليه وسُجن بها ، ثم أفرج عنه يلبغا الناصري وتوجه معه لمصر وولاه نيابة حلب :

فلما خرج منطاش إلى برقوق قام كمشبغا بنصر برقوق وقدم إليه من حلب وقاتل معه ورجع إلى حلب ، فلما استقر الظاهر في السلطنة الثانية أحضره إلى القاهرة وقدّمه واستقر أتابك العساكر ، ثم غضب عليه في أول سنة ثمان مائة واعتقله بالاسكندرية إلى أن مات في رمضان .

ولم يعيش الظاهر بعده إلا أياماً يسيرة دون العشرين .

وكان [كمشبغا] شكلاً حسناً مهاباً على الهمة ، وهو الذي جدّد سور حلب وأبوابها وكانت خراباً من وقعة هولوكو ، ولما قام عليه أهل حلب فتك في أهل بانقوسا^(٣) ، ثم

(١) في هامش هـ « هذا ينافي كونه شافياً » .

(٢) Cf. Wiet : Les Biographies du Manhal, No. 1914.

(٣) جبل في ظاهر مدينة حلب من جهة الشمال ، ثم أطلق على محلة ، راجع مرصد الاطلاع ١٥٨/١ ،

وانظر أيضاً Le Strange : op. cit. p. 417 .

لما انتصر الظاهر على منطاش قبض على القاضي شهاب الدين بن أبي الرضى واستصحبه معه كالأسير إلى أن هلك معه من غير سبب ظاهر ، فاتُّهم بأنّه دَس عليه من خنقه ، وذلك أنه كان أشدّ من ألب عليه في تلك الفتنة فانتقم منه لما قوى عليه . رحمه الله .

قال العينتابي : « كان مشتغلا بنفسه ، أفنى أكثر عمره في ملاذ الدنيا ولم يشتهر عنه من الخير إلا القليل مع العسف والظلم وسفك الدماء » . انتهى ملخصا .

٧٢ - محمد بن أحمد بن عبد الحميد بن محمد بن غشم - بفتح الغين وسكون الشين المعجمتين - المقدسي ثم الصالحى شمس الدين ، روى عن زينب بنت الكمال بالحضور ، ومات في رابع شوال وهو في عشر السبعين^(١) .

٧٣ - محمد بن أحمد بن عمر العجلوني ، شرف الدين أبو بكر نزيل حلب ، المعروف بخطيب سمرمين^(٢) ، وكان^(٣) أصله من عجلون ثم سكن أبوه عزاز^(٤) ، وولى أبو بكر خطابة سمرمين وقرأ بحلب على الباريني ، وسمع من ظهير الدين بن العجمي وغيره ، وحج وجاور ووعظ على الكرسي بحلب ، ثم في آخر عمره جاور حتى مات بمكة .

وكان يُنسب جعفرى ويقول إنه من ذرية جعفر بن أبي طالب ، وكانت له عناية بقراءة « الصحيحين » ، ويحفظ أشياء تتعلق بذلك ويضبطها ، وكتب عن أبي عبد الله بن جابر الأعمى المغربي قصيدته « البديعية » وحدث بها عنه ، سمعتها منه لما اجتمعت به بمكة في أول هذه السنة .

(١) وردت بعد ذلك الترجمة التالية « محمد بن أحمد بن أبي العز بن صالح بن وهيب الأذرى الأصل الدمشقى الحنفى شمس الدين بن النور ، ولد سنة إحدى وعشرين ، وأجمع على الحجارة وإسحق الأمدى وعبد القادر بن الملوك وغيرهم وحدث ، وكان أحد العدول بدمشق . مات في صفر » ، راجع ما سبق ص ٦٥ ترجمة رقم ١٧ ، ص ٦٤ حاشية رقم ٨ .

(٢) ذكر مراد الاطلاع ١٠/٢٧١٠ أنها بليدة من أعمال حلب وأهلها إسماعيلية أنظر أيضاً . Le Strange : op. cit., p. 532.

(٣) عبارة « وكان أصله . . . جعفر بن أبي طالب » ص ١٣ غير واردة في ظ .

(٤) بليدة فيها قلعة ولها رستاق شمال حلب ، وهي طيبة الهواء غذية الماء ، صالحة التربة ، لا يوجد بها عقرب ، وإذا

ترك ترابها على عقرب ماتت كما جاء في مراد الاطلاع ١٠/٢٩٣٧ ، أنظر أيضاً . Le Strange : op. cit. p. 405.

جاور بمكة مراراً حتى مات بها في سادس عشرى صفر ، وقد تقدّم في أبي بكر^(١) وكانها كانت كنيةً ولكنه كان بها أشهر .

٧٤ - محمد بن أحمد بن محمد بن علي المصري ، شمس الدين المعروف بابن نجم الصوفي نزيل مكة ، سلك علي يد الشيخ يوسف العجمي وتجرّد وجاور بمكة ثم بالمدينة تسع عشرة سنة فمات بها في ربيع الأول ، وكان كثير العبادة ، قال ابن حجي : « كان علي طريقة ابن العربي وجاوز السبعين » .

٧٥ - محمد بن أحمد بن مسلم الناهي الحنبلي ، شمس الدين .

٧٦ - محمد بن أحمد بن موسى الدمشقي الفقيه الشافعي بدر الدين الرمثاوي^(٢) . اشتغل كثيراً ونسخ بخطه الكثير ودرّس بالعصرونية^(٣) .

مات في ربيع الأول وكان أفتى ودرس ، وكان منجماً قليل الشر . جاوز الأربعين .

٧٧ - محمد بن حاجي بن محمد بن قلاون الصالحى ، الملك المنصور بن الملك المظفر ابن الناصر ، ولد سنة ثمان وأربعين وولى السلطنة بعد عمّه الناصر حسن في جمادى الأولى سنة اثنتين وستين ومدبرُ المملكة يومئذ يلبغا ، وسافر معه إلى الشام وكان عمره إذ ذاك نحو خمس عشرة سنة فترعرع بعد أن رجع من السفر وكبر أمره ونهيه ، فحشى يلبغا منه فأشاع أنه مجنون وخلعه من السلطنة في شعبان سنة أربع وستين ، وكانت مدة سلطنته سنتين وشهرين وخمسة أيام ، واعتقل بالحوش في المكان الذى به ذرية الملك الناصر إلى الآن .

مات في المحرم في تاسعه ، وحضر الصلاة عليه الملك الظاهر وقرّر مرتباً لأولاده وعدهم عشرة أنفس .

(١) راجع ما سبق ترجمة رقم ٢١ وحاشية رقم ٤ .

(٢) لعلها نسبة إلى رمث وهو اسم واد لبنى أسد ، أو رمثة وهي ماء ونخل لبنى ربيعة ، مراد الاطلاع ٦٢٣/٢ .

(٣) هي من آثار فقيه الشام أبي سعيد عبد الله بن محمد بن هبة الله بن أبي عمرو الموصلى المولد ، المتوفى سنة ٥٨٥ .

راجع النجى : المدارس في تاريخ المدارس ٢٩٨/١ - ٤٠٠ .

٧٨ - محمد^(١) بن سعيد بن مسعود بن محمد بن مسعود بن محمد بن علي بن أحمد ابن عمر بن إسماعيل بن الحسن بن علي بن محمد بن إسحاق بن عبد الرحيم بن أحمد ، أبو عبد الله قسيم الدين بن سعد الدين النيسابوري ثم الكازروني الفقيه الشافعي ، نشأ بكازرون^(٢) وكان يذكر أنه من ذرية أبي علي الدقاق ، وأنه وُلد سنة خمس وثلاثين ، وأن المزي أجازه . واشتغل بكازرون على أبيه ، وبرع في العربية وشارك في الفقه وغيره مشاركة حسنة ، مع عبادة ونسك وخلق رضى ، وأقام بمكة مدة طويلة ، وحج سنة اثنتين وثمانين وسبعمئة فجاور بها إلى أن رجع في سنة ثمان وتسعين ، وكان جيد التعليم غاية في الورع في عصرنا ، وانتفع به أهل مكة^(٣) ، مات ببلده بالدار في هذه السنة وله خمس وستون سنة .

٧٩ - محمد^(٤) بن عبد الرحمن بن أحمد بن إبراهيم بن حَجَلَة بن مسلم الجمحي الأصل الدمشقي ، كمال الدين ، كان رئيسا محتشما متمولا باشر نظر ديوان البيع ثم تركه ومات في المحرم .

٨٠ - محمد بن علي بن عثمان بن التركماني ، بهاء الدين بن المصري ، خازن كتب النورية^(٥) وغيرها بدمشق ، أحضر على أصحاب الفخر وغيرهم ، ولم يكن مرضيا . مات في صفر .

٨١ - محمد بن علي بن عطاء الدمشقي ، أمين الدين ، كان فاضلا بارعا عارفا

(١) أنظر فيما بعد ترجمة رقم ٨٨ ، ص ٨٧ .

(٢) مدينة بفارس بين البحر وشيراز ويقال لها دمياط الأعاجم ، راجع مرصد الاطلاع ١١٤٣/٣ . ومجم البلدان لياقوت الحموي .

(٣) في ظ « أهلها » .

(٤) خلت ز ، ل من هذه الترجمة .

(٥) من دور الحديث الشريف بدمشق ، راجع عنها النعمي : الدارس ٩٩/١ وما بعدها .

بالتصوّف والعقليات ، درّس بالأسديّة^(١) وكان يسجّل على القضاة وإليه النظر على وقف جدّه الصاحب شهاب الدين بن تقي الدين . مات في ذي الحجة .

٨٢ - محمد بن علي بن محمد بن علي بن ضرغام بن عبد الكافي البكري ، شمس الدين أبو عبد الله ابن سُكَّر - بضم المهملة وتشديد الكاف - الحنفي المصري نزيل مكة ، ولد سنة ثمانى عشرة وسبعمائة ، وقال مرة : في ربيع الأول سنة تسع عشرة ، وطلب الحديث والقراءات فسمع من ابن المصري وصالح بن مختار وعبد القادر الأيوبي وجمع جمًّا من أصحاب النجيب وابن عبد الدائم ثم من أصحاب الفخر ونحوه ، ثم من أصحاب الأبرقوهي ونحوه ، ثم من أصحاب الحجار وهلم جرا إلى أن سمع من أصاغر تلامذته ، وجمع شيئاً كثيراً بحيث كان لا يُذكر له جزءٌ حديثي إلا ويُخرج سنده من ثبته عالياً أو نازلاً ، وذكر أن سبب كثرة مروياته وشيوخه أنه كان إذا قدم الركب مكة طاف على الناس في رحالم ومنازلهم يسأل عن له رواية أو له حظٌّ من علم فيأخذ عنه مهما استطاع .

وكتب بخطه ما لا يُحصى من كتب الحديث والفقه والأصول والنحو وغيرها ، وخطه ردئ وفهمه بطئ وأوامه كثيرة ، سمعت منه بمكة وقد أقرأ القراءات بها ، وكان كثير التخيل جدا وتغيّر بآخره تغيّرًا يسيرًا ، وكان ضابطًا للوفيات محبًا للمذاكرة . مات في صفر .

٨٣ - محمد^(٢) بن علي بن يعقوب النابلسي الأصل ، شمس الدين نزيل حلب ، وُلد سنة بضع وخمسين وكان فقيهاً مشاركاً في العربية والأصول والمبقات ، وكان قد حفظ أكثر « المنهاج » و « التمييز » للبارزى وأكثر « الحاوى » و « العمدة » و « الشاطبية » و « التسهيل » و « مختصر ابن الحاجب » و « منهاج البيضاوى » وغيرها وكان يكرّر عليها .

قال البرهان المحدث بحلب : « كان سريع الإدراك وكان محافظًا على الطهارة سلم اللسان

(١) من مدارس الشافعية بدمشق ، راجع عنها التميمي : الدارس ١٥٢/١ وما بعدها .

(٢) لم يدرج ابن حجر في ظه هذه الترجمة بين من ترجم لهم وإنما وضعها في جزالة بين ورقتي ١٤٦ ب ، ١٤٧ أ .

صحيح العقيدة ، لا أعلم بحلب أحدا من الفقهاء على طريقته » ، مات في تاسع شهر ربيع الآخر .

٨٤ - محمد بن محمد بن أحمد بن طوق ، بدر الدين بن جمال الدين الكاتب الطواويسى ، سمع بعناية زوج أخته الحافظ شمس الدين الحسينى من أصحاب الفخر ونحوهم ، وحدث عن زينب بنت الخبّاز وغيرها ، وأجاز له جماعة .

مات في أواخر ذى الحجة وكان يباشر ديوان الأسرى والأسوار^(١) مع الشهرة بالكفاءة^(٢) ، قارب السبعين^(٣) .

٨٥ - محمد بن محمد بن محمد الحسينى الشريف ، إمام مسجد العقبية^(٤) وناظر الجامع بها ، وحصلت له إهانة في أيام حصار الظاهر لدمشق - بعد خروجه من الكرك - من أيدي المنطاشية ، فلما ظهر الظاهر رحل هو إلى القاهرة وأدعى على الذى أهانه ولم يزل به حتى ضربت عنقه لأمرٍ أوجب ذلك ، وولاه السلطان نظر الجامع ، ومات يوم تاسوعاء وله نحو الخمسين .

٨٦ - محمد بن محمد الرملى ، ناصر الدين المجود^(٥) صاحب الخط المنسوب ، مات وله بضع وثمانون سنة ، وكان كتب على القلندرى^(٦) وكتب الناس دهرا طويلا ، وكتب عليه بدر الدين بن قليج العلائى وابن عمه أبو الخير بالقدس ، ثم انتقل إلى الشام فأقام به دهرا ثم تحوّل إلى القدس فأقام به ، وكتب بخطه شيئا كثيرا من المصاحف وغيرها ، مات في ذى الحجة .

(١) ساقطة من ل .

(٢) « بالأمانة » في ل .

(٣) « التسمين » في ل .

(٤) راجع التيمى : المدارس ، ٤٢٨/٢ .

(٥) « المجرّد » في ز .

(٦) انظر السخاوى : الضوء اللامع ٣٩/٩ .

٨٧ - محمد بن محمد بن ميمون الجزائري المعروف بابن الفخار - بالخاء المعجمة - المالكي أبو عبد الله . شارك في الفنون وتقدم في الفقه مع الدين والصلاح ، وذُكرت عنه كرامات ومات في ناسع عشر^(١) رمضان بمكة وقد بلغ السبعين^(٢) ، وكان ابن عرفة يعظمه ، وأظن^(٣) أني اجتمعت به في أول السنة .

٨٨ - محمد بن محمد الحديدي القيرواني ، عبد الله ، تقدم^(٤) في محمد بن سعيد .

٨٩ - محمد بن يحيى الخراساني إمام القليجية^(٥) بدمشق ، كان يفهم جيدا ، وقال ابن حجي : « كان من خيار الناس » ، مات في صفر .

٩٠ - محمد بن يلبغا اليحياوي ناصر الدين ، أحد الأمراء الصغار بدمشق ، وكان ينظر أحيانا في أمر الجامع الأموي . مات في المحرم .

٩١ - محمد الكلائي ، صلاح الدين ، أحد المُذَكِّرِينَ على طريقة الشاذلية ، كان شاهدا بحانوتٍ خارج باب زويلة ثم صحب الشيخ حسينا الحبار^(٦) وخلفه في مكانه فصار يذاكر^(٧) الناس وبتت منه ألفاظ منكرة وفيها جرأة عظيمة على كتاب الله ، وضُبطت عليه أشياء مستقبحة فامتنح مرة ومنع^(٨) .

(١) « عشر » في ز .

(٢) « الستين » في ز .

(٣) من هنا لآخر العبارة غير وارد في ظ .

(٤) راجع ما سبق ترجمة رقم ٧٨ ، ص ٨٤ ، وانظر أيضاً فيما بعد ص ١٢٩ ، ترجمة رقم ٦٥ ، وحاشية رقم ١ .

(٥) انظر النعمي : الدارس ٥٦٩/١ وما بعدها .

(٦) « ألخياز » في ز ، وقد وردت بلا تذييل في ظ ، وقد أثبتنا ما بالمتن بعد مراجعة الضوء اللامع للسخاوي ٤٢٦/١٠ ؛ حيث أوردتها مرتين بهذه الصورة .

(٧) في ل ، والضوء اللامع ٤٢٦/١٠ « يذكر » .

(٨) ساقطة من ل ، ز .

ذكر^(١) لى الحافظ صلاح الدين الأقفهسى أنه سمعه يقول فى تفسير قول الله تعالى « مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ » « من ذل^(٢) : ذل نفسه » « ذى : إشارة للنفس » « يَشْفَعُ » : يحصل له الشفاعة » « عُ » أى « افهموا » ، قال فذكرت ذلك للشيخ زين الدين الفارسكورى فمشى معى إلى الشيخ سراج الدين البلقيني فأرسل إليه وعزّره ومنعه من الكلام على الناس ، فأقام بعدها قليلا ، ومات فى مستهل ربيع الأول .

٩٢ - محمود بن عبد الله الكلُستَاني السرائى الحنفى بدر الدين ، اشتغل ببلاده^(٣) ثم ببغداد ، وقدم دمشق خاملاً فسكن باليعقوبية^(٤) ثم قدم مصر فتقرّب عند الجوبانى ، فلما ولى نيابة الشام قدم معه وولى تدريس الظاهرية ثم ولى مشيخة الأبدية بعد الياسوفى وأعطى تصديرا بالجامع الأموى ، ثم رجع إلى مصر فأعطاه الظاهر وظائف كانت لجمال الدين محمود [القيسرى] ، فلما رضى عن جمال الدين استعاد بعضها ، منها^(٥) تدريس الشيخونية ، واستمر بدر الدين فى تدريس الصرغتمشية وغيرها .

ثم لما سار السلطان إلى حلب احتاج إلى من يقرأ له كتابا بالتركى ورد عليه من اللذك فلم يجد من يقرؤه ، فاستدعى به^(٦) - وكان قد صحبهم فى الطريق فقرأه وكتب^(٧) الجواب فأجاد ، فأمره السلطان أن يكون صحبة قلمطأى . فلما اتفقت وفاة بدر الدين بن فضل الله ولأه مكانه فباشر الوظيفة^(٨) بحشمة ورياسة . وكان يحكى عن نفسه أنه

(١) عبارة « وذكر . . . فأقام بعدها قليلا و » س ه غير واردة فى ظ .

(٢) الوارد فى الضوء اللامع ٤٢٦/١٠ « من خل ذل نفسه ذى إشارة للنفس » .

(٣) يعنى بلاد الأشت ، أما هو فنسب إلى سراى .

(٤) « اليعقوبية » فى الضوء اللامع ٥٥٤/١٠ .

(٥) « منها تدريس الشيخونية » غير واردة فى ظ .

(٦) أى استدعى بدر الدين بن عبد الله الكلستانى صاحب الترجمة .

(٧) « وكتب الجواب فأجاد » غير واردة فى ظ .

(٨) يعنى وظيفة كاتب المر .

أصبح في ذلك اليوم لا يملك الدرهم الفرد فما أمسى ذلك اليوم إلا وعنده من الخيل والبغال والجمال والمال^(١) والممالك والملابس والآلات ما لا يوصف كثرة .

وكانت ولايته في ثاني عشرى شوال ، وكان حسن الخط جدا مشاركا في النظم والنثر والفنون مع طيش وخفة . مات في عاشر جمادى الأولى وخلّف أموالاً جمة يقال إنها وُجِدَت مدفونة في كرمى المستراح . وكانت^(٢) مدة ضعفه ستة وأربعين يوما ، فانهتقر في كتابة السر القاضى فتح الدين بن مستعصم نقلا من رياسة الطب ، ويقال إن السلطان اختاره لذلك فقرّره فيها بغير سعي منه .

وقال المينتابى : « كان الكلستانى فاضلاً ذكياً فصيحاً بالعربى والفارسى والتركى ، ونظم « السراجية » في الفرائض وغيرها ، وكان في رأسه خفة وطيش وعجلة وعجب » ، ثم وصفه بخفة العقل والبخل المفرط وأنه قاسى في أول أمره من الفقر شدائد ، ولما رأس وأثرى أساء لكل من أحسن إليه ، وجمع مالا كثيراً لم ينتفع منه بشئ . [لكن] انتفع به من استولى عليه .

وكانت ولايته لكتابة السر بعد موت البدر بن فضل الله في شوال سنة ست وتسعين ، وجرى بعده في وصيته كائنة لشهودها ، منهم القاضى زين الدين التفهنى الذى ولى القضاء بعده .

قرأت بخط القاضى تقي الدين الزبيرى : « إن السلطان أمر ابن خلدون أن يفصل المنازعة التى وقعت بين الأوصياء والحاشية ، فعزل الأمراء أنفسهم فعزّر ابن خلدون التفهنى درقيقه بالحبس ، وأبطل الوصية بطريق باطل لظنه أن ذلك يرضى السلطان ، فلما بلغ السلطان ذلك أنكره وأمر بإبقاء الوصية على حالها » .

(١) غير واردة في ط ، ز .

(٢) من هنا حتى نهاية الترجمة غير وارد في ط .

ووصفه العيني كما تقدم « بالطيش والبخل والعجب » وبالغ في ذمه ، وليس كما قال
فقد أثنى عليه طاهر بن حبيب في ذيل تاريخ والده ووصفه بالبراعة في الفنون العلمية .

وقد قرأت بخطه لغزا في العلم^(١) في غاية الجودة خطأ ونظماً .

وكان كثير الوقعة في كتاب السرّ لاقتصارهم على مارسمه لهم شهاب الدين بن فضل الله
وتسميتهم ذلك « بالمصطلح » وغضّهم ممن لا يعرف ذلك . وحاول مراراً أن يغير « المصطلح »
على طريقة أهل البلاغة ويعتنى بمراعاة المناسبة .

سنة اثنتين وثمانى مائة

فى ثانى المحرم صُرف بدر الدين العيىنى عن الحسبة واستقر^(١) جمال الدين محمد ابن عمر الطنبدى الشهرير بابن عرب فباشرها إلى نصف ربيع الآخر ، ثم صُرف وأعيد العيىنى ثم ناب^(٢) فى أواخر ربيع الأول عن الملقى .

وفيه بدأ تنم نائب الشام بالعصيان ، وكاتبَ الأمراء فأطاعه نائب^(٣) صفد ونائب طرابلس كما تقدّم ، وتأخر عنه نائب حلب ، وأطلق جماعةً من الأمراء المحبوسين وتقوى بهم .

وفيه وقع بين العشير - وهم عربان الشام - اختلاف ، فقتل منهم فى المعركة نحو عشرة آلاف نفس على ما قيل .

* * *

وفى الحادى والعشرين من المحرم وصل الحاجُ وأميرُهُم شيخ الحمودى الذى ولى السلطنة بعد^(٤) ، وكانت السنة شديدة المشقة للحرّ وموت الجمال وكثرة الفقراء فى الركب ، فتحيل عليهم المذكور بأن نادى بئنبع^(٥) : « من كان فقيراً فليحضر خيمة أمير الركب ليأخذ عشرة دراهم وقميصاً » ، فلما حضروا أعطاهم ما رُسم عليهم من جهة صاحب بئنبع وألزمه بإقامتهم عنده إلى أن يجهزهم فى المراكب .

(١) وذلك بعناية قول الأجرود دويدار أيتمش ، راجع عقد الجمان العيىنى ، ورقة ٨٨ .

(٢) يعنى بذلك نيابته فى القضاء .

(٣) وكان فى ذلك الوقت الأمير ألبتغا ، أما نائب طرابلس فهو يونس بطلا .

(٤) ولى المؤيد شيخ السلطنة سنة ٨١٥ .

(٥) انظر المقرزى : السلوك ١٢٠ .

ووقع في الركب الشامى من الموت فجأة أمر عجيب ، حتى كان الرجل يمشى بعد ما أكل وشرب واستراح فيرتعد ميتا ، فمات منهم (١) خلق كثير .

وفي المحرم استقرَّ ابن السائب الرملى في خطابة القدس ، بذل فيها ثمانين ألف [درهم] فصَّرف ابن غانم النابلسى .

وفي ليلة السابع عشر من المحرم زُلزلت دمشق ، وكانت [زلزلة] لطيفة .

وفي الثامن من صفر قبض الأمير تم على أحمد بن خاص ترك شاد الدواوين بالقاهرة ، وكان الملك الظاهر جهَّزه لتحصيل الأموال المتعلقة بالسلطنة في البلاد الشامية ، فتسلَّمه علاء الدين ابن الطبلاوى واستصنى جميع مامعه من مالٍ وغنمٍ وغير ذلك ، ثم بسط [تم] يده (٢) في الظلم والمصادرة ورُمى السكر (٣) وغيره على التجار وذوى الأموال حتى من الفقهاء والأيتام ، فكثُر الدعاء على الأمير تم بهذا السبب وأبغضه عوام الناس وأكثرُ خواصهم .

وفي الثامن عشر من صفر حَلَف الأمير تم الأمراء ، وكان أطلق جلبان وأقبغا اللكاش وعدة من المحبوسين ، وأرسل إلى نائب (٤) طرابلس بأنَّ تجهز مراكبا إلى دمياط لإحضار من كان بها محبوسا (٥) .

وفي صفر قبض على بدر الدين الطوخى وألزم بمائة ألف درهم ثمن لحم تأخر عنده في أيام وزارته للأهـير أَيْتمش ، فتسلَّمه مشدَّ الدواوين وعصره ، فباع واقترض إلى

(١) في ز ، ع « منه » .

(٢) يقصد بذلك إطلاقة يد ابن الطبلاوى ؛ راجع أبو الحسن : النجوم الزاهرة ١٢/١٨٢ .

(٣) وهو السكر الوارد من الغور .

(٤) هو يونس المعروف بباعا وبالرياح ، راجع ترجمته في السخاوى : الضوء اللامع ١٠/١٣٢١ .

(٥) أشار النجوم ١٢/١٨٠ إلى اسم نوروز الحافظى فقط .

أن حصل الأكثر ، وضمّنه (١) المهتار عبد الرحمن بالباقي فأطلق فهرب فوزن عبد الرحمن عنه المتأخر .

وفي نصف صفر صرف (٢) الشيخ نور الدين البكري عن الحسبة وأعيد محمد الشاذلي .
وفي الثامن والعشرين منه كسفت الشمس وصلى بدمشق صلاة الكسوف بعد العصر وخطب .

وفي العشر الأخير من صفر انحل (٣) سعر الحبوب وكان قد ارتفع بسبب نقص النيل قبل عادته (٤) .

وفيه توجه آقبا اللكاش ومعه جماعة إلى غزة من جهة نائب الشام فملكها في ربيع الأول ، وتوجه جُلبان ومعه جماعة إلى حلب ليحاربوا نائبها (٥) ، ثم تبعهم الأمير تم بمن تأخر معه فلما وصل إلى حمص تسلّمها وتسلم القلعة ، ولم يشوَّش على النائب بل قرّر غيره في النيابة ، ثم وصل إلى حماة فحاصرها فاتصل به وصول أيتمش ومن معه فرجع عنها إلى دمشق .

ووصل إليه نائب طرابلس قبله - بعد أن خرج من طرابلس - أن أهلها وثبوا على نائبه [وقتلوه (٦)] ، وفضلوا أبواب البلد الجدد ، فرجع عليهم ودخلها عنوة وقتل من أهلها مقتلة عظيمة ، حتى قيل إن أقل من قتل منهم ألف نفس منهم مفتي البلاد وقاضيتها (٧) ومحلّتها ، وهرب أكثر أهلها ، ومن تأخر إمامقتل وإما صودر .

(١) هذا الخبر غير وارد في ع .

(٢) لا يتفق هذا الخبر وما جاء في ص ٩١ من ١ - ٣ من استقرار ابن عمر الطنبدي في الحسبة من ثاني المحرم حتى منتصف ربيع الآخر من السنة .

(٣) بلغ سعر الرغيف ثمن درهم وزنته سبع أواق ، راجع السلوك ١٢ ب .

(٤) بلغ ارتفاع النيل في نصف المحرم (= ٢٠ توت ١١١٦) ثمان أصابع من ١٨ ذراعا ، انظر السلوك ١٢ ب ، على حين أن الوارد في التوقيفات الإلهامية ، ص ٤٠١ أن غاية فيضان النيل بمقياس الروضة بلغت ١٢ قيراطا ، ١٩ ذراعا ، أما في تقويم النيل لأمين ساهي ١٢٨/١ فقد ذكر أنه بلغ ١٤ إصبعا ، ١٨ ذراعا .

(٥) في ظ « صاحبها » .

(٦) الإضافة من ع ، والمقتول هنا هو نائب النائب واسمه قجقار ، أنظر فيما بعد ص ٩٤ س ٤ .

(٧) في ز ، ظ « قاضياها » .

ومن هرب إلى الديار المصرية قاضي طرابلس الشافعي مسعود ، ونقيب الأشراف بدر الدين بن جمال الدين البلدي ، وأخبر أن يونساً الرماح - نائب طرابلس - أراد إحراق البلد فاشترت منه بثلاثمائة وخمسين ألف درهم جُيِّتَ من بقي من أهلها .

وكان اسم نائب النائب المقتول قُجُقَّار ، والسبب في قتله وصول مركب من جهة مصر وفيها أميران أحدهما قُرَّرَ نائباً والآخر حاجباً ، فدخلوا في الليل إلى الميناء ، فظنوا أنهم فرنج ، فخرج أهل البلد مستعدّين للقتال فوجدوهم مسلمين فانحلت عزائمهم ، ولما علم قُجُقَّار أنهم مخالفون لما هو عليه قاتلهم فقتل منهم جماعة ، ثم ثار العوام فنهبوا بيت نائب الغيبة ، فهرب إلى جهة حمص ، وكسّر العوام أبواب القلعة وغلب الذين جاءوا من مصر وولّوا وعزلوا وأخذوا مغل الأمرء الغائبين ؛ فلما بلغ النائب أرسل ناساً في الصلح فتهيأوا لقتالهم . ثم قدم نائب الغيبة قجقار معه صُرُق^(١) وجماعة ، فدام القتال أياماً^(٢) إلى أن جاء النائب .

ولما هرب القاضي الشافعي استقر في القضاء صلاح الدين بن العفيف وكان يلبس بالجنديّة ثم باشر في الدِّيُونَة وافتقر جدا ، فتوجّه إلى قاضي طرابلس يستمنحه فولى مكانه .

وقبض نائب الشام على بتخاص^(٣) قبل توجّهه إلى حلب ، فلما رجع أطلقه بعد شهر . وفي سادس ربيع الأول ظهر الاختلاف بين الأمرء الخاصكية^(٤) والأمرء الظاهرية القدم ، وذلك أن أيتمش الأتابك كان معه أكابر الأمرء وعندهم التثبيت في الأمور وترك العجلة وكراهة الظلم وغير ذلك ، وكان الأمرء الجدد بخلاف ذلك فلم يتوافقوا ودبت

(١) الضبط من ع ، ز ، والضوء اللامع ١٢٣٧/٣ .

(٢) وذلك لمدة تسعة أيام ، راجع النجوم ١٩١/١٢ .

(٣) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١٩٠/١٢ ، وقد سبق بقلمه دمشق .

(٤) في ع « الناصرية » ، وكلاهما صحيح .

عقارب التشاحن بينهم إلى أن دبّر الأمراء الجدد الأمر ، فكادوا أيتمش ومن معه بأن علموا أن السلطان أن يدعى أنه بَلَغَ [الرشد] ، فطلب^(١) الخليفة في هذا اليوم وقال له بحضرة أيتمش^(٢) : « إنني قد بلغت ، وأريد أن ترشدوني » ، فأحضر القضاة وأهل الفتوى ، وادعى^(٣) ابنُ غراب على أيتمش ، وشهد جماعة من الأمراء وأخذر أيتمش فحكموا برشده^(٤) ، ونُخِلَ على الجماعة ، فتحول أيتمش حينئذ من الإسطبل الكبير إلى بيته^(٥) ، وافترق العسكر فرقتين : إحداهما جراكسة وهم الأمراء الجدد ومن معهم ، والأخرى تُرك وروم وبعض جراكسة مع الأتابك ، فأظهر يَشْبِكُ الخزندار - رأس الأمراء الجديد - أنه ضعيف وعزَمَ على مسك أيتمش إذا عاده ، فبلغ ذلك أيتمش فحذر من والْبَسَ مماليكه ومن أطاعه ، وملكوا الأشرفية التي على باب القلعة ، ووقف أيتمش بالقرب من منزله ، ووقف تَغْرِي بَرْدِي برأس الرميطة من جهة الشيخونية ، وفارس [الحاجب] من جهة مدرسة حسن .

فلما بلغ ذلك يَشْبِكُ ركب فيمن أطاعه^(٦) ودقَّ الكوسات تحت القلعة ، ووقف بيبرس قريب السلطان عند حدره^(٧) البقر ، وطلع إلى القلعة سُودُون طازوسودون المارداني ويَلْبَغَا

(١) أي السلطان .

(٢) نص عبارة السلوك ، ١٣ « ياعم ، أنا قد أدركت وأريد أن أرشد » .

(٣) عبارة المقرزي ، شرحه « وادعى ابن غراب على أيتمش بأن السلطان قد بلغ رشدا » .

(٤) ذكر أبو المحاسن : النجوم ١٨٢/١٢ أن أباه تَغْرِي بَرْدِي وفارساً الحاجب كانا الوحيدين اللذين رفضا الموافقة على ترشيده ، ثم لم يزل أيتمش بهما حتى أذعنا ، ومن هنا يستدل على أن أيتمش لم يقبل الترشيح قبولاً حسناً ، على أنه يظهر من كلام أبي المحاسن : النجوم ، ١٨٣/١٢ أن نزول أيتمش إلى داره كان فيه خراب البيوت .

(٥) وكان بيته عند خط باب الوزير ، راجع في تحديد موقعه اليوم تعليق المرحوم محمد رمزي في النجوم الزاهرة ١٨٠/١٠ حاشية رقم ٢ .

(٦) أوضح أبو المحاسن : شرحه ١٨٤/١٢ عمالِك كل فريق فذكر أن جميع أكابر الأمراء الممالِك القرانين كانوا مع أيتمش البجاسي ، أما عمالِك يشبِك الشمباني الخازندار فهم الأمراء الخاصكية وعمالِك الأَطْباق ؛ أما فيما يتعلق بالقرانين والأَطْباق فراجع Ayalon : Structure of the Mamlouk Army, III, pp. 73 - 77 .

(٧) حدره البقر ، وكانت تقع خارج القاهرة ، وكانت في الأصل - كما جاء في المخطوط ٦٨/٢٠ ، داراً للبقر المخصصة للسواق السلطانية .

الناصرى وإينال بك^(١) بن قَجَمَاس وغيرهم من الأمراء الجدد وحصنوا القلعة ، ووقع القتال بين الطائفتين من ليلة عاشر ربيع الأول ، فلم يلبث أَيْتَمَش أن انهزم هو ومن كان معه وتمت الهزيمة على الباقين فتوجهوا من يومهم ، فأخذوا خيولا خواصا من سرياقوس للسلطان وتوجهوا إلى بلبيس فباتوا بها .

وأفسد المماليك السلطانية بعد هرب أَيْتَمَش ، وتبعهم الزعر والعوام فنهبوا مدرسة^(٢) أَيْتَمَش ووكالته^(٣) ، ورموا النار في الرُّبْع الذى بجوارها حتى [قام] أبو بكر الحاجب إلى طفئها فهُدم من الربع جانب ، ونهبوا جامع^(٤) آق سنقر المجاور لبيته ، ونهبوا تربة خوند زهرا بنت الناصر ، وسرى النهب في بيوت الأمراء الهاربين حتى كادوا أن ينهبوا الدهيشة التى عُمِّرت في أيام أَيْتَمَش للمارستان ، وكسّر الزعرُ حبسَ القضاة وأخرجوا من كان فيها . واستمر مع أَيْتَمَش في الهزيمة تغرى بردى [الكَمَشْبَاوى]^(٥) وأرغون شاه وفارس [الحاجب] ويعقوب شاه ، ودونهم من الطلبة خانات : شادى خجا وأقبغا المحمودى وغيرهما ، ودونهم من العشراوات . وكثر النهب من الزعر وأوباش الترك في بيوت الناس بعلّة الهاربين ، ونهبوا بعض زرائب الفلاحين بصنافير ، ونهبوا جمال جماعة .

* * *

وفي يوم الثلاثاء حادى عشر ربيع الأول صُرف أحمد بن الزين من ولاية القاهرة واستقر قرابغا مَفْرَق فمات ثانياً يوم^(٦) فاستقر بَلْبَان الجركمى ثم صُرف في يومه

(١) « به » في ز ، ع ، ط ، وهو إينال باى في الضوء اللامع ١٠٦٥/٢ ، ١١٧٢/١٠ . وكلا الرسمين صحيح كما هو مستعمل عند مؤرخى هذه الحقبة من عاشوها .

(٢) أنشأها أَيْتَمَش سنة ٥٧٨٥ ، راجع المقرزى : الخطط ٤٠٠/٢ ، وقد أصبحت اليوم مسجداً يعرف بجامع أَيْتَمَش بشارع الحجر ، انظر في ذلك محمد رمزى في النجوم الزاهرة ، ١٦٨/١١ حاشية رقم ٢ .

(٣) لعل المقصود بذلك فندقه كما هو وارد في الخطط ٤٠٠/٢ .

(٤) انظر عنه الخطط ٣٠٩/٢ .

(٥) أضيف ما بين الحاصرتين لزيادة التعريف به والتفرقة بينه وبين غيره ، هذا إذ يلاحظ أنه هو والد أبى المحاسن صاحب كتاب النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة .

(٦) وذلك من جرح كان قد أصابه في الوقعة المشار إليها .

وأعيد ابن الزين ؛ ثم كثر النهب داخل القاهرة فنزلت جماعة من الأمراء وحاربوهم ، فعمد ابن الزين إلى جماعة من المحبوسين في خزانة شمائل فقطع أيدي بعض وضرب جماعة بالمقارع وأشهرهم ، ونادى عليهم : « [هذا] جزء من ينيب بيوت الناس » ، فسكن الحال قليلا ، ثم فتحت أبواب القاهرة ونزعوا السلاح ، واستمر هرب أيتمش ومن معه إلى الشام فوصلوا غزة ، فوجدوا آقبا اللكاش قد ملكها فأكرمهم وأنزل أيتمش بدار النيابة . وتوجه فارس الحاجب إلى الشام مقدمة لم يخبر نائب الشام بأخبارهم ، فرجع نائب الشام إلى دمشق ، ثم دخل أيتمش ومن معه في خامس ربيع الآخر فتلقاهم النائب وبالغ في إكرامهم .

وبلغ ذلك نائب حماة ونائب حلب فراسلا أيتمش بالطاعة ، وعرض النائب على أيتمش الحكم^(١) وبذل له الطاعة فامتنع وقال : « كلنا لك تحت الطاعة » ؛ ثم وصل دمرdash نائب حماة في نصف ربيع الآخر إلى دمشق فبالغ تم في إكرامه ، فأقام خمسة أيام ثم رجع إلى حماة فتجهز ورجع إليهم .

وبرز نائب حلب إلى جهة الشام فخالفه الحاجب وركب عليه في جماعة ، فكسره النائب وقبض عليه وتوجه بالعسكر إلى دمشق فوصل في نصف جمادى الآخرة ؛ وكان الأمراء بمصر قد ظنوا أن نائب حلب معهم فأرسلوا إليه مدداً من المال صحبة قاصد في مركب ، فألقتها الريح بعكا ، فبلغهم مخامرة النائب ، فراسلوا نائب الشام فأرسل إليهم من تسلّم المال منهم .

وقبض بعد هروب أيتمش على جمع كبير ممن كان ينسب إلى هواه فحبسوا بالقلعة وبالإسكندرية وغيرهما ، وأطلق سودون قريب السلطان من الإسكندرية ، وأحضر تراز ونوروز من دمياط ، واستقر بيبرس قريب السلطان أتابكاً ، وسودون طاز أمير آخور ،

(١) هذه إضافة جديدة لأحداث هذه الفترة ينفرد بها ابن حجر ، إذ يستدل على أن نائب دمشق ثم أراد مكايده السلطان وتطييب خاطر الثائرين عليه بأن يسوق الولاية إلى أيتمش .

وتُوروز رأس نوبة ، وسودون دويداراً ، وتَمَرَّاز [الناصرى] أميرَ مجلس ؛ ثم اتفق رأيهم على غزو الشام وخالفهم في ذلك بعض المماليك .

* * *

وفي تاسع عشر ربيع الآخر^(١) قبض على سعد الدين بن غراب ناظرِ الخاص وأخيه الوزير^(٢) وابن قُطَيْنة وعلاء الدين شاد الدواوين وقطبك الأستادار ، وكان ابن غراب زوج ابنته . واستمر بدر الدين الطوخى فى الوزارة ، وشرفُ الدين الدَمَامِينى فى نظر الخاص والجيشِ ثم صُرف بعد سبعة أيام ، وأعيد ابن غراب وأخوه إلى وظائفهما ، وتسلم^(٣) الطوخى وابن الدمامينى . ثم استقر ابن الدمامينى فى قضاء الإسكندرية ، واستمر أخوه محتسباً ، ثم أفرج عن قطبك وابن قطينة وشاد الدواوين : على مال .

وفى أواخر ربيع الآخر استقر الشيخ أبينا^(٤) التركمانى فى مشيخة سرياقوس عوضاً عن أصلم بن نظام الأصفهانى ، واستقر الشيخ شرفُ الدين التبانى فى مشيخة القوصونية عوضاً عن أبينا .

* * *

وفى ليلة الخميس العاشر من جمادى الأولى حصل بمكة مطر عظيم انصبَّ كأفواه القرب ، ثم هجم السيل فامتلاً المسجد حتى بلغ إلى القناديل وامتلات ، ودخل الكعبة من شق الباب ، وكان فى جهة الصفا مقداراً قامه وبسطة ، فهُدْم من الرواق الذى يلى دار^(٥)..... عدة أساطين ، وخربت منازل كثيرة ، ومات فى السيل جماعة .

وفى هذا الشهر تجهَّز تُنم ومن معه للسفر إلى جهة الديار المصرية ، فبلغ ذلك أهل مصر فحَصَّنوا القاهرة بالدروب ، وتوجَّه عسكر الشام فى العُشر الأوسط من جمادى الأولى إلى غزّة .

(١) « الأول » فى السلوك ، ١٥ ب .

(٢) هو فخر الدين بن ماجد بن غراب ، انظر عنه . Wiet : op. cit. No. 1949 .

(٣) الضمير هنا عائد على أربك رأس نوبة ، انظر السلوك ١٥ ب .

(٤) « أنبىا » فى السلوك ١٦ ، و « أنبىاء » فى عقد الجمان لوجه ٩٧ ، وكان نقله من خانقاه قوصون ، ولكن

الصواب ما أثبتناه فى المتن .

(٥) فراغ فى الأصول .

وفي ثامن عشر جمادى الأول صُرف^(١) بدر الدين العيني عن الحسبة واستقرت في
الدين المقريزي .

وفي ثامن جمادى الآخرة استقر نور الدين الحكّري في قضاء الحنابلة ، وصُرف موثق
الدين بن نصر الله .

وفيها أرسل الأمراء من مصر المهتارَ عبد الرحمن للكرك نائبا بها ، وأمر بالقبض على
سودون^(٢) الظريف من غير أن يعلم ، فأظهر أنه حضر بسبب اختراعه ، فلما وصل إليها
استشعر النائبُ بذلك فركب عليه فهرب فكبس منزله فوجد فيه التقليد ، فوَقعت فتنة
كبيرة قُتل فيها قاضي الكرك وموسى بك والقاضي علاء الدين وجماعة من أكابر البلد .

وفي صفر وقع الوباء بالباردة والسعال ومات منه جماعة واستمر إلى نصف السنة .

وفي رابع رجب خرج الملك الناصر فرج ومَن معه^(٣) من عساكر مصر إلى جهة الشام
لمحاربة المخالفين^(٤) ، وسار السلطان في ثامن الشهر المذكور ، واتفق خروج نتم نائب
الشام من دمشق بعد مَنْ تَقَدَّمه من العساكر في تاسع رجب ، وسار من قبة يلبغا يوم
الحادي عشر منه فوصل إلى غزة في ثامن عشره ، فالتقى جاليش السلطان بجاليش

(١) ذكر العيني في عقده ، لوحة ٩٩ - ١٠٠ أنه عزل نفسه بنفسه وذلك أن سودون الدوادار لما استقر في الدوادارية
احتاط على جميع موجود أيتمش ، ومن جملة ما وجد له في شؤنته ستة آلاف إردب قح وألف إردب حمص وألف إردب فول ،
وكان سعر إردب القمح إذ ذاك يساوي ٣٥ درهما قال : «فطلبني المذكور وقال : يع هذا القمح كل إردب بسبعين درهما ، فقلت
له : العادة في ذلك أن يباع بقطع السعر من أرباب الخبرة من الطحانيين والمهاسرة ، فلما سمع ذلك اختبط وغلبت عليه طبيعة
الطمع والجور ، فلما رأيته لا يرجع إلى الله ورسوله أجبت له وفق ما قال طلبا للخلاص من ظلمه وبعداً عن رؤية وجهه ، فخرجت
من عنده وجئت إلى الأمير جكم الموضي من أعز أصحابي وأكبر ملاذي فحكيت له ما جرى وأشهدته على نفسه بأن تركت الوظيفة» .

(٢) كان موته بالتوسيط في رجب سنة ٨٨٢٤ ، راجع عن ولاياته الضوء اللامع ١٠٧١/٣ .

(٣) كان من معه من مقدمي الألوف نوروز الحافظي وبكتمر الركبي المعروف بباطيا وتمرّاز الناصري وبلبغا الناصري .

وسودون الدوادار وسيدى سودون وشيخ الحمودي ، راجع النجوم الزاهرة (ط . القاهرة) ٢٠٠/١٢ .

(٤) وعلى رأسهم أيتمش ونائب الشام .

نائب الشام ، وجرح آقْبغا اللكاش ، وخامر دوردائش المحمدي نائب حلب فدخل في طاعة السلطان ، وكذلك [دخل] أَلْطَنِغَا العثماني نائب صمد وغيرهما لتأم ثمانية عشر أميراً وجمعُ جم من المماليك ، فتمت الكسرة على الباقيين وكان ذلك بتلّ العجول^(١) .

فلما وصلت المنهزمة إلى نائب الشام تغيظ عليهم وأراد مسك بعض أكابريهم فهربوا منه إلى السلطان ، منهم بتخاصر والمنقار وفرج بن منجك ، ودخل العسكر المصرى إلى غزة منتصراً وكانوا في قلة من العليق ، فوجدوا فيها ما يفوق الوصف فاطمأنوا وطابت أنفسهم ، واستمرت هزيمة من انهزم من الشاميين إلى الرملة ، فوجدوا نائب الشام قد نزل بها فأخبروه بما اتفق لهم فهنأهم ، فاعتذروا ببيان سبب ذلك مخامرة من خامر من الأمراء فهدرهم . ثم لم يلبث أن وافاه قاضى القضاة الشافعى صدر الدين المناوى رسولاً من السلطان فى الصلح ، وعرض عليه نيابة الشام على ما كان عليه فى الأيام الظاهرية وما ينبغى من زيادة على ذلك ، أو الوصول إلى باب السلطان ويكون أكبر الأمراء بمصر ، فأظهر [تم] الإجابة ، ووعظه القاضى وخوفه وحذره من التعرض لفساد الأحوال والشقاق ، فأنظره الجواب أياماً وصرفه بجميل ، وبالغ فى إكرامه ، وكان ذلك يوم الثلاثاء تاسع عشر رجب ، فرجع القاضى يوم الخميس فوصل يوم الجمعة وأخبر العسكر بما اتفق .

ثم وصل كتاب نائب الشام يقول : « أنا مستمر على طاعة السلطان ، وما أريد إلا أن أكون نائب الشام لكن بشرطين : أن يعود أيتمش إلى ما كان عليه بالقاهرة ، وأن يسلم السلطان لى يشبك وجركس المصارع وسودون طاز ونحوهم من المماليك الذين على رأيهم ، وأن يُعاد جميع الأمراء الذين مات عنهم الملك الظاهر على ما كانوا عليه . »

فلما تحقق السلطان ذلك أرسل الجواب بالاستعداد للقتال ، فركب نائب الشام من

(١) أمام هذا فى هامش هـ . « تل العجول مكان معروف فى طريق الشام وهو عند غزة . »

الرملة إلى جهة غزة ، وركب السلطان من غزة إلى جهة الرملة ، فالتقى العسكران بالجيتين (١) من بريد واحد على غزة ، فلم يلبث العسكر الشامي أن انهزم ، ومن أعظم أسباب ذلك مخامرة (٢) من خامر من الأجناد ؛ فأمسك نائب الشام وأكثر الأمراء ، وهرب أيتمش وتخرى بردى ويعقوب شاه وأرغون شاه [أمير مجلس ، وبنى نجبا] طيفور إلى الشام ، فلما حصلوا بها وانضم إليهم عدد كبير ممن انهزم أولا وثانيا وأرادوا التحصن بالقلعة وافي كتاب تم نائب الشام إلى نائب غيبته بأن لا يمكنهم من ذلك .

وكان السلطان لما أمسك نائب الشام في الوقعة أمره بكتابة هذا الكتاب بتدبير يشبك وطائفته ، فوصل الكتاب إلى نائب الغيبة فقبض على الأمراء المذكورين وقيدهم ، وكان ذلك في سادس عشرى رجب ، ونودى في البلد بالأمان ، وأن « السلطان انتصر وهو واصل إليكم » .

ثم توجه السلطان من الرملة بعد أن حصل بها قليل أذى لبعض أهلها بسبب ودائع كانت عندهم ، وحصل للمصريين من أثقال المنهزمة والايحيط به الوصف ، واستغنى (٣) الكثير منهم خصوصا الأتباع والغلمان ، [وكان] أول من دخل دمشق من العسكر ناظر الخاص ابن غراب : دخلها في سلخ رمضان ، ثم دخل جكم - وهو رأس نوبة - أول يوم من شعبان ، فنقل الأمراء المقيدين إلى القلعة ، وأنصف الناس من المماليك ومنعهم من التعرض والنهب ومن النزول داخل البلد .

(١) في ز « بالحصين » ، وفي هـ « بالجسرين » وأمامها في الهاش « لعلها بأمر حسن » والتصحيح من النجوم ٢٠٦/١٢ وحاشية رقم ١ .

(٢) رد ابن حجر هزيمة تم كما بالمتن إلى مخامرة بعض جنده عليه ، على حين أن أبا المحاسن - وكان أبوه من ساهو في هذه الأحداث - ذكر في النجوم الزاهرة ٢٠٦/١٢ أنه تقنطر عن فرسه فانهزم غالب عسكره من غير قتال .

(٣) أي اغتنوا .

ودخل في هذا اليوم سودون^(١) قريب السلطان نائباً على الشام ونادى بالأمان ، ثم وصل
تمّ ومَن معه في القيود في ليلة ثانی شعبان فحُبِسُوا بالقلعة أيضاً ، ثم في ضحی النهار
دَخَلَ السلطان ومَن معه فأمسك ابن الطبلاوی وصوردر مَن كان من جهة تمّ ، وهرب صلاح
الدين بن تنكز .

وفي خامس شعبان خُلع على سودون المذكور بِنِيَابَةِ الشام^(٢) وعلى دهرداش [المحمدي]
بِنِيَابَةِ حلب وعلى دقماق بِنِيَابَةِ حماة ، وعلى أَلطُنْبُغَا العُمَانِي بِنِيَابَةِ صَفَد ، وعلى شيخ
المحمودي بِنِيَابَةِ طرابلس وهو الذي تسلطن بعد ذلك وتلقب بالمؤيد .

واستقر شرف الدين مسعود في قضاء الشام عوضاً عن ابن الإخنائي ، وكان قد استقر
وكتب توقيعه في جمادى الأولى لما هرب من طرابلس إلى مصر فلم يُقدّر أنه يباشر ذلك ،
بل سعى الإخنائي إلى أن أعيد إلى وظيفته في يوم الخميس خامس شعبان ، وأعيد مسعود
إلى قضاء طرابلس ، واستقر تقي الدين عبد الملك بن الكفري في قضاء الحنفية عوضاً عن
بدر الدين المقدسي ، وشمس الدين النابلسي في قضاء الحنابلة عوضاً عن شمس الدين بن
مفلح ، وعلاء الدين بن إبراهيم بن عدنان نقيب الأشراف في كتابة السرّ عوضاً عن ناصر
الدين بن أبي الطيب ، واستقر يشبك دويداراً كبيراً .

وفي ليلة السبت رابع شعبان ذُبح أَيْتَمَش^(٣) وأتباعه ومنهم : آقبيغا اللكاش وجلبان
الكمشباغواي وأرغون شاه ويعقوب شاه وفارس [الحاجب] وطيفور وأحمد بن يلبغا
وبيغوت^(٤) [البجاوي الظاهري] ، وأُرْسِلت رأس أَيْتَمَش وفارس خاصة إلى القاهرة

(١) هو الأمير سودون الدوادار المعروف بسيدى سودون .

(٢) كانت هذه ثاني مرة ، إذ كانت الأولى وهو لازال في مصر ، راجع النجوم الزاهرة ٢١٠/١٢ .

(٣) في ظ « ذبح أَيْتَمَش وتمّ ومن معها ومنهم ... » وهذا يخالف ما جاء في ص ١٠٣ س ١ - ٢ من موت
تمّ خفياً ، أما أن النجوم ٢١١/١٢ ذكرت أسماء من ذبح في تلك الليلة وليس فيهم « تمّ » الذي صرحت النجوم ٢١٢/١٢ أنه قتل
بعد شهر ، أعني ليلة الرابع عشر من رمضان ، كذلك خلى السلوك ١٩ ب من ذكر ذبحه أنظر عنه أيضاً :

Ven Berchem : *Materiaux pour un Corpus inscriptionum Arabicarum, Egypte, I, No. 190.*

(٤) في ع « بيغوت » .

فعلقتنا بباب زويلة في تاسع عشر شعبان أو في العشرين منه ثلاثة أيام ، ثم سُلمتا لأهلها ، ثم قُتلَ تمّ نائبُ الشام ويونسُ الرماحُ نائبُ طرابلس بعد ذلك في رابع رمضان خنقاً بالقلعة^(١) وتسلمها أهلها ودفنوها .

واستمر في الحبس تغرى بردى وآقبيغا الجمالي ثم أفرج عنهما^(٢) في آخر السنة .

ووصل قاصدٌ نُعيّرُ ببذل الطاعة ، وأرسل القنّدرَ الذي جرت عادته بإرساله ، ووصل قصادُ نواب البلاد كلها بالطاعة في سادس عشرى شعبان .

وفي صبيحة الرابع من رمضان رجع السلطان من دمشق ، فلما وصل إلى غزة قُتلَ علاء الدين بن الطبلاوى في ثاني عشر شهر رمضان ، ووصل السلطانُ إلى القاهرة في الثالث والعشرين منه .

وفي جمادى^(٣) الآخرة ومُطَّ شعبانُ بنُ شيخ الخانقاه البكتيرية بسبب أنه خدع امرأة فخنقها ودفنها في تربةٍ وأخذ ثيابها وكانت له قيمة ، فظهر أمره بعد أن أخذ أبوه وحُبس بالخزانة ، فلما قبض على شعبان ضُرب فاعترف فقتل بعد أن سُمر ثم وُسط .

وفيها في هذه الأشهر غلت^(٤) الأسعار في الأشياء المجلوبة من بلاد الشام فبلغ سعر اللوز القلب خمس مثقال ، وثمانُ الفستق خمسي مثقال .

وفي رابع عشر رجب أمسك شرفُ الدين بنُ الدماميني وحُبس بالقلعة بسبب أنه افتعل عليه أنه كان سبب مخامرة يلبغا المجنون ، وكانت فتنة^(٥) من مكائد ابن غراب .

(١) أي قلعة دمشق .

(٢) أشارت النجوم الزاهرة ٢١٣/١٢ إلى أن سبب الإبقاء على أبيه تغرى بردى والإفراج عنه يرجعان لشفاعته أخته خوند شيرين (راجع عنها الضوء اللامع ٤٢٧/١٢) أم السلطان فرج التي ماتت في هذه السنة ، (راجع ترجمة رقم ٣٤ الواردة هنا ص ١٢٠) ، أما آقبيغا الجمالي فقد بذل مالا كبيرا ولم يشر السخاوى في الضوء ١٠١١/٢ إلى سبب إطلاق سراحه .

(٣) نقل السخاوى في الضوء اللامع ١١٦٦/٣ هذه القصة بأكملها عن ابن حجر .

(٤) كذلك غلت أسعار المعيشة بالقاهرة فيبلغ إردب القمح ٧٥ درهما ، والحمل الدقيق ١٢٠ درهما ، والخبز كل ٣ أرطال بدرهم ، انظر المقرئى : السلوك ، ورقة ١٩ ب .

(٥) في ظ « هذه » ، وفي ع « فتنته » ، وفي ه « نفقة » .

وفيهما كائنة عمر الدمياطى ، قَبِضَ عليه يَلْبُغًا السالى وضربه مقترحاً وطَوَّفَ به على حمار مقلوب ، وسُجِنَ بالخزانة أياماً ثم أُطْلِقَ بسبب أنه كان بالشيخونية ، فلما ورد كتاب السلطان بما وقع له من النصر بغزة حلف^(١) بالطلاق الثلاث أن ذلك لاصحة له ، ففعل به ذلك .

* * *

وفى شعبان جُرِّسَ بدمشق شخص يقال له إسحق ، كان ينجّم لنائب الشام ويعده أنه يتسلطن ، ونُقِلَ عن الباعونى وابن أبى مدين نحو ذلك ، وناصر الدين بن أبى الطيب كاتب السرّ قولاً وفعلاً ، وسَلِمَ لناظر الخاص فصادره على مال ، وسعى صدرُ الدين بن الأدمى فى الوظيفة بمال كبير فكاد أمره أن يتم ، ثم عدل عنه إلى علاء الدين نقيب الأشراف وأطلق ابنُ أبى الطيب بعد مدة ثم أعيد إلى الترسيم ، وأُخْرِجَ يوم الخميس ثالث رمضان من دمشق على حمارٍ موكلاً به .

* * *

وفى رجب بعد خروج العساكر ثار يلبغا المجنون الأستاذارُ بالوجه البحرى ، فأطلق الأُمراءَ المحبوسين بدمياط وكان السلطان أمرَ بنقلهم إلى الإسكندرية فالتقاهم يلبغا بالعطف فأطلقهم ، وقَبِضَ على الأمير الذى كان موكلاً بهم وهو سُودُونُ المأمورى . ثم وصل فى تلك الحالة إلى ديروط : سودون البيدمرى^(٢) ومعه كَمَشْبُغَا الحضرى وأياس الكَمَشْبُغَاوى وآخران معه ، فأطلقهم سودون أيضاً .

وعمد يلبغا إلى خيل الطواحين بديروط فأخذها ، وتوجّه هو ومن معه إلى دمنهور فقَبِضَ على نائبها ، والتف عليه^(٣) جمع كثير من المفسدين ، فنادى فى إقليم البحيرة بحطّ الخراج عنهم واحتياط على مال السلطان هناك من خراج وغيره ، فلما بلغ ذلك نائب

(١) أى عمر الدمياطى .

(٢) فى ز « التدمرى » .

(٣) أى على يلبغا المجنون .

الغيبة بيبرس قريبَ السلطان جرّد إليهم - بأمر السلطان - جماعة ، منهم : أقبای حاجب الحجاب وتما أربعمائة من مماليك السلطان ، فلما خشى يلبغا أن يدركوه فرّ إلى الغربية ثم إلى المحلة ، فنهب بيت الوالى ، ثم توجه إلى الشرقية ثم إلى العباسية . وخشى الأمير بيبرس على خيل السلطان وخيول الناس فأمر بطلوعها من الربيع بالجيزة ، وسدّت غالب أبواب القاهرة خشيةً من هجوم يلبغا .

ثم بلغ بيبرس النائب فى الغيبة أن يلبغا توجه إلى جهة قطيا فأرسل إليه أمانا صحبة يونس البريدى ، فلما قرأه أمر بتقييد البريدى ، ثم توجه إلى جهة القاهرة ، فبرز للملتقاء الأمراء الذين بالقاهرة فالتقوا بالمطرية ، فحمل عليهم فتكاثروا عليه وكاد أن يؤخذ ، فاتفق أنه خرق القلب وتوجه نحو الجبل الأحمر وتمت الهزيمة على أصحابه واتبعوهم ، فأمسك بعضهم وفرّ بعضهم ، واستمر يلبغا وراء القلعة ساعة ينتظر أصحابه فلم يتبعه منهم إلا عشرون نفساً ، فعلم أن لاطاقة له بالحرب فاستمرّ هاربا ، وتبعه بعض العساكر إلى بركة الحبش فلم يلحق .

وفى ربيع الآخر درس الباعونى فى وظائف ابن سرى الدين بحكم عدم أهليته .

* * *

وفى هذه السنة زاد احتراق بحر النيل إلى أن صار الخوض من بولاق إلى إمبابة ، واشتدّ الحرّ والعطش ، وتزاحم الناس على السقائين ، وصار أكثر الناس يستسقى لنفسه على الحمير بالجرار ، ولم يكن لهم بذلك عهد .

وفى أول شوال قبض على أَلطُنْبُغا والى العرب وكان نائبَ الوجه القبلى لكونه من جهة يلبغا المجنون .

و [فيه] (١) أفرج عن ناصر الدين بن أبى الطيب كاتب سرّ الشام .

* * *

(١) « فيه » غير واردة فى ظ .

وفي ثالث عشر شوال جُرِدَتْ (١) الأمراء إلى الصعيد بسبب يلبغا المجنون ، وكان مملوكه وصل منه بكتاب يسأل فيه أن يكون نائبَ الوجه القبلي ويتدارك (٢) بجميع الأمور فلم يُجِبْ سؤاله ، ثم ورد كتاب والي الأشمونين يخبر فيه أن محمدا بن عمر [الهواري] حارب يلبغا المجنون وكسره واستمرَّ في هزيمته إلى أن اقتحم فرسه البحر فغرق (٣) ، فطلعوا به ميتا وقد أكل السمك وجهه ، ثم أشيع أنه لما انهزم من المعركة لم يُعرف له خبر .

وفي رابع عشرى شوال استقر شمس الدين البجائسي في الحسبة عوضًا عن جمال الدين بن عرب ، وكان جمال الدين استقرَّ في غيبة السلطان في عاشر شعبان عوضا عن تقي الدين المقرئزي .

وفي يوم الجمعة رابع عشرى شوال وقعت بالقاهرة ضجة عظيمة وقت صلاة الجمعة بسبب مملوكين تضاربا فشَهِرَا السيوف ، فشاع بين الناس أن الأمراء اختلفوا وركبوا ، فهرب الناس من الجوامع ، ومنهم من خَفَّفَ الصلاة جدا ، وراح لهم في الزحمة عدة عمائم وغيرها ، وخطفوا الخبز من الحوانيت والأفران ، فبادر ابن الزين الوالي وأمسك جماعة من المفسدين فشَهِرَهُم بعد الضرب ، ونادى عليهم : « هذا جزاء من يسكر ويكثرُ فضوله » . وسكنت القضية ثم نودى بالأمان .

وقيل إن أصل ذلك أن رجلاً ربط حماره إلى دكة خشب بجوار جامع شيخون ، فجذب الحمار الدكة فنفرت خيول الأمراء الذين يصلُّون بالجامع ، وأقبل ناسٌ من جهة الرميلة فرأوا شدة الحركة فظنُّوا أنها وقعة فرجعوا هاربين (٤) ، فتركَّبت الإشاعة من ثم إلى أن طارت في جميع البلد ، ثم خمدت .

(١) انظر المقرئزي : السلوك ، ورقة ١٢٠ - ب .

(٢) في ظ ، ع « يتدارك » .

(٣) أخذ المقرئزي : السلوك ، ٢٠ ب ، بالرواية الأولى فقط .

(٤) فسر المقرئزي : السلوك ، ٢١ ب ، ذلك الخوف بما في نفوسهم من الاختلاف بعد سودون طاز ويشيك .

وفي هذا القُرْبِ ذَبَتِ العداوة بين يَشْبِكَ الدُوَيْدَارِ وبين سودون طاز أمير آخور .

وفي شوال استقر ناصر الدين بن السفاح في نظر الأحباس ونظر الجوالى وتوقيع الدست والدويدارية ، وكان قد صودر بالشام .

وفي آخره^(١) أحرَقَ بالحرم الشريف المكيَّ حريقَ عظيمٍ أتى على نحو ثلث الحرم ، ولولا العمود - الذى سقط من السيل الآتى في أول السنة - لاحترق جميعه ؛ واحترق من العمد مائة وثلاثون عموداً صارت كلسا .

* * *

وفي^(٢) شوال بلغ أهل بغداد عزمُ تمرلنك على التوجه إليهم ، ففرَّ أحمدُ سلطانها واستنجد بقرا يوسف وأخذه ورجع إلى بغداد وتحالفا على القتال وأعطاه مالا كثيرا وأقام عنده إلى آخر السنة ، ثم توجه هو وقرا يوسف إلى بلاد الروم قاصدين لأبي يزيد بن عثمان ، وكان أبو يزيد المذكور قد حاصر في هذه السنة ملطية بعد أن ملك سيواس وولى بها ولده محمد جلبي ، ورتب في خدمته الطواشي ياقوت ، ثم غلب على ملطية ثم رجع إلى برصة ، فوصل^(٣) اللنك إلى قراباغ في شهر ربيع الأول وقصد بلاد الكرج فغلب على تفليس ، ثم قصد بغداد فبلغه توجهُ أحمد بن أويس إلى جهة الشام قصدَ بلاد قرا يوسف فعاش فيها

(١) كان ذلك يوم ٢٨ شوال ، انظر السلوك ، ورقة ٢١ ب . وأماها في هامش ه « احتراق الحرم المكي » .

(٢) في ظ « وفيه » .

(٣) بعد انتهاء حوادث هذه السنة وردت في بقية نسخ المخطوطة الأخرى - غير ظ - إعادة لهذا الخبر بالصورة التالية :

« وفيها توجه اللنك إلى جهة العراق فوصل إلى قراباغ في شهر ربيع الأول منها ، ثم جمع المساكر في جهادى الآخرة وقصد بلاد الكرج فلك تفليس وصار إلى جهة بغداد ، ففر منه أحمد بن أويس ، فلما بلغ اللنك ذلك وأنه اتفق مع قرا يوسف وتوجه إلى بلاد الروم توجه إلى بلاد قرا يوسف فعاش فيها وأفسد ، وبلغ ذلك ابن عثمان قرابلك التركانى وكان قد فتك بالقاضى برهان الدين صاحب سيواس وقتله غدرآ ، وأراد التقلب على سيواس فتمعه أهلها واستمانوا عليه بالتتار الذين في بلاد الروم فهزموه ، ففى أثناء ذلك قصد اللنك البلاد وتوجه إليه ووقف في خدمته وصار يدل على الأماكن ، ويعرفه بالطرق ويسير في خدمته كالدليل ، وكان أهل سيواس كاتبوا أبا يزيد بن عثمان فأرسل إليهم ولده سلمان فلما بلغهم قصد اللنك لهم كاتبوا أبا يزيد فظرفهم اللنك في الجنود في ذى الحجة فحاصرها ودخلها عنوة في الثامن عشر ، فبالغ عكزه في الفساد والتخريب وتوجه بها في البحر وقد ازداد عدة عساكره من غالب المفسدين الهابة ، فنازل بهسنا وكان ما سنذكره » .

فيها وأفسد ، وبلغ قرابلك حال اللنك وذلك بعد أن غلب على صاحب سيواس كما تقدم ، وغلبه عليها سلمان ولد أبي يزيد ملك الروم فسار إلى اللنك فخدمه ودلّه على مقاصده وعرفه الطرقات ، واستقرّ من أعوانه . فدخل اللنك سيواس عنوةً فأفسد فيها عسكره على العادة وخرّبوا ، فرُدَّ آخر السنة وقد كثر أتباعه من المفسدين ، فنازل بهسنا في السنة المقبلة .

وفي ثامن^(١) ذى الحجة أوفى النيل وكسر الخليج الأميرُ يشبك ، وكان السلطان أراد أن يباشر ذلك بنفسه ثم خشى وقوع فتنة فرجع .

وفي السابع والعشرين من ذى الحجة استقرّ موفق الدين بن نصر الدين في قضاء الحنابلة عوضاً عن نور الدين الحكرى بحكم عزله .

* * *

وفي^(٢) هذه السنة كان ابتداء حركة تمرلنك إلى البلاد الشامية ، وأصل ذلك أن أحمد ابن أويس صاحب بغداد ساءت سيرته وقتل جماعةً من الأمراء وعسف على الباقين ، فوثب عليه الباقون فأخرجوه منها وكاتبوا نائب تمرلنك بشيراز ليتسلمها فتسلمها ، وهرب أحمد إلى قرا يوسف التركماني بالموصل فسار منه إلى بغداد ، فالتقى به أهل بغداد فكسروه واستمر هو وقرا يوسف منهزمين إلى قرب حلب ، وقيل بل غلب على بغداد وجلس على تخت الملك ؛ ثم سار صحبة قرا يوسف أو بعده زائراً له ، فوصل جميعاً إلى أطراف حلب فكاتب نائب^(٣) حلب وسألاه أن يطالع السلطان بأمرهما ، فكاتب أحمد بن أويس يستأذنه في زيارته بمصر فأجيب بتفويض الأمر إلى حُسن رأيه ، فخشى دمرداش نائب حلب أن يقصد هو وقرا

(١) في السلوك ، ٢٠ ب « يوم ٢٦ بشنس » ، لكن يستفاد من التوقيعات الإلهامية أن ٢٦ بشنس ١١١٦ ق ، يوافق ٢٦ رمضان ٨٠٢ هـ (= ٢١ مايو ١٣٩٩ م) أما ثامن ذى الحجة : الوارد بالمتن يوافق ٧ مسرى ١١١٦ ق (شرحه ص ٤٠١) ، أما غاية فيضان النيل فقد بلغت حسب التوقيعات : ١٢ قيراطاً و ١٩ ذراعاً ، وكذلك أمين ساي : تقوم النيل ١٩٨/١ .

(٢) أمامها في هامش هـ « ابتداء خبر اللنك إلى الشام » .

(٣) كان نائب حلب إذ ذاك الأمير دمرداش المهندي ؛ والوارد في النجوم الزاهرة ٢١٥/١٢ أنها بشا يسألانه في زولها ببلاد الشام .

يوسف حلب ، فسار^(١) دمرداش نائب حلب ومعه طائفة قليلة ، منهم نائب حماة ليكيس أحمد بن أويس بزعمه ، فكانت الغلبة لأحمد فانكسر دمرداش وقُتل من عسكره جماعة ورجع منهزماً وأسير نائب^(٢) حماه ، ثم فدَى نفسه بمائة ألف .

ثم جمع نُعيير ونائب بهسنا جماعةً والتقوا مع أحمد بن أويس فكسروه واستلبوا منه سيفاً يقال له سيف الخلافة وصحفاً^(٣) وأثاثاً كثيراً ، فوصلت الأخبار بذلك إلى القاهرة فسكن الحال بعد أن كان السلطان أمر بتجريد^(٤) العساكر لما بلغه هزيمة دمرداش نائب حلب ، وأرسل بريديا إلى الشام بالتجهيز إلى جهة حلب ، فراجع النائب في ذلك حتى سكن الحال .

* * *

وفي خامس عشرى ذى الحجة أعلم نوروز بعض اليكاه أن جماعة منهم اتفقوا على قتله في الليل ، فحذر منهم فلم يخرج تلك الليلة من قصره ، فلما طال عليهم السهر ولم يخرج في الوقت الذى جرت عادته بالخروج فيه أتوا إلى باب القصر ونادوا زمام الدار وقالوا له : « أعلم الأمير أن العسكر ركب » ، فبلغ ذلك نوروز فأمره ألا يجيبهم وتحقق ما أخبروه به عنهم ، فلما أصبح افتقد منهم جماعةً هربوا فقبضوا على آخرين وقرروهم فأقرؤا على بعضهم ، فغرق بعضا ونفى بعضاً .

وفي آخر ذى القعدة وصل كتاب نائب الرحبة يخبر فيه أنه صادف ناساً عند خان لاجين يقطعون الطريق فقبض منهم جماعة وسأل نجدة ليسلمهم لهم إلى دمشق ، فقام النائب في ذلك وقعد ، وانزعج الناس لذلك وظنوه أمراً عظيماً وصاروا في هرج ومرج وأشاعوا أن تمرلنك قصد البلاد ، وكنت يومئذ بصالحية دمشق .

(١) في ز « قبادر » .

(٢) وهو إذ ذاك دقاق الحمدي الظاهري برقوق ، وسترده ترجمته فيما بعد في سنة ٨٠٨ ، انظر أيضا السخاوى :

الضوء اللامع ٨٢٠/٣ .

(٣) في ع « تحفا » .

(٤) في ع « تجهيز » .

ثم انجلت القصة آخر النهار عن هذه القضية . فكان ذلك فألا جرى على الألسنة
بذكر تمرلنك ، فإن الأيام لم تمض إلا قليلا حتى طرق البلاد ، فلا قوة إلا بالله .

* * *

وفي ثالث عشر شعبان نزل شهاب الدين بن الحسيني لولده تاج الدين عن درس
الإقبالية^(١) وعمره يومئذ خمسين عشرة سنة ، وحضر قضاة مصر والشام إلا حنبلي مصر ،
وحفظ^(٢) الخطبة جيدا وأداها أداء حسنا، وشرع في تفسير سورة الكهف فأعجبهم^(٣)
وأثنوا عليه .

* * *

وفي هذه السنة أثبت هلال شوال ليلة السبت بحلب مع اتفاق أهل العلم بالنجوم أنه
لا يمكن رؤيته ، فلما كانت ليلة الأحد شهد اثنان برؤية هلال رمضان وهو أيضا لا يمكن ،
وأصبحوا ليلة الاثنين فلم يروا شيئا فأفطروا يوم الثلاثاء وهو سلخ رمضان في الحقيقة ،
فأفطروا يوماً من آخر رمضان بمقتضى ذلك .

وفي شوال ضرب صدر الدين بن الأدمي في محاكمة بينه وبين بعض الناس بسبب
إجارة لوقف الخاتونية^(٤) فخرج ليحلف ثم اختلف كلامه ، وفهم منه الحاجب الاختلاف
فغضب منه وكلمه بكلام غليظ ، ثم أمر بضربه فضرب على مقعدته بضعة عشر عصاً
وكان قد سعى في كتابة السر ، وكاد أمره أن يتم وجُهزت خلعتة ثم بطل ذلك ، فسعى في
النيابة عن القاضي الحنفى فاستنابه ، فعن قريب وقع له ما وقع .

وفيها سعى القاضي بدر الدين بن أبي البقاء في قضاء الشام وكتب توقيعه بذلك بشرط
أن يستقر تدريس الشافعي لولده فلم يُجَبْ إلى ذلك ، فسعى في إبطال ولايته لقضاء الشام ،
واستقر فيها أخوه علاء الدين .

* * *

(١) هي من مدارس الشافعية بدمشق ، وتنسب إلى منشأها جبال الدولة إقبال عتيق ست الشام وخدام نورالدين بن زنفكي ،
وقال ابن شداد عنه في ذيل الروضتين ، ص ٥٩ « هو الخادم ببيت المقدس وقف داريه بدمشق مدرستين إحداهما
لشافعية وهي الكبرى والأخرى للحنفية وهي الصغرى وكان من خدام صلاح الدين » ، انظر أيضا ابن العباد :
شذرات الذهب ٩/٥ ، والنعمي : الدارس في تاريخ المدارس ١٥٨/١ وما بعدها .

(٢) الضمير هنا عائذ على تاج الدين بن شهاب الدين الحسيني .

(٣) في ز « وأعجبه » . وفي ه : « فأعجلوه » .

(٤) من مدارس الحنفية بدمشق ، انظر النعمي : الدارس ٥٠٢/١ .

دكزى من مات

فى سنة اثنتين وثمانى مائة من الأعيان

١ - إبراهيم^(١) بن أبى بكر بن محمد الفرضى^(٢) صاحب الكلاشى ، أصله من البرلس وسكن القاهرة ثم مكة فانتفع به المكيون فى فنّ الفرائض . مات فى المحرم .

٢ - إبراهيم بن عبد الله المغربى المعروف بالحطاب - بالمهمله - سكن المدينة طويلاً على خير واستقامة ، وللناس فيه اعتقاد .

٣ - إبراهيم بن عبد الرحمن بن سليمان السرائى^(٣) الشافعى ، قدم القاهرة وولى مشيخة الرباط بالبيبرسية ، وكان يُعرف بإبراهيم شيخ ، واعتنى بالحديث ولازم الشيخ زين الدين العراقى ، وحصل النسخ المليحة فاعتنى بضبطها وتحسينها ، وكان يحفظ « الحاوى » ويدرس عليه مع الخير والدين .

ومن لطائفه قوله : « كان أول خروج تمرلنك فى سنة عذاب » يشير إلى أن أول ظهوره سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة ، لأن العين بسبعين ، والذال المعجمة بسبعمائة ، والألف والباء بثلاثة .

سمعتُ من فوائده ومن نظمه ؛ وكان^(٤) يُحسن عملَ صنائعَ عديدة مع الدين والصيانة . مات فى ربيع الأول .

٤ - إبراهيم بن محمد بن عثمان بن إسحق الدجوى ثم المصرى ، أخذ عن الشهاب ابن المرّحل وجمال الدين بن هشام وغيرهما فى العربية^(٥) فمهر وشغل فيها ، وكان جل

(١) بدأ ابن حجر فى نسخة ظ ، ورقة ١٥٢ ب ، بوفيات من اسمه « أحمد » .

(٢) راجع ترجمته بإطالة عن هنا فى الضوء اللامع ، ج ١ ص ٣٥ - ٣٦ .

(٣) أنظر الضوء اللامع ج ١ ص ٥٨ .

(٤) من هنا حتى نهاية الترجمة غير وارد فى ظ .

(٥) أشار السخاوى فى الضوء اللامع ج ١ ص ١٥٣ ، إلى أن المقرزى أخذ عنه النحو وحفظ عنه حكايات .

ما عنده حلّ « الألفية » و « الخلاصة » ، وكان يتكسب بالشهادة والعقود ، وفيه دعابة وفطنة ، وأظنه قد بلغ الثمانين . مات في ربيع الأول .

٥ - إبراهيم^(١) بن موسى بن أيوب الأبناسي^(٢) الشافعي ، برهان الدين أبو محمد نزيل القاهرة ، وُلد في أول سنة خمس وعشرين وسبعمائة ، وسمع من الوادي آشي وأبي الفتح الميدوي ، وأخذ عن اليافعي والشيخ خليل بمكة ، وعن عمر^(٣) بن أميلة وغيره بدمشق ، واشتغل في الفقه والعربية والأصول والحديث ، وتخرّج بمغلطاي ، وتفقه على الإسوي والمنفلوطي وغيرهما ، ودرّس بمدرسة السلطان حسن وبالأثار [النبوية^(٤)] وغير ذلك ، واتَّخَذَ بظاهر القاهرة [في المقس] زاوية أقام بها يُحسِن إلى الطلبة ويجمعهم على التفقه^(٥) ويرتب لهم ما يأكلون ويسعى لهم في الأرزاق ، حتى صار أكثرُ الطبّة بالقاهرة من تلامذته . سمعتُ منه كثيراً وقرأتُ عليه في الفقه ، وكان يتقشّف ويتعبّد ويطرح التكلف ، وعيّن مرة للقضاء ، فلما بلغه ذلك تواري وذكر أنه فتح المصحف في تلك الحالة فخرج له (قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ^(٦)) . الآية .

وولى مشيخة سعيد السعداء مدة ، ولم يزل مستمرا على طريقتة في الإفادة بنفسه وعلمه إلى أن حجّ في سنة إحدى وثمانمائة فمات راجعاً في المحرم سنة اثنتين ، ودُفن بعيون القصب ، ورثاه الشيخ زين الدين العراقي بابيات على قافية الدال .

(١) في ظ ، ه « إبراهيم بن أيوب بن موسى » ، والرسم المثبت أعلاه من بقية نسخ الإنباء المستعملة هنا وكذلك شذرات الذهب ١٣/٧ . أما في السلوك ، ٢١ ب فهو « إبراهيم بن حسن بن موسى بن أيوب » .
(٢) الضبط من عقد الجمان ١١٥/٣ ، ويلاحظ أن ترجمته به تكاد تكون نفس الترجمة الواردة بالمتن أعلاه .
(٣) وكان يعرف بمسند عصره ، راجع عنه ابن حجر : الدرر الكامنة ٢/٣٩٩٧ .
(٤) الإضافة للإيضاح من الضوء اللامع ج ١ ص ١٧٣ .
(٥) في ز « النفقة » .
(٦) سورة يوسف ١٢ : ٣٣ .

٦ - إبراهيم بن نصر الله بن أحمد بن أبي الفتح الكنانى العسقلانى ثم القاهرى ، سبط علاء الدين الحرانى ، وُلد فى رجب^(١) أو شعبان سنة ثمان وستين ، وولى القضاء بعد والده وعمره سبع^(٢) وعشرون سنة ، وسلك طريق أبيه فى الفقه والتثبت فى الأحكام مع بشاشة ولين جانب ، وكان الظاهر [برقوق] يعظمه ويرى له ؛ مات فى ربيع الأول .

٧ - أحمد بن إسحق بن مجد الدين بن عاصم بن سعد الدين محمد بن عبد الله الأصبهاني ، جلال الدين بن نظام الدين المعروف بالشيخ « أصلم^(٣) » ، شيخ خانقاه سرياقوس وابن شيخها . مات فى ربيع الأول^(٤) ، وكان مذكوراً بمعرفة علم الحرف^(٥) ، وقد تقدّم فى الحوادث شئ من ذلك ، وتقدّمت وفاة أبيه^(٦) سنة [ثلاث و [ثمانين] .

٨ - أحمد بن أويس [بن عبد^(٧) الله] الجبرقى المصرى الشافعى مدرّس تربية الست بالصحراء . مات فى ربيع الأول .

٩ - أحمد^(٨) بن خلف المصرى شهاب الدين ناظر المواريث ، كان أبوه مهتاراً عند ابن فضل الله . مات فى جمادى الآخرة .

(١) لاكتفى ابن حجر حين ترجمه فى رفع الإصر ، ج ١ ص ٨٢ ، بذكر شهر رجب فقط .

(٢) هذه أيضاً هى رواية السخاوى : الضوء اللامع ج ١ ص ١٧٩ ، والظاهر أنه نقلها من الإنباء ، على حين أن ابن حجر ذكر فى رفع الإصر ، ٨٢/١ أنه ولى القضاء « ولم يكمل الثلاثين » وإن لم يختلف عما ورد فى المتن حيث أشار إلى أن مولده كان سنة ٧٦٨ هـ .

(٣) فى ظ « أصلم » ، وفى عقد الجمان ، لوحة ١١٤ « اسلام » .

(٤) هكذا فى بقية نسخ المخطوطة عدا ظ ، والعقد ١١٤ ، وقد تردد السخاوى فى الضوء اللامع ، ج ١ ص ٢٢٦ ، س ٢٤ - ٢٥ بين شهرى ربيع الأول والآخر .

(٥) فى ز « الحديث » ، وهذا وقد نقل السخاوى : شرحه ، عن العيني أن نسبته إلى علم الحرف بوست صهيبة .

(٦) راجع إنهاء الغمر ، ج ١ ، وفيات سنة ٧٨٣ تحت رقم ١٠ ، ص ٢٤٣ .

(٧) الإضافة من الضوء اللامع ١/٢٤٥ .

(٨) نقل السخاوى فى الضوء اللامع ١/٢٩٣ ، هذه الترجمة دون أى تغيير .

١٠ - أحمد بن خليل بن كَيْكَلْدِي^(١) العلاني المقدسي ، أبو الخير ، سمع بإفادة أبيه^(٢) من الكبار كالحجّار وغيره من المسنين والمزى وغيره من الحفاظ بدمشق ، ورحل به إلى القاهرة فأسمعه من أبي حيان ومن عدة من أصحاب النجيب ، وسكن بيت المقدس إلى أن صار من أعيانه ، وكانت الرحلة في سماع الحديث بالقدس إليه فحدث^(٣) بالكثير ، وظهر له في أواخر عمره سماع في « سنن ابن ماجة » من الحجّار^(٤) ورحلتُ إليه من القاهرة بسببها في هذه السنة فبلغتني وفاته وأنا بالرحلة فعرجتُ عن القدس إلى دمشق ؛ وكان موته في ربيع الأول وله ست وسبعون سنة ، وقد أجاز لي غير مرة .

١١ - أحمد بن داود بن محمد الدلاصي^(٥) شهاب الدين شاهد الطرخاء ، كان من الأعيان المعتبرين بالقاهرة ، مات في ربيع الأول .

١٢ - أحمد بن شاور العاملي^(٦) ، كان عالماً بالفرائض مشاركاً في غيرها . مات في صفر .

١٣ - أحمد بن عبد الله التركمانى أحد من كان يُعتقد بمصر . مات في ربيع الأول .

١٤ - أحمد بن عبد الخالق بن محمد بن خلف الله المَجَاصِي - بفتح الميم والجيم مخففاً وهى إحدى قرى المغرب - كان شاعراً ماهراً^(٧) ، طاف البلاد وتكسب بالشعر ، وله مدائح وأهاجى كثيرة ، مات بالقاهرة في ربيع الآخر وقد ناهز الثمانين ، وكان حينئذ صوفياً بسعيد السعداء .

(١) الضبط من ز .

(٢) راجع ترجمته في الدرر الكامنة ١٦٦٦/٢ ، والشذرات ١٩٠/٦ .

(٣) العبارة من هنا حتى « رحلت إليه » في السطر التالى غير واردة في ز .

(٤) من أول الترجمة حتى هنا وارد بالنص في العيني ، عقد الجان ، لوحة ١١٤ .

(٥) ناب عن المقرئى في الحسبة ، راجع الضوء اللامع ٢٩٨/١ .

(٦) « أنظر عقد الجان » ، لوحة ١١٤ ، والضوء اللامع ٣١١/١ ، وهذه الترجمة واردة بالنص في العيني : شرحه .

(٧) هذه الترجمة واردة بأكملها في عقد الجان لوحة ١١٤ ، غير كلمة « ماهراً » فهى هناك « مشهوراً » .

١٥ - أحمد بن علي بن أيوب المنوفي ، شهاب الدين ، إمام الصالحية بالقاهرة ، اشتغل كثيراً ، وكان كثير المزاح حتى رماه بعضهم بالزندقة . مات في صفر وله ستون سنة .

١٦ - أحمد بن علي بن محمد بن علي بن يوسف الدمشقي الحنفي ، كمال الدين المعروف بابن عبد الحق ، ويعرف قديماً بابن قاضي الحصن ، وعبدُ الحق هو جدّه (١) لأمه وهو ابن خلف (٢) الحنبلي ، سمع الكثير بإفادة جدّه لأمه شمس الدين الرقي (٣) من علي بن محمد البندنجي (٤) وأبي محمد بن أبي التائب وغيرهما حضوراً ، ومن عائشة بنت المسلم الحرانية والمزى وخلقٍ كثير من أصحاب ابن عبد الدائم .

سمعت عليه كثيراً وكان قد تفرّد بكثير من الروايات ، وكان عسراً في التحديث ؛ مات في ثامن ذي الحجة وأنا بدمشق وقد جاوز السبعين .

١٧ - أحمد بن محمد بن أحمد بن السيف شهاب الدين الحنبلي ، سمع من علي بن العز وفاطمة بنت العز وغيرهما وحدث . مات في جمادى الآخرة ، ولى منه إجازة .

١٨ - أحمد بن محمد بن أحمد بن سليمان بن حمزة المقدسي الحنبلي ، شهاب الدين ابن عز الدين ، سمع من العز محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن أبي عمر (٥) وغيره ؛ مات في المحرم وله إحدى وستون سنة ، ولى منه إجازة .

(١) في الضوء ٩٤/٢ « جد جده لأمه » .

(٢) في الضوء اللامع ، ٩٤/٢ « خليل » .

(٣) هو محمد بن أحمد بن علي الرقي الحنفي الأعرج ، انظر ترجمته في النيمى : الدارص ٢٩٨/٢ نقلاً عن الشريف الحسيني في ذيل العبر ، وابن حجر : الدرر الكامنة ٣/٣٤٢٣ .

(٤) انظر الدرر الكامنة ٣/٢٨٩٢ .

(٥) انظر ترجمته في الدرر الكامنة ٣/٣٢٨٤ .

١٩ - أحمد بن محمد بن عبد البر [بن^(١) يحيى بن علي] السبكي ، شهاب الدين ابن قاضي القضاة بهاء الدين بن أبي البقاء ، ناظر بيت المال بالقاهرة ؛ ناب في الحكم عن أخيه بدر الدين ، ومات في ربيع الآخر .

٢٠ - أحمد بن محمد الأخوي^(٢) الخُجَنْدِي أبو طاهر الحنفي ، نزيل المدينة ، حدث بجزء عن عز الدين بن جماعة ، وشغل الناس بالمدينة أربعين سنة وانتفع الناس به لدينه وعلمه . مات وقد جاوز الثمانين .

٢١ - أحمد بن محمد الطولوني المهندس ، كان كبير الصناع في العمائر ما بين بناء ونجارٍ وحجّارٍ ونحومٍ ويقال له « المِعْلَم » ، وكان من أعيان القاهرة حتى تزوج الملك الظاهر ابنته فعظم قدره ، وكان قد حجّ بسبب عمارة المسجد الحرام فمات^(٣) راجعاً بين مرو وعسفان^(٤) .

٢٢ - أحمد بن محمد الطوخي^(٥) الناسخ ، شهاب الدين ، كان جيد الخطّ حسن الضبط ، سريع الكتابة جدا ، يقال إنه كان يكتب بالمدة الواحدة عشرين سطرأ .

وأُنجب عدة أولاد^(٦) منهم : محب الدين [محمد] الذي اشتغل كثيرا ومهر ثم ترك وتشاغل بالمباشرة عند كبير النجار برهان الدين المحلّي ثم انكسر [للبرهان] عليه مال

(١) الإضافة من الضوء اللامع ٢/٣٥١ .

(٢) أشار السخاوي في الضوء اللامع ٢/٥٣٠ أنه عرف « بالأخوي لكون جده والد والده ووالد والدته أخوين فيها أبناء عم » . أما « الخجندی » فنسبة إلى خجندة التي عرفها مراردا الاطلاع ١/٤٥٣ ، بأنها بلدة مشهورة فيما وراء النهر على شاطئ سيحون ، وكلها دور ويساتين ، وذكر الأرنؤب : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٥٢٢ أنها أول مدن فرغانة من الغرب ، هذا وقد جاء في هامش بخط البقاعي : « سيأت في سنة ثلاث وهو أبو شيخنا للبهائي » انظر ترجمة رقم ١٨ في وفيات سنة ٨٠٣ ، ص ١٥٦ من هذا الجزء .

(٣) إكتفى المقرئزي : السلوك ٢٢ ابقوله « مات بطريق مكة » .

(٤) أمامها في هامش بخط الناسخ « يحزر هل هو الذي تقدم في السنة التي قبيلها : أحمد بن أحمد بن محمد أو غيره ؟ » .

(٥) أي من طوخ بنى مزيد كما جاء في الضوء اللامع ٧/١٧٦ ، ولكن مراردا الاطلاع ٢/٨٩٥ قال « طوخ : قرية بالجوف الغربي ، يقال لها طوخ مزيد » وفي نسخة أخرى منها « ابن مزيد » .

(٦) هم ولي الدين محمد أبو الفتح المتوفى سنة ٨٣٨ هـ (الضوء اللامع ٧/١٧٧) وخو : محب الدين محمد الذي تكلم عنه ابن حجر في المتن أعلاه ، والتاج محمد .

فضيَّق عليه فأظهر الجنون وتمادى به الحال إلى أن صار جَدًّا فانخبل عقله ، وصار يمشى في الأسواق وببده هرأوة ويقف فيذكر جهراً ، وتمادى على ذلك مدَّة بحيث كثر من يعتقده ، واستمر على ذلك نحواً من أربعين سنة ، وفي بعض الأحيان يتراجع وينقطع وينسخ بالأجرة ثم يرجع لتلك الحال ، وهو^(١) في حال تسطير هذه الأسطر في قبد الحياة سنة تسع وأربعين^(٢) وذكر لي أن مولده سنة أربع وسبعين .

٢٣ - إسماعيل بن إبراهيم بن محمد بن علي بن موسى الكناني^(٣) البليسي ثم المصري القاضي مجد الدين ، وُلد سنة ثمان أو تسع وعشرين وسبعمائة ، وسمع من أصحاب النجيب والعزَّ الحرائيين ، ولازم الزينلي في الطلب فأكثر من سماع الكتب والأجزاء ، وتخرَّج بمغلطاي والتركماني ، واشتغل بالفقه والفرائض فمهر فيها ، ونظم الشعر وشارك في الأدب ، وباشر نوقيع الحكم وناب في القضاء ، وشجر بينه وبين شمس الدين الطرابلسي شيء فلم يَنْبُ له بل صبر حتى اشتغل بالقضاء ثم عزل . وله تأليف في الفرائض . سمعتُ تاج الدين بن الظريف بطربه ، واختصر « الأنساب » للرشاطي ، و [تذكرة] فيها فنون كثيرة .

ولما ولى القضاء كان منعكفاً في جوارِ الجامع الأزهر في رمضان فباشره فلم يُرزق فيه السعد ، ثم أشاع عنه جمال الدين العجمي أنه يتبرم بالسفر مع السلطان ويدعى العجز عن الحركة ، واتفق أنه كان ثقيل البدن ، فكان إذا حضر الموكبَ وأراد القيامَ اعتمد على الأرض وقام بمشقة ، فكان السلطان يعاين منه ذلك فصدَّق ما قيل عنه فعزله ولم يتم سنة ، واستمر إلى أن مات بعد أن ازداد ضعفه وانهمز وساءت حاله جدا . مات في أوَّل^(٤) ربيع الأول ، ومن شعره :

(١) أي محب الدين محمد المتوفى سنة ٨٥٢ هـ ، راجع الحاشية السابقة والضوء اللامع ١٧٦/٧ وانظر فيما بعد ، ص ١٢٥

حاشية رقم ١ .

(٢) في هامش هـ « ثم مات بعد الحسين . تحرر سنة وفاته » ، لكن راجع الحاشية أعلاه .

(٣) في ك « الكافي » . لكن انظر ابن حجر : رفع الإصر ، ١١٦/١ .

(٤) الوارد في النجوم الزاهرة ١٤٧/٦ أنه مات في خامس جمادى الأولى ، وأشار السخاوي في الضوء اللامع ٨٩٧/٢

إلى ماورد في المتن ، واعتمد عليه في بيان ما سهى به قلم ابن حجر في معجمه من جملة وفاته عاشر جمادى الأولى .

لأنحسبَنَّ الشِعْرَ فَضْلاً بَارِعاً ما الشِعْرُ إِلَّا مِحْنَةٌ وَخَبَالٌ
فَالهَجْوُ قَذْفٌ ، وَالرِّثَاءُ نِيَاحَةٌ وَالْعَتَبُ صَعْبٌ ، وَالْمَدِيحُ سُؤَالٌ^(١)

٢٤ - أَيْتَمَشَ^(٢) البجاسى الجركسى، كان يَمُنُّ قام مع برقوق في ابتداء إمرته فأبلى في كائنته بلاءً حسناً فحفظ له ذلك وصار عنده مقرباً ، ثم كان هو مقدّم العساكر التي جهّزها الظاهر لقتال يلبغا الناصري لما خرج عليه ، فكسره الناصري وحبسه بدمشق ، فلما خرج الظاهر من الكرك خلع ، واجتمع بالظاهر لما توجه لمصر فقررّه أميراً كبيراً، ثم لما حضر الظاهر الموت أوصاه على ولده [فرج] وجعله المتكلم في الدولة فأل أمره إلى أن قُتِلَ كما تقدّم .

٢٥ - أبو بكر بن عثمان بن الناصح الكفرسوسى^(٣) المؤدّب ، صحب الشيخ عليا البنا وأخذ طريقته ، وكان قد تصدّى للعمل في البساتين مع النصيحة في عمله ، ثم حفظ القرآن على كبر وتصدّى لتعليمه فكان يعلم الصبيان ويتورّع ، وكانت عنده وسوسة في الطهارة ، وسكّن - لما كبر - الميزّة^(٥) . مات في جمادى الأولى وقد جاوز الستين .

٢٦ - أبو بكر بن يحيى بن محمد بن بلول^(٦) (بلامين) أمير توزر ، حاصره صاحب إفريقية أبو فارس حتى قبض عليه فصلبه حتى مات في هذه السنة .

(١) ورد هذا البيت في النسخة المطبوعة من رفع الإصر ١٢٠/١ هكذا :

في الهجو قذف والرثاء نياحة والعتب صغن والمديح سؤال

وفي السخاوى : الضوء اللامع ٨٩٧/٢ « العتب صغن » ، وفي عقد الجان للعبى لوحة ١١٦ « والعيب صلغن » وهو تصحيف من النسخ .

(٢) خلت ظ من هذه الترجمة ، انظر عنه Wiet: Les Biographies du Manhal Safi, No. 581.

(٣) هذه الترجمة واردة بنسخها في الضوء اللامع ١٣١/١١ حيث نقلها عن الإنباء .

(٤) نسبة إلى كفر سوس أو كفر سوسية « من قرى دمشق » ، مرصد الاطلاع ١١٧٠/٣ ، انظر عنها

Strange : op. cit. p. 472. Dussaud : Topographie Historique de la Syrie Antique et Médiévale, p. 304 et seq.

(٥) عرفها ابن عبد الحق البغدادي : مرصد الاطلاع ١٢٦٦/٣ بأنها قرية كبيرة غناء في أعلى القوطة في سفح الجبل

من أعلى دمشق ، انظر Dussaud. op. cit. p. 291

(٦) في « ملول » ، وفي ظ والضوء ٢٦٦/١١ « يملون » ، أما توزر فن أعمال الجريد من نواحي الزاب

الكبير ، انظر مرصد الاطلاع ٢٨٠/١ .

٢٧ - بركة بنت سليمان بن جعفر الإسنائي ، زوج القاضي تقي الدين الإسنائي ، سمعتُ على عبد الرحمن بن عبد الهادي وحدثت . ماتت في سلخ المحرم .

٢٨ - بهادر بن عبد الله [الشهابي^(١) الطواشي] مقدم المالك كان ليلبغا ، وولى التقدمة من قبل سلطنة الظاهر إلى أن مات ، وخرج من تحت يده خلق كثير من أكابر الأمراء ، من آخرهم شيخ المحمودى الذى ولى السلطنة ، وكان بهادر المذكور محترماً كثير المال محبباً في جمعه . مات في رجب بالقاهرة وقد هرم .

٢٩ - تَنَمَّ^(٢) الظاهري ، تنقل في خدمة برقوق إلى أن ولّاه نيابة دمشق ، وفي سنة سبع وسبعين قاد الجيوش الإسلامية إلى سيواس نجدةً لصاحبها برهان الدين بأمر [أستاذه] الظاهر ، ولما مات الظاهر أظهر لهم المخامرة وطلب السلطنة فأطاعه نواب الممالك ، ثم وصل^(٣) إليه العسكر المصرى مع أيتمش ومن معه فتقوى بهم ، ثم كان من محاربة الناصر ومن معه لهم ما تقدم ، وكانت الكسرة على تَنَمَّ ومن معه فأسروا ثم قتلوا . وكان شجاعاً مهيباً جواداً حسن التدبير ، وله خان وسبيل بالقرب من القُطَيْفَةِ^(٤) وتربةً بدمشق^(٥) ،

٣٠ - جُلبان^(٦) ، تنقل في خدمة الظاهر إلى أن ولّاه نيابة حلب عوضاً عن قرا دمرdash سنة ثلاث وتسعين . وجرت له مع التركمان وقعة بالباب^(٧) فانتصر عليهم ، ثم جرت أخرى مع نُعَيْرٍ فانتصر عليه أيضاً ، ثم قبض عليه الظاهر سنة ست وحبسه مدةً بالقاهرة ثم أطلقه واستقر أميراً كبيراً بدمشق ، ثم كان ممن قام مع تَنَمَّ فقتل .

(١) الإضافة من نسخة ك ، والضوء ٩٤/٣ ، وانظر Wiet : op. cit. No. 702.

(٢) ضبطها نسخة ز بكسر التاء ، ولكنه يفتح التاء والتون في Wiet : op. cit. No. 787.

(٣) في ز « رحل » .

(٤) تصغير القطيفة ، وهى قرية قرب ثنية العقاب للقاصد دمشق من ناحية حمص كما جاء في مرصد الاطلاع ١١١١/٣ ، وقد ضبطها Dussaud : op. cit. p. 368. بضم القاف وكسر الطاء والفاء فجعلها Quotetfé ووردت في

Al-Kutayyifah بانم Le Strange : op. cit., p. 490

(٥) في ز « ومر بنا بدمشق » . وقد جاء بعد هذا في نسخة ك « قتل خنقا ودفن بترته بالقبيبات » .

(٦) هو جلبان الكشغارى الظاهري برقوق ، ويعرف بقرا سقل « يفتح السين » ؛ انظر السخاوى : الضوء الالامع

٣٠١/٢ ، و Wiet : op. cit. No. 844.

(٧) الباب بليدة من أعمال حلب ، وقد تكون هى المقصودة أو قد يقصد بها باب الأبواب التى يقال لها « الباب »

غير مضاف ، ومعنىها إذ ذاك الدربند . انظر مرصد الاطلاع ١٤٢/١ - ١٤٣ .

٣١ - خديجة بنت العماد أبي بكر بن يوسف بن عبد القادر الخليلية^(١) ثم الصالحية ، روت عن عبد الله بن قيم الضيائية وماتت في أواخر^(٢) السنة ، ولى منها إجازة .

٣٢ - سليمان بن أحمد بن عبد العزيز الهلالي المغربي ثم المدني المعروف بالسقا^(٣) ، سمع من أحمد بن علي الجزري وفاطمة بنت العز إبراهيم وابن الخباز وغيرهم وحدث ؛ سمعت منه بالمدينة الشريفة وكان يباشر الصدقات بالمدينة ، وسيرته مشكورة ، ثم أضر بأخرة ، ومات في أواخر هذه السنة وقد ناهز الثمانين .

٣٣ - سليمان^(٤) القرافي المجذوب ، كان للناس فيه اعتقاد زائد ، [وله^(٥) مكاشفات عديدة] . مات في ربيع الأول .

٣٤ - شيرين الرومية خوند والدة الملك الناصر فرج ، كانت كثيرة المعروف والبر في سيرتها بعد سلطنة ولدها . ماتت في ذي الحجة^(٦) .

٣٥ - صدقة بن عبد الله [بن علي بن] المغربي . مات بدمشق في جمادى الأولى .

٣٦ - عبد^(٧) الله بن أحمد بن محمد بن علي بن محمد بن محمد بن هاشم بن عبد الواحد بن عبد الله بن عشائر ، تاج الدين الحلبي ، ولد [بحلب^(٨)] سنة ثمان وعشرين وسمع على التقي إبراهيم بن عبد الله [بن^(٨)] العجمي وغيره ، وأجاز له جماعة بدمشق

(١) في ز « الحيشة » ، راجع الضوء ١٢/١٤٩ .

(٢) ذكر السخاوي : الضوء اللامع ١٢/١٤٩ أن ابن حجر جمل وفاتها في أواخر سنة ٨٠١ هـ ، ولعله قرأ « أواخر السنة ولى منها إجازة » ويقصد السنة الأولى بعد الثمانمائة .

(٣) في الضوء اللامع ٣/٩٨٣ « ابن السقا » .

(٤) أورد السخاوي : الضوء اللامع ٣/١٠٢٦ ترجمته ناظراً فيها إلى الإنباء ، ولكنه أضاف « أرخه شيخنا في إنبائه ، وسماه غير سليم » ولعلها « غيره سليما » (بتشديد الياء وكسرهما) إذ يرد اسمه على هذه الصورة « سليم السواق القرافي » في المقرئى : السلوك ٣/١٢٢ .

(٥) أضيف ما بين الحاصرتين من نسخة ك ، وهي نفس العبارة الواردة في العيني : عقد الجمان ، لوحة ١١٥ .

(٦) وقد دفتت بالمدرسة البروقية .

(٧) وردت هذه الترجمة في ظ بالصورة التالية « عبد الله بن أحمد بن عشائر الحلبي تاج الدين ، سمع من . . . »

وحدث عن الشيخ شهاب الدين بحلب ، وأرخ وفاته في سادس عشر ربيع الأول بها .

(٨) الإضافة من الضوء اللامع ٥/٣٢ .

منهم : زينب بنت الكمال ، وحَدَّث . سمع منه البرهان المحدث ، وذكره القاضي علاء الدين في تاريخه وقال : « كان عاقلاً دينا يُعَدُّ من أعيان الحلبيين ومات في سادس عشر شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثمان مائة » .

٣٧ - عبد اللطيف^(١) بن أحمد الفوى نزيل حلب ، سراج الدين ، وُلد سنة أربعين تقريباً وقدم القاهرة . فاشتغل بالفقه على الإسنى^(٢) وغيره ، وأخذ الفرائض عن صلاح الدين العلاءي فمهر فيها ، ثم دخل حلب فولى بها قضاء العسكر ثم عُزل ، ثم ولي تدريس الظاهرية [خارج^(٣) باب المقام] ثم نُوزع في نصفها ، وكان يقرئ في محراب الجامع الكبير ويذكر الميعاد بعد صلاة الصبح بمحراب الحنابلة ، وكان عالماً في علم الفرائض ومشاركاً في غيرها ، وله نظمٌ ونثرٌ ومجاميع . وطارح الشيخ زاده لما قدم عليهم بنظمٍ ونثرٍ فأجابه ، ولم يزل مقيماً بحلب إلى أن خرج منها طالباً للقاهرة ، فلما وصل إلى خان غياغب^(٤) أصبح مقتولاً وذهب دمه هدراً ولم يُعرف قاتله .

٣٨ - عبد اللطيف بن أبي بكر بن أحمد بن عمر الشرجي^(٥) - بفتح المعجمة وسكون الراء بعدها جيم - نزيل زبيد ، كان بارعاً في العربية مشاركاً في الفقه ، ونظم « مقدمة ابن بابشاد » في ألف بيت ، وشرح « ملحّة الأعراب » ، وله تصنيف في « النجوم » .

اجتمعتُ به بزبيد ، وسمع عليّ شيئاً من الحديث ، وكان السلطان الأشرف يشغل عليه

(١) راجع ص ٧٩ ، ترجمة رقم ٦٦

(٢) هو عبد الرحيم بن الحسن بن علي بن عمر الإسنى المصرى الشافى ، راجع عنه ابن حجر فى الدرر الكائنة ٢/٢٣٨٦ ، وابن العماد : شذرات الذهب ٧/٢٢٢ .

(٣) الإضافة من الضوء اللامع ٤/٨٩٤ .

(٤) أنظر ما سبق ، ص ٨٠ ، حاشية ٢ .

(٥) نسبة إلى شرجة وهى موضع ذكرت الشذرات ٧/٩٦ أنه بن ضواحي مكة ، ولعل الأرجح ما قاله مراد الإطلاع ٢/٧٩٠ من أنه موضع من أول أرض اليمن أول كورة عثر ، وهى بلد باليمن ، انظر أيضاً نفس المرجع ٢/٩٢٠ ، والضوء اللامع ٤/٨٩٥ .

وأنجب ولدَه «أحمد»^(١) ، وكان حنفيًا^(٢) .

٣٩ - عبد^(٣) المنعم بن عبد الله المصري الحنفي ، اشتغل بالقاهرة ثم قدم حلب فقطنها وعمل المواعيد ، وكان آيةً في الحفظ : يحفظ ما يأتبه في الميعاد دائماً من مرة أو مرتين ، شهد له بذلك البرهان المحدث وقال : « كان يجلس^(٤) مع الشهود ، ثم دخل بغداد فأقام بها ثم عاد إلى حلب فمات بها في ثالث صفر » .

٤٠ - عثمان بن إدريس بن إبراهيم بن عمر التكروري صاحب «برنو» و «زغاي»^(٥) ، مَلِك بعد أخيه إدريس بن إدريس ، وكان أخوه مَلِك بعد أخيه داود ، وداود بعد والدهم إبراهيم ، وهو أول من مَلِك من آل بيتهم .

وجدهم الأعلى كان ينتمى إلى المثلثين ، وهم^(٦) إلى الآن على تلك الطريقة في ملازمة اللثام ، ويقال إنه جمع من العسكر مائة ألف فارسي ورجل يقاتل بهم من يليه من الكفار ، والإسلام غالب في بلادهم . مات في هذه السنة

(١) مات أحمد هذا سنة ٨١٢ هـ ، انظر الضوء اللامع ج ١ ص ٣٥٤ . والمذكور في الشذرات ٩٦٧/٧ تحت هذه السنة هو محمد بن أحمد بن عبد اللطيف ، انظر الخزرجي في تاريخ اليمن .

(٢) يلاحظ أن هذه الترجمة كلها قد نقلها العيني في عند الجنان ، لوحة ١١٦ ، ١١٧ ، ولكنه أسقط منها عبارة «اجتمعت به بزيب وسمع على شيئاً من الحديث» .

(٣) نقل السخاوي : الضوء ٣٢٥/٥ هذه الترجمة دون أى تحوير أو حذف .

(٤) «يجلب» في ك .

(٥) بالعين المهملة في الضوء اللامع ٤٥١/٥ ، على أنه ورد في مرصد الاطلاع ٦٦٧/٢ «زغاوة» وقال عنها : « يفتح أوله والواو : بلد في جنوبي إفريقيا بالمغرب ، وقيل قبيلة من السودان وهم مملكة عظيمة في حد المشرق منها مملكة النوبة التي بأعلى صعيد مصر » .

(٦) في ز «وهم إلى الآن مثلثون» .

٤١ - علي^(١) بن أحمد بن عبد الله الإسكندراني الحاسب ، كان يتعانى علم الميقات فبرع في معرفة حلّ الزيج وكتابة التقاويم ، وأقبل على الكيمياء فأفنى عمره في أعمالها ما بين تصعيدٍ وتقطيرٍ وغير ذلك ، ولم يعد يصعد معه شيء ؛ ومات في آخر السنة عن نحو خمسين سنة^(٢) .

٤٢ - علي بن عبد الرحمن الدماصي^(٣) الكاتب المجرّد ، جاور مكة كثيراً وكتب الناس وكان يشهد ببعض الحوانيت ظاهرًا القاهرة^(٤) .

٤٣ - علي^(٥) بن عبد العزيز بن أحمد [بن محمد] الخروبي ، نور الدين بن عز الدين ابن صلاح الدين ، من أعيان التجار بمصر ، حجّ مراراً ، وكان ذا مروءةٍ وخير ، عفيفاً عن الفواحش ديناً متصوناً ، أوصى بمائة ألف [درهم] فضة لعمارة الحرم الشريف المكي فعمّر بها بعد الاحتراق ، وكان والدي قد تزوّج أخته وامنت قبله ، وكان عمي زوج عمته ، وعمه زوج عمّتي ، فكانت بيننا مودةً أكيدة ، وكان لي برّاً محسناً شفوفاً ، جزاه الله خيراً . مات في رجب وقد أكمل الستين .

٤٤ - علي بن محمد بن علي بن عرب ، علاء الدين سبط القاضي كمال الدين التركماني ، ناب في الحكم ببعض البلاد ، وولى قضاء العسكر . مات في صفر .

٤٥ - علي بن محمود بن أبي بكر بن إسحق بن أبي بكر بن سعد الله بن جماعة الكنتاني ، علاء الدين الحموي بن القباني ، اشتغل بحمارة ثم قدم دمشق في حدود الثمانين ،

(١) نقل هذه الترجمة الضوء ٥٨٧/٥ .

(٢) أورد ابن حجر بعد ذلك ترجمة لعل بن أبيك ، وقد ضمناعا في هامش ص ٧٥ من هذا الجزء حاشية رقم ٢ ، وقد جاء في هامش م بخط الناسخ « هذا عمله في السنة التي قبلها فيقدم » .

(٣) هكذا في ز ، لكنها « الدماصي » في ك ، والضوء ٨١٠/٥ .

(٤) جاء بعد ذلك في ز ، ل « مات في السنة التي قبلها » وهذا خطأ ، انظر الضوء ٨١٠/٥ .

(٥) وردت هذه الترجمة في ز ، ورقة ١٦٣ ب ، في وفيات ٨٠٢ ، والصحيح إدراجها هنا ، راجع في ذلك الضوء

اللامع ٥١٩/٥ .

وولي إعادة البادرانية^(١) ثم تدرّسها عوضاً عن شرف الدين الشريشي^(٢) ، وكان ربما أمّ وخطب بالجامع الأموي ، وكان يُفْتَى ويدرس ويحسن المعاشرة ، وكان طويلاً بعيد ما بين المنكبين ، حجّ مراراً وجاور ، وكان قليل الشر كثير البشر . مات في ذي القعدة وقد شارك علاء الدين بن المغنّي^(٣) في اسمه واسم أبيه وجدّه ، ونسبه حمّوياً ، وسمع صاحب الترجمة مع الشيخ برهان الدين المحدث بحلب ودمشق سنة ثمانين ، وليس هو ابن مغنّي فليعلم ، فإنه لا تميّز في ثبت الشيخ برهان الدين .

٤٦ - عيسى بن عبد الله المهجّمى^(٤) ، المعروف بابن الهلّيس ، كان من أعيان التجار وولاه الأشراف^(٥) نظر عدن ، وجاور بمكة عدّة سنين . ومات في رجب .

٤٧ - محمد بن أحمد بن أبي الفتح بن إدريس الدمشقي ، شمس الدين بن السراج ، أحد المحدث عماد الدين ، سمع من الحجار « الصحيح » ، ومن محمد بن حازم والنزي والبرزالي وغيرهم . مات في رجب وقد قارب الثمانين .

٤٨ - محمد بن أحمد بن محمد المصري السعودي ، شمس الدين ، يعرف بابن شيخ البير ، برع في مذهب الحنفية ودرس وأفتى وناب في الحكم ، وأحسن في إيراد مواعيده بجامع الحاكم ، وكتب الخط الحسن ، وخرّج « الأربعين النووية » ، وجمع مجاميع مفيدة . مات في سلخ صفر في الأربعين ، وتأسف الناس عليه .

(١) من مدارس الشافعية بدمشق ، راجع عنها النيمي : الدارس ٢٠٥/١ وما بعدها .

(٢) راجع ترجمته في النيمي : الدارس ٢١١/١ .

(٣) هو صاحب الترجمة الواردة في الضوء ١٠٢/٦ ، أما اسمه صاحب الترجمة أعلاه فانظره في نفس المرجع ١٠١/٦ .

(٤) نسبة إلى مهجم وهي بلد وولاية من أعمال زبيد باليمن ، انظر ابن عبد الحق البغدادي : مرصد الاطلاع ١٣٣٧/٣ .

(٥) صاحب اليمن ، انظر الضوء ٤٨٩/٦ .

- ٤٩ - محمد^(١) بن أحمد بن محمد الطوخي .
- ٥٠ - محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الحنفي ولد^(٢) شيخنا القاضي مجد الدين ، مات قبل أبيه^(٣) بشهرين ، وكان قد اشتغل وتمهر .
- ٥١ - محمد بن حسب الله كمال^(٤) الدين الزعيم التاجر المكي . مات في ثالث جمادى الأولى ، وكان واسع المال جداً معروفاً بالمعاملات ، وضُبط من ماله بعده أكثر من عشرين ألف دينارٍ سوى ما يُخفى .
- ٥٢ - محمد بن حسين بن علي بن أحمد بن عطية بن ظهيرة المخزومي المكي الشافعي أبو السعود ، سمع من العز بن جماعة ، واشتغل بالفقه والفرائض ومهر فيها ، وناب في الحكم عن صهره القاضي شهاب الدين ، وهو والد أبي البركات^(٥) الذي ولي الحكم في زماننا . مات في صفر عن نيف وستين سنة ، وكان مولده سنة خمس وأربعين .
- ٥٣ - محمد بن عبد الله بن بكتمر ، ناصر الدين بن جمال الدين بن الحاجب ، تقدّم في ولاية صهره بطا الدويدار . مات في ربيع الآخر .
- ٥٤ - محمد بن عبد الله بن نشابة^(٦) الحرصي - بفتح المهملتين ومعجمة - ثم العرشي^(٧) - بعين مهملة وراء وشين معجمة - نسبة إلى قرية يُقال لها « عريش » من عمل حرص^(٨) ، وحرص آخر بلاد اليمن من جهة الحجاز الشريف ، وبينها وبين حلي^(٩) مفازة .

(١) راجع سابق ترجمه رقم ٢٢ ص ١١٦ حاشية رقم ٦ ، ص ١١٧ حاشية رقم ١ .

(٢) عبارة « ولد شيخنا القاضي مجد الدين » غير واردة في ظ .

(٣) راجع سابق ترجمة رقم ٢٣ ، ص ١١٧ .

(٤) في الضوء ٥٣٠/٧ « جمال الدين » .

(٥) راجع ترجمته في الضوء اللامع ٢١١/٩ .

(٦) بعدها في لـ « الأعردي » ؛ وفي الضوء اللامع ٣٥٨/٤ ، ٢٥٣/٨ « الأعردي » .

(٧) في ز « العريشي » .

(٨) حرص - يفتحتين - بلد في أوائل اليمن من جهة مكة ، راجع مرصد الاطلاع ٢٩٢/١ .

(٩) عرفها مرصد الاطلاع ٤٢١/١ بأنها مدينة باليمن على ساحل البحر بينها وبين مكة ثمانية أيام وتضبط بفتح الحاء

تكون اللام وتعرف أحياناً بحلية ، راجع نفس المرجع أيضاً ٤٢٠/١ - ٤٢١ .

وكان محمد المذكور فقيهاً شافعيّاً ذكره ابن الأهدل في «ذيل تاريخ الجندي» ،
وقيد وفاته فيها أو في التي بعدها ، قال : « وخلفه ولده عبد الرحمن »^(١) ، وكان مولده
سنة أربع وسبعين ، وتفقه بأبيه وبأحمد مفتي مور^(٢) ، وذكر^(٣) أنه اجتمع به بعد
الثلاثين بأبيات حسين ، وهو مفتي بلده ومدرسها وينوب في الحكم بها .

٥٥ - محمد بن عبد الرحيم بن الحسين محب الدين بن شيخنا^(٤) ، يُكنى «أبا حاتم» ،
أسمعه أبوه الكثير واشتغل ودرس ثم ترك ، وكان فاضلاً شكلاً حسناً قليل الاشتغال ،
وكان قد توجه إلى مكة في رجب ثم رجع قبل الحج لمرض أصابه فاستمر به إلى أن مات
في صفر .

٥٦ - محمد^(٥) بن عبيدان الدمشقي بدر الدين ، وُلد قبل الخمسين وتفقه وشهد
عند الحكام وتميّز فيهم ، وأجازه الشيخ سراج الدين البلقيني بالإفتاء قديماً ، وولى قضاء
بعلبك عن البرهان بن جماعة ، ثم ولى قضاء حمص . مات في ربيع الأول .

٥٧ - محمد بن عجلان بن رُمَيْثَةَ بن أبي نُعْمَى الحسنى المكي ، ناب في إمرة مكة
ثم كُحِّل بعد موت أخيه واستمرّ خاملاً ، وقد دخل اليمن مسترفداً صاحبها ، ثم جهّز
معه المحمل في سنة ثمان مائة فرافقتُه وسلمنا من العطش الذي أصاب أكثر الحاج تلك
السنة بمرافقة محمد هذا لأنه سار بنا من جهة ، وخالفه أمير الركب فسار من الجهة
المعتادة فلم يجدوا ماء فهلك الكثير منهم^(٦) .

(١) الضوء اللامع ٤/٣٥٨ .

(٢) الضبط من مرصد الاطلاع ١٣٣١/٣ حيث عرف مور بأنه اسم يعنى به إما ساحل لقرى باليمن شمالي زبيد ،
وإما أحد مشارف اليمن الكبار وإليه يصب أكثر أودية اليمن .

(٣) الأماصود بذلك ابن الأهدل .

(٤) يعنى بذلك شيخه عبد الرحيم العراقي .

(٥) نقل السخاوى هذه الترجمة في الضوء اللامع ٨/٣٢١ .

(٦) كان موت صاحب الترجمة في ربيع الأول ، انظر الضوء اللامع ٨/٣٥٥ .

٥٨ - محمد بن عمر^(١) بن إبراهيم بن العجمي ، شمس الدين بن جمال الدين الحلبي ، سمع « المسلسل » بالأولية من الشيخ تقي الدين السبكي ومن محمد^(٢) بن يحيى بن سعد وحدثت عنهما - بسماع الأول - الموازيني ، أخبرنا البهاء عبد الرحمن ، أنا محمد بن الجوزي والثاني علي ابن دؤاله ، أنا التجيب ، أنا ابن الجوزي قال أنا اسماعيل . أنا صالح بسنده ، وكان مولد شمس الدين هذا في سنة أربع وثلاثين واشتغل في شببته ، وحفظ « الحاوي » ونزل في المدارس وجلس مع الشهود ، ثم ولي تدريس بعض المدارس بعد والده ، ونازعه الأذرعى ثم القوي ، ثم استقر بعد ذلك فيما بيده ، وكان سليم الفطرة نظيف اللسان خيراً لا يغتاب أحداً . وله إجازة جعلها له أبوه ، فيها المزي وتلك الطبقة ولم يحدث بشئ منها ، والله أعلم .

مات في رمضان ، وذكره القاضي علاء الدين .

٥٩ - محمد بن عمر بن علي بن إبراهيم الجمال المعابدی^(٣) الوكيل ، كان من كبار التجار كثير المال جداً كثير القرى والمعروف . مات في ربيع الآخر .

٦٠ - محمد بن محمد بن أحمد المقدشي - بالشين المعجمة - سمع أكثر « صحيح مسلم » علي ابن عبد الهادي وحدث ، وكان ذاخير وعبادة وفيه سلامة ، فكان صحبه يقولون له : « ادع لفلان » فيقول : « وليته قضاء^(٤) القضاة » وكثر ذلك منه فللقبوه « قاضي القضاة » . سمعت منه . مات سادس عشرى شهر رجب وقد قارب التسعين^(٥) .

٦١ - محمد بن محمد بن عبد العزيز بن عبد الله ، ناصر الدين ، وُلد سنة ستين أو نحوها وتعماني الكتابة وولى التوقيع وباشر في الجيش وصحب حمزة أخا كاتب السر ، وكان جميل الوجه وسبياً محبباً في الرئاسة فلم يرزق من الحظ إلا بالصورة . ومات قتلاً في صفر .

(١) « مطر » في ك ، هذا ويلاحظ أنه لم ترد كلمة مطر في أسماء آياته في ترجمته بالشذرات ولا الضوء ٦٣٠/٨ .

(٢) راجع الدرر الكامنة ٤/٤٦٦ .

(٣) في ز ، ك « العائدي » .

(٤) هكذا في ز .

(٥) إذ كان مولده حوالي سنة ٥٧٤ ، راجع الضوء اللامع ١٤٣/٩ ومعجم شيوخ ابن حجر .

٦٢ - محمد بن محمد بن علي بن عبد الرزاق الغماري^(١) ثم المصري المالكي، شمس الدين، أخذ العربية عن أبي حيان وغيره، وسمع الكثير من مشايخ مكة كالبافعي والفقهي خليل [بن عبد الرحمن المالكي]، وسمع بالإسكندرية من [الجمال بن] البوري عن ابن طرخان وحدث بالكثير.

وكان هارفاً باللغة العربية كثير المحفوظ للشعر لاسيما الشواهد، قوي المشاركة في فنون الأدب، تخرّج به الفضلاء، وقد حدثنا « بالبردة » سماعه من أبي حيان عن ناظمها، وأجاز لي غير مرة.

عاش اثنتين وثمانين سنة.

٦٣ - محمد^(٢) بن محمد بن محمد بن عبد الدائم الباهي، نجم الدين الحنبلي، اشتغل كثيراً وسمع من شيوخنا ونحوهم، وعنى بالتحصيل، ودرّس وأفتى، وكان له نظر في كلام ابن العربي فيما قيل. مات في شعبان عن ستين سنة.

قال ابن حجي: « كان أفضل الحنابلة بالديار المصرية، وأحقهم بولاية القضاء ».

٦٤ - محمد بن محمد بن محمد بن عثمان العُلقمي - بضم المعجمة وسكون اللام ثم الفاء - شيخ^(٣) المعظمية، سمع من الحجار وحضر على إسحق^(٤) الآمدي، وأجاز له أبواب الكحال وعلي بن محمد البندنجي. مات في جمادى الآخرة وأجاز لي غير مرة.

(١) بكسر الفين نسبة إلى غمار وهو موضع في شر، وشر: بفتح الشين وسكون العين جبل لبني سليم، انظر: مرصد الاطلاع ٨٠١/٢ - ٩٩٩٢٠.

(٢) ترجم له الضوء اللامع ٥٤٦/١٠ بتطويل أكثر وإن اعتمد أيضاً على الترجمة أعلاه.

(٣) كان أبوه مؤذنا بالمعظمية، أما هو فكان المقيم بها، راجع الضوء اللامع ٥٨٥/١٠. وكانت المعظمية من مدارس الحنفية بدمشق، أنشئت سنة ٦٢١ هـ، وهي منسوبة لمنشئها الملك المعظم شرف الدين عيسى، انظر النعمي: المدارس في تاريخ المدارس ٥٧٩/١ وما بعدها.

(٤) الدرر الكامنة ٨٩٤/١.

٦٥ - محمد بن محمد الحديدى القيروانى ، تفقه ثم تزهد وانقطع ، وظهرت له كرامات ، وكان يقضى حوائج الناس ، وحجَّ سنة اثنتين وثمانين وسبعمائة فجاور بمكة إلى أن مات ، وكان ورعه مشهوراً ، وقيل مات سنة إحدى (١) وثمانمائة .

٦٦ - محمد الكردى الصوفى الزاهد المعمر كان بخانقاه عمر (٢) شاه بالقنوت بدمشق ، وكان ورعا جدا لا يرد لأحد شيئاً ويؤثر ما عنده ، وتؤثر عنه كرامات وكشف ، وكان لا يخالط أحداً ويخضع لكل أحد . جاوز الثمانين ومات فى شوال .

٦٧ - مفتاح بن عبد الله ، عتيق المهتارنعمان ، كان مهتار الطشتخاناه . مات فى هذه السنة

٦٨ - مقبل بن عبد الله الرومى ، عتيق الناصر حسن ، طلب العلم واشتغل فى الفقه على مذهب الشافعى ثم تعمق فى مقالة الصوفية الاتحادية ، وكتب الخط الحسن إلى الغاية وأتقن الحساب وغيره . مات فى أوائل السنة . رأته مراراً وقد قارب الستين .

٦٩ - مليكة (٣) بنت الشرف عبد الله بن العزِّ إبراهيم بن عبد الله بن أبي عمر المقدسى ثم الصالحى ، أحضرت عند الحجَّار وعلى محمد بن الفخر بن البخارى ، وأسمعت على أبي بكر بن الرضى وزينب بنت الكمال وغيرهم ، وأجاز لها ابن الشيرازى وابن عساكر وابن سعد وإسحق الأمدى وغيرهم ، وحدثت بالكثير . ماتت فى تاسع عشر جمادى الأولى وقد جاوزت الثمانين . أجازت لى .

(١) بعد أن أشار الضوء اللامع ١٠/١٢٤ إلى هذه السنة عاد فحقق أن سنة وفاته هى ٨٥٢ ، أما الفاسى فجعل وفاته سنة ٧٨٧ هـ ، وأمامها فى هامش ز بخط الناسخ « لعل فى السنة التى قبلها ينظر » وفى ز بخط الناسخ أيضا « تقدم فى التى قبلها فيحمر » ، هذا ويلاحظ أن ابن حجر ترجم له فى السنة الماضية مرتين ، انظر ص ٨٤ رقم ٧٨ ، ص ٨٧ ترجمة رقم ٨٨ .

(٢) الوارد فى المدارس ٢/١٨٨ أنها تسمى بخانقاه النهرية وهى بأول شارع نهر القنوت ولم يذكر زمن إنشائها .

(٣) فى الضوء اللامع ١٢/٧٨٠ « ملكة » .

٧٠ - يوسف بن أحمد بن غانم المقدسي النابلسي ، ولي قضاء نابلس زمانا ثم قضاء صفر ثم خطابة القدس لما مات عماد الدين الكركي ، ثم سعى عليه ابن السائح قاضي رملة بمال كبير فعزله ، فقدم دمشق متمرضا ومات بدمشق في جمادى الأولى ، وهو سبط الشيخ تقي الدين القلقشندی .

٧١ - يوسف^(١) ابن الحسن بن محمود السرائي ثم التبريزي ، عز الدين الخَلَوَائِي^(٢) ، قرأت في تاريخ حلب لابن خطيب الناصرية أنه نقل ترجمة يوسف هذا عن ولده بدر^(٣) الدين لما قدم عليهم في سنة تسع وعشرين فقال : « ولد سنة ثلاثين وسبعمائة » .

وأخذ عن جلال الدين القزويني وبهاء الدين الخُونَجِي والعضد ، ورحل إلى بغداد فقرا على الكرماني ، ثم رجع إلى تبريز فأقام بها ينشر العلم ويصنّف ، إلى أن بلغه أن ملك الددع [وهو طقتمش خان] قصد تبريز لكون صاحبها أساء السيرة مع رسول أرسله إليه في أمر طلبه منه .

وكان الرسول جميل الصورة إلى الغاية فتولّع به صاحب تبريز ، فلما رجع إلى صاحبه أعلمه بما صنع معه وأنه اغتصبه نفسه أياما وهو لا يستطيع إلا الطواعية ، وتفلّت منه ، فغضب أستاذه وجمع عساكره وأوقع بأهل تبريز فأخربها . وكان أول ما نازلها سأل عن علمائها فجمعوا له فآواهم في مكان وأكرمهم ، فسلم معهم ناس كثير ممن أتبعهم ، ثم لما نزع عنهم تحوّل عن عز الدين إلى ماردين فأكرمه صاحبها وعقد له مجلساً حضره فيه علماءؤها مثل سريجا والهام والصدر فأقروا له بالفضل .

ثم لما ولي إمرة تبريز أمير^(٤) زاه بن اللنك طلب عزّ الدين المذكور وبالغ في إكرامه

(١) هذه هي نفس الترجمة الواردة في عقد الجمان ١١٧/٣ - ١١٨ هذا وقد ترجم له ابن حجر مرة أخرى في دن مات سنة ٨٠٤ ، انظر فيما بعد ترجمة رقم ٣٦ ، ص ٢٢٢ وحاشية رقم ٣ حيث أشرنا إلى تردد المؤرخين في ترجمته بين هاتين السنتين .

(٢) الضبط من الضوء اللاحق ١٠/١١٨٣ .

(٣) في ك « علاء الدين » .

(٤) في هامش ز بخط الناصح « اسم ابن اللنك أمير زاه بحسب ما يوجد فيما تقدم يصلح . كذا » .

وأمره بالاستقرار بها وتكملة ما كان شرع في تصنيفه ، ثم انتقل بآخره إلى الجزيرة^(١) .
فقطنها إلى أن مات في هذه السنة .

ومن سيرته أنه لم تقع منه كبيرة ، وللمس بيده ديناراً ولادرهما ، وكان لا يرى
إلا مشغولاً بالعلم أو التصنيف ، وشرح « منهاج البيضاوى » ، وعمل حواشى على « الكشاف » ،
وشرح « الأسماء الحسنى » ؛ وكان يذكر أنه لما حج ثم أتى المدينة جلس عند المنبر فرآى
- وهو جالس بجانب المنبر بالروضة الشريفة - أن المنبر على أرض من الزعفران ، قال^(٢) :
ففتحت عيني فرأيت المنبر على ما عهدت أولاً ، فأغفيت عيني فرأيت على الزعفران «
وتكرر ذلك . قال القاضى علاء الدين : « قدم علينا ولده الآخر جمال الدين فذكر أن والده
مات سنة أربع وثمانمائة » فالله^(٣) أعلم .

٧٢ - يوسف بن عثمان بن عمر بن مُسلم^(٤) بن عمر الكتّانى - بالمشنة الثقيلة -
الصالحى ، سمع من الحجار حضوراً ومن الشرف ابن الحافظ وأحمد بن عبد الرحمن
الصرخدى^(٥) وعائشة بنت المسلم الحرازية^(٦) وغيرهم ، وأجاز له الطبرى وهو خاتمة
أصحابه ، وأجاز له أيضاً ابن سعلد وابن عساكر وآخرون ، وحدث بالكثير ؛ وكان خيراً .
مات في نصف صفر عن ثلاث وثمانين سنة وأجاز لي غير مرة .

٧٣ - يوسف بن مبارك بن أحمد ، جمال الدين الصالحى بواب المجاهدية^(٦) ،

(١) اكتبى ابن حجر هنا بقوله « الجزيرة » ولذلك علق البقاعى عليها في المرة الثانية بقوله « لعله ابن عمر » يعنى
جزيرة ابن عمر أنظر ص ٢٢٣ ، س ٦ - ٧ حيث سماها « جزيرة ماردين » .

(٢) عبارة « وقال ففتحت عيني ... الزعفران » السطر التالى ساقطة من ز ، ولكنها واردة في الضوم ١٠/١١٨٣ .

(٣) أشار الضوم ١٠/١١٨٣ إلى أن ابن حجر ذكره في سنتى ٨٠٢ ، ٨٠٤ ، راجع فيما بعد ترجمة رقم ٣٦ وفيات
سنة ٨٠٤ ص ٢٢٢ .

(٤) الضبط من ط ، ومن الضوم اللامع ١٠/١٢١٤ .

(٥) انظر الدرر الكامنة ١/٤١٢ .

(٦) انظر الدرر الكامنة ٢/٢٠٩٢ .

(٧) هناك بدمشق مدرستان بهذا الاسم إحداهما المجاهدية الجوانية بالقرب من باب الخواصين ، انظر الدارس في تاريخ

المدارس ١/٤٥١ ، والأخرى المجاهدية البرانية ، انظر نفس المرجع ١/٤٥٥ .

كان يقرأ بالألحان في صباه هو وعلاء الدين عصفور الموقِّع وذلك قبل الطاعون الكبير ،
ولكلُّ منهما طائفةٌ تتعصَّب له ، ثم انتقل يوسف إلى الصالحية وعصفور إلى القاهرة ،
ومات يوسف في ربيع الأول وله ثلاث وسبعون سنة .

٧٤ - يوسف^(١) الهدباني الكردي من قدماء الأمراء ، تَمَّ في حدود الناصر محمد
[ابن قلاون] ، وكان مولده تقريباً سنة أربع وسبعمئة ، وتنقَّل في الولايات وولى مقدمة
ألف ، وصور غير مرة ، وفي الأخير كان نائب القلعة عند موت الظاهر فتخيَّل النائب
تم وأخذها منه ، فلما غلب الناصر فرجُ صودر ، وكان يكثر شتم الأكابر على سبيل
المزاح ويحتملون ذلك له . مات في ذى الحجة .

٧٥ - ... (٢) بنت الشيخ تقي الدين اليونيني ، ماتت في شعبان .

٥ ٦ ٥

(١) على الرغم من أن المقرزي في السلوك ، ورقة ١٢٣ ، أدرجه تحت سنة ٨٠٢ إلا أنه قال : « مات سنة أربع
وسبعمئة (ولعله يقصد ثمانمئة) « تخميناً » .

(٢) فراغ في جميع النسخ ولم نستطع التعرف عليها ، كما أن السخاوي أشار إليها في الضوء اللامع ج ١٢ ص ١٦٢ ترجمة
رقم ١٠١٥ ولم يسمها بل قال : « ابنة للتي اليونيني ، ماتت في شعبان سنة اثنتين . ذكرها شيخنا في إنباهه » .

سنة ثلاث وثمانمئة

خرجتُ من دمشق أول يوم منها .

وفي الثاني منه وصل توقيعُ القاضي علاء الدين بن أبي البقاء^(١) فقريُّ وباشر قضاء دمشق .

ودخلت هذه السنة والناس في أمر مريع من اضطراب البلاد الشمالية بطروق تمرلنك ، وفي كل وقتٍ ترد أخباراً مغايرة لما قبلها ، وكان وصوله إلى سيواس في السنة الماضية كما تقدّم فحاصرها مدةً ، ونقب سورها وقتل جمعاً ونهب الأموال ، وذلك في أول يوم من السنة ، حتى قيل إنه دفن من أهل سيواس ثلاثة آلاف نفس وهم بالحياة .

ثم نازل بهسنا في صفر ، ثم توجه إلى ملطية فأباد من فيها ، ثم وصل إلى قلعة الروم فقوى عليه^(٢) صاحبها فتركها وتوجّه إلى جهة حلب ، فوصل عينتاب في أواخره ، وراسل نائب حلب يستحثّه على القدوم بعساكر الشام لدفع تمرلنك ، ثم وصل كتابه إلى نائب حلب يقول فيه : « إننا لما وصلنا في العام الماضي إلى البلاد الحلبية لأخذ القصاص من قتل رسلنا بالرحبة بلغنا موته [يعني الملك الظاهر] وبلغنا أمرُ الهند وما هم عليه من الفساد ، فتوجهنا إليهم ، فأظفّرنا الله تعالى بهم ، ثم^(٣) رجعنا إلى الكرج فأظفّرنا الله بهم ، ثم بلغنا قلة أدب هذا الصبيّ ابن عثمان فأردنا عرك أذنه ، ففعلنا بسيواس وغيرها من بلاده ما بلغكم أمره ، ونحن نرسل الكتب إلى مصر فلا يعود جوابها ، فنعلمهم أن يرسلوا قريبتنا أظلمش ، وإن لم يفعلوا فدماء المسلمين في أعناقهم والسلام » .

(١) يقصد بذلك بدر الدين محمد بن محمد بن عبد البر بن تمام السبكي ، وكان موته أيضاً في هذه السنة ، راجع ابن طولون : قضاة دمشق ، ص ١١٧ - ١١٩ .

(٢) غير واردة في ك ، ز .

(٣) عبارة « ثم رجعنا إلى الكرج فأظفّرنا الله بهم » غير واردة في ز .

وفي أواخر المحرم عُقد مجلسُ القضاة والخليفة والأمراء فيما بلغهم من أمر العدو وهل يجوز أن يأخذوا من التجار نصفَ أموالهم أو ثلثها للإعانة على تجهيز الجيوش للقتال ، فتكلم القاضي الحنفى جمال الدين المالطى وقال : « إن فعلتم بأيديكم فالشؤكة لكم ، وإن أردتم ذلك بفتوانا فهذا لايجوز لأحدٍ أن يفتى به ، والعسكرُ يحتاج لمن يدعو له ، فلا ينبغي أن يعمل [السلطان] شيئا يستجلب الدعاء عليه » .

ثم اشتوروا في ارتجاع الأوقاف وإقطاعها لمن يُستخدم ، فغاضبهم المالطى أيضا وقال : « القدر الذى يُتَحَصَّل منها قليل جدا ، والأجنادُ البطالة لا يُستنقَر بهم لأنهم مع مَنْ غلب ، ووظيفتهم النهب » ، فانفصل المجلس على ذلك ، فحانت هذه من حسنات المالطى .

ودعى هذا المجلس يلبغا السلمى فلم يرجع عنه حتى عمل ما منعهم منه الملطى بعد ذلك ، وجرى له عقب ذلك ما لاخير فيه .

* * *

ثم تواردت الأخبار بأن تمرلنك غالبَ البلاد الشمالية ، فاضطرب أهلُ حلب ونقلوا أموالهم إلى القلعة ، ومنهم من فرَّ إلى البلاد القريبة ، وغلت أسعار الجمال والحمير ، وتجهز نائب حلب بعسكرها ومن انضاف إليهم من العرب والتركمان ، ولما بلغت هذه الأخبارُ أهلَ الدولة بمصر أرسلوا إلى النواب بالبلاد بجمع العساكر والتوجه إلى حلب ، فاجتمعوا كلهم بحلب ، وهم : نائب صغد ونائب حماة ونائب دمشق ونائب طرابلس ونائب غزة ، ومعهم من العساكر تقدير ثلاثة آلاف فارس ، ثم شرع السلطانُ في التجهيز ، فأرسل تمرلنك إلى دمرداش نائب حلب يعده بأن يبقيه على نيابته بشرط أن يمكسك سودون نائب الشام ، فأطلع دمرداش على ذلك سودون ، فوثب على الرسول فضرب عنقه .

فلما بلغ ذلك تمرلنك نازل حلب وذلك في العشر الأول من ربيع الأول ، واشتور الأمراء ، فأشار بعضهم بالبروز إلى ظاهر البلد والقتال هناك ، وأشار بعضهم بالإقامة والقتال على الأسوار إلى أن يحضر العسكر المصرى ، وأشار دمرداش لأهل البلد بإخلائه والتوجه حيث شاءوا . فغلب أهلُ الرأى الأول وضربوا الخيامَ ظاهرَ البلد .

والتقى الجمعان يوم السبت حادى عشر شهر ربيع الأول ، فزحف اللنك بجنوده ومعهم الفيلة ، وصاحوا صيحة واحدة ، فولى أكثر الناس فرعاً فأبلى نائب طرابلس في الحرب وأزدمر ويشبك بن أزدمر وغيرهم من الفرسان حتى كوثر أزدمر ، ففقد ، ووقع يشبك بن أزدمر بين القتلى فلم بعد ذلك وتمت الهزيمة على العسكر الإسلامى ورجعوا طالبين أبواب حلب فوجد فوجد فقتل في الزحام من لا يحصى واللىكىة فى آثارهم بالسيوف ، وانحسر الأمراء فى القلعة .

وهجم عسكر تمرلنك البلد فأضرموا فيها النار وأسروا النساء والصبيان ، وبذلوا السيوف فى الرجال والأطفال حتى صار المسجد الجامع كالمجزرة ، وربطت الخيول فى المساجد ، وافتضت الأبقار فيها بمحضرٍ من أهلها ، وكان من شأن عسكر تمرلنك عدم الاحتشام من الوطء بمحضرٍ من الناس ولو زنوا . .

ثم حوصرت القلعة ورُدِم خندقها ، فلم يصبروا إلا يومين والثالث ، فطلب دمرداش ومن معه الأمان فأجيبوا إلى ذلك ، ثم استنزلوهم من القلعة ونظموا كل نائب وطائفته فى قيودٍ ، ثم استحضرهم تمرلنك بعد أن طلع إلى القلعة فى ناسٍ قليل بين يديه وعنقهم ، وامتدت الأيدي لنهب أموال الناس التى حصلت بالقلعة لظن أصحابها أنها تسلم ، فكأنهم جمعوا ذلك للعدو حتى لا يتعب فى تحصيلها ، وعرضت عليه الأموال ومن أسر من الأبقار والشباب ، وفرق ذلك على أمرائه .

وكان (١) بالقلعة من الأموال والذخائر والحلى والسلاح ماتعجب اللنك من كثرتة ، حتى أخبر بعض أخصائه أنه قال : « ما كنت أظن أن فى الدنيا قلعة فيها هذه الذخائر » .

ثم تعدى أصحابه إلى نهب القرى المجاورة والمتقاربة والإفساد فيها بقطع الأشجار وتخريب الديار ، وجافت النواحي من كثرة القتلى منه ، وكادت الأرجل ألا تظأ إلا على

(١) هذا الخبر كله ساقط من ز .

جثة إنسان ، وبُني من رؤوس القتلى عدة مآذن منها ثلاثة في رابية ابن خاجا ، وهلك من الأطفال الذين أُسرت أمهاتهم ومن الجوع أكثر ممن قُتل .

وذكر القاضي محب الدين بن الشحنة عن حافظ الخوارزمي أنه أخبره أن ديوان اللنك اشتمل على ثمانمائة ألف مقاتل ، وذكر أيضا أن اللنك لما جلس في القلعة وطلب علماء البلد ليسألهم عن عليّ ومعاوية قال له القاضي القفصي المالكي : « كلهم مجتهدون » فقال : « أنتم تبع لأهل الشام وكلهم يزيديون ويحبون قتلة الحسين » .

وذكر [ابن الشحنة] أنه قرّر في نيابة حلب - لما توجه لدمشق - الأمير موسى بن حاجي طغاي ، وكان رحيله عنها في أول يوم شهر ربيع الآخر ، ويقال إن أعظم الأسباب في خذلان العسكر الإسلامي ما كان دمرداش نائب حلب اعتمده من إلقاء الفتنة بين التركمان والعرب ، حتى أغار بعض التركمان على أموال نعيم فنهبها ، فغضب من ذلك وثار قبل حضور تمرلنك ، فلم يحضر الواقعة أحد من العرب ، وقال بعضهم إن دمرداش كان باطن تمرلنك لكثرة ما كان تمرلنك خدعه ومناه .

* * *

وفي أواخر ربيع الأول عرض يشبك الدويدار أجناد الحلقة ، فقرّر بعضهم وقطع بعضهم ، وسافر سودون من زادة في سلخه على هجين لكشف الأخبار ، ثم تحققت أخبار حلب بوصول قاصد أسنبغا الذي توجه قبل ذلك لكشف الأخبار ، فخرج السلطان في ثالث ربيع الآخر ، واستقر تمرأز نائب الغيبة ، ورحل السلطان من الريدانية عاشر ربيع الآخر فوصل غزة في العشرين منه ، وتوجه منها في السادس والعشرين منه بعد أن قرّر نواب البلاد عوضاً عن المأسورين ، فولى تغرى بردى نيابة دمشق ، وآقبغا الجمالي نائب طرابلس ، وتمرغا المنجكي نائب صغد ، وطولو نائب غزة ، ووصل السلطان دمشق في سادس جمادى الأولى فوافاهم جاليش تمرلنك في نحو ألف فارس ، فالتقى ببعض العسكر فكسروه في ثامن الشهر المذكور .

ثم نازل تمرلنك الشامَ وراسل السلطانَ أن يُطلق له أطمش قريبه على أن يطلق جميع من عنده من الأسارى ويرحلَ من البلاد ، فامتنعوا من ذلك وظنوا أن ذلك لعجزه عنهم ، فكرر [تمرلنك] الطلب مراراً فأصروا ، ثم وقعت الحرب بينهم واقتتلوا مراراً لكن لم تقع بينهم وقعةٌ جامعةٌ بل مناوشة .

فلما كان في الثاني عشر من الشهر المذكور وقع الاختلاف بين أمراء العسكر المصرى فخاف بعضهم من بعض فاخفى ، فظن^(١) من لم يختف أن الذى اخفى توجه إلى القاهرة ليملكها ، فأخذوا السلطان وتوجهوا به إلى نحو صفد ثم إلى غزة وتركوا الناس فوضى ، ووصل السلطان إلى مصر في خامس جمادى الآخرة وصُحبتُه الخليفة وأكثرُ الأمراء وهم في غاية من الذل ، ليس معهم خيلٌ ولاجمالٌ ولاقمائشٌ ولاعدة ، وصار الجيش - بعد هرب السلطان من دمشق - يخرجون من دمشق إلى جهة مصر ، فيسلبهم العشير أثوابهم ، وربما قتلوا بعضهم ، ومنهم من ركب البحر الملح حتى وصل إلى القاهرة في أسوأ حال .

ولما تحقق تمرلنك فرارَ العسكر أمرَ عسكره باتباعهم ، فصاروا يلتقطون منهم من تخلف ، فأغلق أهل دمشق أبوابها وركبوا أسوارها وتراموا مع اللنكية ، فقتل منهم جماعة ، فأرسل تمرلنك يطلب من أهل البلد رجلاً عاقلاً يتكلم معه في أمر الصلح ، فأرسلوا إليه القاضى برهان^(٢) الدين بن الشيخ شمس الدين بن مفلح ، فرجع وأخبر أنه تطفف معه في القول وسأله في الصلح فأجابته ، فأطاعه كثيرٌ من الناس وأبى كثير منهم . فأصبحوا في يوم السبت نصف جمادى الآخر وقد غلب رأى من أراد الصلح ، وأخرجوا إلى تمرلنك الضيافة ، جبوها من مياسير الناس ، فكتب لهم أماناً قرئ على المنبر^(٣) ، يتضمن أنهم آمنون على أنفسهم وأهاليهم وفتح البساب الصغير ، واستحفظ عليه بعض أمراء تمرلنك لثلاً ينهب التتارُ البلد .

(١) في ك ، ز ، هـ « فظن من أقام » .

(٢) في ز « شمس الدين » لكن راجع النجوم الزاهرة ٢٣٩/١٢ ، وهو إبراهيم بن محمد بن مفلح ، راجع الضوء

اللايع ج ١ ص ١٦٧ - ١٦٨ .

(٣) أمانها في هاش ز « أخذ الأمير تيمور لدمشق وما فعل بأهلهم » .

واستقر الصلح على ألف دينار ، فوُزعت على أهل البلد ، ثم رجع تمرلنك فتسخطها وقال إنه طلب ألف تُومان ، والتومان عشرة آلاف دينار ، فتزايد البلاء على أهل البلد وندموا حيث لا ينفع الندم .

وأول شيء فعله اللنكية من الفبائح تعطيل الجمعة من الجامع الأموى ، فإنه نزل فيه شاه ملك وزعم أنه نائب تمرلنك على دمشق ، وسكنه بأهله وخبوله وأسبابه ومنع الناس من دخوله ، وتعطلت المساجد من الصلوات ، والأسواق من المعاش ؛ ثم شرع اللنكية فى حصار القلعة ، واستكتب تمرلنك من بعض أهل دمشق أسياء الحارات وقسمها فى أصحابه وأقطعها لهم ، فنزل كل أمير حيث أقطع وطلب سكان ذلك الخُط ، فكان الرجل يُقام فى أسوأ هيئة على باب داره ويُطلب منه المال الجزيل ، فإن امتنع عوقب إلى أن يُخرج جميع ما عنده ، فإذا لم يبق له شيء أُحيط على نسائه وبناته وبنيه ففُجِر بهم فى حضرته ، حتى قيل إنهم يفعلون بهم ذلك فى حضرته مبالغةً فى الإهانة ، ثم بعد ذلك يبالبغون فى عقوبتهم لإحضار المال ، فأقاموا على ذلك سبعة عشر يوماً ، فهلك تحت الضرب والعقوبة من لا يُحصى .

* * *

ثم خرج منها الأمراء المذكورون ، وصبح البلد فى سلخ رجب المشاة والرجالة فى أيديهم السيوف المصلتة ، فانتهبوا مابقى من المتاع ، وألقوا الأطفال - من عُمر يوم إلى خمس - تحت الأرجل ، وأسروا أمهاتهم وآباءهم ، وفسقوا بمن تحمّل الفسق منهم باللواط والزنا وغير ذلك جهاراً ، ثم أطلقت النار فى البيوت إلى أن احترق أكثر البلد وخصوصاً الجامع وما حواليه .

* * *

ثم رحل تمرلنك بعساكره فى ثالث شعبان ، فأعقب رحيله جرأً كثيراً إلى الغاية ودام أياماً .

ومات في هذا الشهر من أهل الشام من لا يُحصي عدده إلا الله تعالى ، فمنهم من مات حريقاً^(١) ، ومنهم من عجز عن الهرب فمات جوعاً ، ومنهم من توجه هارباً فمات إعياءاً ، ومنهم من كان ضعيفاً فاستمر إلى أن مات .

وبلغ الأمرُ بأهل دمشق قبل رحيل العسكر عنهم أن الواحد من التمرية كان يدخل إلى البيت وفيه العدد الكثير فيصنع بهم ما أراد من نهب وقتل وإحراق وإفساد وفسق ولا تمتد إليه يد ولا يخاطبه لسان لِمَا غلب على القلوب من الخوف منهم ، وبيع القمح بعد رحيلهم كلٌّ من بأربعين درهماً ، وأخذ الناس في ضمّ الجراد وبيعه وصار [هو] غالب القوت بالبلد ، وبيع الرطل منه بأربعة ونصف ، وصار من بقوا حفاةً عراةً وأعيانهم عليهم العبي والجلود وهم يبيعون الجراد ويُنادون عليه ، ويتتبعون ما بقى من خلق المتاع ويبيعونه ليشتروا به الجراد ، واستمر الحريق في البلد لعجز من بقي عن طفئهِ حتى عم جميعها^(٢).

ومن بعد رحيل تمرلنك عن الشام قصد ماردين فنازلها ، ووصل إليه في تلك الأيام العادل صاحب كيفا فأكرمه ، وكان وصوله إلى حلب راجعاً في سابع عشر شعبان ولم يدخلها بل أمر المقيمين بها من جهته بتخريبها وتحريقها ففعلوا ثم^(٣) لحقوا به ؛ وحدث كثير ممن كان أسر معهم ، وسار هو قاصداً البلاد الشمالية .

وذكر^(٤) بعض من يوثق به أنه قرأ في الحائط القبلي بالجامع النوري بحماة منقوشاً على رخامته بالفارسية مانصه : « إن الله يسّر لنا فتح البلاد والممالك حتى انتهى استخلاصنا إلى بغداد فجاورنا سلطان مصر والشام ، فراسلناه لتم بيننا المودة فقتلوا رسلنا ، وظفرت طائفة من التركمان بجماعة من أهلنا فسجنوهم لاستخلاص متغلبينا من أيدي مخاليفنا ،

(١) أمامها في هامش « احراق دمشق والجامع » .

(٢) أمامها في « مبلغ أمر الحريق » .

(٣) هذه العبارة غير واردة في ظ .

(٤) من هنا حتى « ربيع الآخر » من ١٤٠ ، من ١ غير واردة في ظ .

واتفق في ذلك نزولنا بحماسة في العشرين من شهر ربيع الآخر ، وكان لما وصل إلى حمص لم يتمرض لها إكراماً لخالد بن الوليد (١) .

ولما تكامل الجند بمصر قام بأمرهم بلبغا السلمي ، فصار يكسو العرايا منهم ويحمل إليهم الأموال والأمتعة (٢) والسلاح ، وقام في تحصيل الأموال ليعجز العساكر إلى الشام لدفع تمرلنك - بزعمه - عن دمشق ، فبسط يده في أخذ أموال الناس بغير رضاهم ، فمن حضر قاسمه ماله قسمةً صحيحة ، ومن غاب أخذ نصف ما يجده له ويترك له النصف ، وعم ذلك حتى في أموال الأيتام والأوقاف ، وفرض على البيوت كل بيت : كراء شهر ؛ وعلى كل فدان حبوب : عشرة دراهم ؛ وعلى كل فدان قلقاس أو قصب : مائة درهم ؛ وعلى البساتين كل فدان : مائة درهم ؛ وفرض على الإقطاع عن عبدة كل ألف دينار : ثمن فرس : خمسمائة درهم .

* * *

وفي ذي الحجة منها حاصر نعيم أمير العرب حلب ، وأميرها إذ ذاك دمرداش ، والعساكر بها قليلة جدا ، فغلا السعر عندهم واشتد عليهم الخطب ، فاستنجد دمرداش بابن رمضان فحضر إليه ببخيله ورجاله ووقع القتال ، فرآى نعيم الغلبة وقد أشرف دمرداش وابن رمضان على كسرهم ، ففر ليلاً بمن معه فساروا في إثرهم فلم يدركوهم ، ورجع ابن رمضان إلى بلده ، وقد فرج الله عن الحلبيين .

وفي ليلة الاثنين (٣) النصف من صفر طلع القمر نحاساً ، فصلى ابن أبي البقاء بدمشق صلاة الخسوف ، وخطب وفرغ عند وقت العشاء وانجلي القمر عند غياب الشفق .

(١) أماميا في هامش ه : « حياية حمص بخالد رضي الله عنه » .

(٢) عبارة « والأمتعة والسلاح وقام في تحصيل الأموال » ، غير واردة في ظ .

(٣) « الاثنين » غير واردة في ك . هذا مع ملاحظة أن أول شعبان سنة ٨٥٣ كان الخميس ومن ثم وجب أن تكون

الخميس بدلا من الاثنين ، راجع التوفيقات الإلهامية ، ص ٤٠٢ .

ومن الحوادث غير قصة تمرلنك :

في أول^(١) يوم منها ولي تغرى برمش ولاية القاهرة عوضاً عن أحمد بن الزين .
وفي تاسعه استقر نور الدين بن الجلال في قضاء المالكية عوضاً عن ابن خلدون .
وفي أواخره صُرف تقي الدين الكفري^(٢) من قضاء الحنفية بدمشق وأعيد بدر الدين
المقدسي .

وفي خامس عشرى المحرم قرئ على المحدث جمال الدين عبد الله بن الشرائحي^(٣)
بالجامع كتاب « الردّ على الجهمية » لعثمان الدارمي، فحضر عندهم زين الدين عمر الكفيري
وأنكر عليهم وشنع ، وأخذ نسخة من الكتاب وذهب بها إلى القاضي المالكي^(٤) ، فطلب
القارئ - وهو إبراهيم المكاوي^(٥) - فأغلظ له ، ثم طلب^(٦) ابن الشرائحي فأذاه بالقول
« أمر به إلى السجن ، وطلع بنسخة ابن الشرائحي .

ثم طلب القارئ ثانياً فتغيّب ، ثم أحضره وسأله عن عقيدته فقال : « الإيمان بما جاء
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم » ، فانزعج القاضي لذلك وأمر بتعزيزه فعزّر وطيف به ،
ثم طلبه بعد جمعة ، وكان قد بلغه كلام أغضبه ، فضربه ثانياً ونادى عليه وحكم
بسجنه^(٧) شهراً .

(١) الوارد في الصيرفي : نزعة النفوس ، ورقة ٦٣ أ « يوم الثلاثاء ثالث المحرم ولي تغرى بردى ولاية القاهرة » ،
وهذا التاريخ يطابق ما جاء في التوقيعات الإلهامية ، ص ٤٥٢ ، من أن أول المحرم كان الأحد الموافق ٢٩ صري ١١١٦ ق
و ٢٢ أغسطس ١٤٥٠ م .

(٢) انظر ابن طولون : قضاة دمشق ، ص ٢٠٣ ، والسخاوي : الضوء اللامع ٢٦٦/٥ .

(٣) سترد ترجمته في الإنشاء تحت رقم ١٢ من وفيات سنة ٨٢٠ هـ ، انظر أيضاً السخاوي : نفس المرجع ٥/٥ .

(٤) هو إبراهيم بن محمد التادلي ، راجع ترجمته في وفيات هذه السنة رقم ٢ ص ١٥٠ ، والضوء اللامع ج ١
ص ١٥٥ - ١٥٦ .

(٥) راجع ترجمته في الضوء اللامع ١٤٦/١ .

(٦) عبارة « ثم طلب ابن الشرائحي . . . بنسخة ابن الشرائحي » ساقطة من ز .

(٧) أورد السخاوي : الضوء اللامع ٣١٧/٦ هذه القصة بنسخها في ترجمته لمر الكفري .

وفي (١) ثاني عشر المحرم عَزَلَ ابن خلدون عن قضاء المالكية وأهين ، وطلب بالنقباء من عند أقبای الحاجب ماشيا من القاهرة إلى بيت الحاجب وأوقف بين يديه ورسم عليه ، وحصل له إخراج زائد وأطلق بعض من سجنه ؛ ثم بعد مدة من عَزَله أعطى تدریس المالكية بوقف الصالح .

وفي الرابع والعشرين منه كسر يلبغا السالمى من شبرا نحو خمسين ألف جرّة خمر .

وفي عاشر ربيع الآخر استقر بدر الدين العينتابی في الحسبة عوضا عن ابن البجانسى ، ثم عَزَلَ بعد رجوع السلطان من دمشق وأعيد البجانسى في سابع جمادى الآخرة .

وفي أواخر ربيع الآخر خلع تمتاز نائب الغيبة على منكلى بغا الزينى بكشف البهنسا ، فنزل إلى يلبغا السالمى الأستاذار فعراه الخلعة وضربه بالمقارع ، فبلغ ذلك نائب الغيبة فغضب ، فدخل الناس بينهما إلى أن أعاد السالمى على المذكور خلعتة واستمر .

وفي نصف جمادى الأولى منع يلبغا السالمى اليهود والنصارى من دخول الحمامات إلا بشعار يُعرفون به : نساء ورجالاً وشدّد في ذلك ، فبلغ ذلك نائب الغيبة فنادى بإبطاله ، ثم وصل كتاب السلطان في أوائل جمادى الأولى وفيه أن يلبغا السالمى لا يحكم إلا فيما يتعلّق بالديوان المفرد خاصة .

وكان السالمى عند سفر السلطان استنجز مرسوماً بأن يحكم في الأحكام الشرعية ، وكتب له عليه قضاة القضاة ، فلما وقع الخلاف بينه وبين نائب الغيبة سعى عليه في إبطال ذلك فتمّ له ما أراد وأمر أن ينادى في البلد : « من وقف ليلبغا السالمى في شكوى وعوقب ، ومن له على السالمى ظلامة يرفعها لنائب الغيبة » ، ثم أمر بكتابة محضر بأحوال السالمى وما هو فيه من الهوج ، وكان السالمى يومئذ غائبا ، فلما رجع وبلغه ذلك أهان الذى كتب

(١) هذا الخبر غير وارد في نسخة ظ .

المحضر وأحضر دويدار الوالى فضربه بسبب^(١) إشهاره النداء ، فبلغ ذلك الوالى فهرب إلى بيت نائب الغيبة ، ثم وصل السلطان فتمكّن يلبغا السالى من التحكم فى البلد ونودى له بذلك ، فصنع ما تقدم شرحه قريبا .

وفى ثانى عشر جمادى الآخرة استقر القاضى أمين الدين عبد الوهاب بن القاضى شمس الدين الطرابلسى فى قضاء الحنفية عوضا عن القاضى جمال الدين الملطى وكان قد تعوّق عن السفر إلى الشام لضعفه فمات فى غيبتهم وتعطلّ المنصب بعده إلى هذه الغاية ، واستقر القاضى جمال الدين عبد الله بن مقداد الأقفهسى^(٢) فى قضاء المالكية عوضاً عن نور الدين ابن الجلال لأنه كان مات فى غزة لما توجه العسكر إلى الشام ، ثم عزل بعد يسير واستقر القاضى ولّى الدين بن خلدون فى رمضان .

وفى ثالث رجب استقر علم الدين أبو كمّ فى الوزارة عوضا عن فخر الدين بن غراب . وفى رجب وقع بحسبان فى الشام برد كبار مثل الكف ، ومنه مثل الخيار ، وزن الواحدة سبعة وعشرون درهما ، ولم يعهدوا مثل ذلك قبل .

وفى رجب حضر رسول تمرلنك يطلب أطلمش ويعدّم أنهم إذا أرسلوه يرسل من عنده من الأسرى : أميراً كان أو فقيها ، وكانوا قد أرسلوا قاضى القضاة صدر الدين المناوى ، وشغل المنصب عنه من ابتداء هرب السلطان من دمشق ، فلما ورد الكتاب لم تسعهم المخالفة وأخرجوا أطلمش وأعطوه مالا وأرسلوا يخبرون تمرلنك بإكرامه وإعزازة .

وفى ثامن^(٣) عشر رجب استقر سعد الدين بن غراب أستاذاراً مضافاً إلى ما بيده من نظر

(١) هذه العبارة « بسبب ثم وصل السلطان » ساقطة من ز .

(٢) كانت وفاته فى جمادى الأولى سنة ٨٢٣ هـ ، راجع إنباء القمر ترجمة رقم ٦ من وفيات ٨٢٣ هـ ، والضوء اللامع ٢٦٢/٥ ، وشذرات الذهب ١٦٠/٧ .

(٣) فى العيى : عقد الجمان ، لوحة ١٤٦ « الخميس ١٧ رجب » ، وتحديد هذا اليوم عند العيى يطابقه ماجاه فى التوقيقات الإلهامية ، ص ٤٠٣ من أن أوله كان يوم الثلاثاء .

الخاص والجيش ، وشرط أن لا يغيّر ملبوسه^(١) ، و [أن] يُسلم له السالمى ليحاسبه على الأموال التي أخذها من الناس ، فسلمه لناصر الدين بن كلفت شاد الدواوين وأهانه وضربه^(٢) وعصره ، ثم أطلق في أول يوم من شوال ؛ ولقد عدّته مهنتاً بسلامته فوجدته مُصراً على تحسين أفعاله المستقبحة المقدم ذكرها ويوجّه ذلك بأنّه لولا [ما] أشيع عنه [من] تحصيل الأموال وتجهيز العساكر بها مارحل تمرلنك عن دمشق ؛ وهذا^(٣) من غلطاته الظاهرة ، فإن رحيل تمرلنك إنما كان لضيق العيش على من معه فخشى أن يهلكوا جوعاً ، وإلاّ فما الذى كان يمنعه من اتباعهم إلى مصر ؟ .

ثم قبض عليه^(٤) مرة أخرى في ذى القعدة ، وتسلمه أحمد بن رجب شاد الدواوين فضربه وعصره حتى أشيع موته ، ثم أفرج عنه في نصف الشهر .

وفي سابع شعبان وصل نائب طرابلس شيخ المحمودى إلى القاهرة وكان قد هرب من أسر تمرلنك ، فتلقاه يشبك وبقية الأمراء وأرسلوا إليه الخيول والمال^(٥) ، ثم خلّع عليه في رمضان بنبابة طرابلس على عادته .

وفي تاسع عشره حضر دقماق نائب حماه [وكان قد] فرّ أيضاً من أسر تمرلنك .

وفي أواخر شعبان نودى بالقاهرة : « لا يقيمن عجمى بها ، ومن أقام بها لا يلو من إلاّ نفسه » ، فشرعوا في الخروج ثم فتر ذلك وشفّع فيهم^(٦) .

(١) بل استقر على عادته من لبسه قاش المتعمين المباشرين ، راجع عقد الجان ، لوحة ١٤٦ .

(٢) في ز « وهدده » .

(٣) هذا الخبر حتى نهايته غير وارد في نسخة ظ .

(٤) أى على السالمى ، ويلاحظ أن مسكه كان في سلخ شوال ، انظر العيى : عقد الجان ، لوحة ١٥٥ .

(٥) انظر المقرزى : السلوك ، ورقة ١٢٩ .

(٦) زاد المقرزى : السلوك ، ورقة ٣٠ على ذلك قوله : « ولهج الناس بالكتابة على الحيطان من نصرة الإسلام وقتل

وفي تاسع عشرى شعبان استقر ناصر الدين الصالحى فى قضاء الشافعى عوضاً عن صدر الدين المناوى بعد اليأس منه ، وشجر المنصب عنه أزيد من شهرين .

وفيه أخذ الذهب فى الارتفاع لكثرة من يطلبه ، لأن الفضة كانت فى غاية الغلو ، وفقد غالب الناس الفلوس وهى مثقلة لمن يقتنيها ولا سبباً من يخاف على نفسه .

وفى (١) أوائل شوال عمل يشبك الدويدار على جماعة من الخاصكية والأمرأ ليجرهم من القاهرة ، فقرر مع السلطان أن يؤمرهم فى دمشق وغيرها ، فلما علم بذلك جكم ونوروز وغيرهما من كبار أهل الدولة تفتنوا لمقصود يشبك فعاكسوه ، واتفقوا مع الذين عينوا أن يردوا المناشير ، فدار بينهم وبين يشبك كلام فأغلظ لهم فخرجوا عليه وضربوا قطلوبغا الكركى وأخاه أقبية الخازندار بالرميلة وجرح قطلوبغا فى وجهه ، ووقف المماليك إلى الليل وانضاف إليهم جكم ، ووقع بينهم وبين جركس المصارع الدويدار الثانى ، ثم توجه جكم وتبعه جمع كبير نحو الخمسين إلى جهة بركة الحبش ، ثم ذهب سودون طاز أمير آخور وأخذ معه جميع الخيل التى فى الإصطبل والبطول ، وأتلف أشياء كثيرة من آلات الإصطبل كالقرب والروايا ، فأرسل السلطان لهم نوروز - وصحبته القاضى الشافعى - فى الحادى عشر يستخبرهم عن سبب نفرتهم ويأمرهم بالرجوع إلى الطاعة ، فأعلموهما بباطن القضية .

فرجع القاضى إلى السلطان فأطلعه على ماسمع ، وتأخر نوروز موافقا لهم ، فخشى السلطان أن يتفلسل من بقى عنده ، فنزل إلى الإصطبل وأمر رءوس النواب بمنع المماليك من مساعدة أحد الفريقين ، وأرسل إلى يشبك يعلمه بأنه ليس لهم قصد غيره ويقول «قاتل عن نفسك» .

فلما كان حادى عشر شوال التقى الجمعان فانكسر يشبك وقبض على إخوته ، وهم : آقبا وقطلوبغا الكوكائيان وجركس المصارع ، وأرسلوا إلى الإسكندرية ، ثم قبض على

(١) رواية المقرئى : السلوك ، شرحه ، « استدعى السلطان الأمرأ إلى القلعة وقال لهم : قد كتبنا مناشير جهامة من الخاصكية بإمرات من الشام من أول رمضان فلم لايسافروا ؟ » ، فقال الأمير نوروز : « ما هذا مصلحة ، إذا ارسل السلطان هؤلاء من يبق ؟ » ، ووافقه سودون الماردبى فقال السلطان : « من رد مرسومى فهو عدوى » ثم ذكر المقرئى بعد ذلك بقية القصة .

يشبك وأرسل أيضا ، واستمر دويداراً وسودون من زادة خزنداراً، ثم استعفى منها في سادس ذى الحجة واستقر شاد الشربخانا .

وطلب المماليك الإنفاق بسبب النصره فأمر ناظر الخاص بتحصيل مال النفقة ، فشرع في الاقتراض من التجار، وطلع في أول ذى القعدة لينفق لكل مملوك ألف درهم ، فثارت عليه المماليك فأمسكوه وضربوه وهرب ، فاختنى عند الزمام ، ثم توجه إلى مصر ومعه النفقة وعدى من مصر إلى الجيزة ، وتمادى سائراً إلى تروجة وذلك في سادس عشرى ذى القعدة ؛ وفي أثناء ذلك قبض يشبك على الشيخ لاجين شيخ الجراكسة ، فأخرجه إلى بلبيس وقبض على سودون الفقيه أحد دعاة الشيخ لاجين فسجنه بالإسكندرية .

وفي السادس من ذى الحجة قرّر السلطان ناصر الدين بن سنقر أستاذاراً، واستقر أبوكم الوزير في نظر الخاص ، واستقر سعد الدين بن بنت المالكي - صاحب ديوان الجيش - في نظر الجيش .

فلما كان تاسع ذى الحجة وصل قاصد من مشايخ تروجة يخبر أن ابن غراب حضر إليهم وعلى يده مثال شريف باستخراج الأموال، وأن يتوجهوا صحبته إلى الاسكندرية لإخراج يشبك وإخوته ، فكتب جوابه بعدم تمكينه من المال وأن يقبض عليه .

ثم جاء من مشايخ تروجة قاصدٌ يطلب الأمان لابن غراب ، فكتب له عن لسان السلطان، ثم بلغ رَسْطَاى-نائب الاسكندرية- أن ابن غراب أرسل إلى كبير الزعر أبي بكر غلام الخدام أن يجمع له الزعر ويحضر إلى تروجة ، ووعد كل واحدٍ بخمسمائة درهم وأنهم يفتكون بنائب الإسكندرية ، فلما علم بذلك أمسك أبا بكر المذكور فضربه بالمقارع .

ثم وصل إليه كتاب ابن غراب يقول له : « إحذر أن تتعرض ليشبك أو لأحد من إخوته فيصيبك مثل ما أصاب ابن عرّام » فأرسل الكتاب إلى القاهرة ، ثم أظهر لابن غراب أنه يسافر إلى بلاد المغرب فهياً حاله وركب متوجّهاً ، ثم انفلت إلى جهة مصر فنخل القاهرة في ليلة

الحادى والعشرين من ذى الحجة ، فدخل على جمال^(١) الدين يوسف البيرى أستاذار بجاس - وهو يومئذ فى خدمة سودون طاز - فتحدّث معه فى بيته ، فجمع بينه وبين مخدمه فأنزله عنده إلى يوم الخميس ثالث عشره وطلع به إلى السلطان فخلع عليه ، واستقر فى الأستادارية على عادته مضافاً إلى نظر الخاص والجيش ، فسلم على جميع الأمراء .

فلما وصل إلى بيت جكم حجبه ومنعه من الدخول إليه ، ثم توجه إليه بعد أيام مع سودون من زاده ، فشفّع فيه عنده حتى باس يده ، ولم يكلمه كلمة واحدة .

ثم أنفق ابن غراب النفقة على الممالك ، فثار به جماعة منهم ورجموه ، ففر إلى بيت نوروز الحافظى فتركوه ورجع إلى بيته إلى أن أرضى أعيانهم وأكابرهم وأكمل النفقة ، واستمر على حاله .

وفى ذى القعدة^(٢) - بعد إمساك يشبك وإخوته - سافر شيخ المحمودى نائب طرابلس ودقماق نائب حماة إلى بلادهما بعد أن استقرّ دقماق فى نيابة صفد ، والتقى دقماق مع متيريك بن قاسم بن متيريك أمير عربان حارثة ، فانكسر دقماق وقُتل من معه إثنا عشر مملوكاً وأسيرت والدته ، فبلغ ذلك شيخ المحمودى فرجع إليه ورجع متيريك وقومه فكسروهم وأسروا منهم جماعة ، ثم قبضوا على ولدئى متيريك فأمر^(٣) بتوسيطهما وأخذ لمتيريك ستة آلاف جمل وأرسل نائب صفد يطالع بذلك ، فعاكسه الأمير جكم وأمر أن يكتب إليه وإلى شيخ الإعراض عن متيريك المذكور وردّ ما أخذ منه .

(١) أمامها فى هامش ه « جمال الدين الاستدار » .

(٢) هذه العبارة من هنا حتى عبارة « بعد أن أمر بخراب بغداد » ص ١٤٨ ، س ٨ واردة فى ورقة منفصلة تحمل رقم ١٦٠ فى نسخة ظ ، وفوقها كلمة « توخر » .

(٣) فى عقد الجمان ، ورقة ١٥٧ « منير » ثم عدم التنقيط بعد ذلك ، وهو متيريك بن قاسم بن متيريك أمير عربان حارثة .

وفي شوال كان تمرلنك قد وصل ماردين فعيد بها ، وأرسل من عنده رسولا في خمسة آلاف نفس إلى بغداد يطلب من متوليها مالا كان وعده به وطلب من يتسلمه منه .

فلما^(١) وصل الرسول أراد أهل بغداد ذله فعملوا فيه ، فقتلوا غالب من معه ، فأرسل الرسول إلى تمرلنك يطلب منه نجدة ، فتوجه نحوه بالعساكر فوصل في أواخر شوال فملكها وبذل فيها السيف ثلاثة أيام ، ثم أمر أن يأتيه كل فارس من عسكره برأس ، وشرعوا في قتل الأسرى حتى أحضروا إليه مائة ألف رأس فبناها مآذن^(٢) ، ثم أمر بنهب الحلة فنهبها وخرّبوها ، ورحل عن العراق في آخر ذي الحجة متوجها بعد أن أمر بخراب بغداد^(٣) .

* * *

وفي أولها وصل قرا يوسف وأحمد بن أويس إلى جهة حلب طالبين بلاد الروم فصدهما دمرداش نائب حلب عن ذلك ، فهرب أحمد ونهب وتوجه هو وقرا يوسف إلى ملطية ، ثم إن بعض الجند نصح أحمد وعرفه أن قرا يوسف يريد الغدر به ، فلما تحقق ذلك فر منه فنهب ما خلفه وأساء في حق أخيه ، ورجع أحمد بن أويس إلى سيواس ، ثم توجه إلى برصة واجتمع بابن عثمان ، ومن بعد وصول أحمد بقليل وصل تمرلنك إلى سيواس فحاصرها وذلك في المحرم ، وطلبوا الأمان فأمنهم وحلف^(٤) لهم ثم غدر بهم فقتلهم عن آخرهم .

وأوفى^(٥) النيل في صلح ذي الحجة من هذه السنة وكسر الخليج في أول يوم من السنة المقبلة وفرح الناس به لأنه كان توقف .

* * *

وفي هذه السنة سار أبو فارس عبد العزيز صاحب تونس إلى طرابلس الغرب ، فأخذ

(١) هذا السطر كله غير وارد في ز .

(٢) في هامش ١٦٠ ب من نسخة ظ « وفي هذه السنة نازل تمرلنك بغداد فأخذها وقتل من أهلها زيادة على مائة ألف وبني من رومهم أربعين منارة ورحل إلى الحلة عسكره فنهبها وخرّبوها » .

(٣) جاء بعد هذا في هامش ه « تتلوه الفرحة التي لم أجدها » ولعله يقصد الفرحة بكسر الخاء ، انظر ص ١٥ في هذه الصفحة .

(٤) من هنا حتى نهاية الخبر ساقط من ز .

(٥) انظر العيني : عقد الجمان ، لوحة ١٥٨ .

يحيى وعبد الواحد بن أبي بكر بن محمد بن ثابت بن عمار العَجِيبِي أميرها وانتهت إمرتهما عليها .

وكان أول مَنْ غلب عليها جدُّهم ثابت بن عمار من نحو سبعين سنة من موت سعيد ابن طاهر والبروعي أميرها، ثم ولي ابنه محمد بن ثابت مكانه سنة ست وعشرين [وسبعمائة] وكان يمشى في السوق ويتجر ، ثم قُتل بعد عشرين سنة فقام ابنه ثابت بن محمد ثم قُتل سنة ثلاث وأربعين بالبادية ، واستولى الفرنج على طرابلس ، ولحق ثابت بن عمار بالإسكندرية تجارا ، فجمع أبو بكر بن محمد بن ثابت جيشا ونازل طرابلس سنة إحدى وسبعين فأخذ البلدة عنوة واستعادها من الفرنج، وخطب لصاحب تونس إلى أن مات سنة اثنتين وتسعين فولى مكانه علي بن عمار بن محمد فحاصره أخو السلطان ، ثم خالف على أخيه فقبض عليه أبو فارس ثم قبض على ابن عمار سنة ثمان مائة وأقيم مكانه يحيى بن أبي بكر وأخوه عبد الواحد إلى أن استولى أبو فارس بعده فقبض عليهما وانتهت مملكة آل عمار .

ذكر من مات في سنة ثلاث وثمانى مائة من الاعيان

١ - إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسى ، بدر الدين النابلسى ، كان ينوب عن القاضى الحنبلى ؛ مات فى رمضان وقد ناهز الستين ، وكان يستحضر فقها جيدا ويُتقن الفرائض ، وكان مشكور السيرة .

٢ - إبراهيم بن محمد بن على التادلى - بالثناة - ، برهان الدين ، يُكنى « أبا سالم » قاضى المالكية بدمشق ، كان جريئاً مهاباً ، مات بعد أن حضر الواقعة مع اللنكية وجرح جراحات فحمل فمات قبل سفر السلطان من دمشق فى جمادى الأولى وقد جاوز السبعين لأن مولده كان سنة اثنتين وثلاثين ، وقد ولى قضاء الشام فى سنة ثمان وسبعين إلى هذه المدة عشر مرات يتعاقب هو والقفصى وغيره ، فكانت مدة مباشرته ثلاث عشرة سنة ونصفاً ، وقد ولى أيضاً حلب سنة إحدى وسبعين استقلالاً ، وكان ناب فى الحكم بها ، وكان قوى التنقيب مصمماً فى الأمور ، ويلتزم تلاوة القرآن والاستماع ، وقد تقدّم ما جرى منه على ابن الشرائح^(١) وغيره فى أول السنة .

٣ - إبراهيم بن محمد بن مُفليح بن محمد بن مفرج الصالحى الحنبلى ، تقي الدين ابن العلامة شمس الدين ، ولد سنة إحدى وخمسين ، وحفظ كتباً واشتغل ومهر ، وأخذ عن أبيه والجمال الرداوى وأبى البقاء وجماعة ، ثم ولى قضاء الحنابلة ، وكان بارعاً عالماً بمذهبه وأفتى وجمع وشاع اسمه واشتهر ذكره .

ولما طرق اللنك الشام كان ممن تأخر بدمشق فخرج إلى اللنك وسمى فى الصلح وتشبّه بابن تيمية مع غازان ثم رجع إلى دمشق ، وقرّر مع أهلها أمر الصلح فلم يتم له أمر ، وكثر ترداده إلى اللنك ليدفع عن المسلمين فلم يُجب سؤاله وضعف عند رجوعهم .

(١) راجع ما سبق ، ص ١٤١ .

لقيته وسمعتُ منه قليلا ، ومات بعد الفتنة بأرض البقاع في أواخر شعبان ، ولم يخلف بعده في مذهبه ببلده مثله .

٤ - ابراهيم الملوّسقى^(١) أحد القضاة بدمشق في مذهب الشافعي مع الدين والخط الحسن والانجماع . مات في شوال .

٥ - أحمد^(٢) بن إبراهيم بن عبد الله الكردي الصالحى المعروف بابن معتوق ، حدثنا عن علي بن أبي بكر الحرّاني . مات بعد ظهر عيد الفطر .

٦ - أحمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن عبد الله ابن جعفر بن زيد بن جعفر بن إبراهيم بن محمد بن أحمد بن محمد بن الحسن بن إسحاق ابن جعفر الصادق بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الحسيني ثم الإسحاق الحلبي ، أبو جعفر عز الدين نقيب الأشراف ، الرئيس الجليل ، وُلد سنة إحدى وأربعين وسبعمائة وسمع من جدّه لأئمّه الجمال إبراهيم بن الشهاب محمود [الكاتب] القاضي ناصر الدين بن العديم وغيرهما ، وأجاز له من مصر أبو حيان والوادي آشي والميدوي وآخرون من دمشق وغيرها ، واشتغل كثيراً واعتنى بالأدب ونظّم الشعر فأجاد ، قال القاضي علاء الدين : « كان من حسنات الدهر زهداً وورعاً ووقاراً ومهابةً وسمتاً ، لا يشك من رآه أنه من السلالة النبويّة حتى انفراد في زمانه برئاسة حلب فكانت كلمته مسموعة والرؤساء يعظمونه ، حتى القضاة يتردّدون إليه » .

ويأشر مشيخة الخانقاه العدمية بحلب ونزل في بعض المدارس ، وكان حسن المحاضرة ، جميل الصورة ، حلو الحديث ، شريف النفس ، مقتفياً آثار السلف الصالح ، شافعي المذهب متمسكاً بالسنة وطريق السلف .

(١) هكذا أيضا في الضوء اللامع ج ١ ص ١٨٧ ؛ وفي « الملوّسقى » .

(٢) راجع ملاحظات السخاوي على هذه الترجمة في الضوء اللامع ج ١ ص ١٩٦ وانظر أيضا هنا ص ١٥٩ حاشية رقم ٢ .

وقد حدثت « بالاستيعاب » بإجازة من الوادى آشى ، سمعه عليه جماعة^(١) بقراءة الحافظ

برهان الدين .

قلت : وأجاز لنا من حلب قبل موته بسنة ، وخرجت عنه فى بعض التخاريج ، أنشدنا

الشريف أبو جعفر أحمد بن أحمد إجازة فيما أنشده لنفسه ، وكتبت عنه بحلب مقتبساً :

يا (٢) رَسُولَ اللَّهِ كُنْ لِي شافعاً فى يومِ عَرَضِي
فأولُوا الأَرْحَامَ نَعْتًا بعضهم أولى ببعض

وقد قال مضمناً :

وَذِي ضَعْفٍ يَفَاخِرُ إِذْ وَرَدْنَا لَزِمْنَا لَمْ يَجِدْ بَلْ بَجِدْ
فَقُلْتُ تَنَحَّ: وَيَجَّ أَبِيكَ عَنْهَا فَإِنَّ المَاءَ مَاءُ أَبِي وَجَدْتِي

وقد قال مفتخراً :

يَسَائِلِي عَنِ مَخْتَدِي وَأُرُومِي البيتُ مَحْتَدُنَا القَدِيمِ وَزَمَمُ
وَالْحِجْرُ وَالْحَجَرُ الَّذِي أَبَدَا تَرَى هَذَا يُشِيرُ لَهُ وَهَذَا يَلْتَمِسُ
وَلَنَا بِأَبْطُحِ مَكَّةَ وَشَعَابِهَا أَعْلَامُ مَجْدِنُنْحَن^(٣) مِنْهَا الأَنْجَمُ
القَانِتُونَ العَابِدُونَ الحَامِدُونَ نَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ القَوْمُ
الْأَمِيرُونَ النَّاسَ بِالمَعْرُوفِ وَالتَّ هَاهُونَ عَمَّا يَنْكُرُونَ وَيَحْرُمُ
العَاطِفُونَ زَمَانَ: يَا مَنْ عَاطَفُ المَطْعَمُونَ زَمَانَ: أَيْنَ المَطْعَمُ؟

وكان الشريف تحول في الكائنة العظمى إلى تيزين^(٤) وهى من أعمال حلب بينهما

مرحلتان إلى جهة الفرات . مات بها فى شهر رجب فنقل إلى حلب فدفن عند أهله .

(١) أمامها فى هامش « منهم شيخنا الحضر بن الطبرى وقد قرأته عليه » .

(٢) جاء فى هامش « بخط البقاعى : « أنشدنيهما العلامة محب الدين محمد بن الشحنة كاتب السر بالديار المصرية

من لفظه ، قال أنشدنيهما البرهان بن خطيب الناصرية الشافعى كذلك ، قال أنشدنيهما ناظمهما الإمام عز الدين أبو جعفر أحمد رحمه الله » .

(٣) فى ز ، « أنت » .

(٤) فى ز « بيزين » ، وفى ك « تيزين » ، وفى ه « تيزين » أنظر

٧ - أحمد بن أقبرص بن يلبغا كُجَلِك (١) الخوارزمي ثم الصالحى ، سمع من إسحق (٢) ابن يحيى الأمدى ومحمد بن عبد الله بن المحب (٣) وزينب بنت الكمال ، أخذتُ عنه بالصالحية كثيراً وكان خيراً . مات في هذه السنة .

٨ - أحمد بن خليل بن يوسف بن عبد الرحمن العينتابى الضرير المرقى ، كان يسكن بحارة البساتين بعينتاب ويقرى الناس ، وكان عارفاً بالقراءات وله يد طولى في حلّ « الشاطبية » و « نونية السخاوى » و « منظومة النسفى فى الفقه » . قال البدر العينتابى فى تاريخه : « قرأتُ عليه سنة ست وسبعين » ، وأرّخه فى صفر سنة خمس وثمانى مائة ، وقال فى آخر ترجمته إنه توفى قبل ذلك بستين (٤) أيام تمرلك .

٩ - أحمد بن راشد بن طرخان الدمشقى الشافعى المعروف بالملكاوى (٥) شهاب الدين ، برع فى الفقه وشارك فى غيره ودرّس وأفتى فأجاد ، وناب فى الحكم ، وكان يحب الحديث والسنة ، سمعتُ منه قليلاً وكان ديناً خيراً ، قال شهاب الدين الزهرى : « فى حياة شرف الدين الشريشى وغيره ليس فى البلد من أخذ العلوم على (٦) وجهها غيره » ، وقال ابن حجبى : « كان ملازماً للإشغال والاشتغال ، ويكتب على الفتاوى كتابةً جيّدةً محررةً ، واشتهر بذلك فصار يُقصد من الأقطار » قال : « وكان فى ذهنه وقفة ، وكان يلازم الجامع الأموى فى

(١) الضبط من ز .

(٢) راجع ترجمته فى الدرر الكامنة ١/٨٩٤ .

(٣) انظر الدرر الكامنة ٤/٣٧٦٨ ، وشذرات الذهب ٧/٣٠٩ .

(٤) أهل السخاوى : الضوء اللامع ج ١ ص ٢٩٧ ذكر سنة وفاته واكتفى بذكر ما أورده ابن حجر واليعنى دون ترجيح أحدهما على الآخر .

(٥) ورد اسمه بصورة « الملكاوى » فى النعمى : الدارس فى تاريخ المدارس ١/٢٤١ ، وفى الشذرات ٧/٢٤١ ص ٦

« الملكاوى » . ولكنه « الملكاوى » فى فهرست الشذرات ٧/٣٦٩ وفى الضوء اللامع ج ١ ص ٢٩٩ .

(٦) فى ز « عل وفهمها غيره » .

الصلوات، وله حلقةٌ يشتغل فيها به ، ودرّس بالدماغية^(١) وغيرها ، وكان يميل إلى ابن تيمية ويعتقد رجحان كثير من مسأله ، وكانت عنده حدةٌ وعنده نفرةٌ من كثير من الناس . انفصل من الوقعة وهو مثالم^(٢) ، وحصل له جوعٌ فتغيّر مزاجه وتعلّل إلى أن مات في نصف رمضان .

١٠ - أحمد بن ربيعة المقرئ أحد المجوّدين القراء العارفين بالعلل ، أخذ عن ابن اللبان^(٣) وغيره وانتهت إليه رئاسة هذا الفن بدمشق ، وكان مع ذلك خاملاً لمعاناته ضرباً المنديل واستحضر الجن . مات في شعبان وقد جاوز الستين .

١١ - أحمد بن الزين الوالى ، كان ظالماً غاشماً لكن كان للمفسدين به ردع ما .

١٢ - أحمد بن عبد الله النحريرى^(٤) ، شهاب الدين القاضى المالكى ، قدم القاهرة وهو فقير جدا فاشتغل وأقرأ الناس فى العربية ، ثم ولى قضاء طرابلس فسار إليها ونالته محنةٌ من منطاش ضربه فيها بالمقارع وسجنه بدمشق ، فلما فرّ منطاش رجع إلى القاهرة وقد تمول ، فسعى إلى أن ولى قضاء المالكية فى المحرم سنة أربع وتسعين فلم تُحمد سيرته ، فصُرف فى ذى العقدة منها واستمر إلى أن مات معزولاً فى رجب .

وكان بيده نظرٌ ووقفُ الصالح ، تلقاه عن العماد الكركى فى رجب سنة ٧٩٩ ، فلم تُحمد سيرته فيه أيضاً ، ومات فى رجب .

١٣ - أحمد بن عبد الوهاب بن داود بن على بن محمد المحمدي القوصى سعد الدين ، ولد بقوص وتفقه بها ، ثم رحل إلى القاهرة واشتغل ، ثم دخل الشام فأقام بها ، ثم دخل

(١) من مدارس الشافعية والحنفية بدمشق ، أنشأتها عائشة زوجة شجاع الدين بن الداغ فى مستهل القرن السابع الهجرى ، انظر النجيبى : الدارس ٢٣٦/١ - ٢٤٢ .

(٢) فى الضووج ١ ص ٢٩٩ « سالم » ولكنها كما بالمتن فى الشذرات ، شرحه .

(٣) يعنى بذلك شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد المؤمن بن اللبان المصرى أحد المشهور لهم بالتقدم فى الحديث ، مات سنة ٧٤٩ هـ مطعوناً ، انظر الدرر الكامنة ٣/٣٤٠٦ ، والشذرات ٦/١٦٣ - ١٦٤ .

(٤) راجع رفع الإصر لابن حجر ١/٧٦ - ٧٧ .

العراق فأقام بتبريز وأصبهان ويزد وشيراز ، ثم استمرّ مقيماً بشيراز بالمدرسة البهائية إلى أن مات في شهر ربيع الآخر منها .

١٤ - أحمد بن علي بن يحيى بن تميم الحسيني الدمشقي وكيل بيت المال بها ، سمع الكثير من الحجار وابن تيمية واليزي وغيرهم ، وقد ولي نظر المارستان النوري قديماً ووكالة بيت المال ونظر الأوصياء^(١)

وكان بيدمر يعتنى به ويقدمه ، وكان مشكوراً في مباشرته ثم ترك المباشرة وانقطع في بيته يُسمع الحديث إلى أن مات . قرأت عليه كثيراً ، وكان ناصر الدين بن عدنان يظن^(٢) في نسبه .

مات في ربيع الآخر وله سبع وثمانون سنة واستراح من رعب الكائنة العظمى .

١٥ - أحمد بن علي القبائلي وزير صاحب المغرب ، كان سلفه من ضواحي بني عبدالمؤمن وقتل أبوه - أبو الحسن - سنة أربع وسبعين بيد يعقوب بن عبد الحق المريني ، وكان كاتباً مطبقاً ، ونشأ ولده فأتقن الكتابة وياشر الأعمال السلطانية ، وكانت له معرفة بالحساب وصناعة الديوان ، فلما ظهر السلطان أبو الحسن امتحن ثم خدمه ولزم خدمته وناصره وقام بعده بولاية ولده أبي فارس ، ثم عقد لأخيه أبي عامر ثم ببيعة أخيه أبي سعيد ، ثم أوقع أهل الشر بينهما فأرسل إليه وإلى ابنه عبد الرحمن فسجنهما ثم ذبحهما في شوال سنة ثلاث ، وكان عارفاً حسن السياسة .

١٦ - أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عمر الأيكي^(٣) الفارسي نزيل بيت المقدس ثم الرملة ، يلقب زَغَلِش^(٤) بمعجمتين وأوله زاي ، الحنبلي أبو العباس ويعرف

(١) وكذلك نظر الأحباس ، أنظر الضوء اللامع ١٢٥/٢ .

(٢) أشار السخاوي شرحه ، فقال : « قال شيخنا : لكني رأيت بخط السبكي نسبه حسينياً » وهي عبارة لم ترد في المتن .

(٣) من غير تنقيط في الأمل ، وقد أثبتنا ما بالمتن بعد مراجعة الضوء اللامع ٢٥٥/٢ . ولكنه « الأمل » في ز ،

و « الأيل » في الشذرات ٢٥/٧ ، و « الأيكي » في ك .

(٤) الضبط من السخاوي : نفس المرجع والجزء والترجمة .

بابن العجمي وبابن المهندس ، سمع من الميدوي فمن بعده بالقدس والشام ، وطلب بنفسه
فحصل كثيراً من الأجزاء والكتب ، وتمهر قليلاً ثم افتقر وخمل ؛ سمعتُ منه بالرملة ووجدته
حسن المذاكرة ، لكنه عانى الكدية واستطابها وصار زريّ الملبس والهيئة :

سمعتُ منه في ثامن عشر رمضان سنة اثنتين وثمان مائة ، وقد سمع أبوه من الفخرعلى
وحدث . مات شهاب الدين هذا في وسط^(١) السنة وتمزقت^(٢) كتبه مع كثرتها .

١٧ - أحمد بن محمد بن عماد شهاب الدين أبو العباس ، ويقال له حميد الضرير ،
وأصله من الديار المصرية ودخل الشام وسكن حلب ، وكان ينظم الشعر حسناً ويعبر الرؤيا
ويعلم الوعاظ ما يقولونه في المشاهد والجوامع ؛ ودخل الشام مراراً^(٣) ثم استوطن حلب ،
ثم توجه منها في الفتنة العظمى فمات .

وهو الذي رثى القاضي شهاب الدين بن أبي الرضى قاضي حلب بالموشح المشهور .

١٨ - أحمد بن محمد بن محمد بن محمد الخُجندى^(٤) الحنفي ، ولد سنة تسع عشرة
واشتغل كثيراً وسمع الحديث وحدث ، وله تصانيف ، وكان مقياً بالمدينة النبوية ومات بها .
نقلتُ تاريخ وفاته من تاريخ العيني .

١٩ - أحمد بن موسى الحنبلي ، شهاب الدين بن الضياء نقيب القاضي الحنبلي .

(١) ذكر ابن حجر بالمتن أنه سمع منه في ١٨ رمضان ثم قال إنه مات في وسط السنة ، وقد نقل هذه العبارة بالنص
الشذرات ٢٥/٧ من ١٩ - ٢١ ، عل أن الصحيح هو أنه سمع منه في وسط السنة ثم مات في رمضان منها ، وقد نص البخاري :
الضوء اللامع ج ٢ ص ٨٦ من ٢٢ عل أن وفاته في هذا الشهر ، نقلنا عن ابن حجر في معجمه ، ثم نقل بعدئذ ما هو وارد
في الترجمة أعلاه ، وإن لم يكرر الإشارة إلى أخذه عنه .

(٢) في الضوء اللامع ٢٥٥/٢ تفرقت بعد موته كتبه مع كثرتها وذلك نقلنا عن ترجمته الواردة في الإنباء ،
« وأشار ناشر الضوء إلى أنه كان بالمخطوطة الأصلية كلمة « تمزقت » فأبدلها إلى « تفرقت » .

(٣) فراغ في ز .

(٤) نسبة إلى « حجندة » أول مدن فرغانة من الغرب ، انظر لسترايخ : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٥٢٢ ،
ومراصد الاطلاع ٤٥٣/١ . (انظر ماسبق ص ١١٦ ، وحاشية رقم ٢) . هذا وقد جاء أمام هذه الترجمة في هاشم « بخط
التاسخ » وأظنه المتقدم في سنة إثنين فيحرر « ثم جاء بخط البقاعي » هو هو غير ذي شك وهو آخر شيخنا البرهان
خازن الكتب وهو الأخير بفتح الهمة والمعجمة . قاله البقاعي « انظر ص ١١٦ ترجمة رقم ٢٠ .

مات في صفر وهو والد صاحبنا شمس الدين^(١) بن الضياء الشاهد بباب البحر ظاهر القاهرة .

٢٠ - أحمد بن نصر الله بن أبي الفتح الحنبلي ، القاضي موفق الدين بن القاضي ناصر^(٢) الدين ، ولد سنة تسع وستين في المحرم وولى القضاء مرتين وسافر مع العسكر المصرى ثم رجع بعد الهزيمة فضُغف إلى أن مات في رمضان .

٢١ - أحمد بن يوسف البانياسي ثم الدمشقي المقرئ ، قرأ بالروايات، وسمع الحديث من سنة سبعين من بعض أصحاب الفخر وغيرهم . مات في شعبان عن ستين^(٣) سنة .

٢٢ - أحمد الطُّخَيْشِي^(٤) إمام السلطان ، تقدّم في دولة الملك الناصر وصار يقضى الاشغال .

٢٣ - أسد بن محمد بن محمود جلال الدين الشيرازي ، قدم بغداد صغيراً فاشتغل على الشيخ شمس الدين السمرقندي في القراءات وفي مذهب الحنفية ، ثم حضر مجلس الشيخ شمس الدين الكرمانى^(٥) وقرأ عليه «صحيح البخارى» أكثر من عشرين مرة ، وجاور معه بمكة سنة خمس وسبعين ، وكان يقرئ ولديه ويشغلهما ، واشتغل في النحو والصرف وغيرهما، ودرّس وأعاد، وحَدّث وأفاد ، وكانت عنده سلامة باطن ودينٌ وتعفُّ وتواضع .

وكان يكتب خطاً حسناً ، كتب « البخارى » في مجلدين وأخرى في مجلد ، وكتب

(١) ذكر السخاوى : الضوء ٢٤١/٧ أن الشمس محمد بن الضياء كان كثير القيام بخدمة ابن حجر وكانت وفاته سنة موت ابن حجر ، وكان ابن الضياء شاهداً بمجانوت السويقة ، انظر أيضاً نفس المرجع ٦٤٠/٢ .

(٢) واجع الضوء اللامع ٦٥٧/٢ ، ورفع الإصر ١٠٩/١ - ١١٠ .

(٣) في الضوء اللامع ٧٠٣/٢ « عن سبعين سنة » .

(٤) « الطميشى » في ز ، ك .

(٥) راجع الإنباء ، ج ١ ص ٢٩٩ ، ترجمة رقم ٢٧ ، والشذرات ٢٩٤/٦ .

«الكشاف» و «تفسير البيضاوي» وغير ذلك ، وولى في الآخر إمامة الخانقاه السميساطية^(١) ومات بدمشق^(٢) في جمادى الآخرة وقد جاوز الثمانين .

٢٤ - إسماعيل بن عباس بن علي بن داود بن عمر بن علي بن رسول ، الملك الأشرف ابن الأفضل بن المجاهد بن المؤيد بن المظفر بن المنصور الغساني التميمي ، ممدد الدين - ويقال إن اسمه رسول محمد - بن هارون بن أبي الفتح بن يوحى بن رستم التركماني الأصل .

ولى السلطنة بعد أبيه فأقام بها خمسا وعشرين سنة ، وكان في ابتداء أمره طائشا ثم توقّر وأقبل على العلم والعلماء ، وأحبّ جمع الكتب ، وكان يكرم الغرباء ويبالغ في الإحسان إليهم . امتدختّه لما قدمت بلده فأثابني أحسن الله جزاءه .

مات في ربيع الأول بمدينة تعز ودفن بمدريسته التي أنشأها بها ولم يكمل الخمسين .

٢٥ - إسماعيل^(٣) بن عبد الله المغربي المالكي نزيل دمشق ، كان بارعاً في مذهبه وناب في الحكم وأفتى ، وتفقه به الشاميون . مات في شعبان عن نحو سبعين سنة وقد ضعف بصره^(٤) .

٢٦ - أبو بكر بن إبراهيم بن العز محمد بن العز إبراهيم بن عبد الله بن أبي عمر المقدسي ثم الصالحي ، عماد الدين الحنبلي المعروف بالفرائضي ، سمع الكثير على الحجارة وابن الزرّاد^(٥) وغيرهما ، وأجاز له أبو نصر بن الشيرازي والقاسم بن عساكر وآخرون ،

(١) نسبة إلى أبي القاسم علي بن محمد بن يحيى السلمى الحنبلي السميساطي من أكابر الرؤساء بدمشق في القرن الخامس الهجري ، راجع عن الخانقاه الدارس ١٥١/٢ - ١٦١ .

(٢) «بدمشق» ساقطة من ز .

(٣) في ز «أبو بكر» ولكن الصحيح ماورد بالمتن ، راجع ترجمته في الضوء اللامع ٩٣٠/٢ ، وهي منقولة بنصها

من هنا .

(٤) في ك «ببصر» .

(٥) هو محمد بن أحمد بن أبي الهيثم بن الزرّاد شمس الدين المتوفى سنة ٥٧٢٦ هـ ، راجع عنه الدرر الكامنة

٣٥١٦/٢ ، وشرحات الذهب ٧٢/٦ .

وأكثر عليه، وكان قبل ذلك عسرا في التحديث فسهل الله تعالى لي خلقه . مات في أيام الحصار عن نحو من ثمانين (١) سنة .

٢٧ - أبو بكر (٢) بن إبراهيم بن معتوق الكردي الهكاري ثم الصالحى ، روى لنا عن علي بن أبي بكر الحراني ومات في الحصار أيضا ، وقد تقدم ذكر أخيه أحمد (٣) .

٢٨ - أبو بكر بن سليمان بن صالح ، الشيخ شرف الدين الداديني (٤) نسبة إلى قرية من قرى سرمين (٥) ، قرأ بحلب الفقه على [أبي حفص] الباريني ، والنحو على أبي جعفر وأبي عبد الله الأندلسيين ؛ وأخذ بدمشق عن ابن كثير والسبكي والموصلى ، وبرع ودرس وأفتى ونفع الناس ، وولى القضاء بحلب مرة ثم سكن حماة وشغل بها ، وكان ديننا عالما . مات في الكائنة العظمى اللنكية في جمادى (٦) الأولى سنة ثلاث وثمانى مائة .

٢٩ - أبو بكر بن سنقر الجمالى سيف الدين أحد الأمراء الحجاب بالقاهرة ، وولى إمرة الحج مرارا بعد موت خاله بهادر ، وكانت فيه مداراة ولم يكن له حرمة (٧) . مات في يوم الجمعة ثالث عشر جمادى الأولى .

(١) انظر الضوء اللامع ٣١/١١ .

(٢) ذكره السخاوى في الضوء اللامع ١٣/١١ وسماه « أحمد » ثم ترجم لأحمد هذا في الضوء ج ١ ص ١٩٦ وراح يخطئ ابن حجر في أنه أعاده فيمن اسمه « أبو بكر » ، والواقع أن ابن حجر لم يخطئ إذا استفاد من الوارد أعلاه أنه كان للمترجم أخ هو « أحمد » الذى ترجم له الضوء كما ذكرنا .

(٣) راجع ترجمة رقم ٥ ص ١٥١ من وفيات هذه السنة .

(٤) Cf. Le Strange : Palestine Under the Moslems, p. 437.

(٥) بلدة من أعمال حلب قال عنها مرصد الاطلاع ٧١٠/٢ إن أهلها إسماعيلية ، راجع عنها Dussaud : Topographie Historique de la Syrie, p. 214.

(٦) في الضوء اللامع ٩١/١١ « ربيع الآخر » ، وقد ذكر ابن شعبة : الاعلام ، ورقة ١٨٤ ب تاريخين لوفاته أحدهما في شهر ربيع الأول والآخر في جادى الأولى .

(٧) أشار ابن شعبة : الاعلام ، ١٨٥ أ إلى أن ابن حجر قال عنه : « كان مشكور السيرة قليل المهابة » وأنه مات في جادى الآخرة ، وهو ما يخالف الوارد بالمتن .

٣٠ - أبو بكر بن عبد الله بن الغمام أبي بكر بن أحمد بن عبد الحميد بن عبد الهادي المقدسي ثم الصالحى ، حدثنا عن أحمد بن عبد الله بن جبارة . مات في الحصار .

٣١ - أبو بكر بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة ، شرف الدين: الحموى الأصل ثم المصرى ، سمع الكثير من جدّه والميلدومى^(١) ويحيى بن فضل^(٢) الله وغيرهم ، وسمع من أحمد بن مسعود^(٣) قصيدته التى أولها :

« سلوا ظبية الوعيا هل فقَدَتْ إلها »

وكان مولده في ذى القعدة سنة ثمان وعشرين [وسبعمائة] ، وأجاز له مشايخ مصر والشام إذ ذاك بعناية أبيه^(٤) ، واشتغل مدة وزاب عن أبيه في الحكم والتدريس^(٥) ثم ترك وخمل لاشتغاله بما لا يليق بأهل العلم ، وكان يدرى أشياءً عجيبةً صناعيةً ؛ رأيته يجعل الكتاب في كفه ويقرأ ما فيه من غير أن يكون شاهده . مات في رابع عشر جمادى الأولى بمصر؛ وأنجب ولده الإمام عز الدين محمد بن^(٦) أبي بكر .

٣٢ - أبو بكر الجيندى^(٧) الساعاقي الدمشقي ، كان عارفاً بحساب النجوم . مات في شعبان ، وأخذ عن ابن القماح ، وكان ابن القماح يقدمه على نفسه .

(١) هو محمد بن محمد بن إبراهيم المصرى وينسب إلى ميلدوم إحدى قرى مركز الواسطى ببني سويف ، انظر الدرر الكامنة ٤/٤٢٧٩ ، والنجوم الزاهرة ١٠/٢٩١ .

(٢) راجع عنه الدرر الكامنة ٥/٥٠٣٦ .

(٣) هو أحمد بن مسعود بن أحمد بن عدود السهورى صاحب المدائح النبوية . مات بالطاعون سنة ٧٤٩ هـ ، انظر الدرر الكامنة ١/٧٩٦ ، والسلوك ٢/٧٩١ ، والنجوم الزاهرة ١٠/٣٣٤ .

(٤) سماه ابن حجر في الدرر الكامنة ٢/٤٤٤٣ بقاضى المسلمين .

(٥) ذكر ابن شعبة : الإعلام ، أنه درس في أيام أبيه بالمدرسة الخشائية .

(٦) راجع ترجمته في الضوء اللامع ٧/٤١٧ ، وترجمته رقم ٣٧ في وفيات سنة ٨١٩ في الجزء الثالث من إنباء الفهر .

(٧) « الجنتى » في كل من الضوء اللامع ١١/٢٧٣ ، ونسخة هـ .

٣٣ - بُجَّاس ، بضم أوله وتخفيف الجيم وآخره مهملة ، هو الأمير الذي ينسب إليه جمال الدين الأستاذ دار وتزوج ابنته سارة^(١) ، وهو بُجَّاس النوروزى النحوى^(٢) سيف الدين ، قدم القاهرة وهو كبير فاشتراه الظاهر برقوق وترقى عنده إلى أن أمره ، وكان من كبار الجراكسة في بلاده . مات في رجب .

٣٤ - البدر بن الشجاع عمر الكندى ثم المالكى من بنى مالك - بطن من كندة - الظفارى ملك ظفار ، غلب أبوه على مملكة ظفار في حدود الستين وسبعمائة وكان وزير صاحبها المغيث بن الواثق من ذرية على بن رسول فوثب عليه فقتله وتملك ظفار ثم مات عن قريب ، وولى ولده البدر المذكور وطالت مدته وغلب على أعدائه ومهد بلاده وعدل فيها واشتهر ، وكان جواداً مهاباً .

مات في هذه السنة واستقر ولده أحمد ، ودبر الملكة معه جماعة من إخوته، ثم وقعت بينهم الفتنة وتفرق شملهم وغلب بعضهم على بعض حتى تفرقوا ، وكان من آخر أمرهم تشتتهم في الأرض ، فحضر بعضهم إلى القاهرة فأقام بها غريباً طريداً إلى أن خرج عنها سنة خمس وعشرين وثمانى مائة .

٣٥ - جَكَم - بالجيم والكاف وزن قمر - الجركسى الظاهرى .

٣٦ - حسن بن على بن سرور الدمشقى شرف الدين بن خطيب حديثه^(٣) ، مات في رمضان عن خمس وستين سنة بدمشق .

٣٧ - الحسن بن محمد بن على العراقى نزيل حلب ، كان شاعراً ماهراً يمدح الأكابر

(١) انظر الضوء اللامع ١٢/٣٠٤ .

(٢) لم أفت على تفسير لهذه النسبة في أمير جركسى ، والظاهر أنها استرعت من قبل انتباه ناسخ ه فكتب فوقها ه كذا .

(٣) الضبط من مرآة الاطلاع ١/٣٨٧ حيث ذكر أنها قرية بغوطة دمشق ويقال حديثه جرش : بالشين المعجمة

ومعنى المهملة .

وَيَتَكَسَّبُ بِذَلِكَ وَبِالشَّهَادَةِ ، وَكَانَتْ فِيهِ شِيعِيَّةٌ فَكَانَ خَامِلًا بِسَبَبِهَا رِثَ الْحَالِ ، صَنَّفَ « الدِّرَالْنَفِيسَ فِي (١) أَجْنَاسِ التَّجْنِيسِ » فِي مَدْحِ الْبِرْهَانَ بْنِ جَمَاعَةَ يَشْتَمِلُ عَلَى سَبْعِ قِصَائِدَ ، أَوْهَا :

لَوْلَا الْهَلَالُ الَّذِي فِي حَيْكُمِ سَفْرَا
مَا كُنْتُ أَنْسَوِي إِلَى مَغْنَاكُمُ سَفْرَا .

وَمِنْ (٢) نَظْمُهُ :

جَرَى دُرْدَمَعٍ مِنْ جَفْوَونِ أَجِيَّتِي
وَسَأَلْتُ دُمُوعِي كَالْعَقِيقِ بِهِمْ حَمْرَا
فَرَاخُوا وَفِي أَعْنَاقِهِمْ مِنْ دَمَائِنَا
عَقِيقٌ ، وَفِي أَعْنَاقِنَا مِنْهُمْ دُرَا .

مَاتَ فِي سَابِعِ عَشْرِ الْمَحْرَمِ .

٣٨ - حَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ شَمْسِ الدِّينِ بْنِ أَبِي الْفَتْحِ الْبَعْلِيِّ ثُمَّ الدَّمَشْقِيُّ الْحَنْبَلِيُّ ، بَدَرَ الدِّينِ بْنِ بَهَاءِ الدِّينِ بْنِ الْعَلَامَةِ (٣) الشَّمْسِ الْبَعْلِيِّ ؛ سَمِعَ مِنْ زَيْنَبِ بِنْتِ الْكَمَالِ وَالْجَزْرِيِّ . مَاتَ فِي شَعْبَانَ وَقَدْ جَاوَزَ السَّبْعِينَ .

٣٩ - خَدِيجَةُ بِنْتُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سُلْطَانَ الْبَعْلِيَّةِ ثُمَّ الدَّمَشْقِيَّةِ ، أَحْضَرَتْ عَلَى الْقَاسِمِ بْنِ عَسَاكِرَ ، وَأَجَازَ لَهَا أَبُو نَصْرِ بْنِ الشِّيرَازِيِّ وَالدَّبَابِيْسِيُّ وَآخَرُونَ ، وَأَكْثَرَتْ عَنْهَا .

مَاتَتْ وَقَدْ قَارَبَتْ التَّسْعِينَ ، وَهِيَ آخِرُ مَنْ حَدَّثَ عَنِ الْقَاسِمِ بِالسَّمَاعِ فِي الدُّنْيَا .

(١) « مِنْ » فِي الضُّوْءِ اللَّامِعِ ٤٨٦/٣ .

(٢) هَذَا السُّطْرُ وَالْبَيْتَانِ التَّالِيَانِ لَهُ غَيْرُ وَارِدٍ فِي ظ .

(٣) زَادَ الضُّوْءُ اللَّامِعُ ٤٩٣/٣ عَلَى ذَلِكَ بِأَنَّهُ يَعْرِفُ أَيْضًا بَابِنِ الْقَرَشِيَّةِ نَسَبًا إِلَى أَنَّهُ سَبَطَ عَبْدَ الْقَادِرِ بْنِ الْقَرَشِيَّةِ الَّذِي تَرَجَّمَتْ لَهُ الدَّرُورُ الْكَامِنَةُ ٢٤٩٤/٢ وَإِنْ سَمَاءُ « الْقَرَشِيَّةِ » بِحَذْفِ كَلِمَةِ « ابْنِ » .

٤٠ - خديجة بنت أبي بكر بن علي بن أبي بكر بن عبد الملك الصالحية المعروفة ببنت الكورى ، حدثت عن زينب بنت الكمال . ماتت في حصار دمشق .

٤١ - خديجة^(١) بنت الإمام نور الدين محمد بن أبي بكر بن قوام البالسية ثم الصالحية ، سمعت من زينب بنت الخباز وحدثت . ماتت في شوال .

٤٢ - داود بن أحمد بن علي بن حمزة البقاعي الدمشقي [ثم الصالحى^(٢)] الحنبلى حدثنا عن الحجارة ، مات في شعبان .

٤٣ - داود بن علي الكردي نزيل حلب^(٣) ، أخذ الفقه عن الزين [أبي حفص] الباري ، وتكسب بالشهادة وكان كثير التلاوة . مات بحلب .

٤٤ - دُرَيْب بن أحمد بن عيسى الحرامى^(٤) - بالمهمتين - أمير حلى ، قُتل في حرب وقعت بينه وبين بنى كنانة^(٥) ، وكان شهماً كريماً واستقر بعده أخوه موسى^(٦) .

٤٥ - رسلان^(٧) بن أبي بكر بن رسلان بن نصير بن صالح البلقيني ، بهاء الدين أبو الفتح ابن أخي شيخ الإسلام سراج الدين [عمر البلقيني] ، اشتغل في الفقه كثيراً ومهر به

(١) كانت من أجازوا لابن حجر ، انظر الضوء اللامع ١٧٣/١٢ .

(٢) الإضافة من الضوء اللامع ٧٩١/٣ .

(٣) وبها كان موته أيضاً ، انظر في ذلك الضوء اللامع ٨٠٠/٣ ، ويلاحظ أن ابن قاضي شعبة نقل هذه الترجمة في كتابه الإعلام ، ورقة ١٨٧ دون الإشارة إلى ابن حجر .

(٤) نسبة إلى بنى حرام وهم بطن من كنانة أو كنانة عذرة كما جاء في قلائد الجنان في التعريف بقبائل عرب الزمان للقلقشندي ، ص ٤٨ ، على أن نفس الكاتب أطال في التعريف ببني حرام في كتابه الآخر نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ص ٢٣٠ - ٢٣٢ ، فجعلهم بطوناً من الخزرج ومن سعد العشيبة ومن حمير ومن جذام ومن خزاعة ومن تميم أى أنهم ما بين قطفانية وعدنانية .

(٥) وكانوا نازلين بحلى ، ويلاحظ أن بنى كنانة المقصودين في المتن أعلاه كانوا في اليمن ومنهم النظر وهو من النسب النبوي ، أما من كانوا خارجين عن عود النسب فكثيرون ، منهم الحارث وسعد وعوف ومجرية وجرول ، انظر القلقشندي : نهاية الأرب ، ص ٤٠٩ .

(٦) ستردد ترجمته رقم ٥٦ في وفيات سنة ٨١٩ من كتابنا إنباء الغمر هذا ، وانظر أيضاً الضوء اللامع ٧٥٠/١٠ .

(٧) نقل الضوء اللامع ٨٤٩/٣ هذه الترجمة مع تحوير بسيط .

وشارك في غيره ، وناب في الحكم وتصدى للإفتاء والتدريس ، وانتفع الناس به في جميع ذلك . مات في آخر جمادى الأولى وله سبع وأربعون سنة ، وكثر التأسف عليه ، مع الوفاة وحسن الخلق والشكل ، وكان كثير المنازعة لعمه في اعتراضاته على الرافعي .

قال الشيخ شهاب الدين بن حجرى : « كان من أكابر العلماء وحمدت سيرته في القضاء » .

٤٦ - رقية بنت على بن محمد بن أبي بكر بن مكى الصفدي ثم الصالحية ، روت لنا عن زينب بنت [إسماعيل بن] الخباز ساعاً . ماتت في رمضان .

٤٧ - زينب بنت العماد أبي بكر بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عباس بن جعوان ، سمعت من الحجار وعبد القادر بن الملوك وغيرهما . ماتت^(١) في شوال وسمعت عليها أيضا .

٤٨ - ست الكل^(٢) حدثت بالإجازة عن يحيى^(٣) بن فضل الله ويحيى بن المصرى وابن الرضى وغيرهم من المصريين والشاميين ، سمعت عليها جزءاً بمكة .

٤٩ - شعبان بن على بن إبراهيم المصرى^(٤) الحنفى شرف الدين ، سمع من أصحاب الفخر وكان بصيراً بمذهبه ، ودرّس في العربية ، وحصل له خلل في عقله ومع ذلك يدرّس ويتكلم في العلم . مات في شوال .

٥٠ - شمس الملوك بنت ناصر الدين محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن يعقوب بن الملك العادل الدمشقية ، روت عن زينب بنت الكمال ، ماتت في شعبان ، ولى منها إجازة^(٥) .

(١) في ظ « ماتت في شوال أيضا . سمعت عليها » .

(٢) هي ست الكل بنت أحمد بن محمد بن محمد أم الحسين القسطلانية وتعرف ببنت رحمة . وهي مشهورة بكنيتها أكثر من اسمها ، راجع الضوء اللامع ج ١٢ ص ٥٧-٥٨ .

(٣) هو يحيى بن فضل الله بن بجلى بن دعجان المولود بالكرك سنة ٦٤٥ ، وكتب الإنشاء وهو حدث بدمشق ، ثم استقر بعد وقت في كتابة السرها وتوقيع الدست ثم كتابة السرها بالقاهرة وكانت وفاته سنة ٧٣٨ ، انظر الدرر الكامنة ٥٠٣٦/٤ .

(٤) المقرئ في إعلام ابن قاضي شبيهة .

(٥) كانت له منها إجازة وإن لم يتهياً له لقاءها كما يستدل على ذلك من الضوء اللامع ٤١٩/١٢ .

٥١ - ططر بنت عز الدين محمد بن أحمد بن محمد بن عثمان المنجا [أم بكر]
التنوخية الدمشقية ، أخت شيختنا فاطمة ، سمعت من أقوش^(١) الشبلي وحدثت بالإجازة
عن الجزري وبنيت الكمال . ماتت في شعبان .

٥٢ - عبد الله بن سالم بن سليمان بن عمر البصروي ثم الدمشقي كمال الدين ، وُلد
سنة ست وأربعين وسلك طريق الفقراء ، وأحضر على بعض الشيوخ ثم سمع بنفسه وتجرد
ثم تزوج^(٢) وتنزل في المدارس . مات في شعبان^(٣) .

٥٣ - عبد الله بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن عبد الله المقدسي
ثم الصالحى ، [ويعرف^(٤) بابن عبيد الله] تقي الدين ، سمع من الحجار وغيره . قرأت
عليه الكثير بالصالحية . مات بعد الواقعة .

٥٤ - عبد الله بن نجيب بن عبد الله الحلبي ، شرف الدين بن النجيب ، ولى نظر
الجيش بحلب مرة ثم أضاف إليه يلعباً نظر ديوانه لما ولى النياية بحلب فاستمر في خدمته
إلى أن ملك الديار المصرية وهو معه ، ثم رجع معه لما أُطلق من حبس الإسكندرية بعد رجوع
الظاهر من الكرك وتولية الناصري النياية بحلب .

ولما قدم الظاهر وأمسك الناصري وقتله طلب شرف الدين المذكور فهرب واستمر في
الاختفاء إلى أن مات برقوق .

(١) في ظ « أقوس » وفي ز « أقوس السبلي » وفي الضوء اللامع ٨٢/١٢ « أقش » ولكن الصحيح هو ما أوردهنا
بالمثل إذ أنه هو عمر بن أقش الشبلي الذهلي المعروف بالحسام ، انظر الدرر الكامنة ٢٩٨٧/٣ .

(٢) شرح ابن قاضي شعبة : الإعلام ، ورقة ١٨٧ ب المقصود من هذا الزواج فقال إنه تزوج وكثر أولاده
فاحتاج إلى الكد والسعي .

(٣) ورد بعد هذا في ٥ : « عبد الله بن محمد بن عبد الأحد الحرائي الأصل الحلبي ، ولد سنة بضع عشرة ، وتفقه على
الفخر عثمان بن عطيبي جبرين وناب في الحكم وكان خيراً . مات في الكائنة العظمى بحلب » وأمامها في الهامش « لعله
عبد الأحد الآتي » وفيما يتعلق بعبد الأحد هذا انظر فيما بعد ص ١٦٧ ترجمة رقم ٥٦ ، وحاشية رقم ١ .

(٤) راجع الضوء ١٧٠/٥ .

فلما ولى دمرداش النيابة بحلب ظهر شرف الدين المذكور فاستخدمه دمرداش في ديوانه أيضا واستمر في الوقعة العظمى ؛ وكان فيمن فرّ من حلب إلى قلعة الروم فأقام بها فاتفقت وفاته في آخر السنة ؛ ذكره القاضي علاء الدين في تاريخه قال : « كان عاقلاً رئيساً يحبّ الصالحين ويبرّهم » .

٥٥ - عبد الله بن يوسف بن أحمد بن الحسين بن سليمان بن فزارة بن بدر الدمشقي الحنفي ، تقي الدين المعروف بابن الكفري قاضي الحنفية وابن قاضيهم^(١) بدمشق ، وُلد سنة ست^٤ وأربعين واشتغل وتمهّر وتنبّه ، وسمع على أصحاب ابن عبد الدائم وإسماعيل بن أبي اليسر ، وأحضر على السلاوي في الثالثة وعلى ابن الخباز^(٢) في الخامسة ، وحضر في العربية عند بهاء الدين المصري، وفي المعقول عند القطب التحتاني، وولى قضاء العسكر مد ثم ناب في الحكم ثم استقلّ سنة خمس وثمانين .

وكان يذاكر بأشياء ويحفظ أيام الناس ؛ سمعتُ عليه فيما أحسب ، وأجاز لي ، وقد حدّث ودرّس في حياة أبيه^(٣) وخطب له ، وخرّج له أنس^(٤) بن علي المحدث أربعين حديثاً، ولم يكن يحمد في حكمه مع سياسة كانت عنده ومداراةٍ وجمعٍ بين الخبرة بالأحكام والحشمة .

مات وله بضع وخمسون سنة في ذى الحجة بعد أن أودى في المحنة وسكن في بعض المدارس .

(١) انظر الضوء اللامع ٢٦٦/٥ ، وقضاة دمشق ، ص ٢٠١ ، ٢٠٥ .

(٢) هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن سالم الأنصاري ، اسمه أبوه عند الكثيرين ، وجب إليه الحديث وأهله حتى قيل إنه « كان مسند الأفاق في زمانه » ومات سنة ٧٥٦ ، انظر الدرر الكامنة ٣٥٣٥/٤ ، وشذرات الذهب ١٨١/٦ .

(٣) كان أبوه يوسف بن أحمد بن عبد العزيز من عني بالفقه وكتب المنسوب ودرس بمجاه ، كما ولى كتابة الإنشاء بدمشق ، وكانت وفاته سنة ٥٧١٦ هـ . انظر الدرر الكامنة ٥٠٩٢/٥ .

(٤) كانت وفاته سنة ٥٨٠٧ هـ ، انظر فيما بعد ص ٣٠٠ ترجمة رقم ٣ ، وراجع الضوء اللامع ١٠٥٣/٢ .

٥٦ - عبد الأحد^(١) بن محمد بن عبد الآخر الحرّاني الأصل [الحنبلي] الحلبي ، ولد سنة بضع عشرة، واشتغل^(٢) بالفقه ، وقرأ القراءات على الفخر خطيب جبرين وعلى غيره ، وناب في الحكم بحلب . قال القاضي علاء الدين في تاريخه : « كان ديناً ظريفاً حسن المحاضرة مع كبر سنه ، ثم وقع في يد الططر فعاقبوه فمات في شهر ربيع الأول » .

٥٧ - عبد الرحمن بن أحمد بن علي القبائلي ، تقدم ذكره في هذه السنة مع والده^(٣) .

٥٨ - عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الفخر عبد الرحمن البعلبي الدمشقي الحنبلي ، حدثنا عن المزى وغيره . مات في رجب^(٤) .

٥٩ - عبد^(٥) الرحمن بن عبد العزيز بن أحمد بن عثمان بن أبي الرجال^(٦) بن أبي الزهر^(٧) التنوخي بن السلعوس الدمشقي ، سمع من عبد الرحيم بن أبي اليسر^(٨) وداود

(١) ترجم له ابن حجر من قبل باسم عبد الله - وهي ترجمة واردة في ٥ - فقال : « عبد الله بن محمد بن عبد الأحد الحرّاني الأصل الحلبي ، ولد سنة بضع عشرة وتفقّه على الفخر عثمان بن خطيب جبرين وناب في الحكم وكان خيراً . مات في الكائنة العظمى بحلب » وقد أشار السخاوي : الضوء اللامع ج ٥ ص ٥١ إليه بهذا الاسم فقال : « مضى في عبد الأحد » ثم ذكره في ترجمة عبد الأحد ، نفس المرجع ٧٥/٤ فقال : « ذكره شيخنا في إنبائه في عبد الأحد وكذا في عبد الله وثانيهما غلط » انظر ما سبق ص ١٦٥ وحاشية رقم ٣ .

(٢) في ظ : « وتفقّه على الفخر بن خطيب جبرين وناب في الحكم وكان ديناً » .

(٣) راجع ص ١٥٥ ترجمة رقم ١٥ « أحمد بن علي القبائلي » حيث مات ذبيحاً كما مات ابنه صاحب الترجمة أعلاه وفق ما ذكره الضوء اللامع ١٦٨/٤ .

(٤) ذكر الضوء اللامع ٢٥٨/٤ أن المقرئ تابع ابن حجر في تحديد شهر الوفاة .

(٥) كرر ابن حجر هذه الترجمة في سنة ٨٠٧ وذكرها بعد ترجمة عبد الله بن محمد بن لاجين الرشدي فقال : « عبد الرحمن بن عبد العزيز بن أحمد بن عثمان بن أبي الرجاء بن أبي زهر الدمشقي المعروف بابن السلعوس ، يكنى أبا بكر ، سمع من زينب بنت الحلباؤ وحديث عنها ، أجاز لي . هذا وقد أشار السخاوي : الضوء اللامع ٢٣٩/٤ إلى أن ابن حجر ترجم له في كل من معجمه وإنبائه تحت سنة ٨٠٧ ، وكذلك فعل المقرئ في عقوده ، وقال إنه ذكره أيضاً في وفيات سنة ٨٠٣ ، ولكنه لم يجزم في أي السنتين كانت وفاته إذ قال : « والله أعلم » . هذا وقد أورده الشذرات ٦٨/٧ فيمن مات سنة ٨٠٧ ، وجعله ابن قاضي شعبة : الإهلام ، فيمن مات سنة ٨٠٣ لكنه تردد بين شهري شعبان ورمضان وقال إنه (أي صاحب الترجمة) حدثت عن ابن حجر بمعجم ابن جميع .

(٦) في ٥ : « الرجاء » .

(٧) « الأزهر » في شذرات الذهب .

(٨) هو عبد الرحيم بن إبراهيم بن إسماعيل بن أبي اليسر التنوخي ، سمع الكثير من الكتب على جده لأبيه إسماعيل ،

انظر الدور الكامنة ٢٣٧٩/٢ .

ابن العطار^(١) وابن الخباز وغيرهم ، وحدث . مات في شعبان أو رمضان وله نحو السبعين .

٦٠ - عبد الرحمن بن فخر الدين الحسنى تقي الدين أخو نقيب الأشراف وابن نقيبهم ، مات في ربيع الأول .

٦١ - عبد^(٢) الرحمن بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن لاجين الرشيدى ثم المصرى زين الدين ، سمع على الميدوى ومحمد بن إسماعيل الأيوبى^(٣) وغيرهما ، وسمع بدمشق من عمر بن زباطر وابن أميلة^(٤) وغيرهما وحدث .

وكان عارفاً بالفرائض والحساب والميقات ، وله مجاميع حسنة ، وشرح « الجعبرية » و « الأشنوية » و « الياسمينية » ، ولم يكن ما هراً . قال القاضى تقي الدين الشهبى : « وقفتُ على شرحه^(٥) ، وفيه أوهام عجيبة » .

مات في مستهل جمادى الأولى وله اثنتان وستون سنة ، قرأتُ عليه قليلاً عن الأيوبى ، وسمعتُ منه « المسلسل » .

٦٢ - عبد الرحمن الطنتدائى المعروف بالخليفة شيخ الطائفة السطوحية ، كان ينزل المدرسة الفارسية^(٦) من القاهرة ، ويُعمل بها بعد صلاة الجمعة عنده سماع فيحضر الخلائق ، وكان متودداً قللاً أن تردُّ شفاعته . مات في جمادى الآخرة .

(١) هو داود بن إبراهيم بن داود بن يوسف بن العطار المولود سنة ٦٣٥ هـ ، وقد ولى دار الحديث القليجية كما جاء في الدرر الكامنة ١٦٧٧/٢ وكان كثير التحديث حسن الخط ، أما القليجية فلم تكن دار حديث بل مدرسة للشافعية بدمشق ، بناها مجاهد الدين بن قليج محمد ؛ انظر عنها وعن داود بن العطار النعمى : الدارس في تاريخ المدارس ١/٤٣٤ - ٤٣٥ ، وإن جعل وفاته سنة ٥٧٥٢ هـ .

(٢) هذه الترجمة غير واردة في ك .

(٣) وذلك بالقاهرة كما استفاد من الضوء اللامع ٤/٣١٩ ، وأشار إلى أن له تصنيفاً في نيل مصر .

(٤) هو عمر بن حسن بن مزيد بن أميلة المراغى ثم المزى ، وقد سبقت الترجمة له في إنباه العمر ١/١٤٢ ، ترجمة رقم ٥٥ ، أنظر أيضا الدرر الكامنة ٣/٢٩٩٧ ، وشذرات الذهب ٦/٢٥٨ .

(٥) فسر ابن شعبة : الإعلام ، ورقة ١٨٨ ب ، هذا الشرح بأنه شرح لفرائض الأشنوية .

(٦) سماها الضوء « بالمدرسة » فقط ، ولكن تكرر ورودها بغيرها في النعمى : الدارس في تاريخ المدارس ٢/٥٩ ،

حاشية رقم ١ ، وانظر أيضاً الضوء اللامع ٤/٤٣٢ .

٦٣ - عبد الرحيم بن عبد الله بن محمد بن محمد بن محمد بن بهرام الحلبي : كان فاضلاً أتقن الشروط ورأس فيها ، وكان مشكور السيرة . مات في شعبان بمدينة الشجر^(١) .

٦٤ - عبد^(٢) العزيز بن محمد بن محمد بن الحضرمي ، عز الدين المعروف بالطيبي - بتشديد التحتانية بعدها موحدة - ولد قبل سنة ثلاثين ، وأسمع على يحيى بن فضل الله وصالح^(٣) بن مختار وأحمد بن منصور الجوهري^(٤) وآخرين ، ووقع في الحكم عند أبي البقاء فمن بعده ، وباشر نظر الأوقاف ولم يكن محموداً في معرفته بالشروط ، سمعت عليه شيئاً وخرّجت له جزءاً . مات في ثالث عشر المحرم .

٦٥ - عبد القادر بن محمد بن علي بن عمر بن نصر الله الدمشقي الفراء المعروف بابن القمر^(٥) سبط المحافظ الذهبي ، سمع بإفادة جدّه منه ومن زينب بنت الكمال وأحمد بن علي الجزري^(٦) في آخرين ؛ حدّثنا في حانوته ، وكان نعم الرجل ، مات في الكائنة [بدمشق] .

٦٦ - عبد الكريم^(٧) بن عبد الرزاق بن إبراهيم بن مكناس ، أبو الفضائل كريم الدين ، ولي الوزارة وغيرها مراراً وكان مهاباً مقداماً مشهوراً . مات في جمادى الآخرة . وكان ابتداء

(١) عرفها مراد الاطلاع ٨٠٢/٢ بأنها قلعة حصينة مقابلها أخرى يقال لها بكاس على جبلين بينهما واد كالخندق وهما قرب أنطاكية راجع أيضاً Le Strange : op. cit. p. 537

(٢) ورد اسمه في ك على الصورة التالية : « عبد الرحيم بن عبد الله بن محمد بن محمد بن الحضرمي » ؛ ويلاحظ فيها الخلط بينه وبين عبد الرحيم الوارد في الترجمة أعلاه رقم ٦٣ ، أنظر أيضاً الضوء اللامع ٥٩٤/٤ .

(٣) هو صالح بن مختار بن صالح الأشنبي العجمي الأصل المصري المولود سنة ٦٤٢ ، وكان رجلاً صالحاً مباركاً . عمر نحو ٣٠ من ست وتسعين سنة وكانت إقامته بترية الشافعي ، ومات سنة ٧٣٨ ، انظر الدرر الكامنة ١٩٧٣/٢ .

(٤) هو أحمد بن منصور بن إبراهيم الحلبي الأصل المصري ، كان من بيت الرياسة ثم انقطع في آخر عمره ومات سنة ٧٣٨ ، انظر الدرر الكامنة ٨٠٣/١ .

(٥) ذلك لقب جد أبيه عمر ، انظر الضوء اللامع ٧٧٥/٤ ، والإضافة في هذه الترجمة منه .

(٦) هو أحمد بن علي بن الحسن بن داود الجزري الهكاري ، وقد حدث كثيراً ، وكان كثير الذكر والتلاوة دموياً على العبادة ، مات سنة ٧٤٣ ، انظر الدرر الكامنة ٥٣٥/١ .

(٧) Wiet : Les Biographies du Manhal Safi, No. 1460. (٧)

ولابته الوزارة في أواخر دولة الأشرف ، ثم لما قُتل الأشرف وقُبض على الشمس المسمى تولى كريم الدين مصادرتة واستقر في نظر الخاص^(١) بدله في سنة ثمانين، ثم قبض عليه بسبب تهوره وصوره وضرب ، ثم عاد في دولة بلبغا الناصري وتقلبت به الأمور، ولم يكن فيه ما في أخيه فخر الدين^(٢) من الإنسانية والأدب إلا أنه كان مفضلاً كثير الجود لأصحابه .

٦٧ - عبد اللطيف بن أحمد بن علي^(٣) الإسناوى ، تقي الدين بن أخت الشيخ جمال الدين ، اشتغل على خاله قليلا وناب عنه في الحسبة وعن غيره ، ثم ناب في الحكم ، وسمع على الميديمي وغيره وحدّث يسيراً ؛ أخذ عنه أبو زرعة بن العراقي والطلبة .
مات في ربيع الآخر وقد جاوز الستين ، وكان مشكورا في الأحكام ، ولم آخذ عنه شيئاً .

٦٨ - عثمان بن محمد بن عثمان بن محمد بن موسى بن جعفر الأنصارى السعدى العبّادى - بالضم والتخفيف - فخر الدين الكركى ثم الدمشقى الشافعى الكاتب الموجود، وُلد بالكرك سنة سبع وعشرين ، وقدم دمشق سنة إحدى وأربعين فسمع بها من أحمد بن علي الجزرى والسلاوى ، ثم عاد إلى بلده، ثم استوطن دمشق من سنة خمس وأربعين واشتغل في « التنبيه » ، وسمع أيضاً من زينب^(٤) ومحمد ابني إسماعيل بن الخباز وفاطمة^(٥) بنت العز [إبراهيم] ، ثم دخل مصر فأقام بها مدة وتزوج بنت العلامة جمال الدين بن هشام .

(١) « الجيش » في ز ، ك ، ه .

(٢) Wlet : op. cit. No. 1370 .

(٣) « عمر » في الضوء اللامع ٤/٨٩٠ ، و « علم » في ه .

(٤) وتعرف أيضاً بأمة العزيز ، انظر الدرر الكامنة ٢/١٧٤٧ ،

(٥) هي فاطمة بنت العز إبراهيم المقدسية ، أكثرت من سماع الحديث والرواية عن مسنده ، وماتت في شوال

سنة ٨٧٤٧ ، انظر الدرر الكامنة ٣/٣١٥٦ .

ثم جاور بمكة ثم عاد إلى دمشق وحدث وسمع منه الياسوق وغيره من القدماء . مات (١) في شعبان .

٦٩ - علي (٢) بن إبراهيم بن علي بن يعقوب بن محمد بن صقر الكلبي (٣) الحلبي الكاتب ، كان من رؤساء الحلبيين ومن أهل بيت فيهم ، سمع على محمد وصافي ابني نيهان [الجبريين] « الأربعين المجيرية » المخرجة لابن المجد بسماعهما منه ، وأجاز لي في سنة اثنتين وثمانمائة .

وفي هذه السنة حدث بالأربعين المذكورة فسمعها منه قاضي حلب العلاء ، وذكره في ذيل تاريخ حلب وأثنى عليه وقال : « مات في الكائنة العظمى في هذه السنة بحلب » ؛ قلت : وقد حدثت أنا والقاضي علاء الدين بهذه الأربعين في سنة ست وثلاثين وثمانمائة ، أنا بالإجازة المكتوبة عنه وهو بالسمع ، وخرجت عليها بأسانيدى إلى « من » في أثناء كل حديث منها وبعلو .

٧٠ - علي بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمود المرداوى ثم الصالحى الحنبلى ، علاء الدين كاتب الحكم للحنابلة ، أسمع الكثير على زينب بنت الكمال وعائشة (٤) بنت المسلم و [البدر أبى المعالى] ابن أبى التائب وابن الرضى (٥) وغيرهم ؛ سمعت منه الكثير . مات في رمضان وقد جاوز السبعين ، وقال ابن حجى : « كان أقدم من بقى من شهود الحكم ، شهد على المرداوى الكبير ، وكان خيرا جيدا » .

(١) كان موته إبان الكائنة العظمى .

(٢) لم ترد هذه الترجمة في ظ .

(٣) « الطيبي » في بعض النسخ ، وقد أثبتنا ما بالمتن بعد مراجعة الضوء اللامع ٥/٥٤٠ .

(٤) هى عائشة بنت محمد بن المسلم الحراية كان أول سماع لها وهى فى الخامسة وذلك بفضل أخيها محاسن ، وكانت تتكسب بالخياطة وماتت سنة ٧٣٦ ، انظر عنها الدرر الكائنة ٢/٢٠٩٢ ، وشذرات الذهب ٦/١١٣ .

(٥) المقصود بابن الرضى هنا أبو بكر بن محمد بن الرضا عبد الرحمن الصافى القطان ، وكان الإقبال عليه هاهنا ، كما كان « شيخا مباركا خيرا كثير التلاوة » مات فى سنة ٧٣٨ هـ ، انظر عنه الدرر الكائنة ١/١٢٣٤ .

٧١ - علي بن أيوب الماحوزي^(١) النساج الزاهد ، كان يسكن بقرب قبر عاتكة^(٢) وينسج بيده ويبيع ما ينسجه بأعلى ثمن يتقوت منه هو وعائلته ، ولا يرزأ أحداً شيئاً ، وكانت له مشاركة في العلم ، قال ابن حجي : « هو عندي خير من يُشار إليه بالصلاح في وقتنا » .
مات في عاشر ربيع الآخر وللناس^(٣) فيه اعتقاد زائد ، وتذكر عنه كرامات ومكاشفات ، وكان طلق الوجه حسن المعاشرة .

٧٢ - علي^(٤) بن عبد الله بن محمد الطُّبْلَاوى ، علاء الدين بن سعد الدين ، أصله من طبلاوة - قرية بالوجه البحرى . وكان عمه بهاء الدين تاجراً بقيسارية^(٥) جركس في^(٦) البز فمات فحصل له من ميراثه مالاً ، فسعى في شدُّ المرستان فباشره واستمر ؛ ثم ولى شدِّ الدواوين وولاية القاهرة في سنة اثنتين وتسعين ، واتفق أن الظاهر [برقوق] - بعد رجوعه إلى المُلْك - بدأ يحكم بين الناس ، فصار يقف في خدمته ويراجعه في الأمور ، فعظم أمره واشتهر ذكره ، واستناب أخاه محمداً في الولاية ومحموداً في الحسبة في سنة ست وتسعين ؛ ثم أمر في سنة سبع وتسعين بطلخانا واستقر حاجباً ؛ وفي شعبان استقر في النظر على المتجر السلطاني ودار الضرب ، وخرج على محمود ورافعه وساعده ابن غراب حتى نكب واستقر الطبلاوى أستاذار خاص السلطان ، ثم^(٧) في نظر الكسوة سنة ٩٨ ، ثم في نظر المارستان في آخر السنة فعظم أمره وصار رئيس البلد والمعول عليه في الجليل والحقير . واستقر أستاذار الأملاك والذخيرة .

(١) أمامها في هامش ه بخط البقاعى : « أخبرني ولده الشيخ جمال الدين بن أيوب خادم خانقاه سعيد السعداء أن اسم جده : يوسف ، ولقب أيوب لكثرة بلاياه ، وقال إن أبا يوسف : علي بن محمد بن البدر بن علي بن عثمان المخزومي » ، ثم أضاف البقاعى لذلك قوله : « من أعظم مازاد عظمة ابن أيوب عندي أن شيخنا العلامة عز الدين عبد السلام المقدسى - مع أنه كان عزيز الاعتراف بقضايا أهل الزمان - كان شديد التعظيم له والاعتقاد بصلاحه » .

(٢) في ز « بتر » ، راجع الضوء اللامع ٦٦٨/٥ .

(٣) من هنا لآخر الترجمة غير وارد في ظ ، كما أنه لم يرد من كلمة « مكاشفات » حتى آخر الترجمة في نسخة ك .

(٤) أورد أبو المحاسن خبر موته سنة ٨٥٢ هـ ، انظر Wiet : op. cit. No. 1937 .

(٥) هي التي سماها المقرئ في الخطوط ٨٦/٢ بقيسارية جهاركس التي بنيت سنة ٥٩٢ هـ وكان مكانها يعرف قبل ذلك بفندق الفراخ ، وكانت خاناً ينزله التجار الوافدون على القاهرة .

(٦) في البز « ساقطة من ظ ، ك » .

(٧) عبارة « ثم نظر . . . الأملاك والذخيرة » حتى س ١٦ ساقطة من ز .

فلما كان في جمادى الآخرة استقر سعد الدين بن غراب في نظر الخاص فانتزع من الطبلاوى الكلام على الاسكندرية ثم قبض عليه في سادس عشر شعبان منها في بيت ابن غراب ، وكان عملَ وليمةً مولودٍ له ، فلما مدَّ السباط قبض عليهما يعقوب شاه الخزندار وعلى ابن عمه ناصر الدين الدويدار ، وأرسل ابن غراب إلى أخيه وإلى القاهرة وإلى جميع حواشيه فأحيط بهم ، فسُلِّم ليلبغا المجنون ، فاجتمعت العامة ورفعوا المصاحف والأعلام واجتمعوا بالرميلة ، وسألوا إعادة ابن الطبلاوى فأجيبوا بالضرب والشتم فتفرقوا ، فأرسله يلبغا راكباً على فرس وفي عنقه باشة حديد وشق [به] القاهرة ووصل إلى منزله ، فأخرج منه اثنين وعشرين حملاً من القماش والحريير والصوف والفرش وغير ذلك ، ومن الذهب مائة وستين ألف دينار ونحو ستمائة ألف فلوس .

وفي السادس عشر من شعبان طلب الحضور بين يدي السلطان فأذن له ، فسأل أن يُسَرَّ إليه كلاماً فامتنع وأخرج ، فرآى خلوة فضرب نفسه بسكين معه فأنجرح في موضعين فنزعت من يده ، وتحقق السلطان أنه كان أراد أن يضربه بالسكين إذا سارَه (١) ، فنزل يلبغا وعاقبه فأظهر مائة وأربعين ألف دينار ، وبيع عقاره وأثاثه وأخذ من حواشيه (٢) نحو خمسمائة ألف درهم وسُجن بالخزانة ، ثم أُفْرِج عنه في رمضان وفرح به العامة وزينوا له البلد وأكثروا من الخلق بالزعفران ، فأمر السلطان بنفيه إلى الكرك فأخرج إليها في شوال ، فبلغه موت السلطان وهو بالخليل فأقام بالقدس وأرسل يسأل الأمير أيتمش في الإقامة بالقدس فأذن له ، ثم أمر بإحضاره إلى مصر فوجدوا الأمير تم طلبه إلى الشام ، فوفاه البريد بطلبه إلى مصر ، فاستجار بالجامع وتزياً بزى الفراء .

فلما خامر تم عمله أستاذار الشام ، فباشر على عادته في التعسف والظلم ، وحصل لتم أموالاً من التجار وغيرهم ، فلما كُسر تم قبض عليه وقيد وأخذ جميع ما وجد له وأهين جداً ، ثم قُتل في ثانی عشر شهر رمضان بمدينة غزة .

(١) في ظ ، ز ، ه « سارَه » .

(٢) « مواشيه » في الضوء اللامع ٥/٨٤٦ .

٧٣ - علي بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن علي بن محمد ، الشريف نور الدين الحسيني ، سبط زين الدين علي ، كان من أعيان الحلبيين^(١) ، وجرت له مع اللنكية أعجوبة وهو أنهم أمسكوه ليعاقبوه ، فملأوا سطل نحاس ماءً وملحاً ليستقوه^(٢) إياه وهو مربوط ، فجاء ثور وشرب السطل ، فلما رأوا ذلك أطلقوه ولم يتعرضوا له بعد ذلك ، واتبقت وفاته في آخر السنة : سنة ثلاث .

٧٤ - علي بن محمد بن علي بن عباس بن فتيان البعلبي ثم الدمشقي الحنبلي علاء الدين المعروف بابن اللحام^(٣) ، وُلد بعد الخمسين وتفقّه ببلده^(٤) على شمس الدين بن اليونانية ، ثم انتقل إلى دمشق وبرع في مذهبه ، ودرّس وأفتى ، وناب في الحكم ، ووعظ بالجامع الأموي في حلقة ابن رجب بعده ، وكان يعمل مواعيد نافعة ويذكر مذاهب المخالفين وينقلها من كتبهم محرّرة ؛ وكان حسن المجالسة كثير التواضع ، وترك الحكم بآخره ، وانجم على الاشتغال .

ويقال عُرض عليه قضاء الشام استقلالاً فامتنع ، وتلمذ لابن رجب وغيره ، وشارك في الفنون وقدم القاهرة بعد الكائنة العظمى بدمشق مع من جفل عند أخذ تمرلنك حلب فسكنها ، وولى تدريس المنصورية ثم نزل عنها ، وكان أبوه لحاماً فمات وعلاء الدين رضيعاً فرباه خاله وعلمه صنعة الكتابة ، ثم حُبب إليه الطلب فطلب بنفسه وأنجب إلى أن صار شيخ الحنابلة بالشام^(٥) مع ابن مفلح ، فانتفع الناس به ؛ وعيّن للقضاء بعد موت موفق

(١) « المتكلمين » في ظ ، ولكن « الحلبيين » هي الواردة في بقية نسخ الإنشاء وكذلك في ابن قاضي شبيهة : الإعلام ، وهي الأصح .

(٢) في « ليمطوه » ، انظر أيضاً الضوء اللامع ٩٦٨/٦ .

(٣) وهي حرفة أبيه كما سيرد بعد قليل ، وإن ورد في ز « لجانا » .

(٤) المقصود بها بعلبك .

(٥) ذكر هذا أيضاً الإعلام لابن قاضي شبيهة ، ورقة ١٨٩ ب ، وقضاة دمشق ص ٢٨٨ .

الدين بن نصر الله فامتنع على ما قيل ، ومات بعد ذلك بيسير في يوم عيد الأضحى (١) وقد جاوز الخمسين .

٧٥ - علي بن محمد بن علي الكفرسوسى (٢) ، مات في رمضان وقد ناهز السبعين .

٧٦ - علي بن محمد بن يحيى [التميمى] الصرخدى (٣) ، الشيخ علاء الدين نزيل حلب ، تفقه وهو صغير ، وسمع من المزى وغيره ، وجالس الأذرى وكان يبحث معه ولا يرجع إليه ، وكان يلزم بيته غالباً ولا يكتب على الفتوى إلا نادراً ، ثم درس بجامع تغرى بردى الذى بناه وهو نائب ، ومات (٤) [الصرخدى] بأيدي اللنكية ؛ قال القاضى علاء الدين قاضى حلب فى تاريخه : « قرأت عليه وانتفعت به كثيراً ، وكان قد ناب فى الحكم عن ابن أبى الرضا وغيره » ، قال : « وكان البلقينى لما قدم حلب وجالسه يثنى عليه » .

٧٧ - علي بن يحيى الطائى الصعدى (٥) - بسكون المهملة - المعروف بابن جُمَيْع - بالتصغير - أحد أعيان التجار باليمن ، ولأه (٦) الأشرف الإشراف على أمر المتجربعدن ،

(١) ذكر المقرئى أن وفاته كانت يوم عيد الفطر ، وتردد ابن العماد الحنبلى فى شذرات الذهب ٣١٧/٧ بين العيدين وأشار إليهما ولم يميز بأحدهما .

(٢) نسبة إلى كفر سوسة وهى موضع بالشام من قرى دمشق كما جاء فى مراصد الاطلاع ١٧٠/٣ ، على أنه ورد فى Dussaud : Topographie Historique de la Syrie, p. 304. أنها واقعة إلى الجنوب الغربى من دمشق ويسمى الجغرافيون العرب بكفر سوسة .

(٣) نسبة إلى صرخد وهى قلعة ملاصقة لبلد حوران ، وولاية واسعة حصينة كما جاء فى مراصد الاطلاع ٨٢٨/٢ ، هذا وقد وردت فى متن : Dussaud: op. cit. p. 366 برسم صلخد مرتين من ١ ، ١٠ ، وانظر أيضاً الضوء اللامع ٦٣/٦ .

(٤) من هنا حتى آخر الترجمة غير وارد فى ظ .

(٥) فى ز « السعدى » ، وفى إعلام ابن قاضى شعبة ، ١٨٩ ب « الصفدى » . والأرجح ما هو مذكور بالمتن من حيث النسبة إلى صعدة ببلاد اليمن ، راجع مراصد الاطلاع ٨٤١/٢ .

(٦) ذكر ابن قاضى شعبة : الإعلام ، ورقة ١٨٩ ب - ١٩٠ ان ابن حجر قال عنه « مع صدق اللهجة ووفور العقل والتواضع والإحسان ، وتقدم عند الأشرف حتى ولاه الإشراف على أمور عدن فى التجارة ، ثم فوض إليه جميع أمورهما ، فكان الأمير والنظر من تحت أمره ، وصار ملجأً للغرباء الواردين من التجار وغيرهم ، محبباً إلى الرعايا ، وكان بيننا مودة أكيدة » .

ثم فوّض إليه جميع أمورها فكان الأميرُ والناظر^(١) من تحت يده^(٢) ، وكان محباً للغرباء مفرطاً في الإحسان إليهم مُحبباً إلى الرعية .

اجتمعت به وسرتني كثيراً لأنه كان صديق خالي قديماً ، وبالغ في الإحسان إليّ ، وكان زيديّ المعتقد لكنه يُخفي ذلك .

مات في ليلة عيد الفطر وقد جاوز الستين .

٧٨ - علي بن يوصف بن مكى بن عبد الله الدميرى ثم المصرى ، نور الدين بن

الجلال^(٣) ، أصله من حلب ، وكان جدّه مكى يُعرف بابن نصر ، ثم قدم مصر وسكن دميرة^(٤) فولد له بها يوسف فاشتغل بفقهِ المالكية ثم سكن القاهرة ، وناب عن البرهان الإخنائي وعُرف بجلال الدميرى، ووُلد له هذا فاشتغل حتى برع في مذهب مالك ، ولم يكن يدرى من العلوم شيئاً سوى الفقه . وكان كثير النقل لغرائب مذهبه شديد المخالفة لأصحابه إلى أن اشتهر صيته بذلك .

وناب في الحكم مرة ثم ولى القضاء استقلالاً في أوائل سنة ثلاث، وعيب بذلك لأنه اقترض مالا بفائدة حتى بذله للولاية ، وكان حنق من ابن خلدون في شيء فحمله ذلك على هلاك نفسه بما صنعه من بذل الرشوة ليلي الحكم ، وكان منحرف المزاج^(٥) مع المعرفة التامة بالأحكام ، واتفق أنه حضر مع القاضي صدر الدين المناوى مجلساً فعارضه في قضية ، فغضب الصدر وجبهه بكلام فاحش فتأثر منه ولم يقدر على أن يجاوبه ، فحصل له انكسار

(١) عبارة « والناظر . . . الإحسان إليهم » في السطر التالي غير واردة في ز .

(٢) « أمره » في ه .

(٣) « الخلال » في عقد الجبان ، ورقة ١٥٩ ، و « الخلال » في السلوك ، ورقة ٣٣ ، والصحيح ما أثبتناه بالمتن .

(٤) دميرة من مركز طلخا ، وقد وردت في القاموس الجغرافى لمحمد رمزى ج ٢ ق ٢ ص ٨٦ بأنها من القرى القديمة

واسمها الرومى Rasdionisi والقبلى Tamiri ، وكانت تسمى أيضاً باسم « الأوسية » .

(٥) في ز « الهجاز » ، ولكنها « المزاج » في عقد الجبان ١٦٠ . الإعلام لابن قاضي شعبة ، ١٩٠ .

من ذلك الوقت ، ثم سافر مع العسكر إلى قتال اللنك فمات قبل أن يصل في جمادى الآخرة ، ودفن باللجون^(١) ولم يحصل له سعد في استقلاله بالحكم .

٧٩ - عمران بن إدريس بن مُعَمَّر الجَلْبُولى^(٢) ثم الدمشقى الشافعى ، ولد^(٣) سنة أربع وثلاثين وسبعمائة ، وعنى بالقراءات فقرأ على ابن اللبان وابن السلار ، ولازم القاضى تاج الدين السبكى وأقرأ ، واشتغل فى الفقه . وكان يحج على قضاء الركب الشامى وقد سمع من بعض أصحاب الفخر .

مات فى رجب أو شعبان لما أحرقت دمشق وقد قارب الستين بل جاوزها ، قال ابن حجرى : « لم يكن مشكور السيرة^(٤) فى ولايته ولا شهاداته ، وكان يلبس دلقا ويرخى عذبة عن يساره ، وينظم نظما ركيكا ، وكان فقير النفس لا يزال يظهر الفاقة ، وإذا حصلت له وظيفة نزل عنها ، وكان كثير الأكل جدا ، وكان يقرأ حسنا ثم حصل له ثقل فى لسانه فكان لا يفصح فى كلامه ، إلا أنه إذا قرأ قرأ جيدا » . مات^(٥) بعد الكائنة العظمى ؛ و « مُعَمَّر » جده بالتشديد .

٨٠ - عمر بن أبى بكر بن محمد بن أحمد بن عبد القاهر بن هبة^(٦) الله بدر الدين ابن النصيبى الحلبى ، وكان من أعيان الحلبيين وولى قضاء العسكر بحلب والحسبة بها مراراً وباشرها بحرمة وافرة ، ومات بعد الكائنة بأيام .

(١) الوارد فى مراصد الاطلاع ١٢٠٠/٣ أنها بلد بالأردن فيه حفرة مدورة فى وسط المدينة يزعم الناس أنها قبر إبراهيم عليه السلام ، وذكر Dussaud : op. cit., p. 140 أنها بين الحوابى ورفنية من بلاد الشام .

(٢) انظر ذلك مراصد الاطلاع ٣٤٠/١ حيث قال إنه موضع فى ديار الضباب فيما يواجه ديار فزارة ، ولكن الضوء اللامع ٢١٥/٦ ذكر أنه ولد بجلجوليا وعلى ذلك فلا صحة لمن ينسبه إلى جلجل (بضم الجيمين) .

(٣) خلت نسخة ظ من الإشارة إلى تاريخ مولده .

(٤) خلت نسخة ظ ، « من كلمة « السيرة » .

(٥) من هنا لآخر الترجمة غير وارد فى ظ .

(٦) فى ز « عبد الله » وليس فى نسبه الذى أورده الضوء اللامع ٢٥٩/٦ . اسم « عبد الله » .

٨١ - عمر بن براق الدمشقي ، ولد سنة إحدى^(١) وخمسين في أولها ، وكان سريع الحفظ قوى الفهم ، حنبلي المذهب على طريقة ابن تيمية ، وكان له ملك^(٢) وإقطاع ، وكان ممن أودى في الفتنة وأخذ ماله وأصيب في أهله وولده فصبر واحتسب ، ثم مات في عاشر شوال .

٨٢ - عمر^(٣) بن عبد الله بن عمر بن داود الكفيري ، الفقيه الشافعي زين الدين بن جمال الدين ، اشتغل كثيرا حتى قيل إنه كان يستحضر « الروضة » ؛ وعرض عليه الحكم فامتنع ، وأفتى بدمشق ودرّس^(٤) وتصدّر بالجامع [الأموي] ، [وكان] قوى النفس يرجع إلى دين ومرّوة ، قُتل في الفتنة التمرية ، وقد تقدّم ماجرى منه في حق ابن الشرائح في أول هذه السنة .

٨٣ - عمر بن عبد الله العليبي^(٥) ، اشتغل كثيرا وانقطع في الجامع الأموي يُشغل الأولاد في القرآن وفي الفقه ، ويشرح لهم ، وانتفع به جماعة ، وكان عنده سكون وانجماع ، مات في شهر رمضان .

٨٤ - عمر بن محمد بن أحمد بن سلمان^(٦) الباسي^(٧) ثم الصالحى ، الملقب زين الدين ،

(١) فراغ في الأصول ، والإضافة من الضوء اللامع ٢٥٢/٦ .

(٢) على الرغم من أن ابن العماد الحنبلي نقل هذه الترجمة في شذرات الذهب ٣٢/٧ إلا أنه جعل عبارة « طلبه وأتباع » بدلا من « ملك وإقطاع » الواردة في كل من المتن أعلاه وإعلام ابن قاضي شعبة ، ورقة ١٩٠ .

(٣) أمامها في هامش ه بخط الناسخ « يحمر فقد تقدم في عبد الله بن يوسف » ، وهذا الإستدراك من الناسخ خطأ ، أنظر أيضاً الضوء اللامع ٢٦٦/٥ ، ٣١٧/٦ .

(٤) أشار ابن قاضي شعبة في الإعلام ، ورقة ١٩٠ إلى أنه أعاد بالأتابكية بدمشق ، وأنه مات مقتولا وكان قتله بقرية بيت إيماء .

(٥) ضبط على ما ورد في مراصد الاطلاع ٩٥٦/٢ ، وقد تسكن اللام كما جاء في ياقوت ، وهي بغير تنقيط في جميع نسخ الإنباء .

(٦) في ظ « سليمان » ولكنه - كما بالمتن - في الضوء اللامع ٣١٧/٦ ، وشذرات الذهب ٣٣/٧ ، كما أن هذا الاسم وارد أيضا في الضوء اللامع ٤٨٧/١٢ في ترجمة أخته عائشة المعروفة بضوء الصباح والتي سترد ترجمتها في من ١٧٩ تحت رقم ٨٨ في وفيات هذه السنة .

(٧) في ه : « التابلي » .

أسمعه أبوه الكثير من [محمد] ابن أبي التائب حضوراً ، ومن المزي والذهبي والبرزالي وبنت الكمال وخلق كثير ، وكان مكثراً جداً ، كثير البرّ للطبة شديد العناية بأمرهم يقوم (١) بأحوالهم ويؤويهم ويدور بهم على المشايخ ويفيدهم ، وكان لا يضر من التسميع .

قرأتُ عليه الكثير وسمعتُ عليه ومعه ؛ مات في شعبان وقد جاوز السبعين بشئ يسير

٨٥ - عمر بن محمد بن أحمد بن عبد الهادي المقدسي ثم الصالحى الحنبلى ، زين الدين ابن الحافظ شمس الدين ، وهو ابن أخت المسندة فاطمة بنت عبد الهادي .

حدثنا عن زينب بنت الكمال ، ومات في شعبان وقد ناهز السبعين .

٨٦ - عمر بن محمد الحمصى ثم الدمشقى زين الدين ، أحد الفضلاء بدمشق في مذهب الشافعى ، وكان يستحضر الكثير من «الروضة» ، وكان يتكسب من أنوال حرير يُدوّلها ، مع الدين والخير . مات في شوال .

٨٧ - عائشة بنت أبي بكر بن الشيخ أبي عبد الله محمد بن عمر بن قوام البالسية ثم الصالحية ، روت لنا عن أبي بكر بن أحمد بن أبي بكر (٢) المغارى . ماتت في ثالث عشر شعبان .

٨٨ - عائشة بنت محمد بن أحمد بن عمر بن سلمان البالسية ثم الصالحية ، أخت شيخنا (٣) عمر ، روت (٤) لنا عن الجزرى وماتت مع أخيها (٥) .

(١) في السغاوى : ٣٦٧/٦ «يقوم بأردهم ويؤادهم» ، وفي شذرات الذهب ٣٣/٧ «يقوم بأحوالهم ويؤدبهم» .

(٢) راجع ترجمته في الدرر الكامنة ١١٥٣/١ ، وسمى بالمغارى نسبة لمغارة الدم بقاسيون التي هي في الأصل الجبل المشرف على مدينة دمشق وبه عدة مقابر وتروى فيه أخبار الصالحين ؛ وبسفع الجبل ترب وربط ، راجع في ذلك أيضاً مرصاد الاطلاع ١٠٥٦/٣ .

(٣) انظر الحاشية رقم ٥ فيما بعد .

(٤) «سمعت على» في الضوء اللامع ٤٦١/١٢ .

(٥) في ز «وماتت... أحبها» وهي غير منقوطة في الأصل ، والصحيح ما أثبتناه بالمتن حيث جاء في ترجمة

أخيها عمر الواردة في الضوء اللامع ٣٦٧/٦ أنه مات سنة ٨٠٣ هـ ، وهو صاحب الترجمة الواردة هنا برقم ٨٤ ، ص ١٧٨ .

٨٩ - فاطمة بنت محمد بن أحمد بن محمد بن عثمان بن المنجا ، أم الحسن بنت عز الدين التنوخية الدمشقية ، سمعت من عبد الله بن الحسين بن أبي التائب (١) وغيره ، وأجاز لها أبو بكر الدستي والتقى سليمان وعيسى المطعم وإسماعيل بن مكتوم ووزيرة بنت المنجا وأبو بكر بن عبد الدائم ، وتفرّدت بالرواية عنهم في الدنيا. قرأت عليها الكثير من الكتب الكبار والأجزاء . ماتت بدمشق (٢) في ربيع الآخر أو الذي بعده وقد قاربت التسعين .

٩٠ - فاطمة بنت محمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن عبد الهادي المقدسية ثم الصالحية ، أم يوسف ، كان أبوها محتسب الصالحية وهو عمّ الحافظ شمس (٣) الدين ، أسمعته الكثير على الحجار وغيره ، وأجاز لها أبو نصر الشيرازي (٤) ويحيى (٥) بن سعد وآخرون من الشام ، وحسن [بن عمر] الكردي (٦) وعبد الرحيم المناشوي (٧) وآخرون من مصر .

(١) هو عبد الله بن الحسين الأنصاري بن أبي التائب ، وقد طال عمره بعد أن قضى معظمه في النظر في الأحاديث ، وسمع عليه المرئي والبرزالي والذهبي ، ومات سنة ٧٣٥ هـ ، انظر الدرر الكامنة ٢/٢١٣٦ .

(٢) وذلك في حصار دمشق ، وقد تشكك السخاوي : الضوء اللامع ١٢/٦٣٥ في الشهر ، وقال ابن قاضي شعبة إنها ماتت في أحد الجيادين .

(٣) المقصود بذلك محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد ، وقد ترجم له الحسيني في ذيله على ذيل العبر ، وهي الترجمة الواردة في النعمي : الدارس في تاريخ المدارس ٢/٨٨ - ٨٩ ، انظر عنه أيضاً الدرر الكامنة ٣/٣٤٠٧ ، وشذرات الذهب ١٤١/٦ .

(٤) هو شمس الدين محمد بن هبة الله محمد بن يحيى ، مات سنة ٦٣٥ هـ ، وقد ترجم له الذهبي ترجمة نقلها النعمي في الدارس ١/٢٨٢ - ٢٨٣ ، انظر أيضاً شذرات الذهب ٥/١٧٤ .

(٥) لعله يحيى بن محمد بن سعد المقدسي الواردة ترجمته في الدرر الكامنة ٥/٥٠٤١ ، والشذرات ٦/٥٦ ، هل أنه لوصح أن بنت ابن عبد الهادي أخذت عنه لكأنه قد ماتت وقد جاوزت الثمانين بضع سنوات على الأقل إذ كانت وفاة يحيى ابن سعد هذا سنة ٧٢١ هـ ، وربما كان ابن حجر يقصد محمد بن يحيى بن محمد بن سعد المتوفى سنة ٧٥٩ والذي ترجم له أيضاً في الدرر الكامنة ٥/٤٦٦٠ ، والشذرات ٦/١٨٨ .

(٦) هو حسن بن عمر بن عيسى بن خليل بن إبراهيم الكردي نزيل الجيزة بمصر ، المولود سنة ٦٣٠ هـ بدمشق ، أسمع كثيراً وقرأ على الكثيرين ومات سنة ٧٢٠ بالجيزة ، ولقد وصفه ابن رافع « ببقية المستدين والمكثرين » ، انظر الدرر الكامنة ٢/١٥٤٥ .

(٧) في ز « المناشوي » ، وفي ه « المناشوي » ، والصحيح ما هو وارد بالمتن ، انظر ترجمته في الدرر الكامنة

قرأتُ عليها الكثير من الكتب والأجزاء بالصالحية ، ونعم الشيخة كانت . ماتت في شعبان وقد جاوزت الثمانين (١) .

٩١ - قطلوبغا التركي [المفتي] (٢) الحنفى أحد مشايخهم . مات بالقاهرة .

٩٢ - محمد بن إبراهيم بن إسحق بن إبراهيم بن عبد الرحمن السلمى المناوى (٣) ثم القاهرى ، قاضى القضاة صدر الدين أبو المعالى ، وُلد في رمضان سنة اثنتين وأربعين ، وأبوه حينئذ ينوب في القضاء عن عز الدين بن جماعة ، وأمه بنت قاضى القضاة زين الدين عمر البسطامى (٤) فنشأ في حجر السعادة وحفظ « التنبيه » ، وأسمع من اليمدومى والحسن بن السيد وابن عبد الهادى وغيرهم ، تجمعهم مشيخته التى خرَّجها له أبو زرعة في خمسة أجزاء ، سمعنا ما عليه .

تاب في الحكم وهو شاب ، ودرّس وأفقى وولى إفتاء دار العدل وتدرّس الشيخونية المنصورية ، وخرّج أحاديث « المصابيح » ، وتكلم على مواضع منه وحدث به . سمعتُ منه قطعة منه . وكتب شيئاً على « جامع المختصرات » ، ثم ولى قضاء الشافعية استقلالاً كما بيّنت في الحوادث ، وكان كثير التودّد إلى الناس ، معظماً عند الخاص والعام مُحبباً إليهم ، وكان قبل الاستقلال بالقضاء يسلك طريق ابن جماعة في التعاضم ، فلما استقل الآنّ جانبه كثيراً .

وكانت له عنايةٌ بتحصيل الكتب النفيسة على طريق ابن جماعة فحصل منها شيئاً كثيراً ؛ وكان يهاب الملك الظاهر فلما مات أمن على نفسه وظن أنه لا يُعزل لما تقرّر له في القلوب من المهابة ، فسافر مع العسكر ، فأُسِر مع اللنكية فلم يحسن المداراة مع عدوه فأهانته وبالغ في إهانته حتى مات معهم وهو في القيد غريباً .

غرق في نهر الفرات في شوال بعد أن قاسى أهوالاً عسى الله أن يكون كَفَّر عنه

(١) جاء بعد هذا ترجمة محمد بن أحمد التى نقلناها إلى موضعها الصحيح ص ١٨٤ رقم ٩٧ .

(٢) الإضافة من الضوء اللامع ٧٤٣/٦ .

(٣) نسبة إلى منية القائد فضل بن صلح من أعمال الجيزة ، انظر : القاموس الجغرافى للبلاد المصرية ق ٢ ج ٣

ص ٤٧ .

(٤) راجع ترجمته في الدرر الكائنة ٣٠١٥/٣ وإن كان حنفياً .

ما جناه عليه القضاء ؛ وكان شديد الخوف من ركوب البحر إِمَّا لِمَنَامِ رآه أو رُؤْيَى له .
أو اعتياداً على قول بعض المنجمين ، فكان لا يركب بحر النيل إلا نادراً ، فاتفق أنه مات
غريقاً^(١) في غيره ، وكان بعض اللنكية أسره فلما جاوزوا نهر الفرات خاض الأمير في
النهر هو وأتباعه لأجل إزدحام غيرهم على القنطرة ، فغرق القاضي لتقصيرهم في حقه .

٩٣ - محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي الجزري ثم الدمشقي ، شمس الدين بن
الظهير ، سمع من ابن الخباز وغيره ، وأكثر عن أصحاب الفخر بطلبه ، وكان خيراً
إلا أنه كان يتغالي في مقالات ابن تيمية .

مات في تاسع عشر شوال عن ستين سنة .

٩٤ - محمد^(٢) بن أحمد بن إسماعيل بن يحيى التركماني العَبْطِينِي ثم الحلبي نزيل
مصر . ناصر الدين أغا [التركماني] ، ذكر العينتاني في تاريخه أنه « كان فاضلاً ، اشتغل
في علوم كثيرة وحصل كتباً كثيرة . وكان بزى الجند وله اتصال بالأمير منكلي بغا
الشمس وتحدث عنه في المرستان لما كان ناظره في دولة الأشرف » ، وذكر أنه « تلقن الذكر
وليس الخرقه من الشيخ أمين الدين الحلواني^(٣) » عن أبي الكشاف محمد بن أحمد المروزي
عن أبي الفيض عاصم بن أحمد بن عبد العزيز عن علي بن محمد بن عثمان المدعو بسليمان .
عن أحمد بن يوسف بن محمود بن مسعود بن سعد المعروف بمولانا ، عن محمد بن محمد
النعمان عن الشيخ نجم الدين أبي الخباب أحمد بن عمر الخيوفي بسنده ، وقال : « إن المذكور
فُقد في الشام حين الكائنة العظمى ، وكان توجه مع العسكر ، وكان استنابه الجمال الملطي
لضعفه لما سافر السلطان في وقعة اللنك ففقد مع من فقده » .

٩٥ - محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن عبد الله بن الفضل الهاشمي عماد الدين

(١) وذلك في نهر الزاب بالفرات عند قنطرة باشا ، انظر الضوء اللامع ٦/٨٦٧ .

(٢) لم ترد هذه الترجمة في ظ .

(٣) « الحلواني » في الضوء ٦/٩٨١ ؛ ومعنى « الحلواني » في ز .

شيخ الشيوخ بحلب ، وليها بعد أبي الخير الميّهني^(١) وبأشر مدة ، وكان من بيوت الحلبيين وأحد الأعيان بها .

مات في الكائنة العظمى مع اللنكية في الأسر .

٩٦ - محمد بن أحمد بن علي بن سليمان المعري ثم الحلبي ، الشيخ شمس الدين بن الركن ، كان^(٢) ينتسب إلى أبي الهيثم التنوخي عم أبي العلاء المعري ؛ ولد سنة بضع وثلاثين ونفقه ، وأخذ عن الزين الماديني والتاج بن الدريهم ، وأخذ بدمشق عن التاج السبكي ، وكتب من الكتب الكبار شيئاً كثيراً وهو سقيم لكنه متقن ، وخطب بجامع حلب مدة .

وكان حادّ الخلق مع كثرة البر والصدقة ، وله خطب في مجلدة ، وله نظم وسط ، فمنه قوله في معالج :

جسْمِي سَئِيمٌ مِنْ هَوَى مَهْفُوفٍ بَعَالِجٍ
كَيْفُ تَزُولُ عَلَّتِي وَمَمَرَضِي مَعَالِجِ

وله^(٣)

أَحْبَبْتُ رَسَاماً كَبْدُرَ الدُّجَى بَلْ فَاقَ فِي الْحُسْنِ عَلَى الْبَدْرِ
فَقُلْتُ : مَا تَرَسَمَ يَا سَيْدِي قَالَ بَتَعْدِيكَ وَالْهَجْرَ

قلت : وهو شعر نازل .

مات في الكائنة العظمى ، وأخذ عنه القاضي علاء الدين وابن الرسام .

(١) في ز « النهي » ، وفي ك « الميّهني » ، لكن انظر الضوء اللامع ٦/١٠٥٠ والصحيح ما أثبتناه بالمتن والنسبة فيها إلى « ميّهني » وهي بلدة قرب طرسوس ، انظر أيضاً الدارس في تاريخ المدارس ١/١٥٠ حاشية رقم ٧ وإن لم تكن الإشارة إلى المترجم ، وكذلك لسراج : بلدان الخلافة الشرقية ص ٤٣٦ .

(٢) عبارة « كان ينسب إلى أبي الهيثم التنوخي عم أبي العلاء المعري » غير واردة في ظ .

(٣) من هنا حتى « وهو شعر نازل » ص ١٦ غير واردة في ظ .

٩٧ - محمد^(١) بن أحمد بن محمد بن الشيخ أحمد بن المحب عبد الله المقدسي ثم الصالحى الحنبلى ، سمع بعناية أبيه من ابن الخباز وغيره ، وكان يعمل المواعيد . مات فى سلخ رمضان عن ثلاث وخمسين سنة .

٩٨ - محمد بن إسماعيل بن الحسن بن صهيب بن خميس ، شمس الدين البابى ثم الحلبي ، وُلد بالبساب^(٢) ثم قدم حلب ، وكان يسمى «سالمياً» فتسمى «محمدًا» ، وقرأ على عمه العلامة علاء الدين على البابى والزين البارينى ، وبرخ فى الفرائض والنحو ، وشارك فى الفنون وشغل الطلبة وأفتى ودرّس ، وكان ديناً عفيفاً ، وولاه القاضى شرف الدين الأنصارى^(٣) قضاءً ملطية^(٤) ، فلما حاصر ابن عثمان ملطية عاد هذا إلى حلب إلى أن عدم فى الكائنة العظمى .

٩٩ - محمد بن إسماعيل بن عمر بن كثير البصروى ثم الدمشقى ، بدر الدين بن الحافظ عماد الدين ، ولد سنة تسع وخمسين واشتغل وتميّز وطلب ، فسمع الكثير من بقية أصحاب الفخر ومن بعدهم ، وسمع معى بدمشق ، ورحل إلى القاهرة فسمع من بعض شيوخنا وتميز فى هذا الشأن قليلاً ، وتخرّج بابن المحب ، وشارك فى الفضائل مع خطّ حسن معروف جيّد الضبط ، ودرّس فى مشيخة الحديث بعد أبيه بتربة^(٥) أم الصالح . ومات فى ربيع الآخر - فأراً عن دمشق - بالرملة وله أربع وأربعون سنة ، وكان قد علق

(١) انظر ما سبق ، ص ١٨١ ، حاشية رقم ١ .

(٢) عرف ياقوت ٢٤٣٧/١ ، ومراسد الإطلاع ١٤٢/١ «الباب» بأنها بليدة فى طرف وادى بطنان من أعمال حلب ، بينها وبين منبج وبين بزاعة نحو ميلين وإلى حلب عشرة أميال ، وذكر Dussaud : Topographie Historique de la Syrie, p. 240 أنها شرقى حلب . انظر أيضا Le Strange : op. cit. p. 406 — 407 .

(٣) انظر فيما بعد ترجمة رقم ١٣٠ ص ١٩٥ .

(٤) الضبط من مراسد الإطلاع ١٣٠٨/٣ ، وذكر أن هذا هو الاسم الصحيح لها ، أما العامة فتفتح الميم واللام وتكسر الظاء وتشدد الياء .

(٥) وتعرف أيضاً بالمدرسة الصالحية وهى من مدارس الشافعية بدمشق وواقفها هو الصالح أبو الجيش إسماعيل بن الملك العادل سيف الدين أبى بكر ، انظر الدارس ٣١٦/١ وما بعدها .

تاريخاً للحوادث التي في زمنه ذكر فيها أشياء غريبة ، قال ابن حجي : « لم يكن محمود السيرة » .

١٠٠ - محمد بن أبي بكر بن أحمد بن أبي الفتح بن السراج أمين الدين الدمشقي ، شمس الدين بن العماد ، وهو ابن أخي شمس الدين المذكور في السنة الماضية ، روى^(١) لنا عن عبد الرحيم بن أبي اليسر وزينب بنت الخباز ، ومات في رمضان أو شوال .

١٠١ - محمد بن بهادر المسعودي الصلاحى ، حدثنا عن الحجار ومات في الكائنة العظمى ؛ سمعتُ منه .

١٠٢ - محمد بن بيليك التركي شمس الدين ، موقع الحكم ، وهو أخو أحمد خزندار بيبرس قريب السلطان الظاهر [برقوق] . مات في صفر .

١٠٣ - محمد^(٢) بن حسن بن أبي بكر بن منصور الفارقي السلاوى ، كان شمس الدين العطار السمرقندى - زوج أمه - وجيهاً عند تمر فصار لهذا وجاهة في هذه الأيام ، فلما رحل تمرلنك عن البلد^(٣) أخذ هذا وعوقب . مات في رجب .

١٠٤ - محمد بن حسن بن عبد الرحيم الصالحى الدقاق ، حدثنا عن الحجار . سمعتُ^(٤) عليه أجزاء .

١٠٥ - محمد بن خليل بن محمد بن طوغان^(٥) الدمشقى الحريرى الحنبلى المعروف بابن المنصفى ، ولد سنة ست وأربعين ، واشتغل في الفقه ، وشارك في العربية والأصول .

(١) يستفاد من الضوء اللامع ٣٨٥/٧ أن ابن حجر لقيه بدمشق وقرأ عليه ، ولعله قد روى له في هذا اللقاء .

(٢) هذه الترجمة لم ترد في ظ .

(٣) أى عن دمشق .

(٤) في ز ، ك « سمعت عليه جزءاً » ، وفي ظ « سمع » ، ولم يشر الضوء اللامع ٥٥٧/٧ أى الصيقتين أصبح ، وقد وردت في شذرات الذهب ٣٥/٧ نقلاً - كما قال ابن العار - عن ابن حجر « سمعت (يضم التاء) منه شيئاً » .

(٥) « طرخان » في ز .

وطلب بنفسه فسمع الكثير من بقية أصحاب الفخر فمن بعدهم ، وسمع بالقاهرة من بعض شيوخنا .

وقد حصلت له محنة بسبب مسألة الطلاق المنسوبة لابن تيمية ولم يرجع عن اعتقاده ، وكان خيراً صينياً ديناً ، سمعتُ منه شيئاً .

مات في شعبان بعد أن عوقب واستمر متألماً حتى مات ، قال ابن حجي : « كان فقيها محدثاً حافظاً ، قرأ الكثير وضبط وحرر^(١) وأتقن وألف ، وجمع مع المعرفة التامة . تخرج بابن المحب وابن رجب ، وكان يُفتى ويتكشف مع الانجماع ، ولم يكن الحنابلة ينصفونه ، قال : « وكان في حالة الطلب يعمل الأزواد في حانوت ، ثم ترك وأقام^(٢) بالضيائية ثم بالجوزية^(٣) » .

١٠٦ - محمد بن سليم بن كامل الحوراني ثم الدمشقي ، شمس الدين الشافعي ، تفقّه وتمهّر واعتنى بالأصول والعربية ، وكان من عدول دمشق ، وقرأ « الروضة » على علاء الدين ابن حجي وكتب عليها حواشي مفيدة وأذن له في الافتاء ، ودرّس وأعاد وتصدّر وأفاد ، وكان أكثر أقرانه استحضاراً للفقّه .

مات في رجب بعد أن عوقب بأيدي اللنكية وقارب الستين وليس في لحيته شعرة بيضاء .

وكان أسمر شديد السمرة ، وله على الروضة حواشٍ مفيدة ، وكان يكتب الحكم ، وكتب من مصنفات تاج الدين السبكي له كثيراً .

١٠٧ - محمد بن عبد الله بن سلام الدمشقي ، أخو علاء الدين وهو الأصغر .

(١) وردت هذه العبارة في ك على الصورة التالية : « وجرّد وانفرد وألف وجمع » .

(٢) في ابن قاضي شعبة « أم » .

(٣) هي من مدارس الحنابلة بدمشق وهي من إنشاء الشيخ يحيى الدين بن عبد الرحمن بن الجوزي ، انظر عنها وعن درس فيها الدارم ٢٩/١ وما بعدها ، وقد ورد اسم هذه المدرسة في « الجزيرة » .

مات في رجب بعد انفصال التمرية .

١٠٨ - محمد بن عبد الله ناصر الدين التُّروجِي أحد نواب الحكم المالكية . كان مشكوراً^(١) .

١٠٩ - محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن التقى سليمان بن حمزة المقدسي ثم الضالحي ، ناصر الدين المعروف بزُرَيْق - تصغير أزرق - ، سمع الكثير من بقرية أصحاب الفخر ومن بعدهم ، وتخرَّج بابن المحب وتمهَّر ، وكان يقظاً عارفاً بفنون الحديث ، ذاكرةً للأسماء والعلل ، ولم يكن له اعتناءً بصناعة الرواية من تمييز العالي والنازل بل على طريق المتقدمين ، مع حظٍّ من الفقه والعربية .

رتب « المعجم الأوسط » على الأبواب فكتبه بخط متقن حسن جدا ، ورتب « صحيح ابن حيان » ، ورافقني كثيرا ، وأفادني من الشيوخ والأجزاء . وكان ديناً خيراً صيناً لم أر من يستحق أن يُطلق عليه اسم « الحافظ » بالشام غيره .

مات^(٢) ولم يُكمل الخمسين أسفاً على ولده أحمد^(٣) في رمضان ، وكان اللنكية قد أسروه وهو شاب له نحو العشر^(٤) .

١١٠ - محمد بن عبد الرحمن بن الحافظ أبي عبد الله الذهبي ، شمس الدين بن أبي هريرة الكفر بطناوى^(٥) ، سمع بإفادة جدّه منه ومن زينب بنت الكمال وغيرهما . [وقد] سمعتُ منه . وكان من شيوخ الرواية .

(١) بعدها في ظ « مات » دون أن يكمل الجملة .

(٢) جاءت هذه العبارة في الأصل « مات أحمد في رمضان ولم يكمل الحسين » وتحديد السن هنا عائد على الأب لا على الإبن .

(٣) انظر الضوء اللامع ٣٥٩/٢ .

(٤) المقصود بذلك أن ابنه أحمد أسر وعمره عشر سنين .

(٥) نسبة إلى كفر بطنا من قرى غوطة دمشق ، انظر ياقوت المعجم ، ٢٨٦/٤ ، ومرآة الاطلاع ١١٦٩/٣ .

قُتل بالعقوبة في حادى عشرى جمادى الأولى ، وقيل بل ضُربت عنقه صبراً ، وكان ببلده كفر بطنا فأخذه العسكر التمرى فعوقب ثم قتل .

١١١ - محمد بن عثمان بن عبد الله بن سُكْر^(١) - بضم المعجمة وسكون الكاف - البعلى ثم الدمشقى الحنبلى ، شمس الدين النَّبْحَانِي^(٢) - بفتح النون وسكون الموحدة بعدها مهملة - ، سمع من ابن الخباز وغيره ، وأجاز له الميديمى وغيره ، وكان صالحاً خيراً ديناً متواضعاً ، أفاد وحدث وجمع مجاميع حسنة ، منها كتابٌ في « الجهاد » .

وكان خطه حسناً ومباشرته محمودة ، ومات في رمضان عن ثمانى وسبعين سنة ، وكان سافر فمات بغزوة ، قال ابن حجر: « جمع وألف ، وعبارته جيدة في تصانيفه » .

١١٢ - محمد بن علي بن إبراهيم بن أحمد الصالحى [الخياط]^(٣) البزاعى^(٤) (بضم الموحدة ، بعدها زاي ثم عين مهملة) بواب الناصرية بالصالحية ، حدثنا عن زينب^(٥) بنت الخباز ومات في سادس عشر من شوال .

١١٣ - محمد بن عمر بن محمد بن محمد بن هبة الله بن عبد المنعم بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي البكتائب العجلي ، النهاوندى الأصل الدمشقى ، ناصر الدين بن أبى الطيب ، ولد سنة ست وأربعين ، وأول ماولى نظر الخزانة بدمشق بعد والده سنة تسع وستين ، ثم ولى كتابة الشر بحلب ثم بدمشق .

(١) « سكر » في الضوء اللامع ٣٣٩/٨ .

(٢) في ز « النبحان » ، وفي « النبحان » .

(٣) الإضافة من الضوء اللامع ١٥٥/٨ .

(٤) نسبة إلى بزاعة ، وقد تنطق بالقصر فيقال « بزاعى » ويجوز في بأنها الضم والكسر وقد اتبع الرسم الأخير

« ديعو » في كتابه طوبوغرافية بلاد الشام ، انظر أيضا Le Strange : Palestine Under the Moslems, p. 406 .

(٥) وتلقب بأمة العزيز ، وقد أسمعها أبوها من كثيرين ذكرهم ابن حجر في الدرر الكامنة ١٧٤٧/٢ .

مات في رجب عن بضع وخمسين سنة ، وكان يكتب بخطه « العُمري العُماني » لأن أمه من بني فضل الله ، وقيل هي بنت شهاب الدين أحمد بن (١) يحيى بن فضل الله ، وكان هو يزعم أنه من نسل عثمان بن عفان ولم يُصَب في ذلك ، وإنما هو من بني (٢) عجل .

وكان (٣) يلبس بزى الجند وهو شاب ، وأول ما ولى بعد موت أبيه تدريس بعض المدارس ، ثم ولى كتابة السرّ بحلب سنة ثمان وسبعين عوضاً عن شمس الدين بن البهاء ثم بطرابلس ، ثم ولى كتابة السرّ بحلب أيضاً عوضاً عن ناصر الدين بن السفاح في سنة سبع وتسعين ، ثم عُزِل في آخر القرن فسافر إلى دمشق وأقام بها إلى أن ولى كتابة السرّ في المحرم سنة ٨٠١ ، ثم عُزِل في شعبان في سنة اثنتين وثمانمائة في فتنة تم وأهين وأخذ إلى مصر موكلًا به ، ثم أُطلق فقدم مع العسكر لقتال التتار ، فلما فرّ السلطان عن الشام توصل إلى أن ولى كتابة السرّ عن اللنكية ، ثم عوقب إلى أن مات في شهر رجب في العقوبة .

١١٤ - محمد بن محمد بن إسماعيل البكرى ، شمس الدين بن مكين المصرى المالكي ،

اشتغل في الفقه فبرع فيه ، وكان قليل المشاركة في غيره ، وسمع من ابن عساكر (٤)

(١) هو أحمد بن يحيى بن فضل الله بن مجلى بن دعجان العدوى العمري ، ولد سنة ٧٠٠ هـ وكان من شيوخه ابن الفركاح وابن تيمية والوداعي وست الوزراء والحجار ، وقد برع في النظم وكتب الإنشاء بمصر والشام ، وهو صاحب «مسالك الأبيصار» والتعريف بالمصطلح الشريف» ومات سنة ٧٤٩ هـ ، انظر الدرر الكامنة ١/٨٢٨ .

(٢) يرجع بنو عجل إلى بكر بن وائل وكانت مساكنهم من إجماعة إلى البصرة ، وذكر الحمداني أن بلادهم الجزيرة من بلاد حلب ، كرر ذلك القلقشندي في كتابيه : قلائد الجمان ، ص ١٣١ ، ونهاية الأرب في أنساب العرب ، ص ٣٥٠ - ٣٥١ .

(٣) أشار ابن قاضي شهبه في الإعلام ، ١٩٢ ، إلى أن لبسه بزى الجند كان في حياة أبيه فلما مات لبس «البقيار» ، كما أنه ولى تدريس المدرسة الكروسية بدمشق المنسوبة إلى واقفها محمد بن عقيل بن كروم محتسب دمشق المتوفى سنة ٦٤١ هـ ، انظر عنها الدارس في تاريخ المدارس ١/٤٤٦ - ٤٤٧ .

(٤) في «أبي عساكر» ، وفي «ابن عسكر» ولعله الأصح حيث أورده بهذه الصورة ابن حجر في الدرر الكامنة ١/٤٣٠ حيث ذكر أنه هو أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عسكر المالكي البغدادي الأصل ، وتنفق ما بين دمشق والقاهرة ، ودمياط .

وعبد الرحمن بن القارى وغيرهما ، وولى تدريس الظاهرية بين القصرين ، وعُين للقضاء فامتنع مع استمراره فى نيابة الحكم إلى أن مات فى ربيع الأول وقد بلغ الستين .

١١٥ - محمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الله بن محمد المخزومى الدماينى ثم الاسكندراني ، شرف الدين بن معين الدين . ولد فى خامس ... (١) وتفقه واشتغل بالعربية والأصول ، وكان ذكياً وتعانى الكتابة ، وكان أبوه معين الدين ناظر الإسكندرية ، وباشر هو فى أعمال الدولة بالإسكندرية ثم سكن القاهرة ، وكان حادّ الذهن فاشتغل بالمباشرة عند محمود الأستادار ، واشتغل بالعلم فى غضون ذلك فبرع فى الفقه والأصول ، وولى حسة القاهرة سنة سبع وتسعين وتكرّر فيها مراراً ، ثم ولى كتابة بيت المال مع الكسوة فى رجب سنة ثمان .

وكان سعى بعد موت الكلستانى فى كتابة السرّ بقنطار من الذهب وهو عشرة آلاف دينار فلم يسعفه برقوق بذلك ، ثم ولى نظر الجيش فى ثامن ربيع الأول سنة تسع وتسعين بعد جمال الدين محمود القيصرى ، ثم عزّل برفيقه - وهو سعد الدين بن غراب - فى سابع ذى القعدة سنة ثمانى مائة ، وولى (٢) قبل ذلك وكالة بيت المال والكسوة ، وسعى فى القضاء ، وعُين له ، فقام عليه المالكية فلم يتم له ذلك . ثم استقر فى نظر الجيش ونظر الخاص جميعاً لما هرب ابن غراب ، ثم عاد ابن غراب فقَبِض عليه عن قرب ثم أفرج عنه فولى قضاء الإسكندرية إلى أن مات .

وكان فيه مع حدّته وذكائه كرمٌ وطيش وخفة ، رحمه الله تعالى .

وكان يعادى ابن غراب فعمل عليه إلى أن أخرجه من القاهرة لقضاء الإسكندرية فلم يلبث أن مات بها مسموماً على ما قيل ، وذلك فى المحرم منها .

(١) فراغ فى جميع النسخ ، ولم يشر السخاوى فى الضوء اللامع ١٦٧/٩ إلى ذكر تاريخ ميلاده ، وإن كان ابن قاضى شعبة قال فى الإعلام ، ورقة ١٩٢ ، إنه ولد « سنة بضع وخسين » ، ولم يذكر من ترجم له كالنجوم ١٥٢/٦ ، والشذرات ٣٧/٧ تاريخ مولده .

(٢) عبارة « وولى قبل ذلك ... فلم يتم له ذلك » السطر التالى غير واردة فى ظ .

١١٦ - محمد بن محمد بن الخباز الدمشقي تقي الدين التاجر ، ولد سنة ثمان وأربعين ، وتفقه شافعيًا ثم رجع حنفيًا ولم ينجب ، واشتغل بالتجارة ، وولى الحسبة والوكالة ، وهرب أيام الفتنة ثم رجع ومعه مال فصار يشتري المتاع برخص فكسب كسباً جزيلاً فلم يلبث أن مات في شوال وتمزق ماله .

١١٧ - محمد بن محمد بن عبد البر بن يحيى بن علي بن تمام السبكي الخزرجي ، بدر الدين ابن أبي البقاء الشافعي ، أسمع في صغره من عبد الرحمن بن أبي اليسر ونفيسة^(١) بنت [إبراهيم بن] الخباز وعلى^(٢) بن العز عمر وغيرهم ، واشتغل بالفقه والأصول ، وولى القضاء مراراً ، وفُوض له قضاء الشام لكن عزل قبل أن يتوجه إليه .

وولى خطابة الجامع بعد ابن جماعة ، ودرّس بالأتابكية^(٣) بدمشق قديماً ، وأول ما ولى القضاء بعد ابن جماعة في شعبان سنة تسع وسبعين وهو دون الأربعين ، فباشر سنة وأربعة أشهر ، ثم أعيد ابن جماعة واستمر هو بطالا بغير وظيفة إلى أن أعيد في صفر سنة أربع وثمانين .

سمعتُ منه ، وكان ليّن الجانب في مباشرته قليل الحرمة ، وفي الآخر فسد حاله بسبب ابنه جلال الدين ، واستقر في يده تدريس الشافعي بعد عزله الأخير ؛ فاستمر إلى أن مات في ربيع الآخر وقد جاوز الستين ، وقد تقدّم تواريخ ولايته في الحوادث .

وقد ناب في الحكم عن أبيه ودرّس في الحديث بالمنصورية ثم درّس بالفقه بها بعد أبيه ،

(١) هي نفيسة بنت إبراهيم بن سالم بن الخباز ، أهتم بها أخوها إسماعيل (الدرر الكامنة ٩٠٩/١) وأسمها من الكثيرين ، وسمع منها البرزالي والذهبي وابن رافع وماتت سنة ٧٤٩ هـ ، انظر عنها الدرر الكامنة ٤٩٤٧/٥ .

(٢) انظر الدرر الكامنة ٢٨٢١/٣ حيث ذكرت أنه ولد سنة ٦٠٠ هـ ، ومهر في الشروط حتى لقب « بالشروطي » ، وذكر ابن حجر أنه قرأ بخط السبكي عنه قوله : « كان عديم النظر في معرفة الخطوط والشروط والمكاتب الحكمة » ومات سنة ٥٧٤٩ هـ .

(٣) هي من مدارس الشافعية بدمشق وتنسب لمنشئها خاتون بنت عز الدين مسعود ، راجع عنها المدارس في تاريخ

وبالشافعي ، فلما ولي القضاء انتزعت منه المنصورية للشيخ ضياء الدين ، [وانتزع تدريس] الشافعي للشيخ سراج الدين ، وكان بخيلا بالوظائف وغيرها مع حسن خلق وفكاهة .

قرأت بخط ابن القطان وأجازنيه: « كان كثير الإنصاف ، وإذا وقع عليه البحث لا يغضب بخلاف والده ، رحمهما الله تعالى » .

١١٨ - محمد^(١) بن محمد بن عبد الله الصالحى الحنفى ابن^(٢) الخباز ، أحد نواب الحكم بدمشق .

١١٩ - محمد بن محمد بن محمد بن عرفة الـورعـمى^(٣) التونسى المالكى ، أبو عبد الله شيخ الإسلام بالمغرب ، سمع من [أبى عبد الله] بن عبد السلام [الهوارى] و [أبى عبد الله] الواد ياشى وابن سلمة وابن^(٤) بزال ، واشتغل وتمهر فى الفنون إلى أن صار إليه المرجع فى الفتوى ببلاد المغرب ، وكان معظما عند السلطان فمَنّ دونه مع الدين المتين والخير والصلاح .

وله تصانيف منها كتاب « المبسوط فى المذهب » فى سبعة أسفار ، إلا أنه شديد الغموض ، وله « مختصر الحوفى فى الفرائض » ، ونظم « قراءة يعقوب » ، مات فى جمادى الآخرة وله سبع وثمانون سنة . وأجاز لى وكتب لى بخطه لما حج بعد التسعين بالإجازة . وعلّق عنه بعض أصحابه كلاما فى التفسير كثير الفوائد فى مجلدين ، وكان يلتقطه فى حالة قراءتهم عليه ويدونونه أولاً بأول ، وكلامه فيه دال على توسّع فى الفنون وإتقان وتحقيق .

(١) فى « محمد بن عبد الله الصالحى » .

(٢) « ابن الخباز » غير واردة فى ٥ .

(٣) نبط على منطوقه فى الضوء اللامع ٥٨٦/٩ .

(٤) « برلان » فى ز ، والمقصود هنا هو محمد بن سعد بن بزال .

١٢٠ - محمد بن محمد بن محمد بن عمر بن القُدوة^(١) أبي بكر بن قوام الصالحى^(٢) بدر الدين ، كان خيِّراً وبه طرش يسير ، سمع الكثير من الحجار وإسحق الآمدى^(٣) وغيرهما فقرأنا عليه شبيهاً بالأذان ، وكنا نتحقق أنه يسمع ما نقرؤه بامتحانه تارة وبصلاته على النبي صلى الله عليه وسلم أخرى ، وبالرضا عن الصحابة بذلك ، ومات في شعبان محترقا بدمشق وقد جاوز الثمانين .

١٢١ - محمد بن محمد بن محمد بن منيع^(٤) الصالحى الموقت المعروف بالوراق ، محب الدين ، سمع من ابن أبي التائب وابن الرضى وغيرهما ، سمعتُ منه الكثير ومات في حصار دمشق .

١٢٢ - محمد بن محمد بن محمد الشرمساحى^(٥) ثم المصرى ، عز الدين بن قطب الدين المعروف بابن أنخى طلحة موقع الحكم ، وكان وجيهاً عند الرؤساء ، وكان بيته مجمعا لهم ، وأحضر على الميدومى وسمع على غيره . سمعتُ منه كثيراً ومات في رجب ولم يكمل الخمسين .

١٢٣ - محمد بن محمد بن محمود الحنفى ، صائن الدين الدمشقى أحد شهود الحكم بدمشق ، وكان يُفتى ويذاكر . مات في ذى الحجة .

١٢٤ - محمد بن محمد بن مقلد^(٦) المقدسى ثم الدمشقى بدر الدين الحنفى ،

(١) « الفقيه » فى ك ، وقد خلط ناسخ ك بين هذه الترجمة وبين ترجمة محمد بن محمد بن محمد بن ربيع التالفة ، رقم ١٢١ .

(٢) فى الضوء اللامع ٦٨٣/٩ « البالى الأصل » .

(٣) هو إسحق بن يحيى بن إسحق بن إبراهيم الآمدى ، وكان ولوعاً بالحديث وسماعه والتحديث به ، ومات سنة ٧٢٥ ، راجع الدرر الكامنة ٨٩٤/١ .

(٤) راجع الضوء اللامع ٤٨٨/٩ .

(٥) هناك بلدتان باسم « شرمساح » إحداهما هى التى ذكرها مرصد الاطلاع ٧٩٢/٢ حيث قال عنها « إنها بلدة بناوحى مكة قرب البحر المالح » ، والأخرى - وهى المقصودة أعلاه - من البلاد المصرية القديمة بمركز فارسكور وتقع على الضفة الشرقية لفرع دمياط ، انظر محمد رمزى : القاموس الجغرافى ، البلاد الحالية ، ق ٢ ، ج ١ ، ص ٢٤٣ .

(٦) راجع الضوء اللامع ٦٥/١٠ .

ولد سنة ١٧٤٤^(١) ، وبرع في الفقه والعربية والمعقول ، ودرّس وأفتى وناب في الحكم ، ثم ولي القضاء استقلالاً نحو سنة ثم عُزل ولم تُحمد مباشرته ، ثم صار إلى القاهرة فسعى في العود فأعيد فوصل إلى الرملة فمات بها في ربيع الآخر .

١٢٥ - محمد بن محمد البصرى ثم الدمشقى الضرير ، قرأ بالروايات واشتغل في الفقه . مات في رجب .

١٢٦ - محمد بن محمود بن أحمد بن رُمَيْثَة بن أبي نعي الحسنى المكي من بيت الملك ، وقد ناب في إبرة مكة ، وكان خاله - علي بن عجلان - لا يقطع أمراً دونه ، وكانت لديه فضيلة وينظم الشعر مع كرم وعقل . مات في شوال وقد جاوز الأربعين .

١٢٧ - محمد بن محمود بن إسحق الزرندي^(٢) ثم الصالحى السمسار ، يلقب زَيْقِي^(٣) ، حدثنا عن زينب بنت الكمال ، ومات في شعبان .

١٢٨ - محمد الزيلعى شمس الدين الكاتب المجرّد ، كان عارفاً بالخط المنسوب وبالميقات ، تعلّم الناس منه وأخذ عنه غالب أهل البلد ، وانتهت إليه رئاسة الفن بدمشق ، وكان ماهراً في معرفة الأعشاب ، أخذ ذلك عن ابن القماح ، وكان ابن القماح يقول إنه أفضل منه في ذلك . مات في شعبان .

١٢٩ - محمد^(٤) بن بدر الدين الأفصاحى ثم المصرى صاحب ديوانى أَلجَاجى ، كان من الأعيان بمصر . مات في ربيع الآخر .

(١) انظر الضوء اللامع ٦٥/١٠ .

(٢) في ز « الزيدى » ، والصحيح « الزرندي » نسبة إلى زرنند - بفتح الزاى والراء وسكون النون - وهى بليدة بين أصفهان وسواة الواقعة بين الرى وهذان كما جاء في مراصد الاطلاع ٦٦٤/٢ ، ٦٨٥ - ٦٨٦ ، هذا وقد اتخذها قبائل الغز التركانية قسبة مؤقتة لإقليم كرمان في سنة ٥٨٣ هـ ، وهى على مرحلتين من شمال غربى كرمان ، انظر لستراىج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٣٤٣ ، ٣٤٦ .

(٣) هكذا ضبطت في ظ ، والضوء اللامع ١٠/١٥٥ .

(٤) في ز « محمد بن بدر الدين » .

١٣٠ - موسى بن محمد بن محمد بن أبي بكر^(١) بن جمعة الأنصاري القاضي الشافعي شرف الدين قاضي حلب، كان فاضلاً في الفنون ، وُلد سنة ثمان وأربعين ، ونشأ في حِجر عمه شهاب الدين خطيب حلب ، وقرأ وتفقه بالأذري ، وقدم دمشق سنة سبعين ودخل إلى القاهرة وأخذ عن الإسنوي^(٢) والمنفلوطي^(٣) وغيرهما ، وسمع الحديث من جماعة منهم محمد بن محمد الأيكي^(٤) المعروف بزغلش ورجع وقد صار فاضلاً في الفنون ، وفهم من كل علم طرفاً جيداً ، وأدمن الاشتغال حتى مهر ، وأفتى ودرّس وخطب بجامع حلب واشتهر ، ثم ولي القضاء في زمن الملك الظاهر مراراً ، ثم أُسِر مع من أُسِر من اللنكية ، فلما عاد اللنك إلى بلاده أمر بإطلاق جماعة هو منهم فأطلق من أسرهم في شعبان ، فتوجّه إلى أريحا وهو متوعك فمات بها .

وكان فاضلاً ديناً ، كثير الحياء قليل الشر ، وكتب قطعة على « الغاية القصوى » للبيضاوي .^(٥) مات في ثاني عشر رمضان عن ثلاث^(٦) وخمسين سنة .

١٣١ - يوسف^(٧) بن إبراهيم بن عبد الله الأذري نزيل حلب ، اشتغل كثيراً في الفقه وغيره بدمشق ، ثم قدم حلب فقرّره [الشرف] الأنصاري في قضاء الباب ثم قضاء

(١) عبارة « ابن أبي بكر » غير واردة في ظ .

(٢) « الإسناوي » في ز ، وهو عبد الرحيم بن الحسن بن علي بن عمر الإسنوي المصري الشافعي ، راجع عنه الدرر الكامنة ٢/٢٣٨٦ ، وشدرات الذهب ٧/٢٢٣ .

(٣) هو أحمد بن إبراهيم بن يوسف العماني المنفلوطي المملوي نزيل دمشق ، راجع عنه الدرر الكامنة ١/٢٦٢ وطبقات الشافعية .

(٤) في الضوء اللامع ١٠/٧٩٦ « أحمد بن مكي الأيكي زغلش » ، وفي شدرات الذهب ٧/٣٩ « أحمد الأيكي » .

(٥) من هنا حتى نهاية الترجمة ساقط من كل من ز ، ه .

(٦) في العيني : عقد الجمان « عن نيف وخمسين سنة » ، ولو صح ما في المتن أو ما جاء بالعيني لما كانت سنة ٤٨ سنة ولادته وإن نصت عليها شدرات الذهب ٧/٣٩ .

(٧) لم ترد هذه الترجمة في ظ ، ولكن السخاوي نص في الضوء اللامع ١٠/١١٤٤ على أن ابن حجر ذكره في « إنبائه » ، مما يوضح بجلاء أن نسخة ظ كانت مسودة ولعل هناك نسخة أخرى أكلها ابن حجر ورجع إليها تلميذه السخاوي .

تيزين^(١) فمات في الكائنة العظمى ؛ وكان فاضلاً في الفقه مقتصرًا عليه ؛ قاله القاضي علاء الدين في قضاة حلب .

١٣٢ - يوسف بن موسى بن محمد بن أحمد بن أبي تَكَيْن بن عبد الله الملقب ثم الحلبي الحنفي ، أصله من خرتبرت^(٢) ونشأ بمطية ؛ وُلد سنة ست وعشرين^(٣) أو في التي بعدها ، واشتغل بحلب حتى مهر ثم رحل إلى الديار المصرية وهو كبير فأخذ عن علمائها ، وسمع عن عز الدين بن جماعة ومغلطاي ، وحدث عنه بالسيرة النبوية وذكر أنه سمعها منه سنة ستين ، واشتغل وحصل وأفتى ودرّس .

وكان يستحضر « الكشاف » والفقه على مذهبهم ، فاستدعاه الظاهر برقوق لما مات شمس الدين الطرابلسي فحضر من حلب في ربيع الآخر سنة ثمان مائة ، ونزل عند بدرالدين الكلستاني كاتب السر وخلع عليه في العشرين من الشهر ، واستقر في قضاء الحنفية فكانت مدة الفترة مائة وعشرة أيام فباشرة عجيبة ، فإنه قرب الفساق واستكثر من استبدال الأوقاف وقتل مسلماً بنصراني .

ثم لما مات الكلستاني استقر بعده في تدريس الصرغتمشية ، ووقع في ولايته أمور منكرة ، منها ما قدم من الأنجاس في الاستبدال ؛ ومنها أنه قتل مسلماً بنصراني ؛ واشتهر أنه كان يفتي بأكل الحشيش ووجوه من الحيل في أكل الربا ، وأنه كان يقول : « مَنْ نَظَرَ

(١) إكتفى مرصد الاطلاع ٢٨٥/١ في تعريفها بقوله « إنها قرية كبيرة من نواحي حلب » على حين أن ديسر أشار إلى أن تيزين من نواحي حلب وجماعة ، وأنها هي المقصودة في كثير من الحوليات الصليبية بأرتاح ، انظر Dussaud : Topographie Historique de la Syrie, pp. 225 - 227.

(٢) حصن يعرف بحصن زياد في أقصى ديار بكر من بلاد الروم يفصل بينه وبين مطية نهر الفرات كما جاء في مرصد الاطلاع ٤٥٧/١ ، وجاء في بلدان الخلافة الشرقية ، ص ١٤٩ أن حصن زياد هو « خربوط » الحديثة أو هو الإسم العربي لخرتبرت المدينة .

(٣) الوارد في الضوء اللامع ١٢٧١/١٠ ، أنه ولد في سنة ٧٢٥ هـ .

في كتاب البخارى تزندق « ؛ وعمل فيه محب^(١) الدين بن الشحنة أبياناً هجاه بها كان يزعم أنه أنشدها له بلفظه ، موهما أنها لبعض الشعراء القدماء في بعض القضاة^(٢) .

وقد أثنى عليه ابن حجبى في علمه . ولم يكن محموداً في مباشرته .

مات في ربيع الآخر بالقاهرة ، وشغل منصب القضاء عن الحنفية بعده قليلاً إلى أن استقر أمين الدين الطرابلسى ؛ قال العيني : « كان يتصدّق في كل يوم بخمسة وعشرين درهما يصرف بها فلوساً ويعطيها للفقراء لا يخلّ^(٣) بذلك ، وكان عنده بعض شح وطمع وتفضيل ، وكان قد حصل بحلب مالاً فنهب في اللنكية » ، قال : « وكان ظريفاً ربع القامة » ، قال : « وهو أحد مشايخى ، قرأت عليه بحلب سنة ثمانين » .

وقرأت بخط القاضى علاء الدين بن خطيب الناصرية في تاريخه : « أن المملطى هذا سمع على مغلطاي السيرة النبوية والدر المنظوم في كلام المعصوم » ؛ قال : « وقرأتهما عليه بروايته عنه » ، قال : « وأخذ عن جمال الدين هشام وغيره » قال : « وكان فاضلاً كثيراً الاشتغال والانشغال ، وله ثروة زائدة حصلها بحيلة لعينة » .

وقرره تغرى بردى في التدريس بجامع حلب ، ثم ولى قضاء الديار المصرية ، ولما هجم اللنكية البلاد عُقد مجلس بالقضاء والعلماء لمشاطرة الناس في أمواهم فقال المملطى : « إن كنتم تعملون بالشوكة فالأمر لكم ، وأما نحن فلا نفقى بهذا ولا يحل أن يُعمل » ، فوقف الحال وعُدّت من حسناته .

(١) راجع ترجمته مطولة في ذيل رفع الإصر ص ٤٠٦ - ٤٢٨ .

(٢) أورد السخاوى في الذيل على رفع الإصر ، ص ٤٠٩ ، ما قاله ابن الشحنة في هجائه وأنشده إياه :

عجبت لشيخ يأمر الناس بالتقى وما راقب الرحمن يوماً وما اتقى
يرى جائزاً أكل الحشيشة والربا ومن يستمع للوحى حقاً تزندقاً

(٣) « لا يخلّ » في ز .

قال : « ولما طُلب إلى مصر على رأس القرن قال لي : أنا الآن ابن خمس وسبعين » .
ومات في شهر ربيع الآخر من هذه السنة .

* * *

وقرأت بخط البرهان المحدث بحلب : « مات من الفقهاء الشافعية في الكائنة وبعدها » :

- ١٣٣ - علاء الدين الصرخدى .
- ١٣٤ - وشرف الدين الدادبختى .
- ١٣٥ - وشهاب الدين ابن الضعيف^(١) .
- ١٣٦ - وشمس الدين البابى .
- ١٣٧ - وبهاء الدين داود الكردى .
- ١٣٨ - وشمس الدين بن الزكى الجعبرى^(٢) .

* * *

(١) الضبط من الضوء اللامع ج ١ ص ٣٠ ، ج ١١ ص ٢٥٥ ، ولم يورد السخاوى في ترجمته بالضوء ٧٠٧/٢ سوى ما جاء به البرهان الحلبي في وصفه « بالفضل » .

(٢) الضبط من الضوء اللامع ج ١١ ص ١٩٦ حيث ذكر أن النسبة فيها إلى قلمة جعبر الشهيرة بين الرقة وبالس على بحر الفرات .

سنة أربع وثمانى مائة

في المحرم منها أعرس نوروز بسارة بنت الملك الظاهر في الحادى^(١) والعشرين منه ، وكانت الوليمة هائلة فقيل ذبح فيها ثلاثمائة رأس من الغنم .

وفيه كائنة تغرى بردى مع أهل دمشق ، فهرب إلى حلب واتفق مع دمرداش ، واستقر في نيابة دمشق بعده آقبا الجمالى في صفر ، وكان أصل ذلك أن الأعراب أفسدت في الطرقات كثيرا حتى نهب القفل^(٢) القادم من مصر ، فخرج النائب لقتالهم بالعسكر فلم يدركهم فرجع بغير نفع ، ووصل الأمر بالقبض عليه من مصر ، فأراد الحاجب القبض عليه ليلة الجمعة ثانى عشرى المحرم ، فهرب إلى ناحية حلب فوصل إلى دمرداش ، وكان دمرداش قد قبض على علي بك بن خليل بن ذلغادر التركمانى وعلى خمسين نفراً من قومه وحبسهم ، فلما وصل تغرى بردى استشفعوا به فشفع فيهم عند دمرداش فأطلقهم .

وفي صفر^(٣) نازل الفرنج طرابلس واستولوا على مراكب كثيرة للمسلمين في الميناء ، ففزع إليهم أهل البلد وقتلواهم قتالاً شديداً ، فأسير من المسلمين جماعة ، فدخل الناس بينهم في الصلح والقداء فغدروا بمن طلع إليهم من الرسل في ذلك وأسروهم ، ثم أسروا طائفة أخرى من قرية بقرب طرابلس ، ثم توجهت طائفة منهم بهم إلى قرية أخرى ، فحال بينهم وبين ذلك أميرها فقبضهم وجاء بهم إلى طرابلس فسجنوا وأخذ المسلمون مركبهم .

وفيها وقع بين دمرداش ومن اجتمع معه وبين دقماق نائب حلب حرب فكسره دمرداش ، فاستعان دقماق بنعيم ومن معه من العرب ، فوقع بينهم وقعة عظيمة انكسرفيها دمرداش ،

(١) الوارد في الإعلام لابن قاضى شعبة ، ورقة ١٩٤ ب ، أن الزواج تم في العشر الأوسط من محرم هذه السنة .

(٢) القفل (بضم القاف) بمعنى الركب .

(٣) جعل ابن قاضى شعبة : الإعلام ، ١٩٤ ب ، هجوم الفرنجة على طرابلس يوم الإثنين ١٠ صفر ، ويمكن

مراجعة هذا الخبر بالتفصيل هناك .

ومن اتبعه ، والسبب في ذلك أن دمرداش جمع العساكر بعد أن خامر وجاء إليه تغرى بردى فجمع دقماق - الذي قرر في حلب - العساكر بحماة ، ثم استنجد بأهل دمشق ، ثم توجه إلى جهة حلب ، فخامر بعض من معه من التركمان ، فرجع دقماق يطلب النجدة من عسكر دمشق ، فنودي بالقاهرة للخروج ؛ فوصل دمرداش إلى ظاهر حلب ووصل جاليشه إلى المعرة ، فتوجه من دمشق أسن بيه وبكتمر ومعهما جماعة ، ثم التقوا في جمادى الأولى ظاهر حلب ، فانكسر دمرداش ؛ واستولى ابن ذلغادر على حلب ، فكاتب السلطان بذلك وسلمها لدقماق نائبها من جهة السلطان .

ثم جمع دمرداش جمعا من التركمان ومعهم ابن رمضان ، فخرج إليهم نائب حلب والعسكر وجاءهم نعيم فردوا هاربين ، فأدركت آثارهم وأخذ منهم شيء كثير . واستمر ابن رمضان ودمرداش منهزمين وأدركهم بعض من يعادى ابن رمضان فنالهم منه جراح وغير ذلك .

وفيهما أوقع جنتمر الطرنطاي التركماني كاشف الوجه القبلي بعرب ابن عمر الهواري^(١) . وفيها نودي بدمشق بمنع العمارة ظاهر البلد ، ومن عمر ظاهر البلد خربت عمارته ، وكانوا بعد حريق دمشق قد سكنوا في العمران الذي بقي في ظاهرها فأكثروا فيه العمارة ، واستولى كثير من الناس على كثير من الأوقاف ، فرُفع الأمر إلى السلطان ، فأمر بالنداء بذلك في جمادى الأولى .

وفيه استقر شمس الدين بن عباس الصلتي^(٢) في قضاء الشافعية بدمشق وصُرف الإخنائي^(٣) ورُسم عليه ، وأمر بالكشف عما استولى عليه من الأوقاف والأموال ، وأمر بالنداء

(١) كان عرب هواره ينزلون في بداية الأمر بمحافظة البحيرة من الديار المصرية ومن الإسكندرية غربا إلى العقبة الكبيرة من برقة ، ثم نزحوا من البحيرة إلى صعيد مصر في إخم ، ثم انتشروا في معظم بلاد الوجه القبلي ، أنظر قلائد الجمان ص ١٦٧ .

(٢) سترد ترجمته في وفيات سنة ٨٠٧ هـ تحت رقم ٢١ ص ٣١٢ ؛ وانظر أيضا ابن طولون قضاء دمشق ، ص ١٢٨ - ١٢٩ .

(٣) راجع ابن طولون : قضاء دمشق ، ص ١٢٥ - ١٢٧ .

عليه فنودي عليه في أرجاء البلد ثم بالصالحية ، وجاء الناس أفواجاً أفواجاً يشكون منه ،
وعُقد له مجلس عند النائب وبُهدل كثيراً .

وفيه عزل ابن (١) منجا من قضاء الحنابلة واستقر النابلسي (٢) .

وفي صفر عزل ابن (٣) القطب من قضاء الحنفية ، واستقر شهاب الدين الجواشني .
وفيه كثر الجراد ببلاد الشام كالسنة الماضية .

وفيه ولي القاضي نجم الدين بن حجيّ قضاء حماة .

وفيها في صفر كثرت الفتن والأقاويل بين سودون الحمزاوى وسودون بقجة وأزبك
وقانيباى الخزندار وغيرهم ، فغضب أكابر الأمراء من ذلك مثل نوروز وجكم وسودون طاز
وتربغا المشطوب ، فعمين سودون الحمزاوى لنيابة صغد ، ومشوا بينهم في الصلح إلى أن
اصطلحوا على ذلك وأنهم لا يحضرون الخدمة حتى يسافر الحمزاوى ، وأن جماعة من المماليك
- سموهم - لا يطلعون إلى القلعة أصلاً .

وتخلع على نوروز وكان له مدة شهر لم يطلع الخدمة ، وتخلع على جكم وكان له مدة شهرين
كذلك ، وذلك في شهر ربيع الأول .

وفي المحرم استقر شمس الدين بن البنا - شاهد ديوان جكم - في نظر الأحباس ، ثم مات
في سابع صفر واستقر بدر الدين العيني ثم صُرف في أواخر ذى القعدة بشهاب الدين بن
الطناحي فقيه السلطان .

وفي أواخر ربيع الآخر استقر مبارك شاه في الوزارة عوضاً عن أبي كم .

(١) انظر ابن طولون : قضاة دمشق ، ص ٢٨٩ ، وانظر فيما بعد ص ٢١١ وترجمة رقم ٧ .

(٢) ابن طولون : قضاة دمشق ، ص ٢٨٧ .

(٣) ابن طولون : قضاة دمشق ص ٢٠٣ ، ٢٠٦ ، هذا وقد أشار ابن قاضي شهبه : الإعلام ، ورقة ١١٩٥ ، إلى
أن عزل ابن القطب جاء بعد أربعة أشهر وعشرة أيام من توليه القضاء ، ثم إنه باشر بعد ذلك بأيام بإذن النائب ، وعلق على
ذلك بقوله : « وهذا تلاعب وقلة دين » .

وفي صفر تواری أبو کم الوزير علم الدين يحيى من كثرة الكلف على الوزارة ، ثم ظهر فخلع عليه بالاستمرار .

وفيها استقر شمس الدين^(١) محمد الشاذلى فى حسة القاهرة عوضا عن شمس الدين البجانسى .

وفي أواخر صفر نخلع على فخر الدين بن غراب ناظر الخاص عوضا عن أخيه سعد الدين باختياره .

وفيها خلص أطنبغا العثماني من أسر تمرلنك فقرر نائباً فى غزة .

وفي ذى القعدة استقر حسن بن الأمدى فى مشيخة سرياقوس ، وصرف أبينا التركمانى .

وفي رابع^(٢) جمادى الآخرة عُزل ناصر الدين الصالحى عن قضاء الشافعية واستقر الإمام جلال الدين بن شيخ الإسلام البلقينى عوضا عنه بمال كبير بذله بعناية سودون طاز ، وغضب جكم من ذلك وأساء له القول لما جاء إلى بيته ، فلاطفه شيخ الإسلام والله ، وخرج هو وولده ، ثم لم يلبث إلا يسيراً حتى دبّت العداوة بين جكم وسودون طاز ، فانقطع نوروز وجكم عن الخدمة مدة . فبرز جكم إلى بركة الحبش فأقام أياماً ، واجتمع العسكر على سودون طاز ، ثم خامر نوروز ويشبك بن أزدمر ومن معهما إلى جكم ، ووقعت بينهما عدة وقعات ، فانقطع نوروز وجكم عن الخدمة مدة .

فلما كان ثانى يوم عيد الفطر وقعت الحرب بينهم ، ثم نزل الناصر إلى الإصطبل ومعه سودون طاز ، وبعث طائفة إلى بيت نوروز ليكبسوا عليه فركب وركب الجماعة ، فقتل جماعة فى المعركة ، وجرح آخرون .

ومَن فقد فى الوقعة قانباى فلم يُعرف له خبر ، مع أنه كان نخلع عليه بناية حماة فامتنع وتغيّر . وهرب جكم ومَن أتبعه ، وأسر سودون من زادة جريحاً مع أن جهة نوروز

(١) كان ذلك فى شهر ربيع الأول ، راجع إعلام ابن قاضى شعبة ، ١٩٥ - ب .

(٢) أمامها فى هاش ٥ : « ولاية الجلال البلقينى القضاء » .

كانت زاجحة إلا أن سودون طاز تحيّل ، فأمر الناصر أن يبعث الخليفة والقضاة إلى نوروز في طلب الصلح فوصلوا إليه ، فانقاد لهم وتبعه جكم وغيره وتركوا الحرب ، فدار القضاة والخليفة وحلفوا الأمراء بالسمع والطاعة للسلطان وأحمدوا الفتنة .

وظلع نوروز إلى الخدمة فخلع عليه ، ثم طلع جكم فلم يُخلع عليه ، ثم طلب منه جماعة من الأمراء الذين كانوا معه فجحد معرفة أمكنتهم . وبرز هو ومن معه من الأمراء والخاصكية إلى بركة الحبش ، ثم جاء تمربغا المشطوب وغيره إلى نوروز فأركبوه إلى بركة الحبش ، واجتمع عندهم بما يقارب ألفي نفس .

فلما كان الرابع عشر من شوال نزل السلطان وجميع من معه وخرجوا من باب القرافة ، وجكم ومن معه لا خبر عندهم من ذلك لأنهم كانوا سمعوا بأنه نودي بعرض الأجناد ، فبنوا الأمر على أن الحرب تقع بينهم يوم النصف ، فبادر سودون طاز بالسلطان ومن معه عقب العرض يوم الأربعاء رابع عشر فالتقوا ، فانكسرت مقدمة نوروز وجكم ، وأسير تمربغا المشطوب وعلى بن إينال وأرغون .

ووتى جكم ونوروز هاربين أيضا ، وسُفّر تمربغا - ومن أسير - إلى الاسكندرية ، واستقر ببيرس قريب السلطان أتابك العساكر ، وأمر أن يخرج يشبك من الحبش ، فسافر إليه القاصد يوم النصف من الشهر فوصلها رابع^(١) عشره فاستقر دويدارا على عادته .

ثم ظهر نوروز وراسل ببيرس من الجيزة فأمنه وحلف له بالطلاق أنه يستقر نائب الشام ، فركب إليه وخرج ليلاً بغير علم أحد ، فحضر عنده فأمسك وقيد وأرسل إلى الاسكندرية ، ثم قبض على جكم أيضا وقيد وأرسل إلى قلعة المرقب^(٢) ، وغضب ببيرس من مخالفة رأيه وحث يمينه ، وأرضى بالمسال .

(١) في ٥ : مع غيره ٥٥ .

(٢) عرف مرصد الاطلاع ١٢٥٩/٣ - ١٢٦٠ قلعة المرقب بأنها تشرف على سواحل بحر الشام وعل مدينة بانياس ،

وذكر أنه لم ير أحد مثلها قط .

وفي جمادى الآخرة عصى صُرُق نائب غزة ، وذلك أنه كان بلغه أن بعض الحرامية يقطع الطريق فخرج إليهم في عسكره وأوقع بهم وأحضر منهم إلى غزة جماعة فوسطهم وأخذ منهم شيئاً كثيراً ، فلما رجع بلغه أن كتاب السلطان جاء إلى حاجب غزة سلامش بالقبض على صُرُق ، فأظهر المخالفة ، فوافق سلامش ومعه جركس نائب الكرك وصرق فكسرهم وبدد شملهم وقبض على جركس ، وهرب سلامش واستجار بعرب آل (١) جرم فأغاثه عمر بن فضل الجرمي ورجع بهم إلى غزة . فواقعا صرق فكسرهم ، ثم تكاثروا فكسروه فهرب وذلك في نصف الشهر ، فأدركوه فقبض عليه وأحضره إلى سلامش فقيّد ، وحصل النهب في بعض غزة ؛ ولولا أن عمر بن فضل ردّ العرب عن النهب لم يبق فيها دار إلا نُهبّت .

وقُتل في الواقعة أكثر من خمسين نفساً وجرح أكثر من ثلاثمائة ، ثم جاءت من مصر لصرق ولاية الكشف بالغور (٢) ثم بكشف الكشاف فباشروا في شوال .

وفي جمادى الآخرة باشر علاء الدين بن المغلى - قاضى (٣) حماة الحنبلى - قضاء حلب .

وفي رجب رخصت الأسعار بدمشق بالنسبة إلى ما كان عقب الكائنة العظمى . وفيه قبض على كثير من المفسدين بدمشق وسُنقوا بكلايب معلقة في أفواههم ، وكانوا قد كثروا بعد الكائنة وهجموا على الناس وأبادوهم قتلاً وخنقاً ونهباً ، ووُجد عندهم من قماش الناس ما لا يُحصى كثرة ، فأحضر بدار النيابة فصار من عرف شيئاً أخذه .

وفي شعبان وقعت صاعقة على رجل تحت القلعة بدمشق فقتلته .

(١) انظر القلقشندي : فلاندي الجمان ، ص ٨٣ حيث قال إنهم بطن من طي من القحطانية ، راجع أيضاً القلقشندي : نهاية الأرب في أنساب العرب ، ص ٢٠٩ حيث أشار إلى أن بلادهم هي غزة والداروم ما يلي الساحل إلى الجبل وبلد الخليل عليه السلام .

(٢) يقصد بذلك غور الأردن بالشام من بيت المقدس ودمشق ، وفيه نهر الأردن يشقه في طوله من أوله وأشهر بلاده بيسان ، راجع مرصد الاطلاع ١٠٠٤/٢ .

(٣) يرجح ابن قاضي شبيهة في الإعلام ، ١١٩٦ ، أن الذي ولي مكانه قضاء حماة هو ابن الرسام .

وفي سادس عشر شعبان أقيمت الجمعة بالجامع الأموي ، وكان لها مدة قد عطلت ، ثم نودي في الناس بالاجتماع للعمل فيه وتنظيفه .

وفيه زكا الزرع بأعمال دمشق حتى عُدَّ من حبة واحدة أنبتت مائتي سنبله وسنبلة ، حكى ذلك ابن حجي [و] أنه شاهده مع الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير إبراهيم ابن منجك .

وفي شعبان عُزل ابن خلدون من قضاء المالكية بمصر ، واستقر جمال الدين البساطي وهو شاب (١) .

وفيه (٢) كانت وقعة الفيل ظاهر القاهرة ، وذلك أنهم اجتازوا به بقنطرة بعد قنطرة الفخر فانخسفت به فاشتبك فيها وعجز عن النهوض وصار معلقا ، فلم يقدرُوا على تخليصه حتى مات وهو كذلك ، وأنشدوا فيه أشعاراً وغنوا بسبب قصته هذه أغاني .

وفي شعبان (٣) أغار ابن صوجي التركماني على بعض أعمال طرابلس ، فخرج شيخ نائبها في أثره فأظهر الهزيمة إلى أن بُعد عن البلد وهو يتبعه ، فلما كاد يهجم عليه وافاه كتاب نائب حلب دماق يشفع فيه فقبل شفاعته ورجع وتفرَّق العسكر ، فاغتم ابن صوجي الفرصة وقاطع على شيخ وهو بعسكر جرار وشيخ في نحو الخمسين فقط ، فكثر عليهم شيخ فهزمهم وقتل منهم جماعة ، وفرّ الباقيون ورجع سالماً .

وفي شوال قبض سودون الحمزاوي بصفد على مُتَيْرِك (٤) البدوي أمير بني حارثة (٥)

(١) عبارة « وهو شاب » غير واردة في ظ .

(٢) « وفي شعبان » في ظ ، والأعلام لابن قاضي شهبة ، ١٩٧ .

(٣) في بعض النسخ « وفيه » .

(٤) الضبط من ز .

(٥) هناك عدة قبائل عربية تدعى كل منها ببني حارثة ، فبعضها ينسب إلى القحطانية وهم من كهلان ومزيقيا والأزد وطى وبني عذرة ، والبعض ينسب إلى العدنانية وهم من شيبان ، حل أن القلقشندي أضاف في نهاية الأرب ، ص ٢٢٤ - ٢٢٥ إلى هؤلاء جماعة عرفوا ببني حارثة ، لكنني فيهم بقوله لأنهم « بطن من العرب » ، وقال : ذكرهم الحمداني في أحلاف آل مرا من عرب الشام ولم ينسبهم في قبيلة ، وبلادهم بلاد الشام ، ولعل متريك هذا من الجماعة الأخيرة .

من العربان ، وكان قد تمرد وكثر فساده فاعتقله إلى أن قتله في صفر من السنة المقبلة وسلخه ومثّل به .

وفي رجب منها ظهر كوكب كبير قدر الثريا له ذؤابة ظاهرة النور جدا ، فاستمرّ يطلع ويغيب ، ونوره قوى يُرى مع ضوء القمر حتى روى بالنهار في أوائل شعبان ، فأولّه بعض الناس بظهور مُلك شيخ المحمودى ، فإنه نُقل في هذه السنة بعد خلاص يشبك إلى نيابة دمشق عوضاً عن آقبغا الجمالى في ذى القعدة ، وقرّر في نيابة طرابلس بعده دمرداش .

واستقر قدم شيخ بدمشق فلم يزل يترقى بعد ذلك حتى ولى السلطنة ، واستمر بعد هذه الحادثة عشرين سنة - كما سيأتى تفصيله - أميراً^(١) وسلطاناً ، ونُقل آقبغا الجمالى إلى دمشق بطالاً ، وطلب تغرى بردى إلى القاهرة .

وفي^(٢) ذى القعدة عُزل^(٣) نائب الشام تغرى بردى عن نيابة الشام وصُرف إلى القدس بطالاً ، واستقر في نيابة الشام شيخ المحمودى نقلاً من نيابة طرابلس فوصل في نصف ذى الحجة .

وفيها استقر تقي الدين بن الشيخ شمس الدين الكرمانى في قضاء العسكر بدمشق وإفناء دار العدل ، وكان يوم بالنائب ففوّض له ذلك .

وفيها في ذى الحجة تجمعت التركمان مع ابن رمضان ، ووافقهم قرا يوسف واجتمعوا على دمرداش ونازلوا حلب ، فجمع نائب حلب دقماق العسكر وجاء إليه نائب حماة وأمير العرب نعير ، وبلغ ذلك نائب دمشق فأرسل إلى دمرداش ينهائه عن ذلك ، فلم يصل إليه رسوله .

(١) عبارة « أميراً وسلطاناً » غير واردة في ظ .

(٢) ورد هذا الخبر في ظ ، ورقة ١٧٠ ب ، بعد خبر وقعة الفيل .

(٣) أمامها في هاشم « بخط البقاعى » تقدم قبل خمسة أسطر أنه ولى الشام عوضاً عن آقبغا الجمالى ، انظر أعلاه ، ص ٥ - ٦ .

وفيها رجع تمرلنك بعساكره عن سيواس قاصدا الجبهة الشمالية لبلاد ابن عثمان .

وفيها نازل السلطان أبو فارس عبد العزيز صاحب المغرب مدينة بسكرة^(١) وأسر صاحبها أبا العباس أحمد بن يوسف بن منصور بن علي بن أحمد بن الحسن بن علي بن مزني (بفتح^(٢) الميم وسكون الزاي بعدها نون وياء ثقيلة) فأسره أبو فارس وحمله إلى تونس وسجنه بها حتى مات بعد مدة ، وزالت بزواله دولة بني مزني وكان لها نحو من سبعين سنة ينتقلون فيها .

وكان ولده ناصر بن أحمد - وهو من أبناء العشرين - قد حج في هذه السنة فبلغه ما جرى على أبيه وأهله ، فأقام بالقاهرة بعد أن حج ، واشتغل بها ومهر في التاريخ وأسماء الرجال ، وجمع من ذلك مجاميع فسدت بعده ، ومات بعد مدة .

وفيها قُتل جنتمر النظامي كاشفُ الوجه القبلي في حرب جرت بينه وبين محمد بن عمر ابن عبد العزيز الهواري أمير العربان هناك .

وفيها أبطل السالمى ميسم اللحم .

وفي ثامن ذي القعدة اجتمع الأمراء في بيت بيبرس يلبون الكرة ، فترصد جماعة من المماليك نحو الألف لسودون طاز وهاشوا عليه وأرادوا قتله ، فخلصه منهم الأمير يشبك وحماه إلى أن وصل إلى باب السلسلة .

واستقر يشبك في الدويدارية في رابع عشر ذي القعدة .

وفيه خرج الأمراء عن بكرة أبيهم إلى عرب تروجة وأوقعوا بهم ، ثم قدموا ليلة الأضحى .

(١) ضبطها مرصد الاطلاع ١٩٧/١ بكسر الكاف ، وقال إنها بلدة في المغرب وفيها نخل وشجر ، وتعرف ببسكرة

النخيل ، ثم قال : ومنهم من يقولها بفتح الباء والكاف .

(٢) عبارة « بفتح الميم . . . أبو فارس » نفس السطر غير واردة في ظ .

وفي سادس عشرى ذى الحجة - أواخر النهار - استقر ولى الدين بن خلدون فى قضاء المالكية وصُرف البساطى ، واستقر جمق الدويدار فى نيابة الكرك عوضا عن سليمان التركمانى .
واستقر علان فى نيابة حماة عوضا عن يونس الحافظى ، وكان من أعيان أصحاب سودون طاز ، فقبل أرادوا بذلك قصّ جناحه .

وكان اللنك - لما رحل عن الشام - وصل إلى ماردين فتحصّن أهلها بالقلعة فحاصرها اللنك وراسل صاحبها الظاهر عيسى فما أجابه بشئ ، فلما أعياه أمرها أظهر أنه متوجّه إلى جهة بغداد فى أواخر رمضان ، فخرّب نصيبين والموصل وصور ، فوهبها لحسن بك بن ملك حسين ، وجّهز ما حصّل من الأموال صحبة الشيخ زادة إلى سمرقند ، ثم وجّه إلى بغداد عشرين ألف مقاتل وأمّر عليهم أمير زاه رستم ، وأمره إذا غلب على بغداد أن يستقر فيها أميراً فتوجهوا .

وكان أحمد بن أويس قد رحل عنها وأمّر عليها أميراً ، وأوصاه أن لا يغلّق بابها إذا قدم اللنك عليهم ، فلما وصل العسكر استعدّ أميرها - واسمه فرج - للقتال ، فبلغ ذلك اللنك فسار إليهم ممدا لهم ، فأخذ بغداد عنوة يوم الأضحى ، فضحّى بذبح المسلمين إلى أن جرت بدماهم دجلة وبنيت برعوسهم عدة منارات حتى يقال بلغت عدة القتلى صبراً تسعين ألفاً . وكان قد وظف على كل أمير من عسكره أن يُحضر له عددًا من الرعوس ، فكان [الأمير] إذا لم يقدر على توفية العدة من أهل بغداد يقطع رعوس من معه من الأسرى من جميع البلاد .

ثم أمر اللنك بتخريب بغداد كعادته فى غيرها وأبلغ فى ذلك ، ثم رحل عنها راجعاً إلى البلاد الشمالية .

فكر من توفى

سنة أربع وثمانى مائة من الاعيان

١ - إبراهيم بن عبد الله الرِّفَا ، كان مقبياً بزاوية مصر قرب جامع عمرو وللناس فيه اعتقاد كبير ، وتُحكى عنه كرامات . مات فى جمادى الأولى .

٢ - إبراهيم بن محمد بن راشد الملكاوى ، برهان الدين الشافعى ، أحد الفضلاء بدمشق اشتغل وحصل ومهر فى القراءات ، وقد تقدّم فى الحوادث فى السنة الماضية ما جرى له مع القاضى^(١) المالكى .

وكان يُشغِل فى الفرائض بين المغرب والعشاء بالجامع ، ومات فى جمادى الآخرة^(٢) .

٣ - أحمد بن الحسن بن محمد بن محمد بن زكريا بن يحيى المقدسى المصرى شهاب الدين السويداوى^(٣) ؛ اعتنى به أبوه فأسمعه الكثير من يحيى بن المصرى^(٤) وجماعة من أصحاب ابن عبد الدائم والنجيب ونحوهم ، وأكثر له من الشيوخ والمسموع ، واشتغل فى الفقه وبحث فى « الروضة » .

وكان يتعانى الشهادات ثم أضرَّ بآخره وانقطع بزاوية الست زينب خارج باب النصر . قرأتُ عليه الكثير ونعم الشيخ كان . وقد حدّث قديماً قبل الثمانين وتفرد بروايات كثيرة .

(١) وهو إذ ذاك إبراهيم بن محمد بن محمد بن على التادل ، راجع ما سبق ص ١٤١ ، والضوء اللامع ١٤٦/١ .

(٢) « الأولى » فى ظ ، وكذلك فى الإعلام ١٩٩ ، على أن السخاوى ذكر فى الضوء اللامع ، ج ١ ص ١٤٦ ، جهادى الآخرة ولم ينص على أن شيخه ابن حجر كتبها فى إنبائه « الأولى » ما يدل على أن هناك نسخة أخرى من الإنباء كتبها ابن حجر بعد مسودة ظ هذه .

(٣) « السويدانى » فى الشذرات ٤١/٧ ، و « السوداوى » فى الإعلام لابن قاضى شبيهة ، وقال إن ذلك نسبة إلى « السويداء » وهى قرية من أعمال حوران ، وجاء ذلك أيضاً فى مراصد الاطلاع ٧٥٨/٢ ، وذكر Dussaud : Topographie Hist. de la Syrie, p. 369. أن الاسم مشتق من اسمها القديم Soada ولكنها عرفت منذ القرن الثالث الميلاد باسم « Dionysias » وهى أهم مدينة فى جبل الدروز .

(٤) راجع ترجمته فى الدرر الكامنة ٥٠٥٦/٥ .

وكان الشيخ جمال الدين الحلاوى يشاركه في أكثر مسموعاته . مات في تاسع عشر ربيع الآخر وقد قارب الثمانين أو أكملها .

٤ - أحمد^(١) بن عبد الخالق بن على بن الحسن بن عبد العزيز بن محمد بن الفرات ، شهاب الدين بن صدر الدين المالكي ، اشتغل بالفقه والعربية والأصول والطب والأدب ، وتمهّر في الفنون ، ونظم الشعر الحسن ، وكانت بيننا مودة وهو القائل :

إِذَا شِئْتَ أَنْ تَحْيِيَ حَيَاةً سَعِيدَةً

وَيَسْتَحْسِنَ الْأَقْوَامُ مِنْكَ الْمَقْبَحَا

تَزَى^(٢) بَزَى التَّرِكِ وَاحْفَظْ لِسَانَهُمْ

وَالْأَفْجَانِيْنَهُمْ وَكُنْ مُتَّصِلًا

٥ - أحمد^(٣) بن عبد الله التكرورى أحد من كان يعتقد بمصر . مات في ذى القعدة .

٦ - أحمد بن على بن محمد بن أبى الفتح نور الدين الدمشقى نزىل حلب المعروف بالمحدث ، سمع الكثير^(٤) من أصحاب الفخر ومن غيرهم بدمشق وحلب ، واشتغل في علم الحديث وأقرأ فيه مرة بحلب ودمشق^(٥) . وكان حسن المحاضرة .

ومن شيوخه في الأدب صلاح الدين الصفدى . ذكره^(٦) لى القاضى علاء الدين بن خطيب الناصرية .

(١) راجع الضوء اللامع ، ج ١ ص ٣٢٣ .

(٢) في ٥ « تزى » ولكن جاء في هامش بخط البقاعى : « لم تدع ضرورة إلى إثبات [المد] فكان يسه أن يقول : تزى » .

(٣) خلت ٥ ، زمن هذه الترجمة .

(٤) عبارة « الكثير من أصحاب الفخر ومن غيرهم » غير واردة في ظ .

(٥) « ودمشق » غير واردة في ظ .

(٦) من هنا لآخر الترجمة غير وارد في ظ .

٧ - أحمد بن محمد بن محمد بن النجا بن عثمان بن أسعد بن المنجا التنوخي الدمشقي الحنبلي ، قاضي الحنابلة بدمشق ، تقي الدين بن صلاح الدين بن شرف الدين ؛ تفقه قليلاً وناب عن أخيه [العلاء^(١) على] ودرّس ، وكان هو القائم بأمر أخيه .

وولى القضاء في أواخر العام الماضي فلم تطل مدّته ، وكان شهماً نبيها . مات معزولاً^(٢) ولم يكمل الخمسين .

٨ - أحمد^(٣) بن محمد بن محمد المصري نزيب القرافة ، الشيخ شهاب الدين بن الناصح ، سمع من الميديمي وذكر أنه سمع من ابن عبد الهادي وحديث عنه بمكة « بصحيح مسلم » ، وحديث عن الميديمي « بسنن أبي داود » و « جامع الترمذي » ومن نور الدين الهمداني^(٤) . أخذتُ عنه^(٥) قليلاً ، وكان للناس فيه اعتقاد ، ونعم الشيخ كان سمياً وعبادة ومروءة .

مات في أواخر رمضان وتقدّم في الصلاة عليه الخليفة .

٩ - أسماء بنت أحمد بن محمد بن عثمان الحلبي ثم الصالحى ، روت لنا عن الحجار سماعاً . ماتت في ثالث عشر المحرم عن نحو ثمانين سنة .

١٠ - أبو بكر بن عثمان بن خليل الحوراني^(٦) ، تقي الدين المقدسي الحنفي ، سمع من الميديمي وحديث عنه وناب في الحكم . مات في أواخر السنة ببيت المقدس .

(١) الإضافة من الضوء اللامع ٥٣٥/٢ .

(٢) وكان ذلك في ذى الحجة من هذه السنة ، راجع شذرات الذهب ٤٢/٧ ، وابن طولون : قضاة دمشق ص ٢٨٩ ، وكان دفنه بترتهم بالصالحية ، انظر إعلام ابن قاضي شعبة ، ورقة ٢٠٠ ا .

(٣) نقلت الشذرات ٤٢/٧ هذه الترجمة بالنص .

(٤) هو الشيخ على بن محمد بن على بن عبد القادر التميمي الهمداني ، أهم بجمع بعض الوفيات ، أنظر الدرر الكامنة

٢٨٨٢/٣ .

(٥) أى عن صاحب الترجمة .

(٦) في ز « الخوارزمي » ، انظر الضوء اللامع ١٢٧/١١ .

١١ - أبو بكر بن أبي المجد بن ماجد بن أبي المجد بن بدر بن سالم السعدى^(١) الدمشقي ثم المصرى الحنبلى عماد الدين ، وُلد سنة ثلاثين وسبعمائة ، وسمع من المزى والذهبي وغيرهما ، وأحب الحديث فحصل طرفاً صالحاً منه ، وسكن مصر قبل الستين فقُرِّرَ في طلب الشيخونية فلم يزل بها حتى مات .

وجمع « الأوامر والنواهي » من الكتب الستة وجوده ، وكان مواظباً على العمل بما فيه ، وله اختصار « تهذيب الكمال » ؛ وقد حدث عن الذهبي « بترجمة البخارى » بسماحه منه .

اجتمعت به وأعجبني سمته وانجماعه وملازمته للعبادة . مات في أواخر جمادى الأولى .

١٢ - جنتمر^(٢) بن عبد الله التركمانى الطرناوى ، كان قد ولى نيابة حمص ونيابة بعلبك ، وأسير في المحنة العظمى ثم خلاص من الأسر بعد مدة وحضر إلى مصر فتولى كشف الصعيد . وكان حسن المحاضرة بشوشاً كريماً مع ظلم كثير وعسف .

١٣ - خليل بن على بن أحمد بن أبي زياً^(٣) الشاهد المصرى ، سمع من ابن نمير^(٤) السراج وغيره . سمعتُ منه قليلاً وكان معمرًا فإنه ولد سنة خمس عشرة وسبعمائة فلو كان سماعه على قدر سنّته لآتى بالعوالى .

مات في سابع عشرى شعبان وله ثمان وثمانون سنة .

١٤ - سعد بن أبي الغيث بن قتادة بن إدريس بن حسن بن قتادة الحسنى أمير ينبع ، عُزل عن إمرتها فأقام بمصر حتى مات^(٥) في ذى القعدة عن ستين سنة .

(١) « السعدى » في كل من هـ ، وشذرات الذهب ٤٢/٧ والضوء اللامع ١١/١٨٢ ، ولكنها « السحرى » في ز .

(٢) هو تخفيف من « جان تمر » .

(٣) سماه الضوء اللامع ٣/٧٥٩ « بوزيا » .

(٤) هو محمد بن محمد بن محمد بن نمير المقرئ الكاتب ابن السراج المتوفى سنة ٧٤٧ هـ ، انظر الدرر الكامنة ٤/٤٤٣٨ .

(٥) الوارد في الضوء اللامع ٣/٩٣٧ أنه مات معزولا ، وفي ابن قاضي شعبة الإعلام ، ١٢٠٠ ، أنه مات مقتولا .

١٥ - شقراء بنت حسين بن الناصر محمد بن قلاون أخت الأشرف شعبان . ماتت^(١) في ثاني عشر المحرم .

١٦ - صالح بن خليل بن سالم بن عبد الناصر بن محمد بن سالم المغربي^(٢) الشافعي ، سمع وحدث عن الميدوي وناب في الحكم . مات في ذى القعدة في بيت المقدس .

١٧ - عبد اللطيف بن محمد بن عبد الكريم بن عبد النور بن منير^(٣) الحلبي ثم المصرى ، زين الدين بن توفى الدين بن الحافظ قطب الدين ، أحضر على ابن عبد الهادى وسمع من الميدوي .

سمعتُ منه وكان وقوراً خيراً . مات في وسط صفر^(٤) .

١٨ - عبد المؤمن العنتابى المعروف بمؤمن ، كان فاضلاً في علوم منها الفقه على مذهب الحنفية ، وكان حسن الوجه مليح الشكل ، درس بعينتاب ثم تحوّل إلى حلب فأقام بها إلى أن مات^(٥) في هذه السنة . نقلته من تاريخ العيني .

١٩ - عبد الوهاب بن محمد بن محمد بن عبد المنعم البرنبارى^(٦) تاج الدين ، كان أبوه كاتب السر بطرابلس وناب هو في توقيع الدرج [بالقاهرة] عند علاء الدين ابن فضل الله إلى أن مات في خامس عشر ذى الحجة سنة أربع عن نحو الثمانين سنة .

(١) وقد دفنت في مدرسة أمها أم السلطان شعبان بالتبانة ، انظر السلوك ، ورقة ٣٦ ب ، وعقد الجمان ، لوحة ١٧٨ ، والضوء اللامع ٤١٢/١٢ .

(٢) « الغزى » في ٥ .

(٣) في إعلام ابن قاضي شهية ٢٠٠ أ « قنير » ، ولكنه « منير » في الضوء اللامع ٩٢٩/٤ .

(٤) تابع المقرئى ابن حجر في إثاره شهر صفر على ربيع الآخر الذى ذكره الضوء اللامع نقلًا عن الكلوتاتى .

(٥) أشار الضوء اللامع ٣٣٣/٥ إلى أنه بمراجعتة تاريخ العيني وجد أنه مات بمكان يقال له « كسك كبرى » بين حلب وعينتاب .

(٦) جاء في الضوء اللامع ٤٠٢/٥ وفي حاشية الناشر له « نسبة لبارنبار بالقرب من رشيد ، وقد سماها القاموس الجغرافى ١٤٠/١ « بارنبار » وهكذا أيضاً رسمها السلوك ، ورقة ٣٦ أ .

٢٠ - عثمان^(١) بن عبد الرحمن بن عثمان المخزومي البلبيسى ثم المصرى الشافعى ، الشيخ فخر الدين المقرئ الضرير إمام الجامع الأزهر ، تصدى للاشتغال بالقراءة فأتقن السبع و صار أمة وحده ، وأخبرنى أنه لما كان ببلبيس كان الجن يقرءون عليه ، وقرأ عليه خلق كثير ، وكان صالحاً خيراً أقام بالجامع الأزهر يؤم فيه مدة طويلة ، وحدث عنه خلق كثير فى حياته وانتفع به من لا يحصى عددهم فى القراءة ، وانتهت إليه الرياسة فى هذا الفن وعاش ثمانين سنة .

يقال مات فى أول سنة خمس^(٢) ، وأرخه المقرئى والبغدادى فى ثانى ذى العقدة سنة أربع وثمانمائة ؛ أخبرنى محمد بن على بن درغام لإجازة ، قال حدثنى الشيخ فخر الدين عثمان المقرئ فى سنة سبع وأربعين أن بعض الجن أخبره أن الفناء يقع بمصر بعد سنة ويكون عاماً فى أكثر الناس ، قال : « وكنت عزمت على الحج فلم أرجع من مكة وأقمت بها مجاوراً إلى هذه الغاية » ، ووقع الطاعون العام فى سنة تسع وأربعين كما قيل .

٢١ - على بن بهادر بن عبد الله الدوادارى النائب بصفد ، علاء الدين ، كان جواداً ممدحاً عارفاً بالمباشرة ودافع عن صفد أيام تمرلك حتى سلمت من النهب ، ويقال إنه أحصى ما أنفقه فى تلك الأيام فبلغ عشرة آلاف دينار وأكثر من ذلك ، وكان ينفق على الواردين إليها من قبل الكائنة وعلى الهاربين إليه بعدها .

واستقر بعد ذلك حاجبا بصفد فعمل عليه نائب صفد الآتى ذكره : سودون الحمزاوى^(٣)

(١) وردت هذه الترجمة على الصورة التالية فى ظ (ورقة ١٧١ ب) « عثمان بن عبد الرحمن البلبيسى ، الشيخ فخر الدين المقرئ الضرير إمام الجامع الأزهر » ثم ألحقها بالعبارة التالية : « يحول من سنة خمس » ، هذا وقد أثبت السخاوى فى الضوء اللامع ٤٦٣/٥ وفاته فى ثانى ذى القعدة سنة ٨٠٤ ، انظر فيما بعد ص ٢٤٥ ، وحاشية رقم ٢ .

(٢) راجع الحاشية السابقة .

(٣) أنظر الضوء اللامع ١٠٥٧/٣ ، Wiet : Les Biographies du Manhal Safi, No. 1123 .

وضربه ضربا مبرحا واستأصل أمواله ، ومات من العقوبة في أواخر السنة ، وقد قُتل سودون قصاصا بعد ذلك كما يأتي .

٢٢ - علي بن عبد الله التركي نزيل القرافة بالمقطم ، كان للناس فيه اعتقاد كبير ، وتحكى عنه كرامات ، وكانت شفاعته لا ترد ، مات في ربيع^(١) الأول . وكان أبوه من المماليك السلطانية فنشأ هو في بيت الملك الناصر الكبير^(٢) ، فلما كبر خرجت في وجهه قوباء فتألم منها وعالجها فلم ينجح فيها دواء ، فوجد شيخا يقال له عمر المغربي فطلب منه منه الدعاء فاستدعاه ، ولحس القوباء بلسانه فشفاه الله سريعا ، فاعتقد ورمى الجندية وتبع الشيخ المذكور وسلك على يده وانقطع إلى الله ولم يترك زى الجندية ولا أخذ في يده مسبحة ولا لبس مرقعة ، بل كان مقتصدا في ملبسه ومأكله ، وكل ما يفتح عليه به يتصدق به ويؤثر غيره به . ومات وله أربع وثمانون سنة .

وكان يقول: « ما رأيت أروع من الشيخ عمر ولا أهيب من الناصر » وكان يقول : « أعرف الناس من أيام الناصر ، ما رأيت لهم عناية بأمر الدين ، لكن كان فيهم حياد وحشمة تصدّم^(٣) عن أمور كثيرة صارت تبدو من رئيس الرؤساء الآن » قلت : « فكيف لو أدرك زماننا » .

يقال بلغ التسعين ، وذكر لي أنه كان يذكر ما يدل على أن عمره أربع وثمانون سنة ، وقد زرته وأنا صغير وسمعت كلامه ودعا لي ، ولكني لا أتذكر أنى زرته وأنا كبير ، والله أعلم .

(١) « آخر » في ظ ، وإعلام ابن قاضي شعبة ، ٢٠٠ ب .

(٢) غير واردة في ظ ، لكن أنظر الفوه اللاع ٨٥٧/٥ .

(٣) من هنا لآخر الترجمة غير وارد في ظ .

٢٣ - علي بن عبيد بن داود [بن يوسف بن مجلي^(١)] المرادوى ثم الصالحى الحنبلى ،
سمع من أحمد بن عبد الرحمن المرادوى^(٢) وحدثنا عنه ؛ وكان يكتب خطا حسنا ويعتمد
الحكام عليه فى الشهادة بالصالحية ؛ وهو أخو الفقيه شمس^(٣) الدين بن عبيد . مات فى
جمادى الآخرة .

٢٤ - علي بن غازى بن علي بن أبي بكر بن عبد الملك الصالحى ، عُرف بالكُورى^(٤) ،
سمع من زينب بنت الكمال وحدثنا عنها بالصالحية . مات فى شوال .

٢٥ - عمر بن الشرف القزولى الحنبلى . مات فى سادس عشر ذى القعدة منها^(٥) بحلب .

٢٦ - عمر^(٦) بن علي بن أحمد بن محمد بن عبد الله الأنصارى الأندلسى ثم المصرى ،
سراج الدين بن أبي الحسن المعروف بابن الملقن ، ولد سنة ثلاث وعشرين فى رابع عشرى^(٧)
ربيع الأول منها ، وكان الملقن - واسمه^(٨) عيسى [المغربى] - زوج أمه فنُسب إليه ، ومات
أبوه أبو الحسن - وهو صغير .

وكان عالماً بالنحو . وأصله^(٩) من الأندلس رحل أبوه منها إلى التكرور^(١٠) وأقرأ أهلها
القرآن فحصل له مال ، ثم قدم القاهرة فولد له هذا فمات وله^(١١) سنة وأوصى به إلى الشيخ

(١) الإضافة من الضوء اللامع ٨٦٥/٥ .

(٢) انظر الدرر الكامنة ٤٢٩/١ ، وإنباء الفرج ١ ص ٣٠٤ ، ترجمة رقم ٣ وإن ذكر هناك خطأ باسم المرادوى .

(٣) راجع ترجمته فى الضوء اللامع ٣٢٨/٨ .

(٤) الضبط من الضوء اللامع ٩٢١/٥ .

(٥) أى من هذه السنة ، ويلاحظ أن هذه الترجمة هى التى أوردها الضوء اللامع ٢٨٩/٦ .

(٦) أمامها فى هامش ه : « ابن الملقن شارح البخارى » .

(٧) رجع السخاوى فى الضوء ٣٣٠/٦ أن مولد ابن الملقن فى ٢٢ ربيع الأول اعتماداً على ما وجدته بخط المترجم نفسه .

(٨) بعد كلمة « الملقن » إشارة لإضافة ولكن خلت نسخة ظ من الإضافة ، وما أثبت بالمتن بعد مراجعة نسخ

المخطوطة الأخرى .

(٩) عبارة « وأصله من الأندلس درهما » ص ٢١٧ س ٧ غير وأردة فى ظ .

(١٠) التكرور قبيل من السودان .

(١١) أى لصاحب الترجمة .

عيسى المغربي وكان يلقن القرآن في الجامع الطولوني فتزوج أمه فعرف به ، وحفظ القرآن والعمدة وشغله في مذهب مالك ، ثم أشار عليه بعض أصحاب أبيه أن يقرئه « المنهاج » فحفظه وأنشأ له وصية ربحا فكان يكتني بأجرته ويوفر له بقية ماله ، فكان يقتني الكتب .

بلغني أنه حضر في الطاعون العام ببيع كتب لشخص من المحدثين وكانت وصيته ألا يبيع إلا بالنقد الحاضر ، قال : « فتوجهت إلى منزلي فأتحت كيسا من الدراهم ودخلت الحلقة فصبيته ، فصرت لا أزيد في الكتاب شيئا إلا قال نعم (١) فكان لما اشتريت « مسند الإمام أحمد بثلاثين درهما » .

وكان ربما عرف بابن النحوى وربما كتب خطه كذلك ، فلذلك اشتهر بها ببلاد اليمن . عني في صغره بالتحصيل فسمع من ابن سيد (٢) الناس والقطب الحلبي ، وأكثر من أصحاب النجيب وابن عبد الدايم ، وتخرج بزين الدين الرحبي (٣) ومغلطاي ، وكتب عنهما الكثير وتفقه بشيوخ عصره ومهر في الفنون ، واعتنى بالتصنيف قديما فشرح كثيرا من الكتب المشهورة « كالمنهاج » و « التنبيه » و « الحاوي » على كل واحد منها عدة تصانيف ، وخرج « أحاديث الرافعي » وشرح « البخاري » ثم شرح « زوائد مسلم » عليه ، ثم « زوائد أبي داود » عليهما ، ثم « زوائد الترمذي » على الثلاثة (٤) ثم « النسائي » كذلك ، ثم ابن ماجه كذلك .

(١) عبارة الضوء اللامع ٦/٣٣٠ « بع له » .

(٢) هناك ثلاثة إخوة عرف كل منهم باسم « ابن سيد الناس » وهم : سعد الدين محمد بن محمد بن محمد المتوفى سنة ٧٢٨ هـ وأبو سعيد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد ولا نعرف سنة وفاته ، وأبو القاسم محمد بن محمد بن محمد المتوفى سنة ٧٤١ هـ ، وربما كان هو المقصود فقد سمع منه العراق ، انظر عنهم الدرر الكامنة ٤/٤٤٣٧ ، ٤٤٣٨ ، ٤٤٣٩ ، على أن هناك من اسمه أبو الفتح محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن سيد الناس المتوفى سنة ٧٣٤ صاحب السيرة المعروفة بعيون الأثر .

(٣) لم أجد له ترجمة ولكن وردت الإشارة إليه في ابن كثير : البداية والنهاية ، سنة ٧٣٥ في الكلام عن علاء الدين

السنجاري ، إذ قال إنه كتب إليه بموته .

(٤) « عليهم » في ظ .

واشتهر بكثرة التصانيف حتى كان يقول إنها بلغت ثلاثمائة تصنيف ، واشتهر اسمه وطار صيته ، وكانت كتابته أكثر من استحضاره فلهذا أكثر القول فيه من علماء الشام ومصر حتى قرأت بخط ابن حجي : « كان ينسب إلى سرقة التصانيف فإنه ما كان يستحضر شيئاً ، ولا يحقق علماً ، ويؤلف المؤلفات الكثيرة على معنى النسخ من كتب الناس » .

ولما قدم دمشق نوّه بقدره التاج السبكي سنة سبعين ، وكتب له تقريراً على كتابه « تخريج أحاديث الرافعي » ، وألزم عماد الدين فكتب له أيضاً . وقد كان المتقدمون يعظمونه كالعلائق وأبي البقاء ونحوهما ، فلعله كان في أول أمره حاذقاً .

وأما الذين قرءوا عليه ورأوه من سنة سبعين فما بعدها فقالوا: لم يكن بالماهر بالفتوى ولا التدريس وإنما كان يقرأ عليهم مصنفاً غالباً فيقرر على ما فيها .

وجرت له محنة بسبب القضاء تقدمت في الحوادث ، وكان ينوب في الحكم فترك ، وكان موسعاً عليه في الدنيا ؛ وكان^(١) مديد القامة حسن الصورة يحب المزاح والمداعبة مع ملازمة الإشغال والكتابة ، وكان حسن المحاضرة جميل الأخلاق كثير الإنصاف شديد القيام مع أصحابه . واشتهر بكثرة التصانيف حتى كان يقال إنها بلغت ثلاثمائة^(٢) مجلد ما بين صغير وكبير .

وعنده من الكتب ما لا يدخل تحت الحصر ، منها^(٣) ما هو ملكه ومنها ما هو أوقاف المدارس لا سيما الفاضلية ، ثم إنها احترقت مع أكثر مسوداته^(٤) في أواخر عمره وفُقد أكثرها

(١) عبارة « وكان مديد القامة ما بين صغير وكبير » من ١٤ غير واردة في ظ .

(٢) راجع أول سطر في هذه الصفحة .

(٣) عبارة « منها ما هو ملكه ومنها ما هو أوقاف المدارس لا سيما الفاضلية » غير واردة في ظ .

(٤) عبارة « مع أكثر مسوداته » غير واردة في ظ .

وتغيّر حاله بعدها ، فحجبه ولده نور الدين إلى أن مات في سادس^(١) عشرى ربيع الأول وقد جاوز الثمانين بسنة^(٢) .

٢٧ - فضل الله بن أبي^(٣) محمد التبريزى أحد المتكشفين من المبتدعة وكان من الاتحادية ثم ابتدع^(٤) النحلة التى عرفت بالحروفية ، فزعم أن الحروف هى عين^(٥) الآدميين ، إلى خرافات كثيرة لا أصل لها .

ودعا اللنك إلى بدّعه فأراد قتله ، فبلغ ذلك ولده أمير زاه لأنه فرّ مستجيراً به فضرب عنقه بيده ، فبلغ اللنك فاستدعى برأسه وجثته فأحرقهما في هذه السنة .

ونشأ من أتباعه واحد يلقب « نسيم الدين » فقتل بعد ذلك وسُلخ جلده في الدولة المؤيدية^(٦) سنة إحدى وعشرين بحلب .

٢٨ - محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الأدفوى ثم الصالحى ، سمع من فاطمة بنت العزّ وحدثنا عنها . مات بدمشق .

٢٩ - محمد بن رسلان بن نصير بن صالح البلقينى ناصر الدين ، أخو شيخ الإسلام سراج الدين [عمر] ، ولد سنة خمس عشرة وسبعمائة ولم يرزق من العلم ما رزق أخوه ولا ما يقاربه ، وكان مقياً ببلده يتعانى الزراعة ويقدم على أخيه أحياناً ، ولو اتفق له سماع في الحديث لكان على الإسناد .

(١) عبارة « سادس عشرى » غير واردة في ظ .

(٢) جاء بعد هذا : « وكان يجب المداعبة وحسن المحاضرة مع جميل الأخلاق وكثرة الإنصاف وجمال الصورة والقيام مع أصحابه » وهى تقريباً تكرر لما سبق ص ٢١٨ س ١١ وما بعده .

(٣) « أبى محمد » غير وارد في ظ .

(٤) فى هامش ه : « بدعة فضل الله » .

(٥) « غير » فى الضوء اللامع ٦/٨٣٥ .

(٦) عبارة « فى الدولة المؤيدية » غير واردة فى ظ .

رأيته قبل موته بقليل وهو شيخ جلد صحيح البنية، يظهر للناظر أن الشيخ أسن منه لأن الشيخ قد سقطت أسنانه كلها بخلاف هذا ، وكانت لها أخت عاشت إلى سنة ثلاث و تجاوزت التسعين .

٣٠ - محمد بن عثمان الإشليمي^(١) ثم المصري أصيل الدين ، ولد بعد سنة أربعين [بإشليم] ولما ترعرع تعانى القراءات ثم اشتغل قليلا فى الفقه ، وتكسب بالشهادة ، ولازم صدرالدين بن رزين ، ثم ناب فى الحكم بالقاهرة ، ثم سعى فى قضاء القضاء على القاضى تقي الدين الزبيرى بتحسين القاضى صدرالدين المناوى له وتحريضه عليه وإظهاره الرضا به ، فلما شرع فى ذلك وجد المناوى السبيل إلى السؤال فى العود فأعيد وقرّر الأصيل^(٢) فى قضاء دمشق فوليه فى شعبان سنة إحدى وثمانمائة فى أواخر دولة الظاهر [برقوق] بمالٍ وافر اقترضه فباشر قليلاً فلم تُحمد سيرته ، فلم يلبث الظاهر أن مات فسعى الإخنائى حتى عاد ورجع الأصيل إلى مصر واستمر معزولاً ، ونالته بالقاهرة محنة بسبب الديون التى تحملها ، وسُجن بالصالحية مرة ثم أطلق ، وكان له استحضار يسير من السيرة النبوية ، ومن « شرح مسلم » فكان يلقى درسه غالباً من ذلك ولا يستحضر من الفقه إلا قليلاً .

مات عن ستين سنة أو أكثر فى أواخر ذى الحجة من السنة .

٣١ - محمد بن على بن عقيل بن محمد بن الحسن بن على ، أبو الحسن البالى ثم المصرى نجم الدين بن نور الدين بن العلامة نجم الدين ، تفقّه كثيراً ثم تعانى الخدم عند الأمراء ثم ترك ولزم بيته ودرّس بالطبرسية إلى أن مات .

(١) نسبة إلى إشليم ، وقد عرفها مراراً الاطلاع ٨٣/١ فقال إنها كورة أو قرية بحوف مصر الغربى ، وجاء فى القاموس الجغرافى ج ٢ ، ص ١٩٩ أنها من القرى القديمة من مركز قويسنا ، وأشار إلى أن جوتيه ذكرها فى قاموسه باسم Hat chilaoum ، كما أن غيره أرجعها إلى الإسم القطبى القديم Chlimi ، أما عن المترجم فانظر الضوء اللامع ٣٤٠/٨ ، وقضاة دمشق ص ١٢٧-١٢٨ ، وإن ورد اسمه به « الاسليمى » ، وراجع أيضاً ابن قاضى شعبة :

الإعلام ، ورقة ٢٠١ ب .

(٢) يعنى المترجم .

وقد أضرَّ قبل موته بيسير، ونعم الشيخ كان : خيرا واعتقادا جيدا ومروءةً وفكاهة ؛
لزمته مدة وحدثني عن ابن عبد الهادي ونور الدين الهمداني^(١) وغيرهما .

مات في عاشر المحرم وله أربع وسبعون سنة .

٣٢ - محمد بن محمد بن [عمر بن] عَنَقَه (بنون وقاف وفتحيتين) أبو جعفر
البسكري^(٢) (بفتح الموحدة بعدها مهملة) ثم المدني ، كان يسكن المدينة ويجوب البلاد ،
وقد سمع من جمال الدين بن نباتة قديماً ، ثم ظلب بنفسه فسمع الكثير من بقية أصحاب
الفخر بدمشق ، وحمل عن ابن رافع وابن كثير ، وحصل الأجزاء وتعب كثيرا ولم ينجب .

سمعتُ منه يسيراً ، وكان متودداً ، رجع من الإسكندرية إلى مصر فمات بالساحل^(٣)
غريباً ، رحمه الله .

٣٣ - محمد بن نشوان بن محمد بن نشوان بن محمد بن أحمد الحجواوي^(٤) ، والد
الشيخ شهاب الدين ، كان خيراً كثير التلاوة . مات في رجب وعاش ستاً وسبعين سنة .

٣٤ - محمد بن^(٥) البنا ناظر ديوان الأمير جكم ، وولى بعنايته نظر الأحبار
ومات في خامس ربيع الآخر .

٣٥ - لاجين بن عبد الله الجركسي^(٦) ، كان معظماً عند الجراكسة وكانوا يتحاكون
بينهم أنه يلي المملكة وهو لا يتكلم ذلك ويتظاهر به ، وكان السلطان والأكابر يبلغهم ذلك

(١) راجع ما سبق ص ٢١١ حاشية رقم ٤ .

(٢) نسبة إلى بسكرة (بفتح الباء والكاف) وهي بلدة في المغرب ، انظر ما سبق ، ص ٢٠٧ ، حاشية رقم ١ .

(٣) أي ساحل يولاق كما جاء في ابن قاضي شهبة ٢٠١ ب .

(٤) « الحجواوي » في الضوء اللامع ١٠ / ٢٢٨ .

(٥) فراغ في جميع النسخ بقدر كلمتين .

(٦) ويعرف أيضا بالشيخ لاجين ، راجع عنه Wiet : op. cit. No. 1937. والضوء اللامع ٦ / ٨٠٢ ،

هذا وقد جاء في هاشم ه : « لاجين كان مشهوراً بسوء العقيدة » .

فلا يكثرثون به ويعدون كلامه من سقط المتاع . وكان قد عين جماعة بعدة وظائف ، وكان يعدُّ أنه إذا تملك أن يبطل الأوقاف كلها وأن يخرج الإقطاعات كلها ، وأن يعيد الأمر على ما كان عليه في عهد الخلفاء ، وأن يحرق كتب الفقهاء كلها ، وأول من يعاقب شيخ الإسلام البلقيني ، فحال الله بينه وبين ذلك ، ومات قبل البلقيني بسنة .

وكان له إقطاع يغل^(١) كل سنة عشرة آلاف ، كانت في ذلك الوقت قدر ثلاثمائة دينار ، ورزقة أخرى تغل هذا القدر أو أكثر ، وكان منقطعاً في بيته وأكابر الأمراء يترددون إليه ، وغيرهم يفعل ذلك تبعاً لهم .

وشاخ أن الظاهر أراد أن يقرره في نيابة السلطنة ولم يتم ذلك ، وقيل بل كان الامتناع منه ، وكان مشهوراً بسوء العقيدة ، يفهم طريقة ابن العربي ويناضل عنها وله أتباع في ذلك^(٢) . مات وقد قارب الثمانين .

٣٦ - يوسف^(٣) بن الحسن بن محمود السرائي الأصل التبريزي ، الشهير بالحلواني (بفتح أوله وسكون اللام مهموزاً) الفقيه الشافعي ، ولد سنة ثلاثين وسبعمائة ، وتفقه ببلاده وقرأ على الشيخ جلال الدين القزويني والشيخ بهاء الدين الخونجي والقاضي عضد

(١) من هنا لنهاية الترجمة غير وارد في ظ .

(٢) جاء بعد هذا في ز : « واشتهر عنه أنه سئل الأمر استقلالاً فيغير معالم الشريعة ويحرق كتب المسلمين ، وكان يهدد الأعيان كالبلقيني بالقتل والمقوية إلى أن قدر الله موته في ربيع الأول من هذه السنة قبل البلقيني بسنة ونصف وكفى الله شره » ، وجاء في هامش ز « مر هنا . تقدم في هذه الترجمة معناه فهو مكرر » .

(٣) سبق لابن حجر أن ترجم ليوسف ابن الحسن السرائي هذا فيمن مات سنة ٨٠٢ - راجع ما سبق ص ١٣٠ ترجمة رقم ٧١ ، وذكره ابن قاضي شعبة : الإعلام ، ٢٠٢ فيمن مات سنة ٨٠٤ ، وترجمت له شذرات الذهب مرتين : واحدة سنة ٨٠٢ (٢٠/٧) وثانية سنة ٨٠٤ (الشذرات ٤٦/٧) وتردد السخاوي في الضوء اللامع ١١٨٣/١٠ في ذكر التاريخين وقال « مات في سنة اثنتين وقيل سنة أربع ، وكذا ذكره شيخنا في الموضوعين في إنبائه » ، ويلاحظ أن ابن حجر نفسه لم يفته ذلك فذكر في آخر الترجمة ص ٢٢٣ س ١٠ - ١١ ، أنه تقدم في سنة ٨٠٢ ، على أن نسخة ظ خلت من ترجمته في وفيات ٨٠٢ ، هذا وقد جاء في هامش هـ بخط الناسخ « تقدم في سنة اثنتين وثمانمائة » .

الدين ، واجتمع في بغداد بالشيخ شمس الدين الكرمانى وأخذ عنه الحديث وشرّحه البخارى ، ومهر في أنواع العلوم ، وأقبل على التدريس ، وشغل الطلبة ، وعمل على البيضاوى شرحاً ، فلما دخل الدعاذة - وهم أتباع طقتمش خان - تبريز قدم عليه في تبريز فبالغ في إكرامه فأقام ، وكتب على الكشاف « حواشى » وشرح « الأربعين للنوى » .

وكان زاهداً عابداً معرضاً عن أمور الدنيا مقبلاً على العلم ، وكان قد حج ثم زار المدينة فجاور بها سنة ، وكان لا يرى مهموماً قط ؛ وكانت وفاته سنة أربع وثمانمائة بجزيرة ماردين^(١) ، فإنه رجع إليها لما كثر الظلم في تبريز فقتلها إلى أن مات .

وخلف ولدين : بدر^(٢) الدين محمد ، وجمال^(٣) الدين محمد ، وحجّ بدر الدين سنة تسع وعشرين وأقام بحصن كيفا^(٤) فشغل الناس بالعلم ، وحجّ جمال الدين سنة ثلاث وثلاثين ، وقدم القاهرة سنة أربع وثلاثين وأقام بها مدة وتوجه ؛ وقد تقدّم ذكره في سنة اثنتين وثمانمائة .

٣٧ - يوسف بن حسين الكردى الشافعى نزيرل دمشق ، كان عالماً صالحاً معتقداً ، تفقه وحصل . قال^(٥) الشيخ شهاب الدين المكاوى : « قدمت من حلب سنة أربع وستين وهو كبير يشار إليه » .

(١) في هامش « بخط البقاعى : « لعله ابن عمر » .

(٢) راجع ترجمته في الضوء اللامع ٢٩٤/١٠ .

(٣) راجع ترجمته في الضوء اللامع ٢٩٥/١٠ .

(٤) عرف مراصد الاطلاع ٤٠٧/١ حصن كيفا بأنه بلدة وقلعة عظيمة مشرفة على دجلة بين آمد وجزيرة ابن عمر وديار بكر ، وأشار لسترانج في بلدان الخلافة الشرقية ، ص ١٤٤ - ١٤٥ إلى أنه واقع على ضفة الفرات الجنوبية ويسميه الروم كيفس Kiphas أو كينى Cephe ، ثم أشار إلى ما ذكره المقدسى بأنه « كثير الخير وبه قلعة حصينة وكنائس كثيرة » وأشار ، ياقوت وقد شاهد حصن كيفا بنفسه بأن به قنطرة « ولم ير في البلاد التى رآها أعظم منها » .

(٥) من هنا حتى آخر الترجمة غير وارد في ظ .

وكان يميل إلى الأثر والسنة ، وينكر على الأكراد في عقائدهم وبدعتهم ، وكانت له اختبارات منها : المسح على الجوربين مطلقا ، وكان يفعله ، وله فيه مؤلف لطيف جمع فيه أحاديث وآثاراً ، ومنها تزويج الصغيرة التي لا أب لها ولا جد .

وقال ابن حجي : « كان يميل إلى ابن تيمية ، ويعتقد صواب ما يقوله في الفروع والأصول ، وكان من يحب ابن تيمية يجتمع إليه » .

وكان قد ولي مشيخة الخانقاه الصلاحية ، وأعاد بالظاهرية ، وكان الشهاب^(١) الملكاوى يقول : « قدمت من حلب سنة أربع وستين وهو كبير يشار إليه » .

وكان وقع بينه وبين ولده الشيخ زين الدين عبد الرحمن الواعظ بسبب العقيدة وتهاجرا مدة إلى أن وقعت فتنة اللنكية فتصالحا ، ثم جلس مع الشهود ، وأحسن إليه ولده في فاقتة . مات في شوال .

* * *

(١) هذه العبارة سبق ذكرها انظر ص ٢٢٣ من ١٣ - ١٤ .

سنة خمس وثمانمئة

في أولها استولى تمرلنك على أبي يزيد بن عثمان وأسرهم وأسر ولده موسى ثم قُتل أبو يزيد ، وكان من أكبر ملوك الإسلام وأتمهم^(١) يقيناً وأكثرهم غزواً في الكفار ، وكان ينكر على ملوك عصره تفاعدهم عن الجهاد وأخذهم المكوس .

فلما رجع تمرلنك في سنة ثلاثٍ من البلاد الشامية إلى جهة الشرق ثم عرج على بغداد عاد إلى جهة بلاده في سنة أربع إلى جهة الروم ، فوصل إليها آخر السنة الماضية ، وأرسل إلى صاحب ماردين بالحضور إليه ، فلم يكن له بدٌ من موافقته فتوجه إليه .

وراسل أبا يزيد في الصلح على عادته في المكر والدهاء ، وكان أبو يزيد قد جمع العساكر لما بلغه قصده إلى بلاده واستكثر منها ، فلم يجبه إلى الصلح ورحل بعسكره إلى جهة تمرلنك ليطرده عن بلاده ، فسار خمسة عشر يوماً ، فراسله تمر أيضاً يقول له : « إنك رجل مجاهد في سبيل الله ، وأنا لأحب قتلك ، ولكن أنظر إلى البلاد التي كانت معك من أبيك وجدك فاقنع بها وسلم لي البلاد التي كانت مع أرتا صاحب الروم في زمن الملك أبي سعيد » ، فمال ابن عثمان إلى ذلك ، فبلغه أن التمرية أغاروا على كماخ^(٢) ونهبوها ، فتحقق أبو يزيد أن تمر لا يحب الصلح ولا يذكره إلاً تخديلاً .

فلما تقارب العسكران أظهر تمر الهزيمة خديعة ، فلم يفظن ابن عثمان لذلك وساق خلفه إلى مكان يسمى الآن « المكسورة » . فلما قربوا منهم أخرج تمرلنك طائفة كانوا مستريحين وأراح المنهزمين ، فتلاقوا مع عسكر ابن عثمان وهم كالموتى من التعب ، فلاقاهم أولئك على الفور فقتل منهم مقتلة عظيمة ، ثم دهم عليهم كمين لتمرلنك فهزمهم .

(١) في ٥ : « أيمنهم نقيية »

(٢) هي المعروفة بقلعة كخ والتي يسميها الروم كخا Kamcha وتقع على الفرات الغربي على مسيرة يوم أسفل من أرزنجان كما ذكر ذلك لستراخ : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ١٥٠ - ١٥١ ، اعتماداً على المصادر العربية وابن سراييون ، وقد ضبطها مراراً الاطلاع ١١٧٨/٣ بالفتح ثم السكون ، واتفق معه في هذا لستراخ ثم عاد فجعلها بفتحتين .

وتوجه سلمان بن أبي يزيد بن عثمان إلى برصا منهزما ثم عدى إلى القسطنطينية
ومعه أكثر العسكر ، وأحاط التمرية ببقية العسكر وفيهم أبوه^(١) فأسروه وأتوا به إلى تمر ،
وتفرقت العساكر شذر مذر ، وخاض التمرية في بلاد الروم فأفسدوا ونهبوا وأحرقوا
عدة قرى ، وأقاموا بالروم أربعة أشهر في الإفساد .

ومات أبو يزيد بن مراد بن أردخان بن عثمان^(٢) في أسر تمر ، وكان مطلقا فأدرکه
أجله إما من القهر أو من غيره ، وفرق تمرنك مملكه على من كانت بيدهم^(٣) قبل انتزاع
ابن عثمان لها منهم .

ورجع تمرنك إلى بلاده في شعبان من السنة بعد أن صنعوا في الروم نحو ما صنعوا
في الشام ، فمات السلطان محمود خان ، وكان تمر يدير مملكته والاسم والفعل لهم ، وهو
من ذرية جنكيز خان ، وكان حضر واقعة الشام مع تمر .

وكان أبو يزيد بن عثمان من خيار ملوك الأرض ، ولم يكن يلقب بلقب ولا أحد من
آبائه وذريته ، ولادعى بسُلطان ولاملك ، وإنما يقال « الأمير » تارة ، و « خوندخان »
تارة ، وكان مهابا يحب العلم والعلماء ويكرم أهل القرآن .

وقرأت بخط الشيخ تقي الدين المقرئ أن سمع الأمير حسن الكجكني يقول : « دخلت
معه - لما توجهت إليه رسولا - الحمام ، فكان الحوض الذي يغتسل فيه جميعه فضة ،
وكذا^(٤) كانت أوانيها التي يأكل فيها ويشرب ويستعملها » .

(١) أي بايزيد بن عثمان .

(٢) في هامش بخط البقاعي : « لم يذكر هنا في النسب أردن على ما كان ذكره في غير موضع من هذا الكتاب ،
وهذا هو الصحيح بلا شك » .

(٣) في الأصل « بيده » .

(٤) عبارة « وكذا كانت أوانيها التي يأكل فيها ويشرب ويستعملها » غير واردة في ظ

قال : « وأخبرني شمس الدين بن الصغير الطبيب ، وكان الملك الظاهر وجهه إليه بسؤاله ^(١) في طبيب حاذق ، فلما وصل إليه أكرمه وأعطاه » ، قال ^(٢) : « فكان بعد أن رجع يحكي أن ابن عثمان كان يجلس بكرة النهار في براح متسع ، وتتمف الناس بالبعد منه بحيث يراهم ، فمن كانت له ظلامه رفعها إليه فأزالها في الحال » .

وكان الأمن في بلاده فاشيا بحيث يمر الرجل بالحمل مطروحاً بالبضاعة فلا يتعرض له أحد ؛ وكان يشترط على كل من يخدمه أن لا يكذب ولا يخون ، ولكنه كان يصنع من الشهوات ما أراد .

قال : « وكان الزنا واللواط وشرب الخمر والحشيش فاشيا في بلادهم يتظاهرون بها ، ويكرمون كل من ينسب إلى العلم غاية الإكرام » .

وكان أبو يزيد لا يمكن أحداً من التعرض لمال أحد من الرعية حيا ولا ميتا ، وإن مات ولا وارث له يودع ماله عند القاضي ، وكل من غزا معه لا يتعرض لشيء مما يحصل في يده .

وترك - لما مات - من الأولاد : سلمان ومحمداً وموسى وعيسى ، فاستقل بالملك سلمان وسار على طريقة أبيه ، ثم ثار عليه أخوه عيسى فقتل ، ثم ثار أخوه موسى فغلب وقتل عيسى ^(٣) ، ثم ثار محمد فقتل موسى واستقل محمد في الملك إلى أن مات وقام ^(٤) بعده ولده مراد بن محمد بن أبي يزيد بن عثمان .

(١) عبارة « في طبيب حاذق فلما وصل إليه » غير واردة في ظ .

(٢) أي الأمير حسن الكجكي .

(٣) في ظ ، « سليمان » .

(٤) من هنا حتى عبارة « في ذي الحجة من هذه السنة » ص ٢٢٨ س ١٤ غير وارد في ظ .

وكان السبب في قصد اللنك بلاد ابن عثمان أن أحمد بن يوسف^(١) وقرا يوسف كانا قد فرّا إليه فأجارهما ، فراسله اللنك بعد أن غلب على بغداد فيهما ، فامتنع ، فجعل ذلك ذريعة إلى قتاله فتوجّه إليه .

وكان ابن عثمان قوى النفس فجمع العساكر ولم يقنع الانتظار فكان ما كان .

وأول ما ملك اللنك قلعة كمانحى وكانت في غاية الحصانة ، ثم راسل التتار التتار بالروم ومّت إليهم بالجنسية ومناهم ووعدهم فوعدهم بالمعاونة .

فمن رأى الفاسد أن ابن عثمان أراد أن يدهم عسكر اللنك على غرة ، فسلك بعسكره الجرار في مهامه وقفار ليصير من وراء العسكر ويظفر بهم فسار مُجدلاً فتعبوا ولغبوا وجاعوا وعطشوا ، واستمر اللنك سائراً لا يردّه أحد عن قرية ولا بلد ، بل سار بعسكره متمهلاً وقد بلغه ما صنع ابن عثمان من جواسيسه ، فتباطأ في مسيره وأراح جيوشه ، فاتفق أنهم التقوا فتناجزوا القتال ، فانهزم الذين قد خدعهم ، وانهزم الباقون هزيمتهم .

وكان ملتقاهم بمدينة « أنقرية^(٢) » ، فسار سلمان بن أبي يزيد بن عثمان إلى جهة الساحل وركبوا البحر إلى قسطنطينية وقُبض على أبيه ابن عثمان فأحضر بين يدي اللنك فلامه وعنفه واستمرّ معه في الأسر ، وكانت الواقعة في ذى الحجة من هذه السنة .

* * *

وفيها أرسل تمرلنك من عنده إلى صاحب ماردين بكتاب يرسله صحبة من يثق به من عنده إلى القاهرة ، ثم أرسل رسلاً في البحر من بلاد الروم ، منهم مسعود^(٣) الكججاني يستنجد إرسال أطلمش ويهددهم - إن لم يرسلوه - بقصدتهم ، فوصل إلى دمشق رسول صاحب ماردين وهو بدر^(٤) الدين محمد بن تاج الدين حسين بن بدر الدين

(١) في هامش ه بخط الناسخ « لعله ابن أويس » .

(٢) هكذا في الأصل ويريد بها أنقرة .

(٣) انظر ترجمته فيما بعد في وفيات سنة ٨٢٢ هـ ، والضوء اللامع ١٠/٦٢٣ .

(٤) في هامش ه : « من ذرية الشيخ عبد القادر » .

حسن بن شمس الدين محمد بن حسام الدين عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز بن الشيخ عبد القادر الجيلبي ، وهو ممن له حرمة في تلك البلاد ومكارم وإحسان وكلمة مسموعة ، وذكر أنه لم يحمله على المعجى في هذه الرسالة إلا قصة النصيحة للمسلمين ، وقد تقدم ذكر أبيه في سنة خمس وسبعين .

ولما وصلوا^(١) إلى مصر بادر المصريون بتجهيزه إليه وصحبته هدية جليلة في جمادى الآخرة ، وكان مسعود المذكور قد صحب تمرلنك لما طرق المملكة الشامية ، فجاء في الرسالة منه بهؤلاء^(٢) ، ثم تكرر بعد ذلك مجئ مسعود إلى هذه البلاد ، وباشر نظر الأوقاف بالقاهرة في الدولة المؤيدية ومات بها .

وفي كتاب^(٣) تمرلنك الآتي على يد مسعود : « أنه مهما يقول مسعود ويقع الاتفاق معه عليه فهو بإذني ، ومهما حلف عليه فهو لازم لي » ، وأرسل مع مسعود لواء مذهباً عليه اسم تمرلنك

ووصل مع مسعود ولد ابن الجزرى ، وأخبر أن أباه كان مع ابن عثمان فأسر وأحضر عند تمر فأكرمه لاشتهاره بعلم القراءات .

ووصل أطلمش دمشق في جمادى الآخرة ، ووصل إلى حلب في رجب ، ثم توجه إلى تمرلنك فالتقى بعد رجوع تمر من بلاد الروم ، ورجعت الرسل الذين كانوا مع أطلمش فوصلوا في شوال وتحققوا توجهه إلى جهة الدست .

ثم وصل من عند مسعود المذكور رسول ومعه هدية فيها فيل وغيره ، وكتاب يشكر الأمراء على إرساله أطلمش ، وقرأت^(٤) بخط الشيخ برهان الدين المحدث بحلب مانصه :

(١) يعنى بذلك رسل تمرلنك القادمين في طلب أيتمش .

(٢) عبارة « هؤلاء ثم ... » المؤيدية ومات بها « في السطر التالى ساقطة من ز .

(٣) هذا الخبر حتى إرسال اطلمش ، س ١٦ وورد في ظ على غير هذا الترتيب .

(٤) من هنا إلى نهاية النص غير وارد في ظ .

« ورد رسول تمر : مسعود بن محمود الخجاوى ، وصحبته شهاب الدين أحمد بن على بك بن خليل وخصمى من جهة الناصر فرج يقال له قانبای فى ثانى ذى القعدة سنة خمس وصحبتهم هدية من تمر إلى الناصر ، من جملتها فيل وفهد وسنقر وباز وصقر وقباء قصير بكم مزركش مريش وفوقانى مزركش مريش مفرى بفنك وسولق وبند وقبع » قال : « وكان الثلاثة المذكورون توجهوا فى العام الماضى إلى تمر وصحبتهم الأمير (١) الذى كان مسجوناً بالقاهرة من جهة تمر » قال : « وكان سبب وقوعه لأهل مصر أنه كان أميراً على بعض القلاع فنازله قرا محمد فأمسكه وأرسل به إلى القاهرة فحبس بها ، فلما دخل تمر الشام أرسل فى طلبه وتكررت رسله بطلبه ، فأرسلوه مكرماً وتوجهوا به من جهة طرسوس إلى إن اجتمعوا به وهو فى أرض الروم ، ثم قدر بعد ذلك مجيء مسعود إلى هذه البلاد وباشر نظر الأوقاف فى الدولة المؤيدية ومات بها . »

* * *

وفى المحرم استقر صدر الدين بن الأدمى فى كتابة السربدمشق ، وعلاء الدين بن أبى البقاء فى القضاء بدمشق ، وزين الدين الكفرى فى قضاء الحنفية بها .

وفى صفر ضرب الحاجب فقيها ادعى عليه بمال عنده فأنكر ، ثم صالح عليه غريمه فظنّ الحاجب أنه كاذب فى إنكاره فعزّره ، فبلغ ذلك القاضى الشافعى فأرسل إلى الغريم فعزّره وطيف به ، فبلغ ذلك الحاجب فشكا إلى النائب ، فسلمه الشاهد المذكور والشهود الذين عيّنهم ، فضربهم وطوّف بهم ونادى عليهم : « هذا جزاء من يرمى الفتن بين الحكام » ، وتأمّ الناس لذلك .

* * *

وفى يوم الاثنين ثانى عشر صفر برز سودون طاز إلى ناحية المريج والزيات ، فنزل هناك بجماعته وإخوته منافراً ليشبك ، بسبب أنه ذكر له أنه قصد القبض عليه فلم يخرج أحد إليه ، إلا أن بعض المماليك أغلظوا ليشبك فى الرميّة وأفحشوا فى القول

(١) فى هامش « بخط الناسخ » أى « أطلش » .

وساق بعضهم ليضربه ، فدخل بيت الأتابك بيبرس وأقام فيه أياما ثم تراسلوا ، فأرسل السلطان إلى سودون طاز يترضاه فمارضى .

فلما كان يوم الاثنين تاسع عشره أخلع على إينال بيه بن قجماس بوظيفة سودون طاز ، واستقر أمير آخور ، وأخرجت إقطاعات ممالك سودون طاز ومن يلوذ به .

ثم استعد السلطان بتحسين القلعة بالرميلة ليخرج إليه ، فحصل من بعض المماليك خُلف ، ثم اتفقوا ولبسوا السلاح يوم الأحد ثالث شهر ربيع الآخر ، ثم خرجوا إليه في يوم الأربعاء سادسه ، فلما علم سودون طاز بتوجه السلطان ركب لجهة خليج الزعفران . ثم خرج إلى جهة النيل حتى وصل إلى بولاق وسار إلى الميدان الكبير بالقرب من قناطر السباع .

وأما العسكر فوصلوا إلى جهة المرج فقبل لهم إنه توجه إلى جهة البحر فرجعوا مسرعين ، فتلاقوا عند الكيش ، فانكسر وانهمز راجعا ، فأمسك جاني^(١) بك فيه أخوه وجرح هو وجماعة من الطائفتين ، ومات من جراحه خزنداره .

فلما كان في اليوم الثالث من حربه قبض عليه وجيء به إلى بيت يشبك فرسم بحبسه في دمياط مكرما ، ونزل على فرس إلى البحر وشيعة الأمراء إلى أن نزل إلى الحراقة وساروا به إلى دمياط مكرما ، واستقر آقبای الكركى الخزندار على إقطاع سودون طاز فلم يلبث أن مات من جراحة كانت أصابته ليلة السبت رابع عشر جمادى الأولى ، واستقر إقطاعه لسودون الحمزاوى ، وهو يومئذ شاد الشريخاناه .

وفي ثالث عشرى جمادى الآخرة وصل سودون الجلب إلى دمياط ، واجتمعت إخوة سودون طاز وأشاروا عليه أن يسافر إلى الشام ، فأرسل إلى والى دمياط فقبض^(٢) عليه ، وهجم هو ومن معه على الطواحين فأخذوا منها ماشعوا من الخيول وتوجهوا ، فنزلوا

(١) في ٥ : « فأمسك قانباى أخوه » .

(٢) أى أن سودون طاز قبض على والى دمياط .

على سليمان بن بقر^(١) أمير العربان بالشرقية ، فبلغ ذلك السلطان من ابن بقر ، فأرسل إليه عسكرياً فأحاطوا به وقبضوا عليه وعلى من معه ، وسُمرَّ سودون الجلب وبعض الماليك ساعةً بالرميلة تسمير سلامة ثم أطلقوا ، وسُجن سودون طاز بالإسكندرية وذلك في ثالث شهر رجب ؛ ثم قبض على قانباى وحبس بالإسكندرية ، ثم أمر في شهر رمضان بإرسالهم مفرقين إلى الحبوس في قلاع الشام .

وفي شعبان حُبس نوروز وقانباى في الصُبيبة ، وجُكِم في قلعة حصن الأكراد ، وسودون طاز في قلعة المرقب ، ثم حُوّل إليها جُكِم .

وفي سادس عشرى رجب استقر كمال الدين بن العديم في قضاء الحنفية بالقاهرة بعد صرف أمين الدين الطرابلسي ، وكان كمال الدين قد قدم في أوائل السنة من حلب بعد أن أسره اللنك وأهانته ، فقدم ليسعى في أمور تنفعه في حلب ، فلقى الأمر معلوقاً^(٢) بالأمراء فداخلهم حتى استقر بالقاهرة .

وفيها أطلق جماز بن هبة الحسيني الذي كان أمير المدينة من سجن الإسكندرية ، وكان له بها سبع سنين ، وقرّر في إمرة المدينة عوضاً عن ثابت بن نعيم .

وفيها أمسك ابن غراب وأخوه فخر الدين الوزير وسُلما للركن ابن قايماز ، واستقر الركن أستاذاراً وتاج^(٣) الدين بن البقرى ناظر الخاص وتاج الدين بن الدماميني - ناظر الجيش - الإخميمي المعروف بالشريف وزيراً ، وأصل ذلك أن سودون الحمزاوى تفاوض هو وابن غراب بحضرة الناصر في أواخر شعبان ، فلما خرج ابن غراب من القلعة ضربه بعض الماليك وأرموا عمامته فهرب وألقى نفسه وحُمِل إلى باب السلسلة عند الأمير إينال

(١) في ز « بكتز » ، وفي هـ « بكتير » ، والصواب ما في المتن كما في ظ ، والسلوك ٢٨ ا ، وعقد الحمان ١٨٥ ، وإعلام ابن قاضي شهبة ٢٠٣ ب .

(٢) في ظ « معلوما » ، ولفظ « معلوق » في مصطلح كتاب هذا الوقت يعنى « يتعلق به » .

(٣) عبارة « وتاج الدين الدماميني ناظر الجيش » ساقطة من ز .

بأى بن قجماس أمير آخور ، وانقطع عن الخدمة أياماً إلى أن أمر الناصر بمسكه في ثامن عشر رمضان وأمسك أخوه وجماعة من أئامهما^(١) ، وعُوِّق جمال الدين بن يوسف أستاذار بجاس بباب يشبك ثم أطلق بعد قليل وعمل أستاذارية الأمير بيبرس الأتابك مضافاً لأستاذارية سودون الحمزاوى .

وفي مستهل شوال وصل يلبغا السالمى إلى القلعة وكان قد أمر بعد مسك ابن غراب بإطلاقه ؛ واستقر في الوزارة مبارك شاه في رابع شوال وعزل الإخميمى في ثامن عشرى شوال ، وقرّر تاج الدين عبد الرزاق والى قطيا ، واستقرّ السالمى مشير الدولة فقط .

وسعّر^(٢) السالمى [الذهب] المهرجة بستين ، والأفلورى بخمسة وأربعين ، وتسلمّ ابن غراب وأخاه فلم يُمْكِن من ضربهما ، ثم تسلمهما ابن قايماز وضرب فخر الدين بن غراب بعض شئ ، ثم شفع فيهما يشبك وأطلقا في أواخر ذى القعدة .

وفي سلخ شوال عزل تاج الدين بن الدمامينى من نظر الجيش باستعفائه وأضيف إلى ابن البقرى .

وفي سابع ذى القعدة استعفى تاج الدين [عبد الرزاق] والى قطيا من الوزارة واستقر^(٣) كاشفاً بالبحيرة .

وفي سابع عشرى ذى القعدة استقر السالمى أستاذاراً مع الإشارة .

وفي أول استقرار السالمى في الإشارة عزل ابن البلقينى من القضاء وأعاد ابن الصالحى في ليالى خروج الحاج ، ويقال إنه التزم في ذلك بمال جزيل يزيد على ستة آلاف دينار .

(١) الإلزام هنا بمعنى « الأتباع » .

(٢) تتفق هذه العبارة وما ورد في السلوك ، ٣٩ ب .

(٣) عبارة « واستقر كاشفاً بالبحيرة » غير واردة في ظ .

وفي أواخر شوال استقر سودون الحمزاوى رأس نوبة كبيراً عوضاً عن سودون الماردانى ، واستقر الماردانى أمير مجلس عوضاً عن تمراز^(١) ، واستقر تمراز أمير سلاح عوضاً عن بكتمر ، واستقر طوخ خزنداراً عوضاً عن سودون الحمزاوى .

* * *

وفيهما نازل الإفرنج الإسكندرية ، فاهتم أهل الدولة لذلك وجهزوا عسكرياً فيهم : بلبغا الناصرى وبكتمر وجركس المصارغ وأقبأى الحاجب وسودون الماردانى وتمراز وتغرى بردى وغيرهم ، وقدموا فيه برهان الدين المحلى بسؤاله فى ذلك طلباً لنباهة الذكر ، فأنفق عليهم جملة كثيرة من ماله ، وتوجهوا فى أواخر هذه السنة .

وفيهما فى آخر السنة قفل الممالك أبواب القلعة على الأمراء بسبب النفقة ، فنزل الأمراء من باب السر إلى الإصطبل ، وركبوا من خيوله إلى منازلهم ، وتغيّب السالى ثم حاصروه وعوقوه فى القلعة بسبب النفقة ، ثم تسلّمه أمير آخور إينال بك بن قجماس .

وفى جمادى الأولى مات أقبأى الخزندار .

* * *

وفيهما فى أثناء السنة كائنة ابن دقماق ، وُجد بخطه خطٌ صنّب على الإمام الشافعى ، فطولب بذلك من مجلس القاضى الشافعى ، فذكر أنه نقله من كتاب عند أولاد الطرابلسى ، فعزّره القاضى جلال الدين بالضرب والحبس ، ولم يكن المذكور يستأهل^(٢) ذلك .

وفيهما استقر دمرداش فى نيابة طرابلس ، وأحضر تغرى بردى إلى القاهرة وكذلك سودون الحمزاوى ، وقرّر عوضه فى نيابة صفد شيخ السليمانى ، واستقر سودون فى وظيفة شيخ السليمانى شاد الشربخاناة ثم قرّر خزنداراً بعد موت أقبأى الكركى فى جمادى الآخرة ، ثم تزوج ابنه بنت^(٣) السلطان برقوق فى رجب .

(١) عبارة « تمراز . . . خزندارا عوضا عن » غير واردة فى ز .

(٢) جاء فى هامش « بخط البقاعى : « له ؟ بل هو أقل جزائه » .

(٣) فى ز « ابنه ابنه السلطان » .

وفي ربيع الأول أُعيد أبيننا التركمانى إلى مشيخة سرياقوس بعد موت حسن بن الأمدى .

وفي جمادى الأولى استقر كريم الدين محمد الهوى فى حبة القاهرة عوضا عن شمس الدين الشاذلى ثم صُرف ، واستقر محمد بن شعبان فى شعبان ثم ضُرب بعد أيام بحضرة يشبك وعزل .

وفىها فى رجب ارتفعت الأسعار فبلغ القمح سبعين ، والشعير أكثر من ذلك ، والفلول تسعين ، والتبن [الحمل] خمسين^(١) ، وارتفعت أسعار سائر المأكولات وكذلك الملابس .

وفى ذى الحجة قدم دمشق ابن الحربى المصرى الذى ولى وزارة دمشق بسبب محاسبة الوزير المستقر على ما عنده ومحاسبة أهل الأوقاف على ما استفادوه ، وشرع فى مظالم كثيرة بدمشق فبلغ ذلك نائبها وهو غائب فأرسل بمنعه فمنع وتوجه إلى القاهرة ، فأرسل فى أثره فرجع وضربه ضربا مبرحا وسجنه بالقلعة بعد أن نودى عليه ، وفرح الناس بذلك ودعوا له .

وفى جمادى الآخرة صُرف علاء الدين بن أبى البقاء عن قضاء الشافعية واستقر شمس الدين بن عنان .

وفى ذى القعدة صُرف ابن الأدمى عن كتابة السرِّ وأعيد علاء الدين نقيب الأشراف ، فسعى ولده ناصر الدين بالقاهرة ، واستنجز لشهاب الدين بن حجى نظر الحرمين والغزالية^(٢) وتدريسها .

(١) وذلك بعد خمسة دراهم ، كما جاء فى السلوك ٣٨ وراجع فيه وفى عقد الجمان ، ١٨٥ قائمة كاملة بالأسعار .

(٢) من مدارس الشافعية بدمشق وتنسب إلى الغزالي لأنه دخل دمشق وقصد الخانقاه السيماطية لكن منعه صرفتها فأقام بهذه المدرسة وكانت إذ ذاك زاوية فلما عرفوه أنكروا على أنفسهم ما فعلوه معه ومن ثم عرفت به ، انظر النعمى : الدارس فى تاريخ المدارس ١٣/١ ؛ وما بعدها .

وفيها استقر بدر الدين حسن الحبابي في قضاء المالكية عوضاً عن الأموي ثم وصل توقيع عيسى قبل أن يباشِر حسن ، فاستمر عيسى واستتاب حسناً المذكور ورسم على الأموي بسبب ما تأخر عليه من الرشوة .

وفي رجب أغار التركمان - أصحاب سالم الدوكاري - على قارا^(١) وما حولها من القرى ، فاستباحوها ونهبوا نحو ثلث البلد ولم يخرج إليهم نائب حلب ولا أزعجهم ، وذكروا أنهم عاقبوا الناس على المال كصنيع التمرية .

وفي رجب أكملت عمارة دار السعادة بدمشق بعد إلزام النائب أهل البلد بعمارتها ومرة ما يحتاج إليه السكنى فيها ، وتحوّل إليها فسكنها .

وفي شعبان ولي شهاب الدين الأموي قضاءً المالكية بدمشق وكان قبل ذلك قاضي طرابلس ، وقد ولي بعد ذلك قضاءً مصر .

وفيه استقر كمال الدين بن جمال الدين عبد الله بن عبد الرحمن بن الخشاب^(٢) في قضاء الحنفية بدمشق عوضاً^(٣) عن عبد الرحمن بن الكفري .

وفي رمضان ولي فتح الدين بن شمس الدين الجزري وكالة بيت المال بدمشق وتدرّس الأتابكية ، انتزعها من جلال الدين بن أبي البقاء .

وفي رمضان قُتل نائب القدس ، قتله العشير وكان خرج إليهم ليكبسهم فاستعدوا له فقتلوه .

وفي شوال ولي محيي الدين بن الآمدي كتابة السرّ بطرابلس وضرب قاضي حلب ابن

(١) قرية كبيرة بين دمشق وحمص وهي محطة تنزلها القوافل وجله أهلها نصارى ، وقد وردت في ياقوت ومراصد الاطلاع « قارة » ورسمها القلقشندى : صبح الأعشى ١٣/٤ بالرسمين معاً ، وذكر Dussaud : Topographie Historique de la Syrie, p. 264 أنها وردت في بعض المراجع الغربية باسم «Ceher» وانظر Ibid., p. 264, note 5. ومناقشتها هناك .

(٢) انظر قضاء دمشق ، ص ٢٠٥ .

(٣) من هنا حتى « قضاء الحنفية بدمشق » ص ٢٢٧ من ٢ ساقط من هـ .

يحيى فقتل ، ضربه رجل بسكين فمات ، واستقر عوضه شمس الدين محمد بن أحمد ألبيرى - أخو جمال الدين الأستاذار .

وفى شوال عزل زين الدين عبد الرحمن بن الكفرى من قضاء الحنفية بدمشق واستقر عوضه جمال الدين بن القطب ، قال ابن حجبى : « وهو أحسن سيرة من ابن الكفرى وإن اشتركا فى الجهل » .

وفيه هرب نجم الدين بن حجبى من حماة مغاضباً لنائبها علان لأنه أطلع منه على إرادة العصيان فكاتب فيه ، فاطلع علان على كتابه فأراد قتله ففر منه إلى دمشق .

وفيه^(١) استشهد سعد الدين أبو البركات محمد بن أحمد بن على بن صبر الدين بن وكدي^(٢) بن منصور بن عمر الملقب « وَيَسْمَعُ » ، استقر في مملكة الحبشة للمسلمين بعد أخيه حق الدين فسار على سيرته فى جهاد الكفرة ، وكانت عنده سياسة ، وكثرت عساكره ، وتعددت غاراته واتسعت مملكته حتى وقع له مرة أن يبيع الأسرى الذين أسرهم من الحبشة كل عشرين بتفصييلة ، وبلغ سهمه فى بعض الغنائم أربعين ألف بقرة ، فيقال إنه لم تبت عنده بقرة واحدة بل فرقتها .

وله فى مدة ولايته وقائع وأخبار يطول ذكرها .

فلما كان فى هذه السنة جمع العطي صاحب الحبشة جمعا عظيما وجهز عليهم أميراً يقال له بادوا ، فالتقى الجمعان ، فاستشهد من المسلمين جمع كثير منهم أربعمائة شيخ من الصلحاء أصحاب العكاكيز ، وتحت يد كل واحد منهم عدة فقراء يسلكون عنده ، واستمر القتال فى المسلمين حتى هلك أكثرهم وانهمز من بقى ، ولجأ سعد الدين إلى جزير زيلع فى وسط البحر فحصره فيها إلى أن وصلوا إليه ، فأصيب فى جبهته بعد وقوعه فى الماء ثلاثة أيام فطعنوه فمات . وكانت مدة ملكه ثلاثين سنة ، واستولى الكفار

(١) جاء فى هامش بخط النسخ « ترجمة ملك الحبشة محمد بن أحمد بن على » .

على بلاد المسلمين وخرَّبوا المساجد وبنوا بدلها الكنائس ، وأسروا وسبوا ونهبوا ، وفرَّ أولاد سعد الدين وهم : صبر الدين علي ومعه تسعة من إخوته إلى البر الآخر ، فدخلوا مدينة زبيد فأكرمهم الناصر أحمد بن الأشرف وأنزلهم وأعطاهم خيولاً ومالاً ، فتوجهوا إلى مكان يقال له سيارة ، فلحق بهم بعض عساكرهم واستمر صبر الدين على طريقة أبيه ، وكسر عدة من جيوش الحطلى ، وحرقت عدة من الكنائس وغنم عدة غنائم . وسيأتى خبر صبر الدين فى سنة خمس وعشرين .

وفى العشر الأخير من شوال سعى السالمى فى إبطال مكس^(١) الذبيحة من الغنم والبقر وغيرهما ، والسبب أن غالب المتجوهين^(٢) أخذوا مراسم بمساميح ، بعضهم ببقرة وبعضهم بشاة أو أكثر ، فما بقى لجهة الدولة شئ يُتحصل من الجهة ، فنودى بإسقاط ذلك ثم أُعيد بعد مدة لكن بصورة أخرى وهى ترك الصوف والجلد لجهة الدولة .

وفيه سُعّر اللحم السليخ بدرهم ونصف ، والسमित بدرهم وربع ، والبقرى بدرهم . وفى أواخر ذى الحجة ثار الجند بالأستادار وأغلق باب القلعة فهرب من باب السُر ثم أخرج من طاحون بالقرافة ، فرسم عليه السلطان وألزمه بتكفية العسكر والنفقة ، وانسلخت السنة على ذلك .

* * *

وفىها خرج طاهر بن أحمد بن أويس على أبيه وحاربه وكثر^(٣) جمعه ، وأطاعه العسكر بغضا منهم فى أبيه لسوء سيرته ، ففرَّ أحمد إلى الحلة فتبعه ولده وحاربه ، ففرَّ إلى بغداد ليأخذ وديعةً فأخذها ، فهجم عليه طاهر واستنقذ منه المال ، فاستنجد أحمد بقرا يوسف من تبريز فأعانه واجتمعوا على حرب طاهر ، فانهمز واتفق أنه أقحم فرسه فى حال الهزيمة جانباً من دجلة لينجو منه إلى البر الآخر ففرق .

* * *

(١) جاءت هذه العبارة فى السلوك ، ورقة ٣٩ على الصورة التالية : « مكس البحيرة وهى ما يذبح من البقر والغنم » .

(٢) لفظ مراد به فى هذا الوقت « أصحاب الجاه » ؛ أما « المساميح » فهى ما يسمح لهم به دون حق .

(٣) عبر عن ذلك السلوك ، ٤٠ ، ١ ، بقوله : « ففرش الحلة إلى بغداد » .

وفي سنة خمس وثمانمائة تزوّج سودون الحمزاوى زينب بنت الملك الظاهر وعمرها يومئذ نحو العشر سنين .

وفيهما ضرب ابن شعبان المحتسب بحضرة يشبك لسوء سيرته .

* * *

ذكر من مات في سنة خمس وثمانمائة من الاعيان

١ - إبراهيم بن داود السرحموشى^(١) الدمشقى ، كان رجلاً حسناً يجب الفقراء وكان كثير الضيافة مع فقره ، وولى في آخر عمره مشيخة الخانقاه النجيبية^(٢) وسكنها إلى أن مات في شهر رمضان وله ستون سنة .

٢ - أحمد بن عبد الله بن الحسن البوصيرى^(٣) شهاب الدين ، تفقه ولازم الشيخ ولى الدين الملوئى^(٤) وبرع في الفنون ، ودرّس مدة وأفاد ، وتعالى^(٥) التصوف وتكلم على مصطلح المتأخرين فيه وكان ذكياً ، سمعت من فوائده ومات في جمادى الأولى .

٣ - أحمد^(٦) بن عبد الله الحلبي ثم الدمشقى ، شهاب الدين قاضى كرك^(٧) نوح ، قال ابن حجرى : « كان من خيار الفقهاء وقد ولى الخطابة والقضاء بكرك نوح ثم القدس وناب في الخطابة بالجامع الأموى وفي تدريس البدرائية^(٨) » ، مات في ذى الحجة^(٩) .

(١) « العرعوشى » في ظ ، لكن انظر الضوء اللامع ٥٠/١ .

(٢) ذكر النعمى : الدارس في تاريخ المدارس ١٧١/٢ أنها تسمى بالنجيبية البرانية وبخانقاه القصر ، وقد أنشأها

النجيبى جمال الدين أقوش الصالحى النجمى سنة ٦٧٧ هـ ؛ انظر الدارس ٤٦٨/١ .

(٣) نسبة إلى بوصير ، انظر عنها محمد رمزى : القاموس الجغرافى للبلاد المصرية ، ق ٣ ج ٢ ص ٣ .

(٤) في الضوء اللامع ج ١ ص ٣٥٩ « الولوى الملوئى » .

(٥) جاء في ظ « وتصوف » بدلا من عبارة « وتعالى التصوف وتكلم على مصطلح المتأخرين فيه وكان ذكياً » .

(٦) انظر ص ٢٤٠ حاشية رقم ٤ .

(٧) قرية في البقاع من الشام ويمر بها الطريق الواصل بين بيروت وبمبلك ، انظر Dussaud : op. cit. p. 397

(٨) البدرائية من مدارس الشافعية بدمشق ، أنشأها الشيخ العلامة نجم الدين أبو محمد عبد الله بن أبي الرفاء محمد بن

الحسن الباذرائى البغدائى ، وذكروا أنها كانت داخل باب الفرائيس ، انظر من درس بها في النعمى : الدارس ٢٠٥/١ -

(٩) عبارة « مات في ذى الحجة » غير واردة في ز ، ه ، على أنه جاء في إعلام ابن قاضى شعبة ، ٢٠٦ ب ،

أنه مات في جمادى الأولى .

٤ - أحمد^(١) بن عبد الله العرجاني الدمشقي ، اشتغل قليلا وكتب خطا حسنا وتعانى الإنشاء والنظم ، وباشر أوقاف السميناطية ، وكان يحب السنة والآثار . مات في المحرم .

٥ - أحمد بن محمد بن عثمان بن عمر بن عبد الله [الخليلي]^(٢) نزيل غزة ، سمع من الميدوي ومحمد بن إبراهيم بن راشد^(٣) ، وأكثر عن العلاني وغيرهم ، وكان دينيا صالحا خيرا بصيرا ببعض المسائل ، سكن غزة واتخذ بها جامعا ، وكان للناس فيه اعتقاد ، اجتمعت به ونعم الشيخ كان ، قرأت عليه عدة أجزاء ومات في صفر وله اثنتان وسبعون سنة

٦ - أحمد بن محمد بن عيسى بن الحسن الياسوقى ثم الدمشقي المعروف بالثوم - بثلاثة مضمومة - روى عن أحمد بن علي الجزري وغيره . مات في جمادى الآخرة عن ست وستين سنة ، وكان له مال وثروة ثم افتقر بعد الكائنة وصارت أمواله حججا لاتحصيل منها^(٤) .

٧ - أحمد بن يحيى العثماني المعري - من معرة سرمين^(٥) - شهاب الدين^(٦) ، اشتغل ومهر وولى قضاء الشافعية بحلب في مستهل شوال سنة خمس وثمانمائة ، وكان حسن

(١) هذه الترجمة وأردت بنصها في الضوء اللامع ١/٣٧٤ .

(٢) الإضافة من الضوء اللامع ٢/٤٠٢ .

(٣) « أسد » في ظ ، ز .

(٤) جاء في ز ، ه ، الترجمة التالية « أحمد بن محمد الحلبي ثم الدمشقي شهاب الدين قاضي كرك نوح والخطيب بها ، قال ابن حجي : كان من خيار الفقهاء وولى قضاء القدس وولى تدريس المدرسة البادرانية بدمشق ، مات في ذي الحجة » ، ثم جاء أمامها في هامش ه بخط الناسخ « هو أحمد بن عبد الله . تقدم فيحرر اسم أبيه » انظر ص ٢٣٩ حاشية رقم ٦ ، وترجمة رقم ٣ .

(٥) معرة سرمين بفتح الميم في مراصد الاطلاع ٣/١٢٨٨ بليدة وكورة بنواحي حلب ، وقد ضبطها . Dussaud : op. cit.

بافتح والكسر .

(٦) عبارة « شهاب الدين اشتغل ومهر » غير وأردت في ظ .

السيرة فلم يلبث أن قُتل ليلة الأربعاء ثاني عشرى الشهر المذكور ، هجم عليه شخص فضربه في خاصرته فمات منها في الثاني والعشرين منه ، نقلت ذلك من خط مجهول وجدته في هامش جزء من مسودة تاريخ حلب لابن العديم ، ثم^(١) وجدته في تاريخ القاضي علاء الدين وقال: « أحمد بن يحيى بن أحمد بن مالك^(٢) الصرميني ، من معرة صرمين ، وكان قاضي بلده مدة ، ثم ولي قضاء حلب بعد الفتنة العظمى دون الشهر فاغتيل بعد صلاة الصبح ثالث عشرى^(٣) شوال » ، قال: « وكانت له مروعة ، وفيه سكون وسيرته حسنة » .

٨ - أبو بكر^(٤) بن محمد بن عبد الله بن مقبل زين الدين المعروف بالتاجر^(٥) ، ناب في الحكم وكان فاضلاً في مذهبه ، وكان في أول أمره سمساراً في قيسارية الشرب فانكسر عليه مال كبير فترك صناعته واشتغل بالعلم فتنبه ، ولازم الاشتغال حتى استنابه جمال الدين التركماني بعناية محب الدين ناظر الجيش ولم يزل ينوب عن القضاة إلى أن مات ، وكان مشهوراً بالديانة غير متقيد بزينة الحياة الدنيا مطرّحاً^(٦) التكليف في ملبسه وهيئته مع المهابة وقلة الكلام . مات في ثالث ذى الحجة^(٧) عن نحو الثمانين^(٨) ،

(١) من هنا لآخر الترجمة غير وارد في ظ .

(٢) جاء في الضوء اللامع ٦٧٧/٢ « ملك الصرميني ، نسبة لصرمين من أعمال حلب » .

(٣) « ثالث عشر » في ز ، ه .

(٤) وردت هذه الترجمة في ظ على الصورة التالية : « أبو بكر بن عبد الله بن مقبل الحنفي السمسار والتاجر زين الدين ،

كان أولاً سمساراً في البز ثم تحول إلى الفقه ففهر فكان يعرف بالتاجر ، وترقى إلى أن درس وأقنى وثاب في الحكم بالقاهرة

وحمل عنه الطلبة ، وكان مطرّحاً للتكليف في ملبسه وهيئته مع المهابة وقلة الكلام . مات في ثالث ذى الحجة عن نحو الثمانين ،

وهو غير زين الدين السكندري الحنفي نائب الحكم أيضاً الأديب الفاضل ، تأخر عن الأول ولم يزل وهو زين الدين المنحوم

ناب في الحكم وتأخر عن الثاني » .

(٥) « التاجر » في ه .

(٦) راجع حاشية رقم ٤ .

(٧) راجع أيضاً حاشية رقم ٤ .

(٨) انظر الضوء اللامع ٢١٥/١١ .

وهو غير زين الدين السكندري الحنفى نائب الحكم أيضا الأديب الفاضل ، تأخر عن الأول ، ومنهم ثالث وهو زين الدين المخدم الحنفى ، ناب في الحكم أيضا وتأخر عن الثاني .

٩ - بهرام بن عبد الله بن عبد العزيز بن عمر بن عوض بن عمر الدميري المالكي ، تاج الدين ، كان فاضلاً في مذهبه ، أخذ عن الشيخ خليل وغيره ، وبرع وأفقى ودرّس بالشيخونية وغيرها ، واختصر^(١) « شرح مختصر الشيخ خليل^(٢) » فلم تفتنه منه إلا الدلائل والعلل ، وهو في مجلدة واحدة . وولى تدريس الشيخونية وقضاء المالكية بعد^(٣) موت ابن خير في ثاني عشرى شهر رمضان سنة إحدى وتسعين : أيام قيام منطاش ، وتوجّه مع القضاة إلى الشام لحرب الظاهر ، فلما عاد الظاهر عزله في ثاني عشر ربيع الأول بالركراكي ، ومات معزولاً في سابع جمادى الآخرة وقد جاوز السبعين لأنه وُلد سنة أربع وثلاثين ، وله سماع من البيهقي^(٤) وتفقه على الرهوني^(٥) ، وله نظم ، وكان محمود السيرة .

١٠ - الحسن بن علي الأمدى - بفتححتين من غير مدّة^(٦) - كان بزى الجند من أهل الحسينية ، ومات في شعبان^(٧) .

(١) وردت هذه العبارة في الضوء اللامع ٩٦/٣ على الصورة التالية : « شرح مختصر شيخه الشيخ خليل » .
 (٢) يقصد بذلك الشيخ خليل بن إسحق الجندى ، تفقه على المذهب المسالكى على شيخه عبد الله المنوفى ، وكان ملازماً لزي الجندية ، وذكر ابن حجر : الدرر الكامنة ١٦٥٣/٢ أن له مختصراً في الفقه « نسج فيه على منوال الحاوى » ، وكانت وفاته سنة ٧٦٧ هـ .

(٣) عبارة « بعد موت ابن خير ربيع الأول بالركراكي » من ١٠ غير واردة في ظ .

(٤) هو محمد بن ابراهيم بن محمد الفرناطى المتوفى سنة ٧٥٣ هـ ، راجع عنه الدرر الكامنة ٣٣٠٨/٣ .

(٥) راجع إنباء الغمر ٣٢/١ ، ترجمة رقم ٣٤ ، هذا وقد ورد اسمه بالبدال « الدهوق » في الدرر الكامنة ٥٠٢٥/٥ .

(٦) ساء عقد الجمان ، ١٩٤ « بالأمدى » .

(٧) زاد الضوء اللامع ٤٦١/٣ على ذلك بأنه توصل بصحبة بمض الأمراء إلى تولى مشيخة سرياقوس .

١١ - سارة^(١) بنت علي بن عبد الكافي السبكي ، أَسْمِعَتْ من أحمد بن علي الجزري وزينب بنت الكمال وغيرهما ، وسمعت علي أبيها أيضا ، وتزوجها أبو البقاء فلما مات تحوّلت إلى القاهرة ثم رجعت إلى دمشق في أيام سري الدين وكان صاهرها ، ثم رجعت إلى القدس ثم إلى القاهرة فسمعنا منها قديما ثم في سنة موتها ، ماتت بالقاهرة في ذى الحجة بعد مرض طويل وقد جاوزت السبعين .

١٢ - سعد بن يوسف بن إسماعيل بن يوسف بن يعقوب بن سرور بن نصر بن محمد سعد الدين بن صدر الدين النووي ثم الخليلي ، وُلد سنة تسع وعشرين ، وقدم دمشق بعد الأربعين واشتغل بها ثم مهر ودرس ، واشتغل على ابن قاضي شهبه وناب في الحكم بها ، وحمل عن التاج المراكشي وابن كثير ، وقرأ عليه مختصره في علم الحديث وأذن له ، وسمع الحديث عن الذهبي وعبد الرحيم بن أنى اليسر وشمس الدين بن نباتة وغيرهم ، وحدّث وأفتى ودرّس بأُمّ الصالح ، وأعاد بالناصرية ، ثم ولي قضاء بلد الخليل بعد كائنة تمرلنك فمات هناك في جمادى الأولى عن ست وسبعين سنة ، وكان أَسَنَّ مَنْ بَقِيَ من الشافعية قال ابن حجي: « كان ذا ثروة جيدة فاحترقت داره في الفتنه وأخذ ماله فافتقر فاحتاج إلى أن يجلس مع الشهود ، ثم ولي قضاء بعض القرى وقضاء بلده الخليل » .

١٣ - سلمان بن عبد الحميد بن محمد بن مبارك البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي ، سمع من ابن الحموي وغيره ، وكان بصيراً ببعض المسائل متعبداً خيراً .

١٤ - سودون طاز^(٢) ، تقدّم ذكره في الحوادث وكان مسجوناً بقلعة المرقب . مات في هذه السنة (٢) .

(١) وردت هذه الترجمة في ظ وفي النسخ الأخرى من المخطوطة بعد ترجمة رقم ١٤ ، وقد قدمناها هنا ليستقيم الترتيب في الوفيات .

(٢) ترجم له السخاوي في الضوء اللامع ٣/١٠٦٥ ، وذكر أن شيخه ابن حجر أخطأ في إدراجه إياه في وفيات هذه السنة وصوب وفاته سنة ٨٠٦ ، وهي السنة التي ورد ذكرها في النجوم الزاهرة ، أنظر أيضا Wiet : op. cit., No. 1126 .

١٥ - عبد الله بن خليل بن الحسن بن طاهر بن محمد بن خليل بن عبد الرحمن الحرساني^(١) ثم الصالحى المؤدّب ، سمع^(٢) من الشرف بن الحافظ وغيره وأجاز له الحجار ؛ سمعتُ منه^(٣) .

١٦ - عبد الجبار بن عبد الله [الخوارزمي] المعتزلى الحنفى عالم الدشت عند تمرلنك ، قدم معه دمشق ودخل معه الروم ورجع فمات . أخبر بوفاته في هذه السنة مسعود الكججاني ، وفيها^(٣) أرخه القاضي علاء الدين في تاريخ حلب وذكر أنه اجتمع به بقلعة حلب لما طرقتها اللنكية في شهر ربيع الأول سنة ثلاث قال : « فوجدته ذكياً فاضلاً وسألته عن مولده فقال : « يكون لى الآن نحو الأربعين » ؛ وتكلم مع علماء حلب بحضرة اللنك وكان معظماً عنده ، ورأيتُ « شرح الهداية » لأكمل الدين وقد طالعه عبد الجبار المذكور وعلم على مواضع منه ذكر أنها غلط » ، وختم ترجمته بأنه كان عالم الدشت في زمانه .

١٧ - عبد الرحمن بن أبي الخير محمد بن أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الحسنى أبو الفضل الفاسى ثم المكى المالكى ، سمع من تاج الدين بن بنت أبي سعد ، وشهاب الدين الهكارى وغيرهما ، وعنى بالفقه فمهر فيه ودرّس فيه ، وأفقى أكثر من أربعين سنة ، وكان نبياً في الفقه مشاركاً في غيره . مات في مكة في نصف ذى القعدة عن خمس وستين سنة .

١٨ - عبد الكريم بن محمد النووى ، تقي الدين ، اشتغل قديماً ثم ترك واشتغل بالسعى في القضاء بالبلاد ، فولى نوى^(٤) ثم باشر قضاء أذرعات مدة ولم يكن مرضياً ، وكان جواداً بالقرى . مات في رجب .

(١) نسبة إلى حرستا - بفتح الحاء والراء وسكون السين - وقد عرفها مراراً الاطلاع ٣٩٢/١ بأنها قرية كبيرة عامرة في وسط بساتين دمشق ، وسماها Dussaud : op. cit., p. 278 باسم Resta وهو الاسم التاريخى لها .

(٢) أورد الضوء اللامع ٦٣/٥ له ترجمة أطول من هذه ألم فيها بمن قرأ عليهم من الشيوخ .

(٣) من هنا لآخر الترجمة غير وارد في ظ .

(٤) نوى من أعمال حوران كما جاء في مراراً الاطلاع ١٣٩١/٣ ، وقد عدنا Dussaud : op. cit., p. 212 من بين القرى الفامرة والأطلال بين قصر ابن وردان وحماة .

١٩ - عبد الوهاب بن عبد الله بن أسعد بن علي اليافعي المكي ، تاج الدين بن الشيخ هفيف الدين ، اشتغل بالفقه وأذن له شيخنا الأبناسي ودرّس بالحرم . مات في رجب عن خمس وخمسين سنة لأنه وُلد سنة خمسين [بمكة] وسمع عن أبيه وجماعة بمكة ، ورحل إلى دمشق فسمع من ابن أميلة وغيره ، وتفقه بالأميوطي وغيره ، وكان خيراً عبداً ورعاً ، قليل الكلام فيما لا يعنيه ، أمّ في مقام إبراهيم نيابة . اجتمعت به وسمعت كلامه (٢).

٢٠ - عثمان بن عبد الله الملقب بالفيل ، أحد من كان يُعتقد بمصر . مات في جمادى

الأولى .

٢١ - عمر (٣) بن رسلان بن نصير بن صالح بن شهاب بن عبد الخالق بن عبد الحق الكنانى البلقينى نزيل القاهرة ، وُلد سنة أربع وعشرين في شعبان ، وحفظ القرآن وله سبع سنين ببلده ، وحفظ « المحرّر » و « الكافية » لابن مالك ، و « مختصر ابن الحاجب الأصيل » و « الشاطبية » .

وقدم مع أبيه القاهرة في طلب العلم سنة ست وثلاثين وعَرَضَ على القزويني والسبكي بعض محفوظاته ، ثم قدمها سنة ثمان وثلاثين فاستوطنها وأخذ عن نجم الدين الأسواني وشمس الدين بن عدلان ومشايخ العصر وأفتى ودرّس وهو شاب . وناظرَ الأكابر ، وظهرت فضائله وبهرت فوائده ، وطار في الآفاق صيته من قبل الطاعون ؛ وسمع الحديث من جماعة من مشايخ عصره كمحمد بن غالى وأحمد بن كشتغدى وإسماعيل [بن إبراهيم] التفليسي (٤)

(١) عبارتا « قليل الكلام فيما لا يعنيه » و « اجتمعت به وسمعت كلامه » غير واردتين في ظ .

(٢) وردت بعد هذا ترجمة « عثمان بن عبد الرحمن بن عمر الخزومي البليسي » وهى التى سبق أن وردت من قبل ص ٢١٤ تحت رقم ٢٠ .

(٣) أمامها في هامش ه : « السراج البلقينى » .

(٤) نسبة إلى تفليس (بفتح التاء حيناً وكسرهما حيناً آخر) ، وقد عرفها مرارداً الاطلاع ١/٢٦٦ - ٢٦٧ بأنها بلد بأرمينية ، وهى قسبة كرجستان ، راجع لسترايج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٢١٦ .

وشمس الدين بن القمّاح وابن عبد الهادي والميدوي وغيرهم ؛ وأجاز له المزى والذهبي والجزري وابن نباتة وآخرون . وأخذ النحو عن ابن حبان وأذن له في إقرائه وأطراه فيما كتبه له . وأخذ الأصول عن الأصبهاني ، ولازم ابن عقيل وتزوج بنته سنة اثنتين وخمسين ، وانتهت إليه الرياسة في الفقه والمشاركة في غيره حتى كان لا يجتمع به أحد من العلماء إلا ويعترف بفضله ووفور علمه وحدة ذهنه ؛ قال القاضي جلال الدين في ترجمته : « كان يلقي « الحاوي » في الأيام اليسيرة ، وبلغ من أمره في ذلك أنه أقرأه في ثمانية أيام بالجامع الأزهر » ، وكان معظماً عند الأكابر ، عظيم السعة عند العوام ، إذا ذُكر البلقيني خضعت الرقاب حتى كان الشيخ جمال الدين الإسوي يتوقّى الإفناء مهابةً له لكثرة ما كان ينقب عليه في ذلك ، وقد ولي قضاء الشام بعد صرف تاج الدين السبكي في سنة تسع وستين ، وجرت له معه أمور مشهورة ولم يقم في ذلك إلا دون السنة وعاد إلى القاهرة متوفراً على الاشتغال والفتيا والتصنيف ، وقد عُيّن مراراً لقضاء الشافعية فلم يتفق ذلك إلا بعد دهر طويل لولده .

ولم يكمل من مصنفاته إلا القليل ، لأنه كان يشرع في الشيء ، فليسه علمه يطول عليه الأمر حتى كتب من « شرح البخاري » على نحو من عشرين حديثاً مجلدين ، وكتب على « الروضة » عدة مجلدات تعقيبات ، وعلق بعض طلبته من خطه من حواشي شيخه بالروضة خاصة مجلدين ، وقد عمل له ولده جلال الدين ترجمة جمع فيها أسامى تصانيفه وأشياء من اختياراته أجادها ، [وقد] سمعتها كلها منه ، وخرّجتُ أنا له أربعين حديثاً عن أربعين شيخاً حدّث بها مراراً ، وقرأت عليه « دلائل النبوة » للبيهقي^(١) فشهد لي بالحفظ في المجلس العام ، وقرأت عليه دروساً من « الروضة » ، وأذن لي بخطه ، وكتب لي خطه على جزء من « تعليق التعليق » الذي وصلت فيه تعاليق البخاري .

(١) هو الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي الخسروجري المتوفى سنة ٤٥٨ هـ ، الشافعي ، صاحب السنن الكبرى والصفري ودلائل النبوة ، وكان يقال عنه : ما من شافعي إلا عليه منة إلا البيهقي فإن له على الشافعي منة لتصانيفه في نصرته مذهبه . انظر شذرات الذهب ٣/٢٠٤ - ٢٠٥ .

وكنت رأيت في هذه السنة أننى دخلت مدرسته وهو يصلى الظهر فأحس بي داخلاً فتمادى فى الركوع فأدركت معه صلاة الظهر فعبرتها عليه فقال لى : « يحصل لك ظهور كبير » قلت : « وبقيّة المنام أنك تأخرت لى حى أدركتك فأخذت عنك وأذنت لى » فأقر ذلك ، وكان الأمر كذلك ، وكانت آلة الاجتهاد فى الشيخ كاملة إلا أن غيره^(١) فى معرفة الحديث أشهر ، وفى تحرير الأدلة أمهر .

وكان عظيم المروعة جميل المودة كثير الاحتمال مهيباً مع كثرة المباسطة لأصحابه والشفقة عليهم والتنويه بذكرهم ، وله نظم كثير شائع نازل الطبقة جدا ، وأقبل على عمل المواعيد بآخره وكان يحصل له فيها خشوع وخضوع . قال^(٢) ابن حجبى : « كان أحفظ الناس للمذهب الشافعى واشتهر بذلك وطبقة شيوخه موجودون . قدم علينا دمشق قاضيا وهو كهل فبهر الناس بحفظه وحسن عبارته وجودة معرفته ، وخضع له الشيوخ فى ذلك الوقت فاعترفوا بفضله ، ثم رجع وتصدى للفتيا فكان معول الناس عليه فى ذلك ، وكثر طلبته فنفعوا وأفتوا ودرّسوا وصاروا شيوخ بلادهم وهو حى » ، قال : « وله اختبارات فى بعضها نظر ، وله نظم وسط وتصانيف كثيرة لم تتم ، يبدأ كتابا فيصنّف منه قطعة ثم يتركه ، وقلمه لا يشبه لسانه » .

مات فى عاشر ذى القعدة وكثر أسف الناس عليه ، بلغت^(٣) وفاته وأنا مع الحجيج بعرفة فعملت فيه مراثية تزيد على مائة بيت وهى مشهورة ، وعاش إحدى وثمانين سنة وربيع سنة . رحمه الله تعالى .

٢٢ - عميد^(٤) بن عبد الله الخرسانى الحنفى قاضى تمرلنك ، مات بعد رجوعه من

الروم فى هذه السنة .

(١) أمامها فى ه بخط الناسخ « كما أن المصنف رحمه الله كان أمير المؤمنين فى علم الحديث » .

(٢) عبارتا ابن حجبى واردةتان فى غير هذا الموضع فى ظ .

(٣) عبارة « بلغت وفاته وهى مشهورة » غير واردة فى ظ .

(٤) فى ز ، ه « عمره » ، وقد سمته الشذرات ٥٢/٧ بعيد نقلا عن ابن حجر ؛ انظر أيضا الفوه الاعم ٤/٤٦١ .

٢٣ - عنان بن مغامس بن رميثة بن أبي نعي الحسنى المكي ، يُكنى أبا نعا ، ولد بمكة سنة اثنتين وأربعين ، ورباه عمه سند بن رميثة لما قُتل أبوه ، فلما مات استولى على خيله وسلاحه وأثائه ، فأراد عجلان نزع ذلك منه لأنه وارث سند^(١) ففقر عنان منه ، ثم أرسل يؤمنه فعاد إليه فأكرمه وبالغ عنان في خدمته حتى كان عجلان يقول : « هنيئاً لمن له ولد مثل عنان » ، ثم تزوج بابنة عمه أم السعود^(٢) واختص بوالدها أحمد بن عجلان ، ثم تنكر له أحمد فذهب عنه عنان إلى صاحب حلي ، ثم توجه عنان وحسن بن ثقبه إلى مصر وبالغا في الشكوى من أحمد بن عجلان ، واتفق كون كبيش بن عجلان بمصر فساس الأمر إلى أن رجع عنان ومعه مراسم السلطان بإعطائه ولحسن ما التمساه ، فلم يوافق عجلان على ذلك ، ففقر عنان وحسن بن ثقبه منه فردهما أبو بكر بن سنقر أمير الحاج ، فلما عادا ورجع أبو بكر بالحاج قبض عليهما أحمد بن عجلان وعلى أخيه محمد وعلى أحمد بن ثقبه وابنه على ، وسجن الخمسة ، ففقر عنان وتوصل إلى مصر وذلك في سنة ثمان وثمانين وجرت له في هربه خطوب ، فاتفق موت أحمد بن عجلان وولاية ابنه محمد ، فبادر إلى كحل المسجونين فبلغ ذلك الظاهر فغضب فأرسل إلى^(٣) محمد بن أحمد بن عجلان من قتلك به لما دخل الحاج مكة ، واستقر عنان أمير مكة ودخل مع أقبای المارداني أمير الحاج ، ووقع الحرب بينه وبين بني عجلان فهزمهم .

فلما رجع الحاج تجمع كبيش بن عجلان ومن معه وكبسوا جُدة ونهبوا أموال التجار فلم يقاومهم عنان واحتاج إلى تحصيل مال أخذه من المقيمين من أهل مكة من التجار وغيرهم ليرضى به من معه ، وأشرك معه في الإمرة أحمد بن ثقبه وعقيل بن مبارك ودعا لهما معه ، ثم اشرك معهم على بن مبارك ففترق الأمر وكثر الفساد ، فبلغ السلطان ذلك فأمر على بن عجلان على مكة ، فقاتله عنان خارج مكة سنة تسع وثمانين ، فقتل في الواقعة كبيش وجماعة ، وانهمز على ومن معه إلى الوادي ، فلما قدم الحاج فرّ عنان إلى نخلة ، وقام على بن عجلان

(١) « سعد » في ز .

(٢) في الضوء اللامع ، ٦٦٤/٥ « المسعود » .

(٣) في هامش هـ . بخط الناخب « بيان محمد بن أحمد » .

بإمرة مكة ، فلما رجع الحاج عكف عنان على وادى مرّ وعلى جدّة وكتبَ السلطان ، فكتب بأن يشترك مع علي بن عجلان في الإمرة فلم يتم ذلك ، وقدم مصر سنة تسعين فلم يقبل عليه السلطان وسُجن في أيام تغلبٍ منطاش .

فلما عاد الظاهر للملك أعادهُ إلى الإمرة شريكا لعل بن عجلان فسار إلى ينبع ، فحاربه وبيّر بن نخيار أمير ينبع فظهر عليهم ونزل الوادى في شعبان سنة اثنتين وتسعين ، ثم دخل مكة ودعى له إلى رابع صفر سنة أربع وتسعين ، ثم وثبوا عليه ليقتلوه وهو في الطواف ففرّ ، وفي غضون ذلك فسدت الطرقات بالحجاز ، فأرسل السلطان فأحضر عنانا وعليا فدخلوا مصر في جمادى الآخرة ، فأفرد عليا بالإمرة وأمر عنان بأن يقيم بمصر ، ورتب له ما يقوم به ثم سُجن بالقلعة في سنة خمس وتسعين ، ثم نُقل في أواخر سنة تسع وتسعين إلى الإسكندرية هو وجماز^(١) بن هبة أمير المدينة ومعهما علي بن مبارك بن ثقبه ، ثم أعيد عنان إلى القاهرة في آخر سنة أربع وثمان مائة فمرض بها ومات يوم الجمعة مستهلاً شهر ربيع الأول .

وكان شجاعا كريما له نظم ، قليل الحظ في الإمارة ، وافر الحظ في الخلاص من المهالك إلى أن حضر أجله في ربيع الأول وله ثلاث وستون سنة .

٢٤ - عيسى بن محمد بن محمد الحجاجي أبو الروح الصوفي ، ولد في ثالث عشر جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين ، وكان ظريفاً لطيفاً^(٢) معروفاً بذلك .

٢٥ - كلثم بنت الحافظ تقي الدين محمد بن رافع السلامي الدمشقية ، تكنى أم عمر ، سمعت من عبد الرحيم بن أبي اليسر حضورا وغيره . وأجازت لي قديما وماتت في ربيع الأول .

(١) راجع الضوء اللامع ٣/٣٠٧ .

(٢) عنون في ظ ، وأمامها في الهامش بخط ابن حجر نفسه « تخر سنة وفاته » ، وقد نقل الضوء اللامع ٦/٥٠٦ .

ترجمته هناك عن الإنباء .

٢٦ - محمد بن أحمد بن إبراهيم بن حمدان الأذرعى ، شمس الدين ، سمع على صالح الأشنهي^(١) والميدومى وغيرهما ، وولى خطابة جامع شيخون ومشيخة الجامع الجديد بمصر ، وكان حسن السميت ، مات فى رابع عشرى ذى القعدة وله بضع وستون سنة . سمعتُ منه .

٢٧ - محمد بن أحمد بن محمود النابلسى ثم الصالحى شمس الدين الحنبلى ، ولى قضاء الحنابلة بدمشق ثم أسر مع اللنكية ثم نجا من بغداد وعاد فتولّى قضاءها ثم مات ، وكان له اشتغال فى العربية وغيرها ، وكان فى أول أمره خياطاً بنابلس ، ثم اشتغل على شمس الدين بن عبد القادر ، وقدم دمشق بعد السبعين وحضر درس أبى البقاء ، ثم شهد على القضاة واشتهر فصار يُقصد فى الاشتغال واستقر كبير الشهود ، ثم وقع بينه وبين القاضى علاء الدين بن المنجا فسعى عليه فى القضاء فولى سنة ست وتسعين وسبعمائة ، واستمر القضاء نوباً بينهما ، ثم دخل مع التمرية فى أذى الناس ونُسبت إليه أمور كثيرة وأخذ أسيراً معهم فهرب من بغداد وكانوا قد حكموا بفسقه لِمَا تعاطاه مع التمرية من الأمور المنكرة فعاد فى المحرم سنة أربع فلم يبال بذلك ، وسعى فى القضاء فعزل به تقي الدين بن المنجا ومات بعده بأيام يسيرة ، ولم يكن مرضياً^(٢) فى الشهادة ولا فى القضاء ، وهو أول من أفسد قضاء دمشق وباع أكثرها بالطرق الواهية .

٢٨ - محمد بن أحمد الهارونى المصرى^(٣) ، كان ممن يعتقد بمصر وكان مجذوباً وكان أهل مصر يلقّبونه « خفير البحر » . مات فى صفر .

٢٩ - محمد^(٤) بن أحمد البهنسى ثم الدمشقى ، جمال الدين الشافعى ، اشتغل بالقاهرة وحفظ « المنهاج » واتصل بالقاضى برهان الدين بن جماعة ، فلما ولى قضاء الشام استنابه

(١) نسبة إلى أشته (بضم الهزّة وسكون الشين وفتح النون) قرية من قرى أذربيجان ، راجع عنها بالتفصيل لسترايخ : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ١٩٩ - ٢٠٠ ، وانظر عن الأشنهي الدرر الكامنة ١٩٧٣/٢ .

(٢) ورد فى قضاء دمشق ص ٢٨٧ - نقلاً عن ابن حجر - عبارة تقرب من عبارة المتن من حيث ترجمته فى الشهادة والقضاء ، وانظر أيضاً النعمى : الدارس فى تاريخ المدارس ٤٦/٢ - ٤٧ حيث نسب إليه السعى فى أذى الناس وأخذ أموالهم .

(٣) فى ز ، ٥ ، والضوء اللامع ٣١١/٧ « المصرى » ، ولكنها « البصرى » فى ك .

(٤) نقل الضوء اللامع ٢٧٥/٧ وكذلك شذرات الذهب ٥٣/٦ هذه الترجمة برمتها .

واعتمد عليه في أمور كثيرة ، وكان حسن المباشرة مواظباً عليها وعنده ظرف ونوادير ، وكان مقلا مع العفة ، ولما وقعت الكائنة العظمى بدمشق فرّ إلى القاهرة واستنابه القاضي جلال الدين [البلقيني] ومات في ذى القعدة .

٣٠ - محمد بن إسحق بن أحمد بن إسحق الأبرقوهي^(١) ثم الشيرازي ، غياث الدين نزيل مكة ، كان عارفا بالطب وله فيه تصنيف . مات بمكة في جمادى الأولى وله ثمانون سنة ، وكانت له قبل ذلك مكانة عند شاه شجاع ، وهو الذي تولّى له عمارة الرباط بمكة .

٣١ - محمد بن أيوب بن عبد القادر بن بركات بن أبي الفتح ، بدر الدين الحنفي^(٢) .

٣٢ - محمد بن عبد الله الخواص أحد من كان يُعتقد بمصر . مات بالوراريق في

جمادى الآخرة .

٣٣ - محمد بن محمد بن عبد المحسن بن عبد اللطيف قاضي القضاة تقي الدين بن

رزين العامري^(٣) الحموي ثم المصري علاء الدين ، سمع من جدّه لأمه سراج الدين الشطنوفي وحدثنا عنه قليلا ولم يكن متصاوتا ، خطب بالجامع الأزهر وباشر أوقافا ، ومات في رمضان .

(١) نسبة إلى أبرقوه (بفتح الألف والياء وسكون الراء وبضم القاف) وهي بلد مشهور بأرض فارس من كورة إصطخر ، ويقال لها أيضا أبرقوية ، وأحيانا برقوة ، وانظر عراصد الاطلاع ١٤/١ ولستراج : بلدان الخلافة الشرقية ص ٣٢٠ - ٣٢١ حيث ذكر ما قاله الجغرافيون العرب عنها .

(٢) ذكر الضوء ٣٦٨/٧ بعد هذا قوله « ويبيض له (أي ابن حجر في الإنباء) وليس هو من شرطه فوفاته إنما هي خمس وسبعمائة لا ثمانمائة ، وجده عبد القاهر لا عبد القادر » ويشير السخاوي في هذا إلى ما ذكره ابن حجر في الدرر الكامنة ٣/٣٥٦٤ حين ترجم لمحمد بن أيوب بن عبد القاهر التادق الحنفي ، وجعل وفاته سنة ٧٠٥ ، هذا وقد خلت شذرات الذهب ١٣/٩ - ١٤ من الإشارة إليه .

(٣) « المعامري » في ز ، و « العامري » في الضوء ٣٣٤/٩ .

٣٤ - محمد بن محمد بن محمد الدمشقي المالكي ، علم الدين بن ناصر الدين القفصي^(١) ،
 ولى قضاء دمشق إحدى عشرة مرة في مدة خمس وعشرين سنة أولها في رجب سنة تسع وسبعين ،
 وياشر فيها ثمانى سنين وعشرة أشهر ومات وهو قاضى ، وقد ولى قضاء حلب مراراً . وكان
 عفيفاً له عناية بالعلم مع قصور فهم ونقص عقل ، وكان جدّه قد قدم إلى دمشق سنة تسع
 عشرة فتاب في الحكم ، وكان أبوه جندياً ثم ألبس ولده كذلك ، ثم شغله بالعلم وهو كبير ،
 ودار به في الدروس ، « واشتغل^(٢) كثيراً في الوقعة الكبرى بماله وأسرت له ابنة ، وسكن
 عقب الفتنة بقرية من قرى سمعان إلى أن انزاح الططر عن البلاد فرجع إلى حلب على
 ولايته » ، وقال : « وكان بيننا صعبة وكان يكرمنى وولائى عدة وظائف علمية ، ثم توجه مز
 حلب إلى دمشق فقطنها وولى قضاءها ومات بها في المحرم ولم يكمل الستين وهو قاضى دمشق »

٣٥ - محمد بن محمد بن محمود السلعوس ، شمس الدين الدهشقي التاجر ، كان^(٣)
 رجلاً خيراً ، حدثنا عن ابن أبي التائب بجزئين سمعتهما منه بدمشق .

٣٦ - محمد بن يوسف الإسكندراني المالكي ، كان فقيه أهل الثغر ، درس وأفتى
 وانتهدت إليه الرياسة في العلم ، وكان عارفاً بالفقه مشاركاً في غيره مع الدين والصلاح .

٣٧ - محمود بن عبد الله الصامت أحد من كان يُعتقد بمصر ، وكان شكلاً بهياً حسن
 الصورة منور الشيبة ، وكان لا يتكلم ألبتة ، أقام بالجيزة مدة طويلة وللناس فيه اعتقاد
 كبير . مات في ذى العقدة .

(١) ذكر الضوء اللامع ج ٩ ص ٦٨ حاشية رقم ١ ، ج ٢٢١/١١ بفتح أوله ثم فاء مهمله ، نسبة إلى قفصة
 من بلاد المغرب قريبة من القيروان ، وعرفها مرصد الاطلاع ١١١٣/٢ بأنها (بسكون الفاء) بلدة صغيرة في طرف
 إفريقية من ناحية الغرب من عمل الزاب الكبير .

(٢) الواقع أن الكلام من هنا حتى نهاية الترجمة مأخوذ من القاضي علاء الدين في ذيل تاريخ حلب كما يستفاد ذلك من
 شذرات الذهب ٥٣/٧ خصوصاً وأن ابن حجر يشير (ص ٨) ويقول « قال » يعنى بذلك القاضي علاء الدين ، هذا وقد
 وضعنا كلام القاضي بين قوسين تمييزاً له عن كلام ابن حجر نفسه .

(٣) عبارة « كان رجلاً خيراً » غير واردة في ظ .

٣٨ - محمود بن محمد بن إبراهيم بن محمود بن عبد الحميد بن هلال الدولة ،
واسمه^(١) عمر بن منير الحارثي الدمشقي موقع ، الدست بدمشق ، كان كاتباً مجوداً ناظماً
ناثراً ولم يكن ماهراً ، وكان ابن الشهيد^(٢) يعتمد عليه ، وكان مشهوراً بالخفة والرقاعة
والضنانة بنفسه ، أخذ عن صلاح الدين الصفدي وغيره ، وسمع من إبراهيم بن الشهاب
محمود^(٣) ، وأجازت له زينب بنت الكمال . مات بالقاهرة فجأة وله فوق الستين ،
فإن مولده سنة ثلاثين أو^(٤) إحدى وثلاثين .

وعنوان شعره أن بعض الرؤساء أعطاه فرجية خضراء فأنشده :

مَدَحْتُ إِمَامَ الْعَصْرِ صِدْقًا بِحَقِّهِ
وَمَا جِئْتُ فِيهَا قَلْتُ بَدْعًا وَلَا نُكْرًا
تَبِعْتُ أَبَا ذَرٍّ بِمِصْدَاقِ لَهْجَتِي
فَمِنْ أَجْنَلٍ هَذَا قَدْ أَظَلَّتْنِي الْخَضْرَاءُ

٣٩ - محمود بن محمد بن عبد الله العينتابي بدر الدين الحنفي العابد الواعظ ،
أخذ في بلاد الروم عن الشيخ موفق الدين وجمال الدين^(٥) الأقفصانيين ، ثم قدم عينتاب

(١) الضمير هنا عائذ على « هلال الدولة » وليس على صاحب الترجمة انظر السخاوي : ، الضوء اللامع ، ٥٧٣/١٠ .
(٢) هو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الأمير صارم للهين البشيشي المولد المهندار ، كان أبوه كاتب سر مدينة بشيش
وتول المهندارية سنة ٨٢٠ هـ ، ومات سنة ٨٤٦ هـ ، راجع عنه الضوء اللامع ج ١ ص ١٢٦ .
(٣) لعله يقصد بذلك إبراهيم بن محمود بن إبراهيم بن محمود بن عبد الحميد بن هلال الدولة عمر بن منير الحارثي
وقد سمع منه بعض الأعلام كابن فهد فإن صح هذا الفرض كان ابن شهاب أصغر منه بكثير ، انظر الضوء ج ١ ص ١٧٠ .
(٤) إذا جاز أن يكون مولده سنة ٧٣٠ أو ٧٣١ وهو ما ذكره أيضا السخاوي في الضوء ٥٧٣/١٠ ص ١٤٤
س ١ - ٢ فإنه يكون قد مات وقد جاوز عمره الخامسة والسبعين وليس فوق الثنتين فقط ، كما أنه ورد في الشذرات ٥٤/٧
أنه مات « وله فوق الستين » ولكن لم يورد الشذرات سنة مولده .
(٥) هو المتوفى سنة ٧٩٩ ، انظر ، إنباء القمر ، ج ١ ص ٥٤١ ترجمة رقم ٥٤ ، وشذرات الذهب ٣٩٢/٦ .

فنزل بجامع مؤمن مرة يذكر الناس ، وكان يحصل للناس في مجلسه رقة وخشوع وبكاء ، وتاب على يديه جماعة ؛ ثم توجه إلى القدس زائراً فأقام مدة ثم رجع إلى حلب فوعظ الناس بالجامع العتيق ، قال البدر العينتابي : « أخذت عنه في سنة ثمانين تصريف العزى والفرائض السراجية وغير ذلك » وذكره فيمن مات في هذه السنة ثم قال : « ذكرته في هذه السنة تبركا ، وقد مات قبل^(١) ذلك بكثير كما تقدم » .

٤٠ - محمود [خان] الطقتمشي المغلى [من ذرية جنكز خان] ، كانت السلطنة باسمه وهو مع اللنك ، وليس له من الأمر شيء ، ولما رجعوا^(٢) مات محمود في هذه السنة .

٤١ - مريم بنت أحمد بن أحمد بن قاضي القضاة شمس الدين محمد بن إبراهيم الأذرعى ، أم عيسى ، سمعت الكثير من على بن عمر الوائى^(٣) وأبي النون الدبوسى^(٤) والحافظ قطب الدين الحلبي وناصر الدين بن سمعون وغيرهم ، وأجاز لها التقي الصائغ وغيره من المسنين بمصر ، والحجار^(٥) وغيره من الأئمة بدمشق ، خرَّجتُ لها معجماً في مجلدة ، وقرأتُ عليها الكثير من مسموعاتها وأشياء كثيرة بالإجازة ، وهى أخت الشيخ شمس الدين المقدم^(٦) ذكره في هذه السنة . عاشت أربعاً وثمانين سنة ونعم الشيخة كانت

(١) لم يجد السخاوى : الضوء اللامع ٥٨١/١٠ سنة وفاته وإنما عقب على عبارة العيني التي نقلها ابن حجر في المتن بقوله : « وهذا من البدر عجيب » وقد أورده الشدرات ٥٤/٧ في وفيات هذه السنة أيضاً وإن أشار إلى عبارة العيني بدون تعليق . هذا وقد ترجم له ابن الصيرفى : نزهة النفوس ، ورقة ٧٣ ب مع إشارته إلى أنه مات حوالى سنة ٨٧٠ هـ .

(٢) أى لما رجع التتار من قتال الشام .

(٣) هو على بن عمر الوائى أنخلاطى الصوفى المعروف بابن الصلاح ، وقد جعل ابن حجر وفاته في الدرر الكامنة ٢٨٢٧/٣ في سنة ٧٢٢ هـ ، وإن أدرجه الشدرات ٧٨/٦ في وفيات سنة ٧٢٧ وكذلك السلوك ٢/٢٩٠ ، على أن شدرات الذهب سماه « بالدانى » ولكن راجع صفة « الوائى » في تحقيق الدكتور زيادة فى المقرئى : السلوك ٢/٢٩٠ حاشية رقم ٣ .

(٤) فى الأصول « الدبوس » وهو خطأ .

(٥) فى الضوء اللامع ٧٥٧/١٢ « الحجاز » ولكن لم أجد لها رحلة إلى الحجاز حتى تسمع على من به .

(٦) راجع ما سبق ، ص ٢٥٠ ، ترجمة رقم ٢٦ .

دينًا وصيانةً ومحبةً في العلم ، وهي آخر من حدّث عن أكثر مشايخها المذكورين ، وقد سمع أبو العلاء الفرضي من يونس الدبوسى وسمعت هي منه^(١) ، وبينهما في الوفاة مائة وبضع سنين .

٤٢ - أبو يزيد^(٢) بن مراد باك بن أرخان باك بن سليمان بن عثمان ، تقدّم ذكره في الحوادث وكانت مملكته قد اتسعت إلى أن ملك سيواس بعد برهان الدين أحمد واستولى على البلاد القرمانية أيضا ، وحاصر ملطية بعد موت الظاهر فأخذها بالأمان ورفق بأهلها فسلموا من النهب وغيره ، وكان يؤثر العدل ويحب العلماء ويكرمهم ، ثم قصده اللنك كما قدّمنا فمات في أسره ، وقيم اللنك البلاد على من كانت بيده قبل استيلاء ابن عثمان عليها ثم رجع إلى بلاد الشرق ، وكان هذا دأبه إذا بلغه عن مملكة كبيرة وملك كبير لا يزال يبالغ في الاستيلاء عليها إلى أن يحصل مقصوده فيتركها بعد أن يخربها ويرجع ، فعَلَّ ذلك بالشرق كله وبالهند والشام والروم إلى أن أهلكه الله تعالى .

٤٣ - يوسف بن أحمد الملكاوى ، جمال الدين ، أحد الفضلاء بدمشق ، وكان يميل إلى اعتقاد الحنابلة مع الدين والخير ، درس وخطب ومات في شوال .

* * *

(١) الضمير في كلمة « منه » عائد على يونس بن إبراهيم بن عبد القوى الدبايسى المسند المعمر ، انظر عنه الدرر الكامنة ١٩٢/٥ وشذرات الذهب ٩٢/٦ ، أما قول ابن حجر في اللّن أعلاه « وبينهما في الوفاة مائة وبضع سنين » فيقصد بها ما بين وفاة مريم وابن الفرضي المتوفى سنة ٧٠٠ ، وهذا ما نصت عليه شذرات الذهب ٤٥٧/٥ ، ٤٥٨ . وابن الفرضي هذا هو الإمام الحافظ شمس الدين أبو العلاء محمود بن أبى بكر بن أبى العلاء التجارى الحنفى الذى كان إماماً في الفرائض ومن ثم سُمى « بالفرضي » .

(٢) أمامها في هامش هـ « سلطان بايزيد خان العثافى » ، ثم « ابن عثمان » ثم بخط البقاعى « تقدم في سنة ست وتسعين مراد بن أردخان أردن بن على بن عثمان بن سليمان بن عثمان » ثم بخطه أيضا : « هذا فيه أن أبا يزيد كنية ، والذى رأيت بخط شيخنا علامة القراءات في زمانه الشمس بن الجزرى أنه « اسم » وهو أعرف بهم ، فإنه كتب في ساج في مدينة من أعمال برصة فقال مانصه : « دار ملك الملك العادلى بايزيد بن السعيد الشهيد مراد بن المجاهد أردخان » ، ثم تعليق بخط غير خطى الغاسق والبقاعى : « ما ذكره الشيخ الجزرى هو الصحيح وقد قدّمنا ذكر الصحيح في نسبة في الهامش » .

* * *

سنة ست وثمانى مائة

فى ثالث المحرم وصل رسل نمرلنك الذين قدمنا ذكرهم .

وفى رابع المحرم - بعد أن أمسك^(١) السالى - قرر ركن الدين عمر بن قايماز فى الأستادارية وتوارى ابن البقرى فطلب جمال الدين ليستقر وزيراً فاستغنى من ذلك وصمم وأشار بأن يستقر [أبو كم] فى الوزارة ونظر الخاص فأقام خمسة عشر يوماً ، ثم ظهر ابن البقرى فأعيد إلى الوزارة ونظر الخاص مضافاً إلى نظر الجيش ، ثم أرسل إلى الإسكندرية فى صفر بهد أن كان سلم لابن قايماز فحبسه فى مكان كان السالى أعده لحبس من بصادر وكان ابن قايماز سكن فى بيت السالى بإذن من السلطان ، ثم نقل السالى إلى الإصطبل عند أمير آخور فعرضت عليه آلات العقوبة بحضرة السلطان فكتب خطه بمال جزيل فسلم لشاذ الدواوين ليستخلصه منه . وكانت ولايته لذلك فى هذه الأيام مضافة إلى ولاية القاهرة والحجوية ، وشرع السالى فى بيع ثيابه وكتبه ، ورفق به الوالى فحمل ما قدر عليه .

وفى الثالث من المحرم وصلت الرسل^(٢) المتوجهة بأظلمش إلى اللنك ومعهم علمان أخضران وهدية للسلطان وهى فيل كبير وفهدان وصقران وملبوس للسلطان على صورة الخلعة له من اللنك بأن يكون نائبه على الديار المصرية والشامية ، فدخلوا^(٣) القاهرة ، وكان بعض الرسل ينشر العلمين الأخضرين بيديه وهو راكب الفيل .

ولما كان فى السادس من المحرم عملت الخدمة بالإيوان وعرضت الهدية فأمر للرسل بالنزول فى دار الضيافة ولم يخلع عليهم ولا لبس الخلعة ، ومنع الناس من الدخول عليهم ، ثم أذن لهم فى الركوب والتعرف فى شوارع البلد والتنزه فى مواضع التنزه . وكان من جملة

(١) الوارد فى النجوم الزاهرة ١٢/٣٠٠ أنه باشر ثمانية أيام فقط ، « ثم اختفى » .

(٢) هؤلاء هم رسل تيمور لنك لا رسل السلطان ، وأسمائها فى هامش ه : « قد تكرر هذا » .

(٣) عبارة « فدخلوا القاهرة » غير واردة فى ظ .

الرسالة أن يتزوج الناصر بنت ملك من ملوك الشرق لتكمل المودة والمحبة ، وأقاموا مدة ثم كتبت لهم الأجوبة وتوجهوا مقهورين .

وفي أواخر المحرم رجم المماليك السلطانية الوزير بسبب تأخر معاليمهم ثم هرب في جمادى الأولى ؛ واستقر في الوزارة تاج الدين والى قطيا وأعيد ابن غراب إلى الأستادارية وأضيف له نظر الجيش وذلك (١) ، وقرر في نظر الخاص بدر الدين حسن بن نصر الله [الغوى (٢)] في خامس جمادى الأولى ، ثم أعيدت الوظيفتان - الوزارة ونظر الخاص - إلى ابن البقرى في أواخر جمادى الآخرة ثم هرب ثم أمسك في سابع عشر شوال منها واستقر بدر الدين بن نصر الله في الوظيفتين .

وفي ثالث عشر المحرم استقر شمس الدين الإخنائي قاضى الشام في قضاء الشافعية بالقاهرة عوضا عن الصالحى لما مات .

وفي أول جمادى الأولى استقر كريم الدين بن النعمان الهوى في حسبة القاهرة وكان اتصل بالسلطان وزادته فولاه الحسبة عوضا عن البجانسى ، فاتفق أن البجانسى مات بعد ثلاثة أيام ، ثم صُرف الهوى عن الحسبة بعد أيام واستقر شمس الدين الشاذلى ثم صُرف في عاشر المحرم واستقر محمد بن شعبان .

وفي رابع ربيع الأول صُرف الإخنائي عن قضاء الشافعية بالقاهرة واستقر القاضى جلال الدين البلقينى وهى المرة الثانية ، وصُرف ابن خلدون في ثالث ربيع الأول عن قضاء المالكية واستقر جمال الدين يوسف البساطى ثم أعيد الإخنائي ثم شعبان ، ثم صُرف في سابع ذى الحجة وأعيد البلقينى ، وهى الثالثة للبلقينى .

(١) فراغ في ز ، وفق إشارة لإضافة لم توجد ولكن لم يكتب ابن حجر في الهامش سوى كلمة « ذلك » .

(٢) الإضافة من النجوم الزاهرة ١٢/٣٠٢ .

(٣) راجع السلوك ، ورقة ٥٢ ب .

وفيها زاد فساد ممالك السلطان وأضرّوا بالمسلمين جدا واستلبوا النساء من الحمامات والصبيان من الطرقات للفساد بهم .

وفيها وصل الذين جرّدوا إلى الإسكندرية - بسبب الفرنج - سالمين .

• • •

وفيها نازل الفرنج طرابلس فأقاموا عليها ثلاثة أيام ، فبلغ ذلك نائب الشام فنهض إليهم مسرعاً فانهزموا وأوقع بهم ، وكان ذلك مبدأ سعادته ؛ ثم توجه الفرنج إلى بيروت وكانوا في نحو أربعين مركبا فواقعهم دمرداش ومن معه من الجند والمطوّعة ، وقتل بعض الناس من الفريقين وجرح الكثير ، وكان نائب الشام يبعلبك فجاءه الخبر فتوجه من وقته وأرسل إلى العسكر يستنجده ومضى على طريق صعبة مشقة إلى أن وصل إلى طرابلس في العشرين من المحرم ، ثم توجه من فوره إلى بيروت فوجدهم قد نهبوا ما فيها وأحرقوها ، وكان أهلها قد هربوا إلى الجبال إلاّ المقاتلة منهم ، فوقع بين الفريقين مقتلة عظيمة ، فأمر النائب بإحراق قتلى الفرنج ، ثم توجه إلى صيدا وتبعه العساكر فوصل إليها وقد أخذ الفرنج من البهار الذي للكتلان شيئا كثيرا ، فوصل النائب بالعسكر فوجدهم في القتال مع أهل صيدا ولم يتقدمه أحد ، بل كان معه عشرة أنفس لا غير فحمل على الفرنج فكسروهم ففروا إلى مراكبهم وكرّوا راجعين إلى ناحية بيروت ، ثم نزلوا لأخذ الماء فمانعهم بعض أصحاب النائب فغلبوه على الماء وأخذوا حاجتهم وتوجهوا إلى جهة طرابلس . ثم مروا منها إلى الماغوصة فركّز النائب طائفة بصيدا وطائفة ببيروت وتوجه إلى دمشق ، وكانت مدة غيبته دون نصف شهر .

ولما رجع لاقاه الناس فلام القضاة على تأخرهم عن الغزاة ، فأجابه الحنفى بجواب أغضبه ، فأهانته واستهزأ به .

• • •

وفيهما في^(١) ليلة الرابع عشر من المحرم توقف^(٢) النيل بمصر عدة أيام ، فاتفق^(٣) خسوف القمر بتمامه وهو في برج الدلو بحيث لم يبق من ضوءه شيء أصلاً ، فاستشعر الناس عدم الزيادة ، فأمر الخطباء أن يستسقوا في الخطب ففعلوا ، فزاد في الجمعة التي يليها واطمأن الناس بعد أن اضطربوا ، ثم توقف ؛ فمضت مسرى من شهور القبط ولم يوف ، ثم نزل لإصبعين في أيام النسيم ثم لإصبعين ، فبادروا^(٤) في أول يوم من توت - وهو في العشرين من صفر - وخلطوا المقياس وكسروا السدّ بغير وفاء ، ثم لم يزد ذلك سوى نصف ذراع ، ثم انهبط دفعة واحدة فلم يصبح في الخلجان ماء ، وشرق^(٥) غالب البلاد وذعر الناس بسبب ذلك ، وذلك في صفر . وخرج القاضي جلال الدين ماشياً إلى الجامع الأزهر بعد الظهر فاستمر فيه إلى العصر في الدعاء والتضرع والقراءة ، وانضم إليه جمع قبل ذلك ، فبلغ ذلك القضاة وشيوخ الخوانق فاستمروا إلى قرب المغرب ، وذلك في تاسع صفر .

ثم توجه إلى الآثار يوم السبت ثالث عشر صفر فوضعها على رأسه وهو واقف في المحراب يتضرع ويبكى ويدعو ، ثم رجع في أول ربيع الأول ووقع الغلاء في القمح ، واشتد الأمر وشرق غالب البلاد ، وقدّر الله تعالى أن الذي وقع فيه الرى من البلاد زكت الأرض بالزرع حتى جاء الفدان الواحد من الشعير بالفيوم واحداً وسبعين إردباً بكييل الناحية ، يكون بالكييل المصرى مائة إردب ، وجاء الفدان في غير الفيوم بثلاثين إردباً إلى عشرة

(١) عبارة « في ليلة الرابع عشر من المحرم » غير واردة في ظ ، ويلاحظ أن الأخبار المتعلقة بفيضان النيل في هذه السنة وردت في أماكن متفرقة من ظ ، واعتمدنا في إيرادها بالمتن على الصورة التي جاءت بها في بقية النسخ الأخرى المذكورة في هذا الجزء من التحقيق .

(٢) راجع في وصف هذا الانخفاض عقد الجمان ٣/١٩٨ ، والنجوم الزاهرة ١٢/٣٠١ .

(٣) وردت هذه العبارة في هامش ١٨٢ أ في ظ بصورة أخرى هي : « فاتفق أن خسف القمر في ليلة الرابع عشر خسوفاً تاماً بحيث لم يبق من ضوءه شيء » .

(٤) الوارد في السلوك ٥٢ أ « السبت ١٨ = ٢٥ مصرى » ولعلها ٢٩ مصرى ، على أنه ورد في التوقيفات الإلمامية ، ص ٤٠٣ ، قوله : « في هذه السنة توقف النيل عن الزيادة إلى ثالث أيام النسي ثم نقص ولم يف » ، كما أنه يستفاد من نفس المرجع أن ليلة ١٤ محرم سنة ٨٠٦ هـ توافق التاسع من مسرى سنة ١١١٩ ق .

(٥) عبارة « وشرق غالب البلاد » غير واردة في ظ .

وثمانية ، وخرج الناس إلى الصحراء يستسقون بعدصيام ثلاثة أيام ، فخطب^(١) بهم الحافظ زين الدين العراقي في أوائل ربيع الآخر ثم رجعوا ؛ وتزايد السعير في القمح وجميع الغلال إلا أن المأكولات كثيرة جداً ، والشراء ماشى الحال ، وأعيد البجانسي في هذه الحالة إلى الحسبة .

وفي ربيع الأول استقر شمس الدين ألبيري - أخو جمال الدين يوسف الأستاذار - في قضاء الشافعية بحلب ، وهي أول نباهة أخيه جمال الدين بالقاهرة ، وذلك أنه عمل أستاذية سودون طاز ثم أستاذية سودون الحمزاوي ثم عمل أستاذية بيبرس ابن عمه السلطان في سنة خمس وثمان مائة ، فظهر حسن مباشرته وأهل للوظائف الكبار ، وعين للوزارة فامتنع وأصر على ذلك وصارت له كلمة نافذة ، وأحبه الناس .

وفي^(٢) جمادى الآخرة حصل بالقاهرة سعال عقب هبوب ريح جنوبية شديدة البرد كثيرة الرطوبة ، وفشا السعال ثم الحمى ، وجاء الشتاء شديداً أزيد من العادة ، ففشى الموت في أهل المسكنة ، وكان يموت بالجوع والبرد كل يوم فوق الألف ، وقام أهل المروعة بتكفين من يموت منهم مثل سودون المارديني وسعد الدين بن غراب ، خارجاً عما يكفون من المرستان ووقف الطرحاء ، فيقال كان عدة من تكفل ابن غراب بمواراته - إلى صلح شوال - إثني عشر ألف وسبعمائة نفس .

وفي شوال تزايد هبوب الريح المريسي فكثرت الأمراض ووقع الطاعون بالأمراض الحادة ، وغلت الأدوية حتى بيع التمدح الواحد من لب القرع بمائة درهم ، وبيع الرطل الشرخشيك^(٣)

(١) أشار السخاوي في الضوء اللامع ، ج ٤ ص ١٧٤ س ٢٣ وما بعده أن آخر ما أملاه الشيخ كان في صفر ٨٠٦ هـ لما توقف النيل وشرق أكثر بلاد مصر ووقع الغلاء المفرط ، وختم المجلس بقصيدة أولها :

أقول لمن يشكو توقف نيلنا سل الله يمدده بفضل وتأيد

(٢) العبارة من هنا حتى « بدرهم ونصف » ص ٢٦١ س ٢ تكاد تكون نفس عبارة العيني في عقد الجمان ، ج ٣ ، لوحة ٢٠٢ .

(٣) في « الشرخشك » ، وفي عقد الجمان ٢٠٢/٣ « الشرخشك » هذا وقد ورد في الجامع لمفردات الأدوية لابن البيطار ، ج ٣ ص ٧٥ ، قوله عنه إنه ظل يقع من السماء ببلاد المعجم على شجر الخلاف بهرة ، وهو حلوى الاعتدال ، وهو أقوى فعلا من الزنجبيل ونحو أنفاله « وذكره باسم « شيرخشك » .

مائة وثلاثين ، والقنطار البطيخ الصيني بثاني مائة درهم ، والفروج الواحد بسبعين درهما
والزهرة الواحدة من النيلوفر^(١) بدرهم ، والخيارة الواحدة البلدية بدرهم ونصف .

وفي رجب غلت الأسعار جدا حتى وصل القمح إلى أربعمائة ، وهو بالذهب خمسة مثاقيل ،
والفول والشعير إلى مائتين وخمسين ونحو ذلك .

وفي ذى الحجة غلت الأنعام لأجل النحر حتى بيع العجل الصغير بألفي درهم .

* * *

وفي أوائل هذه السنة عُزل دقماق عن نيابة حلب وأمر بمجيئه إلى القاهرة ، واستقر
عوضه آقبغا الجمالي الأطروش ، فهرب دُقَمَاق ، ثم مات آقبغا في وسط هذه السنة فجاء
دُقَمَاق وقد جمع جمعا كبيرا من التركمان فاستولى على حلب ، فقرّر السلطان دمرداش
نائب طرابلس^(٢) في نيابة حلب ، وقرّر في نيابة طرابلس الشيخ^(٣) السليمانى [المرطن] وكان
نائب صفد ، وقرّر في نيابة صفد بكتمر^(٤) جلق وكان من أمراء دمشق .

ولما استقرّ دمرداش [المحمدي] بحلب^(٥) كاتب نعيّر فيه إلى الناصر بأنه جمع جماعة
وعصب عصبية وكذلك دقماق ، وأن كلا منهما لا يصلح للإمرة ، وأن نعييرا التزم أنه
لا ينصر واحدا منهما ويشير بأن يوتئى غيرهما ليكون معه من جهة السلطان .

* * *

وفي رجب تجهز رسل تمرلنك .

(١) في ك « النوفر » . وجاء في هامش ه بخط البقاعى « العبارة المتعارفة نوفر ، واللغوية نيلوفر أونينوفر » وقد جاء في
معجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابى (مطبعة الجمهورية السورية ، سنة ١٩٤٣) ص ٤٤٣ قوله : نيلوفر
ونينوفر ، وهما من الفارسية ، والكلمة الفارسية من السنسكريتية ، والإسم العلمى Nymphaea من اليونانية ، وهى
آفة الماء ، والإسم الفرنسى Nénufar من الإسم العربى ، أى المغرب قديما ، وهو جنس نباتات مائة من فصيلة
النيلوفريات ، فيه أنواع تثبت فى الأنهار والمناقع ، وأنواع تزرع فى الأحواض لورقتها وزهرها ه .

(٢) وكان إذ ذاك دمرداش المحمدي .

(٣) فى ه : « شيخ السلطانى » .

(٤) أنظر السخاوى : الضوء اللامع ٣/٣٨ ، وستراد ترجمته فى وفيات ٨١٥ .

(٥) كان استقراره فى نيابة حلب فى شهر رجب ٨٠٦ بعد موت نائبها الأمير آقبغا الجمالى الأطروش .

وفيهما توجه تمرلنك بعساكره إلى سمرقند بسبب جماعة خانوه في أموال أرسلها معهم إلى بعض القلاع فعصوا عليه ، وكان بعد رجوع اللنك عن بلاد الروم ، وأغار على بلاد الكرج فنازلهم وأبادهم ولم يزل يحاصرهم إلى أن غلب عليهم وطلبوا الأمان فأمنوا ، وشفع فيهم الشيخ إبراهيم الحاكم بشيروان فشفعه وصالحهم على مال ورحل عنهم .

وفيهما توجه مُنكلي بَغًا رسولاً هدية إلى تمر من الناصر فرج وفيها زرافة ، فدخلوا حلب يوم عيد الفطر سنة ست ، وكان الناصر قد وردت عليه هدية تمر بالفيل وغيره ، وتوجهوا في شوال .

وفيهما في الثامن من شعبان زلزلت حلب وأعمالها زلزلة شديدة وخربت أماكن كثيرة ، وزلزلت قبل ذلك في يوم الجمعة ثالث جمادى الآخرة وقت الاستواء ثم سكنت ، ثم زلزلت زلازل كثيرة متفرقة في طول السنة ، وكانت الزلازل^(١) بالجهة الغربية منها^(٢) أكثر .

* * *

وفي ذى الحجة أفرج دمرداش - لما تحوّل من طرابلس إلى حلب - عن صودون طاز وجكم الدويدار ، وكان دمرداش أخرج جكم من السجن بالمرقب وصحبه معه في حركاته ، ثم سجنه لما حارب التركمان بالقصر ثم أفرج عنه وأخذته معه إلى حلب ثم فر منه إلى حماة ثم إلى أنطاكية ، فلما أوقع دمرداش بأمير^(٣) أنطاكية ورجع إلى حلب وصل الأمر السلطاني بالإفراج عن جكم وأن يسكن حيث شاء من البلاد ، فتوجه إلى طرابلس فاستولى عليها وأخرج شيخاً السلياني - نائبها - عنها ، ثم نازل حلباً ، فهزم دمرداش ودخلها عنوة ، فاستقرت قدمه بها إلى أن اتفقت حركة يشبك في ركوبه على السلطان ، ثم انهزم ومن معه إلى الشام ، واقتضى رأيهم خلع الناصر من الملك ، فكاتبوا نواب البلاد فأطاعوهم إلا دمرداش .

(١) أشار العيني ، شرحه ، ٢٠٣/٣ إلى حدوث الزلازل العظيمة في البلاد الطرابلسية وقد هدمت فيها أبنية كثيرة .

(٢) أي من حلب .

(٣) كان أمير أنطاكية حينذاك فارس بن صاحب الباز التركاني ، انظر ص ٢٦٩ حاشية رقم ٢ .

ثم كانت وقعة السعيدية^(١) فتفرقوا ، ورجع جكم إلى حلب فاستولى عليها وكسر التركماني ، ودعا أهل حلب إلى مبايعته بالسلطنة فأجابوه ، وذلك في تاسع شوال ، وكان قطع الخطبة للناصر من جمادى الآخرة ، وتلقب [جكم] « العادل » ولم يتسلطن إلا في شوال وخطب له على المنابر ولبس خلعة السلطان في عاشره وركب من دار العدل إلى القلعة وكتب إلى نواب^(٢) الشام فأطاعوه إلا القليل ، وبلغ ذلك الناصر فخرج طالباً قتاله ، فقتل سودون طاز ، قتله دويدارُ دمرداش بغير أمره ، وهرب جكم .

وفيها هرب قنباى العلامنى من محبسه بقلعة الصبيبة ، وكان مع نوروز وغيره .

وفي ذى الحجة تقلد القاضي عز الدين عبد العزيز البغدادي الحنبلي قاضي القدس سيفاً ووقف بالمسجد الأقصى ، وجمع الناس وأشهد على نفسه أنه حكم بزندقة القاضي شهاب الدين الباعوني خطيب المسجد الأقصى ومنع الناس من الصلاة خلفه ، فسئل عن مستنده في ذلك فذكر أنه سمعه يقول إنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يقبل يد الباعوني ، فاستفتى الباعوني عند ذلك العلماء بالقدس فأفتوا بأن ذلك لا يقتضى كُفراً ولا زندقة ، فوصل الباعوني إلى دمشق في المحرم من السنة المقبلة وشكاه إلى نائب دمشق ، فأرسل إليه ليحكم بينهما ففر إلى العراق .

وفيها حاصر قرا يوسف التركماني - صاحب تبريز - بغداد ، فهرب صاحبها أحمد ابن أويس إلى جهة الشام ، فوصل إلى دمشق ، فغلب قرا يوسف على بغداد فجهز إليه تمرلنك طائفة فكسرهم ، فبلغ ذلك تمرلنك فجهز إليه ولده في مائة ألف ، فنازلوا قرا يوسف فهزموه فهرب إلى الرجة ولم يمكن من دخولها ، وتعصب عليه جماعة من جهة نُعير فهرب أيضا إلى جهة الشام ، فوقع بينه وبين نُعير وقعة ، فانكسر قرا يوسف ووصل الشام في ربيع الآخر فأكرمه النائب ، وكان [قرا يوسف] قد تعب وجهد منذ

(١) راجعها بالتفصيل في عقد الجمان للعيلى لوحة ٢١٦ - ٢١٧ تحت أحداث سنة ٨٠٧ .

(٢) في ك « الشامات » ، وفي ز ، « الشامات » .

توجه من الرحبة إلى دمشق في البرية بلا ماء ولا زاد حتى وصل إلى بيروت ، فلم يشعر إلا وفاجأه قاصدُ النائب بطلبه ، فتوجه إليه ، فبلغ ذلك الأمراء بمصر فأرسلوا بطلبه ، فشفع فيه نائب الشام شيخ الحمودي فقبلت شفاعته ، واستقر بالشام أميراً يركب في خدمة النائب .

واعْتَقَلَ أحمدُ بن أُويس - ملك بغداد - بدار السعادة ، وكان وصوله إلى بعلبك بعد وصول قرا يوسف إلى دمشق وذلك في ربيع الآخر ، ودخل دمشق في سادس جمادى الأولى وتلقاه النائب وأنزله بدار السعادة وكاتبَ فيهما ، فوصل الجواب بالقبض عليهما ، والسبب في ذلك ما وقع من الاتفاق مع تمرلنك أن من جاء من عنده يُحبس حتى يُكاتب فيه ، وكذا من جاء من عندنا إليه ، فقيّد أحمد وقرا يوسف وسجن أحدهما ببرج السلسلة والآخر^(١) ببرج الحمام ، ثم وصل مرسومٌ في شعبان بقتلهما ، فتوقف النائب وراجع في ذلك ، ثم وصل كتابُ تمر في شوال إلى نائب الشام يعاتبه على إكرام قرا يوسف ويستبطن مجيء رسوله مسعود [الكججاني] ، وكان قد توجه في رمضان من حلب ، وكان وصل كتاب نعيم يخبر فيه أن تمرلنك أرسل إليه يهدده بعد أن مكّن قرا يوسف من دخول الشام ، فانزعج الناس لذلك ، ومع ذلك فلم يتنكر النائب لقرا يوسف ، وكان السلطان قد جهّز مسعوداً ومن معه من رسل اللنك وصحبته من كلّي بغا الحاجب ، وصحبته هدية جليلة ، وتوجهوا في رجب ومعهم زرافة ، وكان وصولهم إلى حلب يوم عيد الفطر^(٢) ، وتوجهوا منها إلى جهة الشرق .

* * *

وفيها شرع نائب الشام في إعادة عمارة الجامع الأموي .

وفي المحرم عزّل عز الدين الحنبلي عن قضاء الشام بابن عبادة^(٣) ، ثم أعيد في ربيع الآخر ، ثم عزّل في جمادى الأولى بابن عبادة في شعبان^(٤) . وفي ربيع الأول أعيد زين

(١) في ز « والأخرج » .

(٢) راجع ما سبق ص ٢٦٢ س ٥ - ٧ .

(٣) راجع ابن طولون : قضاة دمشق ، ص ٢٩٠ .

(٤) علق العيني في عقد الجمان ٢٣/٢٠١ على هذا بقوله : وهذا كله ملعبة وفساد في المملكة لعدم سلطان رشيد متمكن .

الدين الكفرى إلى قضاء الحنفية بدمشق عوضاً عن [الجمال يوسف بن محمد بن النحاس] ابن القطب ، ثم عُزل في ربيع الأول بمجيي الدين بن العزّ ولم يباشرفباشرفباشرف
ابن القطب ، ثم عُزل ابن الكفرى في رمضان ثم أُعيد ابن القطب في ذى القعدة .

وفي جمادى الآخرة استقر علاء الدين بن أبي البقاء في قضاء الشافعية بدمشق عوضاً عن ابن خطيب بَعْرين ، وكان ابن الخطيب استقر في ذى القعدة في العام الماضى عوضاً عن شمس الدين بن عباس ، وكان الحصناوى^(١) الذى وَلَّى قضاء حلب قد سعى في قضاء الشافعية بدمشق وكتب توقيعه ، فسعى ابن العديم في الحطّ عليه وعقدت له مجالس فبطلت قضيته ، ووصل كتاب النائب فشفع في عود علاء الدين بن أبي البقاء فأعيد ، ثم وصل مرسوم السلطان إلى النائب أن يقبض من ابن أبي البقاء مائتي ألف درهم ، وهى التى جرت عادة القضاة بدمشق بيدها للسلطان ، وأن السلطان أَنْعَمَ بها على إينال حطب ، وأن إينال كتب إلى ناظر الجيش أن يقبضها ويشترى له بها أمتعة ، وكانت هذه الكائنة من أقبح ما نُقل ؛ ثم وصل الخير باستقرار أبي العباس الحمصى^(٢) قاضى حمص في قضاء دمشق ولم يصل ، وكاتبَ النائب أيضاً فيه .

وفي ربيع الآخر قدم الشهاب أحمد الأهوى^(٣) على قضاء المالكية بدمشق عوضاً عن عيسى فلم يُمكن من المباشرة وكُوتب فيه ، فأعيد شرف الدين ثم عُزل في شوال بحسن الجابى ، وكان النائب توقف عن إمضاء ولايته وأهانه ، ثم أمضاها ثم أُعيد في ذى القعدة .

وفي^(٤) سابع جمادى الأولى صُرف الهوى عن الحسبة واستقرّ الشاذلى ، ثم صُرف في ثالث عشرى شعبان واستقر ابن شعبان .

(١) في ٥ : « الحصناوى » .

(٢) ابن طولون : قضاة دمشق ، ص ١٣٠ .

(٣) ابن طولون : قضاة دمشق ، ص ٢٥٤ - ٢٥٥ ، والسخاوى : الضوء اللامع ، ج ١ ص ٣٦٩ .

(٤) انظر العيني : عقد الجمان ، لوحة ٢٠١ .

وفيهما استقر عبد الله المجادلي في وكالة بيت المال عوضا عن فتح الدين بن الشيخ شمس الدين الجزري .

وفيهما باشر شمس الدين محمد بن يوسف الحلاوي وكالة بيت المال ونظر الكسوة بالقاهرة .

وفي رمضان باشر الشيخ شهاب الدين بن حجي خطابة الجامع بدمشق ومشيخة السيساطية ، انتزعتنا من القاضي الشافعي وهو ابن خطيب بعرين .

وفي ذى الحجة أوقع نائب الشام بعرب آل فضل^(١) ، وكان كبيرهم علي بن فضل قد قسم بلاد الشام سنة ثلاث وثماني مائة فطمع أن يفعل ذلك في هذه السنة ، فبلغ ذلك النائب فاحتال عليه إلى أن قبض عليه وكبس بيوته ونهب ما فيها .

وفيهما وقع بين نعيم [بن حيار بن مهنا] أمير عرب آل فضل وبين دمشق خجا ابن سالم الدوكاري^(٢) التركماني وقعة عظيمة قُتل فيها ابن سالم فانكسر عسكره وغلب نعيم وأرسل برأس ابن سالم إلى القاهرة ، وكان ذلك في رمضان ، قرأت في تاريخ القاضي علاء الدين أن دمشق خجا كان أمير جعفر^(٣) وأن محمد بن شهري - لما أراد القيام على دُقماق نائب حلب - استعان به ، فوصل في جمعه ، وحاصرا دُقماق إلى أن هرب ، وعاث عسكر دمشق خجا في أعمال حلب وأفسدوا فيها الفساد الفاحش أشد من فعلات اللنكية ولم يرحموا أحداً ، بل بالغوا في النهب والعقوبة والفسق ، وذلك في بلد عزاز^(٤) وغيرها ، ثم رجع المذكور إلى جعبر في رجب فدهمه نعيم أمير آل فضل

(١) هم بنو فضل بن ربيعة وسنازلهم من حصص إلى قلعة جعبر إلى الرحبة ، انظر في ذلك القلقشندي : قلائد الجمان ، ص ٧٦ - ٧٩ .

(٢) انظر ص ٢٧٤ ، ترجمة رقم ١٤ وكذلك الضوء اللامع ٣/٨٢٣ ، وإن ساء السخاوي « بالدكزي » بدلان من « الدوكاري » .

(٣) قلعة على الفرات بين بالس والرقبة ، وكانت قديما تسمى « دوسر » ثم ملكها رجل عربي من بني نعيم اسمه جعبر فسميت باسمه ، انظر في ذلك مراصد الاطلاع ١/٣٣٤ ، ولسترايخ : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ١٢٣ .

(٤) وتقع شمال حلب ، انظر ابن عبد الحق البغدادي : مراصد الاطلاع ، ٢/٩٣٧ ، Dussaud : Topographie Historique de la Syrie, pp. 195, 503.

وكان يعاديه فتواقعا فيها بين جعبر وبالسيتين، واستمر القتال أياما إلى أن قُتل دمشق خججا في سابع عشر شهر رمضان، قال (١): « وكان من المفسدين في الأرض، كهفًا للأصوص وقطاع الطريق، فأراح الله البلاد والعباد منه برأفته ورحمته » .

وفي جمادى الأولى أبطل النائب من دمشق مكس الخضروات وكاتب في إبطاله إلى مصر، فجاء التوقيع بحسب ما رسم به، واستمر ذلك وكتب في صحيفته .

وفيها جهّز النائب المحمل المكي وطيف به في شهر (٢) رجب على العادة وكان قد تعطل الحج من طريق دمشق إلى مكة و [تعطل] خروج المحمل سنة ثلاث واللتين (٣) بعدها، فاهتم النائب بأمره (٤) في هذه السنة وجهّزه فخرجوا في نصف شوال، وأمير الحج فارس: دويدار تنم، وحج من الأمراء يرش باي أحد الأمراء، ويحيى بن لاقى وكان نقيب الجيش .

وفي رمضان كمل الجامع الذي بناه سودون من زاده ظاهر القاهرة وخطب به ابن الطرابلسي، ودّرس به عز الدين البلقيني للشافعية، وبدر الدين القدسي للحنفية .

وفيه عزّل الشريف النسابة من مشيخة الخانقاه البيبرسية، واستقرّ شهاب الدين النبراوي - إمام السلطان - في المشيخة، وفي النظر شاهين (٥) السعدى .

وفيها رسم بإبطال القاضيين: المالكي والحنبلي من القدس فأبطلا منه ومن غزّة، فعزّل عبد العزيز البغدادي فجاء إلى دمشق في ذي القعدة وسعى في العود .

(١) يعني بذلك القاضي علاء الدين بن خطيب الناصرية .

(٢) كان الطواف به في ١٥ رجب، راجع عقد الجمان، لوصة ٢٠٢ .

(٣) يعني بذلك سنتي ٨٠٤، ٨٠٥ .

(٤) أي بأمر المحمل .

(٥) هو شاهين السعدى الطواشي اللالا وقد ترجم له السخاوي في الضوء اللامع، ١١٣٤/٣ وذكر عنه أنه ولي نظر البيبرسية ولكنه وجمل وفاته سنة ٨٨٠ هـ، وهو ما لا يستقيم هنا، ثم عاد فقال « أظنه شاهين الحسن الطواشي الذي ترجم له من قبل، شرحه ١١٢٤/٣، ولكنه جعل موته سنة ٨١٥ بناء على ما ذكره العيني والأرجح أنه هو المقصود هنا، وربما كان اسمه الحسن السعدى والحطأ في سنة الوفاة المتأخرة .

وفي ذى القعدة نُقب برج الخيالة بقلعة دمشق وهرب منه قطعاً الطريق وكانوا أمسكوا بعد أن قطعوا الطريق على ابن المغربل التاجر وباعوا بدمشق بعض الأمتعة ورجعوا إلى نابلس ، ففطن بهم ، فقبض عليهم إلا واحداً منهم ضخماً لم يستطع الخروج فقتل ، وأُرْسِلَ في آثارهم فأخذوا من عكا فوسَّطوا إلا واحداً منهم هرب ، ووسَّط معهم السجنان .

وفي ذى الحجة بلغ نائب دمشق - شيخ المحمودى - أن سودون الحمزاوى تعين لنياية الشام ، فشق ذلك عليه وتوجه إلى نوروز وهو في سجن الصببية ليتفق معه فلم يقع ذلك ، وانسلخت السنة والأمر على ذلك .

وفي أواخرها وقع بين دمرداش والتركمان وقعة عظيمة فانكسر دمرداش . وكان النيل في هذه السنة احترق حتى إنهم اعتبروا المقياس في آخر يوم على العادة فجاء القاع ذراعاً واحداً ونصفاً بنقص إصبعين ، ولم يُسمع بمثل ذلك قبلها ، فزاد - إلى أن انسلخت السنة - أربعة أذرع وثلاثي ذراع^(١) ، ونقص سعر القمح من ثلاثمائة إلى مائتين وخمسين .

وفيها مات محمد سلطان بن خان تنكز بن اللنك وكان قد ولى عهده ، وكان يحب العدل ويلوم جدّه على القتل ويحب العلماء والفضلاء ، فاتفق أن اللنك لما عزم على الدخول لبلاد الروم أرسل إليه أن يتجهز هو وجنوده فحضر إليه فمات بعد الوصول والظفر بابن عثمان ، فبدل فرح اللنك ترحاً ، وحزن عليه حزناً عظيماً بحيث أنه جعله في تابوت وحمله إلى سمرقند فدفنه بمدرسته التي أنشأها هناك . ، واتفقت وفاة محمد سلطان ووفاة محمد بن عثمان في وقت واحد ، ويقال إن ابن عثمان قال للنك : « إني أعرف أتى لأبي معك ، ولكني أوصيك بثلاث : لا تسفك دماء الروم فإنهم درء للإسلام ، ولا تترك التتار بهذه البلاد فإنهم من أهل الفساد ، ولا تخرب قلاع المسلمين وحصونهم

(١) الوارد في التوفيقات الإلهامية ، ص ٤٠٣ ، أن النيل توقف عن الزيادة إلى ثالث أيام النسي ثم نقص ولم يف ، وبلغت غاية فيضان النيل بمقياس الروضة في هذه السنة ١٣ قيراطاً و ١٦ ذراعاً ، وهو ما يتفق مع ما ورد في أمين سامي : تقوم النيل ٢٠٠/١ .

فتسلط الكفرة عليهم » ، فقبل وصيته في الأمور الثلاثة ، وعمل حيلة قتل بها غالب رجال التتار .

وفيها بعد قتل اللنك ابنَ عثمانَ أخرج محمدا وعليًا - ولذئى ابنِ قرمان - من حبس ابنِ عثمانَ وخلع عليهما ، فاستولى كل منهما على جهةٍ ، ووصل إسفنديار - أحدُ ملوك الروم - وكان ممن يعادى ابنَ عثمانَ - فأكرمه أيضا ، ومن ممالكه سينوب^(١) ، وتلقب « جزيرة العشاق » ويُضرب بظرفها المثل ؛ فأقبل اللنك عليه وأكرمه .

وفيها زلزلت حلب زلزلةً عظيمة فخرّب من الجهة الغربية أماكن كثيرة ، ثم كثرت الزلازل فيها ؛ وفي السنة التي بعدها تنزلت بحلب أيضا وكانت عظيمةً وبقيت ساعة وذلك في جمادى الأولى ؛ وجارّ الناس بالدعاء والتوبة .

وفيها انضم جكم - بعد هروبه - إلى فارس بن صاحب الباز التركمانى^(٢) بأنطاكية ، فبلغ ذلك دمر داش فحاصرهم مدة ولم يظفر بطائل ، وراسل جكم الحاجب بطرابلس فقَبض على النائب بها وهو شيخ السليمانى ودخلها جكم فغلب عليها ، ثم كان ماسنذكره في سنة سبع .

* * *

(١) تقع مملكة سينوب على البحر الأسود ، وقد أورد لسترانج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ١٩١ ، وصفا لها نقلا عن ابن بطوطة جاء فيه أنه يحيط بها البحر من جميع جهاتها إلا واحدة هي جهة الشرق ، ولها هناك باب واحد . . . وهي جامعة بين التحصين والتحصين ، وبها قبر بلال الحبشى ، وقد وردت في « برسم « سيون » ، وأمامها في الهامش : « يقال السينوب جزيرة العشاق » .

(٢) هو صاحب أنطاكية وقتذاك ، وكان أمره قوى عند اختلاف الأمر بين العسكريين المصرى والشامى زمن الناصر فرج ، وكان قتله سنة ٨٠٨ ، وإن دأب ابن حجر حلّ تسميته بإلياس مقرونة بفارس ، انظر فيما بعد ص ٣٤١ ، ترجمة رقم ٢٢ : والسخاوى : الضوء للامع ٥٤٠/٦ .

ذكر من مات في سنة ست وثمانى مائة من الاعيان

١ - إبراهيم بن عمر بن علي المحلى ، برهان الدين التاجر الكبير ، كان يذكر أنه طلحى النسب ، وهو سبط الشيخ شمس الدين بن اللبان ، تقدم شئ من ذكره في الحوادث من تجديده مقدّمة جامع عمرو وذلك في سنة أربع وثمانى مائة ، ومن تجهيز العسكر من ماله إلى الإسكندرية . وكان معظماً عند الدولة عارقاً بأمر الدنيا ، وكان في آخر أمره قد تمولّ جداً بحيث أنه أجهد فبلغ الغاية في المعرفة بأمر التجارة ، ومات برهان الدين في ربيع الأول بمصر ووكّده^(١) إذ ذاك باليمن فوصل إلى مكة ومعه بعض الأموال مالا يدخل تحت الحصر ، حتى إنه كان معه في تلك السنة سنة آلاف زكبية من أصناف البهار ، فنفرقت أموالهما شذر مذر بأيدي العباد في جميع البلاد .

وقد سمعتُ من برهان الدين عدة فوائد ، وسمع عليّ « ترجمة البخارى » من جمعى ، وكان يقول : « ما ركبتُ في مركبٍ قط ففرقتُ » . وسسسه يقول : « أُحضرتُ عند جدّى لما ولدتُ فبشّر أبى أنى أصير ناخود^(٢) ، ثم سمعت ذلك من جدّى وأنا ابن أربع سنين » ، وكان أبوه مُملقاً فرزق هو من المال مارقى سباه .

٢ - إبراهيم بن محمد بن صديق بن إبراهيم بن يوسف الدمشقى المؤذن المعروف بالرّسام^(٣) ، وكان أبوه بوابَ الظاهرية^(٤) مسند الدنيا من الرجال ، سمع من الحجار الكثير ، ومن إسحق الأمدى والشيخ تقي الدين بن تيمية وطائفة ، وتفرد بالرواية

(١) هو أحمد صاحب الترجمة رقم ٣ ص ٢٧١ .

(٢) يقصد به صاحب السفينة .

(٣) في الضوء للامع ج ١ ص ١٤٧ ، أن « الرّسام » صفة أبيه .

(٤) لم يجدد ابن حجر في المتن ولا السخاوى في الضوء ، شرحه ، أى الظاهريتين : الجوانية أم البرانية ، لكن راجع

فيها التيمى : الدارس في تاريخ المدارس ، ج ١ ص ٢٤٠ - ٢٥٩ .

عنهم ، ومُنِعَ بسمعِهِ وعقلِهِ ، سمعتُ منه بمكة وحدثَ بها بسائر مسموعاته فأكثروا عنه وانتفعوا به ، وألحقَ جماعةً من الأصاغر بالأكابر ، ورجع إلى دمشق ولم يتزوج .

مات في شوال وله خمس وثمانون سنة وأشهر .

٣ - أحمد بن إبراهيم بن عمر المحلى ، أبو الفضل التاجر ، كان شاباً حسناً كريمَ الشائل عفيف الفرج ، مات بعد موت أبيه^(١) بمكة في أواخر ذى القعدة .

٤ - أحمد بن داود بن إبراهيم بن داود الصالحى القطن ، روى عن عبد الرحيم ابن أبي اليسر . مات في رجب^(٢) .

٥ - أحمد بن على بن محمد بن على بن ضرغام بن على بن عبد الكافى البكرى ، الغضائرى^(٣) ، المعروف بابن سُكَّر^(٤) ، أخو شيخنا شمس الدين [محمد] المقدم ذكره ، سمع بإفادة أخيه من يحيى بن يوسف بن المصرى^(٥) وغيره وحدث .

سمعتُ منه^(٦) بالقاهرة ، ومات في رجب وقد جاوز السبعين .

(١) راجع ترجمة رقم ١ ص ٢٧٠ .

(٢) جاءت بعد هذا في نسخ الإنباء الترجمة التالية : « أحمد بن عبد الكافى بن عبد الوهاب البلىنى ، كان أبوه قاضى البلىنة ، واشتغل وتفقه وأقام بالقاهرة وناب فى الحكم بالحسنية ، وولى الإعادة بالشافى ، وكان فاضلاً ديناً خيراً . مات كهلاً » . وقد خطأ السخاوى : الضوء ج ١ ص ٣٥٣ فى إدراجه صاحب الترجمة فى هذه السنة فقال : « ذكره شيخنا فى سنة ست وثمانى مائة من إنبائه ، وهو سهو بمائة سنة سواء . وفاته سنة ست وسبعمائة ، مع أنه لم يذكره فى الدرر » ؟ وقد أصاب السخاوى فى هذه الالتفات والتصويب إذ وردت ترجمة أحمد بن عبد الكافى البلىنى فى المقرئى : السلوك فى وفيات سنة ٥٧٠٦ .

(٣) « المطاردى » فى الشذرات ٥٥/٧ ، « الغضائرى » فى ٥ .

(٤) الضبط من الضوء ٩٦/٢ .

(٥) راجع ترجمته فى الدرر ٥٠٥٥/٤ ، والشذرات ١١٦/٦ .

(٦) أى أذ سمع . أن أحمد بن على بن عبد الكافى صاحب الترجمة .

٦ - أحمد بن علي التركماني ، يعرف بابن الشيخ [علي]^(١) ، ولي نيابة الكرك وصفد واستقر في آخر الأمر أميراً كبيراً بدمشق . مات^(٢) في ذي القعدة بمصر .

٧ - إسماعيل بن إبراهيم الجبّرتي ثم الزبيدي ، وُلد سنة سبعمائة واثنين وعشرين على ما ذكر ، وتعماني الاشتغال ثم تصوّف ؛ وكان خيراً عابداً حسن السمّت والملبوس ، مغرّياً بالسماع ، مُجيداً في مقالة ابن عربي ؛ وكنتُ أظن أنه لا يفهم الاتحاد حتى اجتمعتُ به فرأيتُه يفهمه ويقرّره ويدعو إليه حتى صار من لم يُحصَل كتاب « الفصوص » من أصحابه لا يلتفت إليه ، وكان السلطان الأشرفُ قد عظّمه بسبب أنّه قام معه عند حصار الإمام صلاح [الدين الهروي] الزبيدي بزبيد فاعتقده^(٣) وصار أهلُ زبيد يقترحون له كرامات ، وكان يداوم قراءة سورة يس في كل حالة ويعتمد فيها حديثاً موضوعاً ؛ وأراني جزءاً جمعه له شيخنا شمس الدين الشيرازي في ذلك ، وقام عليه مرّة [أتباع] الشيخ صالح المصري فتعصّبوا^(٤) عليه حتى نفوه إلى الهند . ثم كان الفقيه أحمد النّاشري^(٥) عالمُ زبيد يقوم عليه وعلى أصحابه ولا يستطيع أن يغيّرهم عما هم فيه لميل السلطان إليه .

وقد حدّث الشيخ إسماعيل بالإجازة عن القاسم بن عساكر ، وبالخاصة عن أبي بكر بن

(١) الإضافة من السخاوي : الضوء اللامع ١٢٨/٢ .

(٢) ذكر السخاوي : شرحه ١٢٨/٢ أنه مات سنة ٨٠١ .

(٣) وذلك أنه بشر السلطان الأشرف صاحب اليمن بالنصر وهزيمة الإمام الهروي .

(٤) بلغت هذه المنازعة حداً أن الجبال الذوالى شاعر اليمن ومن أنصار صالح المصري قال :

صالح المصري قالوا صالح	ولعمري أنه للمتخشب
كسان ظنّ أنه من فتية	كلهم إن تمتحنهم مختلب
رهب إسماعيل قطاع الطريق	إلى الله وأرباب الريب
سفل ، حمق ، رعاع ، غاغة	أكلب فيهمو على الدنيا كلب
تخدوا دينهمو زنفقة	فاستباحوا اللهوفيه والطرب

انظر في ذلك السخاوي : الضوء اللامع ٨٩٣/٢ .

(٥) هو أحمد بن أبي بكر بن علي الزبيدي ، وكان شديد الحظ على ابن تيمية في اليمن ، وسترّد ترجمته هنا سنة ٨١٥ ،

انظر أيضاً الضوء اللامع ج ١ ص ٢٥٧ - ٢٥٨ ، والشذرات ١٠٩/٧ .

المحبّ ، ومات في نصف رجب وله بضعٌ وثمانون^(١) سنة ، لأنه ذكر أن مولده سنة ٧٢٢ .

٩ - إسماعيل بن علي بن محمد البقاعي ثم الدمشقي الناسخ ، كان يشتغل بالعلم ويصحب الحنابلة ويميل إلى معتقدهم وينصحهم ويعظمهم ويكتب^(٢) الناس مع الدين والخير ، وله نظمٌ حسن أنشدني منه بدمشق .

وقد كتب بخطه « صحيح البخاري » في مجلدة واحدة معدومة النظير سلمت من الحريق إلا اليسير من هوامشها قبيعت بأزيد من عشرين مثقال .

فرّ في الكائنة إلى طرابلس فأقام بها إلى آخر سنة خمسٍ ورجع فمات بدمشق في المحرم منها^(٣) .

١٠ - آقبنغا الهدباني الظاهري [برقوق] كان من عتقاء الظاهر برقوق وتنقل في الخدم إلى أن ولي الحجوبية بحلب بعد رجوع الظاهر إلى السلطنة من الكرك ، ثم نيابة صغد ، ثم نيابة طرابلس ، ثم نيابة حلب في سنة إحدى وثمانين : سنة وفاة الظاهر . ثم كان ممن أغان ثم نائب دمشق ، فلما انكسر تم أسرا آقبنغا فيمن أسر ثم أطلق وولى نيابة طرابلس سنة أربع ، ثم ولى نيابة حلب^(٤) بعد دغماق فدخلها في جمادى الأولى سنة ست وثمانمائة فأقام بها أربعين يوماً ، ثم مات ليلة الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة . وكان عاقلاً كثير السكوت ، وأنشأ بحلب جامعاً^(٥) . ودخله تربة له ودُفن فيها .

(١) هكذا أيضا في عقد الجمان للمبني ٢/٣٠٧ ، ويلاحظ صحة هذا التقدير إذا أخذنا بما قاله ابن حجر في أول الترجمة من أن صاحبها ولد سنة ٧٢٢ هـ وإن كان السخاوي في الضوء اللامع ٢/٢٨٢ قد نقل عن ابن حجر أن المترجم كان يذكر

أن مولده سنة بضع عشرة .

(٢) في الضوء اللامع ٢/٩٣٧ « يكتب للناس » .

(٣) أمام هذه الترجمة في هامش بخط البقاعي : « هذا الرجل من قرينتنا خربة روحه من البقاع ، رحمه الله » .

(٤) فيما يتعلق بوظائفه وولاياته راجع Wiet : Les Biographies du Manhal, No. 477 .

وإن سماه أبو الحسن في « بالهدباني » ، ولكن السخاوي : في الضوء اللامع ٢/١٠١ سماه كما بالمتن .

(٥) لكنه لم يكمله .

١١ - أبو بكر بن داود الصالحى [الحنبلى] أحد من كان يُعتقد ويُزار بالصّالحيّة بدمشق ، وله زاوية^(١) هناك ، وكان على طريقة السلف ، وله إلمام بالعلم . مات فى رابع عشرى^(٢) رمضان .

١٢ - أبو بكر بن قاسم بن عبد المعطى بن أحمد بن عبد المعطى الخزرى المكى ، سمع من عثمان بن الصفى أحمد الطبرى بمكة ومن غيره ، ودخل بلاد التكرور^(٣) ، فاتفق أنهم كانوا احتاجوا أن يستسقوا فاستسقوا به فسُقوا وذلك ببلد مالى^(٤) ، ثم رجع إلى مصر فأقام بها ، وكان يُكثر زيارة الصالحين بالقرافة ويشارك فى قليل من الفقه ويدرى التاريخ .

اجتمعتُ به مراراً ، ومات وله سبع وسبعون سنة ، وكان يُعرف عند أهل مصر بالفقيه أبى بكر الحجازى .

١٣ - أبو بكر بن محمد الحبشى العدى قاضى عدن [الشافعى] ، وليه^(٥) مراراً ، وكان نبهاً فى الفقه . مات فى أواخر السنة .

١٤ - دمشق خجّاج بن سالم الدوكارى التركمانى ، تقدم ذكره فى الحوادث . قُتل فى رمضان من هذه السنة .

(١) هى الزاوية المعروفة بالداودية التى ينسب لبعض بناءها إلى ولده زين الدين عبد الرحمن ، ولكن النعمى :

الدارس ٢٠٣/٢ أنكر تلك النسبة وأرجع بناءها إلى صاحب الترجمة إذ قال : « والذى فى حفظى أن الذى أنشأها - أى هذه الزاوية الداودية - هو الشيخ أبو بكر وكانت وفاته سنة ٨٠٦ هـ » .

(٢) « سابع عشرى رمضان » فى الصّو ٨٣/١٧ .

(٣) عرفها مرصد الاطلاع ٢٦٨/١ بأنها بلاد تنسب إلى قبيل من السودان فى أقصى جنوب المغرب ، وأهلها أشبه الناس الترنوج ، انظر أيضاً دائرة المعارف الإسلامية ، مادة « تكرور » .

(٤) هى عاصمة الإقليم المعروف عند الجغرافيين العرب باسم « مملكة مالى » وتمتد من بلاد السنغال غرباً إلى الهوسا

شرقاً ، وجنوبها ساحل العاج ، انظر فى ذلك القلقشندى : صبح الأعشى ٢٨٢/٥ ، Ency. Isl. Art. Mall

(٥) أى ولي قضاء عدن .

١٥ - عبد الله بن عبد الله الدوكاري^(١) المغربي المالكي نزيل مكة ، أقرأ بها ودرس وأفاد وناب في الحكم في بعض القضايا ، وكان متجرباً على العلماء ، رحمه الله تعالى .

١٦ - عبد الله بن عثمان بن محمد الصالحى المعروف بابن حَمِيَّة^(٢) ، روى لنا عن البرزالي ، وسمع من محيي الدين بن خطيب بعلبك وحدثنا عن الحافظ علم الدين البرزالي .

١٧ - عبد الله بن الشيخ محمد بن أحمد بن عبد الرحمن ، ويقال ابن عثمان بن عمر التركستاني المعروف بالقرمي ، وهو ولد الشيخ المشهور ببيت المقدس ؛ اشتغل قليلاً وقدم حلب ثم دخل بغداد وأسر مع اللنكية ثم خلاص ، ويقال إنه جرت له محنة ففتح نفسه بسببها على ما استفاض بين الناس . ومات سنة ست وثمانمائة في أواخرها .

١٨ - عبد الله بن محمد المارديني^(٣) جمال الدين المعروف « بتمتع »^(٤) ، كان من أولاد الأغنياء فورث مالاً كثيراً فأنفقه في الخيرات ثم افتقر وصار يكدي بالأوراق وينظم السير في ذلك أحياناً ، وكان يعاشر الرؤساء ؛ وللشيخ عز الدين الموصلي فيه نظم . مات في رمضان بدمشق .

١٩ - عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم ، المهراني^(٥) المولود ، العراقي الأصل ، الكردي ، الشيخ زين الدين العراقي حافظ العصر ، وُلد في جمادى

(١) « الدوكاري » في الضوء اللامع ١٠٣/٥ ، ولعلها الدكالي (بفتح الدال وتشديد الكاف) نسبة إلى دكالة وهي

بلد بالمغرب كما جاء في مرصد الاطلاع ٥٣١/٢ .

(٢) الضبط من الضوء اللامع ١١٦/٥ .

(٣) في ز « الماردى » .

(٤) « تمتع » بالنون في الضوء اللامع ٢٤٩/٥ .

(٥) نسبة إلى مهران (بالكسر ثم السكون) وهو اسم نهر السند كما قال مرصد الاطلاع ١٣٣٨/٣ .

الأولى سنة خمس وعشرين وحفظ «التنبيه» في الفقه ، واشتغل بالفقه والقراءات ، ولازم المشايخ في الرواية وسمع في غضون ذلك من عبد الرحيم بن شاهد الجيش وابن عبد الهادي وعلاء الدين التركماني ، وقرأ بنفسه على شهاب الدين بن البابا وتشاغل بالتخريج ، ثم تنبه للطلب بعد أن فاته السماع من مثل يحيى بن المصري آخر من روى حديث السلفي عاليا بالإجازة ومن الكثير من أصحاب ابن عبد الدايم والتجيب وابن عارف ، ولكنه أدرك أبا الفتح الميدومي فأكثر عنه وهو من أعلى مشايخه إسناداً ، وسمع أيضاً من ابن الملوك وابن القطرواني^(١) ، ثم رحل إلى دمشق فسمع من ابن الخباز ومن أبي العباس المرادوي ونحوهما ، وعنى بهذا الشأن ورحل فيه إلى دمشق وحلب والحجاز ، وأراد الدخول إلى العراق ففترت همته من خوف الطريق ورحل إلى الإسكندرية ، ثم عزم على التوجه إلى تونس فلم يقدر له ذلك .

وصنف «تخريج أحاديث الإحياء» ، وأكمل مسودته الكبرى قديماً ثم بيّضه في نحو نصفه ، ثم اختصره في مجلد واحد^(٢) وبيّضه ، وكتب منه النسخ الكثيرة .

وشرح في إكمال «شرح الترمذي» لابن سيد الناس ، ونظم «الألفية في علوم الحديث» لابن الصلاح وشرحها ، وعمل عليها «نكتاً» ، وصنف أشياء أخرى : كباراً وصغاراً ، وصار المنظور إليه في هذا الفن من زمن الشيخ جمال الدين الإسناوي وهلم جرا ، ولم نر في هذا الفن أتقن منه ، وعليه تخرج غالب أهل عصره ، ومن أحصاهم به صهره شيخنا نور الدين الهيثمي^(٣) ، وهو^(٤) الذي درّبه وعلمه كيفية

(١) هو محمد بن علي بن عبد العزيز القطرواني المتوفى سنة ٧٦٠ هـ ، راجع عنه ابن حجر : الدرر الكامنة :

٤٠٦٢/٤ .

(٢) ذكر السخاوي : الضوء اللامع ٤/٥٢٢ أن هذا المختصر كان هو المتداول في وقته وسماه «المنقى عن حمل الأسفار

في الأسفار» ، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار .

(٣) راجع ترجمته في الضوء اللامع ٥/٦٧٦ .

(٤) أي شيخه العراقي .

التخريج والتصنيف ، بل هو الذى يعمل له خُطَبٌ كُتِبَ ويسمىها له ، وصار الهيمى لشدة ممارسته أكثر استحضاراً للمتون من شيخه ، حتى يَظُنَّ مَنْ لاخِبرَة له أنه أحفظ منه ، وليس كذلك لأنَّ الحفظ^(١) المعرفة .

وولى شيخنا قضاء المدينة سنة ثمانٍ وثمانين فأقام بها نحو ثلاث سنين ثم سكن القاهرة ، وأنجب ولده قاضى القضاة ولى الدين .

لازمتُ شيخنا عشر سنين تخلَّل في أثناءها رحلاتي إلى الشام وغيرها ، وقرأتُ عليه كثيراً من المسانيد والأجزاء ، وبحثتُ عليه شرحه على منظومته وغير ذلك ، وشهد لي بالحفظ في كثير من المواطن وكتب لي خطَّهُ بذلك مراراً .

وسئل عند موته : « مَنْ بقى مِنَ الحَفَاطِ ؟ » فبدأ بي ، وثني بولده ، وثلث بالشيخ نور الدين^(٢) ، وكان سبب ذلك ما أشرتُ إليه من إكثاري الممارسة لأن ولده تشاغل بفنون غير الحديث ، والشيخ نور الدين كان يدرى منه فناً واحداً ، وكان السائل للشيخ عن ذلك : القاضى كمالُ الدين بنُ العرام ، ثم سأله الشيخ نور الدين الرشيد - على ما أخبرني بذلك - بعد ذلك ، فقال : « في فلانِ الكفاية » ، وذكر أنه عناني ، وصرَّح بذلك .

مات الشيخ عقب خروجه من الحَمَامِ في ثامن شعبان وله إحدى وثمانون سنة وربع سنة ، نظيرَ عمر شيخ الإسلام سراج الدين ، وفي ذلك أقول في المراثية :

لا يَنْقُضِي عَجَبِي مِنْ وَفْقِ عُمْرِهِمَا
العامُ كالعام ، حتى الشهرُ كالشهر
عاشا ثمانين عاماً بَعْدَهُ سنةٌ
ورُبَّعَ عامٍ ، سوى نقْصٍ لمعتبر

(١) أمامها في هامش بخط البقاعي « أى الملكة الحاصلة في نفس العالم » .

(٢) يعنى نور الدين الهيمى .

والإشارة بذلك إلى أنهما لم يُكْمَلَا الرِّبْعَ بل ينقص أياً ما ، وقد أَلْمَتُ برثائه في
الرائية التي رثيتُ بها شيخ الإسلام البلقيني ، وخصصته بمريية قافية ، وهي :

مُصَابٌ لَمْ يُنْفَسْ لِلخَسَاقِ	أَصَارَ الدَّمْعَ جَارًا لِلْمَسَاقِ
فَرَوْضُ العِلْمِ بَعْدَ الزَّهْوِ ذَاوِ	وَرَوْحُ الفِضْلِ قَدْ بَلَغَ التَّرَاقِ
وَبَحْرُ الدَّمْعِ يَجْرِي فِي انْدِفَاقِ	وَيَبْدُرُ الصَّبْرِ يَسْرَى فِي انْمِحَاقِ
وَلِلْأَحْزَانِ بِالقَلْبِ اجْتِمَاعُ	يُنَادِي الصَّبْرَ : حَى عَلَى افْتِرَاقِ
وَكَانَ الصَّبُّ إِنْ يُدْفَعُ بِصَّبْرِ	يَهُونُ عِيَهُ مَعَ رَجْوِي التَّلَاقِ
فَأَمَّا بَعْدَ يَأْسٍ مِنْ تَلَاقِ	فَهَذَا صَبْرُهُ مُرُّ المَذَاقِ
لَقَدْ عَظَمْتَ مُصِيبَتُنَا وَجَلَّتْ	بَسْوَقِ أُولَى العُلُومِ إِلَى السِّيَاقِ
وَأَشْرَاطُ القِيَامَةِ قَدْ تَبَدَّتْ	وَأَذَنُ بَالْتَوَى دَاعِي الفِرَاقِ
وَكَانَ بِمِصْرَ والشَّامِ البَقَايَا	وَكَانُوا لِلْفَضَائِلِ فِي اسْتِيقِ
فَلَمْ تُبْقِ المَلَاحِمُ وَالرَّزَايَا	بِأَرْضِ الشَّامِ لِلْفُضَلَاءِ بَاقِ
وَطَافَ - بِأَرْضِ مِصْرٍ كُلِّ عَامِ	بِكَأْسِ الحَى لِلعُلَمَاءِ - سَاقِ
فَأَطْفَأَتِ المَنُونُ سِرَاجَ عِلْمِ	وَنورِ نَارِهِ لِأُولَى النَفْسَاقِ
وَأَحْكَمَتِ ^(١) الردي في ابن الحسين الـ	إِمَامِ فَالْحَقْنَهُ بِالمَسَاقِ
عَلَى الحَبْرِ الذِي شَهِدَتْ قَدُومُ	لَهُ بِالإِنْفِرَادِ عَلَى اتِّفَاقِ
عَلَى حَاوِيِ عُلُومِ الشَّرْعِ جَمْعاً	بِحِفْظِ لا يَخَافُ مِنَ الإِيَّاقِ
وَمِنْ قُتِحَتْ لَهُ قِدمَا عِلْمُ	عَدُونِ لِغَيْرِهِ ذَاتِ انخِلاقِ
وَجَارِي فِي «الحديث» قديم عهدِ	فَأَحْرَزَ دُونَهُ نَجِيلِ السِّيَاقِ

(١) في «وأخلفت الرجا» .

وبالسَّبعِ القراءاتِ العوالي
 فسَلَّ «إحْبَاباً عُلُومِ الدِّينِ» عَنْهُ
 فصِيرَ ذَكَرَهُ بِسْمُو وَيَنُمُو
 و «شرح الترمذى» لَقَدْ تَرَقَّى
 و «نظم ابن الصَّلاح» له صلاحُ
 وفي «نظم الأُصول» له وصولُ
 و «نظم السيرة» الغرَّ يُجَارَى
 دَعَاهُ بِحَافِظِ العَصْرِ الإِمَامِ الـ
 وَعَلَى قَدْرِهِ السَّبْكَىُّ وابنُ الـ
 وَمِنْ سَتِينِ عَاماً لَمْ يُجَارَى
 بِقَضَى اليَوْمِ فِي تَصْنِيفِ عِلْمِ
 فَبِالصُّحُفِ الكَرِيمَةِ فِي اصْطِبَاحِ
 فَمَا فَتَنَتْهُ كَأْسُ بَالْتِشَامِ
 فَتَى كَرَمِ يَزِيدُ ، وَشَيْخُ عِلْمِ
 فَيَغْرَى طَالِبَا عِلْمًا وَيَقْرَى
 وَيَا أَسْفَى عَلَيْهِ لِحْفِظِ وُدِّ
 وَيَا أَسْفَى لِنَقِيذَاتِ عِلْمِ
 عَلَيْهِ سَلَامُ رَبِّي كُلِّ حِينِ
 وَأُنْقَتَ لَحْدَهُ سَحْبُ العَوَادِي
 وَذَانَتْ رُوحَهُ فِي كُلِّ يَوْمِ

رَقَى قُدُمًا إِلَى السَّبْعِ الطُّبَاقِ
 أَمَا وَافَاهُ مَعَ ضَيْقِ النُّطَاقِ ؟
 بِتَخْرِيجِ الأَحَادِيثِ الرَّقَاقِ
 بِهِ قُدُمًا إِلَى أَعْلَى المَرَاقِي
 وَهَذَا شَرْحُهُ فِي الأُفُقِ رَاقِي
 إِلَى مِثَاجِ حَقِّ بَاشْتِيَاقِ
 عَلَيْهَا الأَجْرَ مِنْ رَاقِي التَّرَاقِ
 كَبِيرُ الإِسْنَوِيُّ لَدَى الطُّبَاقِ
 عِلَاقِي وَالْأَثْمَةُ بِاتِّفَاقِ
 وَلَا طَمَعِ المِجَارِي فِي اللِّحَاقِ
 وَطَوَّلِ تَهَجُّدِ فِي اللَّيْلِ وَاقِ
 وَبِالتُّحْفِ الكَرِيمَةِ فِي اغْتِنَاقِ
 وَلَا أَلْهَاءُ ظَنِّي بِاغْتِنَاقِ
 لَدَى الطُّلَّابِ مَعَ حَمْلِ المِشَاقِ
 قَرَى فَدَّتْهُ ذَاتُ اتِّسَاقِ
 إِذَا نُسِبَتْ مَوَدَّاتُ الرَّفَاقِ
 تَوَلَّتْ بَعْدَهُ ذَاتَ انْطِلَاقِ
 يُبَلِّغُهُ الرِّضَا فِيهَا يُبَلِّقِ
 إِذَا انْهَلَتْ هَمَّتْ ذَاتُ الطُّبَاقِ
 تَحِيَّاتُ إِلَى يَوْمِ التَّلَاقِ

٢٠ - عبد الصادق بن محمد الحنبلي الدمشقي ، كان من أصحاب ابن منجا ، ثم ولى قضاء طرابلس وشكرت سيرته ، ثم قدم دمشق وتزوج بنت السلاوي زوجة مخدومه تقي^(١) الدين بن المنجا وسعى في قضاء دمشق ومات في المحرم ، سقط عليه سقف بيته لهلك تحت الردم .

٢١ - علي بن خليل بن علي بن أحمد بن عبد الله بن محمد المصري الحنبلي ، نورالدين الحكري ، كان فاضلاً نبيها ، درس وأفاد وعمل المواعيد بالجامع الأزهر ، ثم ولى قضاء الحنابلة قليلاً عوضاً عن موفق الدين أحمد بن نصر الله في يوم الخميس ثاني جمادى الآخرة سنة اثنتين وثمانى مائة فأكثر من النواب ، وسافر مع العسكر في وقعة تم ثم رجع فأعيد موفق في ذى الحجة منها ثم استمر مفصلاً^(٢) إلى أن مات في تاسع المحرم ، وهو والد بدر الدين الحكري الذى ناب في الحكم^(٣) بعد ذلك مدة ، وسيأتى سنة سبع وثلاثين وثمانى مائة .

٢٢ - علي بن عمر بن سلمان الخوارزمي ، أبو الحسن علاء الدين ، وُلد سنة ست وستين بمصر ، وكان أبوه من الأخيار فنشأ ولده على أجمل طريقة وأحسن سيرة ، وأكثب على الاشتغال بالعلم ، ثم طالع في كتب ابن حزم فهوى كلامه واشتهر بمحبته والقول بمقائله وتظاهر بالظاهر ، وكان حسن العبادة كثير الإقبال على التصرع والاجتهاد والابتغال والدعاء ، ونزل عن إقطاعه في سنة بضع وثمانين ، وأقام بالشام مدة ثم عاد إلى مصر وياشر عند بعض الأمراء . وقرأت بخط الشيخ تقي الدين المقرئ أن المذكور ياشر شد الأقصر لبعض الأمراء^(٤) ، ولم يكن يُزرع بها إلا نحو ألف فدان وبقايتها بؤر وخرس .

(١) راجع ابن طولون : قضاء دمشق ، ص ١٨٩ .

(٢) جاء في عقد الجمان للبحي ٢٠٦/٣ « إنه ابتلى بتولية القضاء في مذهب الحنفية » .

(٣) كانت نيابته في الحكم عن الحنابلة ، كما أشار ابن حجر إلى أن بدر الدين ناب عنه أيضاً في الحكم ، انظر رفع

الإصر ، ص ٣٩٩ .

(٤) جاء بعد هذه العبارة في الضوء اللامع ٢٦٦/٥ « فذكر أن مساحتها ٢٤,٠٠٠ فدان » ، وكان ذلك في سنة ٨٧٩١ .

وكان حسنَ العبادة شديداً الإقبال على الله . مات في تاسع صفر .

٢٣ - علي بن محمد بن عبد الوارث بن جمال الدين محمد بن زين الدين عبد الوارث ابن عبد العظيم بن عبد المنعم بن يحيى بن حسن بن يعقوب بن محمد بن عيسى بن شعبان ابن عيسى بن داود بن محمد بن نوح بن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق القرشيّ التيميّ البكري ، الشيخ نور الدين ، اشتغل بالعلم ومهر في الفقه خاصّة ؛ وكان كثير الاستحضار قائماً بالمعروف شديداً على مَنْ يطلع منه على أمرٍ منكر ، فجزّاه الإكثار من ذلك إلى أن حسّن له بعض أصحابه أن يتولى الحسبة ، فولى حسبة مصر براراً وامتحنَ بذلك حتى أضرَّ ذلك به ، ومات في ذى القعدة مفصولاً [عن الحسبة] وله ثلاث وستون سنة .

٢٤ - عمر بن إبراهيم بن سليمان ، الرهاوى الأصل ثم الحلبي ، زين الدين كاتبُ الإنشاء بحلب ، قرأ على الشيخ شمس الدين الموصلي وأبي عثائر، وتعالى الأدب وبرع في النظم وصناعة الإنشاء وحسن الخطّ، وولى كتابة السرّ بحلب عوضاً عن ناصر الدين [محمد] بن أبي الطيب ، ثم ولى خطابة الجامع الأموي بعد وفاة أبي البركات الأنصاري ، وكان فاضلاً ذا عصبية ومروءة ، وهو القائل :

يا غائبينَ وفي سِرِّي مَحَلُّهُمُو
دَمُ الفؤادِ بِسَهْمِ البينِ مسفوكُ
أشتاقُكمُ^(١) ودُموعُ العَيْنِ جاريةُ
والقَلْبُ في رِبْقَةِ الأسواقِ مَمْلوكُ
ومن شعره :

وَحَائِكِ يَحْكِيهِ^(٢) بَدْرُ الدجى
يَنْسُجُ أَكْفَانًا لِعَشَائِقِهِ
وَجْهًا ، وَيَحْكِيهِ القَنَا قَدًا
مِنْ غَزْلِ جَفْنِيهِ وَقَدْ سُدًّا

(٢) في ٥ : « خلفه » .

(١) في « أسيانكم » .

وفيه يقول زين الدين عبد الرحمن بن الخراط^(١) :

وفي الرهاوى لي مديحٌ مُسَيَّرٌ أعجَزَ الحلاوى
قد أطربَ السامعين طُراً ، وكيف لا ، وهو في الرهاوى

مات في ثانی ربيع الآخر من السنة .

٢٥ - عمر بن علي بن طالوت بن عبد الله بن سويد النابتی^(٢) ثم الدمشقي ، ركن الدين ، ناظر البدرائية^(٣) بدمشق وكان بزيّ الجند . مات في ذي الحجة .

٢٦ - عوض بن عبد الله الزاهد ، كان منقطعاً بجامع عمرو بن العاص وللناس فيه اعتقاد . مات في رمضان .

٢٧ - فارج بن مهدي المريئي القسائد ، كان مدبر دولة بني مرين في سلطنة أبي سعيد عثمان بن أحمد بن إبراهيم بفاس . مات في أواخر السنة بفاس .

٢٨ - قطلوبغا بن عبد الله ، عمل مرةً أستاذية أيتمش واشتهر به ، ثم ولي الأستدارية للسلطان مراراً . مات في ربيع الأول .

٢٩ - محمد^(٤) بن إبراهيم بن عمر البيدمري ، نشأ نشأةً حسنة وقرأ القرآن العظيم ونظم الشعر وتأمّر وبأشرف الخاص ، وكانت له معرفة بالأُمور . مات في ربيع الآخر .

٣٠ - محمد بن أحمد بن علي بن محمد ، أمين الدين المنهاجي سبط الشيخ شمس الدين بن اللبان ، وُلد سنة بضع وثلاثين واشتغل بالعلم وحفظ « التنبيه » ، وأسمع علي

(١) هو عبد الرحمن بن محمد بن سلمان بن عبد الله الحموي المولد ، عُني بالأدب والشعر وطارح الأدباء وأكثر من مدح كبار رجالات عصره ، ولما سكن القاهرة امتدح حكامها ، وتولى رئاسة ديوان الإنشاء بمصر بعد تقى الدين بن حجة الحموي ، وامتدح برسباي جين جي بجانوس ملك قبرص أسيراً إلى القاهرة ، وكان موته سنة ٨٤٠ هـ .

(٢) نسبة إلى « نابت » وهو موضع بالبصرة ، انظر مرصد الاطلاع ٣/١٣٤٧ .

(٣) انظر النعمي : الدارس في تاريخ المدارس ١/٣٠٥ وما بعدها .

(٤) في هـ بخط الناصح « صاهر الملك الناصر وصاهر سعد الدين بن فراب فإنهما تزوجا هذه » .

ابن عبد الهادى فى « صحيح مسلم » وعلى جدّه لأُمّه ، وكان معه عدة جهات بأشْرَ فيها من الأوقافِ الحكيمية ، وانقطع إلى القاضى صدر الدين المناوى واشتهر بصحبته وصارت له وجاهة ، ثم تعاطى التجارة واتَّخذ له مطبخَ سكر وكَثُرَ ماله ، ومات فى شهر رمضان منها . سمعتُ منه قليلاً .

٣١ - محمد بن أحمد بن على بن موسى بن الصاحب فخر الدين سليمان بن الشيرجى ، كان يُعرفُ بالأنصارى ، صحب الشيخ أبا بكرِ الموصلى وتُلمذَ له . حجَّ فمات بمكة فى ذى الحجة .

٣٢ - محمد بن حسن بن على المصرى الصوفى المقرئ المعروف بالقرسيسى^(١) ، سمع من الحافظ أبى الفتح بن سيد الناس ومن أحمد بن كشتغدى ولم يظهر سماعه إلاً بآخره فإنه حضر السماع على الشيخ تقى الدين بن حاتم فى « السيرة » ، فقرئت الطبقة فوجد اسمه فيها فأقيم من السامعين وأجلس مع المسمع ، ووجد سماعه بفوت ، ثم وجد فى بعض النسخ ما يدل على أنه أكمل له ، وإلى الآن لم أتحقَّق ذلك . مات فى شهر رجب وله سبع وثمانون سنة .

٣٣ - محمد بن حسين بن الشيخ مسلم السلمى ، أحدُ المشايخ المعتقدين بمصر . مات فى ربيع الأول .

٣٤ - محمد بن يحيى بن العلامة أبى حيان بن العلامة أبى حيان محمد بن يوسف بن على الغرناطى ثم المصرى ، أبو حيان بن فريد الدين بن أثير الدين ، وُلد سنة أربع وثلاثين ، وسمع من جدّه ومن ابن عبد الهادى وغيرهما ، وكان شيخاً حسن التَّمكُل منور الشيبة بهى المنظر حسن المحاضرة ، أضرَّ بآخره . سمعتُ منه يسيراً ومات فى ثالث رجب .

(١) نسبة إلى قرية فرسيس بين زفى وثفنا ، انظر محمد رمزى : القاموس الجغرافى ، ج ٢ ص ٢٣ .

٣٥ - محمد بن سعد بن محمد بن علي بن عثمان بن إسماعيل^(١) ، شمس الدين الطائي خطيب الناصرية ، وُلد سنة ثلاث وأربعين ، وتفقه بعد أن حفظ «التنبيه» على أبي الحسن علي الباقي^(٢) والكمال عمر بن المعجمي^(٣) والجمال بن الحكم التيزيني^(٤) ، وسمع الحديث من بدر الدين بن حبيب وغيره ، وولى خطابة الناصرية واشتهر بها ، وها إلى أن مات ، وكان كثير التلاوة والعبادة سليم الصدر؛ مات في جمادى الأولى ، وهو قاضي حلب أبقاه الله .

٣٦ - محمد بن سلمان بن عبد الله ، شمس الدين بن الحرّاني الفقيه الشافعي الحموي نزير حلب ، أصله من الشرق وأقدمه أبوه طفلاً وسكن حماة وعلمه صناعة الخرط^(٥) ، ثم ترك وأقبل على الاشتغال فأخذ عن شرف الدين يعقوب بن خطيب القلعة والجمال يوسف بن خطيب المنصورية وصاهره [على أخته] ، ثم رحل إلى دمشق وأخذ عن زين الدين القرشي ، ودأب وحصل وشارك في الفنون ، ثم قدم حلب سنة ثلاث وتسعين وناب في الحكم عن ناصر الدين [بن خطيب نقرين] بن القطب ، ثم عن أبي البركات ، ثم ولى قضاء الرها ثم ولى قضاء بُزاعة^(٦) ، ثم ناب في الحكم بحلب أيضاً ، وولى عدة تداريس ؛ وكان فاضلاً مفنناً مشكوراً في أحكامه ومات في سابع شهر ربيع الأول بالفالج .

٣٧ - محمد بن عبد الملك بن عبد الكريم بن يحيى بن ناصر الدين بن القاضي محيي الدين شيخ الشيوخ تقي الدين بن قاضي القضاة محيي الدين بن الزكي ، وُلد بعد

(١) أمامها في هامش «مخط البقاعي» ، «ابن إبراهيم بن يوسف بن يعقوب بن علي بن هبة الله بن ناجية» .

(٢) هو علي بن الحسن بن قيس الشافعي مدرس الحديث الشريف بالاسكندرية ، راجع ترجمته في ابن حجر : الاتيابه ،

ج ١ ص ٤٦ ترجمة رقم ٢٥ ، والدرر الكامنة ٣/٢٧١٤ ، وابن العباد الخليل : شذرات الذهب ٦/٢٣٣ .

(٣) انظر الدرر الكامنة ٣/٢٩٦٦ ، وإنباء الغمر ، ج ١ ص ١١٧ ، ترجمة رقم ٤٤ .

(٤) نسبة إلى تيزين من أعمال حلب ، انظر عنها مراصد الاطلاع ١/٢٨٥ ، Dusaud : Topographie

Historique de la Syrie Antique et Medievale, pp. 225 et seq.

(٥) وذلك يعرف أحياناً بآبن الخراط ، انظر السغاوي : الضوء اللامع ٧/٦٤٣ .

(٦) انظر مراصد الاطلاع ١/١٩٢ ، Dusaud: op. cit. p. 3.

الخمسين وسمع من العُرَضِي وابن الجَوْحِي (١) وغيرهما من أصحاب الفخر ، وكان يرجع إلى دينٍ وعقلٍ ، وكان هو أَسَنُّ إخوته . خرج مع القاضي علاء الدين بن أبي البقاء في قسم بعض المغلات فقطع عليهم الطريق فقتل هذا وجرح علاء الدين فسقط فظنوا أنه مات فسلم ، وذلك في المحرم من هذه السنة .

٣٨ - محمد بن علي بن عبد الله الحرّفي - بفتح المهملة وسكون الراء بعدها فاء -

الشيخ قمر الدين (٢) المغربي . مات في شوال .

٣٩ - محمد بن المبارك الآثاري ، شمس الدين الآثاري ، مات في المحرم من ثمانين

سنة ، وكان مغزى بالمطالب والكيمياء ، كثير النوادر والحكايات المعجبة ، أعجوبة في وضعها ، والله يغفر له ولي .

٤٠ - محمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد العزيز القديسي ، الشيخ شرف الدين

أبو الفضل ، وُلد بعد الأربعين ، وسمع من الميدوني على ما كان يزعم ، ثم حُبب إليه

الطلب فسمع الكثير من أصحاب الفخر وابن عساكر والأبرقوهي (٣) ، ثم من أصحاب

أصحاب وزارة والقاضي والمطعم وغيرهم ، ثم من أصحاب الوالي والديبوسي والخنفي

ونحوهم ، ثم من أصحاب [أبي الحسن] بن قريش وابن كشتغدي والتفليسي وغيرهم ؛

وعُنيَ بتحصيل الأجزاء وإفادة الطلبة وكتابة الطبايق والدلالة على المشايخ وتسميع

أولاده والإحسان إلى من يقدم عليه من الغرباء وخصوصاً الشاميّين ؛ وكتب بخطه الحسين

ماليّ حصي ، وكان يحبس عن الناس أسمعتهم فلم يمتنع بما سمع ولا عاش له ولد ذكر أبعد

منه .

(١) انظر ابن حجر : الدرر الكامنة ١/٦٤٢ .

(٢) وكان أثيراً عند الظاهر برقوق لرؤيا رآها له .

(٣) هو أبو المال أخته بن إسحق بن محمد بن المؤيد بن علي المخرق سنة ٧٠١ هـ ، أصله من أبرقوة بأصبهان ، وقد

أكثر من البيع وحدث عنه الكثيرون منهم الذهبي ، وكان يعرف بين الصوفية بالهرودي لبنته المخرقة عنه ، انظر عنه

الدرر الكامنة ١/٢٨١ ، والشذرات ٤/٦ .

أن كان يبالح في تسميعهم ويجهد في التحصيل لهم ، وكان يتعاني نظم الشعر فيأتى بما يضحك ؛ إلا أنه ربما وقع له ديوان غير شهير فيأخذ منه ما يمدح به الأعيان خصوصاً القضاة إذا ولوا ويستعين بمن يُغَيِّر له بعض الأسماء ، وربما عُثِر على القصيدة في ديوان صاحبها ، وأعجب ما وقع له أنه أنشد لنفسه عند ماولى ناصر الدين بن الملق القضاة :

إن ابن مِلِّقٍ شَيْخٌ رَبِّ زاوِيَةٍ بالناسِ غَرٌّ وبالأحوال غير درى^(١)
قد ساقه قَدْرٌ نحوَ القضاةِ وَمَنْ يسطيع ردَّ قضاةٍ جاء عن قدرٍ ؟

فوجد البيتان بعينهما للقاضي بدر الدين بن جماعة ، وقد غيّر منهما بعض الشطر الأول من البيت الأول فقط وهو « فالعَيْدُ وهو فقيرٌ رَبِّ زاوية » إلى آخرها .

ومات في شوال بعد أن جرت له محنة مع القاضي جلال الدين [البلقيني] لكونه مدح القاضي الذي عُزِلَ به فضربه أتباعه وأهانوه فرجع متمرّضاً فمات وتفرقت كتبه وأجزؤه شذر مذر .

٤١ - محمد بن عبد الرحمن بن فَرِيح^(٢) المصرى ، القاضي ناصر الدين بن الصالحى ، من الصالحية التي بظاهر القاهرة ، وُلد سنة بضع وخمسين وسمع على ما ذكر من الشيخ جمال الدين بن نباتة وغيره ، وتعالى الأدب ، ونظم الشعر الوسط ، وكتب الخط الحسن ، ووقع عن القضاة ، ثم تاب في الحكم عن الحنفية ثم عن الشافعية ، ثم وثب على منصب القضاء لما غاب المناهى فتم له ذلك عشرة أشهر ثم عُزِلَ ، ثم أعيد بعناية السالى في شوال فاستمر فيه أربعة أشهر ، ومات يعلق القولنج الصفراوى وأسف أكثر الناس عليه لحسن تودده وكرم نفسه وطيب عشرته ومشاركته في العلم ، ولأنهم ألقوا

(١) في الأصل ، ز ، هـ « غر من الناس بالأحوال غير درى » و ماأنتناه من الضوء اللامع ١٩٦/٩ .

(٢) الضبط والتنقيط من ز ، راجع السخاوى : ذيل رفع الإصر ص ٣٤٣ - ٣٤٤ ، هذا وقد أشار العيني : عقد

الجهان ٢٠٦/٣ إلى أن صهره كان أمير المؤمنين .

من المناوى ذلك البأو المفرط فالآن لهم الصالحى جانبه عن تواضع وكرم . مات فى ثانى عشر المحرم وتقدّم فى الصلاة عليه القاضى الحنفى .

وكان كثير البرّ للفقراء والأغنياء لا يردّ سائلاً ، وكان ذلك يؤدى إلى حرمان بعض المستحقين [من (١) الأيتام ونحوهم] لأن الذى تحت يده المال لا يردّ خطّه فيدفع لمن يكتب له من أموال الأيتام والأوقاف ، فيضيع ذلك على مستحقّه من بعده ، وقد استكثر فى ولايته الأولى هذه من النواب بالشفاعات من الأكابر ، ومنهم شمس الدين محمد ابن يحيى المقرئ الصالحى ، وكان استقر إماماً عند قطلوبغا الكركى ، فكلم القاضى حتى قرره فى الحكم بإيوان الصالحية فى نوبة عز الدين البلقينى وشقّ ذلك على نواب الحكم .

٤٢ - محمد بن محمد بن محمد بن حسن المصرى (٢) الصوفى القمنى ، سمع من شمس الدين بن القماح « صحيح مسلم » بفوت ، وسمع من غيره وحديث ، وسمعت منه قليلاً . مات وله سبع وسبعون سنة فإنه كتب لى بخطه أن مولده سنة ٧٢٩ .

٤٣ - محمد بن محمد البجانسى (٤) ، شمس الدين ، ولى الحسبة مراراً وكان جائراً فى أحكامه ، قليل العلم ، مبالغاً فى السطوة بالناس ، إلا أنه أعف من غيره . مات فى رابع جمادى الأولى .

٤٤ - محمد بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الحميد المقدسى ثم الدمشقى المقرئ المؤدب ، روى لنا عن زينب بنت الخباز ، ومات بطرابلس .

٤٥ - مسرور الحبشى المعروف بالشبلى ، شيخ الخدام بالمدينة النبوية . مات معزولاً لمعجزه .

(١) الإضافة من السخاوى : ذيل رفع الإصر ، ص ٣٤٤ ، والضوء اللامع ٢٦١/٩ .

(٢) نعت السخاوى فى الضوء اللامع ٥٢٢/٩ بالقاهرى لا المصرى .

(٣) « الخانسى » فى المقرئى : السلوك ٤٣ ب ، و « النجانسى » فى الضوء اللامع ١١١/١٠ ، وفى « البخانسى » .

سنة سبع وثمانى مائة

فيها أوفى^(١) النيل وزاد زيادةً حسنة وياشر الناصرُ كسُرَ الخليج بنفسه ، ومُنِعَ الناس من الدّخول إلى بركة الرطلى في الشخاتير وعمل على رأسها جسراً بقنطرة ، وياشر^(٢) ذلك باشباى فنسب إليه واستمر ذلك ، وتراجع السُّعر كثيراً ، ثم رجع عند التخضير فحصل^(٣) الفناء في الصعاليك وغيرهم ، ووقع الغلاء في كلِّ شئٍ حتى اشتري بعضُ الناس زوجَ إوزٍ بألفٍ ومائتى درهم ، وبلغ سعر الشيرخشك كل رطل بثلاثمائة درهم .

وخرج من الإسكندرية خمس سفن مملّى ناساً هاربين من الغلاء ففرقوا أجمعين .

وفيها ظهر في الجانب الغربى من مصر وفي القليوبية على شاطئ النيل في الليل في المزارع شبيهُ الفيران ، يشتعل مثلَ المشاعل .

وفي المحرم ولى سُوَيْدَان واسمُه محمد بن سعيد^(٤) الصالحى - نسبةً إلى الملك الصالح صالح بن التنكزية - وكان أحد قراء الجوق بالقاهرة - حَسَبَتَهَا عوضاً عن الهوى .

وفي ثالث صفر^(٥) صُرف بدرُ الدين بن نصر الله عن نظر الخاص وأعيدَ إلى فخر الدين بن غراب .

* * *

وفي أوائلها أُشيع أنَّ نائبَ الشام شيخَ المحمودى عزم على الخروج عن الطاعة ، فأرسلوا إليه الأمير طولو الذى كان أميرَ الركب في العام الماضى ليكشف أخباره ، وفي الباطن

(١) كانت غاية فيضان النيل هذه السنة بمقياس الروضة ١٦ ذراعاً و ١٣ قيراطاً ، كما جاء في التوفيقات الإلهامية ص ٤٠٣ .

(٢) عبارة « وياشر ذلك بشباى فنسب إليه واستمر ذلك » غير واردة في ظ .

(٣) عبارة « فحصل الفناء في الصعاليك وغيرهم » غير واردة في ظ .

(٤) ورد اسمه في ز ، وفي المقرئى : السلوك ، ٤٣ ب « ابن سعد » ، انظر العيى : عقد الجمان ، لوحة ٢١٠ ، وسماء الضوء ٦٢٩/٧ « بابن سعيد » . هذا ويلاحظ أن عبارة : « الصالحى نسبة إلى الملك الصالح بن التنكزية » غير واردة في ظ ، وسترد ترجمة الصالحى فيما بعد تحت رقم ١٨ . من وفيات سنة ٨٣٢ في الجزء الثالث من إنباء الغمر .

(٥) انظر عقد الجمان ، لوحة ٢١٠ .

هو معه على هواه^(١) ، فقرّر أمره ورّجع سريعا ، وكان^(٢) النائب تلقاه وبالغ في اكرامه ورجع في ربيع الأول .

وفيهما غلب جكم على حلب وهرب دمرداش ثم غلب على حماه وحمص وأطاعه خلق كثير من التركمان والعرب والترك ، وكان شهما مهابا ؛ فكاتبه الناصر يطلب منه الدخول في الطاعة وأن يؤمّر على البلاد التي غلب عليها فامتنع ، ثم كاتبه نائب الشام ومن معه فأجاب إلى الدخول معهم ، ثم وقعت بين جكم وقرابيلك التركمانى وقعة انتصر فيها جكم وأسروا قرابيلك ، وفرّ دمرداش في البحر إلى دمياط ، فأذن له في دخول القاهرة فاستقر بها أحد الأمراء ، واستقرت قدم جكم بحلب وغلب عليها في جمادى الأولى .

وفي أولها أوقع نائب الشام بالعرب^(٣) من بنى الغزوى فهدم دورهم واستاق ما لهم من أنعام ، وكانوا قد هربوا منه لما قصدوا عجلون ظنا منهم أن ذلك ينجيهم منه ، ففعل بهم ذلك فرجعوا فطلبوا الأمان .

وفيهما^(٤) في ثالث جمادى الأولى تنزلت مدينة حلب وقت الظهر وكانت ساعة مهولة وضجّ الناس بالدعاء ثم سكنت ، وانتشرت في عدّة من تلك البلاد . ذكر لي ذلك القاضي علاء الدين .

وفيهما تعصّب أكثر الأمراء على يشبك وأتفقوا مع الناصر أن يقبض عليه ، فلما أحس^(٥) بذلك جمع إخوته ومن أطاعه^(٦) ، فوافقه تمرّاز وبلغا الناصري وإينال حطّبا

(١) يفهم مما أورده أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٣٠٦/١٢ أن إرسال طولو إنما كان لإعلام شيخ الحمودى بغير فتنة يشبك في مصر مع إينال باي (شرحه ص ٣٠٣ - ٣٠٦) ، وأن شيخا حين سمع بالأخبار « شق ذلك عليه » ، على أن نفس الكاتب يشير فيما بعد (شرحه ص ٣٠٧) إلى مكاتبة شيخ ليشبك الشعباني يرغب في القدوم عليه ويتمهد له بنصرته .

(٢) عبارة « وكان النائب إلى آخر الخبر » غير واردة في ظ .

(٣) في هامش ه « صار العرف في العرب يختص بالرحالة ، وهؤلاء ليسوا كذلك إنما هم مشايخ المشير » .

(٤) ورد هذا الخبر في جميع النسخ الأخرى ما عدا نسخة ظ .

(٥) يعني بذلك يشبك الشمانى .

(٦) أى من أطاعه من ممالك السلطان ، راجع هذه الأحداث بالتفصيل في العيني : عقد الجمان ، لوحة ٢١١ - ٢١٤ ،

والمقرئى : السلوك ، ورقة ٤٤ ب - ٤٥ ا .

وقطلوبغا الكركي وسودون الحمزاوي وطولو ، وتَوَثَّبَ على مدرسة حسن فصعد إليها لأنها كانت مجاورة بيته ، ورتَّبَ فيها آلات الحرب ، ثم أظهرَ الشقاقَ وأرادَ أخذَ المملكة ، فقام عليه باقى الأمراء فدامت الحرب بينهم أياما من رابع جمادى الأولى إلى سابعه ، ثم كانت الكسرة على يشبك وأتباعه فهرب في الليل هو وأكثر من أطاعه ، وهرب معه سعد الدين بن غراب ، واستمرت هزيمتهم إلى الشام فوصلوها في آخر جمادى الآخرة ودخلوا دمشق في أول رجب ، فتلقاهم نائبُ الشام وبألغ في إكرامهم حتى قيل^(١) إنَّ جملة ما لزمه عليهم مائتا ألف دينار ، وكان شيخُ النائبِ قد أخرج نوروز من قلعة الصَّبِيْبَةِ وأحسن إليه ، ووصل إليهم أسن باى من صفد وكان مسجوناً بها ، ووصل إليهم قنباى العلائى الذى كان هرب من السجن فأرسلوه إلى جكم فاستأله حتى مال معهم وتوجه إلى دمشق فتلقوه وأنزل في الميدان ، وأرسل إليه شيخُ بهدايا جليلة .

ثم أفرج عن قرا يوسف من السجن فركب معه جمع جم من التركمان ، وأنعم شيخُ على نوروز بالدورة^(٢) التى جرت العادة بها في بلاد الشام فحصل جملة مستكثرة .

ولما فرَّ يشبك كان قد أغلقت أبواب القاهرة في هذه الفتنة أياماً ففتحت وزاد الكلام ونقص ، ثم استقرَّ الأمر وقرَّرَ إينال بيه بن قجماس قريبُ السلطان أتابكا ، ويشبكُ بنُ أزدمر رأس نوبةٍ كبيراً ، وسودون الماردانى فى الدويدارية الكبرى ؛ ووصل دقماق نائب حلب إلى دمشق بحسب تفويضه السلطان ذلك إلى اختياره والإذن له فى المقام بأى بلد شاء^(٣) .

واستقر أبوكم فى نظر الجيش ، وابن قيمآز فى الأستادارية عوضاً عن ابن غراب ، ثم صُرف أبوكم واستقرَّ بدرُ الدين بن نصر الله فى ثانى عشرى جمادى الآخر ، فكانت مدة أبوكم فى نظر الجيش عشرة أيام ، ثم صُرف ابن البقرى عن الوزارة ونظر الخاص

(١) أنظر أبا الحسن : النجوم الزاهرة (طبعة مصر) ٣٠٨/١٢ .

(٢) عرف ناسخ « الدورة فى الهامش فقال : « كما يقال بمصر السرحة » .

(٣) انظر النجوم الزاهرة ٣٠٦/١٢ .

وأضيفتا لابن نصر الله ، وقُبض على ابنِ البقرى ثم صُرِفنا عنه ووليها ناصر الدين قريب ابن الطبلاوى فى رمضان وكانَ قبل ذلك شبادَ الدواوين .

وفى رابع رجب صُرِف [ركن الدين^(١) عمر] ابن قِياز من الأستدارية واستقرَّ جمالُ الدين يوسف ألبيرى أستاذاربيجاس .

وفى شعبان أفرج عن يلبغا السالمى أيضا من الإسكندرية وقدم فى رمضان واستقرَّ مشير الدولة^(٢) .

ثم لما اجتمعت الأمراء على العصيان على الناصر هرب منهم ديمقاق ، واحتاج نائب الشام إلى الأموال فأخذ من التجار عشرة آلاف دينار ، ومن الغوطة من كل بستانٍ : دينارين ، واستولى على كلِّ شعيرٍ بدمشق .

ولما استقرَّ يشبك بدمشق كاتبَ جكم فجمع العساكرَ وجاء إلى دمشق ، واجتمعت كلمةُ غالبِ النواب على ذلك ، وخرج معهم قرا يوسف بمن معه من التركمان ، فاجتمع من لا يُحصى وأنفق فيهم نائبُ الشام شيخ من الأموال ما لا يدخل تحت الحصر ، وساروا أولا إلى صفد فحاصروها وبها بكتمر جلق فصالحوه ، ثم توجَّهوا جميعاً بعد قدوم جكم - من الشام إلى مصر ، وبلغ ذلك الأمراء بمصر فتجهَّزوا فخرجوا فى ثامن ذى الحجة ، وكان يشبك - لما خرج على السلطان - أرسل بالإفراج عن السالمى فأعيد إلى الإشارة فباشرها بشدةٍ عظيمة وسطوة ، وصار الوزيرُ وغيره لا يقطعون أمراً دونه ، وخلص من سجن الإسكندرية سودون من زاده والمشطوب وصُرِّق ، فاستقر سودون من زاده حاجباً كبيراً ، وصُرِّق كاشفاً ، وجمالُ الدين - أستاذاربيجاس - فى الأستدارية فى شهر رجب من هذه السنة وأضيف إليه كشف الوجه البحرى .

(١) الإضافة من العيى : عقدالجان ، لوحة ٢١٥ ، والمقرىزى : السلوك ، ورقة ٤٧ ا ، وأمامها فى هامش ه « ولاية

الجمال البيرى للأستدارية » .

(٢) راجع العيى ، شرحه ، ٢١٥ ، والسلوك ، ٤٨ ب .

وخرج العسكر إلى الريدانية في الثاني من ذى الحجة ، ثم ساروا إلى جهة الشام ، فلما انتهوا إلى منزلة السعيدية^(١) في رابع عشر ذى الحجة وجدوا العسكر الشامي قد وصل وكانوا خرجوا من رمضان وهلمّ جرا ، والتقى الجمعان ليلاً بغير تعبئة ، فأشار قرا يوسف على الشاميين بالمبيت على العسكر المصري فدهمهم ما لم يكن في حسابهم ، فانهزموا لا يلوى أحدٌ على أحدٍ إلى أن انتهوا إلى القاهرة .

وأما الناصر فأركبه سودون طاز وغيره المهجن وشقّ به البرية إلى أن انتهى به إلى القلعة بعد معاناة عظيمة ومقاساة جهد بعد يأسٍ شديد ، واجتمع إليه من انهزم وتصافوا وتبيّثوا للقتال ، ووقع في القاهرة هرج عظيم ، وغُلِقَتْ أبوابُ البلد والدروب وانقطعت المعاييش ، وتباطأ الشاميون بسبب النهب فأخذوا من العسكر المصري ما لا يدخل تحت الوصف من الأقمشة والجمال والخيول ، ووقع صُرق في قبضة نائب الشام فضرب عنقه صبراً .

ولما عزموا في الرحيل إلى جهة القاهرة استعجل حكم فالتمس منهم أن يبايعوه بالسلطنة قبل دخول القاهرة ، فأنفوا من ذلك واختلفت الكلمة ، وكانوا قد حاصروا القلعة وكادوا أن يملكوا البلد ، فراسلوا الناصر ، فاقتضى رأى شيخٍ ومن وافقه الرجوع إلى الشام ، واقتضى رأى يشبك ومن وافقه الدخول إلى مصر خفية ، واقتضى رأى كراى ويبلغا الناصري وسودون الحمزاوى الدخول تحت طاعة الناصر فوصلوا إليه ، وتفرق بقية الناس فدخل أكثرهم القاهرة خفية ، ورجع حكم - لما رأى الخذلان - إلى جهة الشام حمية بمن تبعه ، واستمرت الهزيمة على الشاميين فتفرقوا .

ثم اجتمع حكم وشيخ وقرا يوسف ومن بقى معهم ببلييس وتوجهوا إلى جهة الشام ، وأرسل الناصر خلفهم جريدة فوصلوا إلى بلييس ورجعوا ولم يظفروا بطائل ، وتودى في

(١) هي أول مركز للبريد إلى دمياط وغزة ، وقد أنشأها الملك الظاهر بيبرس في سنة ٦٦٥ راجع صبح الأعشى

٣٧٧/١٤ ، وهي منسوبة لولده السعيد محمد ، وقد ذكر محمد رمزى في تعليقاته على النجوم الزاهرة ٢٥٢/٨

حاشية رقم ١ أنه تبين له أنها اندثرت وأن مكانها اليوم عزبة الشيخ مطر .

القاهرة على أعيان الأمراء الذين اختفوا ، ثم سكن الحال واحتيط على موجود الأمراء الهاربين ، وقرّر على مباشرى يشبك مائة ألف دينار ، وعلى مباشرى سودون الحمزاوى ثلاثون ألف دينار ، وكانت جملة من فرّ من ممالك السلطان مائتي نفر ، وصودر شمس الدين الحلاوى وعُصِرَ لأنّه كان مباشراً عند يشبك ، وسُلّم الشيخ زين الدين القمنى لشاد الدواوين لأنّه كان أعان يشبك بقسى وسهام ومال .

وسمى ابن غراب إلى أن أمنوه ، فظهر هو وكثير من الأمراء في العام الآتى ، ثم ظهر يشبك وأعيدت إليه وظائفه وعفا السلطان عنه ، فيقال إن سبب ذلك أن العسكر المصرى لما كبس ركب السلطان أبصره يشبك وقد أراد بعض المماليك أن يقتله (١) فحماه منه إلى أن نجا فرعى له ذلك .

• • •

وفي أواخر هذه السنة سجن الأمراء الذين استأمنوا إلى الناصر ، وكان يشبك لما انهزم أرسل طولو إلى شيخ يخبره بأمرهم ويستأذن في قدومهم (٢) عليه ، فأذن له وجّهز له الإقامة ، ثم تلقاه وترجّل له فترجّل يشبك أيضا ودخل دمشق بمن معه في رابع رجب ، ثم أرسل شيخ خلف نوروز فحضر إليهم من الصبيبة وكان معتقلاً بها (٣) ، وكذلك حضر دقماق نائب حلب ، وأفرج شيخ عن قرا يوسف وكان معتقلاً بقلعة دمشق ، وأنفق فيهم ما يزيد على مائتي ألف دينار ، وراسله بكتمر جلق نائب صفد بأنّه موافقهم .

• • •

واتفق خروج المحمل فركب (٤) في موكب جليل ، وركب معه جميع الأمراء القادمين وهم : يشبك وسودون الحمزاوى وجركس المصارع وتمراز وقطلوبغا الكركي وإينال حطط ويلبغا

(١) أى أواد بعض المماليك قتل السلطان .

(٢) هذه عودة من ابن حجر إلى بداية تحركات الأمراء الخارجين على السلطان ، وليست خطوة ثانية في الفتنة .

(٣) أمامها في هامش ه « قد تكرر بعض ما يذكره هنا » ، راجع الحاشية السابقة .

(٤) . يعنى بذلك شيخ الحمودى .

الناصرى وابنُ غرابُ وابنُ سنقر في آخرين . ثم قدم^(١) عليهم حكيم فوافقهم بعد أن كان اجتاز بحلب ، ففر منه دمرداش ، ثم سار بالعساكر من الشام وخلف بدمشق تمرّاز ويبلغا الناصرى وجماعة معهما ، وانضمَّ إلى شيخ أحمد بن بشاره بعشيرته ، وعيسى الكابولى بعشيرته ، والتركماني مع قرا يوسف ، ونزلوا كلهم على صفد ، فأرسلوا قاضيَ العسكر تقي الدين يحيى ابن الكرماني إلى بكتمر يدعونه إلى الموافقة فلم يقبل ، فحاصروه إلى أن طلب الأمان ، وخربت في هذه المرة صفد خراباً شنيعاً ؛ ثم إنهم رجعوا إلى دمشق وأعطى شيخُ للأمير نوروز الدورة^(٢) في بلاد حوران والرملة ، فغدر به وتوجّه إلى القاهرة ومعه جماعة فدخلوا في طاعة الناصر ، وقطعت الخطبة من دمشق للناصر ، ثم أفرج عن أحمد بن أويس من^(٣) الاعتقال .

وخرجت العساكر من دمشق في يوم الاثنين ثامن عشر ذي القعدة إلى قبة يلبغا ، وخلف بدمشق سودون الظريف وتقدّم الجاليش ثم تبعه بقية الأمراء . ففر منهم دقماق إلى صفد ، ولما وصلوا غزة استناب فيها أطنبغا العثماني ، واستناب بالقدس الشهاب بن اليعمورى ، فوصلوا إلى الصالحية يوم التروية ، فاستولوا على ما كان للسلطان بها من الإقامة ، فلما دخل من الصالحية أخبر بأن السلطان جمع العساكر ونزل ببلييس ثم التقت كشافه الفريقين ، ثم نزل الناصر بعساكره السعيدية ، ونزل شيخ بمن معه قريبا ، فلما جن عليهم الليل كبسهم شيخ ومن معه فانعكس عسكر الناصر وقاموا لا يلوى أحد على أحد من الدهشة وانهمزوا ، فنجا الناصر بنفسه مع الهجانة إلى بلييس ثم إلى قلعة الجبل ، واستولى شيخ على الخليفة والقضاة وجماعة من الماليك والأمراء ، ثم ركب بمن معه إلى أن وصل إلى الريدانية ووقف عند تربة الظاهر وما بقي إلا الظفر ، فاختلقت الآراء ذيمن يكون سلطاناً ، فتنمرّ لهم حكيم وصرّح بإرادة السلطنة فأنفوا من ذلك ، ففر خلق كثير إلى الناصر وطلبوا الأمان ، منهم إينال حطط وجمت ويبلغا الناصرى وسودون الحمزاوى ؛

(١) هذه عودة أخرى من ابن حجر إلى مجريات النزاع بين شيخ الحمودى وجماعته وبين السلطان فرج .

(٢) في هامش ه بخط الناسخ : « كما يقول المصريو السرحة » .

(٣) « من الاعتقال » ساقطة من ظ .

ودخل يشبك ومن معه وطائفته ليلاً إلى القاهرة فتوزعوا في البيوت ، ورجع شيخ ومن معه لما رأوا ذلك إلى دمشق ، وخلص الخليفة والقضاة وغيرهم فتوجهوا إلى منازلهم ، وذلك بعد أن وقع القتال بينهم تحت القلعة من جهة دار الضيافة ، فحاصر إينال حطط وجمت وأسن بيه ويلبغا الناصري والحمزاوي . وقُتل في هذه الكائنة صُرق ، وأسير معهم من الخليفة والقضاة والجنود ، ثم أمر السلطان بحبس الأمراء الذين خامروا بالإسكندرية .

ولما فرّ الأمراء أُحيط على موجودهم ، فقرر على مباشرى يشبك : مائة ألف دينار ، وعلى مباشرى سودون الحمزاوي : ثلاثون ألفاً ، وكان جملة من فرّ من المماليك مائتي نفس من المنزّلين في ديوان السلطان .

* * *

وفي أول هذه السنة حاصر دمرداش نائب حلب - أنطاكية وبها فارس بن صاحب الباز التركماني وأقام مدة ولم يظفر منها بطائل ، وكان جكم مع فارس فتوجه جكم بعده إلى طرابلس فغلب عليها وطرد عنها نائبها وهو شيخ السلياني ، ثم توجه إلى حلب فنازلها دمرداش - وذلك في شعبان - فالتقيا وجرى بينهما قتال كبير ، فانكسر دمرداش وخرج من حلب فركب البحر إلى القاهرة وملكها جكم ، ودخل من باب أنطاكية ، ثم خرج إلى جهة البيرة فقطع الفرات وأوقع بالتركمان وغلبهم وأسر منهم جمعا كثيرا ، ورجع في سلخ شعبان ثم توجه إلى طرابلس ثم إلى دمشق .

وفيها في جمادى الأولى زلزلت مدينة حلب زلزلة عظيمة ففزع الناس لها ولجأوا إلى الله تعالى فسكنت ، ثم عاودت مرارا ولم تُفسد شيئا والله الحمد .

* * *

وفيها توجه شهاب الدين بن كيدغدي رسولا إلى اللنك من المصريين واتفقت وفاته بحلب في ليلة السبت رابع عشر ربيع الآخر من هذه السنة ، وكان الغلاء قد اشتد بها فخرجوا

إلى الاستسقاء فاستسقوا في شهر رجب ، فخطب فيهم في اليوم الثاني أبو زرعة بن القاضي شرف الدين الأنصاري ، ثم عادوا في الثالث فخطب بهم شمس الدين بن الحداد الطونجي ، فلما انصرفوا حصل مطرٌ ولكن غير غزير ، لكنهم استبشروا به ، ثم جاء المطر بعد ذلك .

* * *

وفي هذه السنة نودي على الفلوس بأن يُعامل فيها بالميزان وذلك في شعبان ، وسُعرت : كل رطلٍ بستة دراهم ، وكانت فسدت إلى الغاية بحيث صار وزن الفلوس ربع درهم بعد أن كان مثقالاً .

وفي يوم عيد النحر والعسكر خارج البلد - أمر السالمى أن يُنادى على الفلوس كلُّ رطلٍ بأربعة دراهم ، فحصل للناس من ذلك تشويشٌ عظيمٌ وأكثروا الدعاء عليه ، فبلغ ذلك السلطان فكاتب السالمى بالمنع من ذلك وأمر بإعادة الفلوس إلى ستة : كلُّ رطلٍ .

ثم أرسل السلطان بإمساك السالمى ليلة كُبِس السلطان بالسعيدية ، ثم سُجِن بالإسكندرية في نصف ذي الحجة بعد أن سلّمه السلطان لجمال الدين فعوقب ضرباً بالعصى بسبب أنه كاتب السلطان أن حصّل له ثلاثة آلاف دينار فطلبت منه ، وفي سابع عشر ذي الحجة نقل إلى دمياط .

وفي تاسع عشر ذي الحجة - بعد استقرار السلطان بمملكته وظهور ابنِ غراب - أُعيد أخوه فخر الدين إلى الوزارة ونظر الخاص .

وفي الرابع والعشرين من ذي الحجة استقر نوروز في نيابة الشام ، ووصل شيخ وجكم وقرا يوسف إلى الشام في ثامن عشر ذي الحجة ، واستمر بكتمر الجركسي في نيابة صفد ، وسعد الدين بن غراب مشيراً وكبس بزى الأمراء حينئذ ، واستمر جمال الدين في الأستادارية .

وفي ذي الحجة هرب أحمد بن أويس من دمشق إلى جهة بلاده وكان النائب قد أطلقه من السجن فخشى أن ينكسروا فيقبض عليه فهرب .

وفيه أُخْدِثَ بِمَكَّةَ قَاضِيَانِ : مَالِكِيٌّ وَحَنَفِيٌّ ، فَالْحَنَفِيُّ : شَهَابُ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ الضَّيَّاءِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدِ الْهِنْدِيِّ ، وَالْمَالِكِيُّ : الْمُحَدِّثُ تَقِيُّ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ الْفَاسِيُّ وَذَلِكَ بِعِنَايَةِ السَّالِمِيِّ ، وَكَانَتْ مِنْ سَاعِدِ الْفَاسِيِّ فِي ذَلِكَ .

• • •

وَفِي أَوَّلِهَا وَصَلَ اللَّيْلُ إِلَى سَمَرْقَنْدَ وَاسْتَقْبَلَهُ مَلُوكُ تِلْكَ الْبِلَادِ وَقَدَّمُوا لَهُ الْهَدَايَا ، وَأَمْرًا بَعْدَ قُدُومِهِ بِتَزْوِيجِ وَلَدِهِ شَاهِ رَخٍ وَعَمَلٍ لَهُ عَرَسًا عَظِيمًا بَلَغَ فِيهِ الْمُنْتَهَى ، وَرَاعَى وَصِيَّةَ ابْنِ عَثْمَانَ فِي التَّنَارِ فَاسْتَصْحَبَهُمْ مَعَهُ فِي جَمَلَةِ الْعَسْكَرِ إِلَى أَنْ فَرَّقَهُمْ فِي الْبِلَادِ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ رَأْسًا فَتَمَزَّقُوا ، ثُمَّ عَزَمَ اللَّيْلُ عَلَى الدَّخُولِ إِلَى بِلَادِ الْخَطَا فَأَمَرَ أَنْ يُصْنَعَ لَهُ خَمْسَ مِائَةِ عَجَلَةٍ وَتُضَيَّبَ بِالْحَدِيدِ ، وَبَرَزَ فِي شَهْرِ رَجَبٍ وَرَحَلَ إِلَى تِلْكَ الْجِهَةِ ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى أُنْتَرَارِ (١) فَجَاءَهُ الْأَمْرُ الْحَقُّ فَوَعَكَ وَاسْتَمَرَ فِي تَوْعَكِهِ أَيَّامًا وَلَمْ يَنْجِعْ فِيهِ الطَّبُّ إِلَى أَنْ قُبِضَ فِي سَابِعِ عَشْرِ شَعْبَانَ وَحُمِلَ حِينَئِذٍ إِلَى سَمَرْقَنْدَ .

• • •

وَفِيهَا فِي جَمَادَى الْأُولَى جُهِزَتْ بِنْتُ تَمِّمٍ - وَهِيَ أُخْتُ النَّاصِرِ لِأُمِّهِ - إِلَى الشَّامِ وَتَلَقَّاهَا زَوْجُهَا نَائِبُ الشَّامِ شَيْخٌ فَدَخَلَتْ فِي جَمَادَى الْآخِرِ ، فَدَخَلَ بِهَا وَأَوْلَدَهَا وَمَاتَ عَنْهَا وَتَزَوَّجَتْ بَعْدَهُ بِبَعْضِ الْأَمْرَاءِ الصَّغَارِ ، وَمَاتَتْ فِي عَصْمَتِهِ سَنَةَ سِتِّ وَثَلَاثِينَ .

وَفِي ثَامِنِ عَشْرِ جَمَادَى الْآخِرَةِ صُفِرَ جَلَالُ الدِّينِ الْبَلْقِينِيُّ مِنْ قَضَاءِ الشَّافِعِيَّةِ وَاسْتَقَرَّ شَمْسُ الدِّينِ الْإِخْنَائِيُّ وَهِيَ الثَّلَاثَةُ الْإِخْنَائِيُّ ، ثُمَّ صُفِرَ الْإِخْنَائِيُّ فِي ثَلَاثِ عَشْرِ ذِي الْقَعْدَةِ وَاسْتَقَرَّ جَلَالُ الدِّينِ وَهِيَ الرَّابِعَةُ لَهُ ، وَصُفِرَ جَمَالُ الدِّينِ الْبَسَاطِيُّ عَنْ قَضَاءِ الْمَالِكِيَّةِ وَاسْتَقَرَّ وَوَلَّى الدِّينَ ابْنُ خَلْدُونَ فِي حَادِي عَشْرِ رَجَبٍ ثُمَّ صُفِرَ فِي أَوَّلِ ذِي الْقَعْدَةِ وَاسْتَقَرَّ جَمَالُ الدِّينِ بْنِ مَقْدَادِ الْأَقْفَهْسِيِّ .

وَفِي أَوَّلِ يَوْمٍ مِنَ الْمَحْرَمِ صُفِرَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْحَمْصِيُّ عَنْ قَضَاءِ دِمَشْقَ ، وَكَانَ قَبِيحَ السَّيْرَةِ مُتَجَاهِرًا بِأَخْذِ الرِّشْوَةِ ، وَوَلَّى عِلَاءُ الدِّينِ بْنُ أَبِي الْبَقَاءِ .

وَفِي صَفَرٍ وَصَلَ عَبْدُ الْعَزِيزِ الْبَغْدَادِيُّ مِنَ الْقُدْسِ فَعُقِدَ لَهُ مَجْلِسٌ مَعَ الْبَاعُونِ ، فَزَعَمَ

(١) عَلَى شَفَةِ سِيحُونَ الشَّرْقِيَّةِ ، وَتَمُوتُ بِبَابِ أَوْ فَارَابَ ، أَنْظَرَ بِلْدَانَ الْخِلَافَةِ الشَّرْقِيَّةِ ، ص ٥٢٨ .

عبد العزيز أنه قطع عليه الطريق وأخذ قماشه ونهب ما معه من الورق والمستندات ، فداعى عليه الباعون أنه حكم عليه بما حكم به مع ثبوت العداوة بينهما ، وكان قد أثبت ذلك على قاضي القدس الشافعي ونفذها له المالكى بدمشق ، فأنكر عبد العزيز العداوة فحكم عليه المالكى بثبوتها عنده ، واقتضى الحال تعزيره فعُزِّر فكشَّف رأسه ، ثم توجه المذكور إلى بغداد فأقام بها وولى قضاءها ، وكان ما سذكروه .

وفيها مات الطاغية تمرلنك الخارجى فى سابع عشر شعبان بعلة الإسهال التولنجى وله تسع وسبعون سنة ، وكان نصفه بطالا ، وقد أباد البلاد والعباد ، وأكثر فى الأرض الفساد ، ولم يكن له فى عراق العجم منازع ، ثم ملك عراق العرب ودخل البلاد الشامية فملكها إلا اليسير منها ، ثم دخل الروم فحارب المسلمين بها ، وترك الفرنج ، ودخل الهند قبل ذلك فحارب المسلمين بها وترك الكفار ، وعزم فى آخر عمره على الدخول إلى الصين فمضى فى الشتاء فهلك من عساكره أمم لا يحصون فرجع إلى سمرقند ، فأخذ أسر البول فتأدى به حتى هلك بالقولنج وأراح الله منه .

وفى أواخر هذه السنة وعك السلطان إلى أن أشرف على الموت ، ثم فرج الله تعالى عنه وتعافى .

• • •

ذكر من مات فى سنة سبع وثمانمائة من الاعيان

١ - أحمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن محمد الأنصارى أبو اليسر ، محبى الدين ابن تقي الدين بن نور الدين الصائغ الدمشقى نزىل الصالحية ، وُلد سنة تسع وثلاثين فى جمادى الآخرة ، وسمع من الوادى آشى وأحمد بن على الجزرى وزينب بنت الكمال بعناية أبيه فأكثر ، وسمع من زين الدين بن الوردى ، وعنى بالأدب والتاريخ ، وطلب بنفسه وكتب الطبايق ، وتخرَّج بابين سعد وتفرد بأشياء سمعها وكان حسن المذاكرة . سمعت منه بدمشق وكان عسرا فى الرواية . مات فى شهر رمضان .

٢ - أحمد بن كندة غدي^(١) التركي أحد الفضلاء المهرة من الحنفية ، اشتغل في عدة علوم وفاق فيها ، وكان قد اتصل بالملك الظاهر [برقوق] في أواخر دولته ونادمه ، ثم توجه رسولا من ولده الناصر [فرج] إلى تمرلنك في أواخر سنة ست ففقدت وفاته بحلب في ربيع الأول من هذه السنة في الرابع عشر منه ، أرخه البرهان المحدث وأثنى عليه « بالعلم والمروءة ومكارم الأخلاق » ، يرحمه الله تعالى .

لقيته مراراً وسمعت من فوائده ، وقرأ عليه صديقنا مجد الدين بن مكانس « المقامات » فكان يجيد تقريرها على ما أخبرني به المجد ، وقال القاضي علاء الدين بن خطيب الناصرية في تاريخه : « كان عالماً ديناً ، تمرض لما دخل إلى حلب^(٢) فعزم على الرجوع فأدركه الأجل المحتوم [بها] في شهر ربيع الأول ودُفن^(٣) خارج باب المقام ، وقد تجاوز الستين » .

٣ - أنس بن علي بن محمد بن أحمد بن سعيد بن سالم الأنصاري ، أبو حمزه الدمشقي ، سنع بعناية قريبه صدر الدين إمام المشهد بن عبد الله بن القيم ، واستجاز له [أبو الحرم] القلانسي وغيره ، وطلب بنفسه فسمع من جماعة من أصحاب القاضي سليمان فمّن بعدهم ، وقرأ بنفسه وانتقى على بعض الشيوخ . وكان متيقظاً نبيهاً عارفاً بالوثائق والأدبيات مع المروءة والديانة ، وكان في بدايته بزى الأجناد ثم ليس زى الفقهاء .

مات في رجب وله ثمان وخمسون سنة ، سمعت منه قليلاً وكتب عني من نظمي ، وسمع معي كثيراً وأفادني .

(١) الضبط من الضوء اللامع ١٩٨/٢ ، والرسم أيضا من العيني : عقد الجمان ، لوحة ٢٢١ .

(٢) أشار العيني ، شرحه ٢٢٢ ، إلى أن الملك الناصر كان أرسله رسولا إلى تمرلنك في آخر السنة الماضية فلم يخرج من حلب ولا أدى الرسالة .

(٣) كان دفنه بترية موسى الحاجب .

٤ - أبو بكر بن داود بن أحمد الحنفي الدمشقي أحد الفضلاء في مذهبه ، ناب في الحكم ودرّس . مات في جمادى الأولى .

٥ - تاج بن محمود بن [تاج الدين^(١) المعجمي] الأصفهيدى ، الشيخ تاج الدين المعجمي ، نزيل حلب ، قدم من بلاد العجم حاجاً ثم رجع فسكن في حلب بالمدرسة الرواحية وأقرأ بها النحو ، ثم انثالت عليه الطلبة فلم يكن يتفرغ لغير الاشتغال بل يُقرئ من بعد صلاة الصبح إلى الظهر بالجامع [الكبير] ، ومن الظهر إلى العصر بجامع منكلي بغا ، ويجلس من العصر إلى المغرب بالرواحية للإفتاء .

وكان عفيفاً ولم يكن له حظ ، ولا يطلع على أمر من أمور الدنيا ، وأسر مع اللنكية فاستنقله الشيخ إبراهيم صاحب شماخي^(٢) وأخضره إلى بلده مكرماً فاستمر عنده إلى أن مات في ربيع الاول .

أخذ عنه غالب أهل حلب وانتفعوا به ، وقد شرح « المحرر » في الفقه ، وأقرأ « الحاوي » ، قرأت بخط القاضي علاء الدين في تاريخه : « سأته عن مولده في سنة إحدى وثمان مائة فقال : لي الآن إثنان وسبعون سنة » .

٦ - تيمورلنك بن ططرخان الجقطاقى ، قدّم أوليته في أول هذا المجموع^(٣) ، كان من أتباع طقتمش خان آخر الملوك من ذرية جنكزخان ، فلما مات وقرّر في السلطنة ولده محمود استقر تيمور أتايكه وكان أعرج « وهو اللنك » بلعنتهم فعرف بتمر^(٤) اللنك ، ثم خفي فقبيل تمرلنك ، وتزوج أم محمود وصار هو المتكلم في المملكة ، وكانت له همة

(١) فراغ في الأصول ، والإضافة من الضوء اللامع ١٢٢/٣ .

(٢) راجع مرصد الاطلاع ٨١٠/٢ .

(٣) راجع الجزء الأول من إنباء القمر ، ص ١٧ - ٢١ .

(٤) أمامها في هامش « بل هو معروف بتمر لنك بغير الألف واللام ، ولا تخفيف إلا في لفظه ثم ، فإن أصله تيمور » .

عالية وتَطَّلَعُ إلى الملك ، فأول ما جمع عسكريا ونازل بُخارى وانتزعها من يد أميرها حسن المغلي ، ثم نازل خوارزم فاتفق وفاة أميرها حسن الصوفي المغلي ، واستقر أخوه يوسف فانتزعها اللنك أيضا ، ولم يزل إلى أن انتظم له ملك ما وراء النهر ، ثم سافر إلى سمرقند وتملكها ، ثم زحف إلى خراسان فملك هراة ، ثم ملك طبرستان وجرجان بعد حروبٍ طويلة سنة أربع وثمانين [وسبعمائة] فنجا صاحبها شاه وتعلّق بأحمد بن أويس صاحب العراق ، فتوجه اللنك إليهم فنازلهم بتبريز وأذربيجان فهلك شاه في الحصار وتملكها اللنك ثم ملك أصبهان .

وفي غضون ذلك خالف عليه أمير من جماعته يقال له «قمر الدين» وأعانه طقتمش خان صاحب صراى ، فرجع إليهم ولم يزل يحاربهم إلى أن أبادهم واستقل بمملكة المغل ، وعاد إلى أصبهان سنة أربع وتسعين [وسبعمائة] فملكها ، ثم تحول إلى فارس وبها أعيان بنى المظفر فملكها ، ثم رجع إلى بغداد سنة خمس وتسعين فنازلها إلى أن غلب عليها ، وفرّ أحمد بن أويس صاحبها إلى الشام .

واتصلت مملكة اللنك بعد بغداد بالجزيرة وديار بكر ، فبلغت أخباره الظاهر برقوق فاستعد له وخرج بالعساكر إلى حلب ، فرجع إلى أذربيجان فنزل بقرا باغ ، فبلغه رجوع طقتمش إلى صراى ، فسار خلفه ونازله إلى أن غلبه على مملكته في سنة سبع وتسعين [وسبعمائة] ، ففرّ إلى ذلغادر وانضم عسكري المغل إلى اللنك ، فاجتمع معه فرسان التتر والمغل وغيرهم ، ثم رجع إلى بغداد ، وكان أحمد فرّ منها وعاد إليها فنازلها إلى أن ملكها ، وهرب أحمد ثانيًا فساروا إلى أن وصلوا إلى سيواس فملكها ، ثم حاصر بهسنا^(١) مدة وبلغ ذلك أهل حلب ومن حولها فانجفلوا ، ونازل حلب في ربيع الأول فملكها وفعّلوا فيها الأفاعيل الشنيعة ،

(١) الضبط من مرصد الإطلاع ٢٣٤/١ حيث عرفها بأنها قلعة حصينة عجيبة قرب مرعش وسميساط ورستاقها هو

رستاق كيسوم وهي من عمل حلب وتسمى في مراجع العصر الوسيط الغربية Behesdin ، انظر ما قاله الجغرافيون

المسلمون عنها في Le Strange : op. cit. p. 408 .

ثم تحوّل إلى دمشق فسار من حلب في ربيع الآخر فكان من أمرٍ الناصر ورجوع العساكر إلى مصر ما تقدم .

وتقدم من دمشق في شعبان ، فلما كان في سنة أربع وثمانى مائة قصد بلاد الروم فغلب عليها وأسّر صاحبها ومات في الاعتقال .

ودخل الهند فنازل مملكة المسلمين حتى غلب عليها ، وكان مغربى بغزو المسلمين وترك الكفار ، وصنّع ذلك في بلاد الروم ثم في بلاد الهند .

وكان شيخاً طوالاً شكلاً مهولاً طويل اللحية حسن الوجه بطلاً شجاعاً جباراً غشوماً ظلوماً سفاكاً للدماء مقدماً على ذلك ، وكان أعرج شلت رجله في أوائل أمره ، وكان يصلى عن قيام ، وكان جهير الصوت ، وكان يسلك الجدّ مع القريب والبعيد ولا يحب المزاح ، ويحب الشطرنج وله فيها يد طولى ، وزاد فيها جملاً وبغلاً ، وجعل رقعتة عشرة في أحد عشر ، وكان فيه ما هراً فكان لا يُلاعبه إلا أفراد .

وكان يقرب العلماء والصلحاء والشجعان والأشراف ويُنزِلهم منازلهم ، ولكن من خالف أمره أدنى مخالفة استباح دمه ، فكانت هيبتُه لا تدانى بهذا السبب ، وما أحرَب البلاد إلا بذلك ، فإنه كان من أطاعه من أول وهلة أمين ، ومن خالفه أدنى مخالفة وهى . وكان له فكرٌ صائب ومكائد في الحرب عجيبة ، وفراسة قل أن تُخطئ ، وكان عارفاً بالتواريخ لإدمانه على سماعها لا يخلو مجلسه عن قراءة شئٍ منها سرفاً وحضراً ، وكان مغربى بمن له معرفة بصناعة ما إذا كان عارفاً بها ، وكان أمياً لا يحسن الكتابة ، وكان حاذقاً باللغة الفارسية والتركية والمغلية خاصة ، وكان يقدم [شريعة] جنكز خان ويجعلها أصلاً ولذلك أفتى جمع بكفره مع أن شعائر الإسلام في بلاده ظاهرة .

وكان له جواسيس في جميع البلاد التي ملكها والتي لم يملكها ، وكانوا ينهون إليه الحوادث الكائنة على جليتها ويكاتبونه بجميع ما يروم ، فلا يتوجّه إلى جهة إلا وهو على

بصيرة من أمرها ، وبلغ من دهائه أنه إذا أراد قَصْدَ جهةٍ جمعَ أكابر الدولة وتشاؤروا إلى أن يتمع الرأي على التوجّه في الوقت الفلاني إلى الجهة الفلانية ، فيكاتب جواسيس تلك الجهات فتأخذ تلك الجهة المذكورة حِذْرَها ويأمن غيرها ، فإذا ضُرب النفير وأصبحوا سائرين ذات الشمال عرّج بهم ذات اليمين فإلى أن يصل الخبر الثاني دَهَمَ هو الجهة التي يريد وأهلها غافلون .

وكان أنشأ بظاهر سمرقند عدةً بساتين وقصوراً عجيبةً فكانت من أعظم النزه ، وبني عدة قصباتٍ سمّاها بأسماء البلاد الكبار كمصر ودمشق وبغداد وشيراز .

ولما مات كان له من الأولاد أميرزاه ، وشاه رخ ، وبنّت له اسمها سلطان تخت ، وكان له ثلاث زوجات ، ومن السراري شيءٌ كثير .

وكان يجمع العلماء ويأمرهم بالمناظرة ويختتمهم في المسائل ، وأخباره مطولة .

٧ - حرى بن سليمان البيهقي ثم القاهري ، ولد قبل الخمسين وتفقه قليلاً ، وسمع من الشيخ شهاب الدين بن خليل وغيره ، وناب في الحكم ودرّس بالشريفية ، وولى الإعادة بالمنصورية ، نزل له عنها بعض العجم ، وفي ذلك يقول الشاعر :

قالوا تولّى البيهقي مع جهّالته وكان أجهلَ منه النَّازِلُ العجمي
فأنشدَ الجهلُ بيتاً لستُ أنكره: ما سرتُ من حرمٍ إلا إلى حرّمي

واتفق أن جرّكس الخليلي غضب على شاهدٍ عنده مرةً فصرفه واستخدم عنده « حرى » هذا فنقم عليه فأنشده : « ما سرت من حرم إلا إلى حرى » وأشيع الرأء فعدّ ذلك من نوادر الخليلي . مات [حرى] في رمضان^(١) وقد جاوز الستين .

(١) « ربيع » في الضوء اللامع ٣/٣٥٨ .

٨ - عبد الله بن عمر بن علي بن مبارك جمال الدين أبو المعالي الهندي السعودي الأزهرى المعروف بالحلاوى ، بمهملة ولام خفيفة ، أشجع الكثير من يحيى بن يوسف المصرى^(١) وأحمد بن علي المتبولى وإبراهيم بن علي الخيمى^(٢) وجمع جمع من أصحاب النجيب وابن علاف وابن عبد الدايم فأكثر، وكان ساكناً خيراً صبوراً على الإسماع قل أن يعتربه نعاس، قرأت عليه «مسند أحمد» في مدة يسيرة في مجالس طوال، وكان لا يضجر .

وكان جدّه الشيخ مبارك معتقداً، فبنى له بالأبارين بقرب الجامع الأزهر زاوية يسكن فيها أولاده ، وكانت موعداً لإسماع المشايخ فلذلك كثرت سماعات شيخنا ، وأكثر ما حدث به عن أصوله ، وفي الجملة لم يكن في شيوخ الرواية من شيخوننا أحسن أداة ولا أصفى للحديث منه ، مات في صفر وقد قارب الثمانين لأنّ مولده في وسط سنة ثمان وعشرين وسبعمائة .

٩ - عبد الله بن عمر المدنى التوتابى^(٣) ، كان من أهل الخير والصلاح وأقام بالمدينة مجاوراً إلى أن مات ، وكان يتردد إلى مصر والشام . مات بالقاهرة .

١٠ - عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن إدريس بن نصر النخري ، جمال الدين المالكي ، وُلد سنة أربعين واشتغل بالعلم بدمشق وبمصر ، وحصل وسمع من الظهير ابن العجمي وشمير الدين محمد بن حسن الأنفي وغيرهما ، ثم ناب في الحكم بحلب ، ثم ولي قضاء حلب سنة سبع وستين فبعث إلى القيام مع ابن أبي الرضا على الملك الظاهر ، وقدم مرسوم الظاهر إلى حلب بإمساكه ، وذلك بعد أن رجع الظاهر من حلب بعد قتل الناصري ، فأحسن بذلك فخشي منه فهرب إلى بغداد فأقام بها على صورة فقير ، فلم يزل

(١) راجع ابن حجر : الدرر الكامنة ٤/٥٦٠٥ .

(٢) راجع ابن حجر : الدرر الكامنة ١/١٢٥٠ .

(٣) الضبط من الضوء ٥/١٥٠ .

هناك إلى أن وقعت الفتنة اللنكية ففرَّ إلى تبريز ، ثم تحوّل إلى حصن كيفا فأكرمه صاحبها فأقام عنده .

وكان قد سمع الكثير من أصحاب الفخر ، وكانت على ذهنه فوائد حديثية وفقهية ، وكان يحب الفقهاء الشافعية وتُعجبه مذاكراتهم ، ثم رجع من الحصن إلى حلب فدخلها في صفر فحدث بها وأقام بها أياما ، ثم توجه إلى دمشق سنة ست فحجّ ثم رجع قاصدا الحصن ، فلما كان بسرمين^(١) مات في بكرة يوم الجمعة ثاني عشر ربيع الأول .

قرأت بخط قاضي^(٢) البلاد الحلبية القاضي علاء الدين في تاريخها : « كان إماماً فاضلاً فقيهاً ، يستحضر كثيراً من التاريخ ويستحضر مختصر ابن الحاجب في الفقه ، وكان يحب العلم وأهله ، وكان من أعيان الحلبيين » . وقرأت بخط البرهان المحدث بحلب أنه سأل نور الدين بن الجلال عن قرعين منسوبين للمالكية فلم يستحضرهما وأنكر أن يكونا في مذهب مالك ، فذكر في التحريرى [أنهما يخرجان من كلام ابن الحاجب الفرعى .

١١ - عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن لاجين الرشيدى ، سمع الميذى وابن الملوك وشيرهما ، وكان يلازم قراءة « صحيح البخارى » ، وسمعنا بقراءاته ، وكان حسن الأداء ، وسمعت منه من « المعجم الكبير » أجزاء . مات في رجب وقد جاوز السبعين بأشهر^(٣) .

١٢ - عبد الكريم بن أحمد بن عبد العزيز النستراوى الأصل المصرى ، وُلد في ربيع الأول سنة ست وثلاثين ، وتنقلت به الأحوال في المباشرات إلى أن ولى نظارة ديوان الجيش ، ثم عُزل واستمر خاملاً إلى أن مات ، وكان قد أسمع من جمال الدين بن نباتة

(١) مرصد الاطلاع ٧١٠/٢

(٢) في الأصل « حاكم » .

(٣) وردت هنا في بعض النسخ ترجمة لعبد الرحمن بن عبد العزيز المعروف بابن السلموس التي ذكرت في وفيات سنة ٨٠٣

رقم ٥٩ ، راجع ما سبق ص ١٦٧ ، وحاشية رقم ٥ .

وعمه بدر الدين [حسن] بن عبد العزيز وابن البورى بالإسكندرية ، وكان مُحَبَّباً في الصالحين وفي أهل الخير .

اختلف حاله في آخر عمره ومات فلم يُخلف إلا نزرأً يسيراً ، إلا أنه لم يخلف عليه ديناً فشابهه عمه من جهة وفارقه من جهة ، فإن عمه مات وخلف ديناً كثيراً وتركه زوجته فجاء ماتحصل من تركه زوجته من نصيبه بقدر وفاء دينه ، وهذا (١) لما مات لم يخلف إلا ستمائة درهم فأخرج بها ولم يخلف فرساً ولا حماراً ولا داراً إلا قليلاً من الثياب الملبوسة وأثاثاً يسيراً ، وخلف خمس بنات وزوجةً وابنتي أخ فلم تبلغ تركته إلا شيئاً يسيراً ، وهو جدُّ أولادى لأهمهم ، مات في آخر ربيع الأول . سمعت منه قليلاً .

١٣ - عبد المنعم (٢) بن سليمان بن داود ، الشيخ شرف الدين البغدادي الحنبلي ، وُلد ببغداد واشتغل بها وتفقه بمهز وأفقي ودرّس ، وصحب تاج الدين السبكي وغيره ، وأخذ الفقه من الموفق الحنبلي ، وتعيّن للقضاء غير مرة فلم يتفق ذلك ، وكان صاحب نوادر وفكاهة ، وقد درّس للحنابلة بالمنصورية وإفتاء دار العدل ، ثم دخل القاهرة فاستوطنها وولى تدريس الحنابلة بالمنصورية ، وافتاء أمّ الأشرف بعد حسين الدابلسي سنة اثنتين وسبعين ، ومات في شوال .

١٤ - عبيد الله بالتصغير [بن عوض بن محمد] بن عبد الله الأردبيلي (٣) جلال الدين الحنفي ، لقي جماعةً من الكبار بالبلاد العراقية وغيرها ، وقدم القاهرة فولى قضاء العسكر ودرّس

(١) يعنى بذلك عبد الكريم صاحب الترجمة .

(٢) سماه السخاوى في الضوء اللاصق ٢٢٤/٥ بعد بلنعم بن داود بن سليمان وقال « ذكره شيخنا في إنبائه ووقع عنده سليمان قبل داود ، أظنه انقلب » وفي هامش بخط البقاعى : « الذى أملاه ابن ابنه البدر محمد بن محمد بن عبد المنعم : تقدم داود على سليمان ، وكان ينقل لنا عن العلامة قاضي القضاة محب الدين بن نصر الله البغدادي أن سلفهم نصارى ، وقيل إن ذلك موجود في تذكرته ، وأن البدر اجتهد في استعارة التذكرة من أولاد المحب ليعدم ذلك فلم يظفر بها » .

(٣) نسبة إلى أردبيل وهي من أشهر مدن أذربيجان ، وكانت تصبها قبل الإسلام وتقع في أعالي نهر سماه المستوفى :

« أندراب » ، انظر مرصد الاطلاع ٥٣/١ ، ولسترايخ : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٢٠٢ - ٢٠٣ .

بمدرسة أم الأشرف بالتبانة وغير ذلك ، وكانت لديه فضيلة في الجملة . مات في أواخر شهر رمضان^(١) .

١٥ - علي بن عمر بن علي الأنصاري نور الدين بن شيخنا سراج الدين بن الملقن ، وُلد سابع شوال سنة ثمانٍ وستين ، وتفقه قليلاً وسمع من أبيه وبعض المشايخ بالقاهرة ، ورحل مع أبيه إلى دمشق وحماء فأسمعه هناك ، ثم ناب في الحكم ودرّس بمدارس أبيه بعده ، وكان عنده سكون وحياء ، وتمول في الآخر وكثرت معاملاته . مات في شعبان .

١٦ - علي بن محمد بن محمد بن وفاء ، أبو الحسن الشاذلي الصوفي ، وُلد بالقاهرة سنة تسعٍ وخمسينٍ وسبعمائة ، وكان يقظاً حادّ الذهن ، اشتغل بالأدب والوعظ وحصل له أتباع وأحدث ذكراً بالأحان وأوزان تجتمع الناس عليه ، وكان له نظمٌ كثيرٌ واقتدارٌ على جلب الخلق مع خفة^(٢) ظاهرة ، واجتمعت به مرة في دعوةٍ فأنكرتُ على أصحابه لإيئامهم إلى جهته بالسجود ، فتلى هو في وسط السماع وهو يدور « فإينمًا^(٣) توكلوا فثمَّ وجهُ الله » فنادى من كان حاضراً من الطلبة: « كَفَرْتَ كَفَرْتَ !! » فترك المجلس وخرج هو وأصحابه .

وكان أبوه مُعجباً به وأذن له في الكلام على الناس وهو دون العشرين ، وكان أكثر إقامته بالروضة قريب المشتبهى . ومات بها في ذى الحجة ، وله من التصانيف « الباعث على الخلاص في أحوال الخواص » و « الكوثر المترع من الأبحر الأربع^(٤) » وشعره ينهق

(١) جاءت بعد هذا ترجمة القضاى التي كررها ابن حجر تحت سنة ٨٠٩ برقم ٢٩ ، ولقد أشار الضوء اللامع ج ٥ ص ١٥٦ إلى هذا التكرار فقال: « ذكره ابن حجر في سنة سبع ، قلت (أى السخاوى) وتبع بتقديم التاء هو الصواب » .
(٢) أمام هذا في هامش ز « قائل هذا محجوب عن المنح الإلهية » ، ثم بخط الناسخ نفسه: « هذه أحوال ربانية لم يطلع عليها إلا من أطلعه الله تعالى ، يظن الرائي أنها خفة وإيماهى واردات ، أعاد الله على من بركاته وكذلك سلفه » .

(٣) قرآن كريم ، سورة البقرة ، آية ١١ .

(٤) وهو كتاب في الفقه ، راجع الضوء اللامع ٤٦/٦ .

بالاتحاد المفضى إلى الإلحاد، وكذا نَظُم والده^(١)، وفي أواخر أمره نَصَب في داره منبراً وصار يصلى الجمعة هو ومن يصاحبه مع أنه مالكي المذهب يرى أن الجمعة لاتصح في البلد- ولو كبر- إلا في الجامع العتيق؛ وله ديوان شعر وموشحات وفصول ومواعظ، ومن شعره :

أَنَا مَكْسُورٌ وَأَنْتُمْ أَهْلُ جَبْرٍ فَارْحَمُونِي فَعَسَى يُجَبِّرُ كَسْرِي
يَا كَرَامَ الْحَيِّ يَا أَهْلَ الْعَطَا انظُرُوا لِي وَاسْمَعُوا قِصَّةَ فَقْرِي

١٧ - علي بن أبي بكر بن سليمان بن أبي بكر بن عمر بن صالح الهيثمي^(٢)، الشيخ نور الدين أبو الحسن، وُلد سنة خمسٍ وثلاثين وصحبَ الشيخَ زين الدين العراقي وهو صغير فسمع معه من ابتداء طلبه على أبي الفتح الميدومي وابن الملوك وابن القطرواني وغيرهم من المصريين، ومن ابن الخباز وابن الحموي وابن قيس الضيائية وغيرهم من الشاميين، ثم رحل معه جميع رحلاته وحجَّ معه جميع حجاته، ولم يكن يفارقه حضراً ولا سفراً، وتزوج ابنته^(٣) وتخرَّج به في الحديث وقرأ عليه أكثر تصانيفه، وكتب عنه جميع مجالس إملائه، وخرَّج زوائد الكتب الستة : مسند أحمد والبخاري وأبي يعلى ومعجم الطبراني الثلاثة مفردات، ثم جمعها في كتاب واحدٍ محذوف الأسانيد^(٤)، وجمع « ثقات ابن حبان » فرتبها على حروف المعجم، وكذلك « ثقات العجلي »، ورتب « الحلية » على الأبواب، وصار كثير الاستحضر للمتون جداً لكثرة الممارسة .

وكان هيناً ليناً ديناً خيراً محباً في أهل الخير لا يسأم ولا يضر من خدمة الشيخ^(٥) وكتابة الحديث، وكان سليم الفطرة كثير الخير كثير الاحتمال للأذى خصوصاً من جماعة الشيخ

(١) أماتها في هامش ز « استغفر الله العظيم ، هو ووالده بريتان من ذلك ، أعاد الله تعالى علينا من بركتها وبركات علومها في الدنيا والآخرة بجاه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

(٢) أماتها في هامش ه : « أبو الحسن الهيثمي » .

(٣) وتعرف بخديجة ، أنظر الضوء اللامع ٦٧٦/٥ .

(٤) سماه « بمجمع الزوائد » ، أنظر ص ٣١٠ س ٤٤١ .

(٥) يقصد بذلك زين الدين العراقي .

قرأتُ عليه الكثير قريناً للشيخ ، ومما قرأتُ عليه بانفرادٍ نحو النصف من « مجمع الزوائد » له ، ونحو الربع من زوائد « مسند أحمد » و« مسند جابر » من مسند أحمد وغير ذلك ، وكان يودّني كثيراً وشهد لي بالتقدّم في الفن ، جزاه الله عنّي خيراً .

وكنْتُ قد تتبعتُ أوهامه في كتابه « معجم الزوائد » فبلغني أن ذلك شقَّ عليه فتركه رعايةً له ، كانت وفاته في شهر رمضان .

١٨ - عيسى بن حجاج [بن عيسى بن شداد] السعدي العالية الشاعر الشطرنجي ، كان يذكر أنه من ذرية شاور بن مجير وزير مصر ، ومهر في الأدب وقال الشعر فأجاد ، ورحل إلى الشام ولقي الصفدي وغيره ، وكان يذكر أنه سمع من الصفي الحلي ، ثم مدح الأعيان^(١) ، وكان يستحضر اللغة . عمل بديعيةً على قافية الرّاء وقرّظها له المجدد إسماعيل الحنفي وغيره ، فهجاه ابن العطار بقوله :

عِيسَى وَمَنْ قَرَّظْهُ
وَمَا رَأَيْتُ أَنَا
مَا سَمِعْتُ فِيهِمْ رَيْسًا
إِلَّا حَمِيرًا وَعَيْسًا

ومن شعره :

تَهْنُ بِشَهْرٍ كَمْ بِهِ مِنْ حَلَاوَةٍ
فِيَّ لِسَانِي صَارُمٌ ، وَفَمِي لَهُ
وَجُدْلِي بَيْرٌ لَا يَضِيعُ ثَوَابُهُ
قِرَابٌ ، وَأَرْجُوا أَنْ يُحَلِّيَ قِرَابُهُ

ومنه :

أَيَا رَبَّ الْجَنَابِ الرَّحْبِ جُدْلِي
وَمَا تَهْدِيهِ لِي مِنْ خُشْكُنَانِ^(٢)
وَكَثُرَ فِي الْعَطَاءِ وَلَا تُقَلِّلْ
نَهَارَ الْعِيدِ كَبْرًا أَوْ فَهْلَلْ

(١) كان من مدحهم العيني حين كان في المدرسة الظاهرية البرقوقية يتحدث عن شيخها العلامة السيرامي في حدود سنة

: ٥٧٨٨

يابدر دين الله يابدر الدجي كفيت شر العين والحين
جسدل بيت هاهنا ثم خذ من عبدك المادح بيتين

انظر العيني : عقد الجمان ، لوحة ٢٢٣ .

(٢) الوارد في الجامع لمفردات الأدوية والأغذية لابن البيطار ، ج ٢ ص ٦١ « خشكنجين » وقال إنه عمل يابس يجلب من بلاد فارس له رائحة دوائية ، وفعله أقوى من فعل النسل في جميع حالاته . على أنه ورد في Dozy : Supp. Dict. Ar. I, 378 خشكلان ، وذكر أنها فارسية الأصل « خشلانان » وأنها غبزي أو كملك على شكل الهلال ، فلعلها هي المقصودة في المتن أعلاه .

١٩ - محمد بن أحمد بن محمد بن أبي الفتح بن أبي سالم شمس الدين ، ابن الأطناني الحلبي ، ولد بحلب خامس شعبان سنة ثمان وأربعين ، وحفظ « المنهاج » وعرضه على الزين الباري^(١) وتفقه عليه ، ونسخ « شرح المنهاج » لابن الملحق بخطه .

« وكان والده من الفقهاء بحلب وينوب في بعض البلاد، وعرض عليه ذلك بعده فامتنع وتزهد ولبس خرقة التصوف وسافر إلى القدس فلبس الخرقة من الشيخ عبد الله البسطامي ، ثم رجع إلى بلده حلب وانقطع بزوايته خارج باب الجفان وصار معتقداً مقبلاً على شأنه، دينا هي المنظر، وتعلم له جماعة، وحج مرارا وجاور في بعضها، واشتهر عند أهل حلب وبُنيت له زاوية ، ولبس منه جماعة الخرقة، وكان الأكابر يترددون إليه ويتبركون به ولا يزداد إلا تواضعاً وتعبدًا ، وكان منور الشيبة ، حسن الخلق والخلق كثير الحياء هي المنظر ، وسكن بعد الكائنة العظمى في دار القرآن المجاورة للجامع الكبير إلى أن مات بعد الزوال في تاسع ذي القعدة ، وحضر جنازته جمع لا يحصون كثرة » . نقلته من تاريخ حلب لابن خطيب الناصرية .

٢٠ - محمد^(٢) بن صالح بن عمر بن أحمد الحلبي المعروف بابن السفاح ناصر الدين ، ولي كتابة الإنشاء ثم ترقى إلى أن ولي كتابة السر بالقاهرة فلم يُقدر ذلك ، ومات في تاسع عشر المحرم، وكانت قد انتهت إليه الرئاسة عند يشك ، وكان عليه اعتماد في مهماته .

وكان على الهمة عارفاً بالسياسة كثير المروعة شديد العصبية ، كثير المحبة للعلماء والصالحين ، وحصلت له محنة في سلطنة الظاهر وصودر، ثم توجه إلى القاهرة بعد وقعة

(١) نسبة إلى بارين وهي مدينة بين حلب وحماة ، وقال ابن عبد الحق في مرصد الاطلاع ، ١٥٢/١ « إن العامة

تقول : بعين » .

(٢) ورد اسمه في المقرئى : السلوك ، ١٥٢ « محمد بن محمد بن محمد بن الطوخى ناصر الدين محمد بن صلاح الدين صالح بن أحمد » وفي بخط البقاعي في الهامش « صواب نسيه : ابن صالح بن أحمد بن عمر بن يوسف بن أبي السفاح ، وقد اختلفت عبارة شيخنا عنه هنا ، وفي ترجمة أخى هذا في سنة خمس وثلاثين » ؛ ويلاحظ أنها لا توجد في هذا التعليق .

تم فاتصل بالأمير يشبك ، واستقر في التوقيع بين يديه إلى أن مات ، قلتُ : رأيتُه عنده ، وكان لطيف الشكل ، رحمه الله تعالى .

٢١ - محمد بن عباس بن محمد بن حسين بن محمود بن عباس الصلتي ثم المعري شمس الدين ، وُلد في سنة خمس وأربعين [وسبعمائة] أو قبلها ، وهو سبط البرهان ابن وهيبة ، ونشأ في حجر خاله بدر الدين بن وهيبة ، وولى قضاء غزة في أوائل هذا القرن مضافاً إلى القدس ، ومن قبل ذلك [ولى] قضاء بعلبك وحمص وحماة مرارا ، ثم قدم القاهرة فسعى في قضاء المالكية بدمشق فوليه ولم يتم أمره^(١) ، ثم ولى قضاء دمشق على مذهب الشافعي بعد الواقعة أشهراً ، ثم عُزل ومات معزولاً ، وكان مفرطاً في سوء السيرة قليل العلم ، وكان قد اشتغل قليلاً وأذن له شمس الدين بن خطيب يبرود في الإفتاء^(٢) ، وذكره ابن حجي في تاريخه في حوادث سنة ثمان وثمانين قال : « وفيها ولى ابنُ عباس قضاء بعلبك ، وهو رجل جاهلٌ وكان الذي عُزل به رجلاً من أهل الرواحية يدرّس بدار الحديث بها فجاء هذا لادرياً ولارواية ، وإنما كان يتولى بالرشوة لبعض من لاخير فيه » ؛ مات في أوائل جمادى الأولى . وكان إذا ولى القضاء إنما يُكتب له مجرداً عن الأنظار والوظائف ، فإنه كان أرضى بهما أهل البلد^(٣) ورضى بالقضاء مجرداً . ومدة ولايته لقضاء دمشق في المرتين سنةً وشهر .

٢٢ - محمد بن عبد الرحمن الصبيبي^(٤) المدني ، اشتغل بالفقه ودرّس في الحرم النبوي ؛ مات بصفد وقد بلغ الخمسين .

(١) راجع المقرزي : السلوك ، ورقة ٥٢ ب .

(٢) من أول الترجمة حتى هنا نقله ابن طولون في كتاب قضاء دمشق ، ص ١٤٨ .

(٣) « أهل العلم » في قضاء دمشق لابن طولون ، ص ١٢٩ .

(٤) نسبة إلى صيب - تصغير صب - وهي بركة على يمين القاصد إلى مكة ، انظر ابن عبد الحق : مرصد الاطلاع

٢٣ - محمد بن عبد الرحيم بن علي بن الحسن بن محمد بن عبد العزيز بن محمد الحنفى ناصر الدين المعروف بابن الفرات المصرى ، سمع من أبي بكر بن الصنائج راوى « دلائل النبوة » وتفرد بالسماع منه ، وسمع « الشفاء » للقاضى عياض من الدلاصى والبواب لآدم بن عبد الهادى وأجاز له أبو الحسن البندنيجى وتفرد بإجازته فى آخرين ، وكان لهجاً بالتاريخ فكتب تاريخاً كبيراً جداً بيّض بعضه فأكمل منه المائة الثامنة ثم السابعة ثم السادسة ، ثم هكذا صنع فى نحو من عشرين مجلداً ، ثم شرع فى الخامسة وشرع فى تبيض المائة الرابعة فأدرّكته الوفاة ، وكتب شيئاً يسيراً من أول القرن التاسع ، وتاريخه فى هذا كثير الفوائد إلا أنه بعبارة عامية جداً .

وكان يتولى عقود الأنكحة ويشهد فى الحوانيت ظاهر القاهرة ، مع الخير والدين والسلامة . مات ليلة عيد الفطر وله اثنتان وسبعون سنة .

٢٤ - محمد بن علي الكفر سوسى ، شمس الدين الخطيب ، حفظ القرآن وتعالى النسخ وكان مأموناً خياراً ، أضرّ بأخرة ومات فى شهر رمضان .

٢٥ - محمد بن عمر بن علي [بن عمر بن محمد] السحولى^(١) - بضم المهملتين - اليمنى ثم المكى المؤذن أبو الطيب ، ولد فى سنة إحدى وثلاثين فى رمضان ، وسمع « الشفاء » على الزبير بن علي الأسوانى^(٢) وهو آخر من حدّث عنه ، وسمع على الجمال المطرى وغيره ، وأجاز له عيسى الحمجى وآخرون ، سمعتُ منه قليلاً ، مات يوم التروية عن ست وسبعين سنة ، وكان حسن الخطّ جيد الشعر ، وأضرّ بآخره .

٢٦ - محمد بن قرمون الزرعى شمس الدين ، تفقه قليلاً وفضل ومهّر ونظم الشعر الحسن ، وولى قضاء القدس وغيره ، ثم توجه إلى قضاء الكرك فضعف فرجع إلى دمشق فمات بها فى رجب وقد بلغ السبعين .

(١) يتفق فى هذا التصبط مع مراصد الاطلاع ٢/٦٩٦ .

(٢) راجع الدرر الكامنة ٢/١٧٣٣ ، والطالع السعيد للأدقوى ، ص ٢٤٨ ، ترجمة رقم ١٧٢ .

٢٧ - محمد بن محمد بن سالم بن علي بن إبراهيم الحضرمي المالكي ، سمع من الزبير ابن علي الأسواني « الشفا » ومن الجمال المطري ، وحدث ، ومات بالقاهرة في شعبان [وقد] بلغ الثمانين أو جاوزها ، وكان مذموم السيرة .

٢٨ - محمد^(١) بن محمد بن عبد اللطيف بن أحمد بن محمود بن أبي الفتح الربيعي المعروف بابن الكويك ، سراج الدين أبو الطيب ، سمع من الميدوي وغيره ، وهو أخو شيخنا شرف الدين ، وأبو الطيب الأصغر ، مات في وسط السنة .

٢٩ - محمد بن محمد الطوخي ، بدر الدين الوزير ، ولي وزارة الشام ثم القاهرة مرارا ، مات معزولاً وكان يكثر الحج في أيام عطلته ، جاوز السبعين .

٣٠ - محمد بن أبي محمد المعروف بشمس ، أحد من كان يُعتقد بمصر ، أقام بدار الزعفران جوار جامع عمرو ، ومات في رجب .

٣١ - محمد بن يوسف الصالحى المؤذن ، وُلد قبيل الخمسين وسمع قليلا ، وكان جهورى الصوت بالأذان على كبير سنّه . مات بطرابلس في صفر .

٣٢ - موسى بن محمد بن قدامة^(٢) ، الشيخ شرف الدين ابن أخت الخليلي الموقت ، كان أفضل من بقى بالشام في علم الهيئة ، وكان رئيس المؤذنين بجامع^(٣) تنكز وغيره ، وكان خيراً عنده انجماع عن الناس ولا يدخل فيما لا يعنيه ولا ينسب نفسه إلى العلم لاهذا ولا غيره ، وله^(٤) تآليف مفيدة . مات في المحرم .

(١) هذه الترجمة غير واردة في ظ .

(٢) في الضوء ٧٩٤/١٠ « قبا » ثم فراغ في الأصل ، والظاهر أن الناشر لم يستطع قراءة اسمه فترك « مة » فراغا وجعل

« قبا » بدلا من « قتا » والمذكور في العيني : عقد الجمان ، ٢٢٤ « قباة » وفي ز « أقتابه » .

(٣) راجع عنه النعمي : الدارس في تاريخ المدارس ٤٢٥/٢ .

(٤) من هنا لآخر الترجمة غير وارد في ظ .

٣٣ - أبو القاسم السماقي المغربي الدمشقي المالكي أحد شهود الحكم بدمشق ،
كان من أعيان فقهاءهم . مات في شعبان .

٣٤ - الماخوذى والد الخواجه شمس الدين ، كان قبل الكائنة في حانوتٍ بالخواصيين
وبعدها في مكانٍ آخر، وكان منزله عند قبر عاتكة . جاوز الستين . ومات في ربيع الأول .

• • •

سنة ثمان وثمانمائة

استهلت والسلطان ضعيف يرى الدم والحمى، وأشيع موته ثم تعافى وزُين البلد في الثالث عشر منه .

وفي ثامن عشر المحرم توجه نوروز على نيابة الشام وسار معه جمع كبير .

وفي الثالث والعشرين وصل رسول نائب الشام شيخ إلى الناصر واسمه يلبغا المنجكي في طلب الصلح والاعتذار عما جرى ، وكان صحبة^(١) الرسول الشيخ شهاب الدين بن حجي والشيخ شمس الدين بن قديدار ، فسمع الناصر الرسالة ولم يعد الجواب ، وكان نوروز حاضراً كذلك، وخرج بعد قليل مسافراً إلى نيابة الشام ، ونزل الشيخان عند القاضي جلال الدين البلقيني والرسول عند أمير آخور .

وفي الثالث من المحرم وصل أمير الحاج وذكر أنه لم يفارقهم إلا من الينبع خوفاً من العرب الذين في الطريق بين مكة وينبع .

وفي السابع من المحرم قبض شيخ نائب الشام على سودون الظريف نائب الغيبة بدمشق وسجنه بالصبيبة ، وقبض على كمشبغا الرماح وغيره، وألزم القضاة وكاتب السر بمالٍ وصادروهم به وسلمهم لابن ماتاشي وولاه القضاة فأخذهم بين يديه مشاة من القلعة إلى العادلية فرسم عليهم بالنورية ، فهربوا في أثناء الليل، ثم سعوا عند النائب وبذلوا ما وقع عليه الاتفاق وأذن لهم في الحكم ، واستناب علاء الدين بن أبي البقاء القاضي الشافعي بن تاشي المذكور في قضاء صيدا وبيروت، واستمر نوروز متوجهاً إلى الشام، واتفق أن نائبها كان توجه إلى الصبيبة فدخل نوروز إلى دمشق في ثاني عشرى صفر بغير قتال .

وفي السابع من صفر تغير السلطان على بعض الأمراء وتخيل منهم إرادة الركوب عليه ، منهم يشبك بن أزدمر وإينال باي بن قجماس ، فأمر بإمساك يشبك بن أزدمر

(١) ذكرت النجوم الزاهرة ١٢/٣٢٣ أنه كان بصحبه أيضا الشريف ناصر الدين محمد بن علي نقيب الأشراف .

وكان رأس نوبة كبيراً وأمسك معه أميرين^(١) آخرين وسفّروهم إلى الإسكندرية للاعتقال بها ، فتغيّب إينال باى بن قجماس وهو أمير آخور لما بلغه ذلك ، ويقال إنه طاف ليلاً على جماعة من الأمراء ليركبوا معه فأبوا فهرب وهرب معه سودون الجلب ، فأمر السلطان بالحوطة على دار إينال باى فأحيط على موجوده ، فغضب كثير من المماليك الظاهرية لذلك وظنوا أن يشبك ظهر ، وأنه عند السلطان وأنه هو الذى رتبّه فى ذلك ، فركبوا تحت القلعة^(٢) بعصى ، ثم عادوا للركوب فى سادس ربيع الأول وسطوا على أرغون فأرادوا قتله فهرب ، ولما اشتد الأمر زاد تَخَوُّفُ السلطان منهم فأراد الحرب ، فأشير عليه بإحضار المحبوسين من الأمراء وتأمين الهاربين ففعل ذلك . وكان ماسنذكره .

وفى تاسع^(٣) صفر استقر فخر الدين [ماجد] بن المزوق فى نظر الجيش وصُرف بدر الدين بن نصر الله ، واستقرّ محمد بن شعبان فى الحسبة وصُرف صدر الدين [أحمد] بن العجمى ، ثم أعيد صدر الدين فى السابع والعشرين من صفر .

وفى الحادى عشر منه استقرّ شمس الدين الإحنائى فى قضاء الشافعية بالقاهرة وصُرف القاضى جلال الدين البلقىنى .

وفى العاشر من صفر حضر إينال باى بن قجماس وحضر إلى السلطان مقيداً على أمان كتبه خليل بن تراز عنه ، فعاتبه الناصرُ فيقال إنه أغاظ له فى الجواب ، فأمر بنفيه إلى دمياط بطالا ، واستقرّ فى وظيفته شرباش [الشيخى] ، ثم صُرف واستقرّ فيها سودون المحمّدى ، واستقرّ باش باى رأس نوبة عن يشبك بن أزدمر ، وفى قضاء المالكية جمال الدين عبد الله بن القاضى ناصر الدين التّنسى فى مستهل ربيع الأول وهو شاب صغير ، كان عند وفاة أبيه من أجمل أهل زمانه ، فاتفق أنه خرم بعض الأموال لما كان فى حبس

(١) هما الأميران تمر وسودون وهما من إخوة سودون طاز ، راجع النجوم الزاهرة ١٢/٣٢٣ ، هذا ويلاحظ أن

القبض وقع على هذين الإثنين فقط ، أما إينال باى بن قجماس فقد اختفى .

(٢) فراغ بقدر كلمتين فى ز ، ه .

(٣) راجع السلوك للمقرزى ، ورقة ١٥٣ .

الإسكندرية فتعصب له فولى القضاء ، فقام القاضي جلال الدين البلقيني وجماعة على أهل الدولة فعزل بعد يومين وأعيد جمال الدين البساطي في ثالث ربيع الأول ، وفي الخامس منه أعيد القاضي جلال الدين وصُرف الإخنائي ، وهي الخامسة للبلقيني .

وفي السادسة منه ثارت الفتنة بين الناصر وأمرائه^(١) فتخيّل منهم وتخيّلوا منه ، واجتمع جمعٌ كبيرٌ عند الأتابك بيبرس لرغم الناصر وتواعدوا على الركوب فهرب^(٢) تغرى بردى ودمرداش .

وفي الثامن منه ظهر يشبك وأتباعه مثل تمر وجركس المصارع وقانبای العلاتي .

وفي الخامس عشر منه أحضر الأمراء المحبوسين بالإسكندرية إلى القاهرة [وهم] قطلوبغا الكركي وبلغا الناصري وإينال حفظ وسودون الحمزاوي ، ثم أحضر إينال باي من دمياط ثم أحضر يشبك بن أزدمر من الإسكندرية في تاسع عشر ربيع الأول .

وفي العشرين منه قبض على كاتب السر فتح الله وتسلمه مشد الدواوين ثم صدر على خمسمائة^(٣) ألف وهي قريبة من أربعة آلاف دينار إذ ذاك ، وأطلق وكزم بيته ، واستقر سعد الدين بن غراب في كتابة السرّ فباشرها من هذا الوقت إلى أن عاد الناصر إلى المملكة فتركها لابن المزوق ، وأعيد ابن نصر الله إلى نظر الجيش ، ولبس ابن غراب بزى الأمراء وأعطى مقدمة .

وفي الثاني والعشرين منه أمر الناصر يشبك بن أزدمر أن يستقرّ في نيابة ملطية فامتنع ،

(١) ذكر السلوك ، ٥٣ ب ، أن طائفة من المالك الجراكسة سألوا السلطان القبض على تغرى بردى ودمرداش وأرغون من أجل أنهم من جنس الروم .

(٢) لم يكن هرب تغرى بردى - والد أبي المحاسن المؤرخ - ودمرداش إلا بإشارة من السلطان الناصر فرج حين أحس الخوف من الأمراء الثأرين الذين خافوا من إعراضه عن الجراكسة ، انظر الحاشية السابقة ، ويقول ابنه أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ٣٢٥/١٢ في ذلك « إن السلطان أمر الوالد أن يحنّ حتى ينظر في مصلحته ، وأمر دمرdash أيضا بذلك » .

(٣) الوارد في النجوم الزاهرة ٣٢٦/١٢ أن السلطان ألزمه بحمل ألف ألف درهم .

فألْبَسَ غَضْبًا ورُسْمَ عَلَيْهِ وأمر الحاجب^(١) أن يخرج من القاهرة ، وأمر أزيك الإبراهيمي^(٢) في نيابة طرطوس فامتنع أيضا ولم يحضر الخدمة ، وتشوش أكثر المماليك من ذلك والأمراء الجراكسة وتخيّلوا من الناصر أنه يريد إبعادهم وتقديم أخواله الروم ، وكان ذلك يظهر منه كثيرا ، فكثرت المرح والمرج وإشاعة ركوب الأمراء على الناصر ، فغلب عليه الخيال^(٣) إلى أن حمل ذلك على الهرب ، فغيب يوم الأحد خامس عشر ربيع الأول وقت القيلولة وفقد فلم يعلموا له خبراً ، فقيل إنه خرج من باب القرافة مختفيا وركب فلم يعلم خبره لأنه نهي من اتبعه عن اتباعه فرجع عنه وليس معه إلا مملوك واحد وهو بيغوت ، فعُدّي إلى الجيزة ثم رجع إلى بيت سعد الدين بن غراب فاخفى عنده ولم يتحققوا أين هرب بل أشيع أنه قُتل سرا ، وصار ابن غراب يطالعه الأخبار يوما بيوم ويدبر معه أمر يشبك وغيره ويعلمه بما يشند به الحقد منه على أقاربه كبيبرس وإينال باي وغيرهما من يخالف هواه هوى يشبك إلى أن كان ماسنذكره .

فلما بلغ الأمراء غيبة الناصر اجتمعوا في آخر النهار ببيت الأمير الكبير بيبرس ثم بالإسطنبول بعد أن جمعوا القضاة والخليفة ، وتشاوروا إلى أن استقر رأيهم على سلطنة أخيه عبد العزيز فأحضره ولقبوه « المنصور » وعقدوا له البيعة في تلك الليلة ، واستقر بيبرس الصغير لالا السلطان ، واستقر في الثامن والعشرين منه بيبرس الكبير قريب السلطان

(١) الحاجب الذي وكل إليه أمر إخراجه هو محمد بن جليان .

(٢) ويمرّف بخاص خرجي ، انظر الضوء اللامع ٢ / ٢٧٣ .

(٣) فسر النجوم الزاهرة ١٢ / ٣٢٩ تخيل السلطان بأنه سكر يوم النوروز ثم أتى بنفسه في فسيحة وألقى الأمراء أنفسهم معه وراحوا يهزحون ، وترك السلطان وقاره فجاء أحدهم وحاول إغراقه مراراً وهو يمرق تحته كأنه يمازحه ، فخلصه بعض ممالك أبيه من الروم وأسرّها السلطان في نفسه ، ثم تبين له أن بقية الأمراء يريدون قتله على أية صورة ، فلم يجد فرج بدا من أن يفوز بنفسه ويترك لهم ملك مصر ، هذا ويلاحظ أن سن الناصر فرج إذ ذاك كانت نحو سبع عشرة سنة ، انظر أيضا المقرزي السلوك ، ورقة ٥٤ ، وإن جاء التاريخ هناك ١٣ ربيع الأول .

أتابكاً وأقبای أمير سلاح وسودون الطیار أمير مجلس وسودون المحمدی أمير آخور وياش باي رأس نوبة كبيراً ورسطای حاجب الحجاب ، وخلق على المباشرين المستقرين : على سعد الدين بن غراب وهو كاتب السر ، وعلى ابن المزوق وهو ناظر الجيش ، وعلى فخر الدين بن غراب وهو الوزير ، وعلى القضاة الأربعة وهم : البلقيني وابن العديم واليساطي وسالم ؛ وكان ما سذكره .

وفي صفر عزل الصدر بن العجمي من الحسبة وقرر ابن شعبان ثم صرف بعد خمسة عشر يوماً وأعيد الصدر ، وصرف القاضي جلال الدين عن القضاء في صفر وأعيد الإخنائي ثم أعيد القاضي جلال الدين في خامس ربيع الأول .

وفي تاسع عشر ربيع الأول زجِم الأستاذار وشُجَّ وجهه فدخل إلى السلطان واستغى ورجع إلى بيته فطرد الأعوان .

* * *

وفي ربيع الآخر توجه نوروز نائب الشام لقتال شيخ بالصبيبة ، واجتمع شيخ وجكم ومن معهما فوق القتال بينهم ، ودخل شيخ دمشق فأمر بضرب عنق جقمق الحاجب لأمير أنهم به فقتل صبوا ، وذلك في حادي عشر ربيع الآخر ، وأحضر شيخ السليمانى وكان نائب صفد ثم طرابلس ، ثم قبض عليه جكم لما حكم على طرابلس وسجنه وأخذ ماله فهرب إلى صهيون ، ثم قدم دمشق فاستقر بها أميراً عند نوروز وحضر معه الوقعة فقبض عليه وأمر جكم بقتله فقتل ، وغلب شيخ على دمشق وفوض القضاء لشهاب الدين الحسبانى ، وخطب بالجامع فلم يقبل أحد من النواب القدماء عنه النيابة فاستتاب جماعة من جهته منهم ابنه وصهره ، فيقال إنهم استأذنوا القاضي الحنفى لتصح أحكامهم .

وأراد الأمير جكم أن يتوجه إلى طرابلس فوصل كتاب النائب بها يلتمس المصالحة فتأخر توجه جكم ، ووصل نوروز إلى بحيرة حمص في ناس قليل ، فتوجه شيخ وجكم

ومن تبعهما لقتاله فهرب إلى حماة ، فدخل شيخ وجكم طرابلس ، فنزل جكم بدار النيابة ، ووقع يوم دخولهم مطراً كثيراً جداً ، فلما بلغ ذلك نائب حلب توجه أيضاً إلى حماة فاجتمعوا كلهم عند نوروز ووافقهم جمعٌ كثيرٌ من التركمان منهم : ابن صاحب الباز ، ف وقعت الواقعة بين جكم وشيخ وبين دقماق نائب حماة ومن انضم معه ظاهرَ حماة في أواخر رجب ، فانكسر دقماق وملكا حماة ، وقُتل دُقماق بين يَدَي جكم ونهب حماة .

وكان نوروز قد توجه إلى حلب هو ومن معه لأن دمرداش كان تقدمهم وأوهمهم أنه جمع لهم التركمان ، فلما وصلها غلب على حلب فتوجه نوروز ونائب حلب في إثره وبنى دقماق بحماة وحيداً فانكسر .

ثم توجه جكم وشيخ إلى حلب فدخلوها بغير قتال ، وهرب نوروز إلى جهة الشمال واستقر بها الأمير جكم ، ورجع شيخ إلى دمشق وكان قد أرسل إلى الناصر يخطب منه نيابة دمشق ويخطب لجكم نيابة حلب ، فوصل شاهين الحسني ومعه رسولُ سودون الطيار ومعه ولاية شيخ على الشام ، وجكم على حلب ، ودمرداش على حماة .

ودخل (١) شيخ إلى دمشق في أواخر رجب ولبس خلعاً الناصر ولم تخرج دمشق في هذه المرة عن حكمه في الصورة الحسية ، وكان بعد ذلك ما سذكروه .
وكان دمرداش مشتتاً عند التركمان .

• • •

وفيهما كاتبة عبد الوهاب بن الجباس المصري ، وكان يحترف في حانوتِ عطارٍ فسعى أن يكون سمساراً فأهين ومُنِع ، فخدم عند بدر الدين الكلستاني كاتب السر فسعى له

(١) راجع المقرئى : الملوك ، ٥٦ ب .

حتى صار شاهداً ، ثم سعى إلى أن ولي الحسبة بمصر ثم بالقاهرة ، ثم لما ولي جمال الدين التنسي قضاء المالكية - وهو شاب - طمع هذا في قضاء الشافعية عند ابن غراب ، وكان ابن غراب قد غضب من الشافعي في شيء فنوّه بذكر ابن الجبّاس وكان في غاية الجهل ، أُلغى زريّ الهيئة ، فقام في ذلك الشيخ زين الدين الفارسكوري وأدعى عند ابن العديم بقضايا ، وآخر أمره كُتِبَ عليه قسامة أن لا يلبس طيلسانا ولا يركب بزى القضاة ، وأهين وعُزِّر وحبس ، ثم سُفِعَ فيه فأُطلق وذلك في ربيع الأول من هذه السنة .

* * *

وفي أوائل رجب استقر ابن خطيب بعين في ولاية قضاء الشام وكان قد سافر مع حكم وتقرّب له بِرِوَايَةِ أَحَادِيثِ الملاحم المكذوبة وبشّره بأنّه يلى السلطنة وبأنّه ينتصر على أعدائه ، فلما غلب على حماه سأل نائب الشام أن يقرره في قضاء دمشق فكتب له توقيعاً بذلك ، قال ابن حجي : « وكان ابن خطيب بعين آيةً في الكذب والزور مشهوراً بذلك ، مع الشهرة التامة بعدم الدين^(١) ، حتى إنّ حكم أرسله رسولاً إلى نائب الشام في أواخر هذه السنة ، فخلع عليه خلعة حرير بطراز ذهب فلبسها ، وخرج وهو فرحان وقد تَطَيَّلَسَ فوقها ، ثم أنس منه فوجد فيه أموراً منكراً فختم عليها ، ثم بعد وصول نائب الشام - شيخ - إلى دمشق كاتب يشفع في ابن الحسيني فوصل توقيعه بذلك في شعبان فباشر القضاء وصُرف ابن الخطيب .

* * *

وفي السادس من جمادى الآخرة ظهر الناصر وصعد إلى القلعة ضحوة النهار ، فكانت مدة غيبته سبعين يوماً إلا يوماً^(٢) ، وكان يشبك وجماعة اتفقوا مع الناصر وهو في بيت

(١) أماتها في هامش ز بخط الناصح « استغفر الله » .

(٢) أماتها في هامش ز بخط قارئ النسخة « هذا مخالف لما ذكر من قبل وأنه تيب في الخامس والعشرين من ربيع

الأول لأنه تكون مدة الغيبة على ذلك الحساب إحدى (كذا) وسبعين يوماً ، اللهم إلا أن يكون شهران تسعة وعشرين يوماً حتى تكون المدة ناقصة عن سبعين يوماً ، وكان يلزم على المصنف بيانه ولم يبيته » .

ابن غراب فأركبوه إلى بيت سودون الحمزاوى بالباطليّة ، فلما أصبحوا ركبوا ولاعلم عند بيبرس وأتباعه بظهور الناصر بل ظن أن الأمراء البطّالين مثل يشبك ومن معه قد ركبوا عليه ، فركب هو أيضا بالرّميلة ، فخرج الناصر ومن معه من الممالك فحملوا على بيبرس ومن معه وطلبوا باب القلعة ففتح لهم واليها الباب ، فطلع الناصر القصر وانخذلت طائفة بيبرس ، فهرب سودون المرذاني واختفى ، وخرج بيبرس إلى خارج المدينة ، فأرسل إليه سودون الطيار فأحضره وأرسله مقيداً إلى الإسكندرية ، واستقر يشبك في الأتابكية عوضه في ثامن جمادى الآخرة ، واستقر سودون الحمزاوى دويداراً عوضاً عن سودون المرذاني ، واستقر جركس المصارع أمير آخور عوضاً عن سودون المحمدي في دولة أخيه المنصور وسجنهم ، واستقرّ سودون من زاده في نيابة غزة عوضاً عن سلامش .

وفي نصف جمادى الآخرة استقر يعقوب التبانى في نظر الكسوة ووكالة بيت المال عوضاً عن ولى الدين الدمياطى^(١) مع بيبرس ثم صرف عن ذلك بعد أيام واستقر ابن البرجى في ثامن عشرى جمادى الآخرة ، ثم أعيد ابن التبانى في رابع رجب ، وكان ذلك بعناية قطلوبغا الكركى .

وفي أواخر جمادى الآخرة استقر تمرّاز الناصرى نائب السلطنة بعد شغورها مدّة طويلة .

وفي نصف رمضان استقر القاضي ولى الدين بن خلدون في قضاء المالكية عوضاً عن البساطى ، ثم لم ينشب ابن خلدون أن مات في خامس عشرىه واستقرّ جمال الدين ابن التنسى بعناية قطلوبغا الكركى ، ثم صرف في سادس عشر شوال وأعيد البساطى .

(١) في المقرئى : السلوك ، ٥٧ « ابن البرجى » .

وفي شوال استقر كاتبه^(١) في درس الحديث بالشيخونية عوضاً عن شمس الدين المدني ،
والقاضي الحنفي كمال الدين بن العديم في مشيختها عوضاً عن الشيخ زاده الخرزباني .

وفيها رجع منكلي بغا من بلاد الشرق وكان توجه رسولا إلى تمرلنك في العام الماضي .

وفي رمضان أفرج نائب حلب عن جماعة ممن كانوا مسجونين بقلعة الصبيبة ومنهم
سودون الظريف ، واستقر أميراً كبيراً بدمشق ثم قبض عليه لأمر صدر منه واستقر
عوضه بكتمر الساق وسجن سودون المذكور .

وفيه رجع نوروز وعلان إلى حلب بموافقة حكيم على ذلك ، وأرسل حكيم إلى نائب
الشام بذلك فوافق عليه ، واستمر دمرداش عند التركمان يستحثهم ويجمعهم على قصد
حكيم ومن معه بحلب ، ووصل إليه تقليد حماه فقوى بذلك .

وفي رمضان اشتد الغلاء^(٢) وبلغت الغرارة من سمانه إلى سبعمائه ، فنادى النائب
في الفقراء فاجتمعوا بالميدان ففرقهم على الأغنياء مابين الأمراء والقضاة والتجار ،
فقل سؤلهم وخف صياحهم وسكنوا .

* * *

وفيه استولى التركمان على كثير من البلاد الشامية وكان رئيسهم إلياس ويقال
اسمه فارس بن صاحب الباز، ثم وصلوا إلى حماة فغلب عليها، وكان دمرداش قد وصل إليها
لما جاءه تقليد النيابة بها ، فهجم عليه ابن صاحب الباز فهزمه إلى أن وصل إلى دمشق
مكسوراً ، فوصل إلى حمص ، فاستأذن له نائبها نائب الشام في دخول دمشق فأذن له
فدخلها ، وعظم الأمراء من التركمان، فجمع النائب القضاة وتشاوروا في مال يجمعونه
بسبب طرد التركمان ، فطال النزاع إلى أن اتفقوا على أخذ أجرة شهر^(٣) من كل بستان

(١) المقصود بذلك ابن حجر نفسه صاحب هذا الكتاب .

(٢) ذكر المقرئ في السلوك، ١٥٧ ، « أن الأسعار غلت بدمشق حتى فرق شيخ الفقراء على الأغنياء، وجعل لنفسه
منهم نصيباً وافرأ » .

(٣) في شهر رمضان سنة ٨٠٨ فرض شيخ على أهل دمشق أجرة مساكنهم لشهر يحولونها إليه إعانة له على قتال
التركان لإكثارهم الفساد في حماة وطرابلس .

ودار وحنوت وغير ذلك فشرعوا في جبايتها، ثم بطل ذلك ونودي بالرد على من أخذ منه شيء، ولما بلغ حكم أن دمرداش عند نائب الشام شيخ تغيظ عليه لأنه كان عدوه، وكان يكتب قبل ذلك إلى شيخ يستنجده على التركمان فتقاعد عنه فغضب أيضا.

وفي شوال وصل إلى حكم قاضي السلطان يطلب منه إرسال نوروز وغيره من الأمراء المتسحبين، فحماهم حكم وشم القاصد وردّه بغير جواب.

* * *

وفيهما في شوال كانت الوقعة بين حكم والتركمان ورئيسهم فارس - ويدعى إلياس ابن صاحب الباز صاحب أنطاكية وغيرها - وكان قد غلب على أكثر البلاد الشمالية ودخل حماة فملكها، وكان عسكره يزيد على ثلاثة آلاف فارس غير الرجالة، فوافقه حكم بمن معه فكسره كسرة فاحشة وعظم قدر حكم بذلك وطار صيته ووقع رعبه في قلوب التركمان وغيرهم.

ثم إنه بعد ذلك واقع نعيماً ومن معه من العرب فكسره، ثم توجه حكم إلى أنطاكية وأوقع بالتركمان فسألوه الأمان، وأن يُمكنهم الخروج إلى الجبال وإلى مواطنهم، ويسلموا إليه جميع القلاع التي بأيديهم، فتقرر الحال على ذلك، وأرسل إلى كل رقعة واحدا من جهتهم، ودخل إلى حلب مؤيداً منصوراً، فسلم فارس بن صاحب الباز لغازي بن أوزون التركماني وكانت بينهم عداوة فقتله وقتل ولده وجملته من جماعته.

وكان أميراً كبيراً شجاعاً بطلاً استجد بأنطاكية مدرسة بجوار تربة حبيب النجار، وكان قد استولى على معظم معاملات حلب ومعاملة طرابلس وصار في حكمه أنطاكية والقصر والشغر وبغراس وحارم وصهيون واللاذقية وجبلة وغير ذلك، فلما أحيط به تسلّم حكم البلاد ورجعت معاملة كل بلد إليها على ما كانت أولاً، وكاتب حكم نائب الشام يطلب منه إرسال دمرداش وبعاتبه على تأخره عن نصره مرة بعد مرة، فاستشعر دمرداش أن نائب الشام يقبض عليه ويرسله إلى حكم فهرب، وأعاد نائب الشام إلى حكم الجواب بذلك فلم يعجبه وعزم على قصد دمشق ومحاربة النائب، فبرز في شوال والتقى مع ابن صاحب الباز

وَجَمَعِهِمْ مِنَ التُّرْكُمَانِ وَكَسَرَهُمْ كَسْرَةَ ثَانِيَةٍ وَضَرَبَ أَعْنَاقَ كَثِيرٍ مِنْهُمْ صَبْرًا ، وَقَتَلَ نَعِيرًا وَأَرْسَلَ بِرَأْسِهِ إِلَى الْقَاهِرَةِ .

ولما وصل دمرداش من هروبه إلى الرملة جاء توقيع من الناصر بولايته طرابلس فرجع لذلك ، واستمر قصد جكم إلى جهة دمشق فوصل إلى سلمية ، وأرسل شرباش إلى حمص ، فاستعدَّ نائب الشام لقتاله ، ووصل إليهم العجل بن نعيم طالباً بشأَر أبيه وكذلك ابن صاحب الباز طالباً ثأر أبيه وأخيه ، وكان معهم من العرب والتُّركُمَانِ خلقٌ كثيرٌ ، وتوجَّهوا بعد عيد الأضحى إلى جهة حلب

ووصل توقيع العجل بن نعيم بإمرة أبيه ، ووصل نائب الشام ومَن معه إلى حمص في نصف الشهر ، وتكاتبوا مع جكم في الصلح ؛ فلَمَّا كَانَ فِي الثَّالِثِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ وَقَعَتِ الْوُقُوعَةُ بَيْنَهُمْ فَانكَسَرَ عَسْكَرُ أَهْلِ الشَّامِ ، وَوَصَلَ شَيْخٌ وَدَمْرِدَاشٌ إِلَى دِمَشْقٍ مِنْهَزِمِينَ ، وَكَانَتِ الْوُقُوعَةُ بِالرَّسْتَنِ (١) ، وَأَنَّ نَائِبَ الشَّامِ وَمَن مَعَهُ كَانُوا فِي الْمِيمَنَةِ فَحَطَّمُوهَا ، ثُمَّ حَمَلَ عَلَى الْمَيْسِرَةِ فَثَبَّتُوا سَاعَةً ثُمَّ انْهَزَمُوا .

ورحل نائبُ الشام ومَن معه من دمشق بعد أن أخذ منها خيولاً وبعالاً وتوجَّه إلى مصر ، ورحل جماعةٌ من جهة نرروز بعده إلى دمشق ، وهرب الحسباني وعلاء الدين نقيبُ الأشراف وتآخر البقية من القضاة والمباشرين فلاقوا نوروز وسلَّموا عليه ، فدخَلَ دِمَشْقَ فِي أَوَاخِرِ ذِي الْحِجَّةِ ، وَقَتِلَ عَلَاءُ الدِّينِ بَيْنَ يَدَيْ جُكْمِ صَبْرًا وَكَذَلِكَ طُولُو ، ثُمَّ دَخَلَ جُكْمٌ بَعْدَ بِيَوْمٍ ، وَبَالَغَ جُكْمٌ فِي الزَّجْرِ عَنِ الظُّلْمِ وَعَاقَبَ عَلَى شُرْبِ الخَمْرِ فَافْحَشَ حَتَّى لَمْ يَتَظَاهَرْ بِهَا أَحَدٌ ، وَكَانَتْ قَدْ فَشَّتْ بَيْنَ النَّاسِ ، وَنَادَى فِي دِمَشْقٍ أَنَّ لَا يُظْلَمُ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ ، وَمَنْ أَسَاءَ عَلَى الْحُكْمِ وَالْحِسْبَةِ فَعِلْ بِهِ وَقُفِّلْ ، وَأَنْسَلَخْتَ السَّنَةَ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ .

(١) بليدة قديمة بين حماة وحمص على نهر العاصي ، انظر ابن عبد الحق : مرآة الاطلاع ٦١٥/٢ ،
Dussaud : Topographie Historique de la Syrie, pp. 109 et seq.

ولما ظهر الناصر واستقرَّ في السلطنة ثانياً جُهِزَ إلى شيخ التقليدُ بنيابة الشام، وإلى نوروز التقليدُ بنيابة حلب، وتوجَّهَ لیساعده على مَنْ يخالفه، وكان دقماق نائبُ حماة وعلانُ نائبُ حلب وبكتمر جلق نائبُ طرابلس قد اتَّفَقوا على مَنْع نوروز من ذلك، فالتقى الفريقان فكسروهم شيخ وهجم على حماة من نهر العاصي وغلب عليها، وقُتِل دقماق في هذه الموقعة، وفرَّ بقية الأمراء إلى جهة حلب، فتبعهم شيخ فنازلهم فتركوها وتوجَّهوا نحو المشرق، وتسلم حلب وسلمها لجم، ورجع للشام وقد بسط العينتابي وأظهر التعصب فيها لجم لأنه كان ينتمى إليه، فقال في حوادث ذى الحجة سنة ثمان: « وفيها كانت وقعةٌ عظيمة بين جم وشيخ بالرستن - بين حماة وحمص - فانكسر نائب الشام شيخ كسرةً شنيعةً وانهمز إلى أن وصل إلى الرملة، وقد كان جم وشيخ صديقين، لكن شيخ لما رأى ما اتفق لجم من النصر على ابن صاحب الباز - كبير التركمان - وعلى نعيم كبير العرب - وقتلها على يده بعد أن عجز عنهما الظاهر وغيره حسده وخشى أن تستمر هذه السعادة إلى أن يتسلطن، فكتب فيه الناصر أنه عاص، وكل ذلك بدسائس يشبك لأن شيخاً كان من جهته، وكان يشبك يروم السلطنة فكان يُعادي كل من يستشعر منه أنه يروم مثل ما يروم، فكان يُحرِّض أتباعه على جم، قال: « قُتِل في هذه الموقعة من أتباع شيخ جماعة منهم طولو وعلان وتفرَّق شملُ شيخ إلى الغاية حتى لم يبق معه من كان اجتمع له من العسكر - وهم نحو عشرة آلاف - غير مائة نفس ». قال: « وكان جم في هذه الموقعة في دون الألفين، لكن، النصر يؤتاه الله لمن يشاء ».

وفيهما قدم ركبُ العراق بعد أن كان له تسع سنين قد انقطع .
وفيهما حاصر العرب المعروفون بالحجافلة مدينة عدن حتى عزَّ الماء بها جداً، وبلغت الراوية - وهي قدرُ قرية الكنف المصرية - خمسين درهماً، فخرج إليهم العفيف بن عبد الله بن الوجيه عبد الرحمن العلوي وأخوه في العسكر فقتل في المعركة، وكان شاباً حسناً كثير الفضل للغرباء، أحسن الله جزاءه، قُتِل في رابع صفر وله ثلاثون سنة .

وفي شعبان استقرَّ جمال الدين بن القطب في قضاء الحنفية بدمشق، والقاضي عز الدين ابن المنجا في قضاء الحنابلة عوضاً عن ابن عباد .

وفيه استقرَّ صدر الدين بن الأدي في كتابة السرِّ عوضاً عن الشريف علاء الدين .

وفي رمضان وصل أبو العباس الحمصي قاضياً على الشام عوضاً عن علاء الدين بن أبي البقاء، ثم استقرَّ بعد ثلاثة أيام - من سفر أبي العباس الحمصي - شهاب الدين الحسيني، وكان نائب الشام قد استقرَّ به فيها بغير توقيع، فباشر إلى أن وصل توقيعه كما قدمنا ذكره، فلما سمع أبو العباس الحمصي بذلك دخل الشام مختفياً ثم رجع إلى مصر هارباً، ثم كتب النائب يشفع في علاء الدين بن أبي البقاء أن يعود، ثم وصل أبو العباس متولياً في ذي القعدة فسلم على النائب فلكنه في عمامته، ثم وصل توقيع ابن الحسيني بعد ثلاثة أيام فاستمر .

وفي رمضان ظهر سودون المارداني من الاختفاء وأودع سجن الإسكندرية .
وفي العشرين منه مات ابن غراب - سعد الدين إبراهيم بن عبد الرزاق بن غراب - وكان جدُّه غراب أول من أسلم من آيائه وباشرها إلى أن اتُّهم أنه كان ممن دُلَّ الفرنج - لما هجموا الإسكندرية - على عورات المسلمين، فقُتِل ابن غراب سنة سبع وستين وسبعمئة، ونشأ ابن عبد الرزاق إلى أن وليَ نظرَ الإسكندرية ومات في نحو الثمانين، وخلف ولدين صغيرين أكبرهما يسمى «ما جدا» وأصغرهما «إبراهيم»؛ فلما تمكَّن محمود من الظاهر دخل الإسكندرية فأوى إليه إبراهيم وهو يومئذ يكتب في العرصة تحت كنف أخيه ماجد الذي تلقَّب بعد ذلك «فخر الدين»، وتسمي «محمدا»، فقربه محمود^(١) ودرَّبه وخرَّجه إلى أن مهر بسرعة وجادت كتابته، وحمد محمود ذهنه وسيرته فاخصَّ به وتمكَّن منه بحيث صار يدرى بجميع أموره، وتعلَّم لسان الترك حتى حذق فيه، فاتفق أنه عشر عليه بخيانة، فخاف ابن غراب من سطوته، بل استدرك نفسه وانضوى إلى ابن الطُّبلاوى - وهو يومئذ قد قرَّب من قلب

(١) يقصد بذلك محمود الأستادار .

الظاهر في ولاية القاهرة - فلم يزالاً به حتى بطش بمحمود وآل أمره إلى استنفاد أمواله وموته بحبس أولى الجرائم ؛ وتقلب ابن غراب في ماله فيما يستحي من ذكره لكثرتة ، ولازم خدمة ابن الطَّبلاوى إلى أن قبض عليه بأمر الظاهر ، ثم كان من أوصياء الظاهر ، ثم اختص بيشبك وتم وغيرهما من أكابر الظاهرية ، ثم تشتت شمل أكثر الباقيين . وتمكّن ابن غراب حتى استحضر أخاه فخر الدين فقرره وزيراً ، ثم لما استقرّ في كتابة السرّ ونظر الجيش أضاف إليه نظر الخاص ؛ ثم لبس الأستاذارية وتزيّابزى الجند، وضربت على باب الطبول ، وعظم جداً ، حتى إنّه لما مرض كان الأمراء يعودونه قياماً على أرجلهم ؛ وكان هو السبب في فرار الناصر وتركه المملكة وإقامته عنده تلك المدة مختفياً حتى تمكنّ ما أراد من إبعاد من يودّ الناصر وتقريب من يبيغضه ، فلما تكامل له جميع ما أراد لحظته عين الكمال بالتقص فمرض مدة طويلة بالقولنج إلى أن مات .

فلما عاد الناصر إلى المملكة بتدبير ابن غراب ألقى إليه بالمقاليد، فصار يُكثِرُ الامتنان على جميع الأجراء بأنّه أبقى لهم منهجهم^(١) وأعاد إليهم ما سلبوه من ملكهم ، وأمدّمهم بماله عند قتلهم ؛ وكان يصرّح بالتمكين أنه أزال دولة وأقام أخرى، ثم أعاد الأولى من غير حاجة إلى ذلك ، وأنه لو شاء لأخذ الملك لنفسه من غير مانع ، وأهان كاتب السرّ فتح الله وصادره ولبس مكانه ، ثم ترفع عن كتابة السرّ فولأها كاتباً عنده يقال له الفخر بن المزوق ، وكانت جنازته^(٢) مشهودة .

مات ضحوقة يوم الخميس ليلة التاسع عشر من رمضان ، وبات في قبره ليلة سبع وعشرين من رمضان ؛ ولكن كان ابن غراب محبوباً إلى العامة لما قام به في الإلاء والفناء^(٣) من إطعامه الفقراء وتكفينه الأموات من ماله .

* * *

(١) في الضوء اللامع ج ١ ص ٦٦ « بهجتم » وقال « نقلنا عن ابن حجر في الإنباء » .

(٢) أي جنازة ابن غراب .

(٣) يشير ابن حجر إلى الوباء الذي حدث سنة ٨٠٦ هـ .

وكان يحب الانفراد بالرياسة ، مليح الشكل ، جميل الصورة ، شديد الزهو ، يظهر التعفف ، شديد العجب ، مفضلاً وهاباً ، وافر الحرمة ، كثير البذل ، والله يسامحه . وكان قد بلغ من المملكة ما لم يبلغه أحد ؛ مات بعلة القولنج الصفراوى بعد أن صار أميراً بتقدمة ألف ، وتنقل في الولايات من نظر الخاص والجيش والأستادارية وكتابة السر وغير ذلك على ما سلف من الحوادث ؛ وكان يدرى اللغة التركيبية ، مع الدعاء والمكر والمعرفة التامة بأخلاق أهل الدولة .

ولقد تلاعب بالدولة ظهراً لبطن ، وخدم عند الأضداد ، وعظم قدره حتى شاع أنه لا بد أن يلي السلطنة ، ولم يوجد له كثير من المال بل مات وعليه من الديون ما لا يدخل تحت الحضر .

* * *

وفي أواخر ذى الحجة استقر فتح الله في كتابة السر عوضاً عن فخر الدين بن المزوق الذى كان من جهة ابن غراب .

وفي ليلة النصف من ذى الحجة خسف القمر في أواخر الليل فاستمر إلى بعد أذان الفجر .

* * *

ذكر من مات

في سنة ثمان وثمانمائة من الاعيان

١ - إبراهيم الحنبلى الصوّاف ، برهان الدين ، أحد نواب الحكم ، كان من طلبية القاضى موفق الدين ، مات في العشرين من رمضان .

٢ - إبراهيم بن عبد الرزاق بن غراب . مضى ذكره في الحوادث .

٣ - أحمد بن إبراهيم بن سليمان العكّارى ثم الطرابلسى المعروف بابن العلم ، نسبةً إلى جدّه علم الدين سليمان ، تفقّه ببلده ثم دخل دمشق واشتغل على الحسابى ، ورحل مع الياسوفى إلى حلب فسمع بها فى سنة سبعين على الكمال بن النحاس والكمال بن حبيب وأحمد ابن قطلوبغا وغيرهم ، وولى قضاء عكار^(١)؛ وكانت لدية فضيلةً ويتكسّب من الشهادة ، ثم دخل مصر وقرأ على البلقينى ، قال القاضى علاء الدين : « اجتمعتُ به بطرابلس وكان فاضلاً » . مات فى صفر هذه السنة بطرابلس .

٤ - أحمد بن طوغان بن عبد الله الشيوخونى المعروف بدويدار النائب ، مات أبوه وهو صغير فربّاه سودون النائب فباشر الدويدارية عنده وأثرى ، وكان يحبّ أهل الخير والصلاح ، ثم ترائى على أهل الحديث واختصّ بهم ، ولازم مطالعة أهل الظاهر واشتهر بذلك حتى صار مأوى لمن يُنسب إلى ذلك ، وكان يتعانى العمل بما يقتضيه قول أهل الطب فيما يتعلّق بالغذاء والعشاء ، فيكثر الحمية فى زمن الصحة ولا يأكل إلاّ بالميزان ، فلا يأكل مُعتلاً . مات فى جمادى الأولى بالإسكندرية ؛ والله يرحمه .

٥ - أحمد بن عبد الله المعروف بالشيخ حُطَيْبَة - بمهلّتين مصغراً - الدمياطى ، أحدُ المجذوبين الذين يعتقد فيهم العامّة الولاية ، قبل إنه كان متزوجاً فأحبّ المرأة فبلغه أنها اتّصلت بغيره فحصل له من ذلك طرف خبالٍ ، ثم تزايدَ إلى أن اختلّ عقله ونزع ثبابه وصار عرياناً ، وله فى حاله هذه أشعار ، منها مواليا :

سِرِّى فَضَحْنِى	وانتِ سِرِّكَ قَدْ صُنْتِ
قَضَيْ رِضَاكِى	وانتِ تُطَلِّبِى لى العنتِ
ذَلَيْتِ من بعد عِزِّى	فى الهوى وَهْنْتِ
يا لَيْتِ فى الخلقِ	لا كُنْتِى ولا أَنَا كُنْتِ

مات فى أول المحرم . نقلت ترجمته من خط الشيخ تقى الدين المقرئى .

(1) Cf. Le Strange : Palestine under Moslems, pp. 80, 890.

٦ - أحمد بن عماد بن يوسف الأقفهسي الشافعي المعروف بابن العماد ، أحد أئمة الفقهاء الشافعية في هذا العصر ، اشتغل قديماً وصنّف التصانيف المفيدة نظماً وشرحاً ، وله « أحكام المساجد » و « أحكام^(١) النكاح » و « حوادث الهجرة » وغير ذلك ؛ وسمعت من نظمه ومن لفظه ، وكتب عنه الشيخ برهان الدين محدث حلب من فوائده .

٧ - أحمد^(٢) بن محمد بن إسماعيل بن عبد الرحيم بن يوسف بن سمير بن حازم المصري ، أبو هاشم بن البرهان الظاهري التيمي ، وُلد في ربيع الأول سنة أربع وخمسين ، واشتغل في الفقه على مذهب الشافعي ، ثم صحب شخصاً ظاهرياً المذهب فجذبه إلى النظر في كلام أبي محمد بن حزم فأحبه ، ثم نظر في كلام ابن تيمية فغلب عليه حتى صار لا يعتقد أن أحداً أعلم منه ، وكانت له نفس أبيّة ومروعة وعصبية ، ونظر كثيراً في أخبار الناس ، وكانت نفسه تطمح إلى المشاركة في الملك وليس له قدم فيه لا من عشيرة ولا من وظيفة ولا من مال ، فلما غلب الملك الظاهر على المملكة وحبس الخليفة غضب ابن البرهان من ذلك ، وخرج في سنة خمس وثمانين إلى الشام وإلى العراق يدعو إلى طاعة رجل من قريش فاستنفر جميع الممالك فلم يبلغ قصداً ، ثم رجع إلى الشام فاستغوى كثيراً من أهلها ، وكان أكثر من يوافقه ممن يتدين لما يرى من فساد الأحوال وكثرة المعاصي وفساد الرشوة في الأحكام وغير ذلك ، فلم يزل على ذلك إلى أن نفي أمره إلى بيدمر نائب الشام فسمع كلامه وأصغى إليه ، إلا أنه لم يشوش عليه لعلمه أنه لا يجي من يده شر ، ثم نفي أمره إلى نائب القلعة ابن الحمصي وكان بينه وبين بيدمر عداوة شديدة ، فوجد الفرصة في التآلب على بيدمر ، فاستحضر ابن البرهان واستخبره وأظهر له أنه مال إلى مقاته ، فثبت عنده جميع ما كان يدعو إليه فتركه ، وكاتب السلطان وأعلمه بقصتهم ، فوصل كتاب السلطان

(١) سماه السخاوي : الضوء اللامع ١٣٧/٢ بتوقيف الحكام على غوامض الأحكام .

(٢) أسامه في ز « أبو هاشم بن البرهان الظاهري التيمي » له رسائل مفيدة .

إلى بيدمر بأمره بتحصيل ابن البرهان ومن وافقه على رأيه وأمره أن يسمرهم ؛ فتورّع بيدمر عن ذلك وأجاب الشفاعة فيهم والعتوّ عنهم وأن أمرهم ثلاثي ، وإنما هم قوم خفت أدمغتهم من الدرس ولا عصبيّة لهم ، ووجد ابن الحمصي الفرصة لعداوته لبيدمر فكتب السلطان أن بيدمر قد عزم على المخامرة ، فوصل إليه الجواب بمسك ابن البرهان ومن كان على مثل رأيه وإن آل الأمر في ذلك إلى قتل بيدمر .

ولما حضر ابن البرهان إلى السلطان استذناه واستفهمه عن سبب قيامه عليه ، فأعلمه أن غرضه أن يقوم رجل من قريش يحكم بالعدل ، وأعلمه أن هذا هو الدين ولا يجوز غيره وزاد في ذلك ، فسأله عمّن معه على مثل رأيه من الأراء فبرّ أهم فأمر بضربه ، فضرب هو وأصحابه وحبسوا بالخزانة المعدة لأهل الجرائم ، وذلك في ذي الحجة ثمان وثمانين [وسبعمائة] ، ثم أفرج عنهم في ربيع الأول سنة إحدى وتسعين ، فاستمر ابن البرهان مقيماً بالقاهرة على صورة ؛ ومات في أربع بقين من جمادى الأولى من هذه السنة وحيداً فريداً غريباً ، وحضرت جنازته والصلاة عليه في نحو سبعة أنفس لا غير .

وكان [ابن البرهان] حسن المذاكرة والمحاضرة ، عارفاً بأكثر المسائل التي يخالف فيها أهل الظاهر الجمهور ، ويكثر « الاختصار » ويستحضر أدلتها وما يردّ على معارضتها ؛ وأملّى هو في الحبس « مسألة رفع اليدين في السجود » ، ومسألة « وضع اليمنى على اليسرى » ، و « رسالة في الإمامة » .

سمعت من فوائده كثيراً ، وكان كثير الإنذار بما حدث بعده من الفتن ولا سيما ما حدث من الغلاء والفساد بسبب رخص الفلوس ، حتى رأى عندي قدماً مرة منها جانباً كبيراً من الفلوس فقال لي : « إحذر أن تقتنيها فإنها ليست رأس مال » فكان كذلك لأنها في ذلك الوقت كان القنطار منها يساوي عشرين مثقالاً فأكثر ، وآل الأمر

في هذا العصر إلى أنها تساوى أربعة مثاقيل ثم صارت تساوى ثلاثة ثم اثنين ورُبعا ونحو ذلك ، ثم انعكس الأمر بعد ذلك فصار مَنْ عنده منها شيء اغتبط به لما رُفِعَت قيمتها من كل رطل منها بستة دراهم إلى إثني عشر ثم إلى أربعة وعشرين ، ثم تراجع الحال لما فُقِدَت ، ثم ضُرِبَتُ فلوس أخرى خفيفة جداً ، وجُعِلَ سعر كل رطلٍ أكثر من ثلاثين ، وظهر في الجملة أنها ليست مالا يُقْتَنَى لوجود التحلل في قيمتها وعدم ثباتها على قيمة واحدة .

قرأتُ بخط البرهان المحدث بحلب : « أنشدني أبو العباس أحمد بن البرهان عن الشيخ برهان الدين الآمدي قال : دخلتُ على العلامة أبي حيان فسألته في القصيدة التي مدح بها ابن تيمية ، فأقرَّ بها وقال كشطناها من ديواننا ، ثم دعى بديوانه فكشف وأراني مكانها في الديون مكشوطاً » ، قال المحدث : « فلقيت الشيخ برهان الدين الآمدي فقال لي : لم أنشده إياها ولا أحفظها ، إنما أحفظ منها قطعاً » ؛ قال : « فكان الآمدي قد ذكر لي قبل ذلك الحكاية بزيادات فيها ولم يذكر القصيدة » قال : « ثم لقيتُ ابن البرهان بحلب في أوائل سنة سبع وثمانين فذاكرته بما قال لي الآمدي فقال لي : « قرأتها على الآمدي فظهر أنه لم يحرر النقل في الأول » . والقصيدة مشهورة لأبي حيان وأنه رجع فيها .

٨ - أبو بكر بن عبد الرحمن بن فيروز ، تقي الدين الحواري ، وكان يقرئ أولاد القاضي تاج الدين السبكي ، وسمع من بعض أصحاب الفخر ، ثم ولي قضاء أذربجان^(١) . مات في المحرم وله بضع وستون سنة .

٩ - جقمق الصفوي الحاجب بدمشق ، قبض عليه في المحرم سنة خمسٍ ثم أُرسِلَ إلى شزة ، فلما ولي نوروز في هذه السنة^(٢) استصحبه إلى دمشق وقرره في الحجوبية ، فلما انكسر نوروز مات .

(١) الضبط من مراصد الإطلاع ١/٤٧ . وأنظر Le Strange : Palestine Under The Moslems, p. 383

(٢) أي سنة ٨٠٨ هـ .

١٠ - دقماق [المحمدي] الظاهري ، كان من الخاصكية وكان معه^(١) بالكرك ، قال القاضي علاء الدين في تاريخه : « كان شكلاً حسناً شجاعاً كريماً ، عنده حشمة زائدة ، وأدب كبير » ، وكان ممن فرّ في وقعة شقحب مع كمشبغا الكبير إلى حلب فأقام بها ، ثم أمره الظاهر تقدمه بحلب ثم نيابة ملطية فاستمر بها مدة ، ثم ولّاه الناصر نيابة حماة بعد تم ، ثم كان ممن أسير مع اللنكية ، ومن بعد تم ولي نيابة صنفد ثم نيابة حلب في سنة أربع وثمان مائة ، وواقع دمرداش النائب قبله فانتصر عليه ، فلما كان في سنة ست وثمان مائة تخيل من الناصر فهرب ووليها غيره ، ثم بعد أشهر دخلها بغتة فملكها ، ثم واقعه الذي كان نائبها مع جمع^(٢) جمعهم من التركمان فانهزم وذلك في ثاني رجب منها ، ثم رضى عليه الناصر وولّاه نيابة حماة بعد وقعة السعيدية ، فلما كان في هذه السنة حاصره شيخ وجكم إلى أن كان من أمره ما كان ، ثم قُتل وذلك في شعبان .

١١ - الشيخ زاده العجمي [الخرزباني] الحنفي ، قدم من بلاده إلى حلب سنة أربع وتسعين وهو شيخ ساكن يتكلم في العلم بسكون ويتعاني حلّ المشكلات ، فنزل في جوار القاضي محبّ الدين بن الشحنة فشغل الناس ، وكان عالماً بالعربية والمنطق والكشاف ، وكان له اقتدار على حلّ المشكلات من هذه العلوم ، وقد طارحه سراج الدين عبد اللطيف الفؤي بأسئلة من العربية وغيرها . نظم ونشر في قول « الكشاف » : « إن الاستثناء في قوله تعالى « قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين . إلا آل لوط إنا لمنجوهم أجمعين »^(٣) متصل أو منقطع ؟ » فأجابه جواباً حسناً : إن كان الاستثناء منقطعاً في صورتين « فأجاب بأنه لا إشكال ، قال : « وغاية ما يمكن أن يقال إن الضمير المستكن في « المجرمين » وإن كان عائداً إلى القوم بالإجرام إلا أن إسناد الإجرام يقضى تجرّده عن اعتبار اتصافه بالإجرام فيكون إثباتاً للثابت » إلى آخر كلامه .

(١) أي مع الظاهر برقوق لما نفي إلى الكرك بعد سلطته الأولى لمصر .

(٢) انظر الضوء اللامع ٣/ ٨٢٠ حيث أشار إلى هذه الوقعة دون أن ينص على اسم النائب .

(٣) سورة الحجر ١٥ : ٥٨ - ٥٩ .

ومن نظمه في الحوادث ، وهي قصيدة طويلة يقول فيها :

فَلَا الشُّعْرُ مِنْ ذَاتِي وَلَا هُوَ شِيَمَتِي وَلَا أَنَا مِنْ خَبْلِ الْفُكَاهَةِ فِي الْخُبْرِ

ثم دخل القاهرة ، وولى بعد ذلك تدريس الشيخونية ومشيختها فأقام مدةً طويلةً إلى أن كان في أواخر هذه السنة^(١) فإنه طال ضعفه ، فشنع عليه القاضي كمال الدين بن العديم أنه خرف ، ووثب^(٢) على الوظيفة فاستقرَّ فيها بالجاء ، فتألم لذلك هو وولده ، ومقت أهل الخير ابن العديم بسبب هذا الصنيع ، ومات الشيخ زادة عن قرب .

وكان له ولدٌ يسمى « محمودا » كثير الفضل عارفاً بالعلوم الآلية ، وأقبل على الحديث يُسمِعُه ويُشغَلُ فيه ، وناب عن أبيه في الشيخونية فحُرِمَ من وظيفة أبيه ، فقرره جمال الدين في مدرسته لتدريس الحنفية ، فانجبر بذلك .

١٢ - سالم بن سعيد بن علوى الحسابى ، أمين الدين ، قدم القدس وهو ابن عشرين سنة فتفقّه بها ، ثم قدم دمشق في حياة السبكي واشتغل وداوم على ذلك ، وتفقّه بعلاء الدين بن حجى وغيره ، وأخذ النحو عن السكسكى وغيره ، ثم قدم القاهرة فقرأ في النحو على ابن عقيل ، وفي الفقه على البلقينى وقدم معه دمشق ، ولما ولى^(٣) قضاءها ولأه قضاءً بصرى ، ثم لم يزل ينتقل في النيابة بالبلاد إلى أن مات .

وكان مكباً على الاشتغال ، وفي ذهنه وقفة ، وكان مقلداً . مات في جمادى الأولى وقد جاوز السبعين .

١٣ - شاهين بن عبد الله السعدى الطواشى ، خدم الأشرف فَمَنَ بعده ، وتقدّم في دولة الناصر ، وولّى نظر الخانقاه البيرسية وغيرها .

(١) يعنى سنة ٨٠٨ هـ .

(٢) أى ابن العديم .

(٣) المراد بذلك أنه لما ولى البلقينى قضاء القضاة بدمشق ولى صاحب الترجمة قضاء بصرى .

١٤ - شيخ السلجاني [الظاهري^(١) برقوق] ولي صفد ثم طرابلس ، ثم قبض عليه
جكم ثم سجنه في صهيون^(٢) ثم خلص منها وعاد إلى طرابلس ، ثم ولي تقدمةً في نيابة
نورز بدمشق ، ثم قتله جكم في بعض المغازي في هذه السنة .

١٥ - طاهر بن الحسين بن عمر بن الحسن بن عمر بن حبيب بن شويخ الحلبي ،
زين الدين بن بدر الدين ، وُلِدَ بعد الأربعين واشتغل بالعلم وتعالى الأدب ، ولازمَ الشيخين
أبا جعفر الغرناطي وابن جابر ، وأُسمِعَ من إبراهيم بن الشهاب محمود ، وأجاز له من الشام
أحمد بن عبد الرحمن المرداوي^(٣) ومحمد بن عمر السلاوي وغيرهما ؛ ومن القاهرة
شمس الدين بن القمّاح وغيره ، وتعالى الإنشاء ببلده وقرّر موقماً ، ثم سكن القاهرة
واستقر بها موقعا ، وولى عدة وظائف ، ومهر في النثر ، وعمل شرحا على البردة وخمسة
أيضا ، وذيل على تاريخ أبيه بطريقته ، ونظم « تلخيص المفتاح » ، وطرح الأدياء
القدماء منهم : فتح الدين بن الشهيد بأن كتب له بيتين فأجابه بثلاثين بيتا ، وطرح
سراج الدين عبد اللطيف الفيومي نزيل حلب ؛ ونظم كثيرا ، وأحسن ما نظم « محاسن
الاصطلاح » للبلتيني ، وليس نظمه بالفلق ولا نثره ، وله قصيدة تسعة أبيات قافيتها
« عودي » ، وله فيه ما يستحيل بالانعكاس بيتا^(٤) واحداً مع التزام الحروف المهملة .

(١) الإضاءة من الضوء اللامع ١١٨٨/٣ .

(٢) الضبط من مرصد الاطلاع ٨٥٩/٢ حيث عرفها بأنها حصن حصين من أعمال سواحل بحر الشام من أعمال حمص
وإن لم يكن مشرفاً على البحر ، وذكر Dussaud: Topographie Historique, p. 149 أنها أحسن مكان يشرف
على طريق اللاذقية المؤدى إلى الداخل ، وقال إنها تسمى في اليونانية Signon ، وقد ضبطها هذا المؤلف في جميع الصفحات
التي وردت فيها في كتابه بفتح الصاد . وأجاز فيها لسراجه الفتح والكسر بناء على ما ذكرته المصادر الجغرافية العربية عنها ،
انظر : Le Strange: op. cit. p. 526

(٣) ابن حجر : الدرر الكامنة ٤٢٩/١ وإنباء الفمرج ١ ص ٣٠٤ ترجمة رقم ٣ .

(٤) المقصود بذلك هو البيت الثاني من الأبيات الثلاثة التالية .

وله :

أيا فاضلاً في العُلا مؤئسه له العِلْمُ والحِلْمُ صارا معاً
 أعد حَال ملك وحل عدو ودع لحو كل ملاح دعا
 ودع مالم لاعداك السرور ولارام سعدك ساع سعي

وله :

قلت له إذ ماس في أخضر وطرفه ألبابنا يسحر
 لحظك ذا ؟ ، أو أبيض مرهف ؟ فقال لي : ذا موتك الأحمر

وكانت وفاته في سابع^(١) عشر ذى الحجة سنة ثمان وثمان مائة .
 اجتمعتُ به وسمعتُ كلامه وأطرائي ، وسمعتُ عليه شيئاً من الحديث ؛ ومن نظمه ولم أظفر
 به إلى الآن^(٢) .

١٦ - عبد الله بن عبد الرحمن العلوي . تقدّم ذكره في الحوادث .

١٧ - عبد الرحمن بن علي بن خلف الفارسكوري^(٣) ، الشيخ العلامة زين الدين
 الشافعي ، وُلد سنة خمس وخمسين وقدم القاهرة ولازم الاشتغال ، وتفقه على الشيخ
 جمال الدين [الإسناي] والشيخ سراج الدين [البلقيني] وغيرهما ، وسمع الحديث
 فأكثر ، وكتب بخطه المليح كثيراً ، ثم تقدّم وصنف ، وعمل شرحاً على « شرح العمدة »

(١) في المقرئى : السلوك ، ١٥٨ ، والعيى : عقد الجمان ٢٥/٢٤٢ « سادس عشر ذى القعدة » . ولكنه - كما بالمتن -
 في كل من السخاوى : الضوء اللاحق ٩/٤ ، وابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب ٧/٧٥ .

(٢) في أسفل صفحة نسخة ك « بل نازع كاتب السر وتعين للوظيفة مراراً فلم يتهياً فيما قاله العيى ، قال : وكان يتم
 بشرب المسكر » وعلى الهامش الأيسر « ونظم الشرفية في فرائض الحنفية . قاله العيى » .

(٣) نسبة إلى فارسكور ، وهى من القرى الواقعة بين مصر ودمياط ، وهى الآن مركز فارسكور ، وقد تحذف
 في الواو أحياناً ، انظر في ذلك ابن عبد الحق : مراصد الاطلاع ٣/١٠١٣ ، ومحمد رمزى : القاموس الجغرافى ، ج ٢ ،

لابن دقيق العيد جمع فيه أشياء حسنة ، وكان له حظٌ من العبادة والمروعة والسعي في قضاء حوائج الغرباء ولاسيما أهل الحجاز .

وقد ولى قضاء المدينة ولم يَتِمَّ له مباشرة ذلك ، واستقر في سنة ثلاثٍ وثمانمائة في تدريس المنصورية ونظر الظاهرية ودرّسها فعمر بها أحسن عمارة وحُمد في مباشرته ، وقد جاور بمكة وصنّف بها تصنيفاً يتعلّق بالمقام .

وكان يودّنى وأودّه ، وسمعتُ بقراءته وسمع بقراءتي ، وأسفتُ عليه جدا ، وقد سئل في مرض موته أن ينزل عن بعض وظائفه لبعض من يحبّه من رفقته فقال : « لأتقيّد بها حياً وميتاً » . مات في رجب وله ثلاث وخمسون سنة .

١٨ - عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد ابن إبراهيم بن محمد بن عبد الرحيم الحضرمي المغربي المالكي المعروف بابن خلدون ، وُلد سنة ٧٣٣ (١) ، وسمع من الوادياشي وغيره ، وقرأ القرآن على أبي عبد الله [محمد] ابن سعد بن بزّال [الأنصاري] أفراداً وجمعاً ، وأخذ العربية عن أبيه وأبي عبد الله الحصائري وأبي عبد الله بن بحر ، وأخذ الفقه عن محمد بن عبد الله الحيّاني وقاضي الجماعة [محمد] بن عبد السلام ، وأخذ عن عبد المهيمن الحضرمي ومحمد بن إبراهيم الأبلبي شيخ المعقول بالمغرب ، وبرع في العلوم ، وتقدّم في الفنون ، وبهر في الأدب والكتابة ، وولى كتابة السر بمدينة فاس لأبي عثمان ولأخيه أبي سالم ، ودخل إلى غرناطة في الرسليّة سنة أربع وستين .

وكان ولى بتونس كتابة العلامة ، ثم ولى الكتابة بفاس ، ثم اعتُقِل سنة ثمانٍ وخمسين [وسبعمائة] نحو عامين ، ودخل بجاية بمراسلة صاحبها فدبّر أمره ، ثم رحل - بعد أن مات -

(١) الوارد في السخاوي : الضوء اللامع ٤/٣٨٧ أنه ولد أول رمضان سنة ٧٣٢ هـ .

إلى تلسمان باستدعاء صاحبها فلم يُقِم بها ، ثم استدعاه عبد العزيز بفاس فمات قبل قدومه فقُبِض عليه ثم خُلص فسار إلى مراكش ، وتنقلت به الأحوال إلى أن رجع إلى تونس سنة ثمانين فأكرمه سلطانها فسعوا به عند السلطان إلى أن وجد غفلةً ففرَّ إلى المشرق وذلك في شعبان سنة أربع وثمانين ، ثم ولي قضاء المالكية بالقاهرة ، ثم عُزل وولى مشيخة البيبرسية ثم عُزل عنها ، ثم ولي القضاء مراراً كان آخرها في رمضان من هذه السنة فباشره ثمانية أيام فأدرکه الأجل .

وكان من رافق العسكر إلى تمرلنك وهو مفصول عن القضاء ، واجتمع بتمرلنك فأعجبه كلامه وبلاغته وحُسن توصله إلى أن خلصه الله من يده .

وصنّف « التاريخ الكبير » في سبع مجلدات ضخمة ظهرت فيه فضائله وأبان فيه عن براعته ، ولم يكن مطلعاً على الأخبار على جليتها لاسياً أخبار الشرق وهو بين لمن نظر في كلامه ، وكان لا يتزياً بزى القضاة بل هو مستمر على طريقته في بلاده . مات في خامس عشرى رمضان .

قال لسان الدين بن الخطيب في تاريخ غرناطة : « رجل فاضل جَمّ الفضائل ، رفيع القدر ، أصيل المجد ، وقور المجلس ، عالى الهمة ، قوى الجأش ، متقدّم في فنون عقلية وزقلية ، متعدّد المزاي ، شديد البحث ، كثير الحفظ ، صحيح التصوّر ، بارع الخط ، حسن العشرة ، مفخرة من مفاخر المغرب » قال هذا كله في ترجمته ، والمذكور في حدّه الكهولة .

قال العينتابي في ترجمة ابن خلدون : « مات فجأة بعد أن أعيد إلى القضاء بثلاثة أيام ، وكان ديناً فاضلاً صاحب أخبار ونوادير ومحاضرة حسنة ، وله تاريخ مليح ، وكان يُتّمم بأمر قبيلة » كذا قال .

١٩ - عبد العزيز [بن (١) أحمد] بن سليمان المحلى ، بدر الدين الشافعى ، كان عارفاً بالوثائق وولى قضاء المحلة . مات بمكة مجاوراً عن ستين سنة .

٢٠ - على بن أحمد بن علوان النحريرى ، نور الدين ، شاهد الطواحين السلطانية ، مات فى أواخر جمادى الأولى ، وكان كثير التودد ، وقد سمع من الشيخ محمد القرى وحدث عنه .

٢١ - على بن [محمد (٢) بن عبد النصير ، السخاوى الأصل] الشيخ علاء الدين الكاتب المجود كاتب المنسوب الملقب « بعصفور » موقع الدست ، ووقع عن جماعة من أكابر الأمراء ، وهو الذى كتب عهد الناصر فرج فى دولته الثانية ، ومات عقب ذلك فقال فيه بعض أدباء العصر :

قد نسخ الكتاب من بعسده عصفور لما طار للخلد
مذ كتب العهد قضي نجبه وكان منه آخر العهد

وقد كتب عليه جماعة من الأعيان وانتفعوا به ، وكان يكتب على طريقة ياقوت ؛ وكان شيخنا الزفتاوى صديقه ويكتب على طريقة ابن العفيف ؛ ودخل علاء الدين عصفور صحبة سودون قريب السلطان دمشق ووصل معه إلى حلب فنهب مع من نهب بأيدي اللنكية ولكنه نجا من الأسر . وكان بارعاً فى كتابة المنسوب على طريقة الشاميين ، وولى توقيع الدست فكان بعضهم يقول : « ضاع عصفور فى الدست » . مات فى رجب .

٢٢ - فارس بن صاحب الباز التركمانى ، كان أبوه من أمراء التركمان فلما وقعت

(١) الإضافة من الضوء اللامع ٤/ ٥٥٠ حيث أشار فى ص ٢١٨ س ٧ إليه ثم قال « مضى فى ابن أحمد » .

(٢) فراغ فى جميع النسخ المتداولة هنا ، وقد أضيف ما بين الحاصرتين بعد مراجعة السخاوى : الضوء اللامع ٥/ ١٠٤٥ ،

هذا وقد ورد لقبه فى المقرئى : السلوك ، ١٥٩ « السنجارى » بدلا من « السخاوى » .

الفتنة اللنيكية جمع ولده هذا فاستولى على أنطاكية، ثم قوى أمره فاستولى على القصر، ثم وقع بينه وبين دمرداش في سنة ست وثمان مائة فانكسر دمرداش، ثم جمع دمرداش لقتاله بأنطاكية فحاصره، وكان جكم مع فارس ثم رجع عنه بغير طائل، فاستولى فارس على البلاد الغربية كلها وعظم شأنه، وبني بأنطاكية مدرسة^(١) حسنة، واستولى على صهيون وغيرها من عمل طرابلس، وصار نواب حلب كالمحصورين معه لما استولى على أعمالهم؛ فلما ولي جكم نيابة حلب تجرد له وواقعه فهزمه ونهب ما معه، واستمر جكم وراءه إلى أن حصره بأنطاكية سنة ثمان وثمانمئة، ولم تزل الحرب بينهما إلى أن طلب فارس الأمان فأمنه ونزل إليه وسلمه لغازي بن أودون وكان عدوه فقتله، وقتل معه ابنه وجماعة منهم في شوال، واستنقذ جكم البلاد كلها من ابنه - ابن صاحب الباز - وهي أنطاكية والقصر والشفر^(٢) وحارم وغير ذلك، وانكسرت بقتل فارس شوكة التركمان.

٢٣ - قوام بن عبد الله الرومي الحنفي قوام^(٣) الدين، قدم الشام وهو فاضل في عدة فنون فصاهر بدر الدين بن مكتوم، وولى تصديراً بالجامع وشغل وأفاد وصحب النواب، وكان سليم الباطن كثير المروعة والمساعدة للناس. مات في ربيع الآخر^(٤) بدمشق.

٢٤ - ماجد بن عبد الرزاق المعروف بابن غراب القبطي الملقب فخر الدين، سمي نفسه «محمد بن عبد الرزاق» لما ولي المناصب بالقاهرة، وكان جدّه نصرانيا بالإسكندرية^(٥)

(١) وهي بحضرة مقام سيدى حبيب النجار كما أشار ابن حجر سابقاً، انظر أيضاً السخاوى: الضوء اللامع ٦/٥٤٠.

(٢) قلعة حصينة قرب أنطاكية ويقابلها أخرى يقال لها بكاس، انظر مرآة الاطلاع ٢/٨٠٢، أما حارم فحصن حصين وكورة جليلة تجاه أنطاكية من أعمال حلب، انظر نفس المرجع ١/٣٧١.

(٣) الوارد في الضوء اللامع ٦/٧٥٧ أنه يلقب بقوام فقط.

(٤) في الضوء اللامع، «ربيع الأول».

(٥) ولذلك ينعت أحياناً بالقبطى السكندرى.

وتعاني^(١) صناعة الكتابة، وكان ممن اتهم بإعانة الفرنج على نهب الإسكندرية، فلما توجهوا منها خاف وأسلم.

ولما مات نشأ ولده عبد الرزاق واشتهر بمعرفة الكتابة والأمانة إلى أن ولي نظر الإسكندرية. ومات بعد الثمانين وخلف ماجداً وإبراهيم وهو الأصغر، فاتصل إبراهيم بالأمير محمود الأستادار في سلطنة الظاهر برقوق وتلقب «سعد الدين»، وتنقلت به الأحوال على ماتقدم في الحوادث. وعظم قدر أخيه فخر الدين في الرئاسة فولى الوزارة ونظر الخاص وغير ذلك بعناية أخيه، ولم يكن فيه من آلات الرياسة شيء بل كان يلثغ لثغة قبيحة ويسير سيرة جائرة، ولما مات أخوه حمل وخمد وآل أمره إلى أن مات في حبس الأمير جمال الدين الأستادار، وقد تقدمت ترجمته في آخر الحوادث^(٢) من هذه السنة.

٢٥ - محمد بن أبي بكر بن إبراهيم^(٣) شمس الدين الجعبرى الحنبلى العابر، كان يتعاني صناعة القبان، وتنزل في دروس الحنابلة، ونزل في سعيد السعداء، وفاق في عبارة الرؤيا، ومات في جمادى الآخرة^(٤).

٢٦ - محمد بن أبي بكر بن سليمان بن أحمد العباسى أمير المؤمنين المتوسل على الله ابن أبي عبد الله بن المعتضد بن المستكفى بن الحاكم، ولد في سنة نيف وأربعين أو نحوها، وتولى الخلافة في سنة ثلاث وستين بعهد من أبيه إليه، واستمر في ذلك إلى أن مات في شعبان من هذه السنة سوى ماتخلل من السنين التي غضب فيها عليه الملك الظاهر برقوق من ولاية قريبه، واستقر في الخلافة بعده ولده أبو الفضل العباسى ولقب المستعين

(١) المقصود بذلك الجد وليس صاحب الترجمة.

(٢) راجع سابق، ص ٣٢٨ - ٣٣٠.

(٣) لم يدرجه السخاوى: الضوء اللامع ٣٩٢/٧ فيمن اسم جده «إبراهيم» بل «إسماعيل».

(٤) في هامش ز بخط الناسخ عبارة «وهو والد شيخنا» وكأنها تكللة للترجمة.

بالله ، وكان قد عهد قبله بالخلافة لولده الآخر المعتمد على الله أحمد ، ثم خلعه وولى هذا ، واستمر ذلك مسجوناً إلى أن مات .

ولما هرب الأشرف شعبان من عقبة أيلة سأل طشتمر المتوكل أن يبايع له بالسلطنة فامتنع وقال : « بل اختاروا من شئتُم وأنا أوليه » ، فقدم معهم وأقيم المنصور بن علي بن الأشرف ، وقام بتدبير الملك « أينبك » ، فخلع المتوكل من الخلافة وأقام قريبه زكريا ابن إبراهيم في ثالث عشرى صفر سنة تسع وسبعين ، ثم أعيد بعد شهر إلى أن تسلطن برقوق ، فحسن له جماعة من أهل الدولة وغيرهم طلب الملك ، فكتب الأمراء والعربان مضراً وشاماً وعراقاً ، وبث الدعاء في الآفاق ، فتم عليهم صلاح الدين بن تنكز في رجب سنة خمس وثمانين [وسبعمائة] وأخبره عن خاله طنبغا أن الخليفة اتفق مع قرط الكاشف أن الظاهر إذا ركب إلى الميدان أن يقبض عليه ، ووافقهم إبراهيم بن قطلقتمر أمير جندار ، فاستدعى الخليفة في الحال وقبضه وسجنه في برج القلعة ، وقبض على إبراهيم وقرط ، ووسط قرط وحبس إبراهيم . وأقام عمر في الخلافة ولقب « الواثق » ، ثم مات عمر وأقيم أخوه زكريا ولقب « المستعصم » ، واستمر المتوكل في الحبس إلى أن خرج يلبغا الناصري فأفرج برقوق عن الخليفة في صفر سنة إحدى وتسعين لأنه بلغه أن الناصري يشنع عليه كونه سجن الخليفة ، فأمر بالتضييق عليه ومنع الناس من الدخول إليه ؛ فلما قوى أمر الناصري أفرج عنه في ربيع الأول وأحضره عنده وتحادث معه ساعة وأعطاه مالاً وثياباً ، ثم أحضره في أول يوم من جمادى الأولى وخلع عليه وأركبه حجرة شهباء ، وأركبه من باب النحاس وأمره بالانصراف إلى داره ، وركب معه الأمراء والقضاة ونُشرت على رأسه الأعلام السود ، وفرح الناس به فرحاً عظيماً ولم يبق أحد حتى خرج لرؤيته فكان يوماً مشهوداً ، فلما قدم الناصري وغلب على المملكة وزالت دولة برقوق قال يلبغا الناصري للخليفة في محضر من الأمراء : « يا مولاي أمير المؤمنين ، ما ضربت بسيفي هذا إلا في نصرتك » وبالغ في تعظيمه وتبجيله ، فأشار عليه بإعادة حاجي بن شعبان إلى المملكة ، ثم أخرج منطاش الخليفة والقضاة معه لما

خرج برقوق من الكرك ، فلما انتصر برقوق جدّد له الخليفة الولاية بالسلطنة وأحسن إليه واستمر على حاله إلى أن مات برقوق ، فقلّد السلطنة لولده الناصر فرج . ومات في أيامه .

٢٧ - محمد بن أبي بكر بن محمد بن الشهاب محمود بن سلمان بن فهد ، الحلبي الأصل الدمشقي ، شمس الدين بن شرف الدين ، وُلد في شعبان سنة ٧٣٤ ، وحضر في الخامسة « المنتقى من معجم ابن جميع » على البرزالي وأبي بكر بن قوام وشمس الدين ابن السراج والعلم سليمان [بن عسكر بن عساكر] المنشد بطريق الحجاز في سنة تسع وثلاثين ، وسمع في سنة ثلاث وأربعين عن عبد الرحيم بن أبي اليسر ، والشرف عمر بن محمد بن خواجه إمام ، ويعقوب بن يعقوب الحريري ، والعزّ محمد بن عبد الله الفاروئي وغيرهم : « الأولين من مشيخة الفخر » ، وحدث .

وكان شكلاً حسناً كامل الهيئة مفرط السمن ، ثم ضعف بعد الكائنة العظمى وتضعف حاله بعد ما كان مشرباً ، وكان كثير الانجماع عن الناس مكباً على الاشتغال بالعلم ، ودرّس بالبإدرائية نيابةً ، وكان كثير من الناس يعتمد عليه لأمانته وعقله . مات في خامس عشر جمادى الأولى وقد ولي قبل ذلك كتابة السر .

٢٨ - محمد^(١) بن الحسن الأسيوطي شمس الدين ، كان^(٢) عالماً بالعربية حسن التعليم لها ، انتفع به جماعة وكان يعلم بالأجرة وله في ذلك وقائع عجيبة تنبئ عن دناءة شديدة وشح مفرط ، وكان منقطعاً إلى القاضي شمس الدين بن الصاحب الموقع ، ونبغ له ولده شمس الدين محمد^(٣) لكن مات شاباً قبله . رحمهما الله تعالى .

(١) وردت هذه الترجمة بالنص في شذرات الذهب ٧/٧٨ - ٧٩ ، كما أن اسمه وارد في السلوك للمقرئ ، ورقة ٥٧ ب « محمد بن حسن » .

(٢) عبارة « كان عالماً بالعربية حسن التعليم لها انتفع به جماعة » هي نفس عبارة العيني في عقد الجمان ، ٢٥/٢٤٤ ، ص ٥ - ٦ .

(٣) انظر فيما بعد ص ٢٤٧ ، ترجمة رقم ٣٥ .

٢٩ - محمد بن عبدالله الحضري - بضم المعجمة بعدها معجمة مفتوحة - نزيل مكة الطبيب ، كان يتعمق الطب والكيمياء والنازنجيات والنجوم ، وأقام بمكة مجاوراً بها مدة ، لقيته بها سنة ست^١ ، ودخل اليمن فأقبل عليه سلطانها الناصر فيقال إن طبيب الناصر دس عليه من سمه فهلك ، وكان هو أنهم بأنه دس على الرئيس شهاب الدين المحلى التاجر سماً فقتله في أواخر سنة ست^١ وثمانمائة .

٣٠ - محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن إبراهيم بن جملة بن مسلم ، المصري الأصل ، الدمشقي ، كمال الدين ، كان رئيساً محتشماً متمولاً باشر ديوان البيع ثم تركه . ومات في المحرم .

٣١ - محمد بن عبد الرحمن بن عبد الخالق بن سنان البرشني - بفتح الموحدة بعدها راء [ساكنة]^(١) وفتح المعجمة بعدها نون ثم سين مهملة - اشتغل قديماً وسمع الحديث من القلانسي ونحوه ، وحدث وأفاد ودرّس مع الدين والخير ، [ورأيت]^(١) له منظومة في علم الحديث وشرحها ، وشرح أسماء رجال الشافعي وكتاباً في « فضل الذكر » وغير ذلك ، سمعت عليه قليلاً . ومات وله سبعون سنة .

٣٢ - محمد بن محمد بن أحمد بن علي بن عبد الكافي السبكي ، أبو حاتم بن أبي حامد ابن الشيخ تقي الدين ، اشتغل قليلاً وناب في الحكم من سنة تسعين [وسبعمائة] عن ابن الميلى إلى أن مات في أحد الجمادين وله أربع وخمسون سنة .

٣٣ - محمد بن محمد بن أحمد بن أحمد بن محمد بن أحمد الفارسي الأصل المقدسي ثم الدمشقي المعروف بابن المهندس ، أخو شيخنا شهاب الدين وهو الأصغر - أعنى أحمد - نشأ صيناً جيداً ، وصحب الشيخ فخر الدين السيوفي بمكة والشيخ عبد الله اليافعي ، وكانت له في نشأته أحوال صالحة ، ثم باشر بعض الدواوين وحصل أموالاً ولم تُحمد

سيرته ، وكان قد سمع من الميدومي وغيره ، ومات في شوال ودُفِن في تربته التي أنشأها شرق الشامية البرانية بدمشق .

٣٤ - محمد بن محمد بن [محمد بن]^(١) أسعد بن عبد الكريم بن سليمان بن يوسف ابن علي بن طحا الثقفي القباياتي ، فخر الدين أبو اليمن ، اشتغل قليلاً وسمع الحديث من نور الدين الهمداني وغيره ونسخ بخطه الكثير وجاور بمكة مراراً ، وتلا بالسبع على بعض المتأخرين ، وكان قد اشتغل في قضاء مصر والجزيرة نيابةً فباشرها مدة طويلة منفرداً ثم اشترك معه غيره مع استمراره على أنه الكبير فيهم ، وعُيِّن للقضاء فامتنع ولازم النيابة إلى أن مات ، وخلف مالا طائلاً ، وأوصى بشياب بدنه لطلبة العلم ففرقت فيهم . مات^(٢) في رجب وقد جاوز الثمانين .

٣٥ - محمد بن محمد بن حسن الأسيوطي ، شمس الدين بن شمس الدين ، اشتغل بالفقه والحديث والعربية ، وتقدم ومهر في عدة فنون ورافقنا في السماع كثيراً . مات بعد أبيه^(٣) في هذه السنة . أحسن الله عزاءنا فيه .

٣٦ - محمد بن محمد بن شهري بن الخضر بن شهري^(٤) الزبيرى العيزرى الغزى ، وُلد في ربيع الآخر سنة أربع وعشرين ، وتفقه بالقاهرة على ابن عدلان وأحمد ابن محمد الطار المتصدر بالجامع الحاكي ومحيي الدين ولد مجد الدين الزنكلوني ، وقرأ على البرهان الحكرى ورجع إلى غزة سنة ٧٤٤ فاستقر بها ، ودخل دمشق فأخذ عن البهاء المصرى والتقى والتاج السبكيين وغيرهم ، وأذن له البلدر محمود بن علي بن هلال^(٥)

(١) الإضافة من السلوك ، ورقة ٥٨ أ ، والضوء اللامع ج ٩ ص ٥٣ س ١٠ حيث ذكر أنه من اسمه « محمد » ثالث ، ومن ثم فقد عاد وترجمه في نفس الجزء رقم ٤٩٦ .

(٢) وذلك بمدينة مصر ، راجع المقرئى ، السلوك ، ورقة ٥٨ أ .

(٣) راجع ما سبق ص ٣٤٥ ، ترجمة رقم ٢٨ .

(٤) في الضوء اللامع ٥٣٧/٩ « شمري » وفي ك ، « شمري » ؛ هذا ويلاحظ أن هناك « محمد » ثالثاً في اسمه بالضوء .

(٥) هو محمود بن علي بن هلال العجلوني ، وكان من أقبل على الدرس والتحصيل وأفق وطاق البلاد ، وإن قيل إنه كان يتساهل في الإذن بالإفتاء وأنه كان يأخذ عليه البذل ، وكان قد وافق ابن تيمية على بعض أفكاره ، راجع عنه ابن حجر : الدرر الكامنة ٥/٤٧٦٢ .

في الإفتاء ، وأخذ عن القطب التحتاني ، وصنّف تصانيف في عدة فنون ، وكتب إلى أسئلة من عدة علوم وله « مناقشة^(١) على جمع الجوامع » ، وذكر أنه شرحه ، واختصر « القوت » للأذري ، وله « تعليق^(٢) على الشرح الكبير » للرافعي ، ونظم في العربية أرجوزة سماها « قصم الضرب في نظم كلام العرب » ؛ ومات في نصف ذي الحجة هذه السنة .

وقال القاضي تقي الدين الشهيبي : « وقفت له على اعتراضات على فتوى للشيخ سراج الدين البلقيني فوصلت إلى ولده القاضي جلال الدين فردّ عليه وانتصر لأبيه ، فبلغه ذلك فانتصر لنفسه وردّ ما قاله القاضي جلال الدين » .

٣٧ - محمد بن موسى بن عيسى الدميري^(٣) ثم المصري كمال الدين الشافعي ، وُلد في حدود الخمسين^(٤) وتكسب بالخياطة ، ثم طلب العلم وسمع « المسند » تاماً من العرضي وغير ذلك ، ولازم خدمة الشيخ بهاء الدين [أحمد] السبكي وتخرّج به وبغيره .

وكان اسمه « كمالاً » وبذلك كان يكتب بخطه في كتبه ، ثم تسمّى « محمداً » ، وهو في الفقه والأدب والحديث ، وشارك في الفنون ، ودرّس الحديث بقبة ببيرس وفي عدة أماكن ، ووعظ فأفاد ، وخطب فأجاد ، وكان ذا حظّ من العبادة : تلاوة وصياماً ومجاورة بالحرمين ، وتذكر عنه كرامات وكان يخفيها وربما أظهرها وأحالتها على غيره .

وصنّف « شرح^(٥) المنهاج » في أربع مجلدات لخصه من كلام السبكي وطوّزه بفوائد كثيرة من قبله ؛ ونظم في الفقه أرجوزة طويلة ، وصنّف « حياة الحيوان » فأجاده وأكثر فوائده مع كثرة استطراد فيه من شيء إلى شيء ، وشرع في « شرح ابن ماجه » فكتب مسودته وبيّض بعضه . ومات في ثالث جمادى الأولى .

(١) سماه السخاوي في الضوء اللامع ج ٩ ص ٢١٨ « تصنيف المسامع في شرح جامع الجوامع » .

(٢) في السخاوي : شرحه « الظهير على فقه الشرح الكبير » .

(٣) أمامها في هامش ك « هو صاحب حياة الحيوان للدميري » .

(٤) الوارد في الضوء اللامع ١٠/٢٤ أنه ولد بالقاهرة في أوائل سنة ٧٤٢ تقريباً كما وجد ذلك بخطه .

(٥) قيل إن المترجم شرح المنهاج في كتاب سماه « النجم الوهاج في شرح المنهاج » .

٣٨ - محمد بدر الدين بن منهال نائب الحسبة وغيرها ، وكان يُرَخِّي العَدْبَةَ ويباشر عند الأمراء .

٣٩ - محمد الحنبلي المعروف بابن المصري ، شمس الدين ، كان من نهباء الحنابلة يحفظ « المقنع » ، وهو آخر طلبة القاضي موفق الدين موتاً ، وكان قد ترك وصار يتكسب في حانوتٍ بالصاغة .

٤٠ - محمود^(١) بن أحمد بن إسماعيل بن العز الحنفى ، القاضي محبي الدين بن نجم الدين بن عماد الدين بن الكشك ، اشتغل قليلاً وناب عن أبيه واشتغل بالقضاء .

ولما كانت فتنة تمر دَخل معهم في المنكرات وولى القضاء من قبلهم ولقب « قاضي المملكة » ، واستخلف بقية القضاة من تحت يده ، وخطب بالجامع ، ودخل في المظالم وبألغ في ذلك فكرهه الناس ومقتوه ، ثم أطلع تمر على أنه خانة فصادره وعاقبه وأسرّه إلى أن وصل تبريز فهرب ودخل القاهرة ، فكتب توقيعه بقضاء الشام فلم يمضه نائب الشام شيخٌ واستمرَّ حاملاً إلى أن مات وتفرَّق أخوه وأولاده وظائفه ثم صالحوه على بعضها . ومات محبي الدين في ذى الحجة ، وهو والد رئيس الشام شهاب الدين^(٢) .

٤١ - نُعَيْر^(٤) أمير العرب - بنون ومهملة مصغراً - هو محمد بن حيار - بالمهملة المكسورة ثم التحتانية الخفيفة - بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثه الطائي أمير آل فضل بالشام ، يلقب « شمس الدين » ويعرف بـ « نُعَيْر » ، ولى الإمرة بعد أبيه ودخل القاهرة مع يلبغا الناصري ، ولما عاد الظاهر من الكرك وافق نعير منطاش

(١) يستدل بما ورد في ابن طولون الصالحى : قضاة دمشق ، ص ٢٠٤ على أن عبارة ابن حجر من هنا حتى « واستمر خادماً إلى أن مات » س ١٢ منقولة من ابن حجبى .

(٢) راجع قضاة دمشق ، ص ٢٠٢ .

(٣) هو قاضى القضاة أبو العباس أحمد المولود سنة ٧٨٠ هـ ، تولى القضاء أكثر من مرة حتى بلغت سنوقضائه نحو تسع

عشرة سنة ونصف ، راجع ابن طولون : قضاة دمشق ، ص ٢١٢ - ٢١٤ .

(٤) في هـ « محمد نعير » .

في الفتنة المشهورة ، وكان مع منطاش لَمَّا حاصر حلب ، ثم راسَلَ نعيمَ نائبَ حلب إذ ذاك كَمَشْبَعًا في الصلح وسلَّمه مِنطَاش ، ثم غضب [برقوق]^(١) على نعيمٍ وطرده من البلاد ، فأغار نعيم على بني عمِّه الذين قَرروا بعده وطردهم ، فلما مات برقوق أُعيد نعيم إلى إمرته ، ثم كان مَن استنجد به دمرداش لما قدم اللنكية فحضر بطائفة من العرب ، فلما علم أنه لا طاقة لهم به نزح إلى الشرق ، فلما نزح التتار رجع نعيم إلى سَلَمِيَّة^(٢) ، ثم كان ممن حاصر دمرداش بحلب ، ثم جرت بينه وبين الأمير جكم وقعة فكُسر نعيم ونُهب وجرى به إلى حلب فقتل في شوال منها وقد نيّف على السبعين .

وكان شجاعاً جواداً مهيباً إلا أنه كثير الغدر والفساد ، وبموته انكسرت شوكة آل مهنا ، وكان الظاهر خدعه ووعدته حتى تسلّم منطاش وغدر به ولم يف له الظاهر بما وعده بل جعل بعد ذلك عليه ذنبا ، وولى بعده ولده^(٣) المعجل^(٤) .

• • •

(١) الإضافة للإيضاح .

(٢) الضبط من مراصد الاطلاع ٧٣١/٢ حيث عرفها بأنها بليدة في ناحية البرية من أعمال حماة بينهما مسيرة يومين . وانظر أيضا : Dussaud : Topographie Historique de la Syrie, p. 252 et seq. وقد وردت فيه بكسر الميم وفتح بقية حروف الكلمة . وانظر الصور الكتابية لسلمية فيما أورده Le Strange : Palestine Under the Moslems, p. 528 نقلا عن اليعقوبي والإصطخرى وأبي الفداء والإدريسي والدمشقي والمقدسي وابن خرداذبة وما كتبه عنها .

(٣) في ك « ولد المعجل » .

(٤) بعد هذا وودت العبارة الآتية « يحيى التلمساني . في التي بعدها » ، أنظر فيما بعد ص ٣٧٦ ترجمة رقم ٤٦ .

سنة تسع وثمانمائة

في الثالث من المحرم استقر شمس الدين محمد بن عبد اللطيف المناوي الملقب بالبدينة^(١) وفيها مات ناصر الدين الطنّاحي^(٢) في المحرم أو صفر وكان إمام السلطان ، واستقر تاج الدين عبد الوهاب بن نصر الله في نظر الأحماس عوضاً عنه ، وكان الطنّاحي يتعاني الكيمياء ويُفسد ماله فيها .

وإستهلت [هذه السنة] وقد غلب نوروز على دمشق وخرج عنها نائبها فتوجه إلى الرملة ، ورجع جكم من دمشق في أوائل المحرم طالباً البلاد الحلبية، وتوجه نوروز إلى جهة شيخ ليقبض عليه ، فاستمر شيخ متوجّهاً إلى الديار المصرية فوصل إليها في الثالث من صفر فنزل الميدان فأكرمه السلطان وعظمه وهاداه أكثر الأمراء ، وصُحبتُه حينئذ ولداً^(٣) ابن التبانى بواسطة الأمير قطلوبغا الكرّكي ، ووصل أيضاً دمرداش نائب حلب - كان - وألطنبغا العثماني حاجب دمشق ، ويونس الحافظي نائب حماة ، وسودون الظريف وآخرون ، وتخلع على شيخ في الثالث من صفر .

ورجع نوروز من الرملة بعد أن فاته شيخ ومَن معه فأوقع بالعرب في صرخد ، وجاء بجمال كثيرة ودخل دمشق في أواخر صفر^(٤) .

وفي مستهل ربيع الأول برز شيخ ودمرداش ومَن معهما من العساكر إلى جهة الشام لقتال نوروز وجكم ، وخرج معهما سودون الطيار أمير سلاح وسودون الحمزاوي الدوادار ، ثم خرج الناصر في ثامن الشهر وعسكر بالريدانية .

(١) وردت هذه الكلمة بلا تنقيط في ٥ ، أما في ك فجامت « البدينة » بلا تنقيط ، وقد سماه المقرئ في السلوك ، ورقة

٦٠ ١ بمحمد بن عبد الخالق ونعته بالطويل وبالبدنة .

(٢) انظر العيني : عقد الجان ، لوحة ٢٥٦ .

(٣) فرقها في ٥ « كذا » .

(٤) فيما يتعلق بهذه الأحداث راجع أيضاً السلوك للمقرئ ، ورقة ٦٠ ب .

واستخلف بالقاهرة تراز نائبا في الغيبة ورحل من الريدانية ثاني عشره^(١) ، ثم دخل غزة في ثاني عشرى ربيع الأول ، ثم دخل دمشق في سابع ربيع الآخر ، وحمل الجتر^(٢) بين يديه شيخ نائب الشام .

ورحل السلطان من الريدانية صبيح يوم الجمعة فخرج الناس من القاهرة ، ولما بلغهم ذلك - كالوزير وناظر الخاص والقاضي الشافعي قبل صلاة الجمعة - تأخر كثير منهم إلى أن صلوا الجمعة وركبوا ووصلوا إلى غزة في ثاني عشرى ربيع الآخر ، ثم وصل إلى دمشق في سابع ربيع الآخر^(٣) .

وجه السلطان قبل سفره أخويه المنصور عبد العزيز وإبراهيم إلى الإسكندرية ، وأرسل معهما قطلوبغا الكركي وإينال حطط يحتفظان بهما ، فلم يلبثا^(٤) أن ماتا في يوم واحد في العشر الأول من ربيع الآخر ، وأحضرا إلى القاهرة ميتين فدُفنا في تربة أبيهما ، وحضر مع الأمير الذي كان موكلاً بهما محضر مشبوت بأنهما ماتا بقضاء الله وقدره .

وكان نوروز لما بلغتته حركة السلطان إلى الشام جهز سودون الحمدي في عسكر إلى الرملة وأمره بشنق فواز أمير عرب حارثة فشنق ، ووصل إليه إينال بن قجماس ويشبك بن أزدمر هاربين من القاهرة ، ووصل معهما سودون الحمدي هارباً من الرملة ، ودخل الرملة جبريل والعماني وجاهين دويدار نائب الشام .

وفي سابع عشر ربيع الآخر خرج نوروز ومعهم العسكر إلى قصد قتال ابن بشاره^(٥) ، وأرسل بكتمر جلق لجمع العشير ، ثم رجع نوروز إلى البقاع ولحق به بكتمر وتوجهها

(١) أمامها في هامشك « خروج الناصر لقتال جكم » .

(٢) في « الشتر » وأمامها في الهامش « أى القبة والطير المذهب » ، وفي هامش ز « الذى يقول الناس : القبة والطير » .

(٣) أمامها في هامش ه « محرر هذا الكلام فقد تقدم آنفا ما يخالفه » .

(٤) يقصد بذلك أخوى السلطان : عبد العزيز وإبراهيم .

(٥) يعنى بذلك أحمد بن بشاره من مشايخ العشير بالشام .

إلى بعلبك ، ثم توجهوا إلى ناحية حمص في أواخر الشهر ؛ ودخل جاهين دوادارُ النائب في سابع عشرين ربيع الأول إلى دمشق ، ثم وصل أستاذه ودمرداش إلى الشام آخر يوم في ربيع الأول ؛ واستقرَ الطنبيغا العثماني في نيابة صغد ، وعمر بن الهدباني حاجبَ الحجاب بدمشق ، واستقر سودون بقعجة في نيابة طرابلس .

وفي ربيع الآخر سعت جماعة من المماليك لطلب النفقة فأمر الناصر بمسك جماعة منهم وشتق جماعة .

وفي نصف ربيع الآخر برز السلطان إلى جهة حلب واستقرَ صبيحةً ذلك اليوم نجمُ الدين عمرُ بنُ حجبيّ - أخو الشيخ شهاب الدين - في قضاء الشام ، واستقرَ علاءُ الدين ابنُ نقيب الأشراف الدمشقي في كتابة السرّ .

ووصل في هذا الشهر شمسُ الدين الإخنائي إلى دمشق وكان قد ملّ من السعي في قضاء الشافعية بمصر وتناوبَ ذلك مع القاضي جلال الدين البلقيني أربع مرات ، وفي الآخر استعان البلقيني عليه بجمال الدين الأستاذار فألزمه بالسفر صحبة العسكر إلى الشام فسافر وفارقهم إلى القدس .

* * *

وفي ربيع الأول غضب الناصر على قضاة حماة ورسم عليهم وصادرهم وأهانهم ، ووضع في رقابهم الزناجير لكونهم أثبتوا محضراً صورته : أنهم سمعوا طائراً بحماة يقول : « اللهم انصر جكم » ؛ وكان قبل ذلك قد رسم على قضاة الشام وطلب من كل واحد منهم مالاً كثيراً فوزن أكثره في الترسيم ، فطلب من علاء الدين أبي البقاء مالاً فاختمني ثم مات قريباً .

ودخل^(١) الناصر حلب في أواخر ربيع الآخر وصحبتَه القضاة : البلقيني والكمال ابن العديم والبساطي وسالم ، فهرب جكم ونوروز وتمربغا المشطوب من حلب وعدوا الفرات ،

(١) أمامها في هامشك « دخول الناصر حلب وهرب جكم » .

فأقام الناصر بحلب إلى أن استهل جمادى الآخرة وأرسل العساكر إليهم في طلبهم فلم يلحقوا منهم أحداً فرجعوا إليه بذلك ؛ وفي غضون ذلك صادر السلطان قضاة طرابلس وقضاة حلب لِعَلَّةَ قيامهم مع حكم ورجع متوجِّهاً إلى القاهرة ، فلم^(١) يحضر حكم ومن معه ، فرحل السلطان من حلب ورجع وقرَّر في نيابة حلب جرکس المصارع ، وفي نيابة طرابلس سودون بقجة ، وفي نيابة دمشق شيخ ، فلما تحقق حكم ومن معه رحيل السلطان من حلب رجع إلى حلب فهرب جرکس المصارع منه إلى دمشق فدخلها قبل أن يخرج السلطان منها ، وأقام حكم ومن معه بحلب^(٢) .

وفي جمادى الأولى^(٣) استقر صدر الدين بن الأدمى في قضاء الحنفية بدمشق عوضاً عن ابن الكفري ، وكان ابن الجواشيني توجَّه إلى حلب ليسعى في ذلك فرجع خائباً . ودخل السلطان دمشق في جمادى الآخرة ويشبك معه وهو ضعيف .

* * *

وفي نصف جمادى الآخرة أعيد شمس الدين بن الإخنائي إلى قضاء الشام وصُرف ابن حجى ، واستضاف الإخنائي الخطابة ومشيخة السميساطية والغزالية ونظر الحرمين وضم^(٤) ذلك إلى وظيفة القضاء ؛ وكانت هذه الوظائف قد أُفردت لشهاب الدين بن حجى من مدة ، وكان تارةً يستقل بها وتارةً يشركه غيره فيها ، فلما استضافها الإخنائي سعى فيها الباعوني فأنفرد بها وكتب توقيعه بذلك .

وفي هذا العشر الأوسط رحل الناصر إلى جهة مصر فوافقه الأخبار بما صنع حكم وبأن جماعة نوروز وصلوا إلى حماة وبعضهم إلى حمص ، فنادى في العسكر بالرجوع إليهم

(١) عبارة « فلم يحضر حكم ومن معه فرحل السلطان من حلب ورجع » غير واردة في هـ .

(٢) في هامش ك « رجوع حكم إلى حلب ورحيل الناصر » .

(٣) يشير المقرئى : السلوك ، ورقة ٦٠ ب ، إلى أن تولى ابن الأدمى قضاء الحنفية بدمشق كان بمال كثير ، ويشير ابن طولون في قضاة دمشق ، ص ٢٠٧ إلى أنه « كان لا يتعفف » .

(٤) في ك « وتمرتك » بدلا من « وضم ذلك » .

فتخاذلوا ، وخرج بعضهم يومه أنه يتوجه إليهم وبعضهم إلى جهة مصر ، فما وسع الناصر إلا الرجوع إلى مصر فخلع على شيخ وقرره في نيابة دمشق ، وأمره أن يجمع النواب ويتوجه إلى صفد ، فخرج هو ودمرداش ويونس العثماني إليها ، وتوجه الناصر في ثاني عشرى جمادى الآخرة .

* * *

وفي ذى القعدة زلزلت أنطاكية زلزلة عظيمة فمات تحت الردم عددٌ كبيرٌ ؛ قيل : مائة وقيل أكثر .

وفي^(١) رجب هرب سودون الحمزاوى من الناصر فتحصن بقلعة صفد ، فلما قصد نوروز دمشق خرج منها شيخ فتحيل على سودون الحمزاوى وأخذ منه صفد فتحصن بها وذلك بعد أن أمن إليه الحمزاوى ، وكاتب نوروز وجكم بسببه وسأل منهما أن يكون هو وشيخ يداً واحدة على من خالفهم ، وجاءه جواب نوروز بالصغو إلى ذلك فلم يفجأ إلا وشيخ تملك القلعة وحال بينه وبينها ، فهرب إلى نوروز ، واستولى شيخ على جميع ما وجدته للحمزاوى هناك^(٢) .

* * *

وفي شعبان^(٣) سلم فخر الدين بن غراب للأستادار فصادره وأهانته .

وفيه^(٤) شرع نوروز في عمارة القلعة وجد في ذلك واجتهد ، وعمل فيه الترك والعامّة وتزاحموا على ذلك ، وفرضوا بسبب ذلك على الأراضي أموالاً كثيرة وشق ذلك على الناس ، وشرعوا في إقطاع الأوقاف والأملاك ، وكثر السعى عند نوروز في الوظائف بالبراطيل وانتزاعها من أربابها وقبض على كثير من التجار فصدروا حتى كان أهل دمشق يشبهون

(١) راجع هذه الأحداث أيضا في السلوك ، ورقة ٦٢ وفي نزهة النفوس .

(٢) أمام هذه الأخبار في هامش هـ « يجرر فإنه ذكر وفاته في التي قبلها » .

(٣) انظر السلوك ، ورقة ٦٢ ب .

(٤) أمامها في هامش ك « تاريخ شروع نوروز في عمارة قلعة دمشق » .

تلك الأيام بأيام تمرلنك ، كذا قرأتُ في تاريخ ابن حجّي بل قال : « إنها أبشع » قال :
« وتنوّعا في ظلم الناس واقتراح الذنوب لهم وظهر أهل الفساد ظهورا عظيما » .

وفي أواخر شهر شعبان خرج إينال باى بن قجماس ويشبك بن أزدمر وسودون
المحمّدى وأسنباي في جماعة كبيرة إلى غزّة ، وكان شيخ قد قبض على نائبها جبريل ،
وجّه شيخ ممالك الحمزاوى في مركب فاتفق أنّهم فكّوا قيودهم وغلبوا على الموكلين
بهم وطلعوا إلى أستاذهم بنغزة .

وفي شعبان مات قطلوبغا الكركي وإينال حطط وكانا من أعوان يشبك .

وفي مستهلّ رجب مات ركن الدين عمر بن (١) قايماز الأستاذار .

وفيهما خطب جماز إمرة المدينة فأرسل إليه من مصر أن يقتتل هو وثابت فمن غلب
كان الأمير ، فاقتتلا في ذى القعدة ، فغلب جماز واستولى على المدينة .

* * *

وفي (٢) التاسع من جمادى الآخرة بُويع الأمير جكم بالسلطنة ولُقب « الملك العادل » ،
وَصُرِّيت السكة باسمه وخطب له بحلب ، ثم أرسل دعائه إلى البلاد فأطاعه جميع النواب
بالممالك الشامية والشامية وخطب له بها ، ولم يتأخّر عن طاعته غير صفد لإقامة شيخ
بها ومن معه ، بل خطب له من غزّة إلى الأبلستين (٣) ، وانتزع ألبيرة (٤) من كزل وكان عصي
بها ، وحلف له نوروز ومن بعده (٥) بدمشق في ذى القعدة وكذا من بعده من الأمراء ،
فقدّر الله تعالى أن مدته لم تطل فإنه استولى على القلاع التي بيد التركمان كلها ،
ولم يتأخّر عليه سوى آمد كانت مع محمد بن قرايلك فعصى عليه ، فخرج (٦) عليه جكم

(١) راجع عنه السخاوى : الضوء اللامع ٦/٣٥٩ .

(٢) في هامش ك « سلطنة جكم بحلب » .

(٣) في هامش ه « رأيت بعض الموقمين كتبها بالبستين » .

(٤) إلبيرة - بكسر الألف - بلد قرب سميساط بين حلب والثغور الرومية وهي قلعة حصينة ، انظر ياقوت معجم

البلدان ١/٧٨٧ ومراصد الاطلاع ١/٢٤٠ .

(٥) المقصود « بمن بعده » هنا جماعة الأمراء الذين هم أصغر منه منزلة .

(٦) أمامها في ك « خروج جكم . . . » ثم عبارة غير واضحة .

بأبته السلطنة وعدى الفرات من البيرة فراسله عثمان بن طورغلي^(١) وهو المعروف بقرايلك يسأله الصلح ويخضع له فلم يُصغِرْ إليه بل قال : « لأرجع عنه إلا أن جاء قَبْلَ رجلى فى الركاب ، فإن شئتُ عفوت عنه وإن شئتُ قتلته » ، فرجع رسله إليه بذلك فاستعدَّ للحصار ؛ وأشار على جكم أكثرُ مَنْ معه من الأمراء أن يقبل هدايا قرايلك ويرضى عنه بالطاعة ويحقن الدماء ويرجع ، فلم يُصغِرْ لذلك .

ثم وصل إليه الملك الظاهر عيسى صاحب ماردين وحاجبه قياض - وكانا شيخين كبيرين قد طالت مدتهما فى مملكة ماردين - فأطاع جكم ووصل إليه بعسكره فقوى عزمه على حرب قرايلك ، واستند إلى ماشهر عن المذكورين من الظلم والإفساد ، فلما قربوا من آمد حطّوا^(٢) على التركمان واشتبك القتال ، فقتل ولد قرايلك فى المعركة فانكسر التركمان ، فتبع جكم آثارهم فوقعت فرسه فى حُفرة من الحفر التى جرت عادتهم بإعدادها للمكيدة ، وقيل بل جاءه حجرٌ رماه تركمانى من مقلع فآدماه فوق^(٣) من فرسه وتكاثروا عليه وذبحوه وانهزم عسكره ، فلما فقد وتحقق قرايلك قتل جكم أمر بالتفتيش عليه بين القتلى فوجدوه فلم يعرفوه إلا بترسه وبعنائ رجليه ، وكان لايفارق ذلك .

وانهزم عسكر جكم هزيمة شنيعة ونهبهم التركمان واستلبوا من الجمال والبغال والخيل والأمتعة مالا يوصف كثرة .

وقتل فى الواقعة ناصر الدين بن شهرى الحاجب - كان بحلب - وقتل نائب عينتاب الأربلى وصاحب ماردين وحاجبه ، وهرب تمرىغا المشطوب فاختفى ، وكانت الواقعة فى خامس عشر ذى القعدة ، ووصل خبرها إلى الشام فى ذى الحجة ووصل إلى مصر فى أواخرها .

(١) انظر الساوى : الضوء اللامع ٥/٤٧٤ .

(٢) فى ك ، هـ « حطوا » .

(٣) أى جكم .

وقد أشار صاحب مارددين على حكم بالتأني وقت القتال فخالفه حتى تلفت أرواحهم ؛
 وبلغني أن التركمان قطعوا أعضائه وأرسلوا كل عضو إلى ناحية افتخاراً بقتله لشدة بأسه
 وهيبته في قلوب التركمان والعرب ، ثم أرسلوا برأسه إلى القاهرة في السنة الآتية ،
 ولما بلغ الناصر ذلك فرح وأمر بضرب البشائر ثم أخضرت الرأس فطيف بها في الأسواق
 وعُلقت على باب زويلة وزين البلد أياما وذلك في الثاني عشر من المحرم في السنة المقبلة .

وكان حكم من ممالك الظاهر؛ وأول ما أعطى تقدمة بعد هزيمة أيتمش من القاهرة ،
 واستقر رأس نوبة كبيراً ثم استقر دويداراً كبيراً بعد أن بارز يشبك بالعداوة ، فانتصر
 عليه وحبس يشبك ، ثم في سنة أربع انهزم حكم وسُجن بقلعة المرقب وراح حكم كأن
 لم يكن ، وكانت مدة سلطنته بدعواه قدر (١) شهرين ، وكان شجاعاً بطلاً يحب العدل
 والخير إلا أنه كان مقداماً على سفك الدماء فكان يُهاب لذلك ؛ وقد كان ابن قرابلك
 يظن أنه لا يقف في وجهه ولا يجسر على قتاله .

• • •

وفي ذي القعدة بعث شيخ إلى نابلس جيشاً فقبضوا على عبد الرحمن بن المهتار
 وأحضروه له إلى صفد فقتل بحضرته ، وكان المذكور (٢) قد عصى بأخيه على الناصر واتفق
 مع نوروز فأرسله إلى نابلس فصادر أهلها وبالغ في ظلمهم ، فكانت تلك عاقبته .

وفي أوائل ذي القعدة خرج شيخ من صفد ومن معه فوصل إلى قاقون (٣) فهرب منه
 الحمزاوى إلى غزة ، فاجتمع هو ومن بها من الأمراء ، ووقعت الواقعة عند حلبين ، فقتل
 في المعركة إينال باى بن قجماس ويُقال بل قتل بين يدي شيخ صبراً ، وقُتل في المعركة

(١) علق مطالع نسخة ز في الهامش على ذلك بقوله « . . . مدة سلطنته تزيد على خمسة أشهر على ما فصله ، فقدر »

انظر في ذلك Wiet : Les Biographies du Manhal Safi No. 839.

(٢) يقصد بذلك عبد الرحمن بن المهتار .

(٣) حصن قرب الرملة وكان يعتبر من أعمال قيسرية على ساحل الشام ، انظر ياقوت المعجم ١٨/٤ ، ومراد

أيضا يونس الحافظي الذي كان نائب حماة ، وأسر الحمزاوي ، وانهزم سودون المحمدي ويشبك بن أزدسر وغيرهما ، فجمع نوروز العساكر وتوجه لقتال شيخ ، وسار في نصف ذى القعدة فقبضوا في شحج على الأمير بلاط وكان أرسله ليكشف الأخبار .

وفي ثالث عشرى ذى القعدة خطب للملك الناصر بدمشق ، وعين نوروز جماعة يتوجهون إلى القاهرة بسبب السؤال للناصر في الرضا عنه فتوجهوا ، ثم رجعوا لما بلغهم تصميمه على قصد دمشق .

وفيها استولى تمرغا المشطوب على حلب وذلك أنه لما هرب من الوقعة التي كانت بين جكم وبين قرابلك ، جاء مع طائفة من المغل إلى جهة حلب فوجد ابن ذلغادر قد جمع التركمان وحاصرها فأوقع بهم وكسرههم ودخل البلد وعصت عليه القلعة ، فلما بلغهم قتل جكم سلموها له فاستولى على ما بها من الحواصل وعلى ما بحلب أيضا من الخيول والماليك المتخلفة عن جكم ، واستقرت قدمه بحلب وانسلخت السنة وهو بها .

* * *

وفيها كائنة ابن الجبال

.....

وفي هذه السنة تواترت الأخبار أن نيسابور خُسِفَ بها وراح من أهلها خلق كثير ، وهي التي يقال لها نشاور ، وأن صاحب هرمز مات وولى ولده مكانه وعظم على الناس ، ورد المكس إلى رُبَع ما كان عليه .

* * *

وفيها استقر في مملكة ماردين شهاب الدين أحمد بن إسكند بن الصالح إسماعيل لما قُتِلَ الظاهر الأجد عيسى الإربلي في الوقعة مع جكم وتلقب بـ « الصالح » ؛ وجدُّ صالح هو ممدوح الصفي الحلي بتلك القصائد الطنَّانة ، وسنأتي قصته في حوادث سنة إحدى عشرة إن شاء الله تعالى .

* * *

ووقع في هذه السنة والتي بعدها والتي قبلها من تلاعب الجهلة بمنصب الحسبة ما يُتَعَجَّب من سماعه ، حتى إنَّه في الشهر الواحد يليه ثلاثة أو أربعة ، وسبب ذلك أنهم فرضوا على المنصب مالا مقررأ ، فكان من قام في نفسه أن يليه يزن المبلغ المذكور ويُخَلَّع عليه ، ثم يقوم آخر فيزن ويُصَرَّف الذي قبله ، واستمر هذا الأمر في أكثر دولة الناصر فرج .

وفي رمضان وقع الطاعون بالقاهرة وفشا الموت واستمر إلى آخر السنة .

* * *

ذكر من مات في سنة تسع وثمانمائة من الاعيان

١ - إبراهيم بن محمد بن دقماق ، صارم الدين ، مؤرخ الديار^(١) المصرية في زمانه ، كان جدّه دقماق أحد الأمراء الناصريّة ونشأ هو محباً في الفنّ التاريخي فكتب بخطّه منه مالا يحصى ، وجمع تاريخاً على الحوادث وتاريخاً على التراجم وجمع «طبقات الحنفية» ، وحصلت له بسببه محنة في سنة أربع^(٢) وثمان مائة ذكرتها في الحوادث ، وولى في آخر الأمر إمرة دمياط فلم تطل مدته فيها ورجع إلى القاهرة بها في ذى الحجة في أواخرها وقد جاوز الستين ، وكان مع اشتغاله بالأدب عربياً عن العربية عامياً العبارة ، وكان جميل العشرة ، فكه المحادثة ، كثير التودّد ، قليل الوقيعة في الناس .

٢ - أحمد بن إسماعيل بن عبد الله الحريري ، شهاب الدين ، اشتغل بالعلم ومهر في الطب والهيئة والمعقولات ، ونظر في الأدب ، وتزياً بزى العجم وكان عملاقاً جداً ، اجتمعتُ به في الكتّيبين مراراً وسمعتُ من نظمه وفوائده ، ثم اجتمع بالملك الظاهر بآخره فأعطاه وظائف الشيخ علاء الدين الأقفهسي فآثرى وحسنت سيرته وحاله وتزوج وسلك الطرق الحميدة . مات في خامس ذى القعدة بمصر .

(١) في « القاهرة » ثم كتب في الهامش « صوابه الديار المصرية » .

(٢) جاء في تعليق لناسخ « في الهامش » لم يتقدم في السنة المذكورة شيء . ، ويلاحظ أن ابن حجر اخطأ في قوله بالمتن « سنة أربع وثمان مائة » والصحيح فيها أن تكون « سنة تسع وثمان مائة » ، راجع في ذلك ما سبق ، ص ٢٣٤ ،

٣ - أحمد بن قاضي الترك^(١) الحنفي ، شهاب الدين ، أحد الفضلاء المتميزين من الحنفية ، مات في هذه السنة بالقاهرة ، وأخذ عنه بدر الدين العيني المحتسب وكان يُطْرِبُهُ .

٤ - أحمد بن صدقة بن تقيّ العزّي - نسبةً إلى عز الدين بن جماعة - كانت أمه تزوّجت مفتاح بن عبد الله عتيق البدر بن جماعة وكان في خدمة عز الدين ، أخذ الفقه واشتغل قليلاً ثم لازم سوق الكتب في حانوتٍ ثم افتقر فصار^(٢) أحد الكتبة ، وكان ينسخ مع ضعف خطه ، وكان ساكناً ضعيف الحال والبنية .

٥ - أحمد بن عبد الله العجيمي الحنبلي ، شهاب الدين ، أحد الفضلاء الأذكياء : أخذ عن كثيرٍ من شيوخنا ، ومهر في العربية والأصول ، وقرأ في علوم الحديث ، ولازم الإقراء والإشغال في الفنون ، ومات عن ثلاثين سنة بالطاعون في شهر رمضان بالقاهرة .

٦ - أحمد بن عمر بن علي بن عبد الصمد البغدادي الجوهري ، شهاب الدين ، وُلِدَ سنة خمس وعشرين ، وقدم من بغداد قديماً مع أخيه^(٣) عبد الصمد فسمع من المزّي والذهبي وداود^(٤) بن العطار وغيرهم ، وسمع بالقاهرة من شرف الدين بن عسكر ، وكان محباً في العلم والعلماء مع المروءة التامة والخير ، وكان يحبّ التواجد في السماع مع المعرفة التامة بصنف الجواهر والمذاكرة الحسنة . قرأتُ عليه « سنن ابن ماجة » بجامع عمرو بن العاص ، وقرأتُ عليه قطعةً كبيرة من « طبقات الحفاظ » للذهبي وقطعةً كبيرة من « تاريخ بغداد » للخطيب [البغدادي] . مات في ربيع الأول وقد جاوز الثمانين وتغيّر ذهنه قليلاً .

(١) في ك « التركي » .

(٢) جاء أمامها في هامش ز بخط الناسخ « لعله دلالة على الكتب » ، يؤيد هذه العبارة مقال السخاوي في الضوء اللامع ، ج ١ ص ٣١٩ ، من أنه افتقر فصار ينادى على الكتب ، وقد جاء في ك « فصار ينادى على الكتب » وفي ه : « فصار . . . على الكتبة » .

(٣) هكذا في ز ، ه ، ولكن ورد في الضوء اللامع ١٥٤/٢ أنه قدم مع أبيه وعمه من دمشق .

(٤) هو داود بن إبراهيم المولود سنة ٦٦٥ والمتوفى في ٨٧٥٢ ، وكان قد ولي دار الحديث القليجية بدمشق ، وروى عنه الذهبي وترجم له وأثنى عليه هو ومن في طبقة ، راجع عنه ابن حجر : الدرر الكامنة ١٦٧٧/٢ ، والنسيبي : المدارس في تاريخ المدارس ٥٧١/١ .

٧ - أحمد بن محمد بن عبد الغالب الماكسيني ، وُلد في سنة ثمان^(١) وثلاثين ، وسمع من جماعةٍ وحَدَّث ، وهو من بيتِ رواية ، وكان يكتب القصص ثم جلس مع الشهود بالعادلية^(٢) ؛ وكان يكتب خطاً حسناً . مات في صفر .

٨ - أحمد بن محمد بن عمر القليجي^(٣) ولد شمس الدين ، كان من موقعي الحكم وناب أيضاً ، وكان حسن العشرة إلا أنه لم يشتهر بالعلم ، وكان بيده وظيفة إفتاء دار العدل فاستقرَّ فيها بعده ابن الطرابلسي .

٩ - أحمد بن محمد بن قمام دمشق الفُقاعي ، شهاب الدين ، كان أبوه فقاعياً فاشتغل هو بالعلم ، وأخذ عن علاء الدين بن حجّي وقرأ بالروايات على ابن السلار ، وكان يفهم ويذاكر ، وقدم القاهرة سنة الكائنة العظمى فأقام بها مدةً ورجع إلى دمشق فمات بها في جمادى الآخرة ، وكان قد اجتمع في مراراً وسمع بقراءتي على البلقيني في الفقه والحديث . « وقمام » لقب أبيه ، قال ابن حجّي : « كان يستحضر البويطي » ، وسمعتُ البلقيني يسميه : البويطي لكثرة استحضاره له ، وقد درّس بالأمجدية^(٤) ومات في جمادى الآخرة^(٥) .

(١) الوارد في السخاوي : الضوء اللامع ٣٦٩/٢ أنه ولد سنة سبع وثلاثين وسبعمائة ، وقد أخذت الشذرات ٨٢/٧ بالتاريخ المذكور في المتن .

(٢) لم يبين ابن حجر بالمتن ولا السخاوي في الضوء اللامع ٣٦٩/٢ أي العادليتين يقصد : الصغرى أم الكبرى ، راجع ضمها الدارس في تاريخ المدارس ٣٤٨/١ - ٣٨٢ .

(٣) « القليجي » بالحاء - وهو خطأ - في الضوء اللامع ٤٥٤/٢ .

(٤) هي من مدارس الشافعية بدمشق ، وموضعها بالشرف الأعلى ، وتنسب إلى مؤسسها الملك المظفر نورالدين عمران بن الملك الأمجد ، وقد يقال أيضاً للأمجد بهرام شاه بن فروخشاه ، راجع أبو شامة : ذيل الروضتين ص ١٧٠ ، والنمبي : الدارس في تاريخ المدارس ١٦٩/١ وما بعدها ، وقد ورد في تعليقات الأمير جعفر الحسني في نشره للدارس ص ١٦٩ حاشية رقم ١ أن هذه المدرسة قد درست وبقيت التربة وهي غربي المدينة وشمالى طريق بيروت .

(٥) وردت بعد هذا ترجمة « أحمد بن محمد بن نثوان بن محمد الحوارى » ، وقد نقلناها إلى سنة ٨١٩ في الجزء الثالث من إنباء الغمر سيما وأن ابن حجر يقول في هذه الترجمة في نهايتها « مات في جهاى سنة تسع عشرة » ، ولقد انتبه إلى هذا ناسخ نسخة ز فكتب أمامها في الهامش : « لعله من المؤلف سبق قلم » ، كما جاء في هامش ه « ذكرهنا سهواً وقد ذكر في محله سنة ٨١٩ » ، وقد نص السخاوي أيضاً على هذه السنة في ترجمته له ، انظر الضوء اللامع ٥٦٧/٢ ، ولكن شذرات الذهب وقعت في الخطأ إذ نقلت عن ابن حجر ترجمته ومن ثم أوردتها مرتين إحداهما في وفيات سنة ٨٠٩ (انظر الشذرات ٨٢/٧) والأخرى سنة ٨١٩ (شرحه ١٣٥/٧) ، وفي الأولى منهما إشارة إلى أنها نقلتها من ابن قاضي شعبة ، ولكنها في ج ٧ ، ص ١٣٥ س ٢١ ، قالت « مات في جهاى الأولى من هذه السنة (أى سنة ٨١٩) وهم من أرخه سنة تسع » . راجع أيضاً ترجمته المنقولة عن ابن قاضي شعبة في النمبي : الدارس في تاريخ المدارس ٣٢٠/١ - ٣٢١ .

١٠ - أحمد بن محمد [بن عمر] الطنبدى^(١)، بدر الدين ، أحد الفضلاء المهرة ، أخذ عن أبي البقاء والإسنوى ونحوهما ، وأفتى ودرّس ووعظ ، وكان عارفاً بالفنون ماهراً في الفقه والعربية فصيحَ العبارة ، وله هنات^(٢) سامحه الله تعالى .

١١ - أحمد بن محمد البالى^(٣) الأصل ثم الدمشقي شهاب الدين الحنفى الجواشنى^(٤)، اشتغل في صباه وصاهر أبا البقاء على ابنته ، وأفتى ودرّس وناب في الحكم ، وولى نظر الأوصياء ووظائف كثيرة بدمشق ، وكان حسن السيرة ، ثم ناب في الحكم ثم سعى في القضاء استقلالاً فباشراً قليلاً جداً ثم عُزل ثم سعى^(٥) فلم يتم له ذلك ، ومات في جمادى الآخرة .

١٢ - إسماعيل بن ناصر بن خليفة الباعونى^(٦)، عماد الدين ، كان شيخ الناصرة من عمل صفد على طريقة الفقراء ، وهو أخو القاضى شهاب الدين^(٧) الذى ولى قضاء دمشق . وكانت لإسماعيل وجاهة وثروة وتجارة ؛ عاش سبعين سنة ومات في ذى الحجة .

١٣ - أبو بكر بن محمد بن إسحق السلمى ، شرف الدين بن القاضى تاج الدين المناوى ، وُلِد قبل الستين ، وأجاز له ابنُ جماعة فهرست مروياته ، واشتغل قليلاً ، وقرأ

(١) نصت الشذرات ٨٣/٧ على أنه بالذال نسبة إلى قرية بمصر ، وتوجد قريتان بمصر بهذا الاسم ، أحدهما بالصعيد بمركز مفاع ، انظر القاموس الجغرافى ، ق ٢ ج ٣ ، ص ٢٤٩ والأخرى بالوجه البحرى بمركز شين الكوم ، انظر نفس المرجع ق ٢ ج ٢ ، ص ١٩٢ . هذا ويجوز فيها الدال والذال .

(٢) يقارب هذا عبارة المقرئى في السلوك ، ورقة ١٦٤ ، من قوله عنه « لم يكن مرضى الديانة » .

(٣) نسبة إلى بلس (بكسر اللام) ، وتعرف في كتب جغرافى العصور الوسطى الغربيين وفي المراجع الأجنبية باسم Barbalissus ، وعرفها الإصطخرى وابن حوقل والمقدسى بأنها بلدة بالشام بين حلب والرقه من الثغور على شاطئ الفرات الغربى وهى أول مدينة من مدن الشام يلقاها القادم من العراق ، وكانت في أيام الإصطخرى ذات حدائق وبساتين ثم ذكر ياقوت في معجمه ٤٧٧/١ أنها منسوبة إلى بلس بن الروم بن سام بن نوح ، انظر أيضاً ابن عبد الحق البغدادى : مرصد الاطلاع ١٥٦/١ .

(٤) في ظ « الجواشنى » وفي ز « الجواشنى » ، وفي السلوك ، ورقة ٦٣ ب « الجواشنى » وقد وردت في الضوء اللامع ٥٩٥/٢ « الجواشنى » ، وذكر نفس المرجع ج ١١ ص ١٩٧ أن « الجوشن » بدون ألف بعد الواو نسبة إلى تربة ابن جوشن ؛ على أنه ورد في النيسى : الدارس في تاريخ المدارس ٦٢٤/١ ص ١٤ « الجواشنى » ، وبهذا الإسم أيضا في ابن طولون : قضاة دمشق ، ص ٢٠١ من ٤ .

(٥) أى أنه سعى في العودة إلى مباشرة القضاء .

(٦) نسبة إلى باعون بالقرب من عجلون من عمل صفد .

(٧) ترجم ابن حجر له في وفيات سنة ٨١٦ من هذا الكتاب ، وانظر أيضا : السخاوى : الضوء اللامع

٦٥٥/٢ ، وابن طولون : قضاة دمشق ، ص ١٢٢ - ١٢٤ .

التنبية ، وسمع على الشيخ شهاب^(١) الدين بن خليل وغيره ، وناب في الحكم عن ابن عمه صدر الدين [محمد بن إبراهيم] ، وكان مزجياً البضاعة ، وقد درّس بعدة أماكن ، وخطب بالجامع الحاكمي . مات في جمادى الآخرة وقد قارب الخمسين^(٢) .

١٤ - جكم بن عبد الله ، أبو الفرج الظاهري ، كان من مماليك الظاهر [برفوق] وأول ما أمره طبلخاناه في سنة موته ، واستقر رأس نوبة بعد موته وذلك في خامس ذي القعدة سنة إحدى [وثمان مائة] ، وقيل مات قبل أن يتأمر .

وأول ما شهر أمره في تاسع ذي القعدة سنة إحدى وثمان مائة بعد موت أستاذه بقليل ، واستقر هو وتنكربغا وآقيغا الأشقر وخيربك وسودون من زاده وباش باي رموس نواب صغاراً ، ثم كان هو الذي قيّد أيتمش بعد هزيمة تمّ وسجنه هو والأمراء بالقلعة . وكان يحب العدل والإنصاف فلم يمكن أحداً من الفساد بدمشق في تلك الوقعة .

ولما عاد الناصر إلى مصر أمره بتقديم عوضاً عن دقماق بحكم انتقاله لنيابة حماة ، ولم يخرج فيمن خرج في وقعة اللنك ، فلما كان في التاسع من شوال سنة ثلاث ثارت الفتنة بين الأمراء فقام جكم وسودون الطيار وطرباي وطائفة ، ثم لحق بهم سودون طاز أمير آخور ومعه من الخيول السلطانية ما احتاج إليه ، فعرض الناصر على جكم نيابة صفد فامتنع ، فأرسل إليه نوروز ومعه القاضي الشافعي - وهو يومئذ ناصر الدين الصالحى - فعوق نوروز عنده ، فرجع القاضي إلى الناصر فأخّره فتخلّى الناصر عن يشبك وكان هو المطلوب ، فتحاربوا فانهزم يشبك ونهبت داره ثم قبض عليه وبعثه هو ومن معه إلى الإسكندرية واستقرّ دويداراً عوضاً عن يشبك وصار هو المشار إليه ، وباشر بحرمة ومهابة ، ونادى

(١) « جهاد الدين » في الضوء اللامع ١١/١٩٦ .

(٢) في ز ، ظ ، ك « الستين » وقد صححت إلى ما بالمتن بعد مراجعة السلوك للمقريزي ، وورقة ٦٣ ا حيث قال :

« مات عن بضع وخمسين سنة » ما يتفق وما ذكره ابن حجر في المتن من أن ولادة صاحب الترجمة كانت قبل سنة ٧٦٠ هـ ، ومع أن السخاوى : شرحه ١١/١٩٦ أشار إلى سنة ولادته هذه إلا أنه جعل وفاته سنة ٨٠٩ كما بالمتن ، وقال إنه مات وقد قارب « الستين » .

بالقاهرة : « مَنْ ظَلِمَ فعليه بباب جكم » ، واستبدَّ بأحوال المملكة إلى أن نافرهُ سودون طاز فنارتَ بينهما الفتنة في شوال سنة (١) وكان لهم وقعة في أواخر السنة ففرَّ جكم ونوروز ثم عاد نوروز إلى الطاعة ، وأحيط بجكم فسُجِنَ بالإسكندرية هو وسودون طاز ، ثم اتفق أنه هرب إلى شيخٍ نائبٍ دمشق فأقام عنده إلى أن كانت وقعة يشبك مع الناصر حتى كانت وقعة السَّعيدية ، فلما كان من انهزام الناصر منها - وذلك في ذي الحجة سنة سبع - انعزل يشبك وأتباعه واختفوا بالقاهرة ورجع شيخ وأتباعه إلى دمشق ، وليس لذلك سبب إلا تعاضم جكم وتصريحه بإرادة السلطنة لنفسه فنافسوه في ذلك وخذلوه .

ثم اتفق جكم وشيخ وحراربا نوروز وكان الناصر قد جعله نائبَ الشام ، ثم كتب الناصر لجكم بنبابة حلب فدخلها وقتل بها جماعة ، فأنحرف شيخ عنه لكونه تمالأ مع نوروز عليه ، ثم أخذ جكم أنطاكية ثم واقع (٢) نعييرا فهزمه وغنم شيئاً كثيراً ثم قتل نعييراً بعد ذلك . ثم ولَّى الناصر دمرداش نبابة حلب فسار هو وشيخ ومعهم العجل بن نَعير فقاتلهم جكم بالرستن (٣) فهزموهم ، فرجع شيخ إلى بُصرى (٤) ونوروز إلى دمشق فسار الناصر إلى قتال جكم ففرَّ إلى ألبيرة (٥) ، فدخل الناصر حلب ثم عاد إلى دمشق فرجع جكم وملك حلب ، وأراد الناصر الرجوع إلى حلب فخالفه العسكر وتفرَّقوا فقوى جانب جكم وتسمى بالسلطنة ، وتلقب « العادل » ، ورُتِّبَت الملكة ، وضرب السكة باسمه ، وخطب له بحلب ، وأطاهه نوروز ولبس خلعتَه وقبِلَ له الأرض وخطب باسمه .

وأقام جكم الحرمة ونشر العدل ، وكان عظيم المهابة زائداً على الحدِّ وقويَّ جداً ، واستخف بأمر الناصر ، وخرج لمحاربة التركمان ليستريح خاطرهُ منهم إذا قصد مصر .

(١) فراغ في جميع الأصول .

(٢) في زه فواقه .

(٣) بليدة قديمة بين حماة وحمص وكانت على نهر العاصي .

(٤) بصرى - بالضم والقصر - تطلق على موضعين أحدهما بالشام ، وكانت قسبة حوران وتعرف في المراجع الغربية

باسم Bostra وهي قديمة جدا وتبعد عن دمشق قرابة أربع مراحل .

(٥) سبق التعريف بها ، أنظر ص ٣٥٦ ، حاشية رقم ٤ .

فكان من أمره ما كان . وكانت سلطنته في رابع شوال من السنة ، وقتلته في حادى عشر ذى القعدة منها^(١) .

وكان نائبُ البيرة أظهر مخالفته فخرج إليه بالعسكر الحلبي فطلب الأمان فآمنه ، فاستمرّ ذاهباً بالعسكر إلى ماردين فأطاعه صاحبها ونزل معه بعسكره ، وكان من أمر قتلته ما كان .

وكان جكم شجاعاً مقداماً مهيباً يتحرى العدل والإنصاف ، وكان يصغى لنظم الشعر ويحبّ سماعه ويجيز عليه الجوائز السنية .

١٥ - حسن بن علي بن عمر الأسعدى ، صاحبنا بدر الدين ، كان من بيت نعمة وثروة فأحبّ سماعَ الحديث فسمع فأكثر ، وكتب الطباق وحصل الأجزاء ، وسمع من أصحاب التقى سليمان ونحوهم ، وأحبّ هذا الشأن وذهبت أجزاءه في وقعة تمرلنك ، وقد رافقني في السماع وأعطاني أجزاءً بخطه ، وبلغني أنه حدث في هذه السنة^(٢) بدمشق ببعض مسموعاته ؛ ومات بدمشق في ربيع الأول .

١٦ - حسن^(٣) بن محمد بن حسن بن إدريس بن حسن بن علي بن عيسى بن علي بن عيسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي الحسيني الشريف ، بدر الدين بن ناصر الدين بن حصن الدين ابن نفيس الدين المعروف بالنسابة ، وهو سبط الشريف النسابة حسن بن علي بن سليمان بن مكّي ابن كاسب بن بدران بن حسن بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن جعفر بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن حسين بن علي ، سمع من الوادياشي والميلدوى وغيرهما ، وولى مشيخة الخانقاه البيبرسيّة نحواً من عشر سنين ثم تاز عليه الصوفيّة لسوء

(١) أمامها بخط مطالع نسخة ز في هامشها « فيه مخالفة لما سبق . فليطالع » .

(٢) أي سنة ٨٠٩ هـ .

(٣) سماه المقرئ في السلوك ، ورقة ١٦٣ - ب « حسن بن محمد بن حسين النسابة الحسين » . لكن راجع من ١٦ هنا .

سيرته فيهم فُعزل عنهم ثم أُعيد ، وكان عارفاً بأنساب الأشراف ، كثير الطعن في كثيرٍ ممن يدعى الشرف ، وقد رام الخلافة مرة ، وكان يذكر أن أمّه حسينية وقد ذكرنا نسبها ، وأن أم أبيه من بني العباسي وهي صفية خاتون بنت الخليفة المستمسك بالله محمد بن الحاكم ، وكان كثير المعاشرة للقبط وصار عارفاً بالسعي كثير الدهاء . مات في سادس عشر شوال وقد جاوز الثمانين ممتمعاً بسمعه وبصره .

وأصله من سرسنة^(١) وتكسب بالشهادة مدة ، وكان يتناول إلى الخلافة مع جهلٍ مفرط وقلة ديانة .

١٧ - خليل بن عبد الله البابرتي^(٢) الحنفي ، الشيخ خير الدين ، كان فاضلاً في مذهبه محباً للحديث وأهله ، مذاكراً بالعربية كبير المروءة ، وقد عُين لقضاء الحنفية مرة فلم يتم ذلك . ولي قضاء القدس في سنة ٨٤ [٧] .

١٨ - رسول بن عبد الله القيصرى ثم الغزى ، شهاب الدين الحنفي ، قدم دمشق في حدود السبعين وهو فاضل ، وسمع من ابن أميلة وابن حبيب ، ثم ولي نيابة الحكم بدمشق في أول دولة الظاهر ، ثم ولي قضاء غزة في أيام ابن جماعة وحصل مالا كثيراً بعد فقيرٍ شديد ، ثم مات بدمشق في جمادى الآخرة وقداشخ^(٣) .

١٩ - صدقة بن محمد بن حسن الأسعردى ، كان من خواص ابن غراب وكان واسطة حسنة عنده ، وبني تربة وجامعاً ومات في ربيع الآخر^(٤) بمكة .

(١) في الضوء اللامع ج ٣ ص ١٢٣ ، س ٢٨ ، وفي ك « سرسه » وقد وردت في مراصد الاطلاع ٧٠٧/٢ برسم « سرسن » وذكر أنها في أقصى بلاد الترك ، هذا وقد ورد في لستراخج : بلدان الخلافة الشرقية ؛ ص ١٨ « بليدة قديمة اسمها « سرسنة » .
(٢) في « البابري » ، وورد اسمه في ك « خليل بن عبد الله الباصرى » ، راجع الميئى : عقد الجمان ، والضوء اللامع ٧٥٦/٣ .

(٣) وردت بعد هذا في جميع نسخ الإنباء الترجمة التالية « شيخ زاده الخرزاقى . تقدم في التى قبلها » وقد حذفنا من هنا اكتفاءً بورودها من قبل في هذا الجزء ، ص ٣٣٥ ترجمة رقم ١١ .

(٤) « ربيع الأول » في الضوء اللامع ١٢١٢/٣ .

٢٠ - صديق بن علي بن صديق الأنطالي ، شرف الدين ، وُلد سنة بضع وأربعين ، وقدم من بلاده بعد الستين فاشتغل بالعلم ونزل في المدارس ورافق الصدر الياسوفى في السماع ، وأكثر عن ابن رافع ، وسمع من بقية أصحاب الفخر وغيرهم ؛ وكان على دين وصيانة ولم يتزوج ، ثم سكن القاهرة وصار أحد الصوفية بالبيريسية وكان يتردد إلى دمشق . مات في الطاعون في رمضان . اجتمعت به ولم أسمع منه بل أجاز لي .

٢١ - عبد الله بن خليل بن يوسف المارداني^(١) ، جمال الدين الحاسب ، انتهت إليه رئاسة علم الميقات في زمانه ، وكان عارفاً بالهياة مع الدين المتين ، وله أوضاع وتآليف ، وانتفع به أهل زمانه .

وكان أبوه من الطبّالين ونشأ هو مع قراءة الجوق وله صوت مطرب ، ثم مهر في الحساب ، وكان شيخ الخاصكى قد قدّمه ونوّه به . مات في جمادى الآخرة .

٢٢ - عبد الله بن سيرين الهندى الحنفى ، جمال الدين نزيل القاهرة ، سمع من ابن عبد الهادى ، وحدث وخطب بالظاهرة البروقية ، وكان يحدث عن الهند بعجائب والله أعلم بصحتها .

٢٣ - عبد^(٢) الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن الخشاب الحنفى : اشتغل بالعلم بالشام ثم قدم القاهرة وناب في الحكم عن ابن العديم ، ثم ولى قضاء الشام في هذه السنة فوصل مع العسكر فباشر يومين ، ثم سعى عليه ابن الكفري^(٣) فأعيد ، ثم ماتا جميعاً في هذا الشهر وبينهما في الوفاة يوم واحد ، ومات هذا ولم يبلغ الثلاثين . رأيتُه في القاهرة ولم يكن ماهراً في العلم .

٢٤ - عبد الرحمن بن محمود بن عثمان البصروى نزيل دمشق ، زين الدين القرشى ،

(١) نسبة لجامع المارداني بالقاهرة وليس لمدينة ماردن .

(٢) يستدل من ترجمته الواردة في قضاء دمشق لابن طولون ، ص ٢٠٥ أن ابن حجر نقل ما بالمتن من ابن حجب .

(٣) أنظر فيما بعد ترجمة رقم ٢٥ .

تعانى الكتابة ودخل ديوان التوقيع بدمشق، ثم قدم القاهرة سنة اللئك فالتجأ إلى فتح الدين كاتب السر، فراج عليه ونفق سوقه لديه حتى عول عليه في أمر الديوان، وصار المشار إليه فيه لحسن تانيه وأخلاقه ومعرفته وحسن خطه ونفاذ رأيه؛ وكان جميل المعاشرة، طعن في لسانه فكان فتح الله يتعجب من ذلك لكونه لم يكن فيه أعظم من نطقه فابتلي فيه. مات ولم يكمل الخمسين.

٢٥ - عبد الرحمن بن يوسف الكفري^(١) الحنفي زين الدين، وُلد سنة إحدى وخمسين، وحضر على ابن الخباز في الثالثة سنة أربع وخمسين، وأسمعه أبوه من جماعة، سمعت منه في الرحلة^(٢)، وولي القضاء غير مرة بعد الفتنة ولم يكن محمود السيرة. وكان يتجر بالكتب ويعرف^(٣) أسماءها مع وفور جهل بالفقه وغيره. مات في يوم الأحد^(٤) ثالث ربيع الآخر.

٢٦ - عبد الكافي بن محمد بن أحمد بن فضل الله الشافعي، جمال الدين، كاتب السر، كان رئيساً فاضلاً ديناً^(٥) له نظم ونثر، كثير الاستحضار للتاريخ والأدب، وذكره ولد في المحرم سنة ست وثلاثين وسبعمئة، وآخر العهد به سنة أربع وثمان مائة بطرابلس، ذكره القاضي علاء الدين في تاريخ حلب وذكر أنه أجازه بحلب مروياته، وكان قدمها ثم رجع فمات بطرابلس فلتحرر^(٦) سنة وفاته.

(١) راجع ابن طولون: قضاة دمشق ص ٢٠٥؛ هذا وقد ورد ضبطه في العيني: عقد الجمان، لوحة ٢٦٠ بكر الكاف.

(٢) يستفاد من مطالعة ابن طولون: قضاة دمشق، ص ٢٠٥ ص ٧ - ١٢ أن هذه الترجمة هي نفس الترجمة التي أرودها ابن طولون نقلاً عن ابن حجب، ولكن عبارة «سمعت منه في الرحلة» الواردة في كل من ابن حجر وابن حجب تدع الإنسان في حيرة: أيهما الذي كتب في الواقع هذه الترجمة؟

(٣) في قضاة دمشق لابن طولون، ص ٢٠٥ س ١٠ «يحرف».

(٤) ذكر المقرئ في السلوك، ورقة ٦٤ ب، أن موته كان ليلة السبت سادس عشر ربيع الأول، وقد أشار العيني في عقده إلى الشهر دون اليوم.

(٥) في ٥، ك «أديبا».

(٦) وردت عبارة «فلتحرر سنة وفاته» في نسخ المخطوطة المستعملة هنا، ويلاحظ أن السخاوي لم يستطع في الضوء اللامع ٨١٧/٤ تحديد سنة وفاته بل اكتفى بأن نقل ماجاء بمن الإنباء أعلاه.

٢٧ - عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم بن عبد النور بن منير الحلبي ثم المصري ، قطب الدين بن تقي الدين بن الحافظ قطب الدين ، سمع من الحسن [بن أحمد] الإربلي (١) وأحمد بن عليّ المشتولي (٢) وغيرهما ، وتصرف بأبواب القضاة . سمعتُ منه ، [و] مات في نصف (٣) السنة وله ثلاث وسبعون سنة .

٢٨ - هبدي الهادي بن عبد الله بن خليل بن علي بن عمر بن مسعود البسطامي المقدسي نزيل القاهرة ، كان شاباً فاضلاً ماهراً ، سمع الحديث ونظم الشعر وكتب الطباقي ودار عليّ الشيوخ ، ثم اجتمع عليه أتباعُ أبيه فتمشيخَ فيهم ، ودخل القاهرة فاستوطنها وراج أمره بها حتى مات وله نحو الثلاثين سنة ، سمعتُ من نظمه ببيت المقدس ورافقتني في بعض السماع على المشايخ في أول سنة ثلاثٍ وثمانٍ مائة .

٢٩ - علي بن إبراهيم القضاي ، علاء الدين الحموي الحنفي أحد الفضلاء ، أخذ العربية عن سريّ الدين بن هاني المالكي ، والفقه عن أبيير الدين بن وهبان وتمهر وبهرت فضائله ، وولى قضاء بلده ، وقدم القاهرة سنة الكائنة العظمى فاشتهرت فضائله وعُرفت فنونه وحدث وأفاد . سمعتُ منه وسمع من نظمي وأكثر الثناء عليّ . مات في ربيع الآخر ، ومن نظمه :

خُذْ بيدي يا كريمُ خُذْ بيدي قَدْ عَيْلَ صَبْرِي وَقَدْ وَهَى (٥) جَلْدِي

(١) ترجم له ابن حجر في الدرر الكامنة ١٤٩٥/٢ فذكر أنه سمع مع الذهب الكثير ، ونقل عنه أنه كان صادقاً في نقله ، وألف كتباً وتاريخاً وسيرة نبوية ، « وكان مظلماً في دينه ونحلته » ولكنه أشار إلى أنه مات في سنة ٧٢٩ ، وهكذا أيضاً أدرجه ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ٧٢/٦ فيمن مات في هذه السنة .

(٢) ورد اسمه بصور مختلفة فهو في « المشتول » وفي « المستول » بلا تنقيط وفي البعض « المتول » وفي البعض الآخر « المتبول » ، وقد ذكره السخاوي في الضوء اللامع ٨٦٥/٤ برسم « المستول » ، ولكن المقصود به أحمد بن علي بن أيوب العلامي المشتولي ، وقد حسن تحديده ومات سنة ٥٧٤ هـ ، انظر ابن حجر : الدرر الكامنة ٥٣١/١ .

(٣) حدد السخاوي موته في ثامن رجب ، انظر الضوء اللامع ٨٦٥/٤ .

(٤) في « وهن » .

إن لم تجد لي فمن يجود علي ضعفي بلا (١) أمره ولا بلدي (٢)

٣٠ - علي بن أحمد اليمنى من أهل أبيات حسين ، كان كثير العناية بالفقه وجمع فيه كتاباً كبيراً ، وكان يلقب بالأزرق .

٣١ - علي بن عبد الرحمن البيرودى (٣) ثم الدمشقى ابن أخى العلامة شمس الدين ابن خطيب بيرودى (٤) ، سمع من بقية أصحاب الفخر وأخذ عن ابن رافع كثيراً ، وتفقه على عمه وعلى ابن قاضى شعبة ، وكان يفهم جيداً . مات فى ذى القعدة بخليص (٥) وهو مُحَرَّم ، قال ابن حجرى إنه : « كان مقتراً على نفسه ، جماعةً للمال ، ولم يتزوج فيما علمت » .

٣٢ - علي بن محمد بن عبد البر السبكي ، علاء الدين بن أبى البقاء ، وُلد سنة ٥٧٠ بدمشق ، ونشأ بمصر ، وقدم مع والده سنة خمس وسبعين ، ودرّس بالصّارمية (٦) ، وولى قضاء

(١) بقية شطر البيت فراغ فى النسخ ، والإضافة من الضوء اللاحق ٥/٥٣٩ ، وقد جاء فى هامش « محرر » .
(٢) وردت هذه الترجمة من قبل فى وفيات سنة ٨٠٧ ، برقم ١٦ على الصورة التالية : « على بن إبراهيم بن علي القضاء علاء الدين الحموى ، تفقه بالقاضى صدر الدين بن منصور ، وأخذ النحو عن سري الدين المالكي ، وبرع فى الأدب ، وكتب فى الحكم عن البارزى ، ثم ولى القضاء بجماعة ، وكان من أهل العلم والفضل والذكاء مع الدين والخير والرياسة ، سمعت من فوائده لما قدم القاهرة فى أواخر سنة ثلاث وثمانمائة ، وكتب عنى من نظمى ؛ ومن شعره :

عين على المحبوب قد قال لي
راح إلى غيرك يبنى اللجين
فجئت بالتبر مستدر كسا
وقلت ما جيتك إلا بمسين

وكانت وفاته فى ثامن عشر شهر ربيع الآخر من السنة . هذا وقد ذكره ابن الهاد الخنيل فى شذرات الذهب ٧/٨٥ باسم « القضاء » ، ثم أورد الناشر اسمه فى فهرست الشذرات ص ٣٧٢ « على بن إبراهيم القضاء الحموى المتقدم » ، يعنى المتقدم فى سنة ٧٠٩ فى نفس المرجع ٧/٦٩ ولكنه ذكره هناك باسم « القضاء » .

(٣) فى « البيرودى » ، وفى الضوء اللاحق ٥/٨١٥ « البيرودى » .

(٤) هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن سليمان القرشى الجعبرى ثم الدمشقى المعروف بابن خطيب بيرودى ، وقد درس بمصر والشام ، وكان من أعيان الشافعية ، راجع إنباء الغمر ، ج ١ ص ١١٩ ترجمة رقم ٥٢ ، وابن حجر : الدرر الكامنة ٣/٣٣٨٤ ، وشذرات الذهب ٦/٢٥٣ .

(٥) خليص حصن وقرية بين مكة والمدينة ، انظر مرصد الاطلاع ١/٤٧٩ .

(٦) من مدارس الشافعية بدمشق وتنسب لبايتها صارم الدين أزيك ملوك قايماز النجمى ، وكان ذلك سنة ٦٢٢ هـ ؛ هذا ويلاحظ أنه لم يرد له ذكر فىمن درس بالصارمية فى النجمى : الدارس فى تاريخ المدارس ، ١/٣٢٦ - ٣٣١ .

القدس مرتين في دولة الظاهر ومرتين في دولة الناصر ، وكان يذاكر بالفقه ويشارك في غيره ، وأول ما استقرّ في سنة ست فحضر تقليده قضاء الشام وقضاء مصر .

مات في هذه السنة من رُعب أصابه بسبب مالٍ طُلب منه على سبيل القهر فاخفى عند إبراهيم بن الشيخ أبي بكر الموصلى^(١) فمات مختفياً رحمه الله تعالى . قال ابن حجرى : « كان رئيساً محتشماً زكياً فاضلاً ، وهو آخر البيت السبكي . مات مختفياً من الملك الناصر فرج » .

٣٣ - عمر بن منصور بن سليمان بن سراج الدين القرى الحنفى المعروف بالعجمى ، ترافق هو وجمال الدين القيصرى فلما ولى جمال الدين حسبة القاهرة قرّره في حسبة مصر ثم ولى هو حسبة القاهرة ، ودرّس بجامع ابن طولون في الفقه ، وفي التفسير بالمنصورية وغير ذلك ، وكان لشدة صحبته لجمال الدين يُظنّ أنه أخوه وليس كذلك ، وكان حسن العشرة محموداً المباشرة حسن الصلاة جميل الصورة مليح الشكل طلق المحيا ، وكان يقال له « عُمَرُ فَلَقْ » ، لأنه كان إذا أراد تاديب شخص قال : « هاتوا فَلَقْ » . مات في العشر الأول من جمادى الآخرة .

قال العينتابى : « كان يعرف بعض العلوم ولكنه كان عريض الدعوى ، وكان ولى حسبة القاهرة في دولة منطاش فتأخّر بسبب ذلك عند الملك الظاهر » .

٣٤ - قطلوبغا الكركى أحد الأمراء الكبار في الدولة الناصرية ، كان شاباً حسناً في دولة الظاهر ، حفظ القرآن وكان يحسن القراءة بالألحان ، وكان في زمن إمرته يحب العلماء ويجمعهم ويحسن إليهم ويتذاكرون عنده . توفى في شعبان وقد تقدّم ذكره في مواضع من الحوادث .

(١) سرد ترجمته رقم ١ في وفيات سنة ٨١٤ .

٣٥ - محمد بن أحمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر الطبري المكي الشافعي ، أبو اليمين إمام المقام ، سمع من عيسى الحجبي والزين أحمد بن محمد بن المحب الطبري^(١) وابن عم أبيه عثمان بن الصفي الطبري وقطب الدين بن مكرم وعثمان بن شجاع ابن عيسى الهمداني^(٢) وعيسى بن الملك المعظم ؛ وأجاز له يحيى بن فضل^(٣) الله وأبو بكر ابن الرضي وزينب بنت الكمال ونحوهم ؛ وولى إمامة المقام نيابة ثم استقللاً . وكان خيراً سليم الباطن يعتمده كثير من الناس ، وهو آخر من حدث عن عيسى بن عبد الله الحجبي بالماع وعن يحيى بالإجازة . ناهز الثمانين فإنه وُلد في شعبان سنة ثلاثين ، سمعت منه قليلاً ومات في صفر .

٣٦ - محمد بن إسماعيل بن علي القلة شندی ، الشيخ شمس الدين بن العلامة تقي الدين المصري ثم المقدسي ، وُلد سنة ٥٥ وسمع من الميدوي وغيره ، وأخذ عن خاله الشيخ صلاح الدين العلائي وعن والده تقي^(٤) الدين ، ومهر وصاد حتى صار شيخ بيت المقدس في الفقه وعليه مدار الفتوى . مات في رجب . أرخه ابن حجي .

٣٧ - محمد بن أنس الحنفي الطنبدائي^(٥) ناصر الدين نزيل القاهرة ، وكان عارفاً بالفرائض أقرأها لجماعة وانتفعوا به ، وكان حسن السميت كثير الديانة محباً في الحديث ، كُتِبَ^(٦) منه الكثير ، ومات وله دون الأربعين وقد سمع من ناصر الدين الجرداوي^(٧) وغيره .

(١) هو زين الدين أحمد بن محمد بن عبد الله الطبري ، ولد بمكة سنة ٦٩٣ ، أتم بالحديث وأقام بمصر نجافته ، سعيد السعداء ، ومات سنة ٧٤٢ (الدرر الكامنة ١/٦٢٩) .

(٢) ابن حجر : الدرر الكامنة ٣/٢٥٨٥ .

(٣) هو يحيى بن فضل الله بن مجلي بن دعجان بن خلف المدوي ، ولد بالكرك سنة ٦٤٥ ، وكتب في الإنشاء بدمشق كما وقع في الدست بها ، وأثنى عليه الذهبي ، ومات سنة ٧٣٨ ودفن بقرافة مصر ثم نقل إلى دمشق حيث دفن بصالحيتها ، راجع منه الدرر الكامنة ٥/٥٠٣٦ .

(٤) هو إسماعيل بن علي بن الحسن نزيل القدس ، ولد بمصر سنة ٧٠٢ ، وسمع من بعض أعلامها ، ثم رحل إلى القدس وكانت وفاته سنة ٧٧٨ ، انظر الدرر الكامنة ١/٩٣٩ وإنباء الغمر ، ج ١ ص ١٣٧ ، ترجمة رقم ١٣ .

(٥) « الطنبدائي » في الضوء اللامع ٧/٣٦٤ .

(٦) في شذرات الذهب ٧/٨٦ « قال ابن حجر : كتبت عنه الكثير » .

(٧) « الحرأوي » في الضوء اللامع ٧/٣٦٤ .

٣٨ - محمد بن أبي بكر بن أحمد النحريري المالكي ، أخو خلف ؛ ناب في الحكم وتنبه في الفقه ودرّس ؛ مات في نصف السنة .

٣٩ - محمد [بن أحمد^(١)] بن فهيد المصري ، الشيخ شمس الدين المغربي ، نشأ في خدمة الصالحين ولازم الشيخ عبد الله اليافعي^(٢) بمكة وكان كثير الحجّ والمجاورة، وصحب طشتمر الدويدار فنوّه بذكره ، وكان الظاهر يعظّمه ودخل معه دمشق فكان يصلّي بجانبه في المقصورة فوق جميع الأمراء ، وكان حسن العشرة كثير المخالطة لأبناء الدنيا ، وله مع أهل الحرمين مواقف . مات في جمادى الآخرة وقد جاوز الستين .

٤٠ - محمد بن محمد بن جعفر الدمشقي ، الشريف شمس الدين ، مات في شهر رمضان سنة تسع وثمان مائة بالقاهرة، وكان من الصوفيّة بسعيد السعداء، وكان جاور بمكة عدّة سنين ثم ولى طرابلس مدّة طويلة ، ولم يكن يعرف شيئاً من العلم ، وأتفق له أنه قال في الدرس وهو قاض : « عن سعيد بن أبي جبير » ؛ وكان مع ذلك جواداً، ثم نُقل إلى قضاء طرابلس فاستمر إلى أن مات إلا أنّ الأمير جكم كان أرسل بعزله فوصل وقد مات . وكان كثير الرياسة والحشمة ومكارم الأخلاق وتقريب أهل العلم ، وكان للشعراء فيه مدائح .

٤١ - محمد^(٣) بن محمد بن عبد الرحمن بن حيدرة الدجوي ، تقي الدين أبو بكر ، وُلِدَ سنة سبع وثلاثين وسمع من ابن عبد الهادي والميدوي والعرضي وغيرهم ، وتفقه واشتغل وتقدّم ومهر ، وكان ذاكرةً للعربية واللغة والغريب والتاريخ ، مشاركاً في الفقه وغيره ، وكان بيده عمالة المودع الحكيم فشانتّه هذه الوظيفة ، وكان كثير الاستحضار دقيق الخطّ .

سمعتُ منه وكتب لي تقريباً حسناً على بعض تخاريجي ، وكان يغتبط بي كثيراً ويحضني على الاشتغال . نوّه السالمى بذكره وقرّره مسمّماً عند كثير من الأمراء فحدّث مراراً بصحيح مسلم ؛ وممن قرأ عليه ظاهر بن حبيب الموقّع . مات [الدجوي] في أواخر ربيع الآخر وقيل في ثامن عشر^(٤) جمادى الأولى .

(١) الإضافة من المقرّبي : السلوك ، ورقة ١٦٣ .

(٢) « الباني » في السلوك ، ورقة ١٦٣ ، وهو خطأ .

(٣) سماه المقرّبي في السلوك ، ورقة ١٦٣ « محمد بن عبد الرحمن بن حيدرة » .

(٤) أخذ المقرّبي : السلوك ، ورقة ١٦٣ ، بالتاريخ الثاني .

٤٢ - محمد بن معالي بن عمر بن عبد العزيز الحلبي نزيل القاهرة ثم مكة ، جاور كثيراً وسكن القاهرة زماناً ، وحدث عن أحمد بن محمد بن الجوحى ومحمود بن خليفة [المنبجى^(١)] وابن أبي عمر وغيرهم ، واشتغل قليلاً وتنبه ، وكان يذاكر بأشياء حسنة . سمعتُ منه قليلاً [و] مات بمكة .

٤٣ - مسعود بن شعبان بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن إسماعيل بن مسعود بن علي ابن محمد بن عبيد بن هبة الله الطائى الحلبي . أضله من دير حسان ، ونشأ وتفقه قليلاً ثم صار ينوب في أعمال البر عن القضاة ، ثم ولى قضاء حلب عوضاً عن ابن أبي الرضى ، ثم عُزل ثم أعيد ثم عُزل بابن مهاجر سنة تسعين وسبعمئة ، ثم ولأه شهاب الدين الزهرى قضاء حمص ، وكان يعرف طرق السعي ، وله دربة في الأحكام ، واشتهر بأخذ المال من الخصوم ، فحكى لى نائب الحكم جمال الدين بن العراقى الحلبي - وكان خصيصاً به - أنه أوصاه أن لا يأخذ من أحدٍ من الخصمين إلا من يتحقق أنه الغالب . وسار مع كمشبغا لما توجه للظاهر عند خروجه من الكرك ، فلم يزل صحبة الظاهر إلى أن دخل القاهرة فرعى له ذلك ، فلما استقر في الملك ولأه قضاء دمشق وقضاء حمص قبل ذلك ، وتنقل في الولايات إلى أن استقر بطرابلس .

وكان جاهلاً مقدماً فسعى في الفتنة حتى ولى القضاء بدمشق وغيرها ومات في هذه السنة في رمضان ، قال القاضى علاء الدين بن خطيب الناصرية في تاريخ حلب : « إنه كان رئيساً كريماً حسن الأخلاق محتشماً ، يحب أهل العلم ويكرمهم » .

٤٤ - مصطفى^(٢) بن عبد الله القرماني ، شارك في الفقه والفنون ودرّس للحنفية بالصرغتمشية ، وقرره سودون من زاده في مدرسته أول ما فُتحت ، ومات في سابع عشر جمادى الآخرة^(٣) .

(١) راجع ترجمته في ابن حجر : الدرر الكامنة ٥/٤٧٤٥ .

(٢) سماه السخاوى في الضوء اللامع ٢/٦٤٨ « مصطفى بن زكريا بن أيدهش القرماني » ، وقال أيضا « سمي شيخنا (يعنى ابن حجر) في إنبائه والده عبد الله » ، وجاء في هامش نسخة « ذكرت كائنته مع الشرف التتاني بسبب السيد إبراهيم الخليل عليه السلام في أول سنة سبع وتسعين من هذا التاريخ فراجعهما » ، انظر إنباء الفرج ١ ص ٤٤٨ .

(٣) جاء بعد هذه الترجمة ما يلى : « نعيم : أمير العرب ، تقدم في التي قبلها » انظر ما سبق ص ٣٤٩ ترجمة رقم ٤١ .

٤٦ - يحيى^(١) بن محمد التلمساني الأصبحي المالكي النحوي نزيل المدينة ، سمع من أبي الحسن البطرني وأبي عبد الله بن مرزوق وأبي القاسم العبريني^(٢) ، وأجاز له الوادياشي و [أبو العباس] بن يربوع وغيرهما ، وشارك في الفقه ومهر في العربية . مات بعد أن رجع من الحج في المحرم وله خمس وستون سنة ، وكان قد أضرَّ قبل موته .

٤٧ - يحيى بن منصور التونسي المالكي ، كان من فضلاء التونسيين معتقدا فيهم ، حجَّ ورجع فمات بين خُلَيْص ورابع وقد بلغ الستين .

٤٨ - يوسف بن الحسن بن محمد بن الحسن بن مسعود بن علي بن عبد الله بن خطيب المنصورية الحموي ، القاضي جمال الدين ، وُلد في ذي الحجة سنة ٣٧٠ هـ واشتغل بحماسة فأخذ عن بهاء الدين الإخميمي المصري بدمشق وصدر الدين بن الخابوري وقاج الدين السبكي وجمال الدين بن الشريشي ، وجدَّ ودأب وحصل إلى أن تميَّز ومهر وفاق أقرانه في العربية وغيرها من العلوم ، وشرح « الاهتمام^(٣) بمختصر الأحكام » في ست مجلدات ، و « ألفية ابن مالك^(٤) » و « فرائض المنهاج » وغير ذلك ، وله نظم حسن وشهرة ببلده وغيرها .

أخذ عن ابن المغلي وابن البارزي وغيرهما ، وانتهت إليه مشيخة العلم بالبلاد الشمالية ورحل الناس إليه ، وكان خبيراً ساكناً ، قال ابن حجي : « فاق الأقران » ومات في تاسع شوال

(١) الظاهر أن هناك نسخة أخرى من الإنباه رجع لها السخاوي إذ ذكر في الضوء اللامع ١٠٢١/١٠ في ترجمة الأصبحي قوله « ذكره شيخنا في إنباهه فقال : يحيى بن محمد بن يحيى الجمال الأصبحي » ، وكرر مثل هذا في ترجمة يحيى بن منصور التالية (رقم ٤٧) فقال في الضوء اللامع ١٠٤٧/١٠ « ذكره شيخنا في إنباهه عقب يحيى بن محمد بن يحيى التلمساني فكانه غيره . »
(٢) في ٥ « العربي » ولم ينقط غير التون .

(٣) الوارد في السخاوي ، الضوء اللامع ١١٨١/١٠ أنه عمل « الاهتمام في شرح أحاديث الأحكام » .

(٤) « ابن معطي » في الضوء اللامع ١١٨١/١٠ .

منها بحماسة ، وكتبتُ عن القاضي علاء الدين بن خطيب الناصرية عنه قصيدة^(١) داليةً نبويةً .

٤٩ - يوسف^(٢) بن عبد الله الضريير ، جمال الدين الحنفي أحد الفضلاء في مذهبه ، جاوز الخمسين .

٥٠ - موفق^(٣) الدين الرومي ، ولي قضاء غزة ثم قضاء حلب ثم قضاء العسكر بالقاهرة ثم قضاء القدس ، ثم مات بالقاهرة في رجب ؛ قال العيني : « كان من طلبته أكمل الدين وتولى قضاء الخنفية بعده بإشارته ، وكان ديناً مشاركاً في العلوم إلا أنه كان مكثراً من الكلام ربّما جاسر مع الغضب » .

(١) ذكر السخاوي ، في الضوء اللامع ١٠/١١٨ ، بعض أبيات منها هي :

أبعدل المسهام المغرض الصادي	إذا حدى باسم سكان الحمى الحادي
لا تنكروا وجد ممشوق أضربه	بعد ، وقد قرب البادي من النادي
إذا تعارفت الأرواح وأتلفت	فلا يضر تناء بين أجساد
هذي رياح الرضى بالوصل قد عصفت	وكوكب السمذ في أفق السني يادي

(٢) ليس هذا موضع الترجمة ليوسف هذا ، فقد ترجم ابن حجر في وفيات سنة ٨١٩ في الإنباء ليوسف بن عبد الله الماردني الحنفي ، وهي الترجمة التي نقلها السخاوي في الضوء اللامع ١٠/١٢٠٠ وعلق عليها بقوله « ويختلج في ظني أنه الذي قبله (يعني بذلك صاحب الترجمة أعلاه) والصواب في وفاته سنة تسع عشرة لا تسع » .

(٣) جاء في هامش ه أمام هذه الترجمة : « حدثني العلامة قاضي القضاة محب الدين بن العلامة محب الدين محمد بن الشحنة غير مرة قال حدثني زين الدين عمر بن خالد العدل بحلب ، وأثنى عليه خيراً ، وأنه لم يجرب عليه كذباً ، قال حدثني قاضي القضاة زين الدين عمر بن أحمد بن الحرزي الحموي الشافعي أن ابن خطيب الناصرية هكذا تكلم في المهدي مرة فقال الناطق من نواطقه ، قال وقد رأيتُ اجتمعت باين الحرزي بعد ذلك مراراً فلم يقدر لي أن أسأله عن ذلك » .

سنة عشر وثمانى مائة

في أوائلها نازل التركمان مدينة حلب فحصرها على بك بن خليل بن قراجا بن ذلغادر
ومعه عدة أمراء من التركمان وعدة من أمراء العرب، فنازلوا حلب أياما وقاتلهم العوام ومن بها،
وكان بها يومئذ تمربغا المشطوب قد استنابه الناصر بها بعد قتل جكم ولم يظفروا بشئ في
تاسع المحرم، وكان لعلى بك ولد مجبوس بقلعة حلب فصانع أهل حلب أباه بإرساله
إليه مكرما فما أفاد ذلك وجد في الحصار، ونازل العجل بن نعيم حماة وحاصرها، ونهب على
بك ومن معه القرى التي حول حلب وجدوا في الحصار، وبالغ أهل حلب في الذب عن
أنفسهم وانتدبوا للقتال وهان عليهم خشية على أموالهم وحرمتهم، بحيث إنهم كانوا كل يوم
لا يرجعون إلا وقد انكروا في التركمان نكاية كبيرة، وكان القائم معهم في ذلك تمربغا
المشطوب، فلم يزالوا على ذلك إلى ثانی عشر صفر فرجعوا لمملكتهم، وذلك أن نوروز أوقع بالعجل
ومن معه من العرب على حماة وكسروهم وتجهز من حماة إلى جهة حلب، فلما دخل نوروز
حلب وصل الناصر إلى دمشق، ثم راسله الناصر وقرره في نيابة دمشق، وقرّر تمربغا المشطوب
في نيابة حلب .

* * *

واستهلت [هذه السنة] فارتفع الطاعون عن الديار المصرية بعد أن كان اشتد
الخطب به .

وفي أول المحرم تجهز الناصر إلى الشام لحرب نوروز .

وفي الثامن منه وصل عدة مماليك قبض عليهم شيخ في وقعة غزة الآتي ذكرها، ثم كتب
كتابه يستحث الناصر على التوجه إلى الشام، فخرج السلطان في العشر الآخر من المحرم .

ورخص الشعير في هذه السنة جدا بحيث كان يُباع بالصالحية - مع وجود العسكر -
كل إردب بدرهمين : فضة .

* * *

وفي العشرين من المحرم درّس ناصر الدين بن العديم - وهو شابٌ أوّل ما بلغ - في المنصورية، نزل له أبوه عنها، فحضر يشبك فَمَن دونه من الأمراء والقضاة، وكان حينئذٍ أمرد. ونُهب حاجُ المغاربة ومَن انضمَّ إليهم من الإسكندرية وغيرهم في رجوعهم من المدينة وينبع^(١).

وفيه أرسل قرايلك رأسَ جكم إلى العجل بن نعير، فأرسلها إلى القاهرة ووصلت إلى الشام في المحرم.

وفي المحرم أرسل الناصرُ إلى نوروز في طلب الصلح فأذعن لذلك، وأرسل له أمير بلاط الذي كان في أسره في العام الماضي، ثم أرسل نوروز تاج الدين بن الزهري وعبد الملك ابن الشيخ أبي بكر الموصلی وجماعةً إلى شيخٍ في طلب الصلح، فلقوه في بحيرة القدس^(٢) فأعاد الجواب بالإذعان إلى الصلح، واعتذر لما طلب نوروز منه أن يشفع له إلى السلطان بأن يعطيه نيابةً حلب فإنَّ الأمرات ؛ ووصلتُ عساكر السلطان إلى غزّة، وشاع في دمشق أن شيخاً يريد التوجّه إلى دمشق فاستعدَّ له نوروز وبرز إلى سطح الجزيرة، وفي غضون ذلك وصل بكنتمر جلق من ناحية طرابلس منهزماً: أوقع به جاهين الدويدار الشيخي، فأرسله نوروز إلى جهة شيخ مع عسكري فلم ينل طائلاً.

وفيه كملت عمارة قلعة دمشق وكان ابتداءها في العام الماضي، وصُرف على عمارتها مالٌ كبير جداً، وظلم بسببه أكثر الخلق من الشاميين وغيرهم.

وعاد رسل نوروز إليه بأمر شيخ كما تقدّم وبأنه وصلت إليه خلعة النيابة من السلطان، وكان خروج الجاليش من القاهرة، وأنه^(٣) لا يقاتل نوروز ولا يواقعه بل ينتظر مجيء السلطان،

(١) راجع في كل هذه الأحداث المقرري: السلوك، ورقة ٦٤ ب - ١٦٥، ابن الصيرفي: نزعة النفوس والأبدان، تحقيق حسن حبشي، ج ٢.

(٢) وتعرف أيضاً ببحيرة حمص، انظر Le Strange : Palestine Under the Moslems, pp. 60, 61, 69.

وهي واردة به باسم بحيرة قدس: بفتح القاف والدال.

(٣) الضمير هنا عائد على الجاليش.

فلما تحقّق نوروز ذلك حَدَثَهُ بعض أصحابه^(١) منهم محمود قمش وتوجهوا إلى شيخ فرحل نوروز إلى بَرْزَة^(٢) وتوجّه نحو البلاد الشمالية ، ودخل شيخ دمشق بغير قتال في تاسع صفر ووصل معه الطنْبُغا العثماني ، وكان الناصر أمره على نيابة طرابلس .

وفي الثامن^(٣) عشر من المحرم وصلت رأسُ جكم ورأسُ ابن شهري صحبة حاجب ابن نُعير فُعْلِقَتَا بالقاهرة ، وكان خروج الجاليش من القاهرة في ثاني عشرى المحرم .

وفيه [خرج]^(٤) يشبك وتغرى بردى وبيغوت وسودون بقجة وعلان ، وخرج الناصر في الثامن والعشرين منه وتوجّه من الريدانية في ثاني صفر واستتاب في غيبته قمرآز ، ومعظم الأمر والنهي لجمال الدين الأستاذار ؛ وقد ضُربت عنق والى الفيوم بحضرته في داره لأمرٍ اقتضى عنده قتله فقُتِل .

ولما كان في السابع عشر من صفر خرج شيخُ ملاقاته الجاليش ودخل يشبك ومن معه في تاسع عشره ، ودخل السلطانُ في الثاني والعشرين من صفر بأبهة السلطنة في احتفال زائد ، وسمل نائب الشام القبّة^(٥) على رأسه بين يديه ، ودخل جمال الدين الأستاذار وقد جُمِعَت له الوظائف المتعلقة بالباشريين من قبل أن يخرج السلطان من مصر : مثل الوزارة والإشارة ونظر الخاص والأستادارية والكشف ونحو ذلك . فرسم على القضاة وعلى كاتب السرّ والوزير الشاميّين وأهانهم وطلب منهم أموالاً عظيمة ، وضُرب الوزير بالمقارع ، وضُرب المالكيّ تحت رِجْلَيْهِ ونسبه إلى أنه حكم بغير ولاية وقرّر عوضه عيسى ، وهرب الحنفي بن القطب دونهم فقرّر عوضه صدر الدين الأدي .

(١) في هامش ز بخط الناسخ « في الأصل : ثقاته منهم قجقار وقش » .

(٢) برزة بناء التأنيث قرية من قرى غوطة دمشق ، ويقال إن بها شهيدا للخليل عليه السلام وإنه ولد بها إبراهيم عليه السلام في رأى ينكره الكثيرون ، انظر ياقوت المصم ٥٦٣/١ ، ومراسد الاطلاع ١٨٧/١ .

(٣) في « الثاني » .

(٤) فراغ في الأصول .

(٥) « الجتر » في السلوك ، ورقة ١٦٦ .

وفي خامس عشرى صفر قبض على يشبك وشيخ بين يدي الناصر واعتقلا بدار السعادة ، فبلغ ذلك جركس المصارع فهرب وهرب جاهين دوا دار شيخ وجماعة ، ثم هرب أتباع شيخ وأتباع يشبك أولاً فأولاً ، ثم هرب علان وجانم وإينال المنقار وخلق كثير فوق الخمسمائة من الأمراء والخاصية والماليك فتفرقوا في البلاد ، ووصل كثير منهم إلى نوروز ، منهم : علان وإينال المنقار وجانم وجقمق أخو جركس فأواهم - وجقمق هذا هو الذى ولى السلطنة بعد اثنتين وثلاثين سنة من هذا الوقت - واستقر بيغوت في نيابة الشام .

وفي تاسع ربيع الأول قبض على تمرآز نائب الغيبة بالقاهرة وحبس بالبرج بأمر الناصر واستقر مكانه سودون الطيار ، وكان تمرآز قد صرف الشيخ محمد البلالى عن مشيخة سعيد السعداء وقرر فيها الخادم خضر السرائى ، فلم يلبث أن قبض عليه بعد إثني عشر يوماً ، فعُد ذلك من كرامات البلالى وتكلموا له فأعيد وعزل خضرا .

ولما حبس يشبك وشيخ بالقلعة خدعا نائب القلعة ووعدها وأوسعا له في الأمانى فانخدع وعمل على إخراجهما والهرب معهما ، وكان الناصر قد دخل عليهما ليلاً وبيده سيف فعاتبهما وأراد قتلهما ، فاتفق أنهما ترفقا له فتركهما تلك الليلة^(١) ، فأصبحا هاربين وذلك في ثالث ربيع الأول ، فهرب كل واحد في جهة ، فأرسل الناصر بيغوت - الذى قرره في نيابة الشام - في جيش فاتفق أنهم أدركوا نائب القلعة واسمه « مُنْطَق^(٢) » فقتلوه ورجعوا رأسا ونفى خبر يشبك وشيخ .

فأما شيخ فإنه اختفى بدمشق بغير اختيار فإنه واعد فرسه في مكان معين ، فأبطأ عليه حتى فضحه الصبح لِمَا أراد الله من بقائه ، وأما يشبك فإنه استمر هو وسودون بئجة وجركس وتمام أربعين نفسا اجتمعوا عليه وساروا إلى جهة حمص ، ثم لحق به شيخ وطائفة كبيرة ، وأرسل شاهين إلى جهة حلب بكشف الأخبار ، فظفر به نوروز فسجنه بقلعة حلب . وروفع

(١) أمامها في هامش « عفو الناصر عن قتل شيخ وقد مجبه لأمر إرادته الله الذى لا مرد لأمره » .

(٢) الضبط من ز .

حسين بن منصور المحتسب باختفاء شيخٍ عنده فُضرب بالمقارع ثم ظهرت براءته، فخلع عليه بالحسبة . ثم سأل الناصر عن نوروز فقبل له إنه هرب إلى حلب فأرسل إليه خلعةً بنيابة الشام بشرط أن يرسل إليه الأمراء الذين خامروا على السلطان، فقبض عليهم نوروز وأرسلهم، منهم: إينال المنقار وعلان وجقمق وأسنباي صحبة سلامش، فولاه السلطان نيابة غزة وأرسل إلى نوروز بنيابة الشام فقبلها وشرط أن لا يدخل الشام حتى يخرج الناصر منها، فرحل الناصر من دمشق وصحبته هؤلاء الأمراء، وقبض أيضاً على سودون الحمزاوي وأقبردي وجماعة كثيرة من الأمراء الصغار وعدتهم سبعة عشر أميراً، واستقر بكتمر جلق في نيابة طرابلس .

وكان دخول الناصر إلى القاهرة في رابع عشر ربيع الآخر، فأمر بقتل الأمراء المذكورين إلا إينال المنقار وعلان فحسباً بالإسكندرية وكذلك يلبغا الناصري، وكان الناصر قد جدّ في هذه النوبة في السير إلى مصر بحيث أنه أقام في الطريق عشرة أيام فقط، وطلع القلعة والأمراء بين يديه قد أركبوا خيولاً مقيدين تحت آباط الخيل، ووراء كل واحد راكبٌ بيده سكين مصوبٌ بها إلى ناحية بطنه .

* * *

وأما يشبك فإنه لما هرب ومّن معه لعق بهم شيخ وكثر جمعهم وتحققوا رحيل السلطان عن دمشق وقد جعل فيها^(١) بكتمر جلق نائب الغيبة عن نوروز، وأمره إذا وصل نوروز أن يتوجه إلى نيابة طرابلس، فلما بلغهم ذلك رجعوا إلى دمشق فهجموا عليها في الثامن من ربيع الآخر، فهرب بكتمر جلق نائب طرابلس قبل رحيله، وقبض على العرر^(٢) أستاذار نوروز وغيره وشرعوا في جباية الأموال والخيول بعد النداء بالأمان، ورجع الذين ودعوا الناصر فاختنى بعضهم وظهر بعضهم، واستخرج شيخ من دار السعادة مالا له كان مدفوناً، وأجمعوا أمرهم واجتمع عليهم من يرى رأيهم، فبلغهم في حادي عشر ربيع الآخر أن بكتمر

(١) « فيها » غير واردة في ك .

(٢) هكذا في ظ ، ولكنها « العرزا » في ز ، و « الفرز » في ه ، و « العرز » في ك .

جلت وطائفة معه قليلة قد نزلوا ببعلبك ، فخرج يشبك وجركس ومن معهما ليوقعا به ، وتأخر شيخ بدمشق ، فخرجوا إلى بعلبك عن طريق حمص لئلا يُفطن بهم فصادفوا مجيء نوروز وعسكره وقد انضم إليه بكتمر جلق ومن معه ، فوقعت العين على العين فتحاربوا عند وادي موتة^(١) من كروم بعلبك فكأثرهم نوروز ومن معه ، فقتل يشبك وجركس وفارس دوادارهم وأرسلت رعوسهم إلى الناصر فوصلت إليه بالقاهرة وكان علم ذلك وصل إليه وهو بالطريق في العريش ، فلما بلغ شيخاً خبيرهم خرج من دمشق على طريق جرود^(٢) في ليلة الجمعة ثالث عشره ودخل نوروز دمشق في رابع عشر ربيع الآخر ، ونودي بالأمان ، ورجع بكتمر جلق نائب طرابلس إلى بلده ويشبك بن أزدمر نائب حماة إلى بلده في العشرين منها .

وفي سادس عشر ربيع الآخر حكم بعض القضاة بقتل سودون الحمزاوى قصاصاً بأمر السلطان فقتل^(٣) بين يديه ، ثم شاع أنه ذبح بين يديه كثير من الأمراء المأسورين وغيرهم .

* * *

وفي ثالث جمادى الأولى استقر تغرى بردى أتابك العساكر بالقاهرة عوضاً عن يشبك ، وكمشيغا المزوق [أمير آخور]^(٤) عوضاً عن جركس المصارع ، وذلك في اليوم الذى قدم فيه قاصد نوروز برؤوسهما .

وفي آخر جمادى الأولى تجهز نوروز إلى الجهة الشمالية لمحاربة شيخ ، ثم قيل إنه كاتبه وأنها قصداً الاجتماع والتصافى ، فاجتمعا في الطريق وانفرد كل منهما عن جماعته ، واتفق مجيء دويدار السلطان ومعه مكاتبات بأمر كثيرة ، فلما سمع باتفاق الأميرين رجع إلى مصر ، وتوجه الأميران بعسكرهما إلى بلاد ابن بشاره فأوسعوها نبأ ، وهرب ابن بشاره ثم قبض عليه نائب صفد .

(١) كلمة غير مقروءة في جميع نسخ الإنباء المستعملة هنا ؛ هذا وقد وردت في ياقوت : المعجم باسم « موته » وعرفها بأنها قرية من أعمال بعلبك انظر أيضا Le Strange : op. cit. p. 510 .

(٢) في « جزوى » ، وفي « حرور » مراد الإطلاع .

(٣) الوارد في السلوك ، ورقة ٦٦ ب ، أن السلطان استدعى القضاة بين يديه وأثبت عندهم إراقة دم سودون الحمزاوى لقتله إنساناً ظلماً ، فحكوا بقتله فقتل .

(٤) الإضافة من السلوك ، ورقة ١٦٧ .

وفي سابع رجب سُجِنَ بكتمر جلق^(١) بقلعة دمشق، ودخل الأميران دمشق في ثامن رجب بعد أن رضى شيخ بطرابلس وأخذ في التجهيز إليها ، ثم خرج في ثامن عشر رجب وودَّعه نوروز ، واستقرَّ معه في قضاء طرابلس تاج الدين محمد بن القاضي شهاب الدين الحسيني ، ثم فرَّ بكتمر جلق في عاشر رمضان من سجن قلعة دمشق فتوجَّه إلى صنفد ثم إلى غزة ، ثم بسط نوروز يده في المصادرات فبالغ في ذلك حتى إن بعض التجار كانوا يترحمون على تمرلنك ، وفرض على جميع الجهات : جليلها وحقيرها حتى الخانات والحمامات وأرباب المعاش حتى الذين يبيعون الخنزف تحت القلعة حتى باعة السراطين حتى الباعة في الطُّبالي حتى انقطعت الأسباب وتعطلت المعاش ؛ نقلت ذلك من تاريخ ابن حنَّي .

وفي رجب ضُرب عبد الله المجادلي بين يدي نوروز ضرباً مبرحاً لكثرة شكوى الرؤساء منه أنه يؤذيهم بلسانه وسعيه ، ثم سُفِّع فيه فأرسل^(٢) .

وفي شعبان قبض نوروز على يشبك الموساوي وكان السلطان أرسله إلى نيابة الكرك . وكان نوروز قد أرسل إليها سودون الحاجب ، فمنع يشبك المذكور فرجع إلى غزة وبها سلامش فحاربه ، فأُسرَ يشبك ووقعت فرسه في طينٍ فوق فأرسله إلى نوروز فسجنه بدمشق في أول رمضان .

وفيه كان السيل العظيم بطرابلس ، قيل إنهم مارأوا مثله فهدم أبنية كثيرةً وهلك بسببه خلق كثير .

وفي رمضان هرب بكتمر جلق من القلعة فتوجَّه إلى نابلس ، فبلغ ذلك نوروز فخرج إليه ففرَّ إلى غزة ، ثم وصل يشبك بن أزدمر من حماة فبلغه وهو في حمص أن تمربغا المشطوب نائب حلب قصد النزول على التركمان فبيئته وكسروه ورجع منهزماً ، فردَّ

(١) دأب المقرئ على كتابته « شلق » .

(٢) أمام هذا الخبر في هامش جاءت العبارة التالية : « استمر هذا المجادل على عناده وأذاه إلى أن مات في حدود سنة أربعين وثمان مائة » .

يشبك جماعته إلى حماة لحفظ البلد وأقام هو بدمشق في ناس قليل، وأرسل إلى نوروز يُعلمه بذلك ، فقدم نوروز دمشق ورجع يشبك إلى حماة ، ودار نوروز في الرملة وقابون والغور أكثر من شهر ثم رجع ، وكان قد نهب للعرب إبلاً كثيرة ، فلما تحققوا أنه دخل دمشق كبسوا عليها فاستنقذوها ، وبلغه ذلك فخرج إليهم فلم يظفر بهم ؛ ثم قبض على نقيب الأشراف علاء الدين كاتب السر ونسبه إلى مكاتبة المصريين ثم بذل الشريف مالا وأطلق ، ثم عزل ابن القطب من قضاء الحنفية بدمشق وولى ابن القضاى قاضى حماة وكان هرب من نائبها فسعى فوئى ، والواقع في نفس الأمر أن القضاء باسم صدر الدين بن الأدمى من الناصر .

وفي رمضان صُرف الباعونى من خطابة جامع دمشق ونُقِل إلى خطابة القدس ، واستقرّ شهاب الدين بن حجّى في الخطابة بجامع دمشق .

* * *

وفي شعبان كاتب شيخ الناصر يسأله أن يولّيه نيابة الشام بشرط أن يكفيه جميع أعدائه ويقبض عليهم فأجابه إلى ذلك ، وكان بمصر يومئذ صدر الدين الأدمى وقد هرب منذ هرب شيخ ويشبك خوفاً من نوروز فأقام بالقاهرة ، فولّاه الناصر قضاء الحنفية بدمشق ، وولى نجم الدين بن حجّى قضاء الشافعية بها ، وأرسلهما إلى شيخ وهو بطرابلس ليعلماه برضى السلطان عنه وتفويض نيابة دمشق إليه ، وحضرا حلف السلطان والأمراء له ، وخرجا من القاهرة في أول شوال ومعهما أَلْطَنْبُغًا شَلَّاقِ الْحَاجِبِ وَأَلْطَنْبُغًا شَقَلٍ ومعهما تقليد بكتّمير جلق بنيابة طرابلس ويشبك بن أزدمر بنيابة حماة ، فوصلوا إلى شيخ في البحر في شهر ذى الحجة وهو على المرقب ، وكانوا توجهوا في النيل إلى دمياط ثم إلى عكا ثم إلى صفد ثم إلى طرابلس في البحر الملح ، وتلقاهم شيخ وقبل الرسالة ولم يلبس خلعة النيابة ، وأرسل قاصده إلى نوروز يخبره بذلك .

وكان نوروز قد بلغه الخبر فأرسل قاصداً يستكشف ذلك ، فأرسل إليه شيخ

الخلعة والتقليد وابن الأدي القاضي الحنفى وجماعة من الأمراء فوصلوا إلى نوروز وأعلموه بعدم قبول شيخ النيابة، وأحضروا إليه التقليد والخلعة فرضى بذلك وأمر بتزيين البلد، وكان قد نادى فى العسكر بالتجهيز ففترت همته بذلك، وكان نجم الدين ابن حجبى قد تغيب فلم يصل صحبة المذكورين .

وفى ذى القعدة قدم نائب حلب تمرىغا المشطوب إلى دمشق لتأكيد الاتفاق بينه وبين نوروز، وكان بلغ نوروز عنه أنه مآلاً عليه فقدم ليظهر لنوروز كذب ما نقل عنه فأقام أسبوعاً ورجع .

وفى أوائل ذى الحجة حاصر جاهين - دويدار شيخ - صهيون فغلب عليها، وأرسل إلى دمشق بذلك فضربت البشائر .

وفى هذه السنة استقر أرغون شاه النوروزى فى الأستاذارية بدمشق ولم تنزل تنتقل به الأحوال حتى ولى الوزارة بالقاهرة فى الدولة المؤيدية، ثم ولى الأستاذارية بالقاهرة فى الدولة الصالحية^(١).

* * *

وفى سادس جمادى الأولى توجه السلطان بتياب جلوسه إلى بيت قرآقجا وكان مريضاً فعاده، ثم توجه إلى تربة والدته بين القصرين فى مدرسة والده فزارها، وأنعم على أهل المدرسة ببلد أنبوية ليزاد خراجها فى معالمهم وفرحوا بذلك واستمر^(٢) بقية عمره، ثم توجه إلى بيت رأس نوبة الكبير وهو بالقرب من الجامع الأزهر فدخل إليه، ثم توجه إلى بيت الحاجب الكبير كزل العجمى وهو بالقرب من باب البرقية فدخل إليه ثم صعد القلعة، وكان عهد الناس بعد بضعاً شديداً من سلطان يفعل مثل هذا التبذل، ولم يعرف أن ذلك وقع لملك من ملوك مصر قبله؛ وقد تبعه على ذلك من جاء بعده .

* * *

وفىها قتل^(٣) ذريب بن أحمد بن عيسى الحرامى أمير حلى والمدينة - التى بين مكة واليمن

(١) أنامها فى هامش ه « أى الصالح أحمد بن شيخ » .

(٢) أى وقف أنبوية وهى إمبابة الحالية .

(٣) أشار السخاوى : الضوء اللامع ٢/٨١٧ إلى أنه قتل سنة ٨١٧، ثم أشار، شرحه، ص ٢١٨ س إلى أن ابن حجر

أرخ قتله فى حوادث سنة ٨١٠ .

على ساحل البحر - في حربٍ بينه وبين كنانة وهم العرب النازلون بها ، واستقل أخوه موسى بالإمرة ، وكان شريك أخيه دريب فيها لكن لا كلام له معه ، فلما قُتل انفراد موسى بالإمرة ، فلما أن غلبت كنانة ثار حسن بن عجلان عليه فانتزع منه البلد ، فلجأ موسى إلى الناصر صاحب اليمن ، فسأل ابن عجلان أن يكف عنه فترك له بلده فاستمر به (١) إلى أن مات ، كما سيأتي في سنة ثمانى عشرة .

* * *

وفي آخر ربيع الآخر أحضر زين الدين عبد المعطى الكوم ريشي إلى منزل جمال الدين الأستاذ فضره بحضرة القضاة الأربعة سبعمائة عصاً وسجنه ، وحصل له من الناس - حالة مجيئه وتوجهه إلى الحبس - صفع عظيم ، وكان السبب في ذلك أنه كان يتردد إلى آقبای الحاجب فأقامه في عمارة له برأس البندقانيين ، وآقبای يومئذ نائب الغيبة ، وكان المذكور ينوب عن الحنفى في الحكم وعنده رسل فيأمرهم بصفع من يريد من يتحاكم إليه فتحاماه الناس ، فصار يرسل لمن يريد إهانته من بياض الناس فيصفع بحضرتة ، وشاع عنه أنه رُفع له شاب نحو العشرين سنة وأدعى عليه أنه أكره صغيراً مراهقاً حتى فسق به فأمر في الحال من بحضرتة من الفعلة الذين في العمارة أن يفسقوا به قصاصاً بزعمه ، فعظمت لشناعة عليه بذلك ، فأرسل الأمير أحمد بن أخت الأستاذ - وهو يومئذ ينوب عن خاله - إليه فهرب واحتفى بآقبای ، فعلم آقبای بصورة الحال فأرسله إلى نائب الأستاذ فضره واجتمع عليه من تقدم له منه أذى من العوام فكادوا يقتلونه وبالغوا في إهانته وصفعه ، ثم خلص وعاد إلى ما كان عليه .

فلما قدم العسكر شكى ولد القاضي الحنفى له ماجرى ، وكان هو يببالغ في الإساءة لولد الحنفى ويزدرى بجميع النواب ، فمالثوا عليه وأنها إلى الأستاذ قصته فضره كما تقدم وسجنه ، ثم بلغ خبره السلطان فأمر بإحضاره فضره بالمقارع وأقام في الحبس مدة طويلة ثم خلص بعد ذلك بمدة وتناسى الناس الخبر ، وأظهر هو الرجوع عن تلك

(١) في الأصل « بها » .

الطريقة فعاد إلى نيابة الحكم عن قضاة الحنفية، وبلغ من أمره في سلطنة الأشرف أن القاضي زين الدين التفهني امتنع من استنابته، فأرسل إليه ناظر الجيش وكاتب السر برهان الدين الشريف برسالة من السلطان يأمر القاضي باستنابته، وصار يحضر المولد النبوي واستمر على طريقته ومجونه إلى أن مات في أواخر سنة ثلاث وثلاثين مقهوراً، بسبب أنه كانت له صرة ذهب خشي عليه من السراق فأودعها عند بعض القضاة، ثم احتاج إلى شيء منها فادعى أنها سرقت من منزله وحلف له على ذلك فما استطاع أن ينازعه في ذلك لشدة سطوة القاضي المذكور وبإدريته، فكمد فمات .

* * *

وفيها أرسل ملك الهند ببنجالة - واسمه أحمد خان بن ميرخان بن ظفر خان - وكان أبوه كافراً فأسلم هو وقتل جدّه وأحرق عمّ أبيه واسمه « لان » ، فأرسل إلى مكة خيمة حمراء كبيرة جدا ليُظَلَّ بها الطائفين حول البيت ، فنصب بعضها وأخر أكثرها متوقفاً على إذن صاحب مصر، ثم تنوَّسَت وتملَّكها صاحب مكة لنفسه .

وفيها بُنِيَت المدرسة البنجالية بالجانب اليماني مما يلي صنعاء وصرف عليها ألوف الدنانير، ورتب لها مدرسين وطلبة وغير ذلك ، وأهدى ملك بنجالة لأهل مكة شاشات كثيرة جدا حتى قيل إن الذي خصّ صاحب مكة وحده ألف شاش .

وفيها بدأ جمال الدين الأستاذار في إنشاء مدرسته برحبة العيد وذلك في خامس جمادى الأولى .

* * *

وفيها بعد قتل جكم جمع خليل بن قراجابن علي بن ذلغادر التركماني - الذي يقال له على بك - جمعاً من التركمان وقصد حلب لإخراج من فيها من أتباع جكم ، وكان جكم حبس ولده بالقلعة ، فلما وصل إلى مرج^(١) دابق أرسلوا إليه ولده فتوجه إلى أن نزل بالميدان الأخضر شمال البلد ، وخرج أهل البلد لقتاله فكسرهم ، وذلك في سادس عشر

(١) هو من أعمال قنسرين ، انظر Le Strange : op. cit. p. 503

المحرّم واستمر يحاصرهم ، ونُهبت القرى وأفسد فساداً عظيماً ، ثم انتقل عن الجهة الشمالية إلى الجهة القبليّة وجدّ في الحصار ، واتفق أن نوروز هرب لما وصل الناصر كما سيأتي ذكره ، فوصل إلى حماة فوجد العجل بن نعيم يحاصرها وأهلها في شدّة ، فلما وافى نوروز أوقع بالعجل فانهزم ، ثم استمرّ نوروز طالباً حلب فهرب منه على بن ذلغادر وحصل الفرج لأهل حماة من حصار العرب ولأهل حلب من حصار التركمان ؛ وذكر القاضي علاء الدين بن خطيب الناصرية في تاريخه : « أن بعض أهل حلب ذكر أنه رأى شيخنا سراج الدين البلقيني في المنام فقال له : قل لبرهان الدين المحدث يقرأ « عمدة الأحكام » ليفرج الله عن أهل حلب ، فقصّها على البرهان فاجتمع عنده فقرأها البرهان ودعوا ، فاتفق أنهم في آخر النهار كسروا فرقة حاصرتهم في حلب ، وبعد يومين رحلوا بأسرهم عن حلب وحصل الفرج ، والله الحمد » وذلك في ثاني عشر صفر .

ذكر من مات في سنة عشر وثمانمائة من الاعيان

- ١ - أحمد بن محمد بن أبي العباس الحفصي ابن أخي السلطان أبي فارس صاحب بجاية ، مات في هذه السنة فقرّر السلطان بدله أخاه الريان^(١) محمد .
- ٢ - إسماعيل بن عمر المغربي المالكي نزيل مكة ، جاوب بها مدة وكان خيراً فاضلاً عارفاً بالفقه تُذكر له كرامات . مات في شهر رمضان .
- ٣ - أبو بكر بن أحمد بن عبد الرحمن المدني ، فخر الدين المعروف بالشامي ، كان خيراً ديناً اشغل كثيراً وتيقظ وسمع من بعض أصحاب الفخر وناب في الحُكم ، وكان كثير التوجه إلى الشام ومصر ، ومات^(٢) في المحرم عن ستين سنة ، وقد أسرع إليه الشيب جداً .

(١) بلا تنقيط في ٨ .

(٢) ودفن بالبقيع ، انظر السخاوي : الضوء اللامع ج ١١ ص ١٩ ترجمة رقم ٥٠ .

٤ - أبو بكر^(١) بن محمد الصرخدي ، تقي الدين تطماج^(٢) الدمشقي ، وُلد بعد الستين بقليل ، وسمع من بعض أصحاب الفخر ، وجوّد الخطّ على الزيلعي وعلم الناس الخطّ المنسوب ، واشتغل في الفقه وعمل نقابة الحكم ، وأصبح مقتولاً في أواخر جمادى الأولى بدمشق بمنزل سكنه ولم يُعرف قاتله .

٥ - بهادر بن عبد الله الأرمني مولى ابن سَنَد^(٣) ، سمع معه من جماعة منهم أبو العباس المرداوي وحَدَّث ومات في شوال [مقتولاً] سمعتُ منه بدمشق كتاب « الصفات » للدارقطني بسماعه من ابن القيم .

٦ - جركس المصارع ، كان من خواص الظاهر وتقدّم بعده وقد ذُكر في الحوادث ، وكان شهماً شجاعاً فاتكاً من زمرة يشبك ، وقد ولي نيابة حلب للناصر في سنة تسع وثمان مائة ، ولم يُقيم بها إلاّ مدة إقامة الناصر بها ، ورجع معه خوفاً من حكم ، وهو أخو الأمير جقمق الذي ولي أتابكية العساكر بعد ذلك ثم تسلطن .

٧ - سيف^(٤) بن عيسى السرائي^(٥) ، سيف الدين نزيل القاهرة ، كان منشؤه بتبريز ثم قدم حلب لما طرقها تمرلك ، ثم استدعاه الظاهر من حلب فقرّره في المشيخة بمدرسته عوضاً عن علاء الدين السيراي سنة تسعين [وسبعمئة] ، ثم ولاه الظاهر مشيخة الشيخونية بعد وفاة عزّ الدين الرازي مضافةً إلى الظاهرية وأذن له أن يستنيب عنه في الظاهرية ولده الكبير واسمه « محمود » ، فباشر مدةً ثم ترك الشيخونية واقتصر على الظاهرية ، وكان ديناً خيراً كثيراً كثير العبادة ، وكان شيخنا عز الدين بن جماعة يُثني على

(١) هذه الترجمة غير واردة في ظ .

(٢) اتبنا في هذا الرسم ما ورد في نسخة ه ، والضوء اللامع ، ج ١١ ص ٩٣ ، ترجمة رقم ٢٤٩ ، ولكنه « تطماج » في ز ، و « مطماج » في ك .

(٣) ولذلك يعرف بالسندی (بفتح السين والنون) كما ذكره السخاوي في الضوء اللامع ٩٢/٣ .

(٤) وجع السخاوي أن يكون اسمه « يوسف بن عيسى » ، ومن ثم ترجم له تحت هذا الاسم في الضوء اللامع ١٠٤/١٣٣٤ ، كما ترجم لولده يحيى تحت هذا الاسم أيضا ، انظر نفس المرجع ١٠٥٦/١٠ ، وترجمه المقرئ باسم « يوسف بن محمد بن عيسى » ، هذا ويلاحظ أن « سيفاً » اختصار « يوسف » .

(٥) في « السيراي » .

فضائله . مات في ربيع الأول ، وولى المشيخة بعده ولده يحيى أبقاه^(١) الله تعالى ، وسماه الشيخ تقي الدين المقرئ « يوسف » وترجم له في « الياء » آخر الحروف ، وقال علاء الدين في تاريخ حلب : « قيل اسمه يوسف » .

٨ - عبد الله بن أحمد بن علي بن محمد بن قاسم ، أبو المعالي بن المحدث شهاب الدين القرطبي الشافعي ، وُلد سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة ، وأحضره أبوه علي الميديمي وأسمعه على القلانسي والعرضي وغيرهما ، ثم طلب بنفسه فسمع الكثير وحصل الأجزاء ، ثم ناب في الحكم وفتى عن الاشتغال ، وكان يقرأ الحديث بالقلعة ولم يكن يتصاون . مات في عاشر رمضان .

٩ - عبد الله بن أبي بكر بن يحيى الدويري الباني الشافعي أحد الفضلاء من أهل نعر ، أفتى ودرّس بالمظفرية وكان مشكور السيرة .

١٠ - عبد الله بن محمد الهمداني الحنفي مدرّس الجهرية^(٢) بدمشق ، كان يدرى القراءات ويقرئ ، وكان خيراً عارفاً بمذهبه . مات في جمادى الأولى وقد بلغ السبعين .

١١ - عبد الرزاق بن عبد الله المجاور بالجامع الأموي ، كان أحد المعتقدين وله أتباع وللناس فيه اعتقاد ، توجّه في سنة عشر إلى القاهرة فمات بها في ذي القعدة^(٣) .

١٢ - محمد^(٤) بن أحمد بن سليمان بن يعقوب بن علي بن سلامة بن عساكر بن حسين

(١) عبارة « أبقاه الله تعالى » تحدد بالتقريب وقت كتابة هذه الترجمة ، ذلك أن ابنه « يحيى » مات سنة ٨٣٣ .

(٢) من مدارس الحنفية بدمشق وتنسب لمنشأها نجم الدين أبي بكر محمد بن عياش التيمي الجوهري المتوفى سنة ٦٩٤ هـ ، انظر عنها الدارس في تاريخ المدارس ، ٤٩٨/١ وما بعدها .

(٣) في الضوء اللامع ٤٩٦/٤ « مات في جمادى الأولى » .

(٤) ورد قبل هذا في نسخ الإنباه الترجمة التالية : « عبد العزيز بن عبد الجليل بن عبد الله النراوي الفقيه الشافعي عز الدين . مات في تاسع ذي القعدة » وكان هذا سهواً من ابن حجر ، ذلك أن عبد العزيز بن عبد الجليل هذا مات في سنة ٧١٠ هـ على أحد الأقوال كما جاء في الدرر الكامنة ٣/٢٤٣١ ، أو في سنة ٧١١ كما هو قول غيره كما ذكر ذلك ، وترجمه الشذرات ٦/٢٦٦ ، ويلاحظ أن السخاوي انتبه إلى هذا الخطأ التاريخي في تأخير ابن حجر لترجم مدة قرن من الزمان فأشار في الضوء اللامع ٤/٥٥٥ إلى أنه من وفيات المائة الثامنة ، ولكنه مع ذلك ترجم له في وفيات المائة التاسعة . أما « النراوي » فنسب إلى نمر من محافظة الغربية وتعرف باسم نمر البصل ، وهي من القرى القديمة واسمها الأصل نمرى ، وإضافة البصل إليها ربما كانت لشهرتها بزراعتها ، انظر محمد رمزي القاموس الجغرافي ، ق ٢ ، ج ٢ ص ٢٥ .

ابن قاسم بن محمد بن جعفر الأنصاري، البيساني الأصل ثم الدمشقي، أبو المعالي جلال الدين بن خطيب داريا، وُلد سنة خمس وأربعين، وَعَنِيَ بالأدب، ومهر في اللغة وفنون الأدب وشهد في القيمة، وقال الشعر في صباه، ومدح الأشرف - شعبان لما فتح مدرسته بقصيدة قرأها عليه الشيخ بمدرسته، ومدح أبا البقاء وولده البرهان بن جماعة فمن بَعَدَهُمْ، ثم هجا البرهان ومدح القاضي جلال الدين البلقيني بقصيدة لامية طويلة جدا سمعتها من لفظه وفيها: «جلال الدين بمدحه الجلال»، وتقدم في الإجابة إلى أن صار شاعرًا عصره غير مدافع.

وقد طلب الحديث بنفسه كثيراً، وسمع من القلانسي ومن بعده، ولازم الشيخ مجده الدين الشيرازي صاحب اللغة وصاخره. سمعتُ من شعره ومن حديثه، وطارحته ومدحتي.

وكان بعد الفتنة أقام بالقاهرة مدة في كنف ابن غراب ثم رجع إلى بيسان فسكنها، ومات في ربيع الأول ببيسان من الغور الشامي، وكان له بها وقف فسومح بخراج ذلك وأقام هناك.

١٣ - محمد بن زكريا المربني صاحب بلد العناب^(١). لما مات أحمد بن محمد بن أبي العباس واستقر أخوه زكريا بعده^(٢) قصدهم محمد وكان مقياً بفاس، وأعانه صاحبها أبو سعيد عثمان بن أبي العباس بن أبي سالم وملكها، فلم يزل أبو فارس يعمل عليه حتى انفض عنه جمعه وقبض عليه فقتله في ذي الحجة من هذه السنة

١٤ - محمد بن عبد الحكم، ويقال له حلي بن أبي علي عمر بن أبي سعيد عثمان بن عبد الحق المربني، كان أبوه صاحب سجلماسة ومات بتروجة بعد أن حج في سنة سبع وستين، فنشأ ولده هذا تحت كنف صاحب تلمسان، ثم إن عرب العقل نصبوه في سنة تسع وثمانين أميراً على سجلماسة، وقام عاملها علي بن إبراهيم بن عبوس بأمره، ثم تنافرا

(١) الضوء اللامع ٦٠٣/٧ «العناب»

(٢) في ك، هـ «بدله» وكذلك في الضوء اللامع، ج ٧ ص ٢٤٥ س ١٤.

فلحق محمد بتونس، فلما استقر أبو فارس في المملكة توجه محمد إلى الحج فدخل القاهرة وحج ورجع فصار يتردد إلى أبي زيد بن خلدون وساعت حاله وافتقر حتى مات (١).

١٥ - محمد بن محمد بن يعقوب الجعبري (٢)، بدر الدين بن بدر الدين الدمشقي، اشتغل بالعلم وولى بعض المدارس بدمشق وسمع من جماعة ومال إلى مذهب الظاهر، وولى نظر الأسرى وغيرها بدمشق، وولى قضاء صفد، كان مشكور السيرة [و] مات في شوال.

١٦ - محمد بن ... (٣) الشاذلي المحتسب، كان عرياً من العلم غاية في الجهل وكان خردفوشياً (٤) ثم صار بلاناً ثم صحب ابن الدماميني ثم ترقى إلى أن ولى حسة مصر ثم القاهرة مراراً بالرشوة، ومات في صفر.

١٧ - موسى (٥) بن عطية المالكي اللقاني الفقيه، سمع من ابراهيم الزفتاوى (٦) سنن ابن ماجه، وقرأ عليه الكلوتاتي بعضاً، وهو والد صاحبنا شمس الدين محمد (٧) أبقاءه الله تعالى ومات والده في هذه السنة.

وفيها مات :

١٨ - محمد بن الأمير محمود، الأستاذار في بيت جمال الدين الأستاذار، وذلك في ذى القعدة.

(١) نقل السخاوى في الضوء ٧٢١/٧ هذه الترجمة بالنص عن إنباء الغمر وفعل كذلك في الترجمة التالية ٨٤/١٠ واكتفى بقوله في ختام كل منهما : « ذكره شيخنا في إنبائه » .

(٢) « الحضرمي » في ك .

(٣) فراغ في جميع نسخ المخطوطة كما أن السخاوى أورد في الضوء اللامع ٤٩٣/١٠ باسم « محمد الشاذلي المحتسب » فقط ، وانظر أيضا الحاشية التالية .

(٤) أورد المقيزي في السلوك ، ورقة ١٦٨ ، بالحاء المهملة ، ولكن العيني ذكره في عقد الجمان ، ٣/٢٧٦ بالخاء المعجمة ، وكتب اسمه هكذا « محمد بن . . . الشاذلي » ، ثم دلت على جهله بعدم معرفته لصواب نطق القرآن وادعائه خطأ ومكابرة بأن هذا لغة فيه ، ونقل عنه السخاوى ترجمته في الضوء اللامع ٤٩٣/١٠ .

(٥) وردت هذه الترجمة في هامش ه بغير خط النسخ على النحو التالي « موسى بن عمر بن عطية بن عبد الرحمن اللقاني » . أما في الضوء اللامع ٧٨٥/١٠ فقد سماه « موسى بن عمر بن عوض بن عطية » ثم أشار في نهاية ترجمته إلى ما سماه به ابن حجر في إنباء الغمر فقال إنه سماه « موسى بن عطية » نسبة بلده الأعلى .

(٦) « الزيتاوى » في الضوء اللامع ٧٨٥/١٠ .

(٧) راجع ترجمته في الضوء اللامع ٢٠٣/١٠ ، كما سترد ترجمته تحت رقم ٢٧ في وفيات سنة ٨٤٠ هـ من إنباء الغمر .

٥٠ - إنباء الغمر بإنباء الحمد ج ٢

١٩ - وفيها مات سودون الطيار في أواخر شوال وكان عفيفاً شجاعاً بطلاً وكان كثير التوقير للعلماء .

٢٠ - وفيها مات شاهين قزقا^(٥) وكان من الخاصكية فنقله الناصر شيئاً بعد شيء إلى أن صار مُقدم ألفِ فمات عن قريب في ذى القعدة .

٢١ - وفيها مات مقبل الزمام في مستهل ذى الحجة، وهو بائى المدرسة بالبندقانيين ووقف عليها أملاكه وخلّف موجوداً كبيراً .

• • •

(١) «قصفا» في كل من المقرئى : السلوك ، ورقة ٦٧ ب ، والضوء اللامع : ١١٤١/٣ وقال إن معناه «القصير» .

سنة احدى عشرة وثمانمائة

استهلت^(١) هذه السنة ومصر في رخاء كبير جدا ، فالقمح بنحو مائة درهم ، والشعير بنحو سبعين ، والذهب يومئذ مائة وأربعين المثقال .

وفي الثالث من المحرم برز نوروز إلى صفد ثم انثنى إلى شعشع ، ثم انثنى إلى بكتمر جلق ومعه محمد وحسن وحسين بنى بشارة فاقتتلوا ، فقتل بينهم جماعة وحُرقت الزروع وخربت القرى وكسرتهم وأقام بالرملة ، وكان قد جهز الناصر عسكرياً إلى سودون المحمدي بغزة ليستنقذها منه صحبة نائبها الطنبيغا العثماني وطوغان وسودون بقجة ، وكان بكتمر جلق وجانم قد خرجا قبل ذلك من صفد إلى غزة فملكاهما ، ففر منها سودون المحمدي فلحق بنوروز ، فرجع نوروز فقاتلهم كما تقدم وأقام بالرملة ، فبلغ ذلك العسكر المجهز من مصر بالعريش - وكان فيهم طوغان وباش باي وسودون بقجة - فدخلوا إلى مصر في صفر ، ولما تحقق نوروز رجوعهم قصد صفد ليحاصرها فقدم عليه الخبر بحركة شيخ إلى دمشق ، وكان قد جمع من التركمان والعرب والترك جمعاً ، وسار من حلب في ثاني عشر ربيع الأول ، فرجع نوروز فسبقه إلى دمشق ثم برز إلى برزة ، فقدم عليه سودون المحمدي هارباً من بكتمر جلق وكان قد خالف نوروز إلى غزة فغلب عليها وفر سودون منه ، فتراسل سودون ونوروز في الكف عن القتال ولم ينتظم لهما أمر ، وصمم شيخ على أخذ دمشق وياتا على أن يباكرا القتال ، فأمر شيخ بوقيد النيران في معسكره واستكثر من ذلك ، ورحل جريدة إلى شعشع فنزلها ، وأصبح نوروز فعرف برحيله فتوجه إلى دمشق فدخلها في الخامس من صفر .

(١) في ظه استهلت ونوروز مستول على البلاد الشامية بطريق التغلب ، ثم ضرب عليها ابن حجر بالقلم وكتب ما هو وارد بالمتن ، وزاد المقرئ : السالك ، ورقة ٦٨ أ على ما ورد في المتن بأن القول كان سعره ستين درهماً الإردب ، انظر أيضا العيني : عتحة الجمان ، لوحة ٢٧ .

وفيهما قدم عليه تمرىغا المشطوب من حلب ، وشرع نوروز في بيع الغلال التي كان أعدّها بقلعة دمشق .

وفي الرابع عشر منه نزل قبةً يلبغا وسار إلى شعشع فلقى بها شيخاً - وهو يومئذ في نفرٍ قليل وقد تفرّق أصحابه - فالتقيا فتقاتلا فانكسر نوروز ، ويقال كان معه أربعة آلاف نفسٍ ولم يُمَسِّس مع شيخ سوى ثلاثمائة نفس ، وركب شيخ أقفيتهم ، فدخل نوروز دمشق في الثاني عشر من صفر مجتازاً ، وأعقبه شيخ فدخل دمشق بغير قتال ودخل دار السعادة ونادى بالأمان ، ولبس خلعة النيابة التي وافته من السلطان بعد أن سار إلى قبة يلبغا ، فركب من ثم وركب معه القضاة والأعيان ومن جملتهم نجم الدين بن حنّى بقضاء الشافعية ، وقبض على جماعةٍ من النوروزية وأفرج عن جماعةٍ من المسجونين .

وجهاز بكتمر جلق ودمرداش لحرب نوروز فنزلا في عسكره في أواخر صفر قاصدين حلب ، وكان نوروز لمّا انهزم استصحب معه يشيك الموساوى أسيراً فسجنه بقلعة حلب ؛ ثم اختلف نوروز وتمرىغا المشطوب ، فصعد تمرىغا القلعة وأطلق الموساوى ، وكان المشطوب تلقى نوروز وأكرمه وقام له بما يليق به ، وأشار عليه بالطاعة للسلطان وأن يرسل له يطلب الأمان ، فامتنع من ذلك ورحل عن حلب إلى جهة ملطية ، فقدم الموساوى دمشق في أواخر صفر يريد القاهرة ، ثم أطلق شيخ جماعة من المسجونين الأمراء وغيرهم ، وظهر جماعةٌ ممن كان اختفى منهم .

• • •

وفي ربيع الآخر قبض على ناظر الجيش تاج الدين بن رزق الله وعلى أخيه وصوردا على ستة آلاف دينار ، وصورد المحتسب على ألف دينار ؛ واستقر في نظر الجيش علم الدين ابن الكويز ، وفي ديوان شيخ صلاح الدين بن الكويز ، وشهاب الدين الصفدى في كتابة السرّ بدمشق ، وشهاب الدين الباعوفى في الخطابة بالجامع الأموى ، وفي الأستاذارية بدر الدين بن محب الدين فبسط يده في المصادرة ، فأخذ من ابن المزلق خمسة آلاف

دينار حصّلها من التجار ، وصالح القضاة على ألف وخمسمائة دينار ففرضوها على المدارس ، وفرض على جميع القرى ما يحتاج إليه من الشعير . وجمع شيخ العساكر وخرج إلى نوروز وكان تمرىغا بحلب ومعه يشبك بن أزدمر .

وفي ربيع الآخر قدم صدر الدين بن الأدمى إلى دمشق وبيده ولاية القضاء وكتابة السرّ ، وكان قد قدم بذلك من العام الماضى فما مكنه من المباشرة وأهانته وتعوق بسبب ذلك في البلاد الشمالية ، فلما وصل أمضى له شيخ وظيفة القضاء خاصة .

ثم توجه شيخ إلى جهة حلب وأرسل عسكرياً يحاصرونها فسلمها لهم تمرىغا المشطوب ، واجتمع عنده أحمد بن رمضان وغيره من التركمان ، وفرّ إليه جماعة من النوروزية منهم سودون المحمدى وسودون اليوسفى ، فرحل في طلب نوروز فأدرك أعقابه وقبض على جماعة من أصحابه ، وكان قرّر في حلب قرقماس بن أخى دمرداش ، وأرسل عسكرياً في طلب نوروز ورجع إلى دمشق فدخلها في أهبة عظيمة ولحق العسكر بالتركمان بأنطاكية وأوقعوا بهم واستنقذوها منهم ، وقتل حسين بن صدر الباز في المعركة ، وغلب أحمد ابن رمضان على نوروز فمنع عنه العسكر ، وقتل قطلوبغا الجاموس نائب قلعة حلب .

ثم فرّ نوروز من أسر التركمان واستولى على قلعة الروم ، وكان يشبك بن أزدمر قد فرّ إلى نوروز واجتمعاً بأنطاكية ، ولما رجع شيخ إلى دمشق أطلق ناظر الجيش من الترسيم وكذلك الوزير المنفصل ، وقرّر ابن الموصلى في الحسبة ، وشرط عليه أن لا يأخذ من الباعة ضيافة القدوم ، وكان المشاعلى ينادى بين يديه بذلك وهو لابس الخلعة .

وفي جمادى الأولى قبض الناصر على جماعة من الأمراء وذبحهم ، وسجن منهم بيغوت وسودون بقجة بالإسكندرية .

وفي أواخره استفرّ أرغون الرومى أمير آخور وصرّف كدشبا المزووق . وفي أوّل رجب دخل شيخ دمشق راجعاً من حلب ، وبعث بجماعة من الأمراء فسجنهم بقلعة الصببية .

وفي جمادى الأولى منع الأمير جمال الدين من الحكم بين الناس ، وأمر بالاعتصار على ما يتعلّق بالأمر السلطانية ، وكان ذلك ابتداء انحطاط أمره وهو لا يشعر .

وفي جمادى الآخرة مات الأمير باش باى رأس نوبة الكبير وكان معه نظر الشيخونية .
 وفي أواخر رجب فرّ الماليك الذين كانوا في سجن دمشق لما بلغهم خلاص نوروز من
 أسر التركمان وتوجهوا إليه - ومنهم قرابغا المشطوب - ، فركب شيخ لهم في طلبهم فلم يلحقهم .
 وفيها فرّ شمس الدين بن التّبّاني إلى الشام فقررّه شيخ نائبها في نظر الجامع الأموى
 وغير ذلك من الوظائف وقربه وأدناه وذلك في رجب ، ثم نُقل إلى الناصر عنه شئٌ أغضبه
 فهمم بالقبض على أخيه شرف الدين ، ففرّ أيضا إلى شيخ بالشام فولّاه خطابة الجامع الأموى
 بعد أن كان صُرف عنه الباعوني ، وقرّر فيه ناصر الدين البارزى وكان قد فرّ من حماة من
 يشبك بن أزدمر واتصل بشيخ فاختص به وناداه وولّاه الخطابة ، وقرّر ابن التّبّاني في قضاء
 الشام للحنفية .

وفيه ألزم النائب أهل دمشق بعمارة مساكنهم والأوقاف التي داخل البلد ، وضرب
 فلوساً جديداً نودى عليها : كلّ ثمانية وأربعين بدرهم .

وفي شعبان وصل يشبك الموساوى رسولاً من الناصر إلى شيخ يطلب منه بعض الأمراء
 الذين كانوا خامروا عليه ، فاعتذر وأعاد عنه الجواب بما سنذكره بعد .

وفي رمضان بلغ النائب أن يشبك الموساوى نقل عنه للناصر أنه ساعٍ في العصيان عليه ،
 فأرسل نجم الدين بن حجّى قاضى الشام بكتبٍ ومحاضر تشهد له بأنّه مستمرٌ على الطاعة ، وأن
 يشبك كذب عليه فيما نقل عنه ، فوصل ابن حجّى بالكتب عنه فقبل عذره وكتب أجوبته
 واقترح عليه بأن يرسل من عنده من الأمراء المسجونين ، وأنّه إن تباطأ في إرسالهم حتى يمر
 شهر نُبت عليه ما نُقل [عنه] من العصيان ، فامتنع من إرسالهم ، فشرع الناصر في التجهيز
 إلى الشام بهذا السبب .

وفي هذه السنة أعيد التجليد بالقدس والرملة للأربع قضاة .

وفيها قتل الناصر إينال الأجرود وبرسبغا وكانا أميرين من إخوة بيغوت ، وقتل بالإسكندرية عدة أمراء منهم سودون من زادة صاحب المدرسة المتقدم ذكرها وكذلك بيغوت .

وفي ذى القعدة قتل عمر بن علي بن فضل أمير آل حرم بخيلة من نائب الكرك محمد التركماني ، وكان عمر قد عصى وخالف فغدر به محمد المذكور وأرسل برأسه إلى مصر فطيف بها^(١) .

• • •

وفيها في ثالث رجب أكمل جمال الدين يوسف البيري البجاسي أستاذار السلطان مدرسته بالقاهرة برحبة العيد، ورتب فيها مدرسين على المذاهب الأربعة ودرّس تفسير ودرّس حديث ، فالشافعي : همام الدين الخوارزمي وهو شيخ الصوفية ، والمالكي^(٢) والحنفي بدر الدين محمود بن الشيخ زاده ، والحنبلي فتح الدين أبو الفتح بن الباهي ، ومدرس الحديث كاتبه^(٣) .

ومدّ في أول يوم سائماً هائلاً وملاً الفسقية بالسكر المكرّر ، واستمر حضور الدرس في كل يوم يحضر واحد ويخلع عليه عند فراغه ، فلما كان بعد أسبوع جدّد فيها درّس تفسير وقرّر المدرّس قاضي القضاة جلال الدين البلقيني وعمل له إجلاساً في قوله تعالى^(٤) (إِنَّمَا يَعْمرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنِ آمَنَ بِاللَّهِ) واستمرّ بعد ذلك يدرّس من هذا الموضع .

(١) بعد هذا وردت بضع صفحات ليست من الإنباه ، ولكنها واردة في نسخ المخطوطة غير ظ، ولذلك تبه ناسخ ه إلى هذا فوضع أمام أول سطر من هذه الصفحات قوله : « كذا يجر من هنا » ، ثم جاء بعد ذلك بنبر خط الناسخ « الظاهر أن هذا في ترجمة الناصر حسن لا الناصر فرج » ؛ وقد وضعنا هذه الصفحات الدخيلة في ختام هذا الجزء الثاني من طبعتنا هذه للإنباه .

(٢) فراغ في جميع النسخ ولم نجد اسمه فيما بين أيدينا من المصادر .

(٣) يعني ابن حجر بذلك نفسه .

(٤) سورة التوبة ، آية ١٨ .

وبعد قليلٍ نَمَّ بعضُ الناسِ على جمال الدين بآنه عمل مدرسةً وبالغوا في وصفها وما بها من الرخام والزخرفة، وأنه ما اكتفى بذلك حتى شرع في أخرى بباب زويلة، فاستفسره الناصر عن ذلك ففهم من أين أتى، فقال: «إنما شرعتُ في عمل صهريجٍ ومسجدٍ، وفيه»^(١) مدرّس على اسم مولانا السلطان ليختصّ بثواب ذلك، فأرضاه^(٢) وقد لزم غلظه فصيرّه له حقيقةً ولم يكمل جمال الدين من ذلك الوقت سنةً حتى قبض عليه وأهلك كما سيأتي.

وفيها كملت مدرسة الخواجه علاء الدين الطرابلسي بسويقة^(٣) ساروجا بدمشق.

وفيها نودى في شعبان بالقاهرة ألا يركب أحد الخيل أو البغال إلا الأجناد الذين في خدمة السلطان أو الأمراء خاصة، ثم سعى للقضاة فأذن لبعضهم، ثم صار يؤذن بمراسم سلطانية للواحد بعد الواحد من ديوان الإنشاء، واشتد الأمر في ذلك فصار الممالك يُنزّلون من رأود راكباً فرساً إلا أن أخرج لهم المرسوم، ثم بطل ذلك في آخر السنة.

وفي سادس عشر رجب صرف ناصر الدين بن العديم من قضاء الحنفية واستقر أمين الدين ابن الطرابلسي بعناية جمال الدين الأستاذار.

وفي عاشر شعبان جاءت زلزلة عظيمة في نواحي بلاد حلب وطرابلس، فخرّب من اللادقية وجبله وبلاطيس أماكن عديدة، وسقطت قلعة بلاطيس فمات تحت الردم خمسة عشرين نفساً، ومات بجبله خمسة عشر نفساً، وخرّبت شجر بكاس كلها وقلعتها ومات جميع

(١) أي في المسجد.

(٢) أي أنه أرضى السلطان بذلك القول.

(٣) أشار الأستاذ جعفر الحسني في تعليقاته على كتاب النعمي: الدارس في تاريخ المدارس ١/٢٣٠ حاشية رقم ١

إل أنه من أحياء دمشق الهامة، وأنه يعرف اليوم باسم سوق ساروجة.

أهلها إلا نحو خمسين نفساً ، وانشقت الأرض وانقلبت قدراً بريدٍ من بلد القصير إلى سلّتهم - وهى بلدٌ فوق جبلٍ - فانتقلت عنه قدراً ميلٍ بأشجارها وأعينها وأهلها ليلاً ولم يشعروا بذلك ؛ وكانت الزلزلة بقبرص فخربت فيها أماكن كثيرة وكانت بالجبال والمناهل ، وشوهد ثلجٌ على رأس الجبل الأقرع^(١) وقد نزل البحر وطلع وبينه وبين البحر عشرة فراسخ ، وذكر أهل البحر أن المركب فى البحر المالح وصلت على الأرض لما انحسر البحر ثم عاد الماء كما كان فلم يتضرر أحد .

وفىها أُلزم القضاة أن يخففوا من نوابهم ، فاستقرّ للشافعى أربعة ، وللحنفى ثلاثة ، وللمالكي كذلك ، وللحنبلي إثنان ، فدام ذلك قليلاً ثم بطل .

وفىها تجهّز الناصر من دمشق فأمر قبل خروجه بقتل مَنْ بالإسكندرية وغيرها من المسجونين ، فقتل بيبرس ابن أخت الظاهر وبيغوت وسودون الماردانى فى آخرين .
وفى أواخر السنة قُتل فخرُ الدين بن غراب غيلةً وكان فى سجن جمال الدين الأستاذار ، وكان يُسمى « ماجداً » فتسمّى فى أيام وزارته وعظمة أخيه « محمداً » ، وكان سببُ السيرة جدا ، وكان يلثغ لثغةً قبيحةً يجعل الجيم زائياً والشين المعجمة مهملّة .
وأخرج^(٢) من السجن الشهاب ابن الطبلاوى ميتاً ، وقتل فى السجن أيضاً ناصرُ الدين محمد بن كلفت الذى ولى إمرة الإسكندرية وشدّ الدواوين وولاية القاهرة مرات .

وفى رمضان نودى بالقاهرة أن لا يتعامل أحدٌ بالذهب ألبتةً ومُنح من بيع الذهب المصوغ والمطرّز ، وكتب جمال الدين على أهل الأسواق قساماتٍ بذلك ، ولقى الناس من ذلك تعباً ، ثم سعى جمال الدين فى ذلك إلى أن بطل ونودى أن يكون المئقال بمائة ، فأخفاه أكثر الناس ولم يظهر بيد أحدٍ من الناس فوقف الحال ، ثم نودى أن يكون بمائة وعشرين بعد أن كان بلغ مائة وسبعين .

(١) أشار ياقوت فى معجمه إلى أنه فى المناطق المحيطة بأنطاكية واللاذقية وطرابلس ، ويسميه الروم Mons Casius ،

انظر فى ذلك أيضاً Le Strange : op. cit. p. 81 .

(٢) خلت ظ من خبر مقتل ابن الطبلاوى .

وفي ذى القعدة - بعد امتناع شيخ من إرسال الأمراء المطلوبين إلى السلطان - راسل نوروز في الصلح وراسل سودون الجلب يستميله ، وكان دمرداش اهتم بحرب نوروز وجمع عليه الطوائف ، فانكسر نوروز عن عينتاب واستولى دمرداش عليها ورجع إلى حلب .
وفيهما نازل شيخ نائب طرابلس تمرىغا المشطوب بحلب فانحصر تمرىغا بالقلعة وتوجه لجهة أنطاكية ، ثم بلغه أن نوروز توجه إلى حلب فرجع عن أنطاكية إلى جهة دمشق فكانت الوقعة بالقرب من (١)

وفي يوم الجمعة ثاني (٢) عشرى ربيع الآخر اتفق أهل التنجيم على أن الشمس تكسف قرب الزوال ويتغطى منها نحو نصف الجرم ، فاتفق أن السماء كانت ذلك اليوم بدمشق مغيمة والمطر نازلاً فلم يظهر صحة ما قالوه بمصر ، فاتفق أن خطيب الجامع الأموي شهاب الدين الباعوني بعد صلاة الجمعة جمع الناس وصلى بهم صلاة الكسوف فأنكر الناس عليه ذلك لأنه اعتمد قول المنجمين وعلى تقدير صحة قولهم ، فكانت الشمس أن انجَلت ، ثم إنه كبر في أول ركعة ثلاث تكبيرات سهواً ، وأعجب من ذلك أن السماء كانت بالقاهرة في ذلك اليوم صاحية ولم يظهر أثر كسوف البتة .

وفيهما في رجب مات باش باي رأس نوبة ، فقرر مكانه في وظيفته إينال الساقى .

• • •

وفي هذه السنة قدم الحاج في ثاني عشر المحرم وأميرهم بيسق وكان قد قبض بمكة على قرقماس أمير الركب الشامى ، فتخوف أن يبلغ خبره أهل الشام فبيعت إليه من يستنقذه منه بين أيلة ومصر ، فبادر وترك زيارة المدينة وأعنف الناس في السير حتى هلك جمع كثير من الناس .

(١) فراغ في جميع النسخ .

(٢) يعادل هذا من الأيام القبطية ١٧ توت ١١٢٤ ، ومن الأيام الفريجية ١٤ سبتمبر ١٤٠٨ وذلك بناء على الجداول

الواردة في محمد مختار : التوقيعات الإلهامية ، ص ٤٠٦ .

وفيهما فَوْضَ الناصر إلى حسن بن عجلان سلطنة الحجاز، فاتفق موته نائب ابن نُعَيْرٍ
 وَقَرَّرَ حسن مكانه أخاه عجلان بن نُعَيْرٍ فثار عليهم جماز بن هبة الذي كان أمير المدينة
 وأرسل إلى الخدّام بالمدينة يستدعيهم فامتنعوا، فدخل المسجد النبويّ وأخذ ستارتيّ باب
 الحجرة وطلب من الخدّام تسعة آلاف درهم على أن لا يَتَعَرَّضَ للحاصل، فامتنعوا، فضرب
 كبيرهم وكسر القُفْلَ وأخذ عشر حوائج خاناه وصندوقين كبيرين وصندوقاً صغيراً بما في ذلك
 من المال وخمسة آلاف شقة بطائن، وصادر بعض الخدّام، ونزح عنها فدخل عجلان
 ابن نُعَيْرٍ ومعه آل منصور فنوديّ بالأمان، ثم قدم عقبه أحمد بن حسن بن عجلان ومعهم
 عسكر وصحبتهم أبو حامد بن المطريّ متولياً قضاء المدينة عوضاً عن الشيخ أبي بكر بن حسين،
 وياشر ذلك في أثناء السنة فلم تطل مدته ومات في آخرها .

وفيهما جُهِزَ الدينار الناصري على زنة الإفلورى وتعامل به الناس .

وفي شعبان صرف ابن حجّي عن القضاء وأعيد ابن الإخنائي ونقم عليه مكاتبة نوروز
 فبُرِطِلَ بثلاثمائة ثوبٍ يعلبكي فانطلق ، ثم قدم توقيع ابن حجّي فعاد إلى القضاء وصُرف
 الإخنائي ، وصُرف الباعوني عن خطابة دمشق وقُرر فيها القاضي ناصر الدين بن البارزي .

وفي التاسع منه قدم يشبك الموساوي دمشق فتلقاه شيخٌ وأكرمه وتوجّه من عنده إلى
 حلب ، ثم رجع في أواخر رمضان فأكرمه شيخٌ وأعادته إلى القاهرة .

وفي نصف شعبان قرئ كتابُ الناصر بدمشق بإلزام الناس بعمارة ما خرب من المدارس
 بدمشق .

وفيه استقرّ ناظر الجيش بدمشق ناظراً على القدس والخليل وناظر أوقافها .

وفيه قرر شيخُ الطنْبُغَا القرمشي حاجبَ الحجاب بدمشق عوضاً عن برمباي بحكم
 تَسَجُّبه .

وفيه - في العشر الأخير من رمضان - خرج شيخ إلى جامع دمشق فدخله حافياً متواضعاً
وتصدق بصدقات كثيرة، وذلك في ليلة الحادى والعشرين منه، وأصبح يطلب أرباب السجون
فادعى عنهم وأطلقهم .

وفيهما غلب قرا يوسف على تبريز فملكها انتزاعاً من أيدي التمرية وكانت بيده قبل
ذلك .

وفيهما حج بالناس من القاهرة أحمد بن الأمير جمال الدين الأستاذار وغرم جمال الدين
على حجة ولده هذه أربعين ألف دينار وزيادة .

وفي ذى القعدة هبت رياح شديدة عاصفة بالقاهرة .

وانسلخت هذه السنة والناصر مصمم على العزم على العود إلى دمشق لمحاربة شيخ
وأعدائه فيها .

* * *

وفيهما نازل قرايلك عثمان بن قطلوبك التركمانى صاحب ماردين^(١) وبها الصالح
أحمد بن إسكندر بن الصالح الأرتقى آخر ملوك بنى أرتق، فاستنجد بقرا يوسف فأنجده
ثم طلب منه أن يقايضه بالموصل عوضاً عن ماردين فتراضيا على ذلك وأعطاه عشرة آلاف
دينار وألف فرس وعشرة آلاف شاة وزوجه بابنته، فتحول إلى الموصل واستولى نواب قرايوسف
على ماردين وزالت منها دولة الأرتقية بعد أكثر من ثلاثمائة سنة، وانتهت بذلك دولة
بنى أرتق، ثم لم يلبث الصالح بالموصل سوى ثلاثة أيام ومات فجأة هو وزوجته، فيقال
لأنه دس عليهما سم . وتحول أولاده : محمد وأحمد وعلى ومحمود إلى سنجار فأقاموا بها
إلى أن ماتوا سنة ١٤ بالطاعون .

* * *

(١) في «آمد ماردين»، وفي الأصل: «أمير ماردين» .

ذكر من مات سنة احدى عشرة وثمانمائة من الاعيان

مات فيها من الأمراء :

١ - أرسطای^(١) نائب الإسكندرية وكان من كبار الأمراء الموجودين ، باشر في دولة الملك الظاهر رأس نوبة كبيراً ، وكان له حرمة عند المالك ، وولى الحجوبية في دولة الناصر ومات بالاسكندرية في العشر الأوسط من ربيع الآخر .

٢ - باش باى - بفتح الموحدة وسكون المعجمة بعدها موحدة أخرى خفيفة - تنقل في سلطنة الناصر حتى استقر رأس نوبة كبيراً ، فمات في جمادى الآخرة بالقاهرة .

٣ - إينال الأجرود : ذبح مع مَنْ أَمَرَ الناصر بذبحهم من الأمراء .

وكذلك :

٤ - أرنبغا .

٥ - وبيبرس ابن أخت الظاهر .

٦ - وسودون الساردينى .

٧ - وبيغوت .

٨ - وثابت بن نعيم بن منصور بن جماز بن شيحة الحسينى أمير المدينة ، وليها

سنة سبع وثمانين ، وعزل عنها بجماز ثم وليها بعد عزل جماز .

ومات في هذه السنة :

(١) ترجم له السخارى في الضوء اللامع ٢/٨٢٤ ، وقال « أهله شيخنا » يعنى في الإنباء ، والقبط من
Wlet : op. cit. No. 356.

٩ - إبراهيم بن علي الباريني الشاهد إمام مسجد الجوزة^(١) ، سمع من ابن أميلة^(٢) الجزء الأول من « مشيخة الفخر » ، وكان أحد العدول بدمشق ، مات في ذي الحجة وقد جاوز الخمسين .

١٠ - أحمد بن عبد الله بن الحسن بن طوغان بن عبد الله بن الحسن بن طوغان ابن عبد الله الأوحدي^(٣) شهاب الدين المقرئ الأديب ، وُلد في المحرم سنة إحدى وستين ، وقرأ بالسبع على التقي البغدادي ، ولازم الشيخ فخر الدين البليبي ، وسمع على ناصر الدين الطبردار وجویریة وابن الشيخة وغيرهم ، وسمع معي من بعض مشايخي ؛ وكان جده - الحسن ابن طوغان - قدم من بلاد الشرق سنة عشر وسبعمائة فاتصل بخدمة بيبرس الأوحدي نائب القلعة وناب عنها فشهّر بذلك ، وكان شهاب الدين هذا لهجا بالتاريخ ، وكتب مسوّدَةً كبيرة لخطط^(٤) مصر والقاهرة وبيّضَ بعضه وأفاد فيه فأجاد ، وله نظم كثير أنشدنا منه ، فمنه :

إِنِّي إِذَا مَا نَابَيْتِي أَمْرٌ نَفَى تَلْدِي
وَاشْتَدَّ مِنِّي جَزَعِي وَجَهْتُ وَجْهِي لِلدِّي

ومات في تاسع عشر جمادى الأولى :

١١ - أحمد بن علي بن إسماعيل بن إبراهيم بن موسى البليبي الأصل المقرئ المالكي

(١) انظر النجدي : الدارس في تاريخ المدارس ٢/٤٢٨ .
(٢) هو عمر بن حسن بن مزيد بن أميلة المراعي المتوفى سنة ٧٧٨ ، وكان كثير التحديث كما عظم الانتفاع به ، انظر ابن حجر : الدرر الكامنة ٣/٢٩٩٧ ، وشذرات الذهب ٦/٢٥٨ ، وإنباء الفسر ج ١ ص ١٤٢ ، ترجمة رقم ٥٥ .
(٣) نسبة لبيرس الأوحدي نائب القلعة كما سيأتي بعد قليل .
(٤) أشار السخاوي في الضوء اللامع ج ١ ص ٣٥٨ - ٣٥٩ إلى أنه بيض بعضها فيبضها المقرئ ونسبها لنفسه مع زيادات .

المعروف بابن الطَّرِيف^(١) ، تاج الدين ، سمع من ناصر الدين التونسي وغيره ، وطلب العلم فأتقن الشروط ومهر في الفرائض وانتهى إليه التمهّر في فنّه ، مع حظ كبير من الأدب ومعرفة حلّ المترجم وفكّ الألغاز مع الذكاء البالغ ، وقد وقّع للحكام وناب في الحكم ، وكان يودّنى كثيراً وكتب عني من نظمي ، وقد نُقِمَ عليه بعض شهاداته وحُكِمَ به ، ثم نزل عن وظائفه بأخرة وتوجّه إلى مكة فمات بها في شهر رجب ، وقد نسخ بخطه « تاريخ الصفدي الكبير » ، و « تذاكره » بطولها ، ورأيتُ بخطه في سنة مجاورتي « شرح عروض ابن الحاجب » وغير ذلك .

١٢ - أحمد بن محمد بن ناصر بن علي الكنانيّ المكي ، وُلِدَ قبل الخمسين^(٢) ورحل إلى الشام فسمع من ابن قوالح وابن أميلة بدمشق ومن بعض أصحاب ابن مزيه بحماة ، وتفقه حنبلياً ، وكان خيراً فاضلاً ، جاور بمكة فحصل له مرضٌ أقعده فعجز عن المشي حتى مات سنة ٨١١^(٣) .

١٣ - أحمد بن محمد التَّلْفُفِرِي^(٤) ثم الدمشقي ، شهاب الدين كاتب المنسوب ، مات بدمشق كهلاً ويقال كان أستاذًا في ضرب القانون ، حسن المحاضرة .

١٤ - أحمد بن محمد اليفموري شهاب الدين ، ولي الحجوبية وشدّ الدواوين بدمشق ، وكان مشهوراً بالمعرفة في المباشرة ، ورأيتُه عند جمال الدين الأستاذار ، وكان يُظهِر محبة العلماء وتعجبه مباحثهم ويفهم جيداً . مات في جمادى الأولى .

١٥ - بركة^(٥) بن موسى بن محمد بن محمود ، بدر الدين بن شرف الدين بن شمس الدين بن الشهاب ، الحلبي الأصل ثم الدمشقي ، وُلِدَ سنة سبعين تقريباً ، وولى وكالة بيت المال ثم كتابة السر بدمشق يسيراً ثم نظر الجيش ، وكان كثير التخليط والهجوم على المعضلات مع كرم النفس ورقة الدين . مات في صفر خنقاً بأمر جمال الدين الأستاذار .

(١) الضبط من السخاوي : الضوء اللامع ٤٠/٢ .

(٢) « قبل الخمس » في الضوء اللامع ٥٦٦/٢ .

(٣) أرخه الفاسي سنة ٨١٢ .

(٤) الضبط من ز .

(٥) انظر فيما بعد ، ص ٤١٦ ، حاشية رقم ٤ .

١٦ - أبو بكر بن محمد بن أحمد بن عبد العزيز الدمشقي ، البعلوني الأضل ، تقي الدين ابن شيخ الربوة ، اشتغل في الفقه ومهرفى مذهب أبي حنيفة ودرّس بالمقدّمية^(١) وأفتى ، وكان قد اشتغل على الشيخ صدر الدين بن منصور وغيره . مات في ربيع الأول عن ستين سنة ، ويقال إنه تغيّر حاله في الفتوى والحكم بعد فتنة اللنك .

١٧ - أبو بكر بن محمد بن صالح الجبلي - بكسر الجيم بعدها موحدّة ساكنة - ابن الخياط الشافعي اليمنى ، تفقّه بجماعة من أئمة بلده^(٢) ، ومهرفى الفقه ودرّس بالأشرفية وغيرها من مدارس تعزّ ، وتخرّج به جماعة ، وكان يقرّر من الرافعى وغيره بلفظ الأصل ، وكان مشاركاً في غير الفقه وله أجوبة كثيرة عن مسائل شتى ، وولى القضاء مكرهاً مدّة بسيرة ثم استعفى . مات في شهر رمضان . رأيتُه بتعزّ .

١٨ - أبو بكر بن محمد السحري^(٣) أحد النبهاء من الشافعية . مات في جمادى الآخرة .

١٩ - الجبّيد^(٤) بن أحمد بن [محمد^(٥) الكازرونى] البلياني^(٦) الأصل نزيل شيراز ، سمع مع أبيه بمكة من ابن عبد المعطى والشهاب ابن ظهيرة وأبي الفضل النويرى وجماعة ، وبالمدينة وبلاده ، وأجاز له القاضى عزّ الدين بن جماعة ، ومن دمشق عمر بن أميلة وحسن ابن هبل والصلاح بن أبي عمر في آخرين ، خرّج له عنهم الشيخ شمس الدين الجزرى مشيخةً وحدّث بها . ومات في هذه السنة بعد أن صار عالم شيراز ومحدّثها وفاضلها . أفادنا

(١) الأرجح أنها المقدّمية الجوانية بدمشق ، إذ ورد في النعمى : الدارس في تاريخ المدارس ١/٩٨٨ أن أباه كان مدوساً بها .

(٢) أي مدينة تعزّ كما أشار لذلك الضوء اللامع ج ١١ ص ٧٨ رقم ٢١٣ .

(٣) « السجزي » في الضوء اللامع ، ج ١١ ص ٩٤ ترجمة رقم ٢٥٥ .

(٤) هذه الترجمة غير واردة في ط .

(٥) فراغ في ز ، ك ، ه ، ش ، ث ، والإضافة من الضوء اللامع ٣/٣١٢ .

(٦) الضبط من الضوء اللامع ج ٣ ص ٧٩ حاشية رقم ١ ، حيث ذكر أن « بليان » من أعمال شيراز ؛ حل

أنه ورد في معجم ياقوت ١/٤٩٣ (طبعة بيروت) أنها بالضم وتشديد اللام وفتحها وياه مخففة ، وقال في تعريفها « موضع في شعر زهير » .

عنه ولده الشيخ نور الدين محمد^(١) لما قدم رسولاً عن ملك الشرق بكسوة الكعبة في سنة ثمان وأربعين .

٢٠ - سليمان بن عبد الناصر بن إبراهيم الإبيشيطي الشافعي ، الشيخ صدر الدين ، وُلد قبل الثلاثين ، واشتغل قديماً وبرع في الفقه وغيره ، وكتب الخط الحسن وجمع ودرّس وأفاد وأفتى ، وسمع من الميدوي وغيره ، وناب في الحكم بالقاهرة وغيرها ، وكانت فيه سلامة ، وكان صدر الدين المناوي يعظّمه ، وعجز بآخره وانهرم وتغيّر قليلاً مع استحضاره العلم جيداً . جاوز الثمانين .

٢١ - شعيب بن عبد الله أحد من كان يُعتقد في القاهرة من المجذوبين ، وكان يسكن في حارة الروم . مات في رجب .

٢٢ - ضياء الدين ضياء بن عماد الدين التبريزي ، كان ديناً فاضلاً محباً في الحديث ، كثير النفور من الاشتغال في العقليات ، ملازماً لقراءة الحديث وسماعه وإسماعه مع لزوم إسناده ، ملازماً للخير ، مات في هذه السنة ، أخبرني بذلك الشيخ عبد الرحمن التبريزي صاحبنا وهو [الذي] ترجمه لي^(٢) .

٢٣ - علي بن أحمد بن عماد الدهياطي العلاف المعروف بابن العطار ، كان يجيد نظم المواليا ويحفظ منها شيئاً كثيراً ، كتب عنه الشيخ تقي الدين المقريزي وقال : « لقيته شيخاً مُسناً » .

قُلْتُ لَوْ كَلَّ الْمُنَى عَقَدَ الْجَفَا حُلَى
وَسُكَّرِ الْوَصَلِ فِي دَسْتِ الْوَفَا حَلَى
قَالَتْ جَمَالِي بَاءً حَوَاعِ الْبِهَا حَلَى
وَالغَيْرِ قَدْ حَازَ حَسَنِي وَأَنْتِ فِي حَلَى

(١) راجع ترجمته في الضوء اللامع ٥٢٨/٧ .

(٢) وردت الترجمة التالية بعد هذا : « عبد الرحمن بن يوسف الكفري ، تقدم في سنة تسع وثمانمائة »

٢٤ - علي بن موسى بن أبي بكر بن محمد الشيبى - من بنى شعبة حجة الكعبة - وكان محمد والد جدّه دخل اليمن فوصل إلى حرّص^(١) فخرج إلى الحرّث^(٢) ساحل مور^(٣) وهو وادٍ عظيم به عدّة قرى منها الحسانية : قرية أبي حسان بن محمد الأشعري وكان ممن يُعتَقَد ، فاتَّفَق أن طائفتين من قومه وقعت بينهما فقتل بينهم قتيل فاستوهب دمه فقالوا له بشرط « أن تسكن معنا » فأسس لهم مكان قرية فسكنوه وهو معهم فنُسبت إليه ؛ وكانت له أخت فزوّجها بمحمد والد أبي بكر لأنه تفرّس فيه الخير فأقام عندهم ، فلما حملت توجه ملكة وعهد لامرأته إن ولدت ذكراً أن تسميه « أبا بكر » ففعلت ، ومات الشيخ أبو حسان فخلفه في زاويته ولد أخته أبو بكر المذكور .

وكان لأبي حسان إتساعٌ من الدنيا ، وكانت النذور تصل إليه من عدة بلاد فظهرت لأبي بكر كرامات ، وخلفه في زاويته ولده علي وكان كثيرَ العبادة والتجريد ، ويقال إنه قعد مدة لا يأكل في الأسبوع غير مرة ولم يتعلّق بشئٍ من أمور الدنيا ، وخلفه في مكانه ولده إسحق بن علي وكان على طريقته إلى أن مات ، فخلفه أخوه موسى وكان عابداً صاحب مكاشفات وكرامات ، وكان ذكياً مذاكراً ، فلما مات قام ولده موسى بن علي بن أبي بكر فاشتهر بالصلاح والدعاء والسخاء وحسن الخلق وكثرة الخير وطول الصمت ، وكان يُدوّن على سماع الحديث والتفسير على الفقيه أحمد العلقى ، وكان نزل فيهم وتزوّج الفقيه علي بن موسى أخته . وكان الشيخ علي يذاكر بكثير من الحديث والتاريخ والسيرة ، مع المحافظة على الوضوء وصلاة الجماعة ، وكان موسّعاً عليه في الدنيا ويلبس أحسن الثياب ، وله ولدٌ اسمه عبد الله^(٤) نصب بعده بالزاوية وكان كثير التلاوة ومات في سنة إحدى وثلاثين وثمانمائة . وسيأتى ذكر قريبه محمد بن أحمد بن حسين بن أبي بكر الشيبى فيمن مات

(١) انظر ابن عبد الحق البغدادي : مراد الاطلاع ٣٩٢/١ .

(٢) في « الحادث » ، والضبط بالتمن من مراد الاطلاع ٣٩١/١ .

(٣) ورد التعريف به في مراد الاطلاع ١٣٣١/٣ بأنه أحد مشارف اليمن الكبار وإليه يصب أكثر أودية اليمن .

(٤) انظر ترجمته في الضوء اللامع ١٢٨/٥ .

سنة تسعٍ وثلاثين وثمانمائة ، نقلتُ ذلك من « تاريخ اليمن » للجنيدى تذييل الشيخ حسين بن الأهدل .

٢٥ - عمر بن إبراهيم بن محمد بن عمر بن عبد العزيز بن محمد بن أحمد بن هبة الله ابن محمد بن هبة الله بن أحمد بن يحيى بن زهير بن هارون بن موسى بن عيسى بن عبد الله ابن أبي جرادة محمد بن عامر العقيلي ، القاضي كمال الدين أبو القاسم الحلبي ثم المصري المعروف بابن العديم ، وُلد سنة أربع وخمسين^(١) واشتغل ببلده وناب في الحكم ، ثم استقلَّ به في سنة أربعٍ وتسعين عوضاً عن ابن الجاولي فباشره بحرمة وافرة ، وحصل أملاكاً وثروةً كبيرة ، وكان وجيهاً عند الكبار وله حرمة وافرة ، وأصيب في اللنكية ثم دخل القاهرة في آخر السنة ، وقدم القاهرة غير مرة ، وفي الآخر استوطنها لما طرَق الططر البلاد الشامية فأسير مع مَنْ أسير ، ثم خلص بعد رجوع اللنك فقدم القاهرة في شوال وحضر مجلس القاضي أمين الدين الطرابلسي قاضي الحنفية ، ثم سعى وولى القضاء بها في سادس عشرى رجب سنة خمسٍ وثمانى مائة ، ثم درّس بالشيخونية انتزعها من الشيخ زادة بحكم اختلال عقله لمرضٍ أصابه ، وكان له ولدٌ نجيبٌ غايةً في الذكاء حسن الخلة قد ناب عن والده مدةً فما قدر على مقاومته ، وعاشر الأمراء وداخل الدولة وكبر جاهه وعظم ماله ، وكان لا يتحاشى من جمع المال من أيِّ وجهٍ كان ؛ وقد سمع من ابن حبيب وابنه ، وكان من رجال الدنيا دهاءً ومكرأً ، ماهراً في الحكم ، ذكياً خبيراً بالسُّعْي في أموره ، يقظاً غير متوانٍ في حاجته ، كثير العصبية لمن يقصده . مات قبل رجب بنحوٍ من عشرين يوماً بعد أن نزل لولده محمد - وهو شاب - عن تدريس الشيخونية وقبلها المنصورية وباشرهما في حياته وأوصاه أن لا يفتر عن السُّعْي في القضاء فامثل أمره واستقرَّ بعده .

وكان الكمال كثير المروعة متواضعاً بشوشاً كبير الجرأة والإقدام والمبادرة في القيام في حظِّ نفسه ، محبباً في جمع المال بكل طريق ، عفا الله عنه .

(١) أمامها في هامش « في تاريخ المقرئ سنة اثنين وستين . كذا نقل لي عنه . »

قال القاضي علاء الدين في تاريخه : « استقلَّ بالقضاء سنة أربعٍ وتسعين وسبعمائة عوضاً عن جمال الدين بن الحافظ فباشره بحرمةِ وافرَة ، وكان رئيساً له مروءةً وعصبيةً ، هارفاً بأُمور الدنيا ومعاشرةَ الأكابر ومخالطةَ أهل الدولة » .

٢٦ - عيسى بن موسى بن صبح الرمثاوى الشافعى أحد العدول بدمشق ، مات في أول عشر السبعين .

٢٧ - قاسم بن على بن محمد بن عليّ الفاسى ، أبو القاسم المالكى ، سمع من أبى جعفر الطنجالى الخطيب والقاضى أبى القاسم بن سلمون وأبى الحسين محمد بن أحمد التلمسانى فى آخرين يجمعهم برنامجه ، وتلا بالسبع على جماعة ، وقرأ الأدب وتعالى النظم . جاور بمكة فخرَج له صاحبنا غرس الدين [خليل] الأقفهسى^(١) مشيخةً وحَدَّث بها ، وكان يَدُكِّرُ أنها سُرقت منه بعد رجوعه من الحج ويُكثِرُ الأسف عليها . لقيته بالقاهرة وأنشد فى لنفسه إجازة :

مَعَانِي عِيَاضٍ أَطْلَعْتُ فَجَرَ فخرِهِ لِمَا قَد شَفَى مِنْ مُؤَلِمِ الْجَهْلِ بِالشِّفَا
مَعَانِي رِيَاضٍ مِنْ إِفَادَةِ ذِكْرِهِ شَذَا زَهْرَهَا^(٢) يُحْيِي مَنْ أَشْفَى عَلَى شِفَا

مات بالمارستان المنصورى ، وكان قد مدح جمال الدين الأستاذ وأثابه .

٢٨ - محمد بن إبراهيم بن بركة العبدلى ، شمس الدين المزين الشاعر المشهور بدمشق ، وُلد سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة ، ومهَّر فى نظم الشعر خصوصاً المقاطيع مع عدم معرفته بالعربية ، رأيتُه بدمشق وأنشدنى كثيراً من مقاطيعه المجيدة ، وكان يذكر أنه أخذ عن ابن الوردى والصفدى ، وبينه وبين الشيخ أبى بكر المنجم أهاج ، وكان وصوله إلى

(١) هو خليل بن محمد بن محمد بن عبد الرحيم ، ويعرف بالأشقر والأقفهسى ، ولد سنة ٧٦٣ ، وأهم بالحديث دراسة وطلباً وتسيماً ، وكان قدومه القاهرة سنة ٧٩٨ ، ورحل إلى اليمن ودمشق والمدينة ومكة ثم رحل إلى الهند حيث كُتِبَتْ له ثم مضى إلى هرمز وهرات وسمرقند ، واشتغل فى رحلته بالتجارة أيضاً وكانت وفاته سنة ٨٢٠ هـ ، وإذا كان الأقفهسى قد خرج مشيخة للفاسى فقد ترجم له الفاسى الذى وصفه بالمهارة فى « معرفة المتأخرين والمرويات والموال » ، انظر الضوء اللامع ٧٦٥/٣ ، وشذرات الذهب ١٥٠/٧ .

(٢) فى ٥ أزهارها .

(٣) جعل الضوء اللامع ، ٨٧٠/٦ ولادته سنة ٥٧٣٥ هـ .

حلب في صفر ثم دخل دمشق ، واتفق أن التمرية أسروه فاستصحبوه من سنة ثلاثٍ وثمانمائة إلى سمرقند فأقام بها مدةً ثم خلص منهم ، وسار في هذه السنة فقدم إلى دمشق فاستعاد وظائفه ولكنه لم يعيش إلا يسيراً - بعد أن قدم - دون شهر .

وكان يذكر أنه رأى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المنام فبشّره أنه يتخلص من الأسر ويعود إلى دمشق، فكان كذلك .

وعمل مائة مליح عارض بها الصفدى وابن الوردى وسماها « شين العرض بالملاح ، بعد الزين والصلاح » ومن شعره :

لِلشَافِعِيِّ عِذَارٌ يَقُولُ قَوْلًا زَكِيًّا
لَا خَيْرَ فِي شَافِعِي إِنْ لَمْ يَكُنْ أَشْعَرِيًّا

مات في جمادى الآخرة^(١) .

٢٩ - محمد بن إبراهيم بن عبد الله الكردى ، الشيخ شمس الدين القدسي نزيل القاهرة ، وُلد^(٢) سنة سبعٍ وأربعين وسبعمائة وصحب الصالحين ، ثم لازم الشيخ محمد القرى ببیت المقدس وتلمذ له ، ثم قدم القاهرة فقطنها ، وكان لا يضع جبينه بالأرض بل يصلّى في الليل ويتلو ، فإن نعس أغفى إغفاءةً وهو مُحْتَبٍ ثم يعود ، ومن شعره :

لَمْ يَزَلِ الطَّامِعُ فِي ذَلَّةٍ قَدْ شُبِّهَتْ عِنْدِي بِذَلِكَ الْكَلَابِ
وَكَيْسَ يَمْتَأَزُ عَلَيْهِمْ سِوَى بُوْجْهِهِ الْكَالِحِ^(٣) ثُمَّ الثَّيْسَابِ

وكان يواصل الأسبوع كاملاً^(٤) ، وذكر أن السبب فيه أنه نعس مع أبويه قديماً فأصبح لا يشتهي أكلاً ، فتأدى على ذلك ثلاثة أيام ، فلما رأى أنّ له قدرةً على الطى تئدى

(١) أشار الضوء اللامع ٨٧٠/٦ إلى أن المقرئى جزم بهذا الشهر ، حل حين أن هناك من يقول إن وفاته في شعبان من هذه السنة ، كما أنها كانت في السنة التي بعدها .

(٢) كان مولده بالقدس ، انظر الضوء اللامع ٨٩٠/٦ .

(٣) « الصالح » في ك .

(٤) يعنى بلا أكل كما سيرد حالا .

فيه فبلغ أربعاً ثم انتهى إلى سبعٍ . وكان يعرف الفقه على مذهب الشافعي ، وكان يُكثر من قوله في الليل :

قَوْمُوا إِلَى الدَّارِ مِنْ لَيْلٍ نَحْيِيهَا نَعَمْ وَنَسْأَلُهَا عَنْ بَعْضِ أَهْلِهَا

ويقول أيضاً: « سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا »^(١)، وكان يذكر أنه يقيم أربعة أيام لا يحتاج إلى تجديد وضوء . مات بمكة في ذي القعدة .

٣٠ - محمد^(٢) بن أحمد بن عبد الله القزويني ثم المصري، الشيخ شمس الدين، سمع من مظفر الدين بن العطار وغيره ، وكان على طريقة الشيخ يوسف الكوراني المعروف بالعجمي ولكنه حسن المعتقد كثير الإنكار على مبتدعة الصوفية. اجتمع في مراراً وسمعت منه « تلخيص أحاديث » ؛ وكان كثير الحج والمجاورة بالحرمين . مات في شعبان بمكة .

٣١ - محمد بن حسين بن الأمين محمد بن القطب محمد بن أحمد بن علي القسطلاني ، أبو الحسن زين الدين المكي ؛ سمع من عثمان بن الصفي وغيره ، مات في ربيع الآخر عن نحو سبعين سنة فإن مولده سنة ٤٢ .

٣٢ - محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن خلف الخزرجي المدني ، أبو حامد رضى الدين بن تقي الدين بن المطري ، وُلد سنة ست وأربعين وسبعمائة ، وسمع من العز ابن جماعة ، وأجاز له يوسف الدلاصي والميدوي وغيرهما من مصر، وابنُ الخباز وجماعة من دمشق ، وكان نبياً في الفقه ، وله حظٌّ من حُسْنِ خَطِّ ونظم ودين ، وكان مؤذناً الحرم النبويّ وبيده نظر مكة ، ثم نازع صهره شيخنا زين الدين بن الحسين في قضاء المدينة فوليه في أول سنة إحدى عشرة ، فوصلت إليه الولاية وهو بالطائف فرجع إلى مكة وسار إلى المدينة فباشرقية السنة وحجّ فتمرض فمات عقب الحجّ في سادس عشر ذي الحجة عن إحدى وستين سنة .

(١) سورة الإسراء ، آية ١٠٨ .

(٢) ذكره السخاوي بهذا الاسم ثم قال إن ابن حجر سمى جده محمداً في معجمه ، وأن هذا هو الصواب ، الضوء اللامع ج ٦ ص ٢٢٨ ، وهذا ترجم له في الضوء ج ٧ ص ١٠٥ رقم ٢٢٦ ، كما ذكر - نقلاً عن ابن حجر أيضاً ، ولعل ذلك في المعجم - أنه كان يسكن في زاوية المعجم بالقراة .

٣٣ - محمد بن علي بن محمد بن محمود بن علي بن عبد الله بن منصور السلمي ،
شمس الدين الدمشقي المعروف بابن خطيب زرع^(١) ، كان جدّ والده خطيب زرع فاستمرت
بأيديهم ، وولد هذا في ذى الحجة سنة أربع وسبعين ، وكان حنفيًا فتحول شافعيًا وناب
في قضاء بلده ، ثم تعلق على فنّ الأدب ونظم الشعر ، وباشر التوقيع عند الأمراء ، ثم اتصل
بابن غراب^(٢) ومدحه وقدم معه إلى القاهرة ، وكان عريض الدعوى جدًّا

واستخدمه ابنُ غراب في ديوان الإنشاء ، وصحب بعض الأمراء وحصل وظائف ، ثم
رقت حاله بعد موت ابنِ غراب إلى أن مات في ذى القعدة ، وهو القائل :

وأشقر في وجهه غرة كأنها في نورها فجر
بل زهرة الأفق لأنني أرى من وقها قد طلع البدر

وله فيما اقترح عليه فيما يقرأ مدحًا فإذا صحف كان هجوا :

التاج بالحق فوق الرأس يرفعه إذ كان فردًا حوى وضفا مجالسه
فضلاً وبذلاً وضنماً فاجراً وسخاً فأسأل الله يبيّبه ويحرسه^(٣)

مات في ذى القعدة .

٣٤ - محمد بن محمد بن عبد القادر بن محمد بن عبد الرحمن بن يوسف البعلبكي

ثم الدمشقي المعروف بابن الفخر ، كان خيرًا في عدول دمشق . مات في شعبان .

(١) الضبط من ز ، هذا وقد عرفها ياقوت : المعجم ٩٢١/٢ بأنها قرية صغيرة من أعمال حوران ، وكذلك جملها
Dussaud : op. cit. p. 375 وإن كان قد ذكر الاختلاف في نطقها فأشار إلى أن بعضهم كياتوت ضبطها
بضم الزين وسكون الراء والعين ، والبعض الآخر كابن بطوطة يفتح العين ويختتمها بتاء . ثم عاد نفس المؤلف op. cit.
p. 516 ، فأشار إلى النطق الأول وأنها تنطق أيضاً Zourra ، وهذا في القديم ، وأنه وردت الإشارة إليها في إحدى
رسائل تل المارّة .

(٢) وذلك حين جيئه إلى دمشق حيث استخدمه في ديوان الإنشاء .

(٣) تصحيف هذين البيتين كما أورد في الشذرات ٩٤/٧ هو :

الباح بالخف فوق الرأس يرفعه إذ كان فردًا حوى وضفا مجالسه
فضلاً وبذلاً وضنماً فاجراً وسخاً فأسأل الله يبيّبه ويحرسه .

٣٥ - محمد بن محمد بن علي بن منصور الحنفي ، بدر الدين بن قاضي القضاة صدر الدين ، وُلد سنة ست وخمسين تقريباً ، وولى قضاء العسكر في حياة أبيه وتدرّس الركنية^(١) ، وخطب بجامع منكلي بغا ، وكان قليل البضاعة وكانت له دنيا ذهبّت في الفتنة . مات في رمضان .

٣٦ - محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن فهد الهاشمي نجم الدين ، سمع من العزّ بن جماعة وابن عبد المعطى وغيرهما وحدث ، وأقام بأصفون^(٢) الجليلين من صعيد مصر مدة ثم رجع ومات بمكة في ربيع الأول وقد جاوز الخمسين ، وهو والد صاحبنا تقي الدين ؛ وقد مات أبوه^(٣) كمال الدين في سنة سبعين .

٣٧ - محمد بن محمد بن محمد بن عبد البر بن يحيى بن علي بن تمام السبكي ، جلال الدين بن بدر الدين بن أبي البقاء الشافعي المصري ، وُلد قبل سنة سبعين ، واشتغل في صباه قليلاً ، وكان جميل الصورة لكنه صار قبيح السيرة كثير المجاهرة بما أزرى بأبيه في حياته وبعد موته بل لولا وجوده لما ذمّ أبوه .

وقد ولى تدرّس الشافعي بعد أبيه بجاه ابن غراب بعد أن بذل في ذلك داراً تساوى ألف دينار ؛ وولى تدرّس الشيخونية بعد صدر الدين المناوي بعد أن بذل لنوروز مالاً جزيلاً وكان ناظرها . مات في جمادى الأولى^(٤) .

(١) هناك مدرستان بدمشق إحداهما الركنية الجوانية للشافعية ، والأخرى الركنية البرانية للحنفية ، والأرجح أن المقصود في المتن هو الركنية الجوانية ، فقد كان ابن منصور شافعيًا ، انظر عنها التميمي : الدارس في تاريخ المدارس ٢٥٣/١ وما بعدها ، وعن البرانية ، نفس المرجع ٥١٩/١ وما بعدها .

(٢) فراغ في ز ، وقد ورد في هامش ظ (٢١٨ ب) « بالصعيد » ، وفي هـ « أموان » ثم إشارة فوقها ، وإزاءها في الهاشم « بأصفور » ، وقد صحح ما بالمئن بمد مراجعة ترجمة ابنه تقي الدين الواردة في الضوء اللامع ٧٢٧/٩ ، وفي ك « بأصفون بصعيد مصر » ، وهي نفس عبارة الشذرات ٧/٩٥ ، وقد عرفها ياقوت : المعجم ١/٢١٢ بأنها قرية بالصعيد الأعلى على الشاطئ الغربي للنيل تحت إسنا ، وانظر القاموس الجغرافي لبلاد المصرية ، ق ٧ ، ج ٤ ، ص ١٥٢ .

(٣) أي والد صاحب الترجمة وهو محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن فهد الهاشمي ، انظر الدرر الكامنة ٤/٤٣٨٢ .

(٤) جاء بمد هذا ترجمة « بركة بن موسى بن محمد بن الشباب الحلبي » ، وقد نقلناها إلى موضعها في حرف الباء ،

انظر ما سبق ترجمة رقم ١٥ ص ٤٠٧ .

٣٨ - يلبغا بن عبد الله السالمى الظاهرى ، كان من ممالك الظاهر ثم تمهر وصيره خاصكياً ، وكان ممن قام له بعد القبض عليه في آخر صفر فحمد له ذلك ، ثم ولأه النظر على خانقاه سعيد السعداء سنة سبع وتسعين ووعده بالإمرة ولم يعجلها له ، فلما كان في صفر سنة ثمانى مائة أعطاه إمرة عشرة وقرره في نظر الشيخونية في شعبان ، وكان يترقب أن يعمل نيابة السلطنة فلم يتم ذلك ، ثم جعله الظاهر أحد الأوصياء فقام بتحليف ممالك السلطان لولده الناصر ، وتنقلت به الأحوال بعد ذلك فعمل الأستاذارية الكبرى والإشارة وغير ذلك على ما تقدم ذكره مفصلاً في الحوادث، ثم في الآخر ثار الشر بينه وبين جمال الدين فعمل عليه حتى سجنه في الإسكندرية .

وكان طول عمره يلازم الاشتغال بالعلم ولم يفتح عليه بشئ منه سوى أنه كان يصوم يوماً بعد يوم ويكثر التلاوة وقيام الليل والذكر والصدقة ، وكان لجوجاً مصمماً على الأمر الذى يريده ولو كان فيه هلاكه ، ويستبد برأيه غالباً ، وكان سريع الانفعال مع ذلك .

وكان يحب العلماء والفضلاء ، وقد لازم سماع الحديث معنا مدة ، وكتب بخطه الطبايق ، وأقدم علاء الدين بن أبى المجد من دمشق حتى سمع الناس عليه « صحيح البخارى » مراراً ، وكان يباليغ في حب ابن العربى وغيره من أهل الطريقة ولا يؤذى من ينكر عليه .

مات مخنوقاً وهو صائمٌ في شهر رمضان بعد صلاة عصر يوم الجمعة ، وما عاش جمال الدين بعده إلا دون عشرة أشهر .

ومن محاسنه في مباشراته أنه قرّر ما يؤخذ في ديوان المرتجع على كل مُقَدَّم : خمسين ألفاً ، وعلى الطبلخاناه : عشرين ألفاً ، وعلى أمراء العشرة : خمسة آلاف ، فاستمرت إلى آخر وقت ، وكان المباشرون في دواوين الأمراء - قبل هذا - إذا قبض على الأمير أو مات يلقون شدة من جور المتحدث على المرتجع ، فلما تقرّر هذا كتب به ألواحاً ونقشها على باب القصر ، وهى موجودة إلى الآن .

وهو الذى ردّ سعر الفلوس إلى الوزن وكانت قد فحشت جدا بالعدم حتى صار وزنُ
الفلس خروبتين .

وكان يذكر أنه من أهل سمرقند وأنّ أبويه سمّياه « يوسف » ، وأنه سُبي فجلّب
إلى مصر مع تاجرٍ اسمه « سالم » ، فنُسب إليه فاشتراه برفوق وصيّره من الخاصكية ؛ وأوّل
مانبّه ذكره ولاية خانقاه سعيد السعداء وذلك فى جمادى الآخرة سنة ٩٧ ؛ وكان يُكثّر
الاجتماع بالعلماء ، ثم ولى إمرة عشرة فى تاسع شعبان سنة إحدى وثمانى مائة ونظرَ خانقاه
شيخون فباشره بعنف ، ثم صار أحد الأوضياء لبرقوق ، وهو الذى قام بتحليف الأمراء
للناصر ، فأوّل ما نُسب إليه من الجور أنه أنفق فى الممالك نفقة البيعة : على أن الدينار
بأربعة وعشرين ، ثم نودى عند فراغ النفقة بأن الدينار بثلاثين ، فحصل الضرر التام
بذلك .

ثم استقرّ فى الأستادارية فى ثالث عشر ذى القعدة سنة سبعٍ فسار سيرةً حسنةً عفيفةً ،
وأبطل مظالم كثيرة منها تعريف منية ابن بنى خصيب وضمان العرصة وأخصاص الغسالين
وأبطل وقَر الشونَ ، وكسر ما بمنية السيرج وناحية شبرا من جرار الخمر [وكان شيئاً كثيراً ،
وتشدّد فى النظر فى الأحكام الشرعية ، وخاشنَ الأمراء وعارضهم فأبغضوه ، وقام فى سنة
ثلاثٍ وثمانمائة فجمع الأموال لمحاربة تمرلك فشنعت عليه القالة كما تقدّم .

وقُبِض عليه فى رجب منها وتسلّمه ابنُ غراب وعمل أستاذاراً وأهانته ، وعوقب وعُصِر
ونُفِى إلى دمياط ، ثم أحضِر فى سنة خمسٍ وثمانمائة وقُرّر فى الوزارة والإشارة ، فباشر على
على طريقته فى العسف ، فقُبِض عليه وعوقب أيضاً وسُجن ، ثم أُفْرِج عنه فى رمضان سنة سبعٍ
وعمل مشيراً فجرى على عادته ، ثم قُبِض عليه وسُلّم لجمال الدين الأستادار فعاقبه ونفاهُ
إلى الإسكندرية فرجمته العامة وهو يسير فى النيل ، فلم يزل بالسجن إلى أن بذل فيه جمالُ
الدين للناصر مالاً جزيلاً فأذن فى قتله فقتل . وكان له مروعة وهمة عالية .

والحمد لله رب العالمين . وصلى الله وسلم على خير خلقه أجمعين .

انتهى المجلد الأول بحمد الله تعالى وعونه وحسن توفيقه سنة اثنتى عشرة وثمانى مائة .

وحسبنا الله ونعم الوكيل .

- (١) من هنا حتى النهاية في هذه الصفحة غير وارد في ظهرا ، ولكن في كذا : « آخر المجلد الأول والحمد لله على العافية ،
 وصل الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كبيرا ، آمين . وحسبنا الله ونعم الوكيل .
 تتلوه سنة اثنتى عشرة وثمانمائة في أول المجلد الثانى إن شاء الله تعالى » .
- وفي نسخة هـ « آخر المجلد الأول والحمد لله على إنعامه ، وصل الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كبيرا .
 آمين وحسبنا الله ونعم الوكيل . يتلوه سنة اثنتى عشرة وثمانمائة ، أعان الله على إكماله » .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رَبِّ يَسِّرْ وَتَمِّمْ بِخَيْرٍ

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى أَشْرَفِ خَلْقِكَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا .

سنة اثنتى عشرة وثمانمائة

استهلَّت والناصر مصمَّم على قصد دمشق للقبض على نائبها شيخ لكونه امتنع من إرسال الأُمراء الذين طلبهم منه ، وقبض على رسوله لذلك وهو كمشبغا الجمالى ، وكان جمال الدين الأستاذار قد جهَّز ولده أميراً على الحاج فتكاسل بالتجهيز ليجهَّز^(٢) ولده قبل رحيلهم والناصر يستحثُّه وهو يُسوِّف إلى أن تحقَّق مكره فصمَّم عليه ، فخرج فى السابع من المحرم تغرى بردى مقدَّم العسكر ومعه من المقدِّمين آقبأى وطوغان وعلائن وإينال المنقار وكمشْبُغا المَزَوَّق ويَشْبَك المُوَسَّوَى وغيرهم من الطبلخانة والماليك ونزلوا بالريدانية .

وسمى ابن العديم فى قضاء الحنفية فأعيد إليها ، وصُرف ابن الطرابلسى وكان قد قبض نفقة السَّفر فلم يستعدها منه جمال الدين بل أضاف إليه مشيخة الشبخونية : انتزعها من ابن العديم .

وركب الناصر من القلعة فى الحادى عشر منه فرحل تغرى بردى ومن معه فى ذلك اليوم ، وقرَّر الناصرُ أرغون الرومى نائبَ الغيبة بالإصطبل ويَلْبُغا الناصرى لفصل الحكومات بالقاهرة ، وقرَّرَ أَحْمَدَ بْنَ أَخْتِ جمال الدين نائبَ غيبةٍ عن خاله فى الأستاذارية ، وكَزَلَّ الحاجب الكبير على عادته .

(١) هذه الأسطر الثلاثة غير واردة فى ظه، ولكن الرارد فى ه هو: « الثانى من إنباء الفمر تأليف شيخنا شيخ الإسلام حافظ المصر قاضى القضاة أبى الفضل شهاب الدين أحمد بن على بن حجر الكنانى المسقلانى الأصل المصرى الشهير بابن حجر رحمه الله » .

(٢) فى « ليحضر » .

وفي أوائل المحرم برز شيخ إلى المرج فأقام بها، ثم أرسل إلى القضاة في حادى عشره وأرادهم على أن يقطع الأوقاف فتنازعوا في ذلك إلى أن صالحوه بثلث متحصّل تلك السنة ، وأرسل إلى قلعة صرخند فحصّن بها أهله وما يعزُّ عليه وملاًها بالأقوات والسلاح ، واستفتى العلماء في جواز مقاتلة الناصر ، فيقال إن ابن الحسين أفتاه بالجواز فنقم عليه الناصر بعد ذلك لما دخل دمشق وسجنه^(١).

وكان ممن قام في ذلك أيضا شمس الدين محمد التّباني وكان قد رحل من مصر إلى شيخ بدمشق فأكرمه ، وبلغ ذلك الناصر فأهانته فيما بعد ، ثم أطلق شيخ المسجونين من الأمراء بدمشق وأرسل المحمدى إلى غزة ، وشاهين وداود إلى الرملة ، وقبض على يحيى بن لاقى وكان يباشر مستأجرات الناصر ، [وقبض] على ابن عبادة^(٢) الحنبلى وصادره على مال كثير ، واستناب بدمشق تنكز بغا ونزل بالمرج .

ووصل الناصر إلى غزة في ثالث عشرى المحرم ففرّ المحمدى، ونزل تغرى بردى الرملة في حادى عشره ففرّ منه شاهين ووصل هو والمحمدى إلى شيخ، فتحول إلى داريا فقدم عليه قرقماس بن أخى دمرداش فاراً من صفد ، وكان الناصر استناب فيها ألطنبغا العثماني فقدمها^(٣) ففرّ منه قرقماس ؛ ثم قدم نائب حماة جانم في أواخر المحرم، فرحلوا جميعاً نحو صرخند، واستصحب [شيخ] جماعة من التجار الشاميين وألزمهم بعشرة آلاف دينار، فوصل ثانى يوم رحيله كتاب الناصر إلى من بدمشق بإنكار أفعال شيخ ويحث عليهم في محاربتة لمخالفته أمر السلطان .

* * *

وفي أول صفر نمّ آقبغا دويدار يشبك على جماعة من الأمراء مثل علان وإينال المنقار وسودون بقجة وغيرهم من الظاهرية أنهم يريدون الركوب على الناصر لتقدمه مماليكه عليهم، وكان جمال الدين الأستاذار وافقهم على ذلك ولم يعلم آقبغا بذلك ، فماج العسكر ليلة الأحد ثانيه واضطرب العسكر، وكثر قلقُ الناصر وخوفه إلى أن طلع الفجر ، وكان نادى في العسكر بالتوجه إلى جهة صرخند لقتال شيخ فأصبح سائراً إلى جهة دمشق ، وكان استشار

(١) انظر ص ٤٢٢، س ٤ - ٥ .

(٢) فت « سعادة » .

(٣) في « تقدم بها » .

كاتب السرّ والأستادار فيما يفعل ، فاتفقوا على أن يقبض على علان وإينال وسودون بقجة المغرب ، ويركب الأستادار إلى ظاهر العسكر ليقبض على من يفر من الممالك إلى جهة شيخ ، فلما تفرقوا راسل الأستادار المذكورين بما هم به السلطان فهربوا ، ومنهم : تمتاز وقرا يشبك وسودون وآخرون ، فأخرج الناصر الكسوة في سادس صفر . ودخل دمشق في سابعه ، وطلب ابن الحسين فاعتقل وابن التبانى فهرب ، وأطلق الناصر المسجونين بالصبيبة ، وقرّر بردبك في نيابة حماة عوضاً عن جانم ، ونوروز في نيابة حلب ثم عزل ، وقرّر دمرداش على حاله ، وبكتمر جلق في نيابة الشام .

وفي نصف صفر وبعده قدم بكتمر جلق نائب طرابلس ودمرداش نائب حلب إلى الناصر .

وفي السادس عشر منه وجه الناصر إلى قرى المرجع والغوطة وبلاد حوران وغيرها يطلب لشعير للعليق ، وقرّر على كل ناحية قدرًا معينًا ، فعظم الخطب على الناس في جبايته .

* * *

وفي العشرين من صفر ظفر جمال الدين بن ناصر الدين بن البارزى وكان قد اتصل بخدمة شيخ فولاه خطابة الجامع الأموى وصرف الباعونى ، فشكاه الباعونى لجمال الدين فحضره بين يديه وضربه ضرباً شديداً واستعاد منه معلوم الخطابة وأمر باعتقاله ، وكان السبب في ذلك أن جمال الدين انتزع خطابة القدس من الباعونى لأخيه شمس الدين البيرى ، فترامى عليه الباعونى فعوضه بخطابة دمشق ، فتعصب جمال الدين يومئذ للباعونى بهذا السبب .

وفي ثانى عشرى صفر أمر جمال الدين بنقل شرف الدين محمد بن موسى بن محمد ابن الشهاب محمود وكان قد عمل كتابة السرّ بحلب ، فحقد عليه جمال الدين أشياء أضمرها في نفسه منه لما كان خاملاً بحلب .

وفيه استعفى نجم الدين بن حجّج من قضاء دمشق فولّاه الناصر للباعوني ، وقرّر ابن حجّج في قضاء طرابلس ، وصرف ابن القطب عن قضاء الحنفية وقرّر شهاب الدين ابن الكشك .

* * *

وفي آخر صفر ركب الخليفة والقضاة بأمر الناصر ونادى في الناس بدمشق يحضهم على مقاتلة شيخ في كلام طويل يُقرأ من ورقة .

وفي الثاني من ربيع الأول برز الناصر إلى جهة صرخد ففرّ إليه من الشيخية : برسباي وسودون اليوسفي ، ووصل إلى قرية عيون تجاد صرخد في السابع من ربيع الأول ووقعت الحرب ، فقتل من الفريقين ناس قليل ، وفرّ جماعة من السلطانية إلى شيخ فاشتدّ حذر الناصر من جميع من معه وتخيّل أنّهم يخذلونه إذا التقى الجمعان فبادر إلى القتال ، فانهزم تراز - وكان في مقدّمة شيخ - وثبت شيخ ، ولم يزل يتقهقر^(١) إلى أن دخل خذلان مدينة صرخد وانتهب السلطانية وطاقه وجميع ما كان لأصحابه من خيل وأثاث ، وفرّ شيخ فدخل القلعة ومعه ناس قليل ، فأصعد الناصر طائفة من مماليكه إلى أعلى منارة الجامع ورموا عليهم بالنفط والحجارة والأسهم الخطائية وانتهب مدينة صرخد ، وانهزم تراز وسودون بقجة وسودون الجلب وسودون المحمدي وتمربغا المشطوب في عدد كثير إلى جهة دمشق ، فأرادوا أن يهجموها فمنعتهم العامة ، فرجعوا إلى جهة الكرك وتسلّل كثير منهم فدخلوا دمشق ، ووصل كتاب الناصر عقبهم بأنّ من ظفر بأحد من المنهزمين وأحضره فله ألف دينار ، فاشتدّ الطلب عليهم .

وفي نصف ربيع الآخر قبض على الكليباتي والى دمشق وضرب ضرباً شديداً ، وعلى علم الدين وصلاح الدين ولدى ابن الكويز لكونهما من جهة شيخ ، وكذلك الصفدي ، فتسلّمهم نوروز ، وطلب الناصر المنجنيق من دمشق إلى صرخد فنصبه على القلعة وكان شيئاً مهولاً وصل إليه على مائتي جمل ، واستكثر من طلب المدافع والمكاحل من الصبيبة وصدف ودمشق ونصبها حول القلعة ، فاشتدّ الخطب على شيخ ومن معه فتراموا على الأمير تغرى بردى

(١) أي تراز .

الأتابك وألقوا إليه ورقة في سهمٍ من القلعة يستشفعون به ، فجاء إلى السلطان وشفع عنده وألح عليه إلى أن أذن له أن يصعد إليهم ويقرّر الصلح ، فتوجّه وصحبته الخليفة و كاتب السر وجماعة من ثقات السلطان - وذلك في أواخر الشهر - فجلسوا كلهم على شفير الخندق ، وجلس شيخ داخل باب القلعة ووقف أصحابه على رأسه ، فطال الكلام بينهما إلى أن استقر الأمر أنه لا يستطيع أن يقابل السلطان حياءً منه ، فأعيد الجواب عليه فأبى إلا أن ينزل إليه ويجتمع به ، فلم ينزل تغرى بردى به إلى أن أجاب إلى الصلح ، فرجع هو و كاتب السر فسلمّ لهما كمشبقا الجمال وأسنبغا كلاهما بحبل ، ثم أرخى ولده وعمره سبع سنين ليرسله إلى الناصر فرج ، فصاح وبكى من شدة الخوف فرحمه الحاضرون فردّ إلى أبيه واستبشر الفريقان بالصلح . وكان العسكر الناصري قد ماج وكَلّ من الإقامة بصرخند لكثرة الوباء بها وقلة الماء والزاد ، هذا مع كون الأهواء مختلفة ، وأكثر الناصرية لا يحبون أن يظفر بشيخٍ لثلاً يتفرغ لهم ، فطلعوا في آخر يوم من الشهر وحلّفوا الأمراء ، وأفرج شيخٌ عن ابن لاقى وعن تجار دمشق ، وأرسل للناصر تقدمةً عظيمةً ولبس تشريفه واستقرّ في نيابة طرابلس ، وما فرغ من ترتيب ذلك إلا وأكثر المماليك السلطانية من مصر قد ساروا إلى جهة دمشق ، فاضطّرّ الناصر إلى الرحيل إلى دمشق فتجهّز وجهاز شيخٌ ولده الصغير في إثر السلطان ، فوصل مع تغرى بردى فأكرمه وأعادته إلى أبيه ، ورحل الناصر عن دمشق في ربيع الآخر فوصل إلى غزة بعد أن زار القدس في سابع عشر منه .

* * *

وأما شيخٌ فخرج من صرخند وانضمّ إليه كثيرٌ من أصحابه وتوجّه إلى ناحية دمشق ، وأرسل إلى بكتمر جلق نائب الشام يستأذنه في دخول دمشق ليقضى أشغاله ويتوجّه إلى طرابلس ، فمنعه حتى يستأذن السلطان ، وكتب إليه يخيله من دخول دمشق فأجابته بمنعه من دخولها وإن قصد دخولها بغير إذن يقاتلوه ، فاتفق وصول شيخٍ إلى شقحب في غاية جمادى الأولى فأوقع بكتمر جلق ببعض أصحابه ، فبلغه ذلك فركب فيمن معه ، فلم يلبث بكتمر أن انهزم ونزل شيخٌ قبةً يلبغا ، ثم دخل دمشق في حادي عشره - وهو اليوم الذي وصل فيه الناصر إلى القلعة عصر - فتلقاه الناس ، فأظهر أنه لم يقصد القتال ولا الخروج

عن الطاعة، وأنه لم يقصد إلا النزول في الميدان خارج البلد لتقاضى مهماته ويرحل إلى طرابلس، وأن بكتمر هو الذي بغى عليه، ثم استكتبهم في محضر بصحة ما قال وجّهه إلى السلطان صحبة إمام الصخرة المقدسة، فوصل في أواخر جمادى الآخرة، فغضب السلطان وضرب الإمام بالمقارع ووسّط الجندی الذي كان برفقته .

* * *

واستمر بكتمر في هزيمته إلى جهة صفد، فأقام شيخ بدمشق وأعطى شمس الدين ابن التّبّاني نظر الجامع الأموي، وشهاب الدين ابن الشهيد نظر الجيش بدمشق ثم صرفه في جمادى الآخرة وقرّر [مكانه] صدر الدين بن الأدي، وقرّر في خطابة الجامع شهاب الدين الحسباني ثم أعاده، ثم قسم الوظائف بينهما؛ واستقر الحسباني في قضاء الشافعي .

ثم توجه شيخ بعساكره إلى جهة صفد، فطرقها شاهين الدويدار في جماعة على حين غفلة فاستعدوا لهم ورجعوا واستمر شيخ في طلب بكتمر إلى غزة، وكان بكتمر قد سار متوجها إلى القاهرة وصحبته برديك نائب حلب ونكبای^(١) حاجب دمشق وألطنبغا العماني نائب صفد ويشبك الموساوي نائب غزة فتلقاهم السلطان، فلما يشس منهم شيخ رجع إلى دمشق بعد أن قرّر في غزة سودون المحمدي وبالرملة جانبك؛ ثم أرسل الناصر يشبك الموساوي في جيش إلى غزة فحارب سودون المحمدي فانكسر ونهب الذي له ولحق بجهة الكرك، ثم جمع عسكرياً ورجع إلى غزة فانكسر الموساوي إلى القاهرة وقتل إعلان نائب صفد، فأرسل شيخ إلى سودون المحمدي بنيابة صفد .

وفي أواخر جمادى الأولى قدم نوروز - وقد خلص من التركمان - إلى حلب فتلقاه دمرداش وأكرمه، وكاتب الناصر يُعلمه ويسأله أن يعيد: نوروز إلى نيابة الشام، ويشبك ابن أزدمر إلى طرابلس، وتغري بردي ابن أخي دمرداش إلى حماة، فأعجب الناصر ذلك وأجاب سؤاله وجّه إليه مقبل الرومي ومعه التقاليد بذلك، وصحبته خمسة عشر ألف دينار مدداً لنوروز، وتوجه في البحر خوفاً من شيخ إن سلك البر، وكان يشبك بن أزدمر وتغري

(١) ويعرف بنكبای الأزدمري، وقد ولي الحجوية الكبرى بدمشق، وكان نيابة حماة، وكانت وفاته سنة ٨٢٣ .

بردى قد توجّه إلى حماة ففرّ منها جانم الذى من جهة شيخ فغلبا عليها ، ووصل مقبل الرومى إلى نوروز بحماة - ومعه تقليدٌ بنيابة الشام - فلبس الخلعة .

وفى سابع عشر جمادى الآخرة قبض سنان نائب قلعة صفد على الطنبغا العثمانى فوصل إعلان من جهة شيخ فغلب على صفد، فثار عليه أهل صفد - لما بلغهم خبر غرة - ففرّ إلى دمشق فدخلها ، وتوجه أبو شوشة صديق التركمان من صفد بطائفة فكبسوا من كان نائبا بها من جهة شيخ فهربوا إلى دمشق .

وفى رابع عشر برز شيخ إلى برزة^(١) بعساكره قاصداً حماة ، وقدم دمرداش إلى حماة نجدةً لنوروز ومعه عساكر حلب وطوائف من التركمان والعرب وشيخ يحاصر حماة ، فلما بلغه قدومهم ترك وطاقه وأثقاله وتوجه إلى ناحية العربان ، فرجع شيخ بأصحابه عليهم فاشتدت الحرب بينهم وقتل جماعة وأسير آخرون، وكسرت أعلام دمرداش وأخذت طبلخاناته ونزل شيخ على نقرين واستمر فى حصار حماة .

* * *

وأما دمشق فإنّ سودون المحمدي بعد أن استماله نوروز بعث به إلى دمشق بعد أن عاث فى بلاد صفد وصادر من أهل قراها، وكان جقمق - دويدار شيخ بدمشق - قد وزع على القرى والبساتين مالا لينفقه على عسكر أستاذه ، فزحف المحمدي إلى داريا فى سابع رمضان فقاتله الشيخية ، منهم : الطنبغا القرمشى ومن معه ؛ وفى أثناء ذلك تقدّم سودون بقجة وإينال المنقار مدداً للشحنة فتقننظر المحمدي عن فرسه فأركبوه وتفرق جمعه ولحقوا بنوروز ، وقبض على نحو الخمسين من أصحابه ، وقدم شاهين دويدار شيخ يستحث على استخراج المال ، وتأهبّ سودون بقجة للتوجه إلى صفد نيابة عن شيخ ، وكتب شيخ إلى الناصر كتاباً يخدعه فيه ويعلمه أن نوروز يريد الملك لنفسه ولا يطيع أحداً أبداً ، ويقول^(٢) عن نفسه

(١) قرية من قرى غوطة دمشق .

(٢) الضمير هنا عائد على شيخ وليس على نوروز .

إنه لا يريد إلا طاعة السلطان والانتماء إليه ويعتذر عما جرى منه، ويصف نفسه بالعدل والرفق بالرعية ويصف نوروز بضد ذلك ونحو ذلك من الخداع ، فلم يُجِبْهُ الناصر عن كتابه .

وفي الثالث عشر من شوال وصلت عساكر شيخ إلى صفد فنازلوها وفيها شاهين الزردكاش، فجرت لهم حروب وخطوب إلى أن جرح شاهين في وجهه ويده وهرب ، وأسر أسند مر كاشف الرملة ، فوصل إلى صفد يشبك الموساوي من القاهرة وسودون اليوسني ويردبك من جهة نوروز ، فقوى بهم أهل صفد ، ورجع من الشيخية قرقماس إلى دمشق، وأمده شيخ بنجدة كبيرة، وأخذ من دمشق آلات القتال ورجع إلى صفد ، فاشتد الخطب واشتد القتال بين الفريقين ، وكانت الدائرة على الشيخية وانهم قرقماس وجرح وقتل عدة من أصحابه وأسر أهل صفد لكنهم بين قتل وجريح ، وقتل ابن كبر الأكبر وغورت عين ابنه الآخر وأصيب رجل ابنه الثالث، وأبلى هؤلاء بلاء عظيماً وكذلك محمد بن منازع؛ وهؤلاء من عربان تلك البلاد ، فخرجوا بعد الواقعة فعاثوا في البلاد وأفسدوا ، ورجع يشبك الموساوي إلى غزة فكاتب الناصر بما اتفق ، واشتد الخطب على أهل دمشق بسبب ذلك وحضيت منهم الخيول والأموال ، وكل ذلك وشيخ بحمص يحاصر نوروز ومن معه بحماة ، فلما بلغه ذلك جهز عسكراً إلى أصحابه ينجدهم به فمضوا إلى جهة بيسان^(١) وكبسوا محمد بن هياز أمير عرب آل مهدي^(٢) وأخذوا ما كان معه، وتوجهوا إلى صفد فحاصروا شاهين الزردكاش أيضاً .

* * *

(١) هي مدينة بالأردن بالغور الشامي ، بين حوران وفلسطين ، وبها عين الفلوس وهي عين فيها ملوحة يسيرة ، انظر ابن عبد الحق البغدادي : مرصد الاطلاع ٢٤١/١ ، 336. *Dussaud : Topographie Historique de la Syrie* ، وأنظر أيضاً النصوص الجغرافية والتاريخية التي وردت بشأنها في كتب الجغرافيين المسلمين وهي النصوص التي جمعها لستراخ في كتابه *Palestine Under the Moslems* ، pp. 410 - 411

(٢) وردت في نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب للقلقشندي ، ص ٤٢٧ ، الإشارة إلى بني مهدي ، ويستفاد منها أنهم من القحطانية على أن هناك بطنين منهم ، الأول بطن من بني حولان من حمير ، وكانت لهم دولة باليمن ، إلا أنها انقرضت باستيلاء توران شاه على اليمن ، وأما البطن الثانية فن بنو طريف من جذام ، ولعل هذه البطن هي التي ترجع إليها القبيلة الواردة في المتن أعلاه ، إذ المعروف أن منازلهم بالبلقاء من بلاد الشام .

وفيهما طرق قرا يوسف بغداد ، فطرق عراق العجم وديار بكر ، ووصل إلى الموصل فملكها وسلطن محمد شاه ابنه ، وكتب بذلك إلى شيخ وأعلمه أن يفرغ من تلك الجهات ، وأنه عَزَمَ على الحضور إلى الشام نجدةً للأمير شيخ لما بينهما من المودة والعهود ، فاستشار شيخ أصحابه فأشاروا عليه بأن يجيبه إلى ما طلبه من الحضور إليهم ليستظهر بهم على أعدائه ، فخرّفه تراز الناصري عاقبةً ذلك ، وأشار عليه بأن يكتب الناصر بحقيقة ذلك وأنه يخشى من استطراق قرا يوسف في بلاد الشام أن يتطرّف منها إلى مصر ، فأخّر جوابه .

* * *

وفي السادس من ذي الحجة توجه الدويدار إلى البقاع^(١) للاستعداد لبردبك لما طرق الشام ، فوصلت كشافة بردبك في التاسع عشر إلى نواحي دارم ، ثم نزل هو شقحب فتأهبّ من بالقلعة بدمشق ، وخرج العسكر مع سودون بقجة والقرمشى فوق القتال ، فانكسر جاليش سودون بقجة وحمل هو على عسكر بردبك فكسره ، ثم انهزم بردبك على خان ابن ذي النون^(٢) فرجع إلى صفد ونهب من كان معه ، واجتمع جميع الشبخونية وتوجهوا قاصدين غزة .

* * *

وفي هذا الشهر اشتدّ الحصار على نوروز ودمرداش بحماة وتفعلّ عنهما أكثر من كان معهما ، وانضم أكثر التركمان إلى شيخ ووصل إليه العجل بن نعيم نجدةً له بمن معه من العرب في ثاني عشر ذي الحجة فعسكر بظاهر حماة ، فوقع القتال بين الطائفتين ، واشتدّ الخطب على النوروزية فمالوا إلى الخداع والحيلة ولم يكن لهم عادة بالقتال يوم الجمعة ، فبينما الشبخية مطمئنين إذا بالنوروزية هجموا عليهم وقت صلاة الجمعة فاقتتلوا إلى قرب العصر ، فكانت الكسرة على النوروزية ورجعوا إلى حماة ، فأسير من النوروزية جماعة ، منهم : سودون الجلب وشاهين الأياصي وجانبك القرمي وغيرهم فأرسلوا إلى السجن بدمشق ثم إلى المرقب ، وغرق أمير التركمان بنهر العاصي وكذلك أخوه يونس وآخرون وتسحب منهم جماعة ،

(١) ويعرف أيضاً ببقاع الكلب ، وهو واد فسح بين بعلبك وحمص ودمشق كما ورد في ياقوت : المعجم ٦٩٩/١ ، هذا وقد أفرد Dussaud : op. cit. pp. 396 et seq. فصلاً قائماً بذاته عن البقاع أشار فيه إلى اكتشافات Camille Callier في هذا الوادي بين عامي ١٨٣٢ ، ١٨٣٣ ، وأشار إلى أن بعلبك تقع في وسط طرق مواصلاته الكبرى ، كما عدد هذه الطرق .

(٢) . (٢) . Dussaud : op. cit. pp. 318, 320 .

وغنم الشيخية منهم نحو ألف فرس، وتفرق أكثر العساكر عن نوروز، ولحق كثير منهم بشيخ، فتحوّل إلى الميدان بحماة ونزل هو والعجل به، وكتب إلى دمشق بالنصر فدقت بشارته وزينوا البلد .

فلما كانت ليلة الإثنين سادس عشر ذى الحجة ركب تمرغا المشطوب وسودون المحمدى وتمراز نائب حماة في عسكرٍ ضخّم فكبسوا العجل بن نعيم ليلاً فاقتتلوا إلى قرب الفجر، وركب شيخ نجدة للعجل واشتدّ القتال، فخالفهم نوروز إلى وطاق شيخ فنهبه ورجع إلى حماة، وكتب دمرداش إلى الناصر يستنجده ويحثّه على المجئ إلى الشام وإلا خرجت عنه كلها فإنه لم يبق بيده منها إلا غزة وصفد وحماة، وكلّ من بها من جهته في أسوأ حال .

* * *

وفي ذى الحجة مال أكثر التركمان إلى شيخ وأطاعوه، وجاء الخبر بأن أنطاكية صارت في حكمه، وجهاز شاهين دويداره وأيدغمش إلى حلب فصارت بأيديهم، واشتدّ الأمر على دمرداش ونوروز، فاستدعيا أعيان أهل حماة وألزمهم بأن يكتبوا إلى العجل كتاباً يتضمّن أن نوروز هرب من حماة ولم يتأخر بها إلا دمرداش على أن يأخذ له الأمان من شيخ، فظنّ العجل أن ذلك حقّ، فركب إلى شيخ وأعلمه بذلك فظن بنفسه القوة. وبعث فرقة من مماليكه ومن عرب العجل فتسوّروا على سلالم ونزلوا من السور ظانين قلة من بالبلد من النوروزية، فوثبوا عليهم وقتلهم جميعاً وعلّقوا رؤوسهم على السور، وأتوا رجلين من جهة العجل فالزموهما بأن كتبا إلى العجل: « بأن نوروز قد أسرناه وقد اطلعنا على أنه تصالح مع شيخ على أن يسلمك شيخ إليه ويصطلحنا على البلاد »، فظنّ العجل ذلك صحيحاً فركب لوقته متوجّهاً إلى بلاده فبلغ ذلك الشيخية، فركب شيخ في طائفةٍ ليسترضيه ويرده، فأعقبه نوروز ودمرداش في إثره فنهبوا وطاقه وخبولته، واستمر العجل ذاهباً فرجع من حمص إلى القرميتين^(١) وكتب نوروز في طلب الصلح فلم يتم ذلك . وانسلخت السنة وهم على ذلك .

* * *

ذكر حوادث أخرى غير ما يتعلق بالمتغلبين

فيها في ثالث ربيع الآخر قُرر جواز بن هبة في إمرة المدينة عوضاً عن عجلان بن نعيم .

وفيها استقرّ جمال الدين الكازروني في قضاء المدينة خاصّة دون الخطابة فاستمرت

بيد ابن صالح .

وفي صفر فشا الطاعون بمصر وحماة وطرابلس ، ومات به خلقٌ كثير .

وفيه واقع التركمان الأمير نوروز بملطية فكسروه كسرةً شنيعة .

وفيه رتبّ جمال الدين الأستاذار القاضي جلال الدين البلقيني على تصدّر الجامع

الأوى خمسمائة درهم في الشهر ، قبضها القاضي من مباشرى الجامع ألف درهم ، قرأتُ ذلك

بخط شهاب الدين بن حجيّ رحمه الله .

وآدعى شهاب الدين بن نقيب الأشراف على صدر الدين بن الأدي بأنه سبّ الناصر

فعدّوا له مجلساً فأنكر عليه ، فشهد عليه الشهاب المذكور فاستخصمه صدر الدين وقال إنه

عدوّه ، فبلغ ذلك نائب الغيبة فصدّق صدر الدين وأطلقه .

ثم اتفق ابن الكشك وصدر الدين على قسمة الوظائف بينهما ، وأشهد ابن الأدي على نفسه

أنّه أعاده إلى السعي في القضاء أن يكون لابن الكشك عنده ألف دينار ، وحكم نائب الحنفى

بصحة التعليق والمالكي بصحة الالتزام ، ثم بطل ذلك عن قريب ؛ وحكم ابن العديم ببطلان

ذلك الحكم لأن صدر الدين أثبت عنده أنه كان يومئذ مكرّها ، ثم أعيد ابن الأدي إلى

القضاء بعد خروج الناصر من دمشق .

وفي رابع عشر ربيع الآخر عُقد عُقد بنت الملك الناصر على بكتمر جلق وهو أسنّ من

أبيها ، وتولّى الناصر العقد بنفسه ، لقنّه إياه القاضي جلال الدين وقبله للزوج تغرى بردى

الأتايك .

وفي ثامن عشره أعيد ابن الأدي إلى قضاء الحنفية وصُرف ابن الكشك .

وفي جمادى الأولى قدم من حلب جمال الدين يوسف قاضى الشافعية بها ومحبّ الدين ابن الشحنة قاضى الحنفية بها، وكانوا طلبوا^(١) من جهة السلطان لكونهم بايعوا حكم على السلطنة وأفتوه بقتال السلطان ، ثم هرب ابن الشحنة وأدخل الآخراة القاهرة .

وفي التاسع من جمادى الأولى نزل السلطان بلبيس فقبض على جمال الدين الأستاذار وعلى ابنه وابن أخته وعمّة من يلوذ بهم ، وهرب أخوه شمس الدين البيرى وطائفة ، وكان الناصر قد تخيل منه في هذه السّفرة أنه يمائى عليه وأنه يريد أن يمسكه ، ووجد أعداؤه^(٢) سبيلاً إلى الحطّ عليه عنده إلى أن طابق ظنه وأمسكه .

ودخل الناصر القلعة في حادى عشره وتقدّم إلى كاتب السرّ فتح الله في حفظ موجود جمال الدين ، فاستعان فتح الله على ذلك بالقضاة فلم يزل جمال الدين وولده يُخرجان ذخيصة بعد ذخيصة إلى أن قارب جملة ما تحصّل من موجوده ألف ألف دينار . وأحضره الناصر مرة وتلطّف به ليُخرج بقيّة ما عنده فأكد اليمين واعترف بخطئه واستغفر فرق له وأمر بمداراته . فقامت قيامة أعدائه وألبوا عليه إلى أن أذن لهم في عقوبته وسلمه لهم ، فلم يزالوا به حتى مات خنقاً بيد حسام الدين الوالى ، وقُطعت رأسه فأحضرت بين يدي الناصر فردّها وأمر بدفنه . وذلك في حادى عشر جمادى الآخرة .

واستقرّ تاج الدين عبد الرزاق بن الهيصم في الأستاذارية موضع جمال الدين ولبس بزى الأمراء وترك زى الكتاب ، واستقرّ أخوه مجد الدين عبد الغنى في نظر الخاصّ وسعد

(١) هكذا في الأصول ، وتدل بقية الخبر على أنهم كانوا ثلاثة وليسوا اثنين فقط ، ولم نستطع الاستدلال على الثالث .
 (٢) كان من بين أعدائه تغرى بردى والد أبو المحاسن المؤرخ ، ويمثل أبو المحاسن كراهية أبيه له « لقلته دينه وسفكه الدماء وعظم ظلمه » ، لكن الواقع أن تغرى بردى كان قد تحول عنه لأنه قتل أستا داره عماد الدين إسماعيل ، وإلى هذا يشير أبو المحاسن نفسه ويقول إن أباه « أخذ في توغير خاطر السلطان على جمال الدين ، ولا زال به حتى تغير عليه » . ومن الأسباب الشخصية للناصر فرج ضد جمال الدين الأستاذار ما بلغه عنه من أنه أرسل صرة للمؤيد شيخ بخمسة آلاف دينار ، وإلى غيره من الخارجين على السلطان ، كما أنه أعلمهم بعزم فرج على مسكهم ، انظر تفصيل ذلك في النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٢١٦ - ٢٢٢ .

الدين البشيرى فى الوزارة ؛ وأضيف إلى تقي الدين بن أبى شاعر نظر الديوان المفرد وأستادارية الأملاك والذخائر السلطانية عوضا عن أحمد ابن أخت جمال الدين .

ومن غريب ما اتفق فى ذلك أنه كان ظفر من تركة بعض الأكابر بحاصل فيه ذهب وعلبة مليئة بفصوص وجواهر نفيسة ، فبلغ السلطان ذلك فطلبه من الأمير جمال الدين فأنكره وأودع ذلك عند جنديّ يقال له جلبان ، فلما قبض على جمال الدين وأمر بحمل ما عنده من الأموال ذكر أن له عند جلبان وديعة نحو عشر قفف ذهباً ، فطلع المذكور وتغلب عليه الخوف فأحضر الذهب والعلبة التى فيها الجواهر فانبسط الناصر ، وبلغ جمال الدين ذلك فشق عليه مشقة عظيمة .

وفى أواخر جمادى الأولى استقر شهاب الدين أحمد بن أوحى الخادم بالخانقاه الناصرية بسرياقوس فى مشيختها عوضاً عن شرف الدين القليوبى بحكم وفاته .

وفى سابع جمادى الآخرة أمسك بلاط - أحد المقدمين - وكزل حاجب الحجاب وبُعنا إلى الإسكندرية للاعتقال ، وقرّر يلبغا الناصرى فى الحجوبية .

وفى تاسعه صُرف ابن شعبان عن الحسبة وأعيد الطويل .

وفيه صُرف البرقى عن قضاء العسكر واستقر حاجى فقيه .

وفى حادى عشر جمادى الآخرة استقر علاء الدين الحلبي قاضى غزة فى مشيخة بيبرس عوضاً عن شمس الدين البيرى أخى جمال الدين بحكم سجنه بعناية فتح الله ، واستقر نور الدين على فى تدريس الشافعى عوضا عنه بعناية قزدمر^(١) .

وفيه أحضر الناصر الشيخ شهاب الدين الزعيفرى وكان نُقل له عنه أنه كتب ملحمة يزعم فيها أن المُلْك يصل لجمال الدين ثم إلى ابنه أحمد ونظم فى ذلك قصيدة ، فأمر الناصر بقطع لسانه وبغض عُقد أصابعه اليمنى واعتقل ثم أفرج عنه ، وأقام بقية مدة

(١) فى ك « قردم بضم القاف والذال وسكون الراء والميم » .

النَّاصِر يظهر الخرس إلى أن أقبلت الدولة المؤيَّدية فتكلم بعد ذلك من قوة تمكنه من عقله وعظم جلده وصبره ، ولم يمتنع أيضا من الكتابة بل كتب مع فساد بعض أصابعه لكن دون خطه المعتاد .

وفي سابع رجب أعيد ابن شعبان إلى الحسبة وعُزل الطويل ، ثم عُزل ابن شعبان واستقرَّ محمد بن يعقوب الدمشقي في ثامن عشرى رجب ، ثم صُرف في ثاني شعبان واستقرَّ كريم الدين الهوى .

* * *

وبلغ النيل^(١) في هذه السنة في الزيادة إلى اثنتين وعشرين ذراعاً ، وكُسِر الخليج في أول يوم من مسرى وثبت إلى نصف هاتور . وبلغ سعر القمح من ذلك في شعبان إلى ثلاثمائة الإردب ، والشعير والبقول إلى مائتين ، والحمل التبني إلى مائة وعشرين .

وفي شعبان قبض الشيخية بدمشق على الإخنائي قاضي المالكية ، وكانوا قد نقموا عليه مكاتبة نوروز فسُجن بالقلعة ثم هرب منها إلى صفد ، فأكرمه النائب بها من جهة النَّاصِر وهو شاهين الزردكاش ، وأرسل النَّاصِر إلى النَّاصِر يغيره بالأمير شيخ ويحثه على سرعة الحركة إلى الشام .

* * *

وفي أواخر شعبان قوَّض شيخ خطابة جامع دمشق لشرف الدين بن التَّبَّاني وكان قد فر من القاهرة إليه في أواخر العام الماضي ، فأنكر الشاميون ذلك لعهدهم أن الخطابة للشافعية ، فكاتبوه بذلك فاستناب الباعوني ، وياشر شرف الدين التَّبَّاني مشيخة السيمساطية خاصة ، وأضيف إليه درس الخاتونية وتصدَّر الجامع الأموي .

وفي مستهلَّ رجب قبض على نصراني فادعى عليه أنه كان أسلم وأقيمت البينة بذلك فاعترف ، فعُرض عليه الإسلام فامتنع فضربت رقبته بين القصرين .

(١) الوارد في التوفيقات الإلهية ص ٤٠٦ أن غاية فيضان النيل بمقياس الروضة بلغت عشرين ذراعاً وأنه ثبت في نصف هاتور (حوالي الثلث من رجب) فحصل للناس بذلك ضرر كبير وغرق من البلاد أكثر من مائتي خيمة .

وفي ثالث عشر شعبان قُتل شخص شريف لأنه ادَّعى عليه أنه عوتب في شيء فعله فقُدر بسببه فقال : « قد ابتلي الأنبياء ! » فزُجر عن ذلك فقال : « قد جرى على رسول الله في زمن اليهود أكثر من هذا » فاستُفتي في حقه فأفتوا بكُفْره ، فضُربت عنقه بين القصرين بحكم القاضى المالكى شمس الدين المدنى .

وفي ثالث عشر شوال أُعيد ابن شعبان إلى الحسبة وصُرف الهوى .

* * *

وفي الثالث والعشرين منه كان الناصر توجه إلى وميم عند مرابط خيله فرجع منه فلما وصل الميدان بالقرب من قناطر السباع أمر بالقبض على قزدمر الخازندار ، وكان قد شاع عنه - وهو في السفر - أنه اتفق مع جمال الدين على الفتك بالسلطان ، وأمر بالقبض على إينال الساق وهو حينئذٍ رأس نوبة كبير ، فقبض على قزدمر وشهر إينال سيفه فلم يلحقه غير الأمير فجق فضربه على يده ضربة جرحه بها ، واستمر إينال هارباً ثم ظفّر به في ذى الحجة فسُجن بالإسكندرية ، ثم آل أمره إلى أن صار تاجراً في الممالك يجلبهم من البلاد ويربح فيها الربح الكثير ، وقد قدم في الدولة المؤيدية مرتين بذلك وحصل مالا طائلا وسُجن قزدمر بالإسكندرية .

وفي شوال استقر ابن خطيب بيبرس في قضاء دمشق وصُرف الحسابات .

وفيه استقر شمس الدين محمد بن علي بن معبد المدنى في قضاء المالكية وصُرف البساطى .

وفي أواخر ذى القعدة استقر حسام الدين في ولاية القاهرة .

وفيه صُرف (١) وكان ظالماً فاجراً ، ولى شدّ الدواوين فأباد أصحاب الأموال وبالع في أذاهم ، وكانت عاقبة أمره أن ضُربت عنقه صبراً بالقاهرة .

* * *

(١) فراغ في الأصول .

وفي ذى الحجة قدم على شيخ بجمص الشيخ أبو بكر بن تبع وذكر أن شخصاً حضر إليه وذكر أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وهو يقول له : « ارجع عما أنت فيه وإلا هلكت » قال : « يارسول الله ما يُصدقني » قال : « اذهب إلى ابن تبع وقل له يذهب إليه ، فإن لم يقبل من ابن تبع هلك » .

وكتب إلى دمشق بأنه رجع عن المظالم وكتب إلى أتباعه بالكف عن المصادر وبرد الأوقاف إلى أصحابها ، ونودي بذلك في البلد .

وكتب إلى قضاة دمشق بالكشف عن شمس الدين ابن التبانى وكان قد فُوض إليه نظر الجامع والأوقاف فظهر عليه جملة مستكثرة ، ثم جاملوه وكتبوا له محضراً بأنه حسن المباشرة ؛ وأرسل مرجان الهندي خزنداره بكشف حسابات الأوقاف وإلزام المباشرين عليها بعمارها .

وفيها قُتل محمد بن شاه قام عليه أخوه إسكندر شاه فغلبه ، وكان محمد كثير العدل والإحسان فيما يقال ، فتمالاً عليه بعض خواصه فقتله تقريباً إلى ططر أخى إسكندر ، واستولى إسكندر على ممالك أخيه فاتسعت مملكته .

وفيها أفرط النيل في الزيادة إلى تكلمة العشرين ، وثبت ثباتاً زائداً عن العادة إلى نصف هاتور ، ثم يسر الله بغزوله على العادة .

وفي أول يوم من جمادى الآخرة ضرب إمام الصخرة بالمقارع بأمر السلطان وحبس بسجن ذوى الجرائم ، والسبب فيه أنه قدم رسولاً من شيخ يعتذر عن قتال بكتمر جلق وأنه الذى بدأه بالقتال فلم يلتفت له وأمر بضرب هذا وتوسيط رفيقه وهو من الماليك .

••••

وفيها مات داود بن سيف أَرعد الحطى - بفتح المهملة وكسر المهملة الخفيفة بعدها خفيفة - الأمحرى - بحاء مهملة - صاحب مملكة الحبشة ، وقدمت رسله على الظاهر

بهديّة ، وجّهز له الظاهر هديّة ورسولاً وهو برهان الدين الدميّاطى ، فذكر أنه رآه حاسر الرأس عرياناً وعلى جبينه عصابة حمراء ، وكذا كان سلفهم ، فلما مات داود أقيم ابنه [تدرّس] فهلك سريعا ، فأقيم أخوه إسحق فسلك سبيل الملوك وتزيّبا بزى أهل الحضرم ، والسبب في ذلك أن كاتباً نصرانياً يقال له « فخر الدولة » ، حصلت له كائنة بمصر ففرّ إلى الحبشة ففرّ به إسحق ، فرتب له المملكة وأشار عليه أن يتزيّبا بغير زى قومه ، وجي له الأموال وضبط له الأمر ، ودخل له مملوكٌ يقال له « أظنبغا » فعلم من عنده صناعة الحرب والرمى بالسهم واللعب بالرمح ، ورتب له زردخاناه ، ولما حضر عنده صار يركب ويديه صليب جوهر كبير إذا قبض عليه برز طرفاه من كبره ؛ وكان [إسحق] شديد البأس على من يجاوره من المسلمين من الجيران وغيرهم ، وكان سعد الدين منه في ضيق . وقتل من المسلمين في تلك الوقائع ما لا يحصى فلم يزل كذلك إلى أن مات إسحق في ذى القعدة سنة ثلاث وثلاثين ، وقام بعده ابنه فهلك لأربعة أشهر من موت أبيه ، فقام بعده عمه حرماى فهلك في رمضان سنة أربع وثلاثين فأقيم بعده سلمون بن إسحق .

وفي غضون ذلك تحارب جمال الدين بن سعد الدين ملك المسلمين ودهم الحبشة وأوقع بهم وصاروا منه في حضر شديد على ما اتصل بنا .

وفيهما مات أحمد بن ثقبه بن رميثة بن أبي نعيّ الحسنيّ المكي أحد أمراء مكة . وكان قد أشرك مع عنان في الولاية الأولى مع كونه سبق أن كحل - لما مات ابن عمه - أحمد بن عجلان بن رميثة وأم ولده محمد .

وفيهما^(١) قُتل جماز بن هبة بن جماز بن منصور الحسنيّ أمير المدينة ، وكان أخذ حاصل المدينة ونزح عنها فلم يُمهّل وقُتل في حربٍ جرت بينه وبين أعدائه ، وكان يظهر إعزاز أهل السنة ويحبهم بخلاف ثابت بن نعيم .

(١) نقل السخاوى في الضوء اللامع ٣٠٧/٢ هذه الأسطر الثلاثة في ترجمة جواز دون الإشارة إلى أخذها عن إنباء الغمر .

وفي ذى القعدة استقر تاج الدين محمد الحسابى فى وكالة بيث المال والحسبة وإفتاء دار العدل وقضاء العسكر ، وبذل على ذلك ألف دينار ، وكانت الحسبة مع الجائى وما عدا ذلك مع تقى الدين يحيى الكرمانى فصرفا عنها .

وفىها مات أقبابى الكبير - وكان رأس نوبة الأمراء - فى جمادى الآخرة ، وترك من الذهب العين ألف دينار هرجة وإثنى عشر ألف مثقال فرنجية ، ومن الغلال والخيول والدواب ما قيمته فوق ذلك ، حصل ذلك من الظلم ، وكان حاجباً مدة طويلة غشوماً ظلوماً فاستأصل الناصر تركته

وفىها مات طوخ الخازندار فى جمادى الآخرة وبلاط بالإسكندرية وقجاجق الدويدار .

• • •

ذكر من مات فى سنة اثنتى عشر وثمانمائة من الاعيان

١ - أحمد بن سعيد^(١) بن أحمد السماقى الحسابى الشاهد بسوق ساروجا ، أخو القاضى شرف الدين قاسم . مات فى جمادى الآخرة عن سبعين سنة بدمشق .

٢ - أحمد بن عبد اللطيف بن أبى بكر بن عمر الشرجى^(٢) ثم الزبيدى ، اشتغل كثيراً ومهر فى العربية ، وكذا كان أبوه سراج الدين ، ودرس شهاب الدين بالصلاحية بزبيد ، اجتمعت به وسمع على شيئاً من الحديث وسمعت من فوائده . مات بحرّض^(٣) عن أربعين سنة .

٣ - أحمد بن محمد بن أبى الوفاء محمد بن محمد بن محمد الشاذلى ، شهاب الدين

(١) أورده السخاوى مرة باسم « سعد » فى الضوء اللامع ١/٣٠٥ ، وأخرى باسم « سعيد » فى نفس المرجع ٦/٦١٦ ، هذا وقد جعل وفاته فى جىادى الأول لا الآخرة . وقد صحح ما بالمتن بعد مراجعة ترجمته فى الضوء اللامع ١/٣٠٥ وترجمة أخيه قاسم فى نفس المرجع ٦/٦١٦ .

(٢) راجع الضوء اللامع ١/٣٥٤ والضيض منه ٤/٨٩٥ ومن شذرات الذهب ٧/٩٦ وإن نسبت إلى « شرجه » وذكرت أنها من نواحي مكة ، على حين أن مراصد الاطلاع ٢/٧٩٠ ذكر أنها « من أول أرض اليمن » وهذا أصح .

(٣) حرّض بلد فى أوائل اليمن من جهة مكة ، انظر مراصد الإطلاع ١/٣٩٢ .

المشهور بابن وفا ، أخو الشيخ علي^(١) الماضي سنة سبع وثمانمائة ؛ وأحمد هو الأسنّ وعليّ هو الأشهر ، وكان عند أحمد سكونٌ وقلة كلام وليس له نظم ، وكانت تُذكر له أحوال حسنة ، ولم يكن يعمل المواعيد إلاّ مع خواص أصحابه ، ونبغ له أبو الفضل محمد^(٢) ففارق الأقران في النظم والذكاء . ومات غريقاً بعد أبيه بسنة ، وكانت^(٣) وفاة شهاب الدين في شوال وله ست وخمسون سنة .

٤ - أبو بكر بن عبد الله بن ظهيرة المخزومي أخو الشيخ جمال الدين ، اشتغل قليلاً وسمع من عز الدين بن جماعة وغيره ، ومات^(٤) في جمادى الآخرة .

٥ - أبو بكر بن عبد الله بن خليل^(٥) المنجم الشاعر ، تعانى التنجيم والآداب ، وكان بارعا في النظم والمجون وله مطارحات مع أدباء عصره أولهم شمس الدين المزين ثم خطيب زرع ثم علي البهائي ، واشتهر بخفة الروح وال نوادر المطربة . ومات في صفر ، وهو القائل :

حَنَفِيٌّ مَدْرَسُ حَازِ خَدًّا كَرِيضُ الشَّقِيقِ فِي التَّنْمِيقِ
لورآه النُّعْمَانُ فِي مَجْلِسِ الدَّرِّ س لقال النُّعْمَانُ : هذا شَّقِيقِي

(١) راجع ما سبق ترجمة رقم ١٧ ص وفيات ٨٠٧ ، وانظر أيضا الضوء اللامع ٤٦/٦ .
(٢) الوارد في ترجمته في الضوء اللامع ١٨/٦٧ أنه مات سنة ٨٥٢ هـ وهذا يخالف ما جاء في المتن من أنه مات بعد أبيه بسنة ، ولكن بمراجعة شذرات الذهب ١٠٦/٧ - ١٠٧ تبين أن «أبا الفضل» هو «عبد الرحمن» وقد مات غريقاً في النيل سنة ٨١٤ ، وقد ترجم له السخاوي : الضوء اللامع ١٨٣/٤ فقال «عبد الرحمن ويسمى محمداً أيضا» وجعل وفاته سنة ٨١٤ هـ ثم أشار إلى أن ابن حجر ذكره في تلك السنة ، ثم ذكر السخاوي أيضا أنه رأى له ترجمة بخط ابن حجر مرة أخرى أرخ فيها وفاته غرقاً بسنة ٨١٥ .

(٣) خطأ السخاوي أستاذه ابن حجر إذ جعل وفاته سنة ٨١٤ وليست كما بالمتن ، أنظر الضوء اللامع ٥٣٦/٣ ؛ هذا وقد ذكرته شذرات الذهب فيمن مات سنة ٨١٢ كما بالمتن .

(٤) كان موته بمكة ، هذا وقد اتفق الضوء اللامع ١٠٢/١١ وشذرات الذهب ٩٧/٧ على أن موته كان في جبادى الأولى .

(٥) لم يرد هذا الإسم في سلسلة نسبة بالضوء اللامع ١٠٥/١١ ، حيث أورده السخاوي هناك باسم «أبو بكر بن عبد الله بن قطبك الدمشقي» وأنه أثر عشرة الصلاح خليل ، وهكذا أيضا سماه الشذرات ٩٧/٧ .

وله في شمس الدين المزين الشاعر زحل أوله :

سيرك يامزين أمسى	ناقص البراعة
لكن في الحرام حيث تحمده	كامل البضاعه
سيرك ياربيط سير	محلول من قبج فعالك
وانتا حرامى مجروح	وعرضك بحالك
وتهجى « المنجم » أما	تبصر يا « عر » حالك
لاتلعب بدليل معى	وتامل رقاعه
أفضحك واسنك شربه	ولاسم ساعه

ولما مدح الشيخ على البهائي بدر الدن بن الشهاب محمود بقصيدته التي أولها :

ألا يانسنة الريح	قفي أبديك تبريحي
قفي أخبرك عن جسمي	وإن شئت أقل روحي

ناقضه المنجم بقوله :

طراد البغل في الريح	على فريس من الشيخ
وشربي الخل ممزوجاً	بأمراق القواليح
ونقل يابس الزعرور	مع بعر التاسيح
وقوم في حبان الثلج	قد فازوا بتشليحي
ويغنى من دمشق الشا	م ليلاً غير مصبوح
رنعويضى بأكل اللّف	ت عن تلك التفافيح
وسمعى في حقول الفجل	أصوات الذراريح
على شبه الضفاديع الّ	تى في بحر إطفيح
أحبّ إلى من شعر	شبيه الشيخ في الريح
وتلميح كتلميح ال	مدماغات المساميح
إذا عاناه معصوم	شكا ذا للمساكيح

وعاد ببرده يشكو من لقولنج والريح
 ترانى حين أسمعہ بصدرٍ غير مشروح
 أقول لِنَفْسِي اعْتَزِي وَعَن أَبِيانَه رُوحي
 قريض من معاليه حلّ الحى لذى الروح
 وناظمه أخو جهلٍ مِن القوم المشايخ
 ووزن الشعر يشغله بنقصان وترجيح
 بنظم مظلّم يظفى أشعّات المصابيح
 ولولا بدر دين اللـ به مخدومى وممدوحى
 لأظلم بيت أفكارى ولم أظفر بتوضيح
 ولا عارضتُ فى شعري: «ألا يانسمة الريح»

أنشدنيها بنصها ناصر الدين البارزى بالقاهرة ، ثم أنشدنيها بنصها ولده القاضى
 كمال الدين بألبيرة على شاطئ الفرات فى سنة آمد^(١) ، وأنا لإنشاد الثانى أضبط .

٦ - أبو بكر بن على الحمصى سيف الدين المعمار ، اشتهر بذلك وتقدّم فى فنّه وعاش
 أزيد من تسعين سنة بدمشق^(٢) .

٧ - خليل بن محمد بن خليفة بن عبد العال الحسينانى ، ابن عم الشيخ شهاب الدين
 وصهره على ابنته ، كان خيراً ديناً ورث من أبيه مالاً جزيلاً غرم أكثره فى تزويج ابنة
 عمه المذكورة ثم كان آخر أمره أن طُلِّقت منه ، وقد ولى قضاءً حسيبان .

٨ - عبد الله بن أحمد اللخمى التونسى القُرْباني^(٣) - بضم الفاء وتشديد الراء بعدها
 تحتانية خفيفة وبعد الألف نون - كان فاضلاً مشاركاً فى الفقه والعربية والفرائض مع
 الدين والخير . مات راجعاً من مكة إلى مصر ودفن بعد عقبه أيلة^(٤) فى المحرّم .

(١) يعنى بذلك سنة ٨٣٦ هـ .

(٢) نقل هذه الترجمة بنصها السخارى فى الضوء اللامع ١٥٩/١١ مشيراً إلى الإنباء .

(٣) الوارد فى شدّرات الذهب ٩٧/٧ أنها نسبة إلى « قريانة » وقد عرفها مراصد الاطلاع ١٠٣٤/٣ بأنها قرية كبيرة
 من نواحي إفريقية قرب سفاقس .

(٤) مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلى الشام وهى آخر الحجاز كما قال مراصد الاطلاع ١٣٨/١ .

٩ - عبد الرحيم بن محمود بن محمد بن عبد الرحيم بن عبد الوهاب بن علي^(١) بن عقيل السلمي البعلبكي ، زين الدين خطيب بعلبك وابن خطيبها ، وُلد سنة تسع وعشرين أو قبلها، ومات أبوه^(٢) سنة خمس وثلاثين [وسبعمائة] وهو^(٣) الكاتب المجود المشهور بهاء الدين محمود فرباه جده^(٤) وولى خطابة بلده وكانت بيد سلفه منذ أربعمائة سنة فيما يقال، وقد حدث عبد الرحيم عن الحجّار وغيره بالإجارة، وكان من أعيان شهود بلده موصوفاً بالخير . مات في ربيع الأول .

١٠ - علي بن الحسن بن أبي بكر بن الحسن بن علي بن علي بن وهّاس الخزرجي موفق الدين الزبيدي ، اشتغل بالأدب ولهج بالتاريخ فمهر فيه وجمع لبلده تاريخاً كبيراً وآخر على الحروف^(٥) وآخر في الملوك، وكان ناظماً نائراً . اجتمعتُ به بزبيد وكتب لي مدحاً . مات في أواخر هذه السنة وقد جاوز السبعين .

١١ - علي بن محمد بن إسماعيل بن أبي بكر بن عبد الله بن عمر بن عبد الرحمن الناشري موفق الدين الشاعر المشهور الزبيدي ، اشتغل بالأدب ففاق أقرانه ، ومدح الأفضل ثم الأشرف ثم الناصر ، وكانوا يقترحون عليه الأشعار في المهمّات فيأتى بها على أحسن وجه ، وكانت طريقة شعره الانسجام والسهولة دون تعانى المعانى التي لهج بها المتأخرون

(١) « أحمد » في الضوء اللامع ٤/٧٨٤ :-

(٢) ولد الأب سنة ٦٨٨ ، وعنى بالخط وتخرج عليه جماعة من الدماثة فيه ، أنظر ابن حجر : الدرر الكامنة ٥/٧٧٦ ، أما الجدل فشابهه ابنه في كتابة الخط المنسوب ، ووصفه الذهبي بالمقل والصلاح ، وأشار إليه في معجمه ، راجع الدرر الكامنة ٤/٣٨٩٠ .

(٣) « هو » هنا يقصد بها والد المترجم .

(٤) انظر حاشية رقم ٢ .

(٥) في الضوء اللامع ٥/٧٠٦ والشذرات ٧/٩٧ « الأسماء » بناء على ما ورد في معجم ابن حجر ، واسم هذا الكتاب « طراز أعلام اليمن في طبقات أعيان اليمن » وسماه أيضا « العقد الفاخر الحسن في طبقات أكابر أهل اليمن » ، انظر : Brokellmann Gesch. der Araber Lit. ; Supp. II, 235 ، وراجع أيضا فهرس المخطوطات العربية بالجامعة

العربية بالقاهرة ج ٢ ق ٣ ص ٢٤٥ .

حجَّ في سنة إحدى عشرة ورجع فمات بنواحي حرَّض في المحرم^(١) أو في الذي بعده وقد جاوز الستين^(٢).

رأيتُه بزبيد وسمعتُ من نظمه قليلاً .

١٢ - قجاجق^(٣) بن عبد الله الدويدار الناصري ، كان حسن الخلق ليّن الجانب مسرفاً على نفسه ، ولي الدويدارية الكبرى فباشرها بلطف ورفق . مات في أواخر السنة وقيل في سادس المحرم من التي تليها .

١٣ - محمد بن أحمد بن أبي القاسم الوزير كمال الدين بن المقرئ الزبيدي ، ناب في الوزارة باليمن ، وناب عن القاضي مجد الدين الشيرازي في القضاء ، وكان فاضلاً .

١٤ - محمد بن عبد الله بن أبي بكر ، الشيخ شمس الدين القليوبي الشافعي ، اشتغل بالعلم وتلمذ للشيخ وليّ الدين الملوّي ، ورأيتُ سماعه على العرضي ومظفر الدين بن العطار في « جامع الترمذي » وما أظنّه حدّث عنهما . واشتهر بالخير والدين ، وكان متقلاً جداً إلى أن قرّر في مشيخة الخانقاه الناصرية بسرياقوس فباشرها إلى أن مات في جمادى الأولى ، وكان متواضعا ليّنًا .

١٥ - محمد بن عبد الله الخردفوشي^(٤) أحد من كان يُعتَقَد . مات في ربيع الآخر .

١٦ - محمد بن [عبد الرحمن^(٥)] بن يوسف الحلبي المعروف بابن سحلول ، ناصر الدين . كان عمه عبد الله وزيراً بحلب ، وُلد سنة^(٦) ، وسمع « المسلسل »

(١) ذكر السخاوي في الضوء اللامع ٩٨٥/٥ أن ابن حجر أورد وفاته في معجمه في أول ربيع الأول ٨١٢ هـ .

(٢) هذه الترجمة من بدايتها حتى هنا نقلتها الشذرات ٩٨/٧ دون الإشارة إلى أخذها من إنباء القمر .

(٣) ويسمى في بعض المراجع « قجاجق » وهذا يسميه العيني ، وكان قجاجق من خاصكية الظاهر برفوق ، ثم رقا ابنه الناصر فرج إلى التقدمة ، ومن ثم نعت ابن حجر هنا « بالناصرى » ، انظر الضوء اللامع ٦٩٨/٦ .

(٤) بالقاف في الضوء اللامع ٢٧٨/٨ .

(٥) الإصافة من الضوء اللامع ٤١/٨ .

(٦) فراغ في جميع النسخ .

بالأولية عن أحمد بن عبد الكريم وسمع عليه « الأربعين المخرجة في صحيح مسلم » بسماعه ،
 على زينب الكنديّة عن المؤيد ، وسمع من ابن الحبال « جزء المناذلي » أنا عبد الخالق بن
 علي بن واصل البصري ، ثنا أبو جعفر السديدي ، ثنا أبو القاسم إبراهيم بن محمد المناذلي ،
 وولي مشيخة خانقاه والده فكان أهل حلب يترددون عليه لرئاسته وحشمته وسؤدده ومكارم
 أخلاقه ، وكان مواظباً على إطعام من يرد عليه ، ثم عظم جاهه لما استتمل جمال الدين
 الأستاذ بالكلية في المملكة فإنه كان قريبه من قبل الأم لأن أم جمال الدين بنت عبد الله
 عمّ شمس الدين [أبي] المذكور ، وكان استقرّ في مشيخة الشيوخ بعد موت الشيخ
 عزّ الدين الهاشمي ، ثم سافر من حلب إلى القاهرة فبالغ جمال الدين في إكرامه
 وجهزه إلى الحجاز في أبهة زائدة ، و [كان] أحمد ولد جمال الدين يومئذ أمير الركب
 فحجّ وعاد فمات بعقبة أيلة في شهر الله الحرام ، وسلمّ ثأ آل إليه أمر قريبه جمال الدين
 [وآله (١)] .

١٧ - محمد بن عمر بن إبراهيم بن القاضي العلامة شرف الدين هبة الله البارزي ،
 ناصر الدين الحموي قاضي حماة هو وأسلافه ، كان موصوفاً بالخير والمعرفة فاضلاً عفيفاً
 مشكوراً في الحكم ، باشر القضاء مدّة ، ومات بحماة في هذه السنة ، وجدّه هبة الله هو
 القاضي شرف الدين البارزي العالم المشهور .

١٨ - محمد بن محمد بن موسى بن سليم - بفتح المهملة - الجاوي (٢) ، كان من
 أهل العلم بالمهنية ، وولي وظيفة التوقيت بالجامع الأموي ثم انتقل إلى حجا بلده فمات
 هناك في شعبان .

١٩ - محمد بن موسى بن محمد بن سلمان الحلبي الأصل الدمشقي بندر الدين بن
 الشهاب محمود ، وُلد في حدود الخمسين (٣) ، ونشأ بدمشق واشتغل وتعماني الأدب ونظم الشعر وولي

(١) الإضافة من الشذرات ٩٩/٧ في ترجمة « يوسف » الواردة في هذه السنة برقم ٢٢ ، ص ٤٤٥ .

(٢) « الجاوي » في الضوء اللامع ٦٦/١٠ .

(٣) « ويقال في حدود ستة سبعين » ، الضوء اللامع ٢٠٩/١٠ .

كتابة السر بدمشق وطرابلس ، وكان ولي توقيع الدست بحلب رئيساً كريماً ذكياً له مروءة وعصبية إلا أنه كان يُنسب إلى أشياء غير مرضية ، كتب عنه القاضي علاء الدين في ذيل تاريخ حلب من نظمه ، ومات في السجن بدمشق سنة ٨١٢ على يد جمال الدين الأستادار .

٢٠ - نصر الله بن أحمد بن محمد بن عمر، التستري الأصل ثم البغدادي نزيل القاهرة ، جلال الدين أبو الفتح ، وُلد في حدود^(١) الثلاثين ، ومات أبوه وهو صغير فرباه الشيخ الصالح أحمد السقا وأقرأه القرآن ، واشتغل بالفقه على مذهب الحنابلة ، وسمع الحديث من جمال الدين الخضري^(٢) وكمال الدين الأنباري وأبي بكر بن قاسم السنجاري في آخرين ، وأسانيدهم نازلة ، وقرأ الأصول على الشيخ بدر الدين الإربلي ، وأخذ عن الكرمانى شارح البخارى « شرح العصيد على ابن الحاجب » ، وولى تدريس الحديث بمسجد يانس^(٣) ببغداد ومدارس الحنابلة كالمستنصرية والمجاهدية ، وصنف في الفقه وأصوله ونظم كتابا في الفقه^(٤) : ستة آلاف بيت وأرجوزة في الفرائض : مائة بيت جيّدة في بابها وله « مختصر ابن الحاجب » و « مدائح نبوية » .

وكان يذاكر الناس ببغداد وانتفع الناس بذلك وخرج من بغداد فبالغوا في إكرامه ، وكان مقتدراً على النظم والنثر ، ثم قدم القاهرة في سنة تسعين ، وتقرّر في تدريس الحنابلة بمدرسة الظاهر برقوق وكان قد امتدحه وعمل له رسائل في مدح مدرسته ، وحدث بالقاهرة بـ « جامع المسانيد » لابن الجوزي بسماعه له بإسناد نازل إلى مؤلفه . مات في عشرين صفر بعد أن مرض طويلاً .

(١) في الضوء اللامع ٨٤٩/١٠ « ولد سنة ٧٣٣ » .

(٢) « الخضري » في ٥ .

(٣) هكذا في ٥ ، والضوء اللامع ٨٤٩/١٠ « مسجد يانس » وكذلك في المزوى : العراق بين احتلالين ١١٥/٢ ص ٤

وإن كان قد تشكك فوضع بعدها كلمة « كذا » ولكنها « ياسر » في ز .

(٤) سماه شذرات الذهب ٩٩/٧ « نظم الوجيز في الفقه » .

٢١ - نصر الله بن محمد الصرخدى ناصر الدين ، أحد الفضلاء ، مات في أحد الربيعين .

٢٢ - يوسف بن أحمد بن محمد بن أحمد بن جعفر بن قاسم البيرى ثم الحلبي نزيل القاهرة ، الأمير جمال الدين ، ولد سنة ٧٥٢^(١) ، وكان أبوه خطيب إلبيرة فصاهر الوزير عبد الله بن سحلول فنشأ جمال الدين في كنف خاله ، وكان أولاً بزىّ الفقهاء ، وحفظ القرآن وكتبها في الفقه والعربية ، وسمع من شمس الدين بن جابر الأندلسي قصيدته « البديعية » ، وعرض عليه « ألفية ابن معطى » وأخذ عنه في شرحها له بحلب ، ثم قدم مصر بعد سنة سبعين وهو بزىّ الجند فخدم أستاذار الأمير بجاس وعُرف به وطالت مدته عنده ، ثم ترقى إلى أن تزوج بنت أستاذه وعظم قدره ومحله ، فباشُر الأستادارية عند جماعة من الأمراء كبيبرس وسودون الحمزاوى وغيرهما ، وعمر الدور الكبار ، وعمر في داخل القصر بجوار المدرسة السابقة^(٢) منزلاً حسناً فيقال إنه وجد فيه حبية للفاضمين .

واشتهر ذكره بالمرودة والعصية وقضاء الحوائج للناس ، فقام بأعباء كثير من الأمور وصار مقصد الملهوفين يقضى حوائجهم ويركب معهم إلى ذوى الجاه ، ولم يزل معظما نافذ الكلمة إلى أن قرّر في الأستادارية رابع رجب سنة سبع وثمانمائة بعد هرب ابن غراب مع بشبك فحُمِدَت سيرته .

ثم وقع بينه وبين السالمى لتهوّر السالمى فقبض عليه في ذى الحجة واستبدّ بالأمر إلى أن قرّر في الأستادارية الكبرى عوضاً عن ابن قيمان في رابع رجب سنة ثمان بعد أن

(١) انظر الضوء اللامع ١٠/١١٥٧ ، والشذرات ٧/٩٩ .

(٢) وهى من إنشاء سابق الدين مشقال الآتوكى .

رسم عليه في بيت شاذّ الدواوين يوماً وليلة ، واستمر مع ذلك يتحدث في أستاذارية الأمير الكبير ببيرس ، ثم لما تغيرت الأمور التي بسطناها في سنة ثمان وثمانمائة وتمكّن ابن غراب من المملكة أراد الفتك بجمال الدين ثم اشتغل عنه بمرضه ولم يلبث أن هلك ، واستولى جمال الدين على الأمور واستضاف الوزارة ونظر الخاص والكشف بالوجه البحري واستقرّ مشير الدولة .

ثم لما قُتل يشبك صنع له الوقت وصار عزيز مصر على الحقيقة ، لا يُعقد أمر إلاّ برأيه ولا تنفصل مشورة إلاّ عن رأيه ، ولا يخرج إقطاع إلاّ بإذنه ، ولا يستخدم أحد من الأمراء ولو عظم - كاتباً عنده إلاّ من جهته ، ولاتباع دار حتى تُعرض عليه ، ولا يثبت مكتوب على قاضٍ حتى يستأذنه ، ولا يباع شيء من الجواهر والصيني ولا من آنية الذهب والفضة ولا من القز^(١) والصوف والحريير ولا من كتب العلم النفيسة حتى تُعرض عليه ، ولا يلي أحدٌ وظيفة ولو قلّت - حتى نواب القضاة - إلاّ بأمره ، ثم تجاوز ذلك حتى صار لا يخرج إقطاع ولو قلّ إلاّ بمشورته ، ولا يحكم أمير في فلاحه حتى يؤامره ، ولا تكتب وصية حتى تُعرض عليه أو يأذن فيها .

وخضع له الأمر والمأمور ، وكثير تردّد الناس إلى بابه حتى كان رؤساء الدولة من الدويدارية وكاتب السرّ ومن دونهما ينزلون في ركابه إلى منزله ، ولا يصدر أحد منهم إلاّ عن رأيه ، ثم شرع في انتهاك حرمة الأوقاف فحلّها أولاً فأولاً حتى استبدل بالقصور الزاهرة المنيفة بالقاهرة كقصر بشتك^(٢) والحجازية وغيرها بشيء من الطين من

(١) « الفرو » في الضوء اللامع ١٠/١١٥٧ .

(٢) أفاض المقرئ في خطه ٤١٣/٢ - ٤١٧ في وصف هذين القصرين . وقصر بشتاك منسوب إلى بانيه الأمير بشتاك الذي شيده على مساحة كبيرة من الأرض ، وبالغ فيه حتى وصفه المقرئ بأنه « من أعظم مباني القاهرة » . وله شبايك من حديد تشرف على شارع القاهرة ، وينظر من أعلاه عامة القاهرة والقلعة والنيل والبساتين ، وكان تمام بنائه سنة ٧٣٨ هـ ، وعلى الرغم من حسن روايته إلا أن صاحبه « كان إذا نزل إليه ينقبض صدره ولا تنبسط نفسه مادام فيه حتى يخرج منه . . . فكرهه وبعاه لزوجة بكنم الساق » . أما قصر الحجازية فكان يعرف أولاً بقصر الزمرد في أيام الفاطميين ، ثم لما كان زمن الأيوبيين اشتراه الأمير بدر الدين بن خطير الخاحب ، ثم صار يعرف بقصر قوصون ، ثم اشترته خوند تتر الحجازية ابنة الملك الناصر محمد بن قلاوون فبالت في الصرف عليه وتزيينه ، فأصبح ينسب إليها وبنت بجواره مدرستها المعروفة بالمدرسة الحجازية وجعلت القصر وفقاً عليها .

الجيزة وغيرها ، وكان قبل ذلك يتوقى في الظاهر ، فربما رام استبدال بعض الموقوفات فيعسر عليه القاضى إلى أن تجتمع شروط ذلك عند من ذهب إلى جوازه ، فيبادر هو قيده بعض الفعلة إلى ذلك المكان في الليل فيفسد في أساسه إلى أن يكاد يسقط ، فيرسل من يحذر مكانه ، فإذا اشتهر ذلك بادر المستحق إلى الاستبدال ، ومن غفل منهم أو تمنع سقط فينقص من قيمته ما كان يدفعه له لو كان قائماً ، ثم بطلت هذه الحيلة لما زاد تمكنه بإعانة القاضيين : الحنفى تارة والحنبلى أخرى .

سمعتُ القاضى كريم الدين بن عبد العزيز يقول : « كنتُ في جنازة فتوجهتُ للمقبرة فرأيت ابن العديم فقبحتُ له انتهاك حرمة الأوقاف بكثرة الاستبدالات فقال : إن عشتُ أنا والقاضى مجد الدين - وأشار إلى سالم الحنبلى - لا يبقى في بلدكم وقف ، والعجب أن رؤساء كانوا ينكرون أفعال جمال الدين في الباطن : رعاية له أو فرقا منه ، فما هو إلا أن قُتل فتوارد الجميع على اتباعه فيما سنَّ من ذلك حتى لم يسلم من ذلك أحدٌ منهم ، ولم يزل الأمر يتزايد بعد ذلك .

ثم لم يزل جمال الدين يترقى ويحصل الأموال ويدارى بالكثير منها ويمتنع على الناصر بكثيرٍ من الأموال التى ينفقها عليه إلى أن كاد يغلب على الأمر .

وفي الآخر صار يشتري بنى آدم الأحرار من السلطان ، فكل من تغير عليه استأذن السلطان في إهلاكه واشتراه منه بمال معين يعجل بحمله إلى الناصر ويتسلم ذلك الرجل فيهلكه ، فهلك على يده خلق كثير جدا ، وأكثرهم - فى التحقيق - من أهل الفساد .

وفى الجملة كان [قد] نفذ حكمه فى الإقليمين : مصر والشام ، ولم يفتنه من المملكة سوى اسم السلطنة ، مع أنه ربما كان مُدح باسم « الملك » ولا يغير ذلك ولا يكره . تقدم أنه قُتل فى جمادى الآخرة .

ولقد رأيت بعد قتله مناماً حاصله أننى ذكرت وأنا فى النوم ما كان فيه وما صار إليه وما ارتكب من الموبقات فقال لى قائل : « إن السيف محاء الخطايا » فلما استيقظت اتفق

أني نظرتُ هذا اللفظ بعينه في « صحيح ابن حبان »^(١) في أثناء حديث ، فرجوتُ له بذلك الخير .
ولعمري لقد ارتكبوا في حقِّه منذ قبض عليه إلى أن قُتل ، ألم يرتكبه في حقِّ مَنْ دونه
فيما كان فيه من الإهانة والإفراط في ظلم البراء من أهله حتى وُضعت امرأته سارة^(٢) بنت
الأمير بجاس - وهي حاملٌ - على دستِ نارٍ فأسقطت ، ورأت من الذل ما لا يوصف وماتت
بعد ذلك قهراً ، فله الأمر .

٢٣ - يوسف بن قاضي الصنمين^(٣) ، نقيب الشافعي ، لم يكن محمود السيرة فيما

يقال .

• • •

(١) هو محمد بن حاتم بن أحمد السبي المتوفى سنة ٣٥٤ هـ .

(٢) انظر الضوء اللامع ٣٠٤/١٢ .

(٣) الضوء اللامع ١٣١٩/١٠ .

سنة ثلاث عشرة وثمانمائة

استهلت والأمير شيخ يحاصر نوروز بحماة، ويبدأ شيخ غالب المملكة الشامية، وفي تلك المدة اتصل القاضي ناصر الدين البارزي بالملك المؤيد فلم يزل في خدمته إلى أن مات .

وفي خامس عشر المحرم استولى شاهين دويدار شيخ على حلب وحاصر القلعة ، ووصل إلى شيخ أظنبا القرمشي راجعاً من المرقب وقد حبس فيه المأسورين بعمل نائب الغيبة ، وأذن له سودون بقجة أن يخرج إلى المدورة فيحصل منها ما يمكن تحصيله ويأخذه لنفسه .
وفي الثالث والعشرين من صفر أخرج^(١) جاليس الناصر إلى قصد الشام وفيه بكتمر جلق وطوغان ويبلغا الناصري وشاهين الأفرم وغيرهم .

وفي سابع عشره توجهوا من الريدانية، وخرج السلطان في رابع ربيع الأول بالعساكر بعد أن عمل المولد النبوي في أول ليلة من ربيع الأول ، وجلس عن يمينه ابن زقاعة ودونه الشيخ نصر الله ودونه بقية المشايخ ، وعن يساره القضاة . وأنعم في هذه السنة على قاضي الحنابلة بمائة دينار ليتجهز بها دون بقية القضاة .

وقرر في مشيخة التربة التي أكمل عمارتها - وكان أبوه^(٢) أسسها - صدر الدين أحمد بن العجمي ورتب عنده الصوفية .

(١) جاء في هامش ه ، أمام هذا الخبر ولكن بغير خط الناسخ : « حدثني الشيخ الفاضل زين الدين أبو بكر بن شمس الدين محمد بن شمس الدين محمد العراق الشافعي خدام الشيخ العلامة القدوة نور الدين علي بن أحمد بن أبي بكر الآق ترجمته أن الملك الناصر دخل وهو متأهب لهذا السفر إلى جامع عمرو ، ثم مر من عند الشيخ فتأمله وهو ذاهب ثم قال : لا إله إلا الله ما [... ..] قد استولت على القلوب . ثم قال : اقتلوا هذا المقرب ولا تلوثوا المسجد بها وارموها خارجاً ، فقمنا فلم نرشياً فأيس رقيق ، وأما أنا فلعلمي بأحوال الشيخ أمعت في التفتيش فوجدتها وراء العمود في موضع لا يراه منه الجالس في موضع الشيخ فقتلتها ثم رميتها خارج الجامع على مزبلة بقرب الحمام المنسوب إلى الشافعي ، فظننت أن الشيخ أشار بذلك إلى أن الناصر يقتل في هذه السفارة فكان كذلك ورمي على مزبلة كما فعلنا بالمقرب كما سياتي ، والملك الموفق .

(٢) يعني بذلك السلطان برقوق .

وفي السادس منه أمر بأخذ مافي الطواحين والمعاصر من الخيل والبغال فسيّرت إلى العسكر ، وبلغ الأميرين^(١) تحرك الناصر إليهما من القاهرة فأذعنا إلى المصالحة : على أن تكون دمشق وما معها لشيخ ، وحلب وما معها لنوروز ، وأن يستقل كل منهما بمملكته ، وتركا ذكر اسم الناصر من مكاتباتهما ، وصارا يكتبان بدل « الملكى الناصرى » : « الملك لله » .

فلما تقرّر ذلك عزمنا على مسك دمرداش وابن أخيه قرقماس ، فهرب دمرداش ولحق بالعجل بن نعيم ثم سار إلى الناصر ، وهرب أيضا مقبل الرومى فلحق بالناصر لما قدم غزة ، ورجع شيخ إلى دمشق - ومعه يشبك بن أزدمر - وأفرج عن سودون الجلب وغيره من المساورين بقلعة المرقب ، وأشاع أنه يريد التوجه إلى عسكره ، فتوجه إلى العربان فأوقع بهم وأخذ لهم جمالاً وأغناماً كثيرة ، وخرج من دمشق ومعه جانم نائب حماة فتوجهها^(٢) إلى جهة حلب .

ووصل القاضى شمس الدين الإخنائى مع الناصر فأعيد إلى قضاء دمشق وصرف الباعونى إلى خطابة القدس وخطب الإخنائى .

* * *

وأما نوروز فمضى إلى حلب فتسلّمها ، واستمر السلطان فى السير إلى الشام ، وقرّر فى نيابة الغيبة أرغون نائب السلطنة بباب السلسلة وكمشبيغا الجمالى بالقلعة وإينال الصلصلاى الحاجب لفصل الحكومات ؛ وأنفق فى هذه السّفرة من الأموال مالا يدخل تحت الحصر^(٣) والضبط ، فأعطى لتغرى بردى وبكتمر جلق ستة آلاف دينار ، ولكل مقدم ألفى دينار ، ولكل طبليخاناه خمسمائة دينار ، ولكل أمير عشرين ثلاثمائة ، ولكل أمير عشرة مائتين ولكل مملوك مائة ، فكانت النفقة وحدها نحو خمسمائة ألف دينار خارجاً عن الخيول والجمال وما يحتاج إليه من البرك^(٤) والخلع وغير ذلك .

(١) أمانيها فى هامش « أى شيخ ونوروز » .

(٢) ساقطة من هـ .

(٣) « الحصر » غير واردة فى هـ .

(٤) بلا تنقيط فى هـ .

فلما وصلوا إلى غزة بلغهم خبر شيخ فتشاور بكثر جلق فوصل إلى دمشق في سابع
عشرى ربيع الأول صبيحة خروج شيخٍ منها فأدرك جماعةً من أصحاب شيخ فقبض
عليهم .

وقدم الناصر صحبة جريدة لكبس شيخ ففاته ، ثم قدمت أثقال الناصر ونودى
بالأمان ، وقرّر الناصر في نيابة دمشق نوروز ونودى بذلك ليطمئن ويحضر إليه ، وقرّر
في نيابة طرابلس يشبك الموساوى بعد أن بذل فيها مائة ألف دينار .

وبرز الناصر إلى برزة في العشر الأول من ربيع الأول ، واستناب بدمشق شاهين الزردكاش ،
وقبض على شرف الدين موسى الملكاوى وأتهمه بإخفاء صدر الدين بن الأدمى وكان إذ ذاك
قاضي الحنفية وكاتب السرّ عند شيخٍ فدلّ عليه ، فلما أتاه الطلب هرب ثم قبض عليه
فُسجن بقلعة دمشق في سابع جمادى الأولى .

• • •

واستمر سيرُ الناصر إلى حلب ثم خرج منها في نصف الشهر ، فلما أحسّ الأمراء
بمسيره مضوا إلى مرعش فتلقّاهم على باك وناصر الدين ولدا خليل بن ذلغادر فأقاموا
عندهما ، ثم بلغهم خروج الناصر من حلب في طلبهم فرحلوا إلى كِلْوَة^(١) ثم إلى قيسارية
فنزل الناصر بالأبلستين ، وكتب إلى شيخ ونوروز يُخيّرهما بين الخروج من مملكته
وبين^(٢) الوقوف لمحاربتة أو الوصول لخدمته ليفعل فيهما ماشاء ، وأنه عزم على الإقامة
بمكانه السنتين أو الثلاث حتى ينال غرضه منهم ، فأجابه شيخ يعتذر بما خامر قلبه من
الخوف وأنه المانع له من الحضور وأنه لا يقابل السلطان أبداً ، وأنه إن لم يسمح له
السلطان بنيابة دمشق فلينعم عليه بنيابة أبلستين ولنوروز بنيابة ملطية وليشبك بن
أزدمر بعينتاب ، وتفرّق القلاع على بقية الأمراء ليحفظوها فإنهم أحتق من التركمان
والأكراد المفسدين ، فلم يدعن^(٣) السلطان لذلك وأرسل إلى دمشق يستدعى الأموال ، وأمرهم

(١) اكتفى مرصد الاطلاع ١١٧٧/٣ في تعريف موقعها بأن قال إنها موضع بارض الزنج .

(٢) « أو » في ٥ .

(٣) « يرض » في ٥ .

أن يوزعوا على البساتين وغيرها من الطواحين والحمامات وغيرها نصف ما كان يأخذه نوروز، وأهل القرى حينئذٍ يُجَبَى منهم الشعير . وأحدثوا عليهم شعيراً آخر ليزرع الفصيل الذي ترعاه الخيول .

ووصل إلى الناصر من التركمان والعربان ونواب القلاع خلق كثير ، ووصلت إليه رُسل قرا يوسف ورُسل صاحب ماردين ورُسل قرابلك بتقادمهم وهداياهم ، فكثرت العساكر وقلَّتِ الأَقوات ، وظهر المللُ في العسكر وبدت نفرتهم من طول الإقامة .

فألزم ولدا ذُلغادر : محمد وعلى بالقبض على نوروز وشيخ ومن معهما وطردهما من البلاد، ورجع إلى حلب .

فلما رجع توجه سودون الجلب من عسكر نوروز وشيخ فغلب على الكرك ، وخرج نائب دمشق في طلبه لما بلغه أنه مرّ عليه فلم يدركه ، وفاتهم أيضا جانم وقرقماس فتوجهها إلى ملطية ثم افترقا ، وقدم قرقماس على الناصر بحلب فأكرمه وولاه نيابة صفد ، ثم قدم جانم فولاه نيابة طرابلس ، ثم قدم تغرى بردى - ابن أخى دمرداش - فقرر في نيابة صفد وعوّض عنها أخوه قرقماس بحلب ، وكان استناب في دمشق بكتمر جلق ، وكان استناب حيدر - نائب قلعة المرقب - على طرابلس فتوجه إليها وبها حسن بن محب الدين أستاذار شيخ وعلم الدين وصلاح الدين ولدا ابن الكويز من جهته فحاصروهم ، ثم صرف عن النيابة وسار إليها جانم المذكور قبل ، وأرسل الناصر إلى أطنبغا العثماني وقلباى المحمدى يطلبهما من دمشق فتوجهها إليه في خامس رجب .

ووصل بكتمر جلق في السادس منه فاستقرّ بها ، ووصل فيروز الخزندار لإخراج من بقى من المماليك بدمشق . ووقعت بينه وبين نائب ألبيرة وبين سودون المحمدي حرب ، فأرسل الناصر من أخذ قلعة الروم وأرسل بلبان يحاصر كزل - من الشيخية - بصهيون ، وأرسل

تنكز إلى حصن الأكراد ومعه ابن إينال ، وأرسل إلى دمشق بالقبض على جماعة من المخامرين .

فلما كان في السادس من رجب ركب بكتمر جلق ورفع علم السلطان ونادى : « من أطاع السلطان فليقف تحت العلم ! » ، فتسارعوا إليه إلا قليلاً ومضوا إلى الميدان ودقوا طبلاً وقبضوا على قنباى ونكباى وتوجهوا ، فتبعهم بقية العسكر فلم يلحقوهم ، واستمر أولئك إلى أن دخلوا الكرك وكبيرهم برذبك الخزندار ، فلما بلغ الناصر خبر الكرك أرسل تقليد نيابتها لسودون الجلب يستميله بذلك ، ثم رحل الناصر فوصل إلى دمشق في أواخر رجب .

ولما تحقق شيخ ونوروز رحيله من حلب توجهوا إلى عينتاب وسلكا البرية طالبين الشام ، فركب الناصر من حلب على حين غفلة فقدم دمشق في أربعة أيام ، واستأذنه القاضي جلال الدين في التوجه إلى القاهرة بسبب تجهيز الحرمين فأذن له فسار منها في ثامن شعبان .

وسار أيضاً مجد الدين بن الهيصم ناظر الخاص فقدم القاهرة في ثامن عشر شعبان وبالغ في المصادرات وطلب الأموال من غير حقها ، حتى إنه أحضر صحبته مراسم بإبطال الموارث الأهلية حتى من له ولد أو والد ، فلم يُمهّل ومات في ليلة العشرين منه وسر الناس بموته .

وظفر الناصر بستة من أصحاب شيخ بدمشق فأمر بهم فرسطوا ، وقدم الخبر بوصول شيخ ونوروز إلى أرض اللقاء في مائتين وخمسين فارساً ، وكان السبب في ذلك أنهم تفرقوا بعد رجوعهم من قيسارية عند تل باشر^(١) ولحق بدمشق وصلب منهم عدة وافرة واختفى آخرون .

(١) تل باشر اسم يطلق على قلعة حصينة وكورة شمال حلب أنظر مراد الإطلاع ٢٦٩/١ ، : Dussaud : Topographie Hist. de la Syrie, p. 468; Le Strange : op. cit. p. 542.

وفرَّ شيخ ونوروز في خواصَّهما إلى تدمر فامتاروا منها، ثم مضوا إلى صرخد ولم يستقروا بها، ثم مضوا إلى البلقاء فدخلوا إلى القدس، ثم رجعوا إلى غزة فدخلوها في سادس عشرى شعبان، ومات منهم بالبقاء تمرِّبًا المشطوب وإينال المنقار بالطاعون في حسيان، ولحق بهم سودون الجلب من الكرك فأخذوا منه عدةً كبيرة من الخيول، ثم رحلوا منها في صبيحة الثالث من رمضان، ورجع الجلب إلى الكرك، فجهَّز الناصرُ في إثرهم بكتمر جلق على عسكر كبير، فساروا إلى زرع، ثم ألحقه بطوغان فساروا في أواخر شعبان فاجتمعوا بقاقون^(١) في الثاني من رمضان، فساروا جميعا إلى غزة فقدموها في ثالثه وقد رحل منها شيخ وأصحابه بكرة النهار، فوجدوا نائب غزة خايربك قد تبعهم إلى الزعقة فاستراحوا بغزة، وبعث بكتمر شاهين الزردكاش وغيره على البرية إلى القاهرة يحذِّرهم بمجى شيخ ومن معه.

وخرج من غزة في الخامس من رمضان فاستمرَّ شيخ ومن معه متوجِّهين إلى القاهرة، فمات شاهين دويداره بالصَّاحية فدفنه هناك وحزن عليه كثيرا، وكان^(٢) من الفرسان المدودين ميمون النقيبة، لم يرسله أستاذه في جهة إلا وكان على وجهه النصر.

• • •

واستمر شيخ ومن معه إلى القاهرة، فاستعدَّ أرغون نائب الغيبة ومن معه للحصار فوصلوا في الثامن من رمضان، وهم: شيخ ونوروز ويشبك بن أزدمر وبردبك وقنباى وسودون بقجة وسودون المحمدي ويشبك العثماني وقمَّش وأتباعهم، والتفَّ عليهم جمعٌ كثير من عرب الشرقية، فتوجَّه شيخ من ناحية المطرية إلى بولاق إلى الميدان الكبير إلى الصليبية إلى الرميلة، فبرز لهم إينال الصصلائي الحاجب فصدَّهم عن القلعة، فتوجَّهوا إلى بيت نوروز بالرميلة واجتمع عليهم خلق كثير من الغوغاء، وأرسل شيخ رجلاً إلى القاهرة فنادى بالأمان ورفع الظلم وترخيص سعر الذهب والقمح، فمال الناس إليه وساعدوه؛

(١) قلعة من أعمال فلسطين قرب الرملة كما أشار إلى ذلك ياقوت في معجمه، وهي تعتبر داخلية من نواحي قيسرية على ساحل الشام، وتعرف في المصادر الصليبية باسم Quaquo, Chaco, Caco، أنظر في ذلك Le Strange: Palestine Under the Moslems, p. 475.

(٢) يقصد بذلك دويداره شاهين، انظر ترجمة رقم ١٠ ص ٤٧٠ وحاشية رقم ٣ بها.

فتوجّه بمن معه إلى مدرسة الأشرف فملكها ثم مدرسة حسن ، ورموا على الإصطبل ففرّ أرغون فدخل القلعة بمفرده ، وأمر شيخ بإخراج من في جميع الجبوس من المسجونين فاطلقوا ، وكان بعض ذلك بمباشرة يشبك بن أزدمر بحيث أنه هدم مافوق خوخة أيتمش وسهّل الدخول للراكبين منها فدخلوا وفتحوا باب زويلة ، فهرب حسين والى القاهرة وتوجّه إلى حبس الديلم فكسر بابه وأخرج من فيه .

وأمر شيخ بتتبع الخيول من الإصطبلات وغيرها فأخذ منها ما يحتاج إليه ، ثم هجم على باب السلسلة فأخذ الإصطبل ، وجلس في الحرّاقة ، وتوجّهوا إلى باب القلعة فطلبوا فتحه فكلّمهم الزمام من وراء الباب فقال : « إن حريم السلطان في القلعة » ، فقالوا : « مالنا غرض في النهب بل نريد أن نأخذ ابن السلطان ونسلطه » فقال : « ليحضر منكم إلى باب السرّ إثنان أو ثلاثة فيحلفوا وأنا أسلمهم لكم » ، وقصد إبطاءه ليحضر العسكر السلطاني ، فباتوا . فلما أصبحوا لاحت بوارق العسكر وارتفع العجاج وأشيع أن الناصر وصل ، فارتفعت الأصوات في القلعة بذلك وهلّلوا وكبّروا ، فركب شيخ وأصحابه من ساعتهم نحو باب القرافة ، فكبا بالأمير شيخ جواده فبادر أصحابه فأركبوه غيره ولم يجسر أحدٌ على اتّباعهم ، وكان العسكر الواصل فيه بكنتمر جلق وطوغان ومن معهما ، فقبضوا من المذكورين على جماعة منهم برّديك وبرّسباى وقرابشتك (١) .

وكان السبب في قدوم هؤلاء هزد السرعة أن الناصر لما وصل دمشق وقيل له إن نوروز ومن معه توجهوا إلى صرخند جهّز بكنتمر جلق وطوغان اللويدار ويشبك الموساوى وقنباى وأسنبغا الزردكاش والأطنبغا العثماني ومن معهم - وكانوا قدر ألف نفس - ليحاصروا نوروز ومن معه ويقبضوا عليهم .

فلما وصلوا إلى صرخند قيل لهم قد توجهوا إلى غزة فاستمروا خلفهم إلى غزة ، فقيل لهم توجهوا إلى نحو مصر فاختلقوا ، فقال بكنتمر ومن معه : « مامعنا مرسوم بالروح لمصر » ، وخالفهم الأكثر فاحتاج أن يوافقهم وتوجهوا إلى مصر مسرعين ، فاتفق وصولهم

(١) في «قراكك» .

حين أراد نائب الغيبة بالقلعة أن يسلم القلعة فبطل ذلك فجأة ، وظنَّ شيخ ومَن معه أن السلطان في العسكر المذكور فانهزموا ، ولو تحقَّق أنَّ رأسهم يكتمر لما انهزم ولعلمهم أن يكتمر لا يقوم قدامه .

واعتذر من قدم من عدم اتباعهم للمنهزمين أن خيولهم كانت أعيتت - وكذلك الرجال - من توالي الركض حتى أدركوا ما أدركوا .

* * *

وسار شيخ بمن معه إلى إطفيح ثم إلى السويس فأخذوا منها عليقا وجمالا ، وسار بهم شعبان بن عيسى في درب الحاج إلى نخل وافترقوا حينئذ فرقتين : فرقة رأسها نوروز ومعه يشبك بن أزدمر وسودون بقجة ، وفرقة فيها شيخ ومعه سودون قرا صقل وسودون المحمدي ، فوصلوا إلى الشوبك ثم إلى الكرك فتلقاهم سودون وأدخلهم المدينة .

فلما كان في وسط ذي القعدة توجه شيخ إلى الحمام بالكرك ومعه قانباى المحمدي وسودون وطائفة يسيرة ، فبادر أحمد بن أبي العباس الحاجب بالكرك وأراد الفتك بهم ومعه جمع كثير فاقتحموا الحمام فسبقهم بعض مماليك شيخ فأعلمه فنهض وفي وسطه مئزر وفي يده طاسة الحمام ، فقاتلهم وأخرجهم من الحمام .

ثم تكاثروا عليه فأدركه^(١) نوروز في جماعة فكسروهم ، وقد أصاب شيخا سهم فخرج منه بسببه دم كثير فسقط مغشيا عليه فحُمِل على بساطه وأقام أياما لا يعقل .

وقُتِل في هذه الكائنة سودون بقجة وكان شابا ، وهو زوج بنت تمتاز ، وكان مع ذلك محبا في العلماء .

فلما وقع ذلك خشى سودون العجب من الأمراء أن ينسبوه إلى الفتنة المذكورة ، فهرب منهم إلى ماردين وعزم على المضي إلى قرا يوسف ، فبلغه أنه مشغول بمحاربة ملوك الترك - مثل أيدكي وإبراهيم الدربندي وشاه رخ بن تمرلنك - فتأخر عن المضي إليه ، ونودي بالقاهرة

(١) في ك « فأدركهم نوروز وجاعته » .

بتهديد من آوى أحداً من الشيخية والنوروزية ، وبسط حسام الدين يده في أذى من ينتسب إليهم حتى منعه بعد ذلك نائب الغيبة .

وأخذ بكتمر جلق من الأستادار السلطاني ألف دينار ، وألزم المحتسب ببيع قمح له بألفي دينار وإحضار ثمنها فعجز عن ذلك وهرب وعزل نفسه ، وهو شمس الدين بن الدميري ومات بعد قليل في رمضان .

وأخذ بكتمر من تجار الشام مالاً جزيلاً قرضاً ، وتوجه في السادس عشر يريد دمشق فوصل إلى غزة في الثاني والعشرين منه .

وفي رمضان قبض على شرف الدين وشمس الدين ولدي التتائي ، وعلى محب الدين ابن الشحنة وشهاب الدين شقري من حلب ، فقيّدوا وأحضروا إلى دمشق فسجنوا بالقلعة .

وأرسل الناصر إلى جانم نائب طرابلس وتغرى بردى نائب صفد فقدا عليه في دمشق فأرسلهما في عسكر إلى جهة شيخ ، فخرجوا في سابع عشر رمضان فوصل الخبر بما اتفق في القاهرة فاستعادم .

وأرسل آقبغا دويدار يشبك إلى القاهرة بخلع إلى الأمراء المذكورين مع الثناء عليهم بما فعلوه .

وكان الخبر قد اتصل إلى الناصر بتقاعد طوغان وبكتمر عن القبض على شيخ ومَن معه مع قدرتهم على ذلك ، فأسر ذلك في نفسه ، ثم جاءه الخبر بأخذ أصحابه قلعة^(١) صرخد . وفي العشرين من شوال أخرج بالذين قبض عليهم الناصر من دمشق مقيدين للتوجه بهم إلى مصر ، وتوجه دمرداش إلى بلد الخليل ومعه عسكر لكشف أخبار الأمراء الهاربين من القاهرة .

(١) غير واردة في ك .

وفي العاشر من ذى القعدة نودى بالعسكر أن يخرجوا إلى باب النصر ، وتبعت الحمير من الدواليب والبساتين لتحمّل عليها الأمتعة السلطانية ، فتضرر الناس من ذلك كثيراً وكثر الدعاء عليه .

وفي الخامس عشر منه خرج السلطان إلى الغوطة فنهب عقرباء^(١) ، وكان قد سعى عنده أن الأمراء الهاربين بها فلم يجد منهم أحداً وعظم الضرر بالناحية المذكورة .

وفي سابع عشره خرج الناصر من دمشق ونزل بقبة يلبغا ورجع بكتمر جلق بخلعة على نيابة الشام .

فلما كان في صفر في سلخ ذى القعدة أُلزم قضاة الشام بعشرة قراقل والتجار بعشرة أخرى .

* * *

وفي ذى القعدة حامر آقبا شيطان - وكان على المرقب من جهة شيخ - فسار إلى جهة حلب مظهراً طاعة السلطان ، وتوجه السلطان إلى جهة الكرك لما تحقق حلول الأمراء بها وأرسل حريمه إلى القاهرة ، فوصلوا ووصل صحبتهم أكثر الأثقال والقضاة في ذى الحجة ، ووصل الناصر إلى الكرك فحاصرها ، فمضى تغرى بردى وتمراز الناصرى في الصلح بين الناصر وبين الأمراء إلى أن استقرّ على أن يكون شيخ في نيابة حلب وتستمر قلعة المرقب بيده ، وأن يكون نوروز في نيابة طرابلس ، وشرط الناصر عليهما أن لا يخرجوا إمرة ولا إقطاعاً ولا وظيفة إلاّ بأمره ، وأن يُسلما قلعة الكرك ومدينتها له ، وكذلك يسلم شيخ قلعة صرخد وقلعة صهيون . وحلف الجميع على الوفاء بذلك وخلع عليهم وعلى من معهم خلعة كثيرة .

وقرر يشبك بن أزدمر أتابك العساكر بدمشق ، وسودون من عبد الرحمن أميراً بمصر ، وقانبای المحمدي أميراً بحلب ، ونزل الجميع إلى الناصر وأكلوا على سباطه وعملوا الخدمة عنده .

ورحل الناصر عن الكرك إلى القدس ، وسار تغرى بردى إلى جهة دمشق وقد استقرّ نائباً عوضاً عن بكتمر جلق ، فأقام الناصر بالقدس خمسة أيام ورجع متوجّهاً إلى القاهرة .

* * *

(١) مدينة في إقليم الجولان بدمشق ، انظر باقوت ٣/٦٩٥ ، Dussaud : op. cit. p. 327.

ذكر الحوادث الخارجة عن حروب المتغلبين

في أول المحرم استقر قراجا شادُ الشرابخانا دويداراً كبيراً عوضاً عن قجاجق بحكم موته فلم ينشب أن مات وهو متوجّه صحبة العساكر بالصالحية في ثالث صفر ودُفن في جامعها ثم نُقل بعد ذلك إلى القاهرة ، قال العيّنابى : « كان فاسقاً قليل الخير ، وخلف موجوداً كثيراً احتاط عليه السلطان » .

وفيه أولم بكتمر جلق على بنت^(١) الناصروبنى بها ليلة الجمعة حادى عشره .

وفي ليلة الحادى والعشرين منه اجتمع رجلاّن من العوامّ بدمشق فشربا الخمر فأصبحا محروقين ، ولم يوجد منهما نار ولا أثر حريق في غير يديهما وبعض ثيابهما ، وقد مات أحدهما وفي الآخر رمق ، فأقبل الناس أفواجاً لرؤيتهما والاعتبار بحالتهما .

وفيه فشى الطاعون بطرابلس وهوران ودمشق ، ووقع جرادٌ بالرملة وبالساحل .

وفيه توجه أحمد بن أويس في عسكر بغداد إلى تبريز ليستولى عليها ، وقد سار صاحبها قرا يوسف إلى أرزنكان لقتال قرايلك التركمانى وكانت بينهما عداوة ، فبلغ ذلك قرا يوسف وأن أحمد بن أويس اتفق مع شاه رخ بن تمولك وغيره على قرا يوسف . فرجع^(٢) قرايوسف عن محاربة قرايلك وتوجه إلى تبريز ، فجمع أحمد بن أويس عسكراً كبيراً فيهم ابن الشيخ إبراهيم الدربندى وأمرأه البلاد ، فاقتتلوا في يوم

(١) كانت صغيرة السن لم تبلغ بعد السابعة من عمرها ، انظر النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٢٢٧ .

(٢) الزوارد في العراق بين احتلالين ٣٠٣/٢ - ٣٠٤ أن أحمد بن أويس هاجم تبريز وكان بها شاه محمد النجوى قائماً مقام قرا يوسف فلم يستطع الصمود في وجه ابن أويس الذى دخلها دون مقاومة تذكر ، ولما ترامت هذه الأنباء إلى قرا يوسف اضطر للعودة بعد أن فتح أرزنكان بطريق المصالحة ، ولم يقف الأمر به عند هذا الحد بل عين نائباً عنه بها هو بير محمد عمر ، وعاد حيث التقى مضاهه بمصاف ابن أويس في منخفضات غازان في معركة انتهت بهزيمة ابن أويس « وفي أثناء هزيمته ضربه تركانى فوق من فرسه فانزع منه أسلحته وثيابه وتركه لشأته ، فاضطر أن يسلك من مرماء إلى بستان فعرفه شيخ إسكافى » وقد وعده أحمد بمقوبة إن أخفى خبره ، غير أن زوجة الإسكافى أشارت على بعلها أن يعلم قرا يوسف فاستجاب لها فجاؤا به إليه في ثياب رثة ، واستكتبه صكا بتنازله عن بغداد لابنه محمد الذى يادر للهوض إلى بغداد كما سيخبره بالمتن .

الجمعة ثانی عشری ربیع الآخر، فانکسر ابن أویس وفقد ابن أویس وولده علی وکثیر من الأمراء ، وأسر ابن الشيخ وعدة من الأمراء .

واستولى قرايوسف علی تبریز وغيرها ، ويقال إن ابن أویس اختفى فی عين ماء فدخل علیه بعض الفرسان فأراد قتله فعرفه بنفسه فأحضره إلى قرايوسف فأكرمه واستمر معه فی الاعتقال ، فيقال إنه قتل خنقاً .

وحاصر محمد بن قرايوسف بغداد أشهراً وبها « بخشايش»^(١) مملوك أحمد [بن أویس] فلم يصدق بموت أحمد واستمر علی الخطبة له ، ثم أقام صبياً يقال له أویس ابن أخی أحمد فسلطنه ، ثم قامت ببغداد ضجة فی الليل قتل فيها بخشايش ، وأشيع أن الذي أمر بقتله أحمد بن أویس وأنه حی يرزق وأنه ظهر ببغداد ، وصارت الأوامر تخرج من دار أحمد علی لسانه ، واستقر عبد الرحيم بن الملاح موضع بخشايش وأعيدت الخطبة باسم أحمد وبطل أمر أویس^(٢) ، فرجع محمد بن قرايوسف بمن معه عن حصار بغداد ، ثم قتل عبد الرحيم بن الملاح فأشاعت أم الصبي أویس أن أحمد بن أویس قتل فأعادوا ابنها إلى السلطنة فعاد عليهم محمد فحاصرهم ، فأشيع ثانياً أن أحمد حی ، وقد وقعت ضجة عظمی .

وشاع أن أحمد ظهر فاجتمع الناس إلى داره فخرج إليهم شخص فی زى أحمد علی فرس فقبلوا له الأرض وذلك كَيْلاً، وسأله أن يظهر لهم فی النهار فوعدهم وظهر لهم عند غروب الشمس فصاحت العامة : « هذا السلطان أحمد » وظنوا ذلك حقيقة ، ثم ظهر فساد ذلك وأن ذلك كله مخرّج علی أم أویس ، وآل الأمر إلى غلبة محمد بن قرايوسف علی بغداد ، ونزح عنها أویس بمن معه فسار إلى تستر فملكها وانقضی أمر أحمد بن أویس ، وكانت غلبة محمد [بن قرايوسف] علی بغداد فی أول سنة أربع عشرة .

(١) دأبت نسخة هـ علی كتابة اسمه « بخشاش » .

(٢) هو أحد أولاد أحمد بن أویس .

وهربت مرضعة حسن بن أحمد بن أويس إلى حلب فقدمت به في رمضان ، وقيل إن قرايوسف لما ظفر به سلمه لبعض أصحابه وقال : « إنني لم أنصر عليه بقوتي ولكن بغدره » ، وكان قرايوسف لا يحب القتل فخشى من فر إلى قرايوسف من أحمد أن يطلقه فيهلكهم فتسببوا في قتله إلى أن لم يجد بدا من الأمر بقتله فأمر بخنقه ظاهرا ، وأسر إلى من يخفيه أن يبقي عليه ، ثم أحضر شخصا يشبهه فشنقه ، فرضى أصحابه بذلك .

ولهذا كان قرايوسف وولده محمد ومن عرف القصة إذا أشيع أن أحمد حتى يصدقون بذلك ولا يتوقفون ، وقد أشيع بعد ست سنين من هذا التاريخ أنه حتى .

وفيه في ثالث عشرى صفر نودى بالقاهرة أن تكون الفلوس بإثني عشر درهما كل رطل وكان بستة ؛ والذهب بمائتين منها ، واشتد الأمر وفقد الخبز وغلقت الأسواق فغضب الناصر من ذلك ، وكان قد حصل من الفلوس جملة كبيرة لتحسين بعض الناس له ذلك ، وسوّلت له نفسه أنه إذا صيرها بإثني عشر كل رطل ربح في كل ألف ألفا أخرى ، فاشتدت عليه مخالفتهم لأمره وهم بأن يضع السيف في العامة ، ويات^(١) من الناس في كرب ، ثم لم يزل به الأمراء حتى أذن أن يكون بتسع كل رطل ، فنودى بذلك فسكن الحال قليلا وظهرت المآكل ، ثم شفع إليه الأمراء أن يعيدها كما كانت عليه لما حصل لهم من العطلة في تجهيزهم إلى السفر فنودى عليها بستة ففتحت الأسواق .

وقيل كان السبب أنه سأل عن سعر الحديد الذي يُنعل به الخيول والبغال وعن الحديد والسلاسل ف قيل له : « كل رطل بإثني عشر » ، فأنكر ذلك وقال : « الفلوس من النحاس ، وهو أعلى من الحديد ، فكيف يكون النحاس أرخص من الحديد ! » فلما تخيل الممالك أن ذلك بسببهم نفروا منه فرجع عن ذلك .

(١) في ز : « ويات الناس في كرب » .

وفيهما انحطَّ سعر الغلال بعد سفر الناصر إلى الشام حتى وصل الشعير من مائة وخمسين إلى ستين ، وقس على ذلك .

• • •

وفي هذه السنة كثرت الفتن بجبال نابلس بين ابن عبد الساتر وابن عمه عبد القادر شَيْخِي العشير ، وعظم البلاء بحيث أن الدرب انقطع من السالك .

وفي جمادى الأولى استقرَّ محمد التركماني في نيابة الكرك .

وفيه توجه عثمان بن طرغلي المعروف بقرايلك إلى أرزنكان وأحرق ديارها وجلا أهلها معه إلى بلاده .

وفيه اقتتل سلمان بن أبي يزيد مع أخيه موسى وهزمه وحصره بأفلاق ، وآل الأمر إلى استيلاء موسى على مملكة أخيه ، ومات أخوه في هذا العام .

ووقع بين ابن قرمان وبين ابن كرىمان قتال ، وكثرت الفتن بين التركمان واستعرت البلاد نارا ، والله الأمر .

• • •

وفي جمادى الآخرة وصل الفرنج الذين استأذنوا الناصر - في العام الماضي لما دخل القدس - أن يُجَدِّدوا عمارة بيت لحم ، فوصلوا في هذا العام إلى يافا ومعهم عَجَلٌ وصنَّاع وأخشاب ، فأخرجوا المرسوم واستدعوا الصَّناع للعمل بالأجرة ، فأتاهم عدة وشرعوا في إزاحة ما في طريةهم من الأوعار ووسعوا الطريق بحيث يسع عشرة أفراس ولم تكن تَسَعُ غير فارس ، وأحضروا معهم دُهناً إذا وضعوه على الصخرة سهل قطعها ، فلما رجع الناصر إلى دمشق عرفه نصحاؤه بسوء القالة في ذلك ، فكتب إلى أرغون كاشف الرملة بمنعهم من ذلك والتبض عليهم وعلى من معهم من الصَّناع والآلات والسلاح والجمال والدهن ، فحتم على مخازنهم وحملهم وما معهم إلى القاهرة .

• • •

وفي ثاني عشرى رمضان استقر تاج الدين عبد الوهاب بن نصر الله في نظر الكسوة
ووكالة بيت المال بعد موت الطويل .

وفي سابعه استقر شهاب الدين بن الكشك في قضاء الحنفية بدمشق ، ونجم الدين
ابن حجبي في قضاء الشافعية بطرابلس .

وفي رمضان أوقع قرقماس بالتركمان ونهب منهم غنماً كثيراً وجمالاً ومالاً ، فوافاه
كتاب الناصر يأمره بالوصول إليه ، فوصل وأهدى له مما كسبه من التركمان أربعة
آلاف رأس غنم .

وفي شوال قبض الناصر على جانبك القرمي فضربه ضرباً مبرحاً وسجنه بالقلعة .

* * *

وفي ذى القعدة قدم الأستاذار تاج الدين بن الهيصم والوزير سعد الدين بن البشيري
إلى القاهرة لتحصيل الأموال ، فأظهر الأستاذار مرسوم الناصر بقبض ترك الموق جميعها
من ذوى الأموال مطلقاً : سواء من كان له وارث أو من لم يكن ، فعظمت المصيبة وكثرت
الشناعة ، وبالع في استرجاع الميراث من أخذه بحق : من ولد وأخ وزوج وزوجة وغير
ذلك ، فشاع بين الناس أن الناصر أمر بتغيير حكم الله

* * *

وفي هذه السنة كان في أول العام وباء ببلاد فلسطين وحوران وعجلون ونابلس
وطرابلس فمات خلق كثير جداً ، ثم كان في آخرها الطاعون بدمشق ونواحيها .

وفيها ارتفعت^(١) الأسعار بالقاهرة وبلغ القمح مائة وثلاثين ، والشعير ثمانين ، والذهب
مع ذلك غال جداً ، بلغ الإفرنجي مائتي درهم والهرجة مائتين وعشرين .

* * *

وفيها جدّد مرجان الهندى - خزندار شيخ - الجامع بحكر السماق ورتّب في إمامته شهاب

(١) في «تناقص» .

الدين الأذرى ابن أخى قاضى أذرعاء ، ورتب فيه كمال الدين الشرائعى^(١) متصّدرًا لسماع الحديث .

وفيهما^(٢) عَزَّر القاضى شمسُ الدين الإخنائى قاضى الشام جمالَ الدين عبدَ الله المجادلى بسبب ما يكثُر من المذكور من النميمة بالناس فضربه وحبسه ، وشكره الناس على ذلك ؛ قرأت ذلك بخط ابن حجى .

وفى هذه السنة كانت الحادثة العظيمة بفاس من بلاد المغرب حتى خربت ، وذلك أن ملكها - وهو أبو سعيد عثمان بن أحمد بن إبراهيم بن على بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق - قرّر فى تدبير مملكته الحاجبَ عبد الله بن الطرىقى فأوقع بينه وبين أبى فارس صاحب إفريقية ، وجهز محمد بن أبى يحيى زكريا بالعسكر ليحاصر تونس ، فمازال أبو فارس ينصب له أشراك المكائد حتى أوقعه وهزمه ومزق عسكره ، فلما تمكّن من ذلك كاتب ابن الأحمر بأن يفرج عن محمد بن عبد العزيز بن أبى سالم - وكان معتقلاً عنده مع جماعة من ذرية بنى مرين ممن يرشح للملك - فأفرج عنه وسلطنه فى أول شعبان منها وجهزه ، فاجتاز البحر حتى نازل فاس فى خامس ذى الحجة ، فخرج عليه^(٣) عبد الله بن الطرىقى لقتاله فكبابه فرسه فقَبِض عليه محمد وأمر به فأحرق ، واستمرّ فى حصار فاس ؛ وكان ما سنذكره فى التى بعدها إن شاء الله تعالى .

(١) فى « الحسابى » .

(٢) أنام هذا الخبر فى هامش ه بخط غير خط الناسخ « قلت استمر المجادلى المذكور على النميمة والنية وانطلاق اللسان بكل مويقة إلى أن مات فى حدود سنة أربعين وثمانمائة ، وكان قبيح القول والفعل والشكل ، وتقدمت له محنة أخرى فى سنة عشر بحضرة نوروز وذلك » ثم كلمات غير مقروءة .

(٣) ساقطة من ك .

ذكر من مات في سنة ثلاث عشرة وثمانمائة من الاعيان

١ - إبراهيم بن محمد الرضاي ، كان من ذوى اليسار فقُطع عليه الطريق فقتل^(١).

٢ - أحمد بن أويس بن الشيخ حسن النوين بن حسين بن آقبا بن إيلكان بن القان غياث الدين سلطان^(٢) العراق ، كان مولده سنة . . . (٣) ، وأول ما ولى إمرة البصرة عن أخيه حسين ، فلما اختلف الأمراء على حسين خرج من بغداد إلى تبريز ، فقدم أحمد بالجنود واغتال أخاه وقام بالسلطنة وذلك في صفر سنة أربع وثمانين ، وقبض على أعيان الأمراء فقتلهم وأقام أولادهم ، فثار عليه من بقي ببغداد مع أخيه شيخ على شاه ، فآل الأمر إلى أن قُتل واستبد أحمد فسار السيرة الجائرة ، فقتل في يوم واحد ثمانمائة نفس من الأعيان وانهمك في الملذات .

واتفق أن اللنك نازل شاه منصور صاحب شيراز فقتله وبعث برأسه إلى بغداد ، والتمس منهم ضرب السكة باسمه فلم يطعه أحد ، فأخذ تبريز ولم يزل إلى أن نازل بغداد في شوال سنة خمس وتسعين ، ففر^(٤) منه بأهله وما يعز عليه من ماله ، فلحقه عسكر اللنك بالحلة فهزموه ونهبوا ما معه وخربوا الحلة فقصد الشام ، وأما اللنك فإنه أفقر أهل بغداد بالمصادرة ومات تحت عقوبته فوق الثلاثة آلاف .

وأما أحمد فوصل إلى الرحبة^(٥) واستأذن الظاهر في القدوم عليه ، فأجابه بما طيب خاطره وأمر النواب بإكرامه ، وجّه له الأمير أزدمر وصحبته ثلاثمائة ألف درهم للمطبخ السلطاني فنصبت له الموائد ، وركب الظاهر إلى لقائه وذلك في سنة ست وتسعين ونزل له عن^(٦) المسطبة ،

(١) اكتفى الضوء اللامع ، ج ١ ص ١٧٠ ، بنقل هذه الترجمة ولكن أهلها شذرات الذهب .

(٢) في المهمل الصافي ، ٢٣٢/١ ، والشذرات ١٠٧/٧ « سلطان بغداد وتبريز وغيرها من بلاد العراق » ومثل ذلك

تقريباً في الضوء اللامع ، ج ١ ص ٢٤٤ .

(٣) فراغ في جميع النسخ .

(٤) المقصود بذلك أحمد بن أويس .

(٥) وردت في مرصع الاطلاع ٦٠٨/٢ بضم الراء وسكون الحاء وفتح الباء وقال : قرب القادسية على مرحلة من الكوفة ،

انظر لى سراج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ١٣٧ .

(٦) في « على » .

وأُسرع أحمد في تقبيل يده فلم يوافق وعانقه وبكى وطيب خاطره وأجلسه معه على البساط بغير كرسي ، ثم خلع عليه وأركبه فرساً وسأيره إلى أن وصل القلعة ، فأرسله إلى بيتٍ أعدّه له مطلقاً على بركة الفيل^(١) ، ثم أرسل إليه الظاهر بنحو عشرة آلاف دينار ومائتي قطعة قماشٍ وعدة خيول وعشرين مملوكاً وعشرين جارية ، ثم قدم ثقل أحمد ، ثم أحضره الظاهر دار العدل ، ثم تجهز السلطان وسافر بالعساكر إلى حلب بعد أن تزوج أخت أحمد واسمها تندي^(٢) ودخل بها في ربيع الآخر ، ثم سار فدخل دمشق في العشرين من جمادى الأولى فأقام بها ، وجَهز أحمد بن أويس في أول شعبان ورسم له بجميع ما يحتاج إليه فدخل بغداد في رمضان فوجد بها مسعوداً الخراساني^(٣) من جهة اللنك ففرّ ، وأقام أحمد ببغداد واستخدم جنوداً من العرب والتركمان .

ووقع الوباء ببغداد ففرّ أحمد إلى الحلة ، وجرى على سيرته السيئة في سفك الدماء والجهد في أخذ أموال الرعية ، ولم يزل على ذلك إلى أن عاد اللنك طالباً الشام ففرّ أحمد إلى قرايوسف ابن قرا محمد بن بيرم خجا صاحب الموصل واستنجد به فصار معه ، وكان أهل بغداد قد كرهوه فحاربوه وهزموهما^(٤) معاً فدخلوا بلاد الشام واستأذنا أمير حلب - وكان يومئذ دقماق من جهة الناصر فرج - وذلك في شوال سنة اثنتين وثمانمائة ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزم أهل حلب وأسير دقماق ففدى نفسه بمائة ألف ، فبلغ الناصر ذلك فغضب وأمر بتجهيز عساكر الشام فتوجهوا ، ففرّ قرايوسف فأوقعوا بأحمد فكسروه ونهبوا ما معه وبعثوا بسيفه إلى الناصر ، ثم قدم اللنك بلاد الشام وخرّبها في سنة ثلاثٍ وخرج منها ؛ وكان أحمد حينئذ قد فرّ إلى بلاد الروم .

(١) تقع هذه البركة فيما بين مصر والقاهرة ، وكانت عمارتها وازدحام السكان بها بعد السّنة من الهجرة ، وقد نقل المقرئى : الخطط ٢/٥٨٠ عن ابن سعيد أنها كانت « دائرة كاليد ، والمنظر فوقها كالنجوم » وأن العادة جرت على خروج السلطان والأهالي إليها ليلاً ، أنظر أيضاً ابن دقاق : الانتصار ، ٤٥/٥ .

(٢) ترجم لها السخاوى فى الضوء اللامع ، ج ١٢ ص ١٦ رقم ٨٧ باسم « تندو بنت حسين بن أويس » وذكر أنها ابنة أخى أحمد وليست بأخته ، وقد ماتت سنة ٨٢٢ هـ .

(٣) الغزوى : العراق بين احتلالين ٢/٢١٣ .

(٤) المقصود بذلك أحمد بن أويس وحليفه قرايوسف .

وأرسل اللنك إلى بغداد عسكرياً ثم تبعهم وحاصرها ثم أخذها عنوةً ووضع السيفَ فيها وذلك في شوال سنة ثلاثٍ بعد رحيله من الشام ، ويقال إنه قتل من أهلها نحو مائتين وخمسين ألف نفس وبني برعوسهم مساطب ، وفارقها وهي خراب .

ولمّا بعد اللنك رجع أحمد إلى بغداد فأقام بها قليلاً ، فثار عليه ولده طاهر بن أحمد ، ففر منه وأتى إلى قرا يوسف فسار معه وقاتلا طاهراً بالحلة فانهزم وغرق ، ودخل أحمد بغداد ، ثم غدر أحمد بجماعة كانوا عنده من جهة قرا يوسف عدتْهم خمسون نفساً من أعيان دولته ، فغضب قرا يوسف وسار لمحاربة أحمد فهرب ثم اختفى في بئر ببغداد ، فأمر يوسف بطمّ البئر فطمّت فما شكواً في هلاكه ، فاتفق أنه كان بها فرجة فخرج منها ومضى إلى تكريت ثم إلى حلب .

وملك قرا يوسف بغداد فأرسل اللنك ابن ابنه مرزا أبا بكر بن مرزا شاه بن اللنك ففرّ قرا يوسف فنهبه الأعراب بالرحبة ، فقدم دمشق فأكرمه نائبها شيخ ، ثم قدم قرا يوسف في رجب سنة سبعٍ ووافقته على سيره إلى مصر صحبة يشبك ، حتى كانت وقعة السعيدية ورجع الجميع منهزمين ، فأفرج شيخ عن أحمد في شوال فتوجّه إلى بغداد في سادس عشر ذى الحجة فملكها ، وتوجّه قرا يوسف إلى الموصل وكتب إلى أحمد فاجتمعا ونازلوا مرزا أبا بكر بالسلطانية فقتل في آخر سنة ثمانٍ ومكّ قرا يوسف تبريز ، ورجع أحمد إلى بغداد فاستأذنه قرا يوسف فيمن يقيمه في السلطنة فأذن له في إقامة ولده برن^(١) ففعل وذلك في سنة إحدى عشرة ، فقدم ميرزاشاه في طلب ثار ولده فوافق قرا يوسف فقتل ، وغم قرا يوسف جميع ما كان معه وهو شيءٌ كثير فتقوى به .

واتفق في غضون ذلك أن أحمد - لِمَا تغلّب على طباعه من الغدر - مضى إلى تبريز فملكها ونهب جميع ما وجده لقرا يوسف وولده ، فرجع إليه وقاتله فانهزم منه وذلك في

(١) بلا تنقيط في جميع النسخ .

ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة ، ولم يزل قرا يوسف^(١) يتطلبه إلى أن ذفر به فأكرمه ثم سجنه ثم دس عليه من خنقه فمات في آخر يوم من ربيع الآخر ، واستقرت قدم قرايوسف في بغداد وتبريز ، وكان منه ما ذكر في ترجمته .

وكان أحمد سفاكاً للدماء، متجاهراً بالقبائح، وله مشاركة في عدة علوم كالنجوم والموسيقى، وله شعر كثير بالعربية وغيرها^(٢)، وكتب الخط المنسوب، وكانت له شجاعة ودهاء وحيل ومجبة في أهل العلم .

٣ - أحمد بن الشهيد ، كان أولاً يتعانى صناعة الفراء ثم اشتغل قليلاً وباشر في ديوان السلطان ثم ولى الوزارة ، ثم وقعت فتنة اللنك وهو وزير فاستصحبه معه إلى بلاده ، ثم خلس منهم بعد الستين ورجع إلى دمشق فباشر نظر الجيش وغيره في شعبان .

٤ - أحمد بن علي بن خلف الطنتدائي نزيل القاهرة ، يُعرف بالحسيني لأنه كان ينزل الحسينية ، وقد لازم شيخنا سراج الدين^(٣) وعلق من فتاويه قدر مجلد ، وكتب خطاً حسناً ومهر في قراءة الحديث والعربية ، وشارك في الفنون ، وسمع معنا قليلاً . مات في جمادى الآخرة .

٥ - أحمد بن علي بن يوسف المصلّي المعروف بالطّرّيني الملقّب بمشمش ، سمع الكثير بقراءة شيخنا العراقي من العرضي ومظفر الدين العسقلاني وغيرهما وحديث باليسير وأجاز لي^(٤) ، وكان شاهداً في شئون المفرد ومباشراً في بعض المدارس ، وكان ساكناً خيراً ، مات في جمادى الأولى .

(١) في جميع النسخ « أحمد » وقد لاحظ الخطأ ناخذ ك فقال في الهامش : « لعله قرا يوسف » .

(٢) أشار أبو المحاسن في المنهل الصافي ٢٤٠/١ إلى أنه كان يقول باللغات الثلاث : الأعجمية والتركية والعربية ، ثم أورد له بيتين من شعره بالعربية .

(٣) أضاف السخاوي : الضوء اللامع ٥٥/٢ أنه تزوج ابنة الشمس البوصيري « واستولدها وناهيك بهذا

جلالة المترجم » .

(٤) حضر ابن حجر عليه دروسه بالقبّة البيبرية سنة ٨٠٨ هـ ، انظر الضوء اللامع ١٢٧/٢ .

٦ - أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عمر بن رضوان الحريري ، شهاب الدين الدمشقي المعروف بالسلاوي ، وُلد سنة ثمانٍ وثلاثين أو نحوها ، وكان أبوه يتعانى التجارة في الحرير، وتزوج امرأة من ذرية الشيخ محمد بن عمر السلاوي^(١) فولد له أحمد ، ومات عن قريب فترتب يتيماً ، ثم اشتغل وتفقه على علاء الدين بن حجى والتقى الفارقي ، وسمع الحديث بنفسه فأخذ عن جده محمد بن عمر السلاوي وتقى الدين بن رافع وابن كثير ، ثم أخذ في قراءة المواعيد، وقرأ « الصحيح » مراراً على عدة مشايخ وعلى العامة . وكان صوته حسناً وقراءته جيدة . وولى قضاء بعلبك سنة ثمانين ، ودرس وأفتى ؛ ثم ولى قضاء المدينة بعد سنة تسعين ، ثم تنقل في ولاية القضاء بصفد وغيره والقدس وغيرها ، وكان كثير العيال .

وقد سمعتُ بقراءته « صحيح البخارى » - إلا ما فاتنى منه - بمكة المشرفة على العفيف النشاورى سنة ٨٥ ، واجتمعتُ به بعد ذلك وكانت بيننا مودة . ومات في صفر ؛ وهو آخر من بقى من فقهاء الشافعية وأكبرهم سناً ، وذكر ابن حجى أنه قرأ على الحافظ ابن رافع وابن كثير .

٧ - أحمد^(٢) بن محمد الدهان ، رئيس المؤذنين بالجامع الأموى ، كان شجى الصوت عارفاً بالمليقات ، وقد عمّر حتى صار أقدم المؤذنين عهداً وأعرفهم وأشجاهم صوتاً ، عاش أربعاً وثمانين سنة ، وقد دخل بلاد العجم تاجراً وأقام هناك مدة ، وكان عنده خبرة بالأموار ومات في ذى القعدة .

٨ - أبو بكر بن محمد بن بديع^(٣) الدمشقي الصالحى ، وُلد في المحرم سنة أربع وخمسين واشتغل قليلاً ، وكان خيراً يقرأ في المصحف بعد الصلاة بجامع دمشق وعلى قراءة^(٤) أنس ، وكان يُحجى في رمضان بجامع الحنابلة فيُقصّد لسماح قراءته لطيبها . مات في المحرم عن تسع وخمسين سنة .

(١) راجع ترجمته في الدرر الكامنة ٤/١٨٨ حيث ذكر أنه ولد سنة ٦٥٩ ، ومات سنة ٧٤٩ ، وأنه سمع على أحمد ابن عبد الدايم وعلى أبي اليسر وغيرها .

(٢) هذه الترجمة واردة بالنص في الضوء اللامع ٢/٦١١ .

(٣) « سبيع » في ز ، و « سبيع » في ه ، و « تبع » في ك ، والضوء اللامع ١١/٢٠١ .

(٤) في ه « قراءته » .

٩ - خليل بن محمد الجندی الصوفي بالخاتونية^(١)، جمع السبع على شرف الدين خادم السمساطية وأقرأ . مات في صفر^(٢) .

١٠ - شاهين الشجاعي^(٣) دويدار شيخ ، كان من خيار الأمراء وكان شجاعاً مقداماً ، مات في شعبان بالصالحية التي بقرب مصر .

١١ - عبد الرحمن بن محمد بن عبد الناصر بن تاج الرياسة المحلي^(٤) الزبيرى ، القاضى تقى الدين ، وُلد في سنة بضع وثلاثين ، ثم قرأت بخط من أثق به عنه أن مولده سنة أربع وثلاثين ، واشتغل قديماً ووقع على القضاة ، وصاهر القاضى موفق الدين الحنبلى على ابنته ، وكان قد سمع بن أبى الفتح انيدوى وحَدَّث عنه ، ثم ناب في الحكم مدة طويلة من زمن القاضى عز الدين بن جماعة ، وكانت معه عدة جهات من الضواحي ينوب فيها ، وقرره الملك الظاهر في القضاء سنة تسع وتسعين في جمادى الأولى فباشر إلى أثناء رجب سنة إحدى وثمانائة ، فصرف ثم أعيد المناوى ، واستمر^(٥) بظالاً خاملاً إلى أن مات ، وكان الناصر قد عُيِّن عنده للقضاء عند القبض على جمال الدين ثم لم يتم ذلك .

وكان عارفاً بالشروط والوثائق ، وبإشراقه مباشرة حسنة لم يذمه فيها أحد ، وكان مطرحاً للتكلف بعد عزله يمشى في الطريق وحده ، وفوض له القاضى جلال الدين تدريس الناصرية والصالحية فباشرهما ، وكتب قطعة على « التنبيه^(٦) » ومات في أول شهر رمضان .

(١) لعل المقصود بذلك التربة الخاتونية التي أنشأها الخاتون عصمة الدين بنت معين الدين أر ، انظر التميمي : الدارس في تاريخ المدارس ٢٤٤/٢ .

(٢) نقل السخاوى : الضوء اللامع ٧٦٩/٣ هذه الترجمة حرفياً .

(٣) هناك اثنان آخران باسم « شاهين الشجاعي » وقد ترجم لها السخاوى في الضوء اللامع ١٣٣٥/٣ ، ١١٣٦/٣ ، أما الذى أورده ابن حجر في المتن فيعرف في الواقع باسم « شاهين الدوادار الشيخى » ، انظر ما سبق ، ص ٤٥٤ س ١١ ، وراجع أيضاً الضوء اللامع ١١٢٦/٣ .

(٤) كان من أكابر أهل المحلة وهو منسوب إلى الزبيرية إحدى قرأها ، انظر الضوء اللامع ٣٦٢/٤ ، وابن حجر : رفع الإصر ص ٣٣٦ - ٣٣٨ ، هذا وقد جاء في القاموس الجغرافى ج ١ ص ٦٥ ، ق ٢ ج ٢ ص ١٣٢ أنها من أعمال جزيرة بنبى نصر كما أشار إلى ذلك ابن معاتى في قوانين الدواوين ، وذكر المرحوم محمد رمزى في قاموسه أنه ظهر له أن مكان « الزبيرية » زال تدريجياً بسبب أكل البحر والنيل لعدم وجود رصيف من الحجر لوقايتها ، وذكر أنه يوجد من بقايا قرية الزبيرية « بناء حجرى قديم واقع في قاع البحر . . . يقول العامة إنه قبر الزبير بن العوام » وهو خطأ ، والصواب أنه كان في الأصل حوض مبيضة طفى عليه الماء فبدا كالقبر .

(٥) يعنى بذلك تقى الدين الزبيرى صاحب الترجمة .

(٦) في هامش ز « وعمل تاريخاً حسناً ونقل المصنف عنه كثيراً » وفي هامش ه نفس العبارة مع إسقاط كلمة « حسناً » .

١٢ - علي بن إبراهيم بن عدنان الحسيني ، علاء الدين الدمشقي ، ولد سنة خمسين فباشر نقابة الأشراف بالشام بعد موت أبيه^(١) ثم ولي كتابة السرّ غير مرة ولم يكن ماهراً ، وكان ليّناً متواضعاً بشاشاً^(٢) رئيساً ، وأصيب بإحدى عينيه بأخرة فانقطع إلى أن مات في شهر ربيع الأول .

١٣ - علي بن إبراهيم بن المؤرخ شمس الدين محمد بن أبي بكر بن إبراهيم بن عبد العزيز الجزري ثم الدمشقي ، ولد سنة ثمان وأربعين ومات أبوه وله سنة فربّاه عمه نصير الدين [محمد^(٣)] وأسمعه من جماعة من أصحاب الفخر ، وحضر على المرداوي صاحب عمر^(٤) الكرمانى بالحضور ، وحدّث وقرأ الحديث وأعاد بالتّقوية^(٥) وباشر نظر الأيتام ، مع خفض الجناح وطهارة اللسان ولين العريكة ، وحجّ غير مرة وجاور ، وعلق في الوفيات واجتبيح في شيء كثير من ماله في فتنة اللنك ، ولم يكن فيه ما يعاب إلاّ مباشرته مع قضاة سوء .

١٤ - علي بن أحمد بن أبي بكر بن عبد الله الأدي الشافعي ، ذكر أنه سمع من القلانسي^(٦) وحدّث عنه ، ولازم الشيخ وليّ الدين المنفلوطي ونحوه ، واشتغل كثيراً وتنبّه وأفاد ودرّس وأفتى وأعاد وشارك في الفنون ، وانتفع به أهل مصر كثيراً ، مع الدين المتين والسكون والتعشف والانجماع ، وكان يتكلّم على الناس بجامع عمرو ، ثم تحوّل

(١) هو إبراهيم بن عدنان الحسيني ، انظر الدرر الكامنة ١٠٤/١ .

(٢) « يساما » في الضوء اللامع ٥٣٨/٥ .

(٣) الإضافة من الضوء اللامع ٥٤٣/٥ .

(٤) هناك اثنان باسم « الكرمانى » أحدهما الواعظ المعمر بدر الدين عمر بن محمد بن أبي سعد التاجر النيسابوري المولد المتوفى سنة ٦٦٨ ، انظره في الشذرات ٣٢٧/٥ ، والآخر هو قوام الدين مسعود بن محمد بن شرف الدين الحنفي الصوفي المتوفى سنة ٧٤٨ ، انظر نفس المرجع ١٥٧/٦ - ١٥٨ والمقصود أولهما .

(٥) المدرسة التقوية من مدارس الشافعية بدمشق بناها تقي الدين عمر بن شاهنشاه أيوب بن أخى صلاح الدين الأيوبي ، راجع منها النعمي : الدارس في تاريخ المدارس ٢١٦/١ وما بعدها .

(٦) « الطيالسي » في ٥ .

إلى القاهرة وسكن بجوار جامع الأزهر . مات في ربيع شعبان عن سبعين سنة وأسف الناس عليه (١) .

١٥ - علي بن زيد بن علوان بن مغيرة^(٢) بن مهدي بن حريز ، يكنى أبا يزيد الردماوي الزبيدي وقد تسمى بآخره « عبد الرحمن » ، ولد بردماو وهي من مشارف اليمن^(٣) دون الأحقاف في جمادى سنة إحدى وأربعين ونشأ بها وجال في البلاد ، ثم حج وجاور مدة وسكن الشام ودخل العراق ومصر ، وسمع من اليافعي والشيخ خليل وابن كثير وابن خطيب ببرود ، وبرع في فنون من حديث وفقه ونحو وتاريخ وأدب ، وكان يستحضر من الحديث كثيراً ومن الرجال ويذاكر من كتاب سيبويه ، ويميل إلى مذهب ابن حزم ، ثم تحول إلى البادية فأقام بها يدعو إلى الكتاب والسنة فاستجاب له حيار بن مهنا والد نعير فلم يزل عنده حتى مات ، واستمر ولده نعير على إكرامه ، فكانت إقامته عندهم نحو عشرين سنة .

فلما كانت وقعة ابن البرهان وبيدمر وقرط خشى على نفسه فاختنى بالصعيد ، ثم قدم القاهرة وقد ضعف بصره ، ومات^(٤) في أول ذي القعدة ، وكان شهماً قوياً النفس ، له معرفة بأحوال الناس على اختلاف طبقاتهم ، وكان كثير التطور يتزياً في كل قليل بزى غير الذي قبله ومن شعره :

ما العلمُ إلا كتابُ الله والآثرُ وما سِوَى ذلكَ لا عَيْنٌ ولا أثرُ
إلا هوىٌ وخصوماتٌ مُلَفَّقةٌ فلا يَغْرُنْكَ من أَرْبابِها هَدْرُ
فَعَدُّ عن هَدْيَانِ القومِ مكْتفياً بما تَضَمَّنَتِ الأَخْبَارُ والسُّورُ

(١) في هامش ز « وجد بالهامش : دخل الناصر فرج يوما جامع عمرو والشيخ في حلقة فجاه الناصر إليه فلم يعبا له ولم يقيم له ، ومنع جماعة من القيام إليه » ، وعلق ناسخ نسخة دار الكتب المصرية على هذا بقوله : « وهذا شيء من الجمود لا يمدح عليه » ، ويلاحظ أن هذا هو ما أورده السخاوي في الضوء اللامع ٥٥٩/٥ .

(٢) « صبره » في الضوء اللامع ٧٥٠/٥ ، ك ، ه .

(٣) نقل هذا التعريف ابن عبد الحق البغدادي في مرصد الاطلاع ٦١٢/٢ ذكراً أنه أخذه عن ابن حجر .

(٤) كان موته بالينبوع أو ينبع ، أنظر في تعريفها مرصد الاطلاع ١٤٨٥/٣ .

نقلت ترجمته من خط الشيخ تقي الدين المقرئ ، والعهد^(١) فيه عليه .

١٦ - علي بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد الربيعي^(٢) الرشيدى ، نور الدين نزيل القاهرة ، قدمها فاشتغل بالعلم ولازم البلقينى ثم الدهيرى^(٣) ، ودرّس بعده فى الحديث بقبة ببيرس ، وكان قد فاق فى استحضار الفقه فصار كثير النقل كثير البحث ، وكان يقظاً نبهياً كثير العصبية . مات فى شهر رجب وكان قد جاوز الخمسين ، ودرّستُ بعده للمحدثين .

١٧ - علي بن عبد الرحمن الصرنجى^(٤) نور الدين ، سمع « صحيح مسلم » على ابن عبد الهادى و « سنن أبى داود » على عبد العزيز بن عبد القادر^(٥) بن أبى التّر ، سمعتُ منه قديماً وحديثاً ، وحدث فى العام الماضى مع الشيخ نور الدين الأنبارى بـ « السنن » فى البيبرسيّة وكان صوفياً بها . مات فى شعبان .

١٨ - علي بن محمد بن علي الدمشقى ، علاء الدين بن الحريرى^(٦) ، وُلد سنة تسع وثلاثين واشتغل على مذهب الحنفية ، وتعالى حفظ السير والمغازى ، وكان يستحضر منها شيئاً كثيراً ، وكان كثير اليسار فتزوّج^(٧) الشيخ شهاب الدين الغزى ابنته فماتت بعد أمها بقليل .

(١) فى ز ، ه ، والعمدة .

(٢) لعل ذلك نسبة إلى « الرابعة » من حصون دمار باليمن ، انظر مرآة الاطلاع ٦٠٢/٢ .

(٣) هو محمد بن موسى بن عيسى بن علي ، كمال الدين أبو البقاء ، المتوفى سنة ٨٠٨ هـ ، راجع عنه ما سبق ص ٣٤٨ ترجمة رقم ٣٧ .

(٤) بلا تنقيط فى ه ، والضبط أعلاه من الضوء اللامع ٨١١/٥ ، وقال إنها بالصاد وبالسين ، ولكنه وارد باسم « الصريحي » فى شذرات الذهب ١٠٣/٧ .

(٥) انظر عنه الدرر الكامنة ٢٤٣٦/٢ ، وقد ورد اسمه فى ه « علي بن عبد القادر » ؛ وكان مولده ببغداد سنة ٦٦٢ هـ ، وتقل ما بين دمشق والقاهرة التى كانت بها وفاته سنة ٧٤٨ هـ .

(٦) فى ه « الحديدي » ، وفى الشذرات ١٠٣/٧ « الجديدي » .

(٧) ذكر السخاوى فى الضوء اللامع ١٠٨٣/٥ أن الشيخ الغزى صاهره على ابنته كما فى المتن ، انظر الشذرات

١٩ - علي بن مسعود بن علي بن عبد المعطى بن (١) أحمد بن عبد المعطى المالكي ، أبو الحسن المكّي الخزرجي ، وُلد سنة أربعين (٢) ، وسمع من عثمان بن الصنفى الطبرى « سنن أبى داود » ، ومن إبراهيم (٣) بن محمد بن نصر الله الدمشقى مشيخته وحدث بمكة ، وكان مشاركاً فى الفقه مع الديانة والمروعة . مات فى تاسع المحرم .

٢٠ - علي بن مصباح (٤) ، الشيخ نور الدين ، كان أحد الفضلاء فى الفقه ، خيراً كثير الإطعام ، نزل فى زاوية بمنية السيرج (٥) وتردد فى القرى وتعانى الزراعة . مات فى وسط السنة (٦) .

٢١ - عمر بن محمد الطرابلسى [الحنفى (٧)] الشاعر الماهر نزيل القاهرة ، قدمها ومدح رؤسائها ومات فى شهر رجب عن نحو من خمسين سنة . أنشدنى كثيراً من شعره .

٢٢ - فاطمة بنت أحمد بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر ابن زيد الحسينية الحلبية ، أم الحسن أخت الشريف (٨) نقيب الأشراف ، وُلدت سنة اثنتين وثلاثين ، وسمعت على جدّها لأمها جمال الدين إبراهيم بن الشهاب محمود فى ذى القعدة سنة سبع وثلاثين ، وأجاز لها المزي وجماعة ، وحدثت بحلب ؛ قال القاضى علاء الدين : « كانت عاقلةً دينةً » وماتت فى العشر الأول من ربيع (٩) الأول وقد تجاوزت الثمانين .

(١) « ابن أحمد بن عبد المعطى » غير واردة فى هـ .

(٢) الوارد فى الضوء اللامع ١٠٩/٦ أنه ولد سنة ٧٣٩ .

(٣) راجع ترجمته فى الدرر الكامنة ١٨٣/١ حيث ذكر أن النذير وصفه بأنه « كان من خيار الصوفية عبادة وتواضعاً

وفتوة » ومات سنة ٧٥٣ هـ .

(٤) نعمته الضوء اللامع ١١٣/٦ باللامى .

(٥) منية السيرج - أو منية الشيرج - من القرى المصرية القديمة بالقاهرة التى تبعد عنها قرابة فرسخ فى الطريق إلى الاسكندرية ، وقيل إن اسمها الأصل هو « منية الأمراء » وذلك لكثرة من كان يسكنها منهم ، وقد عرف بها القاموس الجغرافى ، ق ٢ ، ج ١ ص ١٤ - ١٥ ، وذكر أنها وردت فى كشف الأبرشيات القبطية بمصر باسم Timoni Psismelon وأنه ترجمة لإسمها العربى ولكن باللغة الرومية .

(٦) هنا تنتهى الترجمة فى هـ . وقد أضافت « ز » إلى ذلك ١٣ شوال . وهو والد شمس الدين محمد نخال سيدى

عبد الرحيم الإناسى ، وجاء فى هامشها « كان لمصباح أخوان : مصبح وصباح من ذرية أبى الحسين اللامى » .

(٧) الإضافة من الضوء اللامع ٤٢٤/٦ تمييزاً له عن آخر بنفس الاسم .

(٨) هو العز أحمد بن أحمد الحنفى ، انظر الضوء اللامع ٥٤٩/١٢ .

(٩) فى الثغرات ١٠٤/٧ « المحرم » . هذا وقد سقط من هـ « من ربيع الأول » .

٢٣ - محمد بن أحمد بن عبد الملك الدميري ، شمس الدين ناظر المرستان ومفتي دار العدل وولى الحسبة مراراً^(١) وكان عارفاً بالمباشرة ، وحصل في المرستان مالا كبيراً جداً وقره مما كان يصرفه غيره في وجوه البر وغيرها ، فاتفق أن الناصر أخذ منه جملة مستكثرة في بعض تجريداته . مات في رمضان .

٢٤ - محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن علي بن محمد بن سليم ابن حنا المصرى ، شمس الدين بن عز الدين بن شمس الدين بن شرف الدين بن زين الدين ابن محيي الدين بن بهاء الدين المعروف بابن الصاحب . ولد سنة أربع وستين ، واشتغل قليلاً وتقدم في ديوان الإنشاء وناب في كتابة السرّ مدة ، وأقام بالشام زماناً ثم درس بعد أبيه بالشريفية^(٢) وغيرها ، وكان وجيهاً ذا مروعة^(٣) وبرٍّ ومعروف . مات فجأة فيقال إنه سم .

وله شعر وسط ولم يكن يتصوّن ، و [كان] ينسب إلى تعايط المنكر والله أعلم بسرّه وتمزّق هاله من بعده . سامحه الله .

٢٥ - محمد بن أحمد الجرواني^(٤) نزير القاهرة ، ولد سنة تسع عشرة ، وكان يذكر أنه سمع من الحجّار فلم نظفر بسماعه ، وكان عارفاً بالوثائق وله فيها تصنيف ، وخطه حسن ، وله نظم - بزعمه - ولكنه بغير وزن ولا معنى ، وكان قد انتسب إلى الحسن بن علي وصار شريفناً فكان يُظن في نسبه ، ويقال إنه أولاً كان يكتب « الأنصارى » .

٢٦ - محمد بن خاص بك التركي^(٥) الحنفي بدر الدين ، كان يُنسب إلى الظاهر

(١) أروها زمن الأشرف شعبان ، وانظر وظائفه المختلفة في Wiet : Les Biographies du Manhal Safi, No. 2031.

(٢) راجع عن هذه الخانقاه النعمي : الدارس في تاريخ المدارس ١٦٣/٢ - ١٦٤ .

(٣) « ثروة » في الضوء اللامع ١٧٩/٧ .

(٤) نقل هذه الترجمة تقريباً السخاوى في الضوء اللامع ٣٠٢/٧ ، أما الضبط فنفس المرجع ١٤٣/٧ في ترجمة لغيره ، وقال إن الجرواني نسبة إلى قرية قريبة من طنتدا (أى طنطا) بمحافظة الغربية . وقد جاء في التاموس الجغرافى للبلاد المصرية ق ٢ ج ٢ ص ٢١٦ أنها من القرى القديمة ، وأن اسمها الأصل جروان بفتح الجيم وإلراء والواو ، ولكن الوارد هناك -سواء أكان ذلك بناء على ما جاء في قوانين الدواوين أو في التحفة - أنها من أعمال محافظة المنوفية .

(٥) « السبكي » في الشذرات ١٠٤/٧ ، ٥ .

بببرس من جهة النساء ، وقد اشتغل في مذهب الحنفية فبرع ، وأخذ عن أكمل الدين وغيره ، وكان يجيد البحث مع الذبابة والمروعة والعصبية لمذهبه وأهله . مات في خامس شهر رجب وقد جاوز الخمسين .

٢٧ - محمد بن علي بن محمد بن عمر بن عيسى بن^(١) محمد ، الشيخ شمس الدين ابن القطان المصري الشافعي ، كان أبوه قطاناً وأخوه كذلك فاشتغل هذا بالعلم ومهر ، ولازم الشيخ بهاء الدين بن عقيل وصاهره على بنت له من جارية ، وسكن مصر ودرّس وأفنى وصنف وناب في الحكم بآخره فتهالك على ذلك إلى أن مات في أواخر شوال ، وكان أخبرني أن مولده بعد سنة ثلاثين ، قرأت عليه وأجاز لي . وذكر لي أنه قرأ الأصول على الشيخ عماد الدين الإسناثي ولم يحصل له سماع في الحديث على قدر سنه ، وقد حدث « بصحيح مسلم » بإسناد نازل ، وسمع معنا على بعض شيوخنا كثيراً وبقراءتي ، وكان ماهراً في القراءات والعربية والحساب^(٢) .

٢٨ - محمد بن محمد بن عبد الوهاب المناوي المعروف بالطويل^(٣) ، شمس الدين ، صهر كاتب السر فتح الله ، تقدّم بجاه صهره فولى الحسبة ووكالة بيت المال ونظر الأوقاف ونظر الكسوة وتنقلت به الأمور في ذلك ، وولى الحسبة مراراً بالقاهرة ومات في شعبان ، وكان له بعض اشتغال ومشاركة ومعرفة بشئ من الهياة ، وكان قليل العلم ووجد بخطه على محضري : « تسمع الدعوة » وقد ناب في الحكم لما كان محتسباً بعد ذلك .

٢٩ - محمد بن محمد بن محمد بن النعمان بن هبة الله الهويّ نزيل القاهرة ، كريم الدين ، اشتغل قليلاً وولى الحسبة ببلده مدة ثم تزيّاً بزىّ الجند وولى شدّ البلد فظلم وعسف

(١) « ابن محمد » ساقطة من هـ .

(٢) جاء بعد هذه في ز : « رأيت نسيه في ورقة مستقلة بخط المؤلف وتصها : شيخنا شمس الدين ابن القطان محمد ابن علي بن محمد بن عيسى بن عمر بن أبي بكر السهوري وكان يذكر أن أصله كناني ، قال : وكان أبوه قطاناً وكذا أخوه ، وحسب إليه العلم فلازم الاشتغال وخدم ابن عقيل وغيره . »

(٣) لم ترد هذه الكنية في الضوء اللامع ٣٤٢/٩ .

ثم قدم القاهرة وتقدّم عند الناصر بالمسخرة فولى الحسبة مراراً ، أولها في ثالث جمادى الآخرة سنة خمس وثمانمائة وناداه السلطان . ومات في شعبان ، وولى الحسبة بعده زين الدين محمد بن شمس الدين الدميرى .

وكان يقال إن الهوى هو الذى أشار على السلطان بأن من مات لا يُعطي وارثه - ولو كان ولده - من ميراثه شيئاً بل يؤخذ للديوان السلطاني ، وقام بذلك ابن الهيصم فاتفق موت الهوى فعولمت تركته بذلك ؛ أخبرني بذلك الصاحب بدر الدين بن نصر الله .

٣٠ - محمد^(١) بن سعد الدين محمد بن نجم الدين محمد البغدادي نزيل القاهرة ، شمس الدين الزركشي ، مهز في القراءات وشارك في الفنون وتعالى النظم ، وله قصيدة في العروض استحسناها القاضي مجد الدين الحنفي ويقال إنه شرحها ، ونظم « العواطل الخوالي^(٢) » : ست عشرة قصيدة على ستة عشر بحراً ليس فيها نقطة ؛ وقد راسلني ومدحني وسمعتُ منه كثيراً من نظمه ، ولازمني^(٣) طويلاً ورافقني في السماع أحياناً ، وجرت له في آخر عمره محنة ، ومات في ذي الحجة .

٣١ - محمد بن محمد الشوبكي شمس الدين [الحنبلي^(٤)] ، قدم دمشق وتفقّه بها وتولى وظائف وخطابة ، ومات في المحرم .

٣٢ - محمد بن محمود بن نون^(٥) ، الشيخ الخوزراي الحنفي المعروف بالمعيد نزيل مكة ، أعاد بدرس يلبيغا بمكة فعرف بالمعيد ، وأمّ بمقام الحنفي^(٦) زيادةً على ثلاثين سنة

(١) أمام هذه الترجمة في ز « والد عبد الرحمن الذي أخذت عنه » ، وكاتب هذا هوعل بن داود الصيرفي صاحب نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان ، وكتاب إنباء الحضرة بأنباء العصر اللذين نشرهما محقق إنباء العصر .

(٢) أورد السخاوي : الضوء اللامع ١٣/٩ هـ اسم هذا الكتاب كاملاً هكذا « نظم العواطل الخوالي بمدح خير الموالى » .

(٣) ذكر ابن حجر في معجمه أنه أرسله سفيراً إلى ينبع ففرط في ماله (أى مال ابن حجر) فلامه فعاتبه صاحب الترجمة بقصيدة تائية أجابه ابن حجر عليها في ديوانه .

(٤) الإضافة من شذرات الذهب ١٠٤/٧ .

(٥) في الضوء اللامع ١٥٧/١٠ « بون » ، وفي ز بتنقيط للنون فقط .

(٦) يعنى مقام الحنفي بمكة .

فإنه ولها سنة ثمانين ، وحَدَّث عن العفيف النشاوري^(١) والأمين الأفشهرى وغيرهما ، وحج خمسين حجة ، وكان عارفاً بالعربية مشاركاً في الفقه وغيره ، وقد حَدَّث بالإجازة العامة عن الحجار ، ومات في جمادى الأولى وقد جاوز الثمانين .

٣٣ - محمد بن أبي اليمن الطبرى^(٢) ، تقدم ذكر أبيه قريباً ، وكان هو يُلقَّب « زكى الدين » ويكنى « أبا الخير » . أمٌّ في المقام وقُتِل لئلاً خطأً ، ظنَّه بعض العسس لصاً فضربه فصادف منيته وله أربعون سنة .

وفيها مات :

٣٤ - ابن حمامة قارئ الحديث تحت النَّسر^(٣) في رمضان .

٣٥ - وشهاب الدين الزملكاني .

٣٦ - وعلاء الدين البانياسى ناظر الجامع الأموى ، وكان مشكوراً .

٣٧ - وتمربغا المشطوب [مات] مَطْعُوناً بحسبان .

٣٨ - وتمربغا الحافظى فى المحرم .

٣٩ - وتمربغا برمش أستاذار شيخ ، خامر عليه إلى النَّاصر فولَّاه أستاذاريةً بالشام فبالغ فى العسف فسَلَطَه اللهُ عليه فصادره وعاقبه حتى مات .

٤٠ - وقراجا الدويدار ، ولى بعد قجاقق ثم ضعف فمات فى أول ما خرج النَّاصر إلى الشام فى ربيع الأول .

٤١ - ومجد الدين عبد الغنى بن الهيصم كما تقدّم .

٤٢ - وشاهين الدويدار الشىخى^(٤) ، تقدّم فى الحوادث .

(١) فوقها فى هـ « كذا » ؛ ثم « ولعله المظرى » .

(٢) فى ز « الجندى » .

(٣) فوقها فى هـ « كذا » ، لكن راجع الضوء اللامع ج ١١ ص ٢٤٤ س ١٣ - ١٤ .

(٤) راجع ما سبق ، ص ٤٧٠ ، ترجمة رقم ١٠ .

٤٣ - وقرا تنبك الحاجب بالقاهرة في شوال ، وكان عُيِّنَ لإمرة الحاج فمات قبل أن يخرج .

٤٤ - وأحمد بن أويس كما تقدّم .

٤٥ - وإينال الجلالى ، ويقال له إينال المنقار ، مات بغزة في شعبان لما دخلها مع شيخ ونوروز وكان يحب العلماء والفضلاء .

٤٦ - وشهاب الدين الدوينارى كاشف الجيزة في حادى عشرى شعبان وخلف موجوداً كثيراً جداً .

• • •

سنة أربع عشرة وثمانمائة

فيها دخل الناصر إلى القاهرة في ثاني عشرى المحرم وزار القدس في طريقه ولم يُفقد أحدٌ ممن كان صحبته إلا ابن الفريخ الحكيم فإنه اغتيل في الطريق .

وفي يوم وصوله إلى القلعة عُزل زين الدين بن الدهيرى من الحسبة واستقر شمس الدين يعقوب الدمشقى وكان قد صاهر إلى تقي الدين بن أبي شاكر .
وفي سادسه دخل تغرى بردى نائب الشام .

وفي الثامن منه دخل الأميران شيخ ونوروز دمشق فتلقاهما نائبها ، وتوجه شيخ من دمشق إلى حلب ، وتوجه قرقماس من حلب يريد صغد ، وتوجه نوروز يريد طرابلس فوصلا إلى مقر نيابتهما وحكما بما أرادا ، فقدم الخبر على الناصر في ربيع الأول أنهما خالفا ما حلفا عليه وأخرجوا الإقطاعات لمن أرادا ، وأرسل كل منهما بمحاصرة بعض القلاع التي لم تدخل في نيابتهما، فتغير خاطر الناصر لذلك .

وفي الرابع والعشرين من المحرم وصل بكتمر جلق إلى القاهرة فتلقاه السلطان وخلع عليه وعلى دمرداش بنظر المارستان على العادة ، ودخل الناصر البلد وهما معه بخلعتهما، فدخل مدرسة جمال الدين وكانت قد سُيِّرت^(١) من اسم جمال الدين لاسمه أيضا ، واستناب الأمير ولد ناظر الجيش : صلاح الدين بن بدر الدين^(٢) بن نصر الله في النيابة عنه بالمرستان .

* * *

وفي حادى عشره صُرف صدر الدين بن العجمى عن مشيخة التربة الظاهرية واستقر حاجى فقيه عوضاً عنه ، وقُبض على صدر الدين فسلّم للأستادار بسبب أن الناصر لما أراد التوجه إلى الشام أودع عند كل شيخ من المشايخ المشهورين - الذين جرت عادتهم بالتردد

(١) انظر فيما بعد ص ٤٨١ من ٧-١٥ .

(٢) أمام هذا في هامش « يعنى ابن نصر الله » .

إليه - عشرة آلاف دينار، فلما عاد أحضر إليه كل واحد ما استودعه إلا صدر الدين وأحمد بن أوحى الدين شيخ السرياقوسية .

فأما أحمد فضمن دركه ابن أبي شاعر فلم يلحقه عقاب ؛ وأما صدر الدين فكان قد حج واستبضع بذلك المال بضاعة ، فلما عاد قبض عليه وألزم ببيع تلك البضاعة فباعها بثمن بخس ، وبقي عليه من الوديعة قريب من ألقى دينار ، فلم يزل في الترسيم إلى أن شفع فيه بعض الكتاب فأطلق ، وبقي من المال زيادة على الألف فذهبت^(١) جحافا .

• • •

وفي المحرم أراد الناصر بإشارة بعض القبط أن يأخذ من المدرسة الجمالية بركة العيد ما بها من الرخام وكان عجباً في حسنه : انتقاه جمال الدين من بيوت كبار وجعله بها ، فعزم [الناصر] على ذلك فأشار عليه كاتب السر فتح الله أن يترك المدرسة على ما هي عليه لسوء السمعة في ذلك ، والتزم له أن يصيرها ملكه ثم يوقفها هو فتنسب إليه ويبطل منها اسم جمال الدين فأضنى لذلك ؛ فتكلم فتح الله مع القضاة إلى أن صوروا في ذلك صورة وحكموا بصحتها ، ومحووا اسم جمال الدين من المدرسة وأثبت اسم الناصر ، وصارت الجمالية هي الناصرية وذلك من أطرف ما يُسمع ، ولم يكن قصد فتح الله في ذلك إلا الخير على ما اطلعنا عليه من باطن القصة ، ودخلها^(٢) الناصر في أواخر المحرم وصلّى بها وقرّر من بها من المدرسين والطلبة على حالهم في الأغلب .

• • •

واستقر دمردش أتابك العسكر بالقاهرة ، وبكتمر جلق أميراً كبيراً بها ، وتكلم دمردش هو وفتح الله في المرستان المنصوري .

وفي صفر جهّز الناصر جماعة من الأمراء البطالين والمماليك إلى الشام على إقطاعات هناك ليكونوا أعواناً لثائب الشام فتوجهوا .

(١) في « بقيت مجانا » .

(٢) أي دخل المدرسة الجمالية أو الناصرية كما أصبحت تسمى .

وفي حادى عشره استقر تقي الدين بن أبي شاعر في نظر الخاص عوضاً عن مجد الدين ابن الهيصم الذي مات في السنة الماضية .

وفي الرابع والعشرين منه قبض على يشبك الموساوى وقنباى المحمدي رأس نوبة وكمشبا المزوق في آخرين وسجنوا بالإسكندرية ، وعزل تراز من الإمرة وصيره طرخاناً وقرر له شيئاً وخيره بين الإقامة بالقاهرة أو دمياط فاختر دمياط فأرسل إليها .

وفي أواخر صفر وردت هدية^(١) من مانويل^(٢) صاحب القسطنطينية وتدعى إسطنبول ، وقرينها كتاب يصف محبته ويوصى بالنصارى من أهل ملته .

وفي أواخر صفر استقر سودون من عبد الرحمن في نيابة غزة .

وفي سلخ صفر انقطع طوغان الدويدار عن الخدمة خوفاً على نفسه من وائش وتي به أنه يريد الركوب على الناصر ، فأرسل إليه يلغا الناصرى ودمرداش فلم يزالا به حتى أصعداه إلى الناصر فعاتبه واعتذر ، فسلم [الناصر] له غريمه وخلع عليه .

وفيه ارتفع الطاعون عن دمشق وماحولها ، وكان ابتداءً من شوال فأخصى من مات من أهل دمشق خاصة فكانوا نحواً من خمسين ألفاً وبارت^(٣) عدة من القرى ، وبقيت الزروع قائمة لاتجد من يحصلها .

وفي ربيع الأول أطلق إينال الساقى من سجن الإسكندرية وصرف جرباش كباشة^(٤) عن الإمرة وأرسل إلى دمياط بطلاً .

وقبض الناصر على جمع كبير من المماليك الظاهرية ممن اتهمهم بالمالأة عليه ، وسجن جماعة بالبرج ثم ذبحهم بعد ذلك . وقبض على خيربك وقتل جماعة ممن سجن

(١) أمامها في هامش « هدية صاحب قسطنطينية » .

(٢) كان الإمبراطور إذ ذاك هو عمانويل الثاني .

(٣) ويمكن قراءتها أيضاً « يادت » .

(٤) الضبط من ك ، ه ، لكنها في « شرباش » .

بالإسكندرية ، ثم بالغ في القبض عليهم بأنواع الحيل حتى زادت عدة المسجونين في رمضان على أربعمائة نفس .

وفي صفر توجه موسى بن أبي يزيد بن عثمان - بعد استيلائه على مملكة أخيه سلمان بعد قتله - إلى مملكة أخيه كرشجي^(١) ، فاستخلف كرشجي^(٢) على بلاده ابنه مراد واستعد لقتال أخيه ، فالتقيا في شعبان من هذه السنة .

وفي أول ربيع الآخر زوج الناصرُ أخته بيرم من أسنبغا الزردكاش وصيِّره شاد الشراب خاناه ، وكان يقال إن اسمه « محمد » وأنه شامى ، فغيّر اسمه فصار إلى ما صار إليه .

وفي الثالث عشر منه قرّر فخر الدين عبد الغنى بن أبي الفرج - الذى كان كاشف البحرى ونائب قطيا - فى أستاذارية الناصر ، وسلم له تاج الدين بن الهيصم الأستادار وحواشيه ، فبسط فخر الدين يده فى الظلم وبالغ فى ذلك كما سيأتى .

وفى هذه السنة دامت الحرب بين قرا يوسف وقرايلك أكثر من شهر فقُتِل بينهما خلق كثير ، وخرّب قرا يوسف بلاداً كثيرة لغريمه وهرب غريمه إلى بعض الأماكن ، فوصل الخبر إلى قرا يوسف أن شاه رخ بن تمر قصد تبريز فترك أثقاله ورجع مسرعاً ، فعاد قرايلك فنهبها وتوجه لتخريب بعض بلاد غريمه ، ثم وقع الفناء فى شعبان فى عسكر قرا يوسف فأرسل يطلب الصلح من قرايلك فلم يوافقهم على ذلك ونهب سنجار وأخذ قُفْل الموصل ، وأوقع بالأكراد فافتدوا منه بمائة ألف ، وألف رأس غنم .

وفىها كانت الفتن والحروب بين التركمان وغيرهم ، فتوجه نائب عينتاب إلى قلعة الروم ، فقبض عليه طوغان نائبها واعتقله ، فلم يزل به شيخ نائب حلب حتى أفرج عنه .

(١) ساقطة من هـ .

(٢) فى هـ « كراشى على بلاد ابنه » .

وقبض نائب صهيون على نائب اللاذقية فقاتله ، وحاصر بعض التركمان أنطاكية فأسر نائبها واعتقله ، وحاصر نوروز قلعة صهيون فصالحه أهلها على مال .

واجتمع نوروز وشيخ على قتال العجل بن نعيم فغمر عنهما واستولى على عانة ، فبعث إليه ابن قرايوسف عسكرياً فكسره ، ومضى إلى الأنبار فتخوف أهل بغداد منه فأرسل إليهم بالأمان ، فنزل شيخ على سرمين ونوروز على جبلة ، وأرسل الناصر - لما بلغه ذلك - معاتباً لهما ، وأرسل إلى شيخ يحذره بما فيه ضعفه ، وأمره أن يجهز إليه يشبك العثماني وبرديك وقتباي الخزندار محتفظاً بهم ، وأن يرسل سودون الجلب إلى دمشق ، فلم يوافق على ذلك .

فأرسل الناصر إلى دمشق يأمرهم بتحسين قلعة دمشق ، فبالغ غرس الدين خليل - أستاذار الشام - في المظالم بالشام ، وقرّر الشعير على النائب ، واتفق شيخ ونوروز لما بلغهما تغيير الناصر عليهما ، فأرسل كل^(١) منهما عسكرياً إلى حماة لأخذها ، وراسلاً قرايوسف فسار إليه أحمد الجنكي أحد ندماء شيخ وبلوان مملوك نوروز ، فعاد جوابه في آخر شوال بما طيب خاطرهما .

وأما الناصر فجذب وعزم على السفر وبالغ في القبض على الناس في المصادرات ووقعت الشناعة بذلك ، وفحش أخذ أموال الناس بغير طريق ولا شبهة ، وكل ذلك على يد فخر الدين الأستاذار ، وزاد الأمر في ذلك عن الحد ، ثم أراد فخر الدين القبض على الوزير وناظر الخاص فبادراه وقبضا عليه بعد أن استمالا الناصر على ذلك في حين غفلة ، ففجأ الناس من الفرح مالا مزيد عليه ، وكان فخر الدين قد استمال تاج الدين بن الهيصم الذي كان أستاذاراً قبله وكلم السلطان فألبسه خلعة رضى .

فلما قبض على فخر الدين قبض عليه أيضا وأهين ، فعوقب فخر الدين عند الوزير بأنواع العقوبات فلم يعترف بشيء ولم يوجد له سوى ستة آلاف دينار وشيء كثير من جرار

(١) « كل منهما » غير واردني .

الخمير ، فباعوا كل جرة بنصف دينار فحصل منه جملة مستكثرة ، واستقر منكلي - أستاذار جركس - في الأستاذارية الكبرى .

وفي العشر الأخير من رجب قبض الناصر على جمع كبير من الأمراء والماليك ، منهم : إينال الصصلاق وأرغون وسودون الظريف وشرباش وسودون الأسندمرى ، وقتل جماعة ووسط جماعة وسجن جماعة ؛ وكان السبب في ذلك أن مملوكاً أحضر إليه ورقة فيها خطوط جماعة من الأمراء والماليك أرادوا الفتك به ، فقبض على من وجد اسمه فيها ، وكان كبيرهم جانم فوجده حينئذ في إقطاعه بالوجه البحرى ، فجهز إليه طوغان الدويدار فاقتتلا في البر ثم على ظهر النيل في المراكب ، فانتصر طوغان فألقى جانم نفسه في الماء فرمى بالسهام حتى هلك فقطع رأسه .

* * *

وفي شعبان أمر الناصر بالقبض بدمشق على يشبك بن أزدمر وجماعة من الأمراء الذين يُخشى منهم المبالاة على الناصر مع نوروز وشيخ ، وكان تغرى بردى قد ابتداءً به مرضه فأرسل إلى قرقماس نائب صفد فحضر ، فقبض على تراز الأعور وخشكلىدى وغيرهما وسجنهم بقلعة الصبيبة ، وفر يشبك بن أزدمر إلى نوروز ، فاتفق هو وسودون الجلب وقويًا عزّم شيخ ونوروز على المخامرة^(١) ، ومضى إليهما كل مرتاب ، واستمال شيخ محمد ابن دُلغادر أمير التركمان فمال إليه وأحضر إليه عسكره فولاه عينتاب وأرسل إليه خلعاً ومالاً .

ثم توجه شيخ إلى قلعة حماة وعدى الفرات ليوقع بالعربان فغرقت طائفة من أصحابه ، فأنشأ مركباً بناحية الباب قريباً من حلب طوله نحو ثلاثين خطوة ، فأرسل إليه نائب قلعة الروم جماعة فأحرقوه .

* * *

وقبض في شوال بدمشق على ناصر الدين بن البارزى وعلى شهاب الدين الحسينانى لكونهما يكتبان شيخاً بالأخبار فسُجنا بقلعة دمشق في سابع عشر شوال ، فتوجه تاج

(١) «الخاصرة» في هـ .

الدين محمد الحسباني إلى القاهرة فسعى في خلاص أبيه ، فأمر بإطلاقه فأطلق في أواخر ذى الحجة .

* * *

وقبض الناصر على جماعة من الأمراء والمالِك فوسَّط بعضهم وشنق بعضهم ، وذبح بعضه مائة نفس من أكابر الظاهرية ، منهم جرباش نائب القدس ومغلباي ومحمد ابن قجماس^(١) ، وبالغ في ذلك حتى إنه ركب مرة إلى الصعيد ورجع فأمر الوالي بقتل عشرة من ممالِكه تخلفوا عن الركوب معه ، وعاد من الصعيد فمرَّ بشارع^(٢) القاهرة وهو بثياب جلوسه في دون المائة وهو يطفح سكرًا حتى يكاد أن لا يثبت على الفرس .

* * *

وفي أواخر ربيع الأول قبض على أحمد بن جمال الدين الأستاذار وعلى أحمد وحمزة ولدَي أخيه ، وعلى ناصر الدين أخى جمال الدين وجماعة من قرابتهم فعوقبوا وطولبوا بالأموال ، فمات ناصر الدين تحت العقوبة ولم يوجد له إلا شيء يسير .

واستخرج من أحمد بن أخيه^(٣) ستة آلاف دينار ، ثم خنق الأحمدان وحمزة ليلة السادس عشر من جمادى الأولى ، وقتل الثلاثة ظلمًا .

* * *

وفي يوم السبت ثامن عشر شعبان كتب علم الدين بن جُنَيْبَة - أحد رؤساء الأطباء للناصر ورقة دواء مسهل ، فأمره أن ينزل ويطوف على الأمراء والمباشرين ويُعلمهم أن السلطان يشرب يوم الأحد مسهلًا^(٤) ، فعحمل كل منهم مقدمة^(٥) ، فعحمل الوزير ألقى دينارًا وأشياء كثيرة من المأكولات وكذلك ناظر الخاص لكنَّ دونه في النقد ، و [حمل] الأستاذار حتى المحتسب ، وكان^(٦) [هو] أول من سنَّ ذلك من ملوك مصر واستمرَّ بعده في كل سنة عند دخول الورْد .

* * *

(١) في « قجماس » .

(٢) هكذا في ظ ، وفي جميع نسخ المخطوطة ، وربما كان المراد « بشوارح » .

(٣) أى ابن أخى جمال الدين الأستاذار .

(٤) « دواء » في ٥ ،

(٥) « نقدية » في ز .

(٦) أمامها فى هامش ك « أى حوادث التقدمة فى شرب الدواء » .

وفي شهر رمضان نادى للمماليك بالأمان وأتهم عتقاً رمضان ، فحضر^(١) منهم جماعة تزيد على الثلاثين فحضرُوا لخدمته فوعدهم بالخير ووعدهم يوماً أن يخرج لهم خيولهم أو بدلتها ، فلما اجتمعوا أمسكهم أجمع ؛ وجلس يوماً آخر لتفرقة القرقلات فأمسك منهم جماعة ثم ذبحوا في شوال .

وفي هذه السنة غلا الزيت الحار إلى أن بلغ الرطل تسعة .

* * *

وفي شوال توجه الناصر إلى الإسكندرية وشن الغارات على الجهات البحرية فنهبت الأغنام والخيول والجمال حيث وجدت ، ودخل الناصر الإسكندرية في ثامن عشر شوال ، فقدم عليه مشايخ تروجة بتقادهم فخلع عليهم ثم أمسكهم وساقهم في الحديد واحتاط على أموالهم ، فهرب باقيهم إلى برقة ورجع [هو] إلى القاهرة .

وفي حال إقامته بالإسكندرية شكأ إليه المغاربة أنه يؤخذ منهم ثلث أموالهم في المكس ويؤخذ من الفرنج العشر ، فغضب من ذلك وأمر أن لا يؤخذ من المغاربة إلا العشر ، فشكر المسلمون له ذلك فكانت من حسناته النادرة ، وكانت حركته إلى الإسكندرية آخر سعه .

فلما قدم وصل إليه كتاب نوروز يعتذر عما بلغه عنه ، وقرينه محضر آخر فيه شهادة أربعين رجلاً بأنه مقيم على الطاعة ، فلم يلتفت الناصر لذلك .

وفي^(٢) نصف ذي القعدة أمر^(٣) الناصر أن تكون الفلوس كل رطل بإثنى عشر درهماً فغلقت الحوانيت ، فغضب السلطان وأمر مماليكه الجلبان بوضع السيف في العامة ، فشفع^(٤) فيهم الأمير الكبير وبقية الأمراء وقبض على جماعة وضربوا بالمقارع ، وقتل رجلاً وشنقه بسبب الفلوس ، ثم انحل أمر الفلوس بعد الفتنة^(٥) .

(١) « فظهر » في ٥ .

(٢) العبارة من هنا حتى « بعد الفتنة » س ١٨ غير واردة في ك .

(٣) سيبين ابن حجر السبب في تحديد هذا السعر فيما بعد ص ٤٩٣ ، س ٧ - ١٥ .

(٤) في ٥ « فشفع فيهم الأمراء فقبض على جماعة » .

(٥) في ٥ « النفقة » .

ونودي في سادس^(١) عشر ذى الحجة أن يكون بستة الرطل على العادة الأولى .

وفي أواخر الشهر ضرب الناصر عنق أحمد بن محمد الطبلاوى بيده ، ثم استدعى بنت صُرُق - وهى إحدى زوجاته -^(٢) فذبحها بيده ولفها مع ابن الطبلاوى فى بساطٍ وأمر أن يُدفنا فى قبر واحد ؛ وكان قد وُثِيَ بها أنها تتنكر وتخرج من القلعة وتنزل إلى ابن الطبلاوى المذكور .

• • •

وأنفق الناصر نفقة السفر وخرج الجاليش فى سابع عشرى ذى القعدة ، وخرج الناصر فى الثامن من ذى الحجة وقد تباهى فى ملابس عسكريه ، وجرّ ثلاثمائة جنيب بالسروج المذهبة الثقيلة وبعضها مرصع بالجواهر بالعبي الحرير والكنابيش الزركش والعرقيات^(٣) الحرير واللجم المسقطة ، ووراءها ثلاثة آلاف فرس ساقها جشاراً ، وأعقبها عددٌ كبير من العجل التى تجرّها الأبقار وعليها آلات^(٤) الحصار ، وبعدها خزانة السلاح على ألف جمل وخزانة المال محتوية على أربعمائة ألف دينار ، والمطبخ وفيه ثلاثون ألف رأس من الغنم وكثير من البقر والجاموس ، والحریم فى سبع محفّات حتى بلغ عدّة الجمال التى تحمل جميع ذلك ثلاثة وعشرين ألف جمل .

واستقر يلبغا الناصرى نائب الغيبة ، وأسنبغا نائب القلعة ، وكانت نفقة المماليك : كل واحد سبعين ناصريا ، وصُرف للأمير الكبير خمسة آلاف دينار، ومثلها لبكتمر وغيرهما من الأمراء الكبار لكل لكل واحد ثلاثة آلاف دينار .

ونحر الناصر الضحايا بالتربة الظاهرية : تربة أبيه ، ورحل من التربة بعد صلاة العصر من يوم الجمعة حادى عشر ذى الحجة فى طالع اختاره له الشيخ إبراهيم بن زقاعة ، وسار

(١) فى « سادس ذى الحجة » .

(٢) كتب ناسخ لك تحت هذه الكلمة بخط دقيق جدا « أى الناصر » .

(٣) كلمتا « العرقيات الحرير » ساقطتان من « .

(٤) فى « آثار » .

في ليلة السبت ثالث عشره ، واتفق في هذا اليوم اجتماع نوروز وشيخ بجمص وفرَّ إليهما جمعٌ كبير .

ونادى الناصر أن لا يرحل أحدٌ قبله ، فبلغه أن واحداً رحل قبله فركب بنفسه ووَسَطَ بحضرته ، ونصب مشنقةً يُذهَبُ بها معه ، فما وصل إلى غزة حتَّى قتل عدَّة من الغلمان بسبب ذلك ، فلما نزل بغزة وَسَطَ عشرين نفساً من الظاهريَّة وهو لا يعقل من السكر فنفر أكثر العسكر منه ، فبلغه تلك الساعة أن الجاليش الذي تقدَّمه خامر عليه فركب وجدَّ في طلبهم .

وكان أمراء الجاليش وصلوا إلى دمشق في سادس عشرى ذى الحجة فدخلوا إلى تغرى بردى في غاية المرض فأعلموه بسوء سيرة الناصر وخَوْفِهِم منه واجتماع كلمتهم على اللحاق بالأميرين ، وتوجهوا في آخر الشهر إلى جهتهما فخالفهم شاهين الزردكاش فقبضوا عليه ، وجدَّ الناصر في السير فلم يلحقهم فألبس عسكره وقد ظهرت عليه علامات الخذلان ، فرحل إلى دمشق فدخلها وقت الزوال من سلخ السنة ، وكان بعد ذلك ما سنذكره من حوادث السنة الآتية .

* * *

وفي هذه السنة مات السلطان « الملك المنصور » ويقال له الصالح حاجى بن الأشرف بن حسين ابن الناصر ، وكان مقبلاً بالدور السلطانية في قلعة الجبل منذ خلعه الظاهر من سنة اثنتين وتسعين إلى أن مات في تاسع عشر شوَّال بعد أن تعطلت حركة يديه ورجليه منذ سنين ، وعاش أزيد من أربعين سنة .

قال العيني : « كان شديد البأس على جواريه لسوء خلقه من غلبة السوداء عليه ، ولم يزل مشغولاً باللهو والسكر » .

* * *

وفيهما قتل من الظاهرية ما بين أمير وخاصكى وغيرهما نحواً من سبعمائة رجل أراد

الناصر بإزالتهم توطيد مملكته فانعكس الأمر ، وكان قتلهم في الحقيقة من أعظم الأسباب في توطيد ملك الملك المؤيد ، فسبحان من بيده الملك .

وفيها قُتل الأمير تمتاز الناصري الذي ولى نيابة السلطنة بالقاهرة ، قُتل بالإسكندرية وكان لا بأس به ، وكان من خواص برقوق وأمّر أربعين في زمانه ، ثم أمرّ تقدمة في سنة اثنتين وثمانمائة ، ثمّ ناب في الغيبة في فتنة اللنك ، ثم ولى نيابة السلطنة في سنة تسعٍ وثمانمائة ، وناب في الغيبة [مرة أخرى] في سنة اثنتي عشرة ، ثم قبض عليه في أول هذه السنة وسُجن بدمياط ثم بالإسكندرية ، ثم قُتل في عيد الأضحى . وكان يحب الحكماء ويكرمهم ويعتقد في الصالحين ، وكان تركيا خالصاً حسن الصورة .

وقُتل خايربك وكان قد ناب في غزّة وأعطى تقدمة ، وقُتل الأمير يشبك الموساوى وكان أُعطيَ تقدمةً ثم ولى نيابة طرابلس ثم كان نائبَ غزّة مدة طويلة .

قال العينتابي : « ظلم أهلها ظلماً كثيراً فاحشاً ، وكان أفقم سييء المعتقد ردى المذهب متجاهراً باللواط ، قُتل بالإسكندرية أيضا » .

و [قُتل] الأمير قزدمر الحسنى : كان قد أُعطيَ تقدمةً وتولّى خزنداراً كبيراً « ولم يكن به باس » . قاله العينتابي .

وقُتل قنباى وآقبا القديدى المعروف بدويدار يشبك ، كان مقدماً عند يشبك ثم استقر عند الناصر دويداراً صغيراً وأمّره عشرة ، وكانت له وجاهة ومعرفة ويقتدى برأيه في كثير من الأمور . قال العينتابي : « كان يدعى الحكمة ووفور العقل مع خبثٍ ومكرٍ وحبٍ لجمع المال ، ولم يشتهر عنه خير ، وحصل في أيام يشبك مالاً جماً ، ثم لم يزل في ازديادٍ إلى أن مات في ليلة الخميس ثالث عشر شوال وخطف شيئاً كثيراً جداً تمولّ بعده منه جماعة ، واستولى السلطان على غالبه » .

وفي رجب رُجم رجل تركماني بدمشق اعترف بالزنا وهو محصن وذلك بدمشق فكُتِفَ تحت القلعة وأُعيد في حفرة فرُجم حتى مات .

* * *

وَمِمَّنْ مات فيها : علي بن محمد الإخميمي وكان يدعى أنه شريف وأصله بغدادى ، وقد ولى الوزارة وشدَّ الدواوين وغير ذلك ؛ وفيروز الطواشى وكان قد تقدّم عند الناصر ومات في رجب ، وكان شرع في مدرسته واشترى لها مكاناً بالغرابلين ليبنى به ربعا وغيره فمات قبل الفراغ ، فأقرَّ الناصر وقفه ونقله من المدرسة إلى التربة ، وأضاف الوقف كله إلى مدرسته ، فأخذ دمر دأش العمارة بإنعام الناصر وشرع فيها ثم فاجأه السفر ثم آل أمرها إلى أن اشتراها زين الدين عبد الباسط في الدولة المؤيدية وعمَّرها قيسارية وربعا ، فأتقن ذلك غاية الإتقان وذلك في سنة ٨٢٣ فما بعدها .

* * *

وفيها قُتِلَ سلمان - بضم السين المهملة - بن أبي يزيد صاحب برصة وغيرها من بلاد الروم ، واستولى على مملكته أخوه موسى بعد حروبٍ وقعت بينهما .

* * *

وفي^(١) هذه السنة - في ربيع الآخر - قبض على جماعة من أقارب جمال الدين وهم : أحمد ولده وأحمد وحمزة ابني أخت جمال الدين ، وعلى شمس الدين وناصر الدين أخوي جمال الدين ، وصودروا وعوقبوا إلى أن مات في العذاب ناصر الدين وقُتِلَ الأحمدان وحمزة خنقا^(٢) .

* * *

وفي ربيع الآخر وصلت طائفة من الجنوبية إلى الإسكندرية فوجدوا طائفة من الكتلان فقَاتلوهن ، فخاف منهم أهل الإسكندرية وأغلقوا الأبواب وبلغت عدة القتلى ألفي نفس ، وأسّر الكتلان من الجنوبيين رجلاً يُقال له « الفستاوى » فأرسلوه إلى الناصر فألزمه بمائة

(١) أمام هذا الخبر في هامش ه : « تقدم في الورقة التي قبلها ، لكن قال هناك : في أواخر ربيع الأول ولم يصرح باسم شمس الدين وفيه بعض تفصيل » ، هذا ويلاحظ أن عبارة المتن في كل من ه ، ز على الصورة الآتية : « وفي هذه السنة في ربيع الآخر قبض على أحمد بن جمال الدين وعلى أحمد وحمزة ابني أخت جمال الدين » .

(٢) راجع ما سبق ص ٤٨٦ من ١١ - ١٢ .

ألف دينار، فذكر أن ماله تحت حوطة الجنويين فقبض [الناصر] على تجّارهم بالإسكندرية فغضبوا وساروا بمراكبهم إلى أطينة فسبوا نساءً وصبياناً وكانت بينهم وقعة كبيرة ، فخرجت طائفة من أهل دمياط لنجدتهم ، وكبيرهم محبي الدين بن النحاس^(١) وكان ملازماً للجهاد بثغر دمياط وفيه فضيلة تامة ، وجمع كتاباً حافلاً في أحوال الجهاد وقُتل في المعركة مقبلاً غير مدبر ، وغنم الفرنج من أهل أطينة مالا كثيراً ثم مضوا .

* * *

وفي ذى القعدة في ثانی عشرين منه نازل الفرنج أطينة أيضاً في أربعة أغربة ، فقاتلهم المسلمون قتالاً عظيماً إلى الليل ، فمضى الفرنج إلى الساحل المقدم فنهبوا ما وجدوا فيه ورجعوا من الغد إلى القتال ، فقدم في الحال غراب للمسلمين فاحتاط به الفرنج ، فألقى من فيه من المسلمين أنفسهم إلى البحر فنجوا إلى البرّ بالسباحة ، ثم وافى الناس من دمياط مقاتلة فتكاثروا المسلمون على الفرنج واستعادوا منهم الغراب المذكور بعد قتالٍ شديد ، فانهزم الفرنج وقُتل بعضهم ، والله الحمد .

* * *

وفي جمادى الأولى أمر السلطان بهدم مدرسة الأشرف شعبان بن حسين التي على باب القلعة وجدّ الهدم فيها وكانت من أعظم الأبنية ، وكان جمال الدين قد اشترى من أولاد الأشرف كثيراً من الآلات التي بُنيت^(٢) بها لأن الأشرف مات قبل أن تكمل فبسط يده في تحويل ما بها ، فأخذ الشبابيك والأبواب والبوابة وكثيراً من الحجارة حتى الكتب الموقوفة فاستعان بالجميع في مدرسته .

(١) هو أحمد بن إبراهيم بن محمد محبي الدين الدمشقي ثم الدمياطي المجاهد ويعرف بابن النحاس ، خرج من دمشق أثناء فتنة تيمورلنك واستوطن دمياط ، وكانت له معرفة طيبة بالفرائض والحساب والهندسة ، وكان مع علمه لا يحب الظهور ، وكان كثير المراقبة والجهاد حتى قتل شهيداً في هذه المعركة التي يشير إليها ابن حجر في المتن ، وكانت شهادته في ١٣ جمادى الآخرة ، انظر السخاوي : الضوء اللامع ج ١ ص ٢٠٣ - ٢٠٤ ، ومن العجيب أن ابن حجر لم يترجم له في وفيات هذه السنة ، وقد لاحظ ذلك السخاوي فأشار إلى أن شيخه ذكره في الحوادث فقط دون الوفيات ، واسترعى ذلك انتباه قارئ نسخة فكتب له ترجمة بالهامش ، أوردناها فيما بعد ص ٤٩٥ حاشية رقم ١ .

(٢) في هـ و بقت هـ .

ثم جاء الناصر في هذه السنة فكره مكان بُقْعَتِهَا لِأَنَّ الْمُتَغَلِّبِينَ صَارُوا يَسْتَعِينُونَ عَلَى حِصَارِ الْقَلْعَةِ بِالنُّزُولِ فِيهَا ، فَهَدَمَهَا فَصَارَتْ رَابِيَةً عَالِيَةً ، وَحَوْلَ مَا يُنْتَفَعُ بِهِ مِنْ حِجَارَتِهَا وَأَخْشَابِهَا إِلَى الْأَمْكِنَةِ الَّتِي يَرِيدُهَا ، فَبَقِيَتْ كَذَلِكَ إِلَى آخِرِ دَوْلَةِ الْمُؤَيَّدِ فَأَمَرَ بِعِمَارَتِهَا مَرَسْتَانًا وَسَكَنَ فِيهِ بَعْضُ الْمَرْضَى ، وَمَاتَ الْمُؤَيَّدُ بَعْدَ ذَلِكَ فَحَوَّلُوهُ بَعْدَهُ جَامِعًا وَمَنْزِلًا لِلْوَارِدِينَ .

وأمر في هذا الشهر بهدم الدور الملاصقة لسور القلعة تحت الطبلخاناه وغيرها فهُدِّمَتْ مِنْ ثُمَّ إِلَى بَابِ الْقِرَافَةِ وَتَشَتَّتْ سَكَانُهَا .

وفيه خُتِمَ عَلَى جَمِيعِ الْحَوَاصِلِ الَّتِي يُظَنُّ أَنَّ بِهَا فُلُوسًا بِالْقَاهِرَةِ ، وَنَدَبَ النَّاصِرُ لِذَلِكَ أَحْمَدَ بْنَ الطَّبْلَاوِيِّ وَالِيَّ الْقَاهِرَةِ - قَبْلَ قَتْلِهِ - وَمَجْدَ الدِّينِ سَالِمَ بْنَ سَالِمِ قَاضِيِ الْحَنَابِلَةِ فَفَتَحَا حَوَاصِلَ النَّاسِ وَنَقَلَا مَا فِيهَا مِنَ الْفُلُوسِ وَأَعْطَا لِكُلِّ وَاحِدٍ ثَمَنَ فُلُوسِهِ ذَهَبًا فِي كُلِّ قَفَّةٍ ثَلَاثُ نَاصِرِيَّةٍ ، وَكَانَتْ قِيمَتُهَا يَوْمَئِذٍ ثَلَاثًا وَثُمْنًا فَجَمَعَ مِنْهَا شَيْئًا كَثِيرًا ، فَكَانَ ذَلِكَ هُوَ السَّبَبُ فِي مَنَادَاتِهِ عَلَيْهَا كُلِّ رَطْلِ بِلِئْنِي عَشْرَ دَرَاهِمًا كَمَا تَقَدَّمَ ^(١) . وَيُقَالُ إِنَّ الَّذِي أَخْبَرَهُ بِرِخْصِ الْفُلُوسِ وَأَنَّ قِيمَتَهَا قَبْلَ ذَلِكَ كَانَتْ تَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ كُلُّ رَطْلِ بَعَشْرِينَ دَرَاهِمًا : الشَّيْخُ سِرَاجُ الدِّينِ الْبِهَادِرِيُّ ^(٢) أَحَدُ الْأَطْبَاءِ ، فَجَرَّهَ ذَلِكَ إِلَى الطَّمَعِ الْكَائِنِ فِي نَفْسِهِ قَبْلَ ذَلِكَ إِلَى أَنْ نَادَى عَلَيْهَا بِإِئْنِي عَشْرَ فِلْمٍ يَمْشِي لَهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْمَشَقَّةِ ، فَتَرَكَ بَعْدَ أَنْ حَصَلَ مِنْهُ مِنَ الْبِلَادِ مَا حَصَلَ .

وفيهما كانت بين الحجَّاج من أهل دمشق وبين العرب بناحية زيرا محاربة ، فَجُرِحَ أَمِيرُ الْحَاجِّ وَمَاتَ مِنْ تَلْكَ الْجِرَاحِ .

(١) انظر ما سبق ص ٤٨٧ ، س ١٥ - ١٨ .

(٢) هو عمر بن منصور بن عبد الله السراج القاهري الحنفي المعروف بالبهادري ، كان الطب أحد الفروع التي اشتغل بها ، كما درسه في البيمارستان وجامع ابن طولون ، وكانت وفاته يوم ١٢ شوال سنة ٨٣٤ هـ ، انظر السخاوي : الضوء اللامع .

ومات فيها صاحب الهند غياث الدين أبو المظفر أعظم شاه بن إسكندر شاه بن شمس الدين صاحب بنجالة .

وفيهما قُتل وزيره يحيى بن عرب شاه ويلقب شاه جهان .

* * *

وفيهما مات مرجان زمام الملك الأشرف ثم الناصر صاحب الممن وقد ولي إمرة زبيد .

* * *

وفيهما قتل وبير بن نخبار بن محمد بن عقيل بن راجح بن إدريس بن حسن بن قتادة الحسنى أمير ينبع ، وليها أزيد من عشرين سنة ، وقتل أخوه مقبل وابنه على قتل كثيرين ممن اتهمهم بقتله لأنه قُتل غيلة ، واستقر في أمر ينبع بعده أخوه مقبل منفرداً واستمر إلى أن خلع بعد بضع عشرة سنة ، واستقر عقيل بن وبير مكانه كما سيأتي .

* * *

وفيهما كان السعيد محمد بن أبي فارس بن عبد العزيز بن أبي سالم إبراهيم المريني يحاصر فاس وبها أبو سعيد بن أحمد بن أبي سالم فهزمه أهل فاس بعد شهرين وذلك في صفر منها ، ووقع الإفساد في الزروع وقوى القوى على الضعيف ، واشتد الغلاء وكان الإردب عندهم برُبُع دينار فارتفع بعد ذلك بأضعاف مضاعفة ، ثم رجع السعيد إلى حصار فاس وقد انتُهبت الأعمال والنواحي في ربيع الآخر وحصرها نحواً من عشرين يوماً ثم هزمه فتوجه إلى سلا ، ثم جمع عسكرياً ورجع في شعبان وحصر البلاد ، وبني مقابلها مدينة سماها المنصورة ، وانقضت هذه السنة وهو على ذلك . ثم تقاتل أهل البلد ، ثم قام عليه عبد الواحد بن أبي حمود واسمه موسى ، وفرّ السعيد إلى تونس فهلك ببلد العناب وطالت مدة عبد الواحد وسنذكر أمره في سنة سبع وعشرين .

* * *

ذكر من مات في سنة أربع عشرة وثمانمائة من الاعيان

١ - إبراهيم^(١) بن أحمد بن حسين الموصلي ثم المصري نزيرل مكة ، أقام بها ثلاثين سنة ، وكان مالكي المذهب يتكسب بالنسخ بالأجرة مع العبادة والورع والدين المتين ، وكان يحج ماشياً من مكة ومات بها . أثنى عليه تقي الدين المقریزی .

٢ - إبراهيم بن أبي بكر الماحوزي الأصل ثم الدمشقي ، تفقه قليلاً وسلك طريق التصوف مع الدين المتين ، وكان كثير المال ولا يقبل لأحد شيئاً وينهى أصحابه أن يأكلوا لأحد شيئاً ، وكانت تلك طريقة والده الشيخ أبي بكر الموصلي ، وكان للناس فيه اعتقاد زائد وقل أن يرُدُّ أحدٌ من الأمراء رسالته ، وكان لا يمشی لأحدٍ مطلقاً ، مع الثروة الزائدة .

مات راجعاً من الحج في المحرم ودُفن بتبوك ولم يبلغ الستين ، وكان قد حجَّ عشرين حجّة وفي كل مرة يحصل للناس به النفع الزائد ، رحمه الله تعالى .

٣ - أحمد بن عبد الله الرومي ويعرف بالشيخ « صارو^(٢) » وهو « الأشقر » بالتركية ، قدم من بلاده فعظمه نائب الشام شيخ قبل أن يتسلطن ثم صار من خواصه ، ثم سكن الشام وكان^(٣) يقبل شفاعته ويكرمه وولاه عدّة وظائف ، وكان^(٤) كثير الإنكار للمنكر وقد حجَّ وجاور . مات في شعبان بحلب - عند شيخ لما ولي نيابتها - وقد شاخ .

(١) أوردت شذرات الذهب هذه الترجمة بنصها دون الإشارة إلى مصدرها ، ويلاحظ أن ابن حجر أعاد ترجمتها في أول وفيات السنة التالية ترجمة رقم ١ ص ، وقد انتبه لهذا ابن العباد الحنبلي في شذرات الذهب ٣٧٣/٧ فقال « المقدم » يعني في السنة الماضية ٨١٤ ، هذا وقد سماه المقریزی بإبراهيم بن محمد بن حسين . وقد جاء أمام هذه الترجمة في هامش ه ترجمة الشيخ محيي الدين النحاس الذي أشار إليه ابن حجر من قبل ، ص ٤٩٢ س ٣-٥ في أثناء كلامه عن هجوم الجنوية على ثغر دمياط ، أما الترجمة التي وردت في هامش ه فهي « أحمد بن إبراهيم بن أحمد الشيخ الإمام العلامة القدوة محيي الدين بن النحاس الدمشقي الشافعي له أكثر من مصنف ، وألف في الجهاد كتاباً حافلاً سماه مصارع العشاق ، استجاب الله له . . . أول . . . له فيه وهي : أحمدك اللهم وأسألك رتبة الشهادة . واختصر هو نفسه كتابه هذا ، وله : تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين في الحوادث والبده ، تعين في زمانه » .

(٢) في هامش ه « بل صولا » ، ولكنه هكذا كما في المتن في السخاوي : الضوء اللامع ج ١ ص ٣٧٣ .

(٣) المقصود بذلك الملك المؤيد شيخ .

(٤) المقصود بهذا صاحب الترجمة .

٤ - أحمد بن علي بن أحمد بن محمد بن سليمان بن حمزة الدمشقي ثم الصالحى الحنبلى، شهاب الدين بن فخر الدين بن نجم الدين بن عز الدين، خطيب الجامع المظفرى^(١).

٥ - أحمد بن محمد بن مفلح الصالحى الحنبلى، شهاب الدين أخو الشيخ تقي الدين، وُلد سنة ٧٥٤ واشتغل قليلاً وسمع من جماعته، ثم انحرف وسلك طريق الصوفية والسماعات، ومات أبوهما^(٢) الشيخ شمس الدين سنة ثلاث وستين.

٦ - أحمد بن محمد بن أبي القاسم الحوارى^(٣) ثم العثماني شاهدُ المطبخ السلطاني، كان مجبياً في أهل الخير. مات في ثالث ربيع الأول، وكانت مباشرته للمطبخ من أول دولة الأشرف فأقام في الوظيفة المذكورة نحو الخمسين سنة.

٧ - أعظم شاه غياث الدين بن إسكندر شاه بن شمس الدين، السجستاني الأصل، ملك الهند، كان غلبه سلفه على دلى بعد رجوع اللنك، وكان اللنك لما دخل الهند حاربه يلبو مملوك فيروز شاه بن نصره شاه ثم انهزم، فلما رجع اللنك رجع إليها يلبو فخرج عليه خضر خان بن سليمان فقتله وقبض عليه نائبه دولت يار واستولى خضر على المملكة. فلما مات قام بعده ولده مبارك شاه في ملك دلى وقام شمس الدين السجستاني في ملك بنجاله^(٤) ثم مات، فقام بعده ابنه إسكندر شاه ثم قام بعده ابنه أعظم شاه، وكان له حظ من العلم والفهم والخير، وهو الذى أنشأ المدرسة البنجالية بمكة والبنجالية الأخرى بالمدينة، وكان له معروف كثير، ومات في سنة أربع عشرة.

وملك ابنه حمزة بعده فثار عليه مملوكه شهاب وقتله فتسلط عليه فنود ملك الكفرة فقتله، ثم ثار ولد فنود عليه فقتله وتسمى «محمدا» وأسلم وتلقب جلال الدين أبا المظفر،

(١) ويعرف أيضا باسم «جامع الجبل» وبهذا الاسم ورد في النعي: الدارس في تاريخ المدارس ٢/٤٣٥.

(٢) هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن مفلح بن محمد، راجع عنه الشذرات ٥/١٩٩ - ٢٠٠.

(٣) في «الحواري»، لكن انظر الضوء اللامع ٢/٤٧٣.

(٤) دأب ناسخه على كتابه الجيم بالكاف في الأسماء غير العربية.

وجدد مآثر من شعائر الإسلام والمساجد، وأرسل إلى مكة بأموال يتصدق بها سنة اثنتين وثلاثين، ثم أرسل هدية إلى مصر بعدها وطلب التقليد من الخليفة فجهز إليه مع رسوله مهمل^(١) وبرغوت في سنة ثلاث فأعاد جوابه سنة أربع وصحبه مالٌ للخليفة، وللسلطان هدية .

٨ - آقبغا^(٢) القديدي .

٩ - وتمراز^(٣) الناصري .

١٠ - وجانم^(٤) .

١١ - وحاجي بن الأشرف شعبان ، تقدموا^(٥) في الحوادث .

١٢ - حسن بن علي بن عبد الرحمن الأذري ثم الصالحى بدر الدين بن قاضى أذرعات ، تفقه في صباه على الشرف بن الشريشى والنجم بن الجابى ، وتعانى الأدب وفانى في الفنون، ودرّس وأفتى وناظر، وناب في الحكم ثم تركه تورعاً، وولى عدّة إعادات ، وهو ممن أذن له البلقينى بالإفتاء لما قدم الشام سنة ثلاث وتسعين وكان يشئى عليه كثيراً ، ودخل القاهرة بعد الكائنة العظمى ، وكانت بيننا مودةً وسمعتُ منه نظماً وسمع منى ، وكان بآخره قد انجمع عن الناس . مات بالطاعون في المحرم رحمه الله تعالى .

(١) في « سهلك » .

(٢) ترجم له الضوء اللامع ١٠١٨/٢ ، وقال « يعرف بدوادار يشبك ، كان مقدماً عند يشبك ثم استقر عند الناصر دواداراً صغيراً وأمره عشرة ، وكانت له وجاعة ومعرفة ويقتدى برأيه في كثير من الأمور . قال شيخنا في إنباهه » .

(٣) ترجم له الضوء اللامع ١٥٦/٣ ترجمة مطولة فراجعها هناك .

(٤) الأرجح أنه سيف الدين جانم الظاهري الذى ولى نيابة حماة وطرابلس ، ثم أصبح مقدم ألف ، راجع عنه المنهل

الصابغى في Wiet: Les Biographies du Manhal, No. 803.

(٥) يقصد بذلك آقبغا القديدي وتمراز الناصري وجانم الظاهري وحاجي بن الأشرف .

١٣ - خاير باك . تقدّم في الحوادث .

١٤ - خليل^(١) بن عبد الله الأذرعي المعروف بالقابوني ، كان صالحاً مباركاً منقطعاً عن الناس مثابراً على العبادة قليل الكلام كثير الحجّ مع فقره ، وكان الناس يأمّنونه على الصدقات التي يريدون إرسالها إلى مكة ، وكان أهل مكة يستبشرون به إذا حجّ لكثرة إحسانه إليهم ، وكان للشاميين فيه اعتقاد زائد .

مات في صفر بالطاعون وله ثلاث وسبعون سنة ، وحضر الناس جنازته حتى النائب ، وقد نسخ الكثير ، وخطه حسن .

١٥ - عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن أبي الوفا الشاذلي ، أبو الفضل بن الشيخ شهاب الدين . اشتغل في صباه قليلاً وتعانى النظم فقال الشعر الفائق ، وكان ذكياً حسن الأخلاق لطيف الطباع ، غرق في بحر النيل هو ومحمد بن عبد الله البشكالي^(٢) وعبد الله ابن أحمد بن محمد التنسي جمال الدين قاضي المالكية وابن قاضيهم . ومن نظمه أراه في مرثية محبوب له :

مَضَتْ قَامَةٌ كَانَتْ أَلَيْفَةً مَضَجَعِي فَلِلَّهِ الْحَاظُّ لَهَا وَمَرَاثِفُ
وَلِلَّهِ أَصْدَاغٌ حَكَّيْنِ عَقَارِباً فَهِنَّ عَلَى الْحُكْمِ الْمَعْنَى سَوَالِفُ
وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَمَسٍ إِلَّا مِنْ الْجَفَا وَإِنِّي عَلَى ذَلِكَ الْجَفَا الْيَوْمَ آسِفُ
رَعَى اللَّهُ أَيَّامًا وَنَاسًا عَهْدَتُهُمْ جِيَادًا ، وَلَكِنَّ اللَّيَالِي صَبَارِفُ

(١) أمام هذه الترجمة في هامش ز « هو والد شيخنا الشيخ عبد الرحمن » أي شيخ الصيرفي علي بن داود الجوهري ، أما عن عبد الرحمن هذا فراجع الضوء اللامع ٢٢٣/٤ .

(٢) انظر فيما بعد ترجمة رقم ٢٦ ص ٥٠٤ ، وكذلك الضوء اللامع ٣٢٥/٨ ، ١٨٣/٤ .

ومن نظمه من غزلٍ قصيدةً على هذا الروي :

وَبِي ذَهَبِي اللَّوْنُ صَبِيحَ لِمِحْنَتِي يُطِيلُ امْتِحَانًا لِي وَمَا أَنَا زَائِفٌ
وَفِي فَمِهِ شَهْدٌ وَشُهْدٌ مَكْرَرٌ وَفِي خَدِّهِ وَرْدٌ وَوَرْدٌ مُصَاعَفٌ
لَهُ أَعْيُنِي - أَنِي رَأْتُهُ - تَوَابِعٌ وَأَعْيُنُهُ أَيْضًا لِقَلْبِي خَوَاطِفٌ^(١)

١٦ - عبد السلام بن محمد الزرعي أحد سكان المجاهدية بدمشق ، كان خيراً أميناً موثقاً به ، قرأتُ ذلك بخطِّ ابن حجى . مات في أواخر السنة .

١٧ - عبد الوارث بن محمد بن عبد الوارث البكري المالكي ، أخو شيخنا نور الدين^(٢) المقدم ذكره ونسبه في سنة ستٍ وثمانمائة . مات فيها بينبع راجعاً من الحج في المحرم .

١٨ - عقيل بن سريجا بن محمد بن سريجا بن محمد ، الملقب بالأصل المارديني نزيلها ، قطب الدين أبو عبد القاهر بن المحقق زين الدين ، اشتغل على أبيه وحدث عنه بشئ من تصانيفه بحلب ، قال القاضي علاء الدين في تاريخ حلب : « كان شيخاً حسناً إلى الكهولة أقرب ، قدم علينا بلادنا سنة ثمان وتسعين فكتب عنه شيخنا برهان الدين [الحلبي] شيئاً من نظم أبيه الشيخ سريجا ، وتكلم على الناس بالجامع الكبير ؛ وكان كثير الاستحضر ورجع إلى بلاده بحصن كيفاً^(٣) فمات هناك في هذه السنة » ؛ ومن إنشاده عن أبيه :

حَفِظُ الْحَدِيثِ رِوَايَةً وَدِرَايَةً وَعُلُومُهُ سَنَدٌ^(٤) إِلَى الْإِيمَانِ
لَا يَجْحَدُنِي مِنْ حَدَاةِ عَلِيٍّ الْفَتَى أَلْ نُخْرِيرِ بَعْدَ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ

(١) جاء بعد هذا الشعر في نسخة ز بخط الصيرفي « وقد رأيت بخط مدحا في المصنف وغيره ، وكتب شيخنا تلوه : هذا خط أبي الفضل محمد بن الشيخ شهاب الدين أحمد بن الشيخ محمد بن وفا الشاذلي ، رحم الله شبابه وعوضه الجنة . مات شريفاً في سنة ٨١٥ هـ ، قلت [أي الصيرفي] وأما في مجسمه [أي في معجم شيوخ ابن حجر] فمناه وأرخه كما هنا .

(٢) انظر ما سبق ص ٢٨١ ، ترجمة رقم ٢٣ ، والضوء اللامع ٣٥٧/٥ .

(٣) بلدة وقلعة عظيمة مشرفة على دجلة بين آمد وجزيرة ابن عمر من ديار بكر .

(٤) « تسند » في الأصل ، هـ ، والضوء اللامع ٥١٨/٥ ، وقد صححناه إلى ما بالمتن ليستقيم المعنى .

وهي طويلة .

١٩ - علي بن سيف^(١) بن علي بن سليمان، الشيخ نور الدين اللواتي الأصل الإنباري النحوي المصري نزيل دمشق ، وُلد سنة بضع وخمسين بالقاهرة ونشأ بغزة يتيمًا فقيرًا فحفظ «التنبيه» ، ثم دَخَلَ دمشق فعرضه على التاج السبكي فقرره في بعض المدارس واستمرَّ بدمشق ، وأخذ عن العنَّاب وغيره ، ومهر في العربية وشغل الناس بدمشق ، وأدب أولاد ابن الشهيد، وقرأ عليه «التيسير»، وسمع من الكمال بن حبيب وابن أميلة وغيرهما، وكان خازن كتب السميساطية وحصل كثيراً من الوظائف والكتب ، وفاق في حفظ اللغة ، وعنى بالأصول فقرأ «مختصر ابن الحاجب» دروساً على المشايخ ، وأكثرَ مطالعة كتب الأدب فصار يستحضر من الأنساب والأشعار والأخبار شيئاً كثيراً ، ولم يتزوج قط، ثم نُهب جميع ماحصَّله في فتنة اللنك .

وكان عارفاً بأيام النَّاس حسن الخطِّ كثير الانجماع ، دخل القاهرة بعد الكائنة العظمى فأقام بها وحصل كتباً ، ثم قدم دمشق ثم رجع فعظَّمه تَمراز - وكان يومئذٍ نائباً - وتعصَّب له ففوض له مشيخة البيبرسية بعد موت شيخها فعارضه جمال الدين الأستاذار وانتزعها منه لأخيه شمس الدين ألبيري ، ثم قرره في تدريس الشافعي^(٢) بعد موت جلال الدين بن أبي البقاء ، فعارضه جمال الدين أيضاً وانتزعها منه لأخيه وعوضه تدريس الشيخونية فدرَّس بها يوماً واحداً ثم نزل لى عنها بمال واستمرَّ على انجماعه ، وحدث بالبيبرسية بـ «سنن أبي داود» و «جامع الترمذى» عن ابن أميلة وبغير ذلك ، وحدث بالفصيح بسماعه من ابن حبيب ، وسمعتُ منه يسيراً ، وكان فقير النفس شديد الشكوى ، وحصل له شيء اشترى به كتباً ، ثم تحوَّل بما جمعه إلى دمشق في هذه السنة .

وذكر لنا القاضي علاء الدين أنه قرأ عليه جزءاً جمعه شيخه العنَّاب في الفعل المتعدّي والقاصر وأنه لم يستوعبه كما ينبغي ، قال : «وذكر أن في الإصبع إحدى عشرة لغة ، فأنشدته

(١) «سند» في الشذرات ١٠٧/٧ ، وهي بلا تنقيط في هـ .

(٢) الوارد في الضوء اللامع ٧٧٠/٥ أنه قرره في مشيخة الصلاحية المجاورة للشافعي .

البيت المشهور وفيه عشرة ، وطالبتُه بالزائدة فلم يستحضرها لكنه صمّم على العدّ، وذكر لي أنه جمع جزءاً في الردّ على تعقيبات أبي حيان لكلام ابن مالك « انتهى .

مات بالشام في ذى القعدة عن نحو سبعين سنة ، وتفردت كتبه شذر مندر .

٢٠ - علي بن محمد بن علي بن عبد الله الحلبي ، علاء الدين بن القوصي^(١)، نشأ بدمشق واحترف النسخ والشهادة ، ثم وقّع على الحكام وناب في الحكم عن البرهان الصنهاجي المالكي ، وولى قضاء المجلد وتوقيع الدست ثم قضاء غزة بعناية فتح الله وكان صديقه قديماً ، ثم ولى قضاء دمياط مضافاً لغزة ومشيخة البيبرسية بالقاهرة وخطابة القدس ؛ وكان متواضعاً بشوشاً كثير المداراة والخدمة للناس ولا يمرّ به أحد إلا أضافه وخدمه وراح هو يشكره ، وقد سمع في صباه من ابن أميلة وجماعة من أصحاب الفخر وابن القوّاس على ما أخبرني به ، وكانت بيننا مودة ، ومات في أواخر السنة .

٢١ - فيروز الخزندار الرومي ، تربّي مع الناصر فرج من صغره فاخص به وكان جميل الصورة نافذ الكلمة ، وولى نظر الخانقاه بسرياقوس ومات في تاسع رجب وهو شاب ، وكان عمراً أماكن كثيرة ووقف وقتناً على تدريس^(٢) وغيره فاستولى الناصر على جميع أوقافه فصيرها للتربة الظاهرية .

٢٢ - قاسم بن أحمد بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين بن يوسف بن محمود، الحلبي الأصل العينتابي الكتبي ، أحد الفضلاء في الحساب والهندسة والنجوم^(٣) والطلبسات وعلم الحرف والطب ، وكان مفرطاً في الذكاء، وهو ابن أخي القاضي بدر الدين العينتابي وهو الذي ترجمه ، ذكر أن مولده في سنة تسع وتسعين ومات في رابع عشر المحرم مطعوناً بمصر وُصِّلَ عليه بالجامع الأزهر ، وكان له صديق يقال له خليل بن إبراهيم الخياط من

(١) « القرمي » في ٥ ، والضوء اللامع ١٠٦٦/٥ .

(٢) الوارد في الضوء اللامع ٥٩٥/٦ أن هذا التدريس كان بالأزهر .

(٣) « النحو » في الضوء اللامع ٦٠٤/٦ .

أهل بلده ، فقال لما رأى جنازته وقد صَلَّى عليها مع من حضر صلاة الجمعة : « يارب اجعلني مثله » فمات ليلة الجمعة المقبلة وَصَلَّى عليه كما صَلَّى على صديقه ، وعاش أبو قاسم بعده مدة .

٢٣ - قزدمر الحسني ، تقدّم في الحوادث .

٢٤ - محمد بن إسماعيل بن يوسف بن عثمان الحلبي ، الشيخ شمس الدين الناسخ المقرئ ، كان ديناً خيراً يتعاني نسخ المصاحف مع المعرفة بالقراءات ، أخذ عن أمين الدين ابن السلار وغيره ، وأقرأ الناس وانتفعوا به ، وقد جاور بالحرمين نحو عشر سنين ، ودخل اليمن فأكرمه ملكها ، وكان قد بلغ الغاية في حفظ القرآن بحيث أنه يتلو ما شاء منه ويسمع في موضع آخر ويكتب في آخر من غير غلط ، شوهد ذلك منه مراراً . مات في ربيع الآخر وقد جاوز السبعين ، وهو عمّ شرف الدين أبي بكر الموقع المعروف بابن النجمي .

٢٥ - محمد بن خليل بن محمد العُرضي ، الشيخ شمس الدين الغزي ، وُلد قبل سنة ستين ، واشتغل بالفقه فمهر فيه إلى أن فاق الأقران ، وصار يستحضر أكثر المذهب مع المعرفة بالطب وغيره . مات في جمادى الأولى .

٢٦ - محمد بن عبيد بن عبد الله البُشْكَالسي ، زين الدين ، كان أبوه من أعيان أهل مذهبه وناب في الحكم وأفتى ، وحدث عن عز الدين بن جماعة وغيره ، ونشأ ولده هذا ذكياً فاشتهر ذكره بالفضل ، وكان يتعاشر مع جماعة من الفضلاء فاتفق أنهم توجهوا إلى شاطي النيل وركبوا شحُتوراً فانقلبت^(١) بهم .

٢٧ - محمد بن علي بن إبراهيم بن عدنان بن جعفر بن محمد بن عدنان بن جعفر الحسيني الشريف ناصر الدين ابن كاتب السرّ ، كان فاضلاً ماهراً في الأنساب ، كثير الاشتغال إلا أنه جامد الذهن ، وكان كثير التقشّف لا يتعاني الملابس ولا المراكيب ،

(١) راجع ترجمة رقم ١٥ ص ٥٠٤ .

سمع معنا كثيراً وكانت بيننا مودة ، وكان أعجوبةً زمانه في السعي كثير الدهاء ، دخل القاهرة مراراً بسبب السعي لأبيه في كتابة السر فكان غالباً هو الغالب ، وحيثما لنفسه في غضون ذلك كثيراً من الوظائف والتدريس والأنظار ، وكان يتبرأ من التشيع ويتهم به ، قال ابن حجي : « كان دينا صينا لا تعرف له صبوة وقد عين لكتابة السر فلم يتفق ذلك » . مات في صفر بالطاعون وله سبع وثلاثون سنة .

٢٨ - محمد بن علي بن عمر بن علي بن محمد الدمشقي المعروف بابن الإربلي سبط ابن الشريشي ؛ مات في المحرم .

٢٩ - محمد بن محمد بن محمد بن محمد^(١) بن يوسف الدمشقي ، فتح الدين بن الشيخ شمس الدين بن الجزري نزيل بلاد الروم ثم دمشق ، باشر الأتابكية^(٢) بدمشق إلى أن مات في صفر مطعوناً ، وكان جيداً ذهن يستحضر كثيراً من الفقه ويقري بالروايات ويخطب جيداً ، وترجمه ابن حجي فقال : « كان ذكياً جيداً ذهن يستحضر كثيراً من الفقه ويقري بالروايات ، أخذ ذلك عن أبيه وعن الشيخ صدقة [الضرير] وغيرهما ، ومات في صفر مطعوناً ولم يكمل الأربعين » ؛ وقد رأيتُه بالقاهرة

وهو والد صاحبنا الشيخ شمس الدين وعاش بعده دهرأ ، وكان قد تسحب من أبيه لما توجه إلى بلاد الروم ، ثم حضر إلى القاهرة برسالة ابن عثمان بسبب المدرسة الصلاحية وكانت مع والده ، فوثب عليها بعده القمني فنزاعه ، فتعصب للقمني جماعة فغلب ابن الجزري ، فنزاع جلال الدين بن أبي البقاء في تدريس الأتابكية ونظرها فلم يزل إلى أن فوضها له - بزعمه - بركة ثم تصالحا وفوضها له باختياره ، وباشرها إلى أن مات .

(١) في هامش « الصواب في نسبة بعد محمد : ابن إبراهيم بن علي بن يوسف » .

(٢) انظر النعمي : الدارس في تاريخ المدارس ١/١٢٩ ، وعن الجزري راجع نفس المرجع ١/١٣٦ - ١٣٧ .

- ٣٠ - محمد الشبراوى، اشتغل كثيراً وكان مقتدرًا على الدرس فدرّس كتاب « الشفا » وعرضه ، ثم درّس « مختصر مسلم » للمنذرى ولم يكن بالماهر . مات فى سلخ السنة^(١) .
- ٣١ - محمد بن الحنبلى، شمس الدين ، شاهد القيمة كان من كبار الحنابلة وقد ائتمهم ، وكان ورعاً قليل الكلام على سَمَتِ السلف ؛ مات فى رابع ربيع الأول وقد بلغ السبعين .
- ٣٢ - هود بن عبد الله المحابرى الدمشقى . مات فى أوائل السنة .
- ٣٣ - يحيى بن محمد بن حسن بن مرزوق المرزوقى الجبلى^(٢) - بكسر الجيم وسكون الموحدة - الشافعى الهلبانى ، تفقّه على رضىّ الدين بن أبى داود^(٣) ، وسمع من على بن شدّاد واشتغل كثيراً ، وكان عابداً ديناً خيراً يتعانى الساعات على طريق الصوفية ويجتمع الناس عنده لذلك . مات فى جمادى الآخرة وقد بلغ ثمانين سنة .
- ٣٤ - يشبك الموساوى ، تقدّم فى الحوادث .
- ٣٥ - يوسف بن أحمد بن عبد الله بن الصائغ ، وهو ولدُ شيخنا أبى اليسر^(٤) المقدم ذكره قريباً ، كان ثقيل البدن خفيف الروح كثير المجون حسن المذاكرة ، ولى تدريس الدماغية^(٥) ونظر الرباط الناصرى ، ومات فى المحرم .
- ٣٦ - يوسف بن محمد النحاس ، جمال الدين المعروف « بابن القطب » الحنفى ، كان يجلس مع الشهود ثم ولى الحسبة مرة ثم ناب فى الحكم ثم سعى فى القضاء بعد فتنة اللنك فوليه مراراً ، وكان عرياً عن العلم ، وباشر مباشرةً غير محمودة . مات فى المحرم ولم يكمل السبعين .

* * *

- (١) بعدها فى ز « وهو والد الشمس الشبراوى المقرئ فى الجوق » .
- (٢) جبلة أو ذو جبلة مدينة باليمن تحت جبل صبره ، وتسمى ذات النهرين كما ذكر ابن عبد الحق فى مراصد الاطلاع . ٣١٣/١ .
- (٣) « ابن الرداد » فى الضوء اللامع ١٠/١٠١٥ .
- (٤) راجع ما سبق ص ٢٩٩ ترجمة رقم ١ .
- (٥) تنسب هذه المدرسة إلى عائشة زوجة الشجاع محمود المعروف بابن الدماغ مضحك الملك العادل ، وقد توفى سنة ٦١٤ فعمدت زوجته إلى داره فجعلتها مدرسة للشافعية والحنفية ، والمعروف أن أول شافعى درس بها هو شخص الدين الخوى ، انظر التعميم : الدارس فى تاريخ المدارس ١/٢٣٦ وما بعدها .

سنة خمس عشرة وثمانمائة

استهلت والناصر قد رحل في آثار الأمراء الذين خامروا عليه فدخل دمشق كما قدمنا في سلخ السنة الماضية وخرج منها في سادسه .

ووقع في أول يوم منه تقرير ابن الكشك في قضاء الحنفية ، وكان عماد الدين بن إسماعيل بن القصاص - قاضي الحنفية بحماة - قد جرت له مع يشبك بن أزدمر كائنة قبيحة جدا ، فخرج من حماة إلى دمشق ، فبذل لنوروز - وهو نائب الشام - مالا فولاه قضاءها ثم توجه إلى مصر فقرره طوغان وهو بغزة في قضاء الشام ، فوصل إلى دمشق فلم يتمكن من المباشرة لدخول الشريف ابن بنت عطا بتوقيع الحنفية بدمشق فباشر ، ثم دخل الناصر دمشق فأعاد ابن الكشك ؛ فولى قضاء دمشق ثلاثة أنفس في عشرة أيام .

* * *

وأفرج الناصر عن ناصر الدين بن البارزى وعن نكبای الحاجب ، وسار إلى جهة حمص وقد بلغه أن الأمراء نزلوا بها ، ثم بلغه أن الأمراء رحلوا إلى بعلبك فوصل إليها فوجدهم قد توجهوا إلى البقاع على جهة وادى التيم بقصد القاهرة ، فتوجه إليهم فمضوا إلى جهة الصببية وهو يتبعهم حتى نزلوا باللجون ، فأشار عليه نصحاؤه أن يرجع إلى دمشق حتى تستريح العسكر ثم يتوجه إليهم فيأخذهم من الصببية فأبى ولج في طلبهم وظن أنهم في قبضته ، وأن الذى أشار عليه بذلك غشه واتهمه لهواه فيهم ، ثم ركب من ساعته وساق فما وصل إلى اللجون حتى تقطعت عساكره ، ولم يبق معه إلا اليسير ، وذلك في ثالث عشر المحرم .

وكان الأمراء قد داخلهم الخوف منه فعزموا على أن يتوجهوا في الليل من وادى عاره (١) إلى جهة الرملة ثم يقصدون حلب من طريق البرية ولم يخطر لهم أن يقاتلوه خوفاً منه وعجزا عنه ، فساعة وقوع عينه عليهم حمل واقتحم فيهم ، فارتطمت خيول الذين معه في وحل كان هناك ، وخامرت طائفة منهم ، فقتل في المعركة مقبل الرومى وكان الناصر قد فسخ عقد

(١) في « غارما » .

أخته من نوروز وزوجها لمقبل ، فقصده نوروز فقتله في المعركة وقتل أطنبغا شقلا ، وجرح بكثر فمات من جراحته بعد ذلك بأيام .

ووقعت في الناصر جراحة فانهزم راجعا إلى دمشق ، فأشار عليه بعض من ينصحه أن يستمر متوجها إلى القاهرة فامتنع لما أراد الله من هلاكه ، وتوجه إلى دمشق فأدركه الليل في بيت تركماني فعرفه فأنزله عنده ، وكان معه حينئذ ثلاثة أنفس فأقام في الليل يسيرا حتى استراح ، ثم قدم له التركماني حجرة - وكان فرسه قد أعْيى - فركبها ووعدته بمال وإقطاع ، وتوجه إلى دمشق فتحصن بالقلعة واحتاط الأمراء بالخليفة والقضاة وكاتب السر وناظر الجيش وبجميع ما كان مع الناصر من المال والخيول مما لم ينزله ، فانتقل الأمراء من الخوف إلى الأمن ومن الدل إلى العز ، وتقدم شهاب الدين الأذري - إمام النائب شيخ - وهو ابن أخي الشيخ بدر الدين بن قاضي أذرعان فصلى بالقوم المغرب فقرا (١) ﴿واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فأواكم وأيدكم بنصره﴾ الآية ، فوقعت الموقعة لمناسبة الحال ، وأصبح الأمراء ورأسهم شيخ ونوروز فاشتوروا فيما يفعلون ، وكان كاتب السر فتح الله قد خاف من الناصر فأشار عليهما أن يكتبا إلى القاهرة بما اتفق ويأمرأ بحفظ القلعة والبلد، ويكتب الخليفة بمثل ذلك .

وتوجه قجقار الفردى بذلك فوصل آخر الشهر ، ورحل الأمراء إلى دهشق فوصلوا إليها في نصف المحرم .

وكان الناصر قدم في تلك الليلة وطلع القلعة واستدعى القضاة والأعيان ورغبهم فيما لديه ، ووعدهم بالعدل والجميل فمالوا معه وشجعوه ، فتلاحق به العسكر شيئا بعد شيء ، ووجد تغرى بردى نائب الشام قد مات في ذلك اليوم فقرر عوضه دمرداش ، وأخذ في الاستعداد وإخراج الأموال والسلاح ، فاجتمع له جمع كثير وأنفق فيهم وقواهم بالمدافع والمكاحل ورفع الجصور عن الخنادق ، وأمر القضاة أن يركبوا مع القاضي جلال الدين البلقيني وكان قد تقدم

(١) سورة الأنفال ، آية ٢٦ .

قبل الواقعة إلى دمشق ونادى بأن الناصر قد أبطل المكوس وأزال المظالم ويطلب منهم الدعاء ، فتعصب له عوام الشام .

فلما كان في الثامن عشر من المحرم نزل الأمراء بقبة يلغا ، فندب الناصر لهم عسكرياً ، فخرج إليهم سودون الجلب وسودون المحمدي فهزموهم ثم ارتحلوا فنزلوا غرب البلد ووقفوا من جهة القلعة فتراموا بالنشاب .

ثم نزل نوروز بدار المطعم ، وشيخ بدار غرس الدين الأستاذار ، وضمَّ معه الخليفة وكاتب السرِّ والقضاة ، ونزل بكتمر جلق وقرقماس فمنعوا الميرة عن الناصر وقطعوا نهري دمشق ، فتعطلت الحمامات وغلقت الأسواق وعظم الأمر واشتد القتال وكثرت الجراحات .

وفي ثالث عشرى المحرم لحق بالأمير شيخ ناصر الدين بن العديم قاضي الحنفية وشهاب الدين الباعوثي وشهاب الدين الحسباني - وكانوا بالصالحية - وناصر الدين بن البارزي وصدراً الدين الأدي - وكانا من أخصاء شيخ - فأنس بهما وعرفاه بأحوال البلد مفصلة ؛ وبسط ناصر الدين بن العديم لسانه في الناصر فبلغ ذلك الناصر فقرر ابن الشحنة في قضاء الحنفية بالقاهرة عوضاً عنه . ويُقال إن ناصر الدين المذكور كان ممن شهد الواقعة باللجون وأحيط به مع الخليفة والمباشرين .

وفي الرابع والعشرين من المحرم وُسِّط بلبان^(١) أشق شاد الشرايخانة وبلاط أمير علم وكان كلُّ منهما يذبح المماليك الظاهرية بين يدي الناصر بالقاهرة .

وفي يوم السبت خامس عشرى المحرم أشهد عليه الخليفة بخلع الناصر من الملك لِمَا ثبت عليه من الكفریات والانحلال والزندقة ، وحكم ناصر الدين بن العديم بذلك ويسفك دمه ، واستقرَّ في السلطنة الخليفة المستعين بالله أبو الفضل العباسي بن المتوكل العباسي ولم يُغَيَّر لقبه ، وبإيعة الأمراء ومن حضر ، وكان رأى الأمراء قد أجمع على ذلك فلم يوافقهم الخليفة إلا بعد شدة وتوثق منهم بالآيمان فاشتد امتناعه وصمَّ ، وبادر كاتب السرِّ

(١) فك «ملاش» ، وفي «بلا أشق» و«فوقها» كذا .

فتح الله فأرسل جماعة ، منهم : محمد بن مبارك الطازي - وهو أخو الخليفة لأمه - ورتب معه ورقة فيها مثالب الناصر ، وأن الخليفة عزله من السلطنة فلا يحل لأحد من المسلمين القتال معه ولا مساعدته فإنه فعل وفعل ؛ وعدد مثالب الناصر ، وقرأها شيخ بينهم جهراً ودارها على الوطاق كله حتى بلغ ذلك الناصر وتحققه ، وتوعد الخليفة بكل سوء ظنا منه أن ذلك من تدبيره . فبلغ ذلك الخليفة فسقط في يده وأيس من صلاح الناصر فأجاب إلى ما التمسوه منه من القيام بالأمر ، فبايعوه كلهم وحلفوا له على الوفاء ، وأحضروا له لباس الخطيب الأسود فلبسه وجلس على كرسي وقام الكل بين يديه .

وقرّر بكتمر جلق في نيابة الشام ، وقرقماس في نيابة حلب ، وسودون الجلب في نيابة طرابلس ، والأميرين : شيخ ونوروز في ركابه يدبران الأمر .

ونادى منادى الخليفة : « ألا إن فرج بن برقوق قد خلع من السلطنة ، ومن حضر إلى أمير المؤمنين وابن عم رسول الله فهو آمن ! » فتسلل الناس عن الناصر ، وكتب المستعين إلى القاهرة باجتماع الكلمة وأمر يلبغا الناصري بحفظ البلد .

فلما كان صبيحة هذا اليوم قدم الحاج فتلقاهم شيخ وبعث كل طائفة إلى الجهة التي هي مقصدها ، ومنعهم أن يمروا تحت القلعة .

وفي سابع عشر المحرم استقر برهان الدين الباعوني في قضاء الشافعية بالقاهرة عوضاً عن البلقيني ، وشهاب الدين الحساباني في قضاء الشافعية بدمشق عوضاً عن الإخنائي ، واشتغل الأميران بحصار الناصر ؛ وقُتِل في هذه الفتنة^(١) خلق من الأمراء منهم : يشبك العثماني .

ولما بلغ الناصر ما صنع فتح الله عزله من كتابة السرّ وقرّر عوضه فخر الدين بن المزوق ، وأضاف نظر الخاص إلى الوزير سعد الدين بن البشيرى وكان معه بدمشق .

* * *

وفي ثامن صفر قدم قجقار القردي القاهرة بأخبار الواقعة ، فأراد أسنبغا الزردكاش أن يقبض عليه فمنعه يلغا الناصري وقرأ كتبه ، واشتهر الخبر، ورزبب الناصر لقجقار ما يليق به وبمن معه وهم نحو ثلاثين نفرا .

ثم قدم كزل العجمي وعلى يده كتب من الخليفة والأمراء بما تقدم من خلغ الناصر .
وقدم بعده ساع من عند الناصر يخبر فيه بأنه ملتجئ إلى القلعة ، ثم قدم قصره
وعليه خلعة الخليفة وكتاب إلى الناصري ومن بالقاهرة من الأعيان ، فقرأ وأرسل إلى الجامع
الطولوني فقرأه ابن النقاش ، ثم [أرسل] إلى الجامع الأزهر فقرأه مسطرها^(١) كما سيأتي .

* * *

وفي السادس من صفر شاع بين الناس أن قرايلك وغيره من التركمان وصلوا نجدة
من الناصر ، فنادى منادى شيخ بتكذيب ذلك و « أن المذكورين جاليش تمرلك فاحذروهم » ثم
اجتمع الجميع وأعادوا بيعة المستعين وجددوا له الأيمان وأنهم رضوا بأن يكون حاكما عليهم ،
وأنة المستبد بالأمور من غير معارضة أحد منهم له .

* * *

وفي الثامن من صفر اشتد القتال وحمل شيخ بمن معه فانهزم أصحابه وثبت هو ثم تراجعوا
وصدقوا الحملة فانهزم أصحاب الناصر ، ووصل شيخ إلى طرف القنوات ، فجاء دمرداش
فأعلم الناصر أنه قد سهل القبض عليه وسأله أن يندب معه رجلاً فناداهم فلم يجبه أحد ،
وأعاد فأجابه بعضهم بجواب فيه جفاء ، وإذا العسكر قد اختبط فإن نوروز كبسهم فهربوا
بحيث لم يبق بين يدي الناصر أحد ، فملك شيخ الميدان والإصطبل .

فأشار دمرداش على الناصر أن يرحل إلى حلب ، فقام فدخل حريمه ليلاً وتجهز فلم
يخرج ، فاستبطأه دمرداش فتركه وسار وقام ناس على الأسوار فنادوا : « نصر الله أمير
المؤمنين » ، فلما سمع الرماة ذلك تخوفوا على أنفسهم ففروا ، فركب الناصر فرسه ودار

(٢) يعنى ابن حجر بذلك أنه هو نفسه الذى قرأ هذه الكتب فى الجامع الأزهر ؛ والضمير فى « مسطرها » عائد على
أسطر إنباء القمر .

على السور فلم يجد أحداً فعاد إلى القلعة ، فركب شيخ ودخل من باب النصر وملك المدينة ونزل بدار السعادة ، وامتدَّت أيدي الفوغاء إلى النهب فبالغوا ونزل المستعين في البلد .

ويقال إن دمرdash لما رأى أن حال الناصر تلاشى احتال لنفسه فقال للناصر : « أروح أنا وابن أخي وأجمع عسكر من التركمان وغيرهم » ، فمال الناصر لكلامه وأعطاه مالاً كثيراً لذلك ، فتوجّه من دمشق ومعه نحو مائتي نفس ، فلما رأى الذين مع الناصر ذلك خارت قواهم ووهنوا ، ورآى الناصر علامة الخذلان فقال لهم : « من شاء أن يستوثق لنفسه فليفعل » ، فتفرّقوا .

ثم تحوّل شيخ إلى الإصطبل، وأنزل بكنتمر جلق في دار السعادة ، فلما كان يوم الأحد بعث الناصر يطلب الأمان ويستحلف الأمراء فحلفوا له على ما أراد ، وأرسلوا له أخا الخليفة لأمه : محمد بن مبارك الطازى وكان بينه وبينه الكلام ولم يفترقا على طائل ، فعادوا الرمي عليهم من أعلا القلعة فعادوا الحصار ، فاضطره الأمر إلى أن نزل ليلة الاثنين ومعه أولاده يحمل بعضهم وتُحمل معه بعضهم وهو يمشى من باب القلعة إلى الإصطبل : فلما رآه شيخ قام فقبّل له الأرض وأجلسه بصدر المجلس فسكن روعه ؛ فبات تلك الليلة وأصبح شيخ يوم الاثنين فلم يجتمع به ، واجتمع الأمراء عند المستعين يوم الاثنين بدار السعادة فاشتوروا فيما يصنعون بالناصر ، فاتفق رأيهم على أن يمضوا فيه حكم ابن العديم ، فأخذ في ليلة الأربعاء من الإصطبل فجلس في مكان من القلعة وحده لا يصل إليه إلا من يناوله حاجة المأكول والمشروب خاصة ، وتركوه فريداً إلى ليلة السبت سادس عشر صفر ، فدخل عليه محمد بن مبارك الطازى ورجل من خواص شيخ وآخر من خواص نوروز ورجلان من المشاعلية ، فلما رآهم أحس بالشرّ فقام ودافع عن نفسه ، فبادر المشاعلية حتى صرعاه بعد ما أثنخنا جراحه ، وتقدّم إليه أحدهما فخنقه ، فلما ظنّ أنه أتلّفه قام عنه فتحرك ، فعاد مرة بعد مرة ، فغزّ أوداجه بخنجر كان معه ، ثم سحبه بعد ما سلبه فألقاه على مزبلة تحت السماء ليس عليه سوى لباسه وعيناه مفتوحتان ، يمرّ به القريب والبعيد وقد صرف الله قلوبهم عنه فلا أحد يترقّق له ولا يحنّ عليه ، بل ربّما مدّ إليه بعضهم يده فعبث ببلحيته . ثم حُمل

ليلة الأحد فُغسل وكُنِّن وصلى عليه ودُفن بمقبرة^(١) باب الفراديس ، ولم يكن له جنازة مشهورة ، فسبحان المعزّ المدلّ .

وكان شيخ يحلف أنه لا يريد قتله ولم يُرد إلا أن يسجنه ببعض الأماكن منفيًا ويرتب له ما يأكل ويشرب ، ووافقته جماعة من الأمراء ، منهم: يشبك بن أزدمر ؛ إلا أن نوروز وبكتمر جلق لم يأمنّا عاقبته فحرّضنا على قتله وساعدهم الحُكم ابن العديم بقتله بسيف الشرع فقُتِل .

ولقد كان الناصر هذا أعظم الناس خذلانًا لدين الإسلام وأشأمهم طلعةً على المسلمين ، والعجب أنه لما وُلد أُقبِل يلبغا الناصري ومنطاش فبشّرا به أباه فسماه « بُلغاق » يعنى « فتنة » ، فلما خلع أبوه من الكرك سماه « فرجاً » ، فكان اسمه الأول هو الحقيقي .

وفي عاشر صفر قبض على الإخنائي وابن المزوق والغرس الأستاذار وعبد الرزاق ناظر الجيش وصوروا ، وخلع على صدر الدين بن الأدمى بكتابة السرّ بدمشق وعلى الأمويّ بقضاء المالكية بها .

وتقرّر الأمر بين الأمراء أن يكون الأميران^(٢) يدبّران الأمر بين يدي الخليفة ، وأن ينزل شيخ بباب السلسلة وينزل نوروز في بيت قوصون ، فلما كان الخامس والعشرون من صفر^(٣) التمس نوروز من الخليفة أن يقرّره على نيابة الشام فأجابته إلى ذلك وخلع عليه وصرف بكتمر جلق عنها واستقر أميراً كبيراً بالقاهرة ، واعتلّ نوروز بأنه يخشى وقوع الفتنة وأن التدبير لا يليق أن يكون إلا لشخص واحد فأجيب لذلك ، وفوّضت له كفالة الشام كله ، وجعل له تعيين الثواب والبلاد وتعيين الإقطاعات لمن يراه ، وكذلك أمر القضاة والمباشرين فيطالع الخليفة بمن يرى تقريره فيكتب له تقليده .

(١) في « بقبر باب الفراديس » ، وفي ز « بمقبرة باب الفراديس » .

(٢) المقصود بذلك شيخ ونوروز .

(٣) في ث « محرم » . وأمامها في هامشها « ولاية نوروز الثانية للشام » .

وفي السابع والعشرين من صفر أُعيد جلال الدين البلقيني إلى قضاء الشافعية بالقاهرة وعُزل الباعوني فكانت مدته شهراً : إسماً بلا مباشرة ، وصرف نوروز ابن الأدي من كتابة السرّ وقرّر البصروي ، وصرف الحساباني عن قضاء الشافعية بدمشق وقرّر الإخنائي فتوجه مع الحساباني إلى وطاق الخليفة ، فكتب له تويماً بخطابة الجامع ونظر الأسرى ومشيخة السيساطية ونصف الناصرية ، فصُربَ نوروز على الخطابة وأبقاها مع الباعوني ، ثم بقي نصف الناصرية مع شهاب الدين بن نقيب الأشراف ، ثم قرّر الباعوني في المشيخة فلم يتأخر مع الحساباني سوى نظر الأسرى ثم انتزعت منه .

* * *

وفي ثامن صفر وصلت الأخبار إلى القاهرة - صحبة كزل - بما جرى للناصر وقرئت الكتب بذلك على المنابر ، وكذب أسنبغا الزردكاش ذلك وأراد إثارة فتنة ، فساس يلبغا الناصري الأمر حتى سكن اضطرابه ، ووصل كتاب الخليفة إليه أن يسلم يلبغا القلعة فأذعن وتوجه إلى داره ، وصدرت الكتب من الخليفة إلى الأمراء والتركمان والعربان والعشير ، ومفتتحها : « من عبد الله ووليه الإمام المستعين أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين وابن عمّ سيد المرسلين ، المفترضة طاعته على الخلق أجمعين ، أعزّ الله ببقائه الدين . إلى فلان » .

وفي الثامن من ربيع الأول توجه الخليفة وشيخ ومن معهما إلى القاهرة فدخلوا في يوم الثلاثاء ثاني شهر ربيع الآخر بعد أن تلقاهم الناس إلى قطية وإلى الصالحية وإلى بلبيس ، وحصل للناس من الفرح بذلك مالا مزيد عليه ونادوا في الناس برفع المظالم والمكوس .

وفي سادس عشره توجه نوروز من دمشق إلى حلب ، وقرّر في نيابتها سودون الجلب فمات معه في حادي عشر ربيع الأول ، واستقر يشبك بن أزدمر في نيابة طرابلس ، وخرج نوروز من حلب وطلب دمراش فوصل إلى عينتاب فقطع دهرداش الفرات فرجع نوروز فوجد سودون الجلب قد مات ، فقرّر في نيابة طرابلس طوخ ورجع إلى دمشق فلدخلها في أوائل رجب ، وتوجه أطنبغا القرهشي نائباً على صفد .

* * *

وفيه ضرب نوروز الدراهم الخالصة زنة الواحد نصف درهم والدينار بثلاثين منه وفرح الناس بها، وكانت معاملتهم قد فسدت بالدراهم المغشوشة النوروزية فكان ضربها^(١) قديماً في كل درهم: عشرة فضة وتسعة أعشاره نحاس .

* * *

وفي شهر ربيع الأول استقر الشيخ محب الدين محمد بن الأشقر شرف الدين عثمان الرازي^(٢) في مشيخة الخانقاه الناصرية بسرياقوس، وكان شيخها - شهاب^(٣) الدين بن أوحده - قد قام عليه الصوفية لما بلغهم خبر الملك الناصر لأنه كان يستطيل عليهم لصحبته فأذوه ورموه بكل عظيمة وكان جديراً بذلك؛ فخشي على نفسه منهم فبادر بالنزول عن الخانقاه المذكورة للمذكور^(٤) لعرفته بمحبة الناس له لحسن سياسته، فأمضى له يلغا الناصري النزول واستقر بها، وخرج ابن أوحده إلى ملاقاته معارفه من المصريين في العسكر، واستقرت قدم ابن الأشقر في سرياقوس .

وكان قد تزوج بنت البرهان المحلى - وهي أخت زوجة الخليفة - فخرج إلى لقائه فتلقاه بإكرام وتعظيم .

وفي الثاني من ربيع الأول دخل الخليفة القاهرة فشقها والأمراء بين يديه، واستمر إلى القلعة فنزلها، ونزل شيخ الإصطبل بباب السلسلة، وكان شيخ يظن أن الخليفة يتوجه إلى بيته ويستعفى من السلطنة، فلما لم يفعل ذلك أعرض عنه وأبقى له من يخدمه من حاشيته، واستقرت الخدمة عند شيخ، وأمسك أسنبغا الزردكاش فادعى عليه مدع بموجب القتل فقتل، وقبض على أرغون وسودون الأسندمرى وكمشيبغا المزوق وحبسهم^(٥)، وقرر في نيابة الإسكندرية خليل الدشارى عوضاً عن قطلوبغا الخليلي بحكم موته .

(١) في « منه بها » .

(٢) في « ث الكراوى » .

(٣) إزاهما في هامش ث « إنما هو شمس الدين حفيده لأن الخانقاه لا تقر تولية أحد صوفيتها » .

(٤) إزاه هذا الخبر في هامش ه: « أخبرني عز الدين عبد العزيز السنباطي أن ابن أوحده مثل عن سبب اختياره لابن الأشقر لها دون غيره فقال: لم أجد أحداً يقتص منه فخصصته بها لياخذنى حتى من صوفيتها، وكان يتخذ منه ذلك فإن ابن الأشقر كان كالحية نمومة وملاسة ووثباً، وحياته مثار الصوفية بها، على أنه عامة أذل من اليهود » .

(٥) ساقطة من ه .

وفي الثامن منه صعد شيخ والأمراء إلى القصر ، وجلس الخليفة على تخت الملك ، فخلع على شيخ خلعة عظيمة بطراز لم يُعهد مثله ، وفوّض إليه أمر المملكة بالديار المصرية في جميع الأمور ، وكتب له أن يوَلّي ويعزل بغير مراجعة ، وأشهد عليه بذلك ، ولُقّب « نظام الملك » وقرر طوغان دويداراً ، وجاهين الأفرم أمير سلاح ، وإينال الصصلافي في الحجوبية .

وخلع على يلبغا الناصري وسودون الأشقر ، وقرّر أَلطنبغا العثماني في نيابة غزّة عوضاً عن سودون من عبد الرحمن ، ونزلوا كلهم في خدمة شيخ . فلما كان اليوم الذي يليه عرض شيخ الأجناد وفرّق الإقطاعات .

وقرّر جقمق دويداراً في خدمة الخليفة وأسكنه القلعة ، وتقدّم إليه بأن لا يمكّن الخليفة من كتابة العلامة إلاّ بعد عرضها على شيخ ، فاستوحش الخليفة حينئذ وضاق صدره وكثر قلقه واتّضع جانبه وصار الملك كله لشيخ ، فسبحان من له الأمر كله .

* * *

وفي حادي عشره استقر صدر الدين بن العجمي في حسة القاهرة وصُرف ابن الدميري ، وخلع على المباشرين باستقرارهم على عادتهم ، وخلع على التاج الشوبكي واستقرّ إلى القاهرة^(١) .

واستقرّ بدر الدين حسن بن محب الدين أستاذاراً وسكن في بيت جمال الدين ، واستقرّ شهابُ الدين أحمدُ الصفدي ناظرَ المرستان - عوضاً عن فتح الله - وناظرَ الأقباس عوضاً عن تاج الدين بن نصر الله أخى ناظر الجيش بدر الدين ، وقام جدّ القيام في دفع ذلك فلم يجب سؤاله ، واستقرّ ناصر الدين البارزي في توقيع الأمير^(٢) عوضاً عن تاج الدين بن نصر الله ، وشرفُ الدين التباني في وكالة بيت المال ونظر الكسوة .

* * *

وفي قدوم القوم إلى القاهرة انحلت الأسعار ورخصت الغلال ، وزاد النيل زيادةً وافرة

(١) في هامش ث : « بداية أمر التاج في ولايته الولاية » .

(٢) هكذا في ه ، ولكنها « الأمر » في ز .

بحيث أنه كان عند الناروز قد وَفَى ثمانية عشر ذراعاً واستبشر الناس بذلك ، وخَفَّ الظلم جداً وتَعَطَّلت الرمايات والمصادرات ، ومُنِعَ بيع الأنفس الأحرار والمجاهرة بالمحارم في الجملة .

وفي السادس عشر من جمادى الأولى قرئ تقليد الأمير شيخ بتفويض الخليفة له أمور المملكة وجميع ما قد اشتهر من خلافته .

وفي ثالث^(١) عشره جلس في الحرّاقة وبين يديه القضاة والأمراء والمباشرون ، وقرأ كتاب السرّ عليه القصص كما جرت العادة عند السلاطين في دار العدل ، ولم يبق له من السلطنة سوى اسمها والسكة والخطبة ، واستمرّ يعمل هذه الخدمة كل اثنين وخميس .

وفي رابع عشره قرّر صدر الدين بن الأدمي في قضاء الحنفية بالقاهرة وصُرف ابن العديم ، فسعى ابن العديم بالمال حتى أُعيد إلى الشيخونية في رجب وصُرف أمين الدين بن الطرابلسي ، وأرسل جقمق إلى بلاد الشام بتقاليد النواب من جهة الخليفة .

وفي الثامن من جمادى الآخرة مات بكتمر جلق وكان قد لسعته عقرب من مدة شهرين فتمرّض منها إلى أن مات ، ونزل شيخ للصلاة عليه ركباً والناس مشاة ، فخلا الجوّ لشيخ يموت بكتمر .

وفيه جُهِّزَت سارة بنت الملك الظاهر إلى زوجها نوروز بدمشق فخرج لملاقاتها إلى الرملة ، فوصلت وهي ضعيفة فتوجّه بها إلى القدس فماتت هناك .

ولما دخل القدس اتّصل به شمس الدين محمد بن عطاء الله الهروي فقرّره في تدريس الصلاحية عوضاً عن الشيخ زين الدين القمني ، وكانت الوظيفة بيد القمني ويستنيب فيها شهاب الدين بن الهائم ، فمات ابن الهائم فخلت من مدرّس فوثب عليها الهروي .

وفي جمادى الآخرة قرأ البارزي موقّع شيخ بين يديه القصص في غير أيام الخدمة ، وكثّر الناس على بابه وقلّ تردّادهم إلى فتح الله ، فبدأ جانبه في الانحطاط .

(١) في ك ، ث « ثامن عشره » .

وفي يوم السبت تاسع عشرى رجب عُقد مجلس بين يدي شيخ بسبب^(١) مدرسة جمال الدين ، وادّعى أخوه شمس الدين على فتح الله كاتب السرّ أنه واضعٌ يده عليها ظلماً ، فأجاب بأنها صارت للناصر بوجه شرعى وأنه فوّض له النظر عليها ، فبدر ابن الأدي فقال : « حكمتُ بإعادتها إلى وقف جمال الدين وكذلك أوقفها على ما كان جمال الدين وقفها » ، وانفصل الأمر على ذلك .

* * *

وفي رجب شكى أخو جمال الدين الأستاذار وعائته ما أصابهم من الناصر وانتزاع أوقفهم ، فحكم صدر الدين بن الأدي بإبطال ما صنعه الناصر وبإعادة وقف جمال الدين على حاله ، وصرف الفائض من الربيع إلى ورثة جمال الدين . وكان فتح الله سعى في ضدّ ذلك فلم يجب سؤاله واتّضع جانبه جدّاً ، وسعى أخو جمال الدين حينئذ فاستعاد البيبرسيّة بحكم أنها كانت بيده وخرجتُ عنه لعلاء الدين الحلبي ثم نزل عنها لكتابه^(٢) ، فلم يزل أخو جمال الدين يسعى إلى أن اشترك معه في المشيخة ، ثم انتزعا منه كلها في سنة ست عشرة ثم استعادها كاتبه في سنة ثمانى عشرة .

* * *

وفي مستهل شعبان - يوم الاثنين - ببيع^(٣) للأمير شيخ بالسلطنة باتفاقٍ من أهل الحلّ والعقد - الذين حضروا - من الأمراء والقضاة والمباشرين ، ثم صعد إلى القصر فجلس على تخت الملك وقبّل الأمراء الأرض وصافحه القضاة وأصحاب الوظائف وقرّروهم على وظائفهم ، وأرسل إلى الخليفة ليشهد عليه بتفويض السلطنة له على عادة من تقدّمه ، فأجاب بشرط أن ينزل من القلعة إلى بيته ، فلم يوافق السلطان على النزول بل استنظره أياماً . وتلقّب السلطان « بالملك المؤيد » بعد أن شاوره في ذلك فاختر هو هذا اللقب ، وكنتُ حاضراً في وظيفة إفتاء دار العدل ، فاتفق أنهم اختلفوا في تكتيسته فقلت : « الذى يوافق التأيد هو النصر » ، فاتفق على تكتيته « أبا النصر » ، وانفصل المجلس على ذلك .

(١) في هامش ث : « رد الجالية باسم جمال الدين » .

(٢) يقصد ابن حجر بذلك نفسه .

(٣) في هامش ث : « سلطنة الملك المؤيد شيخ ، رحمه الله تعالى » .

واتفق في يوم سلطنته قدوم جقمق الدويدار راجعاً إلى دمشق لتقليد النواب ، فتلقاه نوروز وخلع عليه ظاناً أن الأمر على ما كان عليه ، فلما كان في ثامن عشر رجع إلى دمشق فقبض عليه نوروز وسجنه .

وفي السادس عشر من شعبان توجه طرباي بخلعة استقرارٍ لنوروز بشيابة الشام ، فلما بلغه ذلك أعاد جواباً قبيحاً وأفحش في الردّ وكاتبه كما كان يكتبه من قبل ، فرجع الرسول مسرعاً فوصل في أول يوم من رمضان ، فجهّز المؤيدُ الشيخَ شرف الدين التّباني - في ثامن عشر - رسولاً إلى نوروز يعظه ويشير عليه بالدخول في الطاعة ، فقدم عليه في سابع شوال فلم يلقه بإكرامٍ ومنعه من الاجتماع بالناس ، وقبض على نجم الدين بن حجيّ - وكان خرج مع الحجّاج فوثّقي به إلى نوروز أنه يريد التوجّه من مكة إلى مصر - فحبسه بالقلعة ثم أفرج عنه بعد خمسة عشر يوماً .

وأرسل نوروز إلى الأمراء من البلاد أن يوافوه بدمشق لحرب المؤيد ، فوصل إليه تغرى بردى بن أخي دمرداش وطوخ وقمش ويشبك بن أزدمر ، فاستقرّ الرأي على أن يرجعوا إلى بلادهم ويتجهّزوا ويعودوا إلى دمشق .

ثم وصل الخبر بمجيء إينال الرجبي وجانبك الصوفي في عسكرٍ من جهة المؤيد إلى غزّة فملكوها ، وهرب كاشف الرملة إلى نوروز ، فجهّز نوروز جيشاً إلى غزّة ، فتوجّه معه كاشف الرملة فكبسوا إينال الرجبي بالقدس فكسروه وأرسل إلى دمشق - وكان زوج أخت^(١) نوروز - فخامر عليه ، فلما حضر إلى نوروز بصق في وجهه ثم أطلقه ، وتوجّه عسكر نوروز فأخذوا غزّة فهرب جانبك إلى صفد .

* * *

(١) أما م هذا الخبر في هامش ث جاء تعليق ضاع أوله بسبب التصوير ، ولكن تمتته كانت على الصورة التالية : « وتكتب وتحب العلم ومطالعة الكتب . كان عندها عدة من الكتب وهي التي ريتني بعد الولادة ولي من العمر نحو الثمان سنين وزوجتي بجارية اشتريتها وأعتقتها ودخل بها إينال الرجبي تلك السنة وهي بكر ثم عقيب ذلك جرى له ما جرى ، وكان هو في تلك الأيام مقبلاً بالقدس الشريف ومع الوالد رحمهم الله تعالى ، وكانت ولايته صفد هذه في سنة سبع أو ستة وثمانمائة . ماتت بطرابلس في رجب أو شعبان سنة إحدى وثمانمائة وأخرجت والدتها صرة كاتبه بدمشق في يوم موت من جقمق سنة ست وخمسين وثمانمائة بعد عودتنا من الحج مع الوالد ومعى عائشة بنت أرغون . كانت خيرة دينة ماتت ولها من العمر نحو الثمانين » .

وفي الثامن من شعبان عمل المؤيد الخدمة بدار العدل بالديوان وكانت قد انقطعت مدة طويلة ، وقرّر الأمراء : فيلبغا الناصري أتابك العساكر ، وطوغان دويداراً كبيراً ، وشاهين الأفرم أمير سلاح ، وقنباى المحمدي أمير آخور ، وسودون الأشقر رأس نوبة .

وخلع على القضاة والمباشرين ، واستقر شمس الدين بن التّبّاي في قضاء العسكر عوضاً عن جمال الدين بن القظّان ، وكان استقرّ في الوظيفة بعناية الخليفة فعزل .
وفي هذا اليوم صرّف نوروز شهاب الدين الأموي عن قضاء المالكية وأعاد عيسى فرحل الأموي إلى القاهرة .

وفي شعبان تجهّز طوغان ومعه عسكر إلى البحيرة لدفع عرب لبيد عنها - وكانوا قد أفسدوا - فقتل منهم جماعة ، فرحلوا إلى الإسكندرية فحاصروها فتجهّز إليهم قرقماس ابن أخي دمرداش .

• • •

وفي الثاني من رمضان جُمع اليهود والنصارى وحضر جماعة من أهل العلم ، منهم : ابن النقّاش وشمس الدين التّبّاي وشهاب الدين بن شقري مع المحتسب ابن العجلي ، وكتب أسماء أهل الذمة وقرّرت عليهم الجزية على قدر أحوالهم : على الغنيّ أربعة دنانير ، والوسط ديناران ، والفقير دينار واحد . فبلغت الجزية في هذه السنة عشرة آلاف دينار ، وكانت في العام الماضي ألفاً وخمسمائة دينار فقط .

وفي شوال أرسل المؤيد آقبا الأسندمرى إلى دمرداش بتقريره نائباً بحلب .
وفي تاسعه قبض على سودون المحمدي بالقاهرة وأرسل إلى الإسكندرية لأنه كان يميل إلى نوروز ، وقبض على كاتب السرّ فتح الله وعوّق بالقلعة وأحيط^(١) بداره وقبض على حواشيه ، ثم صرّف في ليلة الجمعة وألزم مائة ألف دينار ، وحُمّل في ليلة الأحد إلى بيت الأستاذار وشرع في بيع حواصله .

(١) عبارة « وأحيط بداره » غير واردة في ك .

وَقُرَّرَ^(١) ناصر الدين البارزى فى كتابه السرّ عوضاً عن فتح الله، وكان صدر الدين بن الأدمى قد عُيِّنَ لذلك من قبل ، فاتفق له رمد أشقى منه على العمى ، فاستقرّ البارزى وسُجِنَ فتح الله بالقلعة فى أواخر شوال ، ثم عوقب فى سادس ذى الحجة على ظهره عقوبةً بالغةً وعُصِرَ حتى كاد أن يموت وأهين إهانة بالغة ، ثم حُوِّلَ فى ثامن ذى الحجة إلى ناظر الخاص فأنزله فى داره^(٢) مُضَيِّقاً عليه .

وكان المؤيد قد نقل الخليفة المستعين من القصر فأنزله فى دارٍ من دور القلعة ومعه أهله ، ووَكَّلَ به مَنْ يَمْنَعُ الاجتماع به فبلغ ذلك نوروز فجمع^(٣) القضاة والعلماء فى سابع ذى القعدة واستفتاهم عما صنعه المؤيد بالخليفة من خلعه وسجنه ، فأفتوه بعدم جواز ذلك ، وافترقوا على غير شئ .

* * *

وفى هذا الشهر انتهت عمارة قلعة دمشق إلى أن صارت أحسن مما كانت وأعمار ، وتوسّع نوروز فى النفقات والعطايا حتى إنه أعطى تغرى بردى بن أخى دمرداش ثمانية آلاف دينار ، ويشبك بن أزدمر خمسة آلاف دينار ، وقس على هذا .

وكرّرت مصادرتة للناس فأخذ من خليل الأستاذار وحده مائى ألف دينار ، ويقال إنه وجد مع ناسٍ من أهل البقاع ذهباً فأنكر عليهم فاعترفوا أنهم نبشوا للدفن ميت فوجدوا ناووساً ففتحوه فوجدوا فيه ذهباً كثيراً فاقتسموه ، ففتّح نوروز من أخذه واستعاد منه ما قدر عليه ، فحصل له نحو ثلاث غرائر ملآى ذهباً فيما قيل .

* * *

وفى تاسع شوال سُجِنَ سودون المحمدى بالإسكندرية وفى ذى القعدة قُطِعَ الدعاء للخليفة بمكة ودُعِيَ للمؤيد وحده ، وكان من أول دولة المستعين يُدعى لهما .

(١) فى هامش ث : « ولاية ابن البارزى ناصر الدين كتابه السر بمصر »

(٢) فى ه ، ث : « دار » .

(٣) فى هامش ث : « ابتداء مخالفة نوروز لشيخ وما جرى بينهما » .

وفيه مات طوغان نائب قلعة الروم فغلب عليها دمرdash ، ثم وصل إليه تقليد نيابة حلب فسار إليها واستقر في تاسع ذى الحجة وخطب باسم المؤيد بها ، وكان أهل حلب قد ركبوا على يشبك بن أزدمر وأخرجوه منها بسبب كثرة ظلمه لهم وأخذ أموالهم بغير تأويل ، فلما خرج إلى البر يتنزّه أغلقوا في وجهه أبواب البلد فوقعت بينهم حروب فكسروه فرجع إلى دمشق مستنصراً بنوروز .

وأرسل أهل حلب إلى دمرdash - وكان مقياً بقلعة الروم من حين هرب من دمشق والناصر في الحصار - فأمره عليهم ، وثار أهل طرابلس بأصحاب طوخ - وكان مقياً بحماة - فقتلوا أستاذه وولده ، وأخرجوا الحاجب بعد ماخرج . وأرسل نوروز من استولى على غزة ، وهرب نائبها فلجأ إلى العرب فأقام عندهم .

وفي الثالث من ذى الحجة قرّر المؤيد قرقماس^(١) ابن أخى دمرdash في نيابة الشام وأمره بقتال نوروز فوصل إلى الرملة ثم رجع بغير قتال .

وكان نوروز قد راسل المؤيد فسأله أن يستمر على نيابة الشام وأن يستبد بها فلم يجب سؤاله وعرف أنها مكيدة .

وفي الثالث من ذى الحجة استقر^(٢) شرف الدين بن التبانى - بعد أن وصل من الرسلية لنوروز - في تدريس الشيخونية ومشيختها عوضاً عن ابن العديم ، وكان ابن العديم حج واستخلف في التدريس الشيخ سراج الدين قارى الهداية ، وفي المشيخة شهاب الدين ابن شقرى .

وفي أواخر ذى الحجة صُرف ابن العجمي من الحسبة وألزم بمال يحمله ، واستقر محمد بن شعبان على بذل خمسمائة دينار دفعةً واحدة معجلة : في كل شهر مائة دينار .

وكان سعر الغلال في هذه السنة رخيصاً بمصر جداً ، غالباً بمكة جدا ، حتى بلغ الشعير

(١) في هامش ث : « ولاية قرقاس في الشام » .

(٢) في هامش ث « ولاية شرف الدين بن التبانى في مشيخة الشيخونية » .

كلّ وية دينارين ، ونوى التمر - واسمه العضا - ديناراً ، وكل ثلاثة أرتالٍ بقسماط بدينار .

• • •

وفيها غلا سعر الفلفل جدا ، ووصل الفرنج على العادة فأبى تجار المسلمين أن يبيعوه لهم إلا بسعر مائتين وأربعين ، فوصلوهم إلى مائتين وعشرين فامتنعوا ورجعوا فلم يشتروا شيئا ، وذلك في سنة خمس عشرة ، ودخلت سنة ستّ عشرة والأمر على ذلك ؛ وكان السلطان المؤيد جهّز مع شيخ على الكيلاني - أحد التجار - بخمسة آلاف دينار ليشتري له بها من الفلفل بقصد التجارة ، فاتفق أن صاحب اليمن أرسل إلى مكة جملة مستكثرة من الفلفل وأمر قاصده أن يعتمد على مايشير به شيخ علي ، فقطع سعره بخمسة وعشرين : كل مائة من ، فأخذ منه بالخمسة آلاف - التي هي للسلطان - بهذا السعر فأبى على أكثره ، وباع القاصد بقية مامعه على التجار بسعر خمسة وثلاثين .

ولما وصل الذي اشتري للسلطان بيع بأثنى عشر ألف دينار فعظم قدر شيخ علي عنده جدا .

وفي آخرها غلا الكتان جدا ، وغلا بسبب ذلك القماش المعمول من الكتان ، وتبعه جمع الأقمشة القطنية .

• • •

وفيها اشتد البلاء على أهل فاس^(١) باستمرار حصار السعيد إياها إلى أن قُدرت هزيمته أيضا في شعبان ، ثم عاد في شوال فخرجوا إليه فقاتلوه فكبأ به فرسه فأخذ وقتل . وفي أثناء ذلك وقع الفساد في تلك البلاد واستولى المفسدون وقطعت الطرقات ، ومات بفاس من الناس من لا يحصى عدده جوعاً ، ثم أعقبه الوباء حتى كان يرى الدوار ليس فيه أحد حي .

• • •

ومن النوادر أن قلعة دمشق لما كملت عمارتها على يد نوروز حضر عنده شخص أعجمي

(١) في هامش ث : « حصار السعيد مدينة فاس » .

فقطع له آلةً بطريق الهندسة بحيث تُطَلِّع الماء من النهر في دلوين- يديرهما شخصان- من نحاس فيجرى الماء إلى الطارمة بالقلعة من غير علاج بهيمة ولا حامل يُضعد الدلو فيصب في الإناء الذي أعد له وينزل الآخر كذلك .

* * *

وأظهر نوروز في إمرته هذه بدمشق من العذل مالا يوصف حتى توقرت الدواعي من الواردين على حكاية ذلك ، حتى إن المؤيد كان أرسل إلى القدس أميرين وهما جانبك الصوفي وإينال الرجبي في عسكر فخرج نائب القدس وظفر بإينال وفرَّ جاني بك إلى صفد ، وأرسل نائب القدس إينال إلى نوروز ، فلما وصل إليه أكرمه وخلع عليه وأعطاه واستقرَّ عنده .

* * *

وفيهما مات شاهين الحسني ، وكان تقدّم في دولة الناصر وحجّ بالناس ، وولى نظر البيبرسيّة وغيرها .

وفيهما مات علي بن مبارك بن رميثة الحسني ، وكان عُيِّن لإمرة مكة - عند غضب الناصر على حسن بن عجلان سنة اثنتي (٢) عشرة - ولم يتم أمره .

* * *

(١) أمانها في هاشم ه : « تقدم أنه بصق في وجهه ، و [إن] قيل المراد أنه أكرمه وخلع عليه بعد ما بصق في وجهه وأطلقه فلا غبار فيه » انظر ما سبق ، ص ٥١٧ من ١٧ - ١٨ .
(٢) في ك « إحدى عشرة » .

ذكر من مات في سنة خمس عشرة وثمانمائة من الأعيان

١ - إبراهيم بن أحمد بن حسين الموصلي المالكي ، نفقه واحترف تأديب الأطفال بالقاهرة ثم حجَّ وجاور وسلك طريق الورع والنسك ، وصار يتكسب بالنسخ ويحج ، ماشياً ، وكان في غاية الورع والتحرى . مات في عشر السبعين^(١) .

٢ - أحمد بن أحمد بن أحمد بن النشار ، شهاب الدين الدمشقي أحدُ موقعي الحكم ، كان من أعيان الدماشقة حسنَ الخطِّ والخطابة . مات في شهر رمضان وهو ممن وافق اسمه اسم أبيه وجده .

٣ - أحمد^(٢) بن إسماعيل بن خليفة الحسابي ثم الدمشقي ، الشيخ شهاب الدين بن الشيخ عماد الدين ، وُلد سنة ٧٤٩ ، واشتغل في حياة أبيه وبعده وأخذ عنه وعن غيره ، وسمع الكثير وقرأ بنفسه وطلب الحديث فأكثر من الأجزاء والمسانيد ، ومهر في الفن وضبط الأسماء ، واعتنى بتحرير « التنبيه » وكتب بخطه أشياء . وكان ذكياً سريع القراءة والكتابة ، شارك في الفقه والعربية والأصول ، وولى تدريس الحديث بالأشرفية^(٣) وغيرها وناب في الحكم ، ثم اشتغل^(٤) في دولة المؤيد بغير إذن الناصر .

وكان يتورع ويستند في تنفيذ الأحكام إلى إذن بعض رفقته ، ثم امتحن في أيام الناصر كما تقدم ، ثم ولى القضاء أياماً قلائل في دولة المستعين ؛ وكان ممن أعان على موجب قتل الناصر ، وكان قد فتر عن الاشتغال وانشغل^(٥) بحب الرئاسة ، ونشأ ابنه تاج الدين فازداد الأمر فساداً ، وكان لما قبض عليه في سنة اثنتي عشرة أشيع موته

(١) بعدها في ش : « رحمه الله تعالى » ، وفي ث : « التسعين » .

(٢) أمامها في هامش ث : « ترجمة الشيخ شهاب الدين الحسابي » .

(٣) راجع عنها النعيمي : المدارس في تاريخ المدارس ١٩/١ وما بعدها ، و١٦٥/١ . هذا ولم أجد للمترجم تديساً بالأشرفية البرانية أو الجوانية وإنما كان تدرسه بالإقبالية والأمينية ، أنظر نفس المرجع ١٦٤/١ - ١٦٥ ، ويلاحظ أن ابن طولون ذكر في قضاة دمشق ، ص ١٣١ ، أنه ولى تدريس الغزالية .

(٤) في ش : « استقل » وربما كانت هي الأصح .

(٥) في ش « واشتغل » .

وأنة خُتق فأرّخه الشيخ شهاب الدين بن حجّي - رفيقه - في تلك السنة وقال في ترجمته : « اشتغل في الفقه عند أبيه ، وفي الفرائض وفي العربية عند [أبي العباس] العنابي فبرع فيها ، وسمع الكثير بدمشق ومصر ، وقرأ بنفسه قراءة صحيحة ، وكان صحيح الذهن ، جيد الفهم ، حسن التدريس إلا أنه كان شرها في طلب الوظائف كثير المخالطة للدولة ، شديد الجرأة والإقبال على التحصيل . إنتهى .

ثم ضرب^(١) على ترجمته وأرّخه على الصحة في هذه السنة . وقال : « عزل غير مرة وامتحان مراراً وفي كل مرة يبلغ الهلاك ثم ينجو ، وقد تغيّر بآخره لما جرى عليه من المحن ، وكان يحبّ ولده فيرميه^(٢) في المهالك ومقتته الناس بسببه ولايبالي بهم . »

قلتُ : وأخبرني الشيخ نور^(٣) الدين الأنباري أنه عدّله - لما دخل القاهرة - في ولده فقال : « يا أخي الناس يحسدونه لأنه أعرف منهم بالتحصيل » ، قال : « فعرفت أنه لايفيد فيه العتاب . »

وقال القاضي تقي الدين الشهيبي : « جرت له مع ابن جماعة فتنة وأوذى أذى كبيراً ثم نجا . »

قلتُ : وكان شيخنا البلقيني يحبه ويعظمه ويشهد له أنه أحفظ أهل دمشق للحديث ، وقد اجتمعت^(٤) به في دمشق فأكرمني وأعارني كتبه وأجزائه التي كان يضمن بها على غيري ، ثم قدم القاهرة بعد الكائنة فأعطيتُه جملةً من الأجزاء ، وشهد لي بالحفظ في عنوان « تعليق التعليق » ، وسمعتُ منه بدمشق قليلاً ، وكان قد شرع في تفسير كبير أكمل منه كثيراً - وعليه فيه مأخذ - ثم عدم في الكائنة ، رحمه الله تعالى . وكان عنده كرمٌ مفرطٌ قد يُفضي إلى الإسراف وفيه شجاعةٌ وإقدام^(٥) . مات في شهر ربيع الآخر .

(١) المقصود بذلك شهاب الدين بن حجّي المؤرخ .

(٢) المقصود بذلك صاحب الترجمة .

(٣) في ز « تقي الدين » وهو خطأ .

(٤) الضمير هنا عائد على ابن حجر نفسه .

(٥) في ش بعدها « وعليه فيه مأخذ » . لكن راجع السطر السابق

٤ - أحمد بن أبي بكر بن علي بن محمد بن أبي بكر بن عبد الله بن عمر بن عبد الرحمن بن عبد الله بن يعقوب الناشري الزبيدي - بفتح الزاي - شهاب الدين بن رضى الدين بن موفق الدين الفقيه الشافعى، عني^(١) بالعلم وبرع في الفقه وشارك في غيره وتخرج به أهل بلده. مدة طويلة، وولى^(٢) قضاء زبيد فراعى الحق في أحكامه فتعصبوا عليه فعزل، وانتهت إليه رئاسة الفتوى ببلده.

وكان^(٣) شديد الحظ على صوفية زبيد المنتمين إلى كلام ابن العربي، وكان يستكثر من كلام من يرد عليه فجمع من ذلك شيئاً كثيراً في فساد مذهبه ووهاء عقيدته. اجتمعت به بزبيد ونعم الشيخ كان. مات في خامس عشر المحرم وقد جاوز السبعين.

٥ - أحمد^(٤) بن محمد بن عماد بن علي المصري ثم المقدسى، شهاب الدين بن الهائم الشافعى، وُلد سنة ثلاث وخمسين واشتغل بالقاهرة وحصل طرفاً صالحاً من الفقه، وعنى بالفرائض والحساب حتى فاق الأقران في ذلك ورحل إليه الناس من الآفاق، وصنف التصانيف النافعة في ذلك، ودرّس بالقدس في أماكن، وناب عن القمى في تدريس الصلاحية، فلما قدم نوروز القدس في هذه السنة لملاقاة زوجته بنت الظاهر قرّر^(٥) الهروى كما تقدّم ثم قسمها بينه وبين ابن الهائم لقيام أهل البلد معه^(٦)، ثم جهز القمى توقيعاً من الخليفة لابن الهائم بنزع الهروى فلم يَحْضِرْ نوروز ذلك واستمرت^(٧) بيده بعد موت ابن الهائم إلى أن ولى القضاء بالقاهرة واستمرت أيضاً إلى أن رجع إليها بعد عزله مرتين؛ ومات ابن الهائم في جمادى الآخرة.

اجتمعت به ببيت المقدس وسمعت من فوائده.

(١) من هنا حتى آخر الترجمة أوردته اللذرات ١٠٩/٧ بنصه وإن أشارت إلى أنها أخذتها عن إنباء الغمر.

(٢) كان توليه القضاء بزبيد من جمادى الأولى ٧٨٦ حتى صفر سنة ٧٩٠ ثم من ١٦ ربيع الآخر

سنة ٧٩٠ حتى ربيع الآخر ٧٩١، ثم تولاه مدة شهر ربيع الأول سنة ٧٩٢.

(٣) أمامها في هامش ه: « كان شديد الحظ على صوفية زبيد المنتمين إلى كلام ابن العربي ».

(٤) أمامها في هامش ث: « ترجمة ابن الهائم ».

(٥) يقصد بذلك أنه قرره في تدريس الصلاحية، انظر ما سبق ص ٥١٥ من ١٦-١٨.

(٦) نقل اللذرات ١٠٩/٧ هذه الترجمة من أولها حتى هذه الكلمة.

(٧) جاء في هامش ه: « تقدم في الحوادث أن الهروى ما وثب عليها إلا عند شغورها - بموت ابن الهائم -

عن مدرس ».

٦ - أظنبا بن عبد الله التركي الدمشقي مولى ابن القوأس، سمع من الحجار بعض « صحيح البخارى » ولم يظهر سوى قبل موته بقليل ، وقد استجازه بعض أصحابنا ولم نعلم أنه حدث ، وهو آخر من سمع من الحجار من الرجال .

٧ - أى ملك بنت إبراهيم بن خليل بن محمود البعلية^(١) ثم الدمشقية ، أخت الشيخ جمال الدين [عبد الله] بن الشرائحي ، سمعت بعناية أخيها من ابن أميلة ومن بعده وحدثت معه^(٢) ؛ سمعت منها وسمعت بقراعتي في ربيع الآخر .

٨ - أبو بكر بن على بن يوسف الهاشمي الحسنى^(٣) الموصلى نزير القاهرة ، اشتغل كثيراً وكان يميل إلى المذهب الظاهري وامتنح بسبب ذلك مرة ، وكان يحفظ شيئاً من « البخارى » بأسانيد وكثيراً من كلام ابن تيمية ، وكان مقتراً^(٤) قانعاً ملازماً للصلاة والعبادة حسن السميت يتكلم على الناس بالجامع الحاكمى . مات في حادى عشرى جمادى الأولى .

٩ - تغرى بردى الكمشبغاوى^(٥) الرومى ، كان جميل الصورة ورقاه الظاهر حتى صيره أمير^(٦) مائة في نصف رمضان سنة أربع وتسعين ، وولى نيابة حلب في ذى الحجة سنة ست وتسعين فسار فيها سيرة حسنة وأنشأ بها جامعاً كان ابن طولون ابتدأ في

(١) « الثعلبية » فى ث .

(٢) أى مع أخيها .

(٣) ضبطت النسبة من الضوء اللامع ١١/١٥٧ .

(٤) فى ٥ ، ش ، ث « فقيراً » .

(٥) هو والده أبى الحسن يوسف المؤرخ صاحب النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة والمنهل الصافى وغيرهما من عيون كتب تاريخ هذه الحقبة . وأمام هذه الترجمة فى هامش ث : « تغرى بردى هذا هو والد العلامة فى التاريخ مؤرخ القاهرة سيدى يوسف بن تغرى ، الأمير بن الأمير ، كان لطيف الذات من محاسن الدهر ، شهما ذا ثروة وترف ، معظماً عند الملوك ، كثير الاطلاع ، وله عدة مصنفات فى التاريخ منها تاريخه الكبير فى مجلده انتهى فيه إلى أول دولة قايتباى الأشرفى . مات فى ليلة الأربعاء سادس ذى الحجة سنة أربع وسبعين وثمان مائة ودفن بتريته التى أنشأها خارج باب المحروق وباب النصر وبها مصنفاته من جملة ما أوقف بها من الكتب ، وكان عمره تقريباً نحو الخمس وستون (!) سنة ، فإن بين موت أبيه وبين موته ستون (!) سنة . رحمه الله تعالى » .

(٦) « حتى صار مقدماً » فى الضوء اللامع ٣/١٣٨ نقلًا عن الإنباء كما ذكر ، ويلاحظ أن السخاوى نقل هذه الترجمة ولم يبدل فيها إلا بضع كلمات قللت .

تأسيسه ووقف عليه قرية من عمل سرمين^(١) ونصف السوق الذي كان له بحلب ، وقرّر في الجامع مدرستين : شافعي وحنفي ، فقرر أولاً شمس الدين القرني ثم صرفه وقرّر جمال الدين الملطي الذي ولي القضاء بالديار المصرية بعد ذلك ، وقرّر نور الدين الصرّخدي في تدريس الشافعية .

ثم صرف تغري بردي بأرغون شاه وطلب إلى مصر فأعطى مقدمة .

وكان بمن توجه إلى الشام مع أيتمش فبقى بالقدس ، ثم ولي نيابة دمشق ثم صرف ففرّ إلى دمرداش بحلب ، ثم فارقه وتوجّه في البحر إلى مصر فقربه الناصر وأعطاه مقدمة ، ثم استقر سنة ثلاث عشرة أتابك الساكر ، ثم قرره^(٢) في نيابة دمشق في آخر السنة فمرض في آخر سنة أربع عشرة فمات في الأسبوع الذي دخل فيه الناصر منهزماً ، وذلك في المحرم سنة خمس عشرة .

قال القاضي علاء الدين في تاريخه : « كان عنده عقلٌ وحياءٌ وسكونٌ » ، ثم قال أيضاً : « كان كثير الحياء والسكون ، حليماً عاقلاً مشاركاً إليه بالتعظيم في الدولة » . قلتُ : وكان جميلاً حسن الصورة ، وكان يلهو لكن في سترة وحشمة وأفضال ، والله يسمح له .

١٠ - جبار الله بن صالح^(٣) بن أحمد بن عبد الكريم الشيباني المكي ، سمع على تاج الدين بن بنت أبي سعد ونور الدين الهمداني وعزّ الدين بن جماعة وشهاب الدين الهكاري^(٤) وحدث عنهم ، قرأت عليه أحاديث من « جامع الترمذي » بمدينة ينبع ، وكان خيراً عاقلاً .

مات^(٥) في هذه السنة ؛ وهو الذي قال فيه صدر الدين بن الأدمي البيهقي المشهورين وسندكهما في ترجمته .

(١) هي من أعمال حلب ، انظر مرصد الاطلاع ، ٧٤٩/٢ ، Dussaud : Topographie Historique de la Syrie, p. 214.

(٢) كان استقراره هذه المرة على كره منه .

(٣) في ز « على » ، لكن انظر الضوء اللامع ٢/٢٠٣ ، والشذرات ٧/١١٠ .

(٤) « الملكاوي » في ش .

(٥) كان موته بالقاهرة ، ودفن بمقبرة الصوفية خانقاه سعيد السعداء .

١١ - خليل^(١) بن الوزير جمال الدين بن بشارة الدمشقي ، كان شاباً فطناً ذكياً محبباً للتاريخ ، جمع تاريخاً وكان يؤرّخ الحوادث ويضبطها ويذاكر بأشياء حسنة إلا أنه مّبل على اللهو . مات قبل الكهولة .

١٢ - رقية بنت العفيف [يحيى]^(٢) بن عبد السلام بن محمد بن مزروع المدنيّة ، حدّثت بالإجازة عن شيوخ مصر والشام كالخثني^(٣) وابن المصري وابن سيّد الناس من المصريّين ، والبنديجي والمزّي من الشاميّين . ماتت عن سبع وثمانين سنة .

١٣ - سعد بن عبد الله الحبشي عتيق الطواشي بشير الجمدار ، اعتنى به سيده وعلمه القرآن ورتبه في وظائف ، واستمرّ بعد سيده على طريقة حسنة وتزيّياً بزىّ الفقهاء ، وكان محبباً في السّنة وأهلها ، جميل العشرة كثير الحج يقال إنه حجّ ستين حجة ؛ ومن أعجب ما كان يحكيه أنه شاهد بعض الغلمان باع ما حصل له من مائدة السلطان بأربعة دراهم وكان فيها ربع قنطار لحم وستة أرطال حلوى خارجاً عمّا عدا ذلك .

١٤ - سليم بن عبد الله الضرير الصالحى ، اشتغل بالفقه ومهر فيه . مات بدمشق .

١٥ - طيبغا^(٤) الشريفي ، عتيق الشريف شهاب الدين نقيب الأشراف بحلب ، سمع مع أولاده من الجمال بن الشهاب محمود وتعلّم الخط معهم من الشيخ حسن ، فتماق في الخط الحسن وكتب الناس عليه واستقر في وظيفة تعليم الخط بالجامع الكبير ، وتسمّى « عبد الله » ، ثمّ أجلسه الكمال بن العديم مع العدول ففرّ في الكائنة العظمى إلى دمشق^(٥) فأقام بها مدة وحدّث بها وعلم الخط ثمّ تحوّل إلى القاهرة فقطنها إلى أن مات ، ذكره

(١) هذه الترجمة واردة بنصها في الضوء اللامع ٧٧٢/٣ ، والشذرات ١١٠/٧ .

(٢) الإضافة من السخاوى : الضوء اللامع ٢١١/١٢ ، حيث قال : « ذكرها شيخنا في إنبائه بحذف اسم أبيها » .

(٣) في ث « كالجنى » لكن راجع ترجمتها في الضوء ، أنظر الحاشية السابقة ؛ هذا وقد ذكر السخاوى أنها ماتت

عن تسعين سنة ، ولكن عمرها الوارد بالمتن هو المذكور أيضاً في الشذرات ، ١١٠/٧ .

(٤) « طنبغا » في كل من ه ، والشذرات ١٠٩/٩ ، لكنه بالياء في الضوء اللامع ٥٢/٤ ، وهو « ظينغا » في ث .

(٥) فوقها في ه « هكذا » كأنه استنكار لذهابه إلى دمشق وقد اجتاحتها جيوش تمرلنك ، لكن انظر الضوء اللامع

٥٢/٣ حيث تتأكد صحة الرسم المثبت بالمتن أعلاه .

القاضي علاء الدين في تاريخه وقال : « كتبتُ عنه بحلب وقرأتُ عليه الحديث بالقاهرة في سنة ثمانٍ وثمانمائة » ، ومات في أواخر هذه (١) السنة .

١٦ - عائشة بنت علي بن محمد بن عبد الغني بن منصور الدمشقية ، سمعت مع زوجها المحافظ شمس الدين الحسيني من ابن الخباز والمرداوي ومن بعدهما وحدثت . ماتت في رمضان عن بضع وسبعين سنة .

١٧ - عبد الله بن محمد بن طيمان - بفتح المهملة وسكون التحتانية - المصري جمال الدين الطيائي الشافعي نزيل دمشق ، وُلد قبيل السبعين ببسير ، وحفظ « الحاوي الصغير » ولازم البلقيني وعز الدين بن جماعة ، واشتغل بالقاهرة ونبغ في الفقه وشارك في الفنون ، ثم نزل دمشق وأفتى ودرّس . ومات مقتولاً في حصار الناصر دمشق بغير قُصد من قاتله .

وكان يلبس زى العجم : قريبا من زى الترك ، وكان ذكياً ماهراً لا يتكلم إلا معرباً ، ويتعاني طريق الصوفية ، مات في صفر ولم يكمل الخمسين ، ومات صهره ابن حسان والد صاحبنا شمس الدين بن حسان (٢) القدسي بعده ببسير ، وكان من أهل القدس فقدم دمشق ففطنها ولازم الطيائي ، وكان الطيائي تردّد إلى دمشق بسبب وقف له فحضر - أول مرة - عندها - عند الشيخ نجم الدين بن الجاني ثم قدمها مراراً ، وفي الأخيرة حضر عند الشيخ شرف الدين الغزّي فاستحضر كلام الإسنوي في « المهمات » مرة بعد مرة ، فقال له الغزّي : « أنت درست المهمات . إنني بت أطلع هذه المواضيع وأنت تحفظها أكثر مني » .

وقال ابن حجي : « قدم علينا فاضلاً فلازم التحصيل وشغل الطلبة (٣) وأفتى وصنّف » ، وقال القاضي تقي الدين الشهبّي : « شرع في جمع أشياء لم تكمل ، واختصر شرح

(١) أي سنة ٨١٥ هـ .

(٢) كانت وفاته سنة ٨٥٥ هـ ، راجع الضوء اللامع ٣٨٧/٩ ، وكلمة « القدسي » الواردة في ش فقط .

(٣) في « الفلكية » .

الغزى على المنهاج وضم إليه أشياء من شرح الأذعى ، وقد درّس بالركنية^(١) والعدرواية والظاهرية والشامية .

١٨ - عبد الله بن محمد بن التقى بن الحنبلى ، تقى الدين بن قاضى الشام عز الدين ، درّس بعد أبيه فلم يُنجب ، ثم ولى القضاء بعد الفتنة بطرابلس ، مات فى رمضان^(٢).

١٩ - على بن محمد بن أبى بكر العبدرى الشيبى الحجبى المكى ، ولى حجابة البيت مراراً ، وكان حسن الخط حصل كتباً كثيرة بخطه .

٢٠ - عمر بن عبد الله الهندى ، سراج الدين الفافا - بفاءين - كان كثير النطق بالفاء فلقب بذلك ، وكان عارفاً بالفقه والأصول والعربية ، أقام بمكة أزيد من أربعين سنة فأفاد الناس فى هذه العلوم ، ومات فى ذى الحجة عن سبعين سنة .

٢١ - فرج^(٣) بن برقوق بن أنس ، الناصر بن الظاهر ، وُلد سنة إحدى وتسعين

(١) هذه المدارس الأربع من مدارس الشافعية بدمشق ، أما الركنية الجوانية فهى من وقف ركن الدين منكور من عتيق سليمان العادلى ، انظر عنها الدارس فى تاريخ المدارس ١/٢٥٣ - ٢٥٧ ، وأما العدرواية فكانت بباب دار السمادة وهى من إنشاء الست عذراء بنت أخى صلاح الدين المتوفى فى سنة ٥٩٣ هـ ودفنت بها ، انظر نفس المرجع ١/٣٧٣ وما بعدها ؛ وأما الظاهرية فتطلق على اثنتين إحداهما تعرف بالجوانية وهى داخل بابى الفرج والغراديس ، وهى من إنشاء الظاهر بيبرس البندقدارى ، وجاء فى الدارس فى تاريخ المدارس ١/٣٤٨ حاشية رقم ٢ أنها أصبحت اليوم مقر دار الكتب الوطنية بدمشق ، وأما الظاهرية البرانية فخارج باب النصر وهى من بناء الملك الظاهر الغازى بن صلاح الدين ، انظر نفس المرجع ١/٣٤٠ - ٣٤٨ ، وأما الشامية فتطلق على اثنتين : البرانية من إنشاء والده الملك الصالح إسماعيل ، والجوانية وهى من إنشاء ست الشام بنت نجم الدين أيوب ابن شادى ، انظر الدارس فى تاريخ المدارس ١/٢٧٧ - ٣٠٠ ، ٣٠١ - ٣١٣ .

(٢) جاء بعد هذا فى بعض النسخ ما يلى : « عبد الله الشربى الكاتب ، كان اسمه طيبفا ، تقدم قريبا » ويقصد بذلك صاحب الترجمة رقم ١٥ ص ٥٢٨ ، ثم جاء فى نسخة ز بعد هذا أيضا : « على بن عبد الله الغزولى البهائى الدمشقى . ذكره المؤلف فى معجمه » والظاهر أنها من وضع ناسخ ز ، وهو على بن داود الجوهري الصيرفى .

(٣) جاء التعليق التالى فى هامش ث : « قال شيخ الإسلام قاضى القضاة بدر الدين العيني رحمه الله تعالى فى ترجمة فرج : لم يكن مشكورا فى سلطنته ، كان مشتغلا بالملاهى وشرب الخمر واللواط وسائر المنكرات ، وكان يحدث فى مجلسه من الخزيات وكلمات الكفر ما لا يحصى ولا يوصف . وكان فى أكثر أوقاته يستغرق نهاره خسة ، ولم يكن واقفا عند الدين ، وغير مواظب على الصلوات ، وكان له عشرة من الأئمة بجوامك وغالب الأوقات ما كان يصل بواحد منهم ، وكان له جرأة عظيمة على سفك الدماء ، فإنه فى آخر أيامه سفكت يده دماء كثيرة فلاجرم أن أخذه الله فى الدنيا قبل الآخرة ، وكان سبب فساد حاله أن بعض الأتراك احتاطوا على عقله وحسنوا له المصائب ، فلما وقع فى الشدة لم ينتقمه أحد منهم ، وهذا شأن الصحبة على المعصية . انتهى كلامه رحمه الله تعالى ؛ وقال بعضهم : كان جريشا على سفك الدماء حتى بنفسه يباشر ذلك بيده ، وهذا من أعظم الجرأة ، وكان مجاهرا بالمعاصى والمنكر يركب ويشق المعصية وهو طافح سكرًا » .

في وسط فتنة يلبغا الناصري ومنطاش فسماه أبوه « بلغاق » ثم سماه « فرجا » ، وأجلس على التخت في يوم الجمعة النصف الأول من شوال سنة إحدى وثمانمائة وعمره عشر سنين وستة أشهر ، وقد تقدمت أخباره في الحوادث .

٢٢ - قانبای قریب بیبرس ابن أخت الظاهر ، وكان من الأمراء في دولة الناصر وكان ممن عصى عليه فسجنه بالقلعة ، فلما وصل الخبر إلى القاهرة بكسرة الناصر قتله أسنبغا نائب القلعة ، ويقال إن الناصر كان قرر معه^(١) ذلك .

٢٣ - محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر الطبري ، زين الدين أبو الخير بن زين الدين أبي الطاهر بن جمال الدين بن الحافظ محب الدين ، سمع قليلاً من الفخر النوري^(٢) وابن بنت سعد وابن جماعة والعلائي ، وأجاز له أحمد بن علي الجزري ، وله أيضا إجازة من ابن القماح وابن غالي والمشتولي ونحوهم ، ومن الحسن بن السيد ، وابن جمال وابن الأخوة وابن عبد الهادي والمزي وحفيد ابن عبد الدائم وغيرهم ، وتفرد بإجازة الجزري بمكة ، وحدث بأشياء كثيرة بالإجازة عن جماعة من المصريين والشاميين ، وبرع في العلم وعرف بالروعة . مات في رمضان^(٣) .

٢٤ - محمد بن أحمد بن محمد بن علي بن سعيد ، بهاء الدين أبو حامد بن أبي الطيب ابن بهاء الدين الأنصاري بن إمام المشهد^(٤) ، وُلد سنة سبع وستين وسبعمائة ، وأحضره أبوه وأسمعه على بعض أصحاب الفخر وابن القواس ونحوهم ، وتوفى أبوه وهو صغير فأدبه رجل أعمى وبرع من صباه ، وكان صحيح الفهم دينا عاقلا ، نشأ نشأة حسنة

(١) لم مع أسنبغا .

(٢) لعله الفخر عثمان بن عفان النوري . وهو وارد في الشذرات ١١٣/٧ وفي « باسم » القونوي .

(٣) أضافت نسخة ز بعد هذه الترجمة التالية وهي غير واردة في ظ ، ولا في بقية النسخ ، « محمد بن أحمد بن علي بن عمر سعد الدين الحبشي الجبقي ملك المسلمين بالحيشة ، أبو البركات ، استقر بعد أخيه حق الدين [همك] واتسعت ملكته ، وكثرت جيوشه ، ثم استمر على محاربة الحطلي . وتوفى أباه مات جده علي ، وكان حق الدين قد حبسه فأقام في الحبس نحو ثلاثين سنة ، وكانت مدة ملكته نحو أربعين سنة . هكذا استفدته من بعض تاليف شيخنا » ويلاحظ أن السخاوي ترجم له في الضوء اللامع ٢٩/٧ وقال : « استفدته من بعض تاليف شيخنا ولم يذكره في إنبائه ، نعم هو المذكور في سنة أربع وثمان مائة من حوادثه » ، ونقول إنه لا يستبعد أن يكون الصيرفي في أثناء نسخه لنسخة ز قد وقع على هذا التعليل الذي كتبه السخاوي ، فأدرجه في ترجمة هذه السنة .

(٤) رجحت شذرات الذهب ١١٢/٧ أنه يقصد بذلك « المشهد الشامي » ولذلك عقبها بكلمة « ظنا » .

وأفتى ودرس ، وعرض عليه حموه شهاب الدين الحسينى النيابة فى الحكم فامتنع .
مات فى ذى القعدة بعلّة الاستسقاء .

٢٥ - محمد بن الحسن بن عيسى بن محمد بن أحمد بن مسلم بن يحيى ، جمال الدين
المكى الحلو^(١) - بفتح المهملة واللام الخفيفة - المعروف بابن العليّيف - بمهملة ولام
وفاء مُصغّر - كان من مدينة حلى فنزل مكة ، وتعالى النظم فمهر فيه وفاق أقرانه إلا أنه
كان عريض الدعوى يحسب أن شعره يشبه شعر المتنبي وأبى تمام .

وُلد بحلى سنة ٧٤٢ وتردّد إلى مكة وسمع العزّ بن جماعة ، وكان غالباً فى التشيع
ومدّح أمراء مكة وينبغ ، ومدح أيضاً الإمام صلاح الدين بن على صاحب صنعاء وملوك
اليمن والحجاز ، وانقطع إلى حسن بن عجلان ، ومات فى سابع شهر رجب سنة خمس
عشرة وثمانائة .

ذكر بى أنه رأى فى النوم - وهو صبيّ - قائلاً يقول له : « أنا نجىّ البحترى وأنا
نچيک » ، فقلت : « الحمد لله ارتحلتك جذعا وارتحلتك بازلا » .

ومن مدائحه فى الناصر لدين الله صلاح بن على :

جَادَكَ الْغَيْثُ مِنْ طُلُولِ بَوَالِي كَبُرُوجِ مِنَ النُّجُومِ خَوَالِي
فَقَدَّتْ بِيضَ أَنْسِهَا فَتَسَاوَى بِيضُ أَيَّامِهَا وَسُودُ اللَّيَالِي
قَاسَمْتَنِي وَجِدِي بِهَا فَتَسَاوَى حَالُهَا بَعْدَ مَنْ أَحَبُّ وَحَالِي

ومن مديحه :

وترى الأرض إذ بهم بمغزا تبه فى رعدة وفى زلزال
فإذا أرسل الجنود عليها [أصبحت فى شقاوة] ونكال
قرأت : سأل سائل بعذاب واقع فى سهولها والجبال

وله فيه من أخرى :

يا وجة آل محمد فى وقته لم يبق بعدك^(٢) منهمو إلا قفا

(١) ورد فى الشذرات ١١٢/٧ « الحلوى : بفتح المهملة وسكون اللام نسبة إلى حل كظي ، مدينة بآيمن . انظر عنها
مرصد الإطلاع ٤٢١/١ .

(٢) فى ث « بملهى » .

لو كانت الأشرافُ - آلُ مُحَمَّدٍ - كُتِبَ العُلُومُ لَكُنْتَ فِيهَا المُصَحِّفَا
 أو كانت (١) الأبرارُ آلُ مُحَمَّدٍ يا بنَ النَّبِيِّ لَكُنْتَ فِيهَا المُصْطَفَى
 أو كانت الأسيابُ آلُ مُحَمَّدٍ - يا بنَ النَّبِيِّ - لَكُنْتَ فِيهَا يُوْسُفَا

٢٦ - محمد بن عبد الله بن العجمي ، ناصر الدين الدمشقي كان جندياً يباشر في الأستاذارية ثم ترك ذلك ولبس بزى الصوفية وصحب الشيخ أبا بكر الموصلي ، ثم بنى زاوية بالعقبة الصغرى وعمل شيخها وأسكن بها فقراء فكان يطعمهم ، وكثر أتباعه ، وصار يتكسب من المستأجرات ، وكان حسن الشكل واللحية بهي المنظر . مات في جمادى الأولى وله ثلاث وستون سنة .

٢٧ - محمد بن عبد الله الصفدى ، أمين الدين ، كان من مسلمة السامرة وسكن دمشق بعد الكائنة العظمى ، وكان عالماً بالطب مستحضراً إلا أنه لم يكن ماهراً بالمعالجة بل إذا شخّص له غيره المرض نقل أقوال أهل الفن فيه ، وكان بارع الخطّ فرُتّب موقعا ، واعتزته في آخر عمره غفلة بحيث صار يسأل عن الشيء في حال كونه يفعلُه فينكره لشدة ذهوله . مات في صغد .

٢٨ - محمد بن عبد السلام بن محمد الكازروني ، تقي (٢) الدين ، ناب في الحكم بالمدينة وكان نبيا في الفقه . مات في مصر .

٢٩ - محمد بن عثمان بن محمد السلمى السويدي ثم الدمشقي ، سمع من ابن الشيرجى « جزء الأنصارى » ، ومن على بن موسى الصفدى وتقى الدين بن رافع وجماعة ، ووقع في الحكم في ولاية البلقينى في القضاء بدمشق وفاق أقرانه في ذلك . قال ابن حجب : « كان صحيح العدالة محررا عارفاً بالشروط ، انفرد بذلك في وقته ، مع حُسن خطّه وجودة صَبْطِهِ » ، وقد حدّث قليلاً . مات في ربيع الأول (٣) .

(١) خلت الشذرات ١١٣/٧ ، ونسختا ، وه من هذا البيت .

(٢) في « نور » .

(٣) نقل السخاوى هذه الترجمة بنصها في الضوء اللامع ٣٥١/٨ .

٣٠ - محمد بن عمر بن مُسَلَّم - بالتشديد - ابن سعيد الدمشقي نزيب القبيبات ، شمس الدين القرشي أخو شهاب الدين^(١) بن الشيخ زين الدين ، سمع مع أخيه كثيراً وكان يذاكر شيئاً من الشعر وفنون الأدب ، وكان كثير المزاح ، عاش نحواً من ستين سنة .

٣١ - محمد^(٢) بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد البعلبكي ، جمال الدين بن اليونانية ، وُلد أول سنة ٧٥٢ وسمع الحديث وقرأ ودرّس وأفى وشارك في الفضائل ، وكان عارفاً بأخبار أهل بلده ، وهو ابنُ أخى الشيخ شمس الدين البعلبكي .

٣٢ - محمّد بن محمّد بن [محمد بن] محمود بن غازي بن أيوب بن محمود بن الحنّلو^(٣) ، الشيخ محبّ الدين أبو الوليد بن الشُّحنة الحنفي - والشُّحنة هو جدّه الأعلى محمود الأول - وكان أبوه من أهل الفضل . مات سنة ست وسبعين ، ووُلد له أبو الوليد في سنة تسع وأربعين ، واشتغل قديماً ونبع وتميّز في الفقه والأدب والفنون ، ووَلّى قضاء حلب قديماً سنة ثمان وسبعين وسبعمئة ، وصُرف^(٤) كمال الدين بن العديم ثم أعيد ابن الشُّحنة ثم صُرف بعد كائنة الناصري مع برقوق وجرت له أمور ، ووَلّى مرّة بعد موت الجمال إبراهيم بن العديم ثم إلى سنة ثلاث وتسعين فعزّل لما قدم الظاهر حلب ، واهتج حتى أراد الظاهر قتله ثم سُجِنَ وصور ، واعتنى محمود الأستاذار به واختصّ به وله فيه مدائح ، ثم استخلصه وقدم معه القاهرة وأقام مدّة نحو ثلاث سنين ، ثم رجع إلى حلب فأقام ملازماً للاشتغال والتدريس ونشر العلم ، ثم أعيد في أوّل قدمها الناصر فرج وأقام مدّة ، ثم حصل له إنكار^(٥) إلى أن ولىّ حكم نيابة حلب .

(١) هو أحمد بن عمر بن مسلم ، راجع ترجمته رقم ٥ في إنباء النمرج ١ ص ٤٢٣ .
 (٢) في ز « أربع محمّدات » وفي الشذرات ، ث ، هـ « ثلاثة » ، وقد خطأ البخاوي في الضوء اللامع ج ٩ ص ٢٤٤ فقال « وصوابه بدون محمد الثالث » ، ومن ثمّ ترجم له ، شرحه ، ج ٩ رقم ٣٦٤ ص ١٤٥ ، وقد اتفق في سنة مولده مع للوارد في المتن أعلاه ، وإن جملتها الشذرات ٧/١١٣ سنة ٧٤٩ .
 (٣) الضبط من هـ ، وأمامها في هامش ث : « ترجمة ابن شحنة » وذلك بخط فارسي ، وفي نسخة ث : « ترجمة محب الدين بن الشحنة رحمه الله تعالى » . والإضافة في المتن من ث ، ومن الضوء اللامع ١٠/٥ .
 (٤) في ش : « وصرف بكال الدين بن العديم ثم أعيد ، ثم أعيد الشحنة . . . الخ .
 (٥) « إنكاد » في ش ، ث .

وكان ممن قام مع جكم لما تسلطن فنقم عليه الناصر ذلك وقبض عليه ثم هرب ثم رضى عليه وولاه قضاء حلب في سنة تسع وثمانمائة ، ثم امتحن في سنة ثلاث عشرة وأخضر إلى القاهرة ، ثم رضى عنه الناصر وولاه تدريس الجمالية بعد موت مدرّسها محمود بن الشيخ زادة ، ثم ولاه قضاء الحنفية بالقاهرة وهو بدمشق في الحصار ، فلما دالت دولة الناصر أعيد ابن العديم لقضاء الديار المصرية ، واستقر ابن الشحنة في قضاء حلب وأعطى تداريس بدمشق ، وتوجه صحبة النائب فمات في يوم الجمعة ثانی عشر ربيع الآخر ، وكان قد نزل عن وظائفه بالقاهرة لصدر الدين بن الأدي ، ونزل صدر الدين له عن وظائفه بدمشق ^(١) .

وكان كثير الدعوى والاستحضار على الهمة ، وعمل تاريخاً لطيفاً فيه أوهاماً ، وله نظم فائق وخط رائق ، وعاش خمساً وخمسين ^(٢) سنة ؛ ومن نظمه :

ساقى المُدَامَ دَعِ المُدَامَ فَكُلْ مَا فِي الكُاسِ مِنْ وَصْفِ المُدَامَةِ فِيكَمَا
فِعْلُ المُدَامِ وَلَوْ نُهَا وَمَذَاقُهَا فِي مُقْلَتَيْكَ وَوَجْنَتَيْكَ وَفِيكَمَا

وله :

أَسِيرٌ بِالْجَرَعَا أَسِيرًا وَمِنْ هَمِّي لَا أَعْرِفُ كَيْفَ الطَّرِيقِ
فِي مُنْحَنِ الْأَضْلَعِ وَادِي الْغَضَا وَفَوْقَ سَفْحِ الْخَدِّ وَادِي الْعَقِيقِ

وقرأت في ذيل تاريخ حلب للقاضي علاء الدين : أنه باشر قضاء دمشق مرة أيام كان شيخ نائباً بها . وألف ^(٣) يسيراً وشرح « الكشاف » ولكنه ما أكمله ، وعمل لأجل ابنه مختصراً في الفقه غايةً في الاختصار لكنه فقد .

(١) جاء في هامش بخط البقاعي « حدثني ولده الإمام العلامة القاضي محب الدين محمد كاتب السر بالقاهرة أن شخصاً من المباشرين في ديوان النيابة بحلب يسمى عبد الرحمن بن العاصب حدثه أنه وجب على شخص مكس فألزموه به فحمل منهم جماعة فلم يقبل منهم ، ثم قال حمل على والدكم فيه فقلت إن عليه خمسين ديناراً ، فقلت اختر لنفسك إما أن أضمن لله علفاً أن يأتيك اليوم بخمسين ديناراً من وجه [حلال] وتطلقه باختيارك وإما أن ألزمك بإطلاقه كرها ، فقلت : إنى اختر الأول ، فقال : إذ به فقد ضمنت لك ذلك » ، فما مضى ذلك اليوم حتى جاءني وكيل لي بخمسين ديناراً فقال : هذه فائدة من الصابوني البلائي لصابون كان لي » ، فقال : فأحضرتها إلى والدك وبشرته بذلك فحمد الله . قاله إبراهيم البقاعي .

(٢) في ث « وستين » .

(٣) من هنا حتى « ابن عبيد الله بمصر » ص ٤ من الصفحة التالية غير وارد في كل من ه ، ث .

قال ابنه : « كان منفرداً في الرئاسة علماً وعملاً في بلده وعصره ، وغزوة في جبين دهره ، ولي قضاء حلب ودمشق والقاهرة وقضاء الشام كله ، وأخذ عن العزّ الحاضري والبدري بن سلامة » ، قلتُ : وابن قاضي شهبة وابن الأوزاعي بالشام وابن الهمام وابن التّنسي والسفطي وابن عبيد الله عمصر .

وله ألفية رجز تشتمل على عشرة علوم ، وألفية اختصر فيها « منظومة النّسفي » وضمّ إليها « مذهب أحمد » ، وله تواليف أخرى في الفقه والأصول والتفسير ^(١) .

٣٣ - محمد بن محمد بن محمد بن يوسف بن عليّ بن يوسف بن عيّاش ^(٢) الجونخي الدمشقي التّاجر ، سمع من ابن الخبّاز وحَدّث عنه « بجزء ابن عرفة » ، وحضره أيضاً عليّ ابن العزّ عمر ^(٣) ، وكان ذا ثروة واسعة ويحكى عنه غرائب من شُحّه ، وكان أسنّ من أخيه أحمد المقرئ . مات في رمضان وقد جاوز الستين ^(٤) .

٣٤ - محمد بن مسعود النّحريري الشافعي نزيل مكة ، أفاد الطلبة بها في الفقه .

٣٥ - مسعود ^(٥) بن عمر بن عمر بن محمود بن أيّمان الأنطاكي ، شرف الدّين النحوي ، نزيل دمشق قدّم إلى حلب وقد حصل طرفاً صالحاً من العربيّة ، ثم قدّم دمشق فأخذ عن الصّفدي وابن كثير و[الشهاب] العنّابي والصّدري بن منصور ، وتقدّم في العربيّة ، وفاق في حُسن التعلّم حتى كان يشارط عليه إلى أجلٍ معلوم بجعل معلوم ؛

(١) جاء بعد ذلك في ث : « قال العيني : غرم ابن الشحنة عشرة آلاف دينار على ما سمعه مسطره من لفظ الملك الناصر » .

(٢) الضبط من الضوء اللامع ١٥/١٠ .

(٣) هو عليّ بن العزّمر بن أحمد المعروف بالشروطي لمهارته في الشروط ، وقد وصفه ابن حجر في الدرر الكامنة ٢٨٢١/٣ بأنه كان يستحضر أسماء الناس وتواريخهم ، ونقل عن السبكي قوله عنه إنه « كان عديم النظير في معرفة الخطوط والشروط والمكاتيب الحكية » ، وكان موته في منتصف المحرم سنة ٧٤٩ .

(٤) السبعين في ث .

(٥) وردت هذه الترجمة في ز ، ه ، باسم « مسعود » ولكنها في ظ باسم « محمود » ، وقد ترجم له السخاوي في الضوء اللامع ٥٦٩/١٠ باسم « محمود » أيضاً بعد أن نص على أن هذا هو اسمه الصحيح « وليس مسعوداً كما سماه ابن حجر » ؛ ومعنى كلام السخاوي هذا أن هناك نسخة أخرى غير نسخة ظ كتبها ابن حجر ورجع إليها السخاوي وقد ذكره فيها باسم « مسعود » وعنها نقلت بقية النسخ . أما اسم « أيّمان » المذكور في أجداده فوارد في شذرات الذهب ١١٤/٧ برسم « أمار » .

وكان يكتب حسناً وينظم جيداً ، وكان يتعماني الشهادة ولم يكن بالمحمود وكان مزاحاً قليل التصون . مات في تاسع^(١) شعبان وهو في عشر الثمانين .

٣٦ - موسى^(٢) بن سعيد المصري نزيل دمشق ، شرف الدين بن البابا ، كان أبوه يخدم ابن الملك بالحسينية ونشأ هو على طريقته ثم اشتغل وكتب الخط الحسن ، وشارك في الفنون مع الثقل والفقر والدعوى العريضة في معرفة الطب والنجوم وغير ذلك ، ثم اتصل بخدمة فتح الله [كاتب السر] فحصل وظائف بدمشق وأثرى وحسنت حاله وحج ، ثم رجع فمات في شعبان وله خمس وسبعون سنة . اجتمعت به مراراً وسمعت من فوائده .

ووجدت بخط الشيخ تقي الدين المقرئ عنه أنه أخبره أنه جرب مراراً أن من وضع شيئاً في مكان وزم نفسه منذ يضعه إلى أن يبعد عنه فإن النحل^(٣) لا يقربه .

٣٧ - و [مات] من الترك : سودون الجلب أحد ممالك الظاهر [برقوق] وكان من مثيري الفتن ، ولي نيابة الكرك من قبل الناصر ثم استبد بها وأظهر العذل ، وفي الآخر أعطى نيابة حلب بعد قتل الناصر فمات من جراحة أصابته برجله في ربيع الآخر .

• • •

(١) الوارد في الضوء اللامع ١٠/٥٦٩ أنه مات « خامس » شعبان .

(٢) نقل السخاوي في الضوء اللامع ج ١٠ رقم ٧٦٩ هذه الترجمة بنصها .

(٣) في الضوء اللامع ، شرحه ، وفي ث : « النمل » وفي هامش « بخط البقاعي : « جربت ذلك فوجدته غير صحيح » .

(ملحق رقم ١)

أدرجنا في هذا الملحق صفحات وردت في نسخ المخطوطة وليست منها ، والظاهر أنها من تاريخ وضعه ابن حجر لفترة
سابقة لأحداث إنباء النمر ، ثم وضعت هنا خطأ .
وقد تنبه لذلك ناسخ ه فقال : « كذا » يحرر من هنا . ثم جاء بخط البقاعي : « الظاهر أن هذا في ترجمة الناصر
حسن لا الناصر فرج » .

وفي يوم الإثنين العشرين من جمادى الأولى فُتِحَ دار العدل وأحضر جميع الأمراء والقضاة ونوادي : « من كانت له ظلامة فليحضر دار العدل » فكان أكابر الناس يهابون ذلك ويتعاطون الحقوق بينهم خوفاً من الخجل ، واستمر [السلطان] على ذلك في كل يوم اثنين وخميس فتقرأ عليه القصص ويوقع عليها بين يديه بفصل الحكومات .

وفي زمانه خطب له اللحيان بمدينة طرابلس الغرب .

وتوجه في شوال سنة ثنتي عشرة إلى الشام لما سمع بقصد خربندا الشام فلما كان بأثناء الطريق بلغه رجوعه فدخل الشام في طائفةٍ وحجّ من الكرك وعاد في حادى عشر المحرم سنة ثلاث عشرة إلى دمشق وهو راكب ناقه وفي يده حربة وعليه بشت من صوفٍ وعمامةٍ بلثام ، فأقام بدمشق ثم دخل القاهرة في ثانی عشر صفر ثم دخل الصعيد في سنة ثلاث عشرة فمهدّه ، وأنشأ فيها القصر الأبلق وعمل عند فراغه وليمةً عظيمة ، وكتب إلى الشام بإسقاطٍ ما على الناس من البواقي من سنة ثمانٍ وتسعين إلى سنة ثنتي عشرة ، وراك أراضي الزرع بقبلى مصر وغربيها في سنة خمس عشرة .

وفيها حلق رأسه وكان قد مريض ، فحلق الأمراء رؤوسهم وبطلت الذوائب من حينئذ ، وأحدث السلطان ديواناً خاصاً وأبطل نحو الخمسة عشر مكساً وقرّر عدّة من الأمراء الألوفاً : أربعة وعشرين .

واتفق أن اجتمع بباب النصر في سنة ست عشرة رُسلُ عدّة من ملوك الأرض وهم : أذربك ملك الشمال ، وملك الكرج ، وطغاي قريب أذربك ، وبوسعيد ملك التتار ، وجويان ، ورسلُ الفرنج من برشوننة ، ومن إصطنبول ورسلُ ملك النوبة ، وعاد إلى الصعيد سنة سبع عشرة فيها إلى الكرك وراك مملكة طرابلس .

وفيها ضربت السكة باسمه ودُعِيَ له على منابر بلاد ابن قرمان ؛ وأحدث في سنة ثمانى عشرة الركوب إلى الميدان في أيام السبت ، وحج سنة عشرين فأرسل أولاً من مهد غلبة أيلة ووسع مضيقها وسهل صنعها ، وحجّ معه صاحب حماة وابن جماعة وكريم الدين أبوكم ،

وحصل لأهل الحرمين منه برٌّ كبير وظهر منه تواضع زائد ، منه أن القاضي أشار عليه أن يطوف راكباً خشبةً عليه من الزحمة وذكر له أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طاف راكباً فقال : « وَمَنْ أَنَا حَتَّى أَكُونَ مِثْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ » ثم طاف راكباً ومنع حاشيته أَنْ يَتَعَرَّضُوا لِلنَّاسِ فَرَاخَمَهُمْ وَزَاخَمُوهُ وَغَسَلَ الْكَعْبَةَ بِيَدِهِ وَغَسَلَ إِحْرَامَاتِ النَّاسِ ، وَأَبْطَلَ مَكْسَ مَكَّةَ وَعَرَضَ أَسْرَاهَا ، وَكَسَا الْبَيْتَ بِالْحَرِيرِ الْأَطْلَسِ ، وَأَجْرَى عَيْنَ خَلِيصٍ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ انْقَطَعَتْ ، وَاجْتَمَعَ عِنْدَهُ بِمَكَّةَ أَكْبَابُ بَنِي مَهْدَى وَبَنِي طَيِّ وَغَسَّانَ وَأَمْرَاءَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ وَبَنِي لَامٍ وَأَوْلَادَ مَهْنَأَ ، وَلَمْ يَخْطُبْ بِاسْمِ صَاحِبِ الْيَمَنِ مَدَّةَ إِقَامَتِهِ بِمَكَّةَ ، وَدَخَلَ مِصْرَ فِي ثَانِي عَشْرِ الْمَحْرَمِ .

وفي سنة عشرين هادنه بو سعيد ملك الغل وَجَهَّزَ الْمَحْمَلِ مِنَ الْعِرَاقِ وَخَطَبَ لِلنَّاصِرِ عَلَى مِنْبَرِ تَوْرِيْزٍ مَعَ أَبِي سَعِيدٍ ، وَحَمَلَ سَنَةَ إِحْدَى وَعَشْرِينَ إِلَى مَكَّةَ أَلْفَيْ إِرْدَبٍ يَفْرُقُهَا لَمَّا بَلَغَهُ أَنَّ الْفَلَاحَ بِهَا .

وفيها أرسل إلى النوبة عسراً .

وفي سنة أربعٍ وعشرين أبطل مكس القمح ببلاد الشام كلها وكان يؤخذ على كل أردبٍ ثلاثة دراهم ، وكان المتحصّل عن ذلك في كل سنةٍ ألف ألفٍ ومائتا ألفٍ درهمٍ نقدة .

وتقدّم في سنة أربعٍ وعشرين إلى الكتبة بالدواوين أن يكتبوا له أوراقاً بما يتحصّل من الجهات وبما يُصرف ، فلما قرئت عليه أمر أن يُرفَعَ إليه كل يومٍ أوراق ما يُتَحَصَّلُ وما يُصْرَفُ ، فَضَبَطَ الْأَمْرَ وَاسْتَبَدَّ بِمَعْرِفَةِ مَا يَتَعَلَّقُ بِالدَوْلَةِ .

وبعث في سنة خمسٍ وعشرين سريةً مع بيبرس الحاجب وغيره إلى اليمن .

وفيها حفر الخليج الناصري خارج القاهرة ، وأنشأ الخانقاه بسرياقوس ، وجرّد عسكرياً إلى بركة لمنع العريان زكاة أموالهم .

وفي سنة ثمانٍ وعشرين جُدِّدَتْ عِمَارَاتُ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَأَجْرَى الْعَيْنِ الَّتِي كَانَتْ

انقطعت عنها ، وأمر بردم الجبّ الذي كان من قبله يسجن فيه من يعصون عليه لما بلغه ما يقاسيه فيه من يسجن من المشقة ، وأنشأ قوقه طباقاً ، وكان أبوه هو الذي أحدثه سنة إحدى وثمانين .

وفي سنة تسعٍ وعشرين منع الكتاب والعوام وبياض الناس من شراء الممالك الأتراك وألزمهم ببيع ما عندهم منهم .

وفي سنة ثلاثين سقط من ظهر فرسه في الصيد فأقام موعوكاً أربعين يوماً ، فلما عوفى توجه آقباغا عبد الواحد بالبشارة إلى الشام بعاقبته فيقال حصل له مائة ألف دينار ، وحجّ في سنة اثنتين وثلاثين .

وفي سنة ستٍ وثلاثين وقع الغلاء بمصر إلى أن بلغ الإردب خمسين درهماً فقام في ذلك واهتمّ له وطلب نجم الدين محمد بن حسين الأسعردى المحتسب وعلي بن حسين المرذاني وإلى القاهرة فأمرهما بضبط الغلال ، وكتب إلى غزّة والشوبك والشام بحمل الغلال وأمر أن لا يباع القمح بأكثر من ثلاثين وشدّد على الأمراء في بيع ما في شونهم ثم فوّض الحسبة للضياء يوسف خطيب بيت الأبار وتذب معه شاد الدواوين فمشت الأحوال حتى قدم القمح الجديد .

وفي سنة سبعٍ وثلاثين ندب الساكر إلى بلاد الأرمن فملكوا مدينة أياس ، وقدمت عليه رسل ملك الهند ورسلك الحبشة ، قال منكلي بغا بن البابا : « لما حجّ الناصر رأيت منه تواضعاً زائداً بحيث أنه منع حجّابه أن يمنعوا أحداً أن يطوف معه » ، وقال له القاضي بدر الدين بن جماعة لقصد تهوين ذلك عليه إن النبي صلى الله عليه وسلم طاف على جمل فقال له : « ومن أنا يا قاضي حتى أشبهه بالنبي صلى الله عليه وسلم ، والله لا طُفْتُ إلا مع الناس » وذكر أنه صلى الجمعة وطاف طواف الوداع وركب إلى المدينة فصلى بها الجمعة التي تليها وأقام بها يومين حتى وصل الركب ، وكان وصوله في ثاني عشر المحرم .

رقم الإيداع بدار الكتب

١٩٧٠ / ٥٨٧٤

مطابع الأمت - رام المنارة